

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

القسم الثاني - المجلد الأول

تقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة

بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

مقدمة التحقيق

هذا هو القسم الثاني من الذخيرة وهو يشمل تراجم أدباء الجانب الغربي من الأندلس ، أي أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل المحيط الرومي ، وقد اعتمدت في تحقيقه على أربع مخطوطات^١ يمكن أن تمثل فئتين - تضم الفئة الأولى :

(١) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم : D 1324) وقد رمزت لها بالحرف (ط) ومجموع ورقاتها ١٥٧ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي جميل محلى بشكل جزئي ، وعدد السطور في الصفحة الواحدة ثلاثون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد اثنا عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٧ × ١٩,٥ وعلى هوامشها قراءات من نسخة أخرى ، وتعليقات بعضها بخط الناسخ نفسه ، وبعضها بخط متأخر في الزمن مختلف عن خط الناسخ ، وقد أثبت من القراءات المقارنة ما رمز إليه الناسخ بالحرف (خ) ، وحذفت ما صرح الناسخ بأنه ليس من أصل الذخيرة ، كما حذفت التعليقات والإضافات المتأخرة .

وقد فرغ الناسخ من كتابة هذا القسم من الذخيرة في زوال يوم الأربعاء ٢٤ ذي القعدة عام ١٠٠٥ ، وهو الذي قام بنسخ القسم الأول والثالث من هذا الكتاب أيضاً ، واسمه أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة الأندلسي . ولما كانت هذه النسخة هي خير النسخ التي حصلت عليها ضبطاً ودقة فقد أثبت أرقام أوراقها في سياق هذه الطبعة . ومع أنها

١ هناك نسخة مغربية خامسة إلا أنني استبعدتها لأنها غير واضحة .

— نسبياً — متأخرة في الزمن ، فإنها تعدّ من أقدم النسخ المتيسرة من الذخيرة وهذه مشكلة لم أستطع التغلب عليها ، فأنا — حتى اليوم — لم أستطع العثور على نسخ تتمتع بقدم واضح ، أو حتى على الأصل الذي أخذت عنه (ط) أياً كان تاريخه .

(٢) مخطوطة بغداد ، وقد رمزت لها بالحرف (د) وتحتوي ٣٣١ صفحة ، مكتوبة بخط نسخي مشرق حديث وعدد السطور في الصفحة الواحدة ٢٩ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد إحدى عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٥ × ١٤,٥ ، وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها : « نبجز والله الحمد تسويد هذا الجزء من الذخيرة لابن بسام عليه الرحمة على نسخة قديمة بخط مغربي مغلط ، وقد اجتهدت بتصحيحها حسب الإمكان ، والله المستعان . وقد وافق ذلك اليوم الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وألف هجرية ، على يد أفقر الوري للطف ربّه المنان : عبد اللطيف ثنيان ، في بغداد المحمية ، صانها الله عن كل بلية ، آمين » .

إذن فهذه النسخة حديثة جداً ، وقد صرّح ناسخها بأنه نقلها عن أصل مغربي ، ولا ندري حتى اليوم من أمر هذا الأصل شيئاً ، ولكنني أستطيع أن أقول إنّ (د) منقولة عن أصل يشبه (ط) للتماثل الدقيق بين القراءات حتى في الخطأ ، وللتطابق التام في طول كل ترجمة ، وفيما نقص من تراجم كاملة أو أجزاء من ترجمات ، كما سيأتي بيانه بعد قليل ، وكل الفرق بين النسختين أنّ ناسخ (د) حاول أن يجتهد في بعض القراءات ، التي عدّها خطأ في الأصل ، ولم يسلم من إضافة أخطاء جديدة ، مما قد يلحق الناسخ عن طريق السهو .

وتضم الفئة الثانية من المخطوطات :

(٣) مخطوطة الخزائن الملكية بالرباط (رقم : ٩١٤٤) وقد رمزت لها بالحرف (م) وتقع في ٢٤٥ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي ، ومسطرتها

١٩,٥ × ٢٣ ، وعدد السطور في الصفحة الكاملة ٢٢ سطراً ، ولكن هذا لا يطرد لأن الناسخ يراوح كثيراً بين الكتابة بخط ذي حجم عادي والكتابة بخط كبير جداً حتى ان عدد الأسطر في الصفحة الواحدة لا يزيد عن أحد عشر سطراً . وهذه الكتابة بالخط الكبير لا تقتصر على عناوانات الفصول بل تشمل كل ما ظنه الناسخ بداية فقرة جديدة . وتظهر في هذه النسخة آثار الأرضية بكثرة ، وفيها خروم ضاعت بسببها أوراق كثيرة كما تنبهم الفوارق فيها بين عدد من الحروف المتقاربة في صورها ، وهي لا تشمل كل القسم الثاني ، وإنما تنتهي عند أوائل ترجمة ابن عبدون ثم تنجيء في خاتمتها صورة تملك على هذا النحو : « الحمد لله : تملك هذا الكتاب عبده تعالى أبي [كذا] بكر بن أحمد بن علي أعانه الله على طاعته » . إلا أنها لا تحمل تاريخاً .

ورغم ما في هذه المخطوطة من عيوب فقد كانت ذات دور هام في ما قلمته من عون أثناء تحقيق هذا القسم ، لانفرادها عن (ط) واعتمادها على أصل آخر ، وهذا ما جعلها تحفل بزيادات غير موجودة في (ط) وقرينتها (د) ومنها زيادة في ترجمة عبد الجليل بن وهبون وأخرى في ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز كما أنها تنفرد إذا قورنت بالنسختين السابقتين بإيراد ترجمة ابن مرزقان .

(٤) نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم : ٣٣٢٢ (ورمزها : س) ، وهي منسوخة عن نسخة عدد أوراقها ٢٢٢ ورقة مثبتة أرقامها على هوامش الصفحات ، وتقع (س) في ٢٦٥ ورقة ، وعدد السطور في كل صفحة عشرون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ، وخطها نسخي حديث ، ويبدو أن كاتبها أجنبي ، يدل على ذلك نوع الخط ، ومحاولة رسم الكلمات دون إدراك لمعناها ، وكثرة الأخطاء في الصفحة الواحدة ، وقد تم نسخها في ١١ أكتوبر سنة ١٨٨٤ .

ولا ريب في أن الأصل الذي نقلت عنه (س) قريب الشبه بالنسخة (م) وقد احتفظت النسخة الباريسية أيضاً بالزيادات التي جاءت في نسخة الخزانة الملكية بالرباط ؛ وكان لا بدّ من الاعتماد على (س) لأنّ قرينتها (م) غير كاملة ، فاستطاعت نسخة باريس أن تمدنا بترجمة لم ترد في مخطوطات الفئة الأولى وأعني بذلك ترجمة الأعمى التطيلي . أما فيما عدا ذلك فأنّه ليس في مقدور أيّ محقق أن يثبت جميع الفروق التي تتمتع بها (س) لأنّ أكثرها قائم على الخطأ المحض ، وإنّما كان أكثر الاعتماد عليها استثناساً بطبيعة السياق ، وترجيحاً إن أمكن الترجيح .

وبعد : فقد كان هذا القسم من الذخيرة معدّاً للنشر في النصف الأول من سنة ١٩٧٥ ، بعد الانتهاء من طبع القسم الثالث ولكن كان يمنعني من دفعه إلى المطبعة إحسامي بأنّ هناك شيئاً ينقصه ويتمثل هذا في مواطن :

١ - ترجمة أبي الوليد الباجي ، فقد كتب في هامش ط أنّ الترجمة لا يزال ينقصها ورقة ونصف الورقة ، وهو شيء لم أستطع العثور عليه في (م) أو (س) رغم انتمائهما إلى فئة مختلفة .

٢ - إن ترجمة الوزير أبي عبيد البكري لا يمكن أن تكون كاملة ، فإنّ ابن بسام لم يورد شيئاً من نثره أو شعره .

٣ - إنّ فهرست الذخيرة (في صدر القسم الأول) ينصّ على وجود ترجمة لمن اسمه « الوزير الخطيب الأديب أبو عمر ابن حجاج » تقع بعد ترجمة أبي عبيد البكري ولا وجود لها في المخطوطات الأربع ، أليس من المعقول أن تكون موجودة في مخطوطة أو مخطوطات أخرى ؟ وفي هامش (ط) ما ينبيء بأنّها ناقصة ، وكاتب هذا التعليق بخط متأخر ، ربما فعل ذلك لأنّه رآها في مخطوطة أخرى .

٤ - إن الزيادات التي وردت في نسختي (م) و (س) قد تشير

إلى أن استكشاف مخطوطات أخرى قد يتيح العثور على زيادات جديدة .

لهذا كاه آثرت التريث ؛ وغادرت بيروت في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ إلى جامعة برنستون ، واشتدت وطأة الأحداث المؤسفة في أثناء ذلك على لبنان ، وكان أن سعى بعض أصدقائي - جزاهم الله خيراً - إلى تصوير مسودة القسم الثاني ، كما تركتها محققة ، وإرسالها لتودع عند صديقي العلامة يوسف فان اس ، بجامعة توبنجن بألمانيا ، ولم أستطع رؤية هذا القسم من الذخيرة إلا بعد عودتي إلى بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٧ ؛ وفي أثناء هذه الغيبة صدر من هذا القسم قطعة تستغرق حتى آخر ترجمة أبي العلاء بن زهر ، قام بتحقيقها الدكتور لطفي عبد البديع ^١ ، ولما قارنتها بما كنت حققته وجدت مصداق بعض ما قدرته فقد احتوت تلك القطعة (اعتماداً على النسخة الكتانية) ما تفتقده النسخ من ترجمة أبي الوليد الباجي ، ولعل هذه النسخة الفريدة (أعني الكتانية) أن تكون قد احتفظت أيضاً بكل ما قدرته من نقص في النسخ التي تسرت لي ، أو بمعظمه .

إنني أعجب هذه المقدمة ، وقد قطع هذا القسم شوطاً غير قليل في المطبعة ، ولهذا رأيت أن أضيف إليه ما جاء من زيادة في ترجمة الباجي مستمداً من القطعة التي حققها الدكتور عبد البديع ، وأن أصنع لترجمة البكري تحشية مما ورد في المصادر من شعره ونثره ، أميزها عما عداها لأنها ليست من أصل الذخيرة ، راجياً إذا أتيح لي الاطلاع على النسخة الكتانية - وهو شيء لا أظنه سهلاً - أو غيرها من النسخ ، أن أثبت الزيادات وفروق القراءات في نهاية هذا الجزء .

لقد كنت أظن أن الصعوبات ستصبح مدللة لإخراج هذا القسم على نحو أكثر تحقيقاً للرضى ، ولكنني حين اعتبر هذه الفترة الطويلة التي مضت على

١ الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٥ .

الذخيرة - ولعلها أن تكون أهم مصدر من مصادر الأدب الأندلسي - دون أن تيسر للقراء والدارسين ، أحسن أن إخراجها على هذا النحو خير من التماذي في تأخير احتياجها حتى تكتمل جميع الوسائل .

ولقد كان العبء في هذا القسم - كما كان في القسمين السابقين : الأول والثالث - يستنزف موفر الطاقة ، ومذخور الجهد ، فالذخيرة لا يمثل نصاً سهلاً ، يتفق كل الناس على قراءته - وبخاصة للتباعد بين المخطوطات - ولا يمكن الاسراف فيه في ناحية على حساب ناحية أخرى ؛ بل لا بد من الموازنة بين الشرح والتعليق والتخريج وترجيح القراءات ، والاقتصار على الضروري ، مع مراعاة الربط بين الذخيرة والمصادر الأندلسية (وأحياناً غير الأندلسية) الأخرى . وقد تلقيت العون في تحقيق هذا القسم من اثنين يستحقان كل شكر وتقدير وهما الدكتور وداد القاضي التي لم تأل جهداً في تدقيق الملازم الطباعية ، وتوجيه بعض القراءات التي أعياني أمرها ، والإشراف على الفهارس المفصلة الدقيقة ، والدكتور ألبير مطلق ، الذي بذل جهداً طيباً في معاونتي على مقارنة النسخ ، والتضحية بوقته في تقديم كل ما يعين على إنجاز هذا القسم .

فإليهما مرة أخرى ، تقدير عارف بمدى ما بذلاه من جهد مخلص ، والله يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير .

احسان عباس

بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صل الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

فصل^١ في ذكر الأعيان المشاهير ، من أرباب صناعة المنظوم
والمنثور ، بحضرة إشبيلية ونواحيها ، وما يصاقبها ويدانيها ،
من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وهو الجانب الغربي
من جزيرة الأندلس ، وإيراد ما بلغني من غرر أشعارهم ،
ومستطرف أخبارهم ، مع ما يتعلق بها ، ويذكر بسببها

قال ابن بسام : وحضرة إشبيلية على قِدَمِ الدهر كانت قاعدةً هذا
الجانب الغربي من الجزيرة ، وقرارة الرياسة ومركزَ الدول المتداولة ،
ومنها مُهَدَّتِ البلادُ ، وانبثت الجياد ، عليها الفرسان ، كأنها العقبان ،
وبهذا الأفق نزل جندُ حمص من المشرق فسُمِّيَتْ حمص ، ولما كانت
دارَ الأعزة والأكابر ، ثابت فيها الخواطر ، وصارت مجمعاً لَصَوْبِ العقول
وذوبِ العلوم ، وميدانتي فرسانِ المنثور والمنظوم ، لا سيَّما من أوَّل المائة
الخامسة من الهجرة حين فرِحَ كل حِزْبٍ بما لديه ، وغلبَ كل رئيسٍ

١ نشر دوزي هذا الفصل من الذخيرة الخاص ببني عباد ، في المجموع الذي ضم ما جاء من هذه
الأسرة في المصادر العربية ، وذلك في الجزء الأول ص ٢٠١ - ٣٢٣ .

على ما في يديه ، بعد الدولة العامرية ، فأضحت أقطار الجزيرة يومئذ كبنى
الأعيان ، وأهلها كما قال أخو بني عدوان^١ :

عذير الحَيِّ من عدوا نَ كانوا حَيَّة الأرضِ
بغى^٢ بعضهمُ بعضاً فلم يُبقوا على بعض

فاشتمل هذا القطرُ الغربيُّ لأول تلك المدَّة على بَيْتَيْ حَسب ،
وجمهوري أدب ، مملكتان من لحمٍ وتَجِيبٍ ، مَصْرَتا بلادَه ، وأكثرتا
رُؤَادَه ، فأتاه العلمُ من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، وتبادَرَه العلماءُ من بين سابقٍ
ومسبوقٍ ، وكلَّما نشأ من هذين البيتين أميرٌ كان إلى العلمِ أطلبَ ، وفي أهله
أرغب ، والسلطانُ سوقٌ يُجْلَبُ إليه ، ما يَنفَقُ لديه ، حتى اجتمع
في الجانب الغربيِّ على ضيقِ أكنافِهِ ، وتَحْيِفِ العدوِّ قصمه الله لأطرافِهِ ،
ما باهى الأقاليمَ العراقية ، وأنسى بلغاءَ الدولة الديلمية ، فقلَّما رأيتَ
فيه نائراً غيرَ ماهرٍ ، ولا شاعراً غيرَ قاهرٍ ، دَعَوْا حُرَّ الكلامِ فلبَّيْ ،
وأرادوه فما تأبى ، وطريقَتُهُمْ في الشعرِ الطريقةُ المثلَّى التي^٣ هي طريقة
البحثري في السلاسةِ والمثانةِ ، والعذوبةِ والرصانةِ .

وأنا أورد في هذا القسم بعضَ ما انتهى إليَّ من حُرِّ كلامهم ، في
نثرهم ونظامهم ، مشوباً ذلك كلَّهُ بفنونِ فوائدَ ومعارفَ من أخبارٍ
يحسُنُ الوقوفُ عليها . على أنَّ الذي بلغني من شعرِ كلِّ قَطْرٍ ، ثمادٌ
مِنْ بحرٍ ، ونقطةٌ من قَطْرٍ ، ولقد فاتني كثيرٌ من الكتَّابِ والوزراءِ ،

١ هو ذو الإصبع العدواني ، انظر الأغاني ٣ : ٨٥ .

٢ ط س : بكى .

٣ ط س : الذي .

وجملة من أعيان الشعراء ، ممن كان في ذلك التاريخ ، منهم من لم أسمع بذكره ، ومنهم من لم يَسْمَحْ نَقْدِي^١ بإثبات ما بلغني من شعره ، وربما أجريتُ ذِكْرَ أحدهم غير مُبَوَّب عليه ، ولا مشيرٍ إليه ، إما لشيء أجاد فيه ، وإما أن يتعلق ذكره بذكر من أجريه ، وقد أبدأ بذكر الرجل لمكانه من الإحسان ، لا لتقدمه من الزمان ، أو لبعض ما يدعو إليه القول من نسقٍ خبر ، أو موجبٍ نظر ، فأول ما ابتدأتُ به من أهل حمص آل عباد لنباهة ذكرهم ، مع جودَةِ شعرهم .

فصل في ذكر القاضي أبي القاسم محمد بن عباد وإيراد جملة من أخباره ، واجتلاب قطعة من أشعاره^٢

قال ابن بسام : كان ذو الوزارتين القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل ابن عباد المتغلب على إشبيلية ممن له في العلم والأدب باع ، ولذوي المعارف عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك البلاغة ، بسطاً لهم ، وإقامة لهمهم ، ولما كان في طبعه من ذلك أيضاً . وقد ذكر الوزير أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم الفارسي^٣

١ س : يسمع نفسي .

٢ لا مجال لحصر المصادر المعتمدة في أخبار بني عباد ، فقد جمع منها دوزي في كتابه :

Historia Abbadidorum (Leiden, 1846).

قسطاً وافرأ ، وإنما نذكر هنا بأهم المصادر مثل البيان المغرب والقلائد والصلة والمغرب والمعجب والمطرب والاحاطة والروض المطار ونفع الطيب وبدائع البدائنه وتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابن الأثير والخريدة وابن خلكان والنويري ، وتعد مقارنة هذا النص بما ورد في الحلة السيرة والبيان المغرب أمراً ضرورياً ، لاعتماد المصدرين على كتاب ابن بسام .
٣ هو ولد الحافظ الفقيه أبي محمد ابن حزم ، روى عن أبيه وأبي عمر ابن عبد البر وغيرهما ، وكتب بخطه علماً كثيراً ، وكان عنده أدب ونباهة وذكاء ، وتوفي بالزلافة سنة ٤٧٩ (الصلة : ٤٤٠) .

في كتابه الموسوم بـ « الهادي إلى معرفة النسب العبادي » كيف طلع نجمه ، وثبت في ديوان الملوك اسمه ، وقد أثبت من ذلك ما امتدَّ بي إليه سبب ، واتصل بينه وبين ما أنا بسبيله نسب ، ووَصَلْتُ به ما لم أجد لأبي رافع زيادةً على ما بيّن ، وتماماً على الذي أحسن .

قال أبو رافع^١ : القاضي ابن عباد هو أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عِطَاف^٢ بن نعيم ، وَعِطَافٌ هو الداخلُ منهم بالأندلس في طالعة^٣ بلج بن بشر القشيري ، وكان عطاف من أهل حمص من صُنْعِ الشام لخمى النسب صريحاً ، وموضعه من حمص العريش ، والعريش في آخر الجفار بين مصر والشام ؛ ونزل بالأندلس بقرية يؤمّن من إقليم طُشَانَة^٤ من أرض إشبيلية .

قال ابن حيان^٥ : واسماعيل بن عباد قاضيهما القديم^٦ الولاية ، ورَجُلُ الغَرْبِ قاطبةً ، المتصل الرئاسة في الجماعة والفتنة ، وكان أيسرَ مَكْوَرٍ^٧ بالأندلس وقته ، ينفق من ماله وغَلَّاتِهِ ، لم يجمع درهماً قط من مالٍ

١ انظر الحلة ٢ : ٣٤ والبيان المغرب ٣ : ١٩٤ .

٢ بكسر العين وتخفيف الطاء (الحلة) .

٣ ط د م س ودوزي : طاعة .

٤ صوابه « الشام » .

٥ طشانة (Tocina) تقع في كورة اشبيلية .

٦ الحلة ٢ : ٣٥ .

٧ ط د س : قديم .

٨ المكور : المصم .

السلطان ولا خَدَمَه^١ ، وكان واسع اليد بالمشاركة ، آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة ، وكان معلوماً بوفور العقل وسبوغ العلم والركانة^٢ ، مع الدّهاء وبَعْدِ النظر وإصابة القرطسة .

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم ابنه فأدرك متمهلاً ، وسما بَعْدُ إلى بلوغ الغاية فخلط ما شاء وركب الجرائم^٣ الصَّعْبَة ، وكان القاسمُ بن حَمُود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه اسماعيل ، وردّ عليه ميراثه من قضاء بلده بَعْدَ بُعْدِهِ عنه مدّة ، [٢ب] وحصل منه بمنزلة الثقة ، فخانه تَخَوُّنٌ ، الأيَّامِ عند إدبارها عنه ، إثارةً للحزم وطلباً للعافية ، فصدّه عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مفلولاً ؛ وكان الذي وطّد له ذلك نفرٌ من أكابرها المرتسمين بالوزارة ، مناغين في ذلك لوزراء قرطبة ، على تحصيلهم لابن عبادٍ كِبَرُ ذلك ، لإنافته عليهم في الحال وسعة النعمة ، وإحصائهم عليه مِلْكٌ ثلث إشبيلية ضيعةً وغلّةً ، يخادعون به بذلك عن نَشَبِهِ ، لإبقاء منهم على نعمهم ، وهو يشترى بذلك أنفُسَهُمْ ولا يشعرون ، إلى أن وقعوا في الهوّة ، وكانوا جماعةً منهم بنو أبي بكر الزبيدي النحوي وبنو يريم^٤ صنائع ابن عباد وغيرهم ، راض بهم الأمور واستمال العامة ، فلمّا تَوَطَّأت^٥ له قَبَضَ أيدي أصحابه هؤلاء ، وسما بنفسه فأسقط جماعتهم ،

١ واضح من هذا القول أنه لم يعد توليه القضاء من الخدم السلطانية .

٢ د والخلة : والزكافة .

٣ هذه هي قراءة م ؛ والجرائم : أصل الشجرة ، وقد يفهم من ذلك أنه تجتمع صواب الأمور

وفي ط د والخلة : الجرائم ؛ س : الجرائم .

٤ ط د م س : بخون .

٥ ط س : يريم ؛ م : ابريم ، د : ابرم ، البيان : مريم .

٦ ط م د : توطلت (وهي قراءة جيدة أيضاً) ؛ س : اتواطأت .

وجرت له في تدبيرهم أمور يشقّ إحصاؤها ، ركبَ فيها أحزَمَ طُرُقِ طُلَّابِ الدول ، حتى انفرد بسابقتها ومهدّ لدولته ، واجتمع^١ أهلُ عمله على طاعته ، فدانوا له ، وسلك سيرةَ أصحاب الممالك بالأندلس^٢ لأوّلِ وقته ، وقام بأصحّ عزمٍ وأيقظَ جدّ ، واخترع في الرياسة وجوهاً تقدّم فيها كثيراً منهم ، وامتلأ رَسْمُ ابنِ يعيش^٣ صاحب طليطلة من بينهم في تَمَسُّكِه بخِطّة القضاء وارتسامه باسمه ، وأفعالهُ على ذلك أفعالُ الجابرة ، وأقبلَ لأوّلِ وقتهِ يضمُّ الرجالَ الأحرارَ من كلّ صنف ، ويشترى العبيدَ ، والجدُّ يساعده والأمور تنقادُ له ، إلى أن ساوى ملوكَ الطوائف وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانه ، وكثرة غلمانه ، فنَفَعَ الله به كافة رعيّته ونجّاهم من ملك البرابرة ؛ وتدرّج في تدبير ذلك أوّلاً أوّلاً ، ومارسه شأنًا شأنًا ، إلى أن استولى على أمده ، ومهدّ قواعد سلطانه ، وشدّ أواخيه . وأخبارهُ مأثورة مشهورة .

قال ابن حيان^٤ : ومن أشهر أخباره أنه نظر في شأن من بقي من فتيان بني مروان يومئذ فسقط إليه خبر الدعيّ المُشَبَّه بهشام بن الحكم ، وكان قد تُحدّث أنّه أفلت من يدي سليمان قاهره ، وانه غاب ببلاد المشرق

١ ط د م س : واجمع .

٢ الحلة ودوزي : الذين بالأندلس .

٣ هو يعيش بن محمد بن يعيش أحد رؤساء طليطلة عند نشوب الفتنة ، وقد استطاع أول الأمر إبعاد منافسيه من رؤساء المدينة ولكن مدته في الحكم لم تطل ، فأخرجه أهلها ، وخاطبوا اسماعيل بن ذي النون لتسلم البلد ، وقد ترجم له ابن بشكوال (الصلة : ٦٥٠) وقال إنه بعد خروجه من بلده صار إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة ٤١٨ هـ أو أوائل ٤١٩ هـ (انظر الحلة

٢ : ٣٧ - ٣٨ التعليق رقم : ٥)

٤ البيان المغرب ٣ : ١٩٧ .

مدته الطويلة ثم عاد إلى الأندلس ، فقدح ذلك في قلوب الناس لمقدمات
سلفت في ذكر هذا الرجل والشك في موته ، إذ كان سليمان قاتله قد ترك
إبداءه للناس ، حسبما فعلته خدّمة^١ الملوك قبّل فيمن خلعهوه ، إمّا استخفافاً
من سليمان يومئذ بمن ملك نواصيههم بالقهر ، أو ما شاء الله من غلط
أصاب المقدار قصده ، لقضاء سبق في علم أم الكتاب ، فلم تزل طائفة
من شيعة تنفي موته ، وتروى في ذلك روايات تبعد عن الحقيقة ، وتصدر
عن نسوان وخصيان من أهل القصر بقرطبة ، إلى أن علق ذلك بمن فوقهم
من شيع الروانية ، فشدوا أواخي خلاصه ، وقطعوا على حياته ،
ووصفوا أنه اضطرب بقرطبة في دولة البرابر ممتناً نفسه في طلب
المعيشة ، ثم زعموا بعد حين أنه عبر إلى أرض المشرق ، وانساح^٢ في
ذلك الأفق ، وقضى^٣ كل المناسك هنالك ، ووطىء كل بقعة ، ثم كرّ
راجعاً إلى دياره لأمد محدود ولكرة الدولة الروانية ، لتحدث على يديه^٤
الأنباء البديعة ، فدانوا - كما تسمع - بالرجعة ديئونة الشيعة ، وتاهوا
في ذلك تيه تضليل^٥ ، سخر منهم أهل التحصيل ، إلى أن ظهر على زعمهم
بالريّة سنة ست وعشرين في أيام زهير الصقلي .

ولم تزل قصّة هذا المشبه بهشام تدب في قلوب الناس ديب النار في الفحم ،
فدبر ابن عباد خبره ، واهتبل الغرة في ذلك ، وأنه أقل ما يجيء له

١ البيان : حزمة .

٢ قد تقرأ في ط : وارتاح ؛ البيان : وساح .

٣ ط د س والبيان : وقصر .

٤ ط : على يده .

٥ ط : بطل ؛ دوزي : تقليد ؛ البيان : بتضليل ؛ س : تغليل .

منه دفعُ مكروه ابن حمود ، ونظمُ الناسِ على حَرْبه ، [١٣] فأخبرَ
أنّه حصلَ هشامٌ عنده ، وجمع من بقي بإشيلية من نساء القصر والحرم ،
فاعترف به أكثرهم ووقفوا على عينه ، وأوماً إلى ثقاتهم عنده بما يريد فيه ،
فاجتنبوا خلافه وابتغوا موافقته ، فوجد ابنُ عبادَ بذلك السبيل إلى ما
دبره من حرب ابن حمود^١ ، وحجبه عن أعين الناسِ ، وبثّ كتبه بذلك
إلى جميع الرؤساء ، واستنهضهم إلى الاجتماع على هذا الخليفة المخبوء لفكّ
الرقاب وكرة الأيام ، والجهادِ دونه ، فكثر الخوضُ بالأندلس في ذلك ،
ومالت نفوسُ أهلِ قرطبة في نصبه إماماً للجماعة ، وأشخصوا الرسلَ
للقوف على عين هشام ، وثبتتْ الشهادة فيه ، وزوّر ابنُ جهورٍ وغيره في
ذلك شهادات ، على علمٍ منهم ، ابتغاءَ عَرْضِ الدنيا وإذاعاً من ابن
جهور أيضاً لما رآه من دفع ابنِ حمودِ الفاجرِ فاه على حضرةِ قرطبة ،
فرجع منه سريعاً إلى الاعتراف بالخطأ ببقية عمره بعد عظيمِ ما^٢ انبعثتْ
في ذلك من الفتن ، وجرتْ من المحن ، وصُرِعَ من الجبابرة ، ونُقِلَ
من الدول ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام : وكان القاضي ابن عباد - كما وصف - زاحراً العُبابِ
متألق الشهاب ، أذكى من قاسٍ وقلد ، وأدهى من أنهم وأنجد ،
يأخذُ وكأنه يدعُ ، ويطيرُ فيحسبُ أنه وقع ، فتغلبَ على إشيلية
وليس له أوان ذلك معقلٌ إلا وله شرّ راتبٌ ، وعليه أميرٌ غالبٌ ، فدار
الأمرُ بها عليه لتمييزه بخطّة القضاء التي لم يجاذبُ رداءها ، ولا سلّم لأحدٍ

١ ط م : ابن عباد ، وبياض في د .

٢ ط س ودوزي : وثبتت .

٣ س م : مما .

بعدُ لواءها ، إلى أن استوثقَ الأمرُ ليحيى بن علي الحموديّ - حسبما تقدم - فاضطرَّ أهلُ إشبيلية إلى الإذعان لطاعته ، والدخولِ فيما دخل فيه الناسُ من جماعته ، وأدارهم لأُمورٍ جرّت على رهونٍ تكون بيده ، فَضَنَّ كلَّ بولده ، وبادرَ القاضي فراهنَه ابنةَ عبّاداً ، فانفرد بالتدبير ، واستولى على الأمور ، واستظهر على ذلك بهدمِ البيوتات ، وتشيت ذوي الهيئات ، وأول ما بدأ به من ذلك نكبةُ شَيْخِي المصرِ يومئذ الزبيدي وابن يريم ، طواهما طيَّ السجل ، وقبضهما قَبْضَ الظل ، فأيدَ القاضي يومئذ بحبيب وزيره ^١ ، ودارت عليه رحي تدبيره ، رجلٍ من أهلِ باديةِ إشبيلية لم تكن له نباهة مذكورة ، ولا سابقة مشهورة ، أوسع أهلَ زمانه شراً ، وأوسعهمُ خديعةً ومكرًا ، وأيدَ أيضاً بابنه اسماعيل طود أصالة ، وجنّي ^٢ بسالة ، مِحْشَ تلك النار ، وسابقُ ذلك المضمار ، فبين هذين استوسقت له الأمور ، وتدفقت تلك البحور ، وله أخبار مشهورة ، وقصص مأثورة ، فيها بعض الطول ، وهي عادلة عن تلك السبيل ، لكني ألنّعُ منها بلُمنعةٍ .

قال ابن حيّان ^٣ : تعطلت قصبة باجة في ذلك الأوان بسبب فتنة البرابرة وخربت ، على قدَمِ بنائها في الجاهلية ، واتصال عمرائها في الإسلام ، ومكانها من طيب الميرة واتساع الخطّة ، وكانت آفاتُها من اختلاف أهلها قديماً ، وبقاء شُومِ العصبية بين العرب منهم والمولدين إلى آخر الأيام ،

١ هو محمد بن أحمد بن عامر الحميري الملقب بحبيب والد اسماعيل مؤلف كتاب « البديع في وصف الربيع » (وسيرجم ابن بسام لابنه في ما يلي من هذا القسم) .

٢ دوزي : وجبير ؛ س : وجنبي .

٣ زاد هنا في م : وكان القاضي ابن عباد زاحر العباب متألّق الشهاب ، وقد مرت آنفاً .

فسمّا لها ابنُ عباد وابنُ مسلمة المعروف بابن الأفطس ، وذهبا يومئذ إلى عمارتها^١ ، فاستظهر القاضي ابن عباد في ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزيلي^٢ صاحب قرمونة ، وجرّد ابنه إسماعيلَ لبنائها ، فسبقه ولدُ ابن مسلمة إليها الملقب بالمظفر ، وجاء مدداً لابن طيفور صاحب ميرتلة^٣ من أمراء الساحل ، فنزل ابن عباد عليه بباجة ، وضربت خيله إلى ناحية يابرة والغرب فهتكت أستاراً ، وخربت دياراً ، واتّصل الحصار بابن الأفطس بباجة ، وانصدع الجمع عن أسره وقَتَلَ كبارِ رجاله ، وبعث بالأسرى إلى أبيه ، وكان في جملتهم أخُ لابن طيفور صُلِبَ بإشبيلية ، وحُبِسَ ولدُ ابن الأفطس عند [٣ ب] صاحب قرمونة ابن عبد الله ، وبلغت هذه الغارة من ابن الأفطس الغاية ، وتجاوزَ البلاءُ في جهته النهاية ، وهِيضَ جناحُه بأسر ابنه ، ووهن ابن طيفور بقتل أخيه ، وكان ابنُ عبد الله بقرمونة ، قطبُ رحي الفتنة ، كثيراً ما يُحرّضُ القاضي ابن عبادٍ على الخروج إلى بلد ابن الأفطس ، وإلى قرطبة ، فيعمّا^٤ الجهات كلّها تدويحاً ، كلما آبا من جهةٍ صاروا إلى سواها ، حتى أثّرا آثاراً قبيحة ، فارتفع طَمَعُ وزراء قرطبة المدبّرين لها منه ، لأنّه كان لا يوافقهم على دعوة أمويٍّ لِفِرْطٍ

١ عمارتها : موضعها بياض في دس وعند دوزي ، ويكثر البياض في هذه القطعة ، إلا أنه في م ط محشئ بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ تكتب أيضاً : البرزلي والبرزالي . وقد بويع البرزالي هذا بقرمونة سنة ٤٠٤ هـ فعمرت ، وكان فارساً مهيباً ثم بايتمته استجه والمدور وأشونة ولم يزل يتولى أمورهما حتى سنة ٤٣٤ هـ (البيان ٣ : ٢١١ - ٣١٢)

٣ ميرتلة : مدينة تقع إلى الشرق من بابجة (الروض المعطار : ١٩٣) .

٤ ورد النص على الافراد في م س : فيعمم . . . كلما آب . . . الخ .

شروده^١ عن الجماعة ، وإنما كان مذهبه طمسَ رَسْمِ الخلافة من معانيها^٢ بقرطبة ، وتَصَيَّرَها أسوةً إشبيلية في إسنادها إلى رئيسٍ من أهلها ، وطَرَدَ قريش عن سلطانها ، إِبْطالاً للإمامة ورسوخاً في الخارجية ودفعاً لأمر الله . فقطع سبل قرطبة وشدَّ حصرها ، فتمسك الوزراء بجبل بعض البرابر من بني برزِيل بجهة شذونة ، وكانوا على قديم^٣ الأيام جمرَةً زَنَاتَةً بأساً وصَرَامَةً ، واعتضدوا بهم مدّة ، واعتضد أيضاً ابنُ الأَفطسِ بطائفة أخرى منهم ، فكان في كلّ بلدٍ جملةٌ منها سالتْ عن أهلِ البلادِ سَيُولُ بها ، وخلطوا الشرَّ بين رؤسائها ، واستخرجوا بذلك ما اطَّمَرُوهُ^٤ من دنائيرهم وخيلهم ، وجاحوا ذاتَ أيديهم ، وعَلِّمُوهم كيف تُؤكل الكتف ، فطال العجبُ عندنا بقرطبة وغيرها من صعاليك قليلٍ عددُهُمْ ، منقطعٍ مدَدُهُمْ ، اقتسموا قواعدَ الأرض في وقتٍ معاً ، مُضَرِّين بين ملوكها ، راتعين في كَلأها ، باقرين عن فلندتها ، حلّوا محلَّ الملح في الطَّعام بياسهم الشديد ، وقاموا مقامَ الفولاذ في الحديد ، فلا يُقْتَلُ الأعداءُ إلّاَ بهم ، ولا تعمُرُ الأرضُ إلّاَ في جوارهم ، فطائفةٌ عند ابن الأَفطسِ تقاوم أصحابها^٥ قِبَلَ ابن عباد ، وطائفة عندنا بقرطبة تَحَيِّزُ أهلها عن الاضداد ، فسبحان الذي أظهرهم ، ومكَّن في الأرض لهم ، إلى وقتٍ وميعاد .

وكان^٦ انطلاق المظفر من يد ابن عبد الله في ربيع الأول من سنة إحدى

١ س و دوزي : شذوذه .

٢ المعان : المنزل ؛ ط : مغانيها ؛ م س : مغانيها ؛ د : مكانها .

٣ ط : قدم .

٤ من طمر بمعنى أخفى تحت الأرض ؛ س : اظهروه .

٥ تقاوم أصحابها : سقطت من ط .

٦ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٠٣ .

وعشرين في خبر طويل ، وعرض عليه ابنُ عبدِ الله يومَ أطلقه أن يجتازَ على القاضي ابنِ عبادٍ [ليشركه] ^١ في المنّ عليه بفكته ، فأبى من ذلك وقال : مقامي في أسرك أشرفُ عندي من تحمّلِ مِنَّتِه ، فامّا انفردتَ باليدِ عندي وإلا أبقيتني على حالي ، فأعجبَ ابنُ عبدِ الله بمقاله ، وناقسَ في إسداءِ اليدِ عنده لكمالِ خصاله ، وأكرمَ تشيعه ^٢ ، فتفقدَ إلى أبيه يومئذٍ بيطليوس وقد هدّبتَه محنته . وتمت أدواته وقويت حنكته ، وكان مُرجّلاً معقلاً أديباً عالماً ، فرجع إلى مقاومة ابنِ عبادٍ .

فلما كان في سنة خمس وعشرين وجّه ابنُ عبادٍ بابنه اسماعيلَ مع عسكرٍ إلى أرضِ العدو تحت معاهدة بينه وبين ابنِ الأفطس ، فلما أوغل اسماعيلُ ببلده يريد أرضَ غليسية ، وابنُ الأفطس مضمراً ^٣ الغدرَ به ، بادر بجميع رجالِ ثغره ^٣ ، ورصده في شِعْبٍ ضيقٍ في طريق قُفُولِه ، ولم يعلم ابنُ عبادٍ بشيءٍ من تدبيره حتى حصل في الأنشودة ، فبادر اسماعيلُ بالنجاةِ لنفسه ، وأسلمَ جميعَ عسكره له ، وجرت عليه في مهْرَبِه مع جُمْلَةِ من أصحابِه شدةٌ لَجَأَ فيها إلى ذبح خيله والاعتداء بلحومها . ونجا بذيَمَائِه إلى مدينة أشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط . فاصطلم ابنُ الأفطسِ عسكره اصطلاماً لم يُسمعَ بمثله ، ووقع سَرَعَانُ العدو من النصارى على كثير منهم فاقتنصوهم اقتناصاً ، وقتلوا منهم أمةً ، وكانت حادثةٌ شنيعةٌ بقيت بها عداوتهما إلى آخر وقتهما .

١ زيادة من البيان .

٢ ط د م س : مصر .

٣ ط د م س : تعده .

قال ابن بسام : ومن شعر ذي الوزارتين قوله ^١ :

يا حَبْدًا الياسمينُ إِذْ يَزْهَرُ فوق غصونٍ رطيبَةٍ نُضِرُ
قد امتطى للجمالِ ذروتها فوق بساطٍ من سندسٍ أَخْضَرُ
كأنه والعيونُ ترمقهُ زمرّدٌ في خلاليهِ جَوْهَرُ

وقال :

ويا سمينٍ حَسَنَ المنظرِ يفوقُ في المرأى وفي المخبرِ
كأنه من فوقِ أَغصَانِهِ دراهمٌ في مُطَرَفِ أَخْضَرِ

وقال :

ترى ناضرَ الظيَّانِ فوقَ غصونه إذا هو من ماء السحابِ يغتذي
وَحَقَّتْ به أوراقُهُ في رياضهِ وقد قُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقد حُدِّي
كصفرٍ من الياقوتِ يُلْبَسُنْ^٢ بالضحى منضدةٌ من فوق قُضْبِ الزمرّدِ

فصل في ذكر المعتضد بالله عبّاد ابن ذي الوزارتين
القاضي أبي القاسم محمد بن عباد وسياقة مقطوعاتٍ
من أشعاره ، مع جملة من عجائب أخباره

قال ابن بسام ^٣ : ثم أفضى الأمر إلى عبّاد ابنه سنة ثلاث وثلاثين ،

١ وردت هذه المقطعات في الحلة ٢ : ٣٨ - ٣٩ ، والأولى منها في النسخ ٤ : ٢٤٢ .

٢ الحلة ودوزي : يللمن .

٣ انظر الحلة ٢ : ٣٩

وتسمّى أولاً بمخر الدولة ثم بالمتعصد ، قطبُ رُحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، مِن رجلٍ لم يثبت له قائمٌ ولا حصيدٌ ، ولا سَلَمٌ عليه قريبٌ ولا بعيدٌ ، جِبَارٌ أَبْرَمَ الأمور وهو متناقض ، وأَسَدٌ فَرَسَ الطلي وهو رابض ، متهورٌ تتحاماه الدهاة ، وجِبَارٌ^١ لا تَأْمَنُهُ الكماة ، متعسف اهتدى ، وَمُنْبَتَّ قطع فما أبقى ، ثار والناسُ حَرْبٌ ، وكلُّ شيءٍ عليه لب ، فكفى أقرانهُ وهم غيرُ واحد ، وضبط شأنه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يده ، واتسع بلده ، وكثر عديدهُ وَعُدَدَه ؛ افتتح أمره بقتل وزير أبيه حبيب المذكور ، طعنةً في ثَغْرِ الأيام ، مَلَكَ بها كَفَه ، وجِبَاراً من جبابرة الأنام ، شَرَّدَ به مَنْ خَلَفَهُ ، فاستمرَّ يَقْرِي وَيَخْلُقُ ، وأخذ يجمع ويفرق ، له في كل ناحية ميدان ، وعلى كل رابية حيوان ، حَرْبُهُ سَمٌّ لا يبطيء ، وسهم لا يُخطيء ، وسلمُهُ شَرٌّ غيرُ مأمون ، ومتاعٌ إلى أدنى حين .

وذكره ابن حيان فقال^٢ : وعشي يوم الأربعاء^٣ لست خلت لحماذى الآخرة سنة إحدى وستين ، طَرَقَ قرطبة نَعْيُ المتعصد عباد زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقته ، أسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وراحض^٤ العار ، ومُدْرَك الأوتار ، وذو الأنباء البديعة ، والحوادث^٥ الشنيعة ، والوقائع المنيعة ، والهمم العلية ، والسطوة الأبيّة ، فرماه الله بسهم من مراميه

١ ط د م ودوزي : وجبان .

٢ البيان المغرب ٣ : ٢٠٤ والحلة ٢ : ٤٠ .

٣ الحلقة : الأحد ؛ والسبب في هذا الخلاف أنه توفي السبت ودفن يوم الأحد (كما سيبين في ما يلي) ولكن الخبر لم يطرق قرطبة إلا يوم الأربعاء .

٤ ط د م س : وداحض .

٥ الحلقة : والجرائر .

المُصِيبَةِ ، أَجَلَ^١ ما كان في اعتلائه ، وأرقى ما كان إلى سمائه ، وأطمَعَ ما كان في الاحتواء على الجزيرة ، مُحْتَفِزاً لها عند تشميره الذيلَ بفتنة لا كِفَاء لها ، فتوفاه الله على فراشه من علّة ذبحة قصيرة الأمد^٢ ، وَحِيّة الاجتهاز ، اتفقت الحكايات أنها كانت شِبْهَ البَغْتِ . وكانت ولايته بعد موت أبيه القاضي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، وقضى نَحْبَهُ يوم السبت الثاني من جمادى الآخرة سنة [٤ ب] إحدى وستين ، ودُفِنَ عشيَّ يوم الأحد بعده ، تَغَمَّدَ الله خطاياهُ ، فلقد حُمِلَ عليه على مرّ الأيام ، في باب فَرَطِ القسوة وتجاوز الحدود ، والإبلاغ في المُثْلَةِ ، والأخذ بالظنّة ، والإخفَار للذمّة ، حكاياتٌ شنيعة لم يبدُ في أكثَرها للعالم بصدقها دليلٌ يقومُ عليها ، فالقول ينساغ في ذكرها ؛ ومهما بَرِئ من مغبتها^٣ فلم يَبْرَأ من فظاعة السطوة وشدة القسوة^٤ ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايا من جبلّة^٥ لم يحاشِ فيها^٦ ذوي رحم واشجة .

وقد كان تَقِيلَ سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل^٧ أحد أشدّاء خلفاء^٨ العباسيين الذي ضمَّ نَشْرَ الملكة بالمشرق ، وسطا بالمتزّين عليها ، وبفقده أنهدمت الدولة ، فحمل عباد سمتهُ المعتضدية ، وطالع بفضل

١ س ط د والبيان : أجد ، الحلة : أمد .

٢ م : المتل (دون اعجام للتاء) ؛ س : الأمل .

٣ ط د س ودوزي : مغيها .

٤ ط د م س : فلم يبرأ من شدة القسوة .

٥ الحلة : جبلته .

٦ دوزي والحلة : فيهن .

٨ هو الملقب بالمعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩) .

٩ دوزي والحلة : خلائف .

نظره أخباره السياسية التي أضحت عند أهل النظر أمثلة هادية إلى الاحتواء على أمدّ الرياسة ، في صلابة العصا وشناعة السُّطّا ، فجاء منها بمتهولات يذعر من سمع بها فضلاً عن من عاينتها ، نسبوا إلى هذا الأمير الشهم عباد امتثالها من غير دلالة ، وقد انطوى علم الله فيها وتقرر إرصاده للمكافأة بها ، ولم يقصر عباد في دولته التي مهدها فوق أطراف الأسنة وصير أكثر شغله فيها شبّ الحروب ، وكياد الملوك ، وإمراج البلاد ، وإحراز التلاد ، من توفر حظه الأوفى من الأمور الملوكية ، والعدد السلطانية ، والآلات الرياسية ، فابتنى القصور السامية ، واعتمر العمارات المخلّة ، واكتسب الملابس الفاخرة ، وغالى الأعلاق السنية ، وارتبط الخيول السابجة ، واقتنى الغلمان الرؤفة ، واتخذ الرجال الذادة ، تنقاهم من كل فرقة ، فساس طبقاتهم ما بين إدّار الاعطية وضمان الزيادة على صدق الصيال ، والوفاء بالوعد على النكول عن العدو ، سياسة أعيت على أنداده من أملاك الأندلس ، فخرّج منهم رجالاً مساعير حروب ، أباد بهم أقتاله .

ومن نادر أخباره المتناهية في الغرابة أن نال بُغيته وأهلك تلك الأمم العاتية ، وإنه لغائب عن مشاهدتها ، مُتَرَفِّهٌ عن مكابذتها ، مدبّر فوق أريكته ، منفذ لحيلها من جوف قصره ، ما إن مشى إلى عدو أو مغلوب من أقتاله غير مرة أو اثنتين^٢ ، ثم لزم عيريسته^٣ يدبّر داخلها أموره ، جرد نهاره لإبرام التدبير ، وأخلص ليله لتملّي السرور ، فلا يزال تدار عليه كؤوس الراح ، ويُحَيّا عليها بقبض الأرواح ، التي لأناسيتها من

١ ط د م س : الشطا .

٢ دوزي : مرتين .

٣ ط د : حريشته ؛ س : عن بيته .

أعدائه يباب قصره حديقةً تَطْلِعُ كلَّ وقتٍ ثمرًا من رؤوسهم المهداة إليه ، مفرطة الآذان برقاع الأسماء المنوَّهة بخاملها ، ترتاح نفسه لمعايتها ، والخلق يذعرون من التماحها ، وهو واصلٌ نعيمٍ ليله بإجالته كيده ، ومستدعٍ نشاطٍ لهُوَ بقوةٍ أيدِهِ ، له في كل شأنٍ شؤنين ، وعلى كل قلبٍ سمعٌ وعين ، ما إن سَبَرَ أحدٌ من دهاة رجاله غوره ، ولا أدركَ قَعْرَهُ ، ولا أمِنَ مكره ، لم يزل ذلك دأبه منذ ابتدائه إلى انتهائه .

وكان محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي : مفرق الجماعة بقرطبة ، ومبتعث تلك الفتنة الميرة ، سبق عباداً إلى اتخاذ مثل هذه الحديقة المطلعة لرؤوس أعدائه ، أيام أكثرَ له واضحٌ الخصي العامري من إرسالِ برؤوس الخارجين عليه ، لأول وقته ^٢ ، وأصلح بهم باب مدينته سالم ، فغرس منها فوق الحشب المعلية لها بشطّ النهر حذاء قصره حديقةً هول عريضةً طويلة الخطّة ، جمّة عددِ الصفوف المسطورة ، فأضحت شُغلاً للنظارة ، وذكرتها شعراؤه مثل قول صاعد بن الحسين ، من قصيدة أولها :

جِلَاءُ الْعَيْنِ مُبْهَجَةُ النُّفُوسِ	حَدَاتُ أَطْلَعَتْ ثَمَرَ الرُّؤُوسِ
هَنَّاكَ اللَّهُ مَهْدِيَّ الْمَسَاعِي	جَنَى الْهَامَاتِ مِنْ تِلْكَ الْغُرُوسِ
فَلَمْ أَرَ قَبْلَهَا وَحْشًا جَمِيلًا	كَرِيهٌ رَوَائِهِ أَنْسُ الْأَنْبَسِ
فَمَاذَا يَمْلَأُ الْأَسْمَاعَ مِنْهَا	إِذَا مَلِئَتْ مِنْ أَنْبَاءِ الطُّرُوسِ

وقد كانت لعباد وراء هذه الحديقة المألثة قلوبَ البشر ذعرًا ، مباهاةً بخزانةِ بَلْثَوَى ، أكرمَ لديه من خزانةِ جواهره ، مكنونةٍ جَوْفَ قَصْرِهِ ،

١ ط د م س : ومبتدع ، والتصويب عن البيان .

٢ ط د س : وقعه .

أودعها هامّ الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها رأس محمد بن عبد الله البرزيلي شهاب الفتنة ، ورؤوس الحُجّاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم الذين قرن رؤوسهم برأس إمامهم الخليفة يحيى بن علي بن حمود ، سابقهم^١ إلى تلك الرفعة^٢ ، فخصّ رؤوسهم بالصون بعد إذالة جُسومهم الممزّقة ، وبالغ في تطييبها^٣ وتنظيفها للشواء لا للكرامة ، وأودعها المصاون الحافظة لها ، فبقيت عنده ثاوية^٤ تجيب سائلها اعتباراً ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام : فلما افتتحت إشبيلية وخلّيع المعتمد ، حَدَثَتْ أَنَّهُ وجد جُوالق^٥ مطبوع^٦ عليه ، وظنّ أَنَّهُ مال أو ذخيرة ، فإذا هو مملوء رؤوساً ، فأعْظِمَ ذلك وهال أمره ، فدُفِعَ كلُّ رأس منها لمن كان بقي من عقبهم بالحضرة ، أخبرني من رأى رأس يحيى بن علي بن حمود يومئذ ثابتَ الرسم متغيّر الشكل ، فدُفِعَ إلى بعض ولده فدفنه .

قال ابن حيان^٧ : وكان عباد أوتي أيضاً من جمال الصورة ، وتمام الخِلْقَةِ ، وفخامة الهيئة ، وسَبَاطَةِ البَتَانِ ، وثقوبِ الدهن ، وحضور الخاطر ، وصدقِ الحسّ ، ما فاق أيضاً به على نظرائه . ونظر مع ذلك في الأدب ، قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان ، أدنى نظر بأذكي طبع ، حصل منه لثقوبِ ذهنه على قطعةِ وافرة علقها من غير تعهّد لها ، ولا إمعانٍ في غمارها ، ولا إكثار من مطالعتها ، ولا منافسةٍ في اقتناء صحائفها ، أعطته نتيجتها على ذلك ما شاء من تحيير الكلام ، وقرض قِطْعٍ من الشعر ذات طلاوة ، في معانٍ أمدَّتْهُ فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الإرادة ، واكتبتُها

١ البيان : الوقعة ؛ وقد تقرأ في ط كذلك .

٢ س : تطييقها .

٣ نقل لسان الدين بعض هذا النص في أعمال الأعلام : ١٥٥ .

الأدباء للبراعة - جمع هذه الحلال الظاهرة والباطنة إلى جود كفّ بارى بها السحاب . وأخبار عباد في جميع أفعاله وضروب أنحائه - عالئاته وخافئاته - غريبة بعيدة ، وكان على تجرّده في إحكام التدبير لسلطانه ذا كلفٍ بالنساء . فاستوسع في اتّخاذهن ، وخلّطَ في أجناسهنّ ، فانتهى في ذلك إلى مدّى لم يبلغه أحدٌ من نظرائه ، قيل إنه خلف من صنوفهن السّريريات خاصّة نحواً من سبعين جارية ، إلى حرّته الحظيّة لديه الفذة من حلائله بنت مجاهد العامري أخت علي بن مجاهد أمير دانية . ففشا نسلُ عباد لتوسّعه في النكاح وقوّته عليه ، فذكر أنه كان له من ذكور الولد نحو من عشرين ومن الإناث مثلهم ؛ انتهى كلامه .

قال ابن بسّام : وكان المعتضد - كما وُصفَ - ينفث بأبيات من الشعر فيما يعنّ^١ له من أمر . ورأيت ابن أخيه اسماعيل قد جمع شعر عمّه هذا في ديوان ، وسأجري هاهنا طرفاً منه .

جملة من أشعاره

مع ما ينخرط في سلوكها من عجائب أخباره

قال ٢ :

كأنما ياسميننا الغضّ كواكب في السماء تبيض
والطرّقُ الحمُرُ في جوانبه كخذ عذراء مستها ٣ عضّ

١ قد تقرأ في م : يعمّن .

٢ انظر البديع في وصف الربيع : ٩١ والخلة ٢ : ٤٩ واعمال الاعلام : ١٥٧ .

٣ البديع : ناله ؛ الخلة : مه .

وقال ١ :

إشربْ على وجه الصباحِ وانظر إلى نورِ الأفاقِ
واعلم بأنك جاهلٌ ما لم تقل بالإصطباحِ
فالدهر شيءٌ باردٌ إن لم تسخنهُ براحِ

وقال ٢ :

أنتك أمُّ الحُسْنِ تشدو بصوتِ حسنِ
تمدّ في ألحانها مدّ الغناء المدني
تقود مني سلسلاً ٣ كأنني في رسنِ
أوراقها أستارها إذا شدت في فننِ

[٥ ب] ومعنى هذا البيت كقول ابن المعتز :

ذُرَى شجرٍ للطير فيه تشاجرٌ كأنَّ سقيطَ الطَّلِّ فيها جواهرُ
كانَ القماري والبلابل حولنا قيانٌ وأوراق الغصونِ ستائرُ

وقال بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبدون :

يا نفعَ الزَّهرِ من مَسْرَاكِ وَاغاني خلوصُ رِيَّاكِ في أنفاسِ آذارِ
والأَرْضِ في حُلُلٍ قد كَادَ يَحْرِقُهَا توقُّدُ النورِ لولا ماؤُها الجاري
والطيرِ في وَرَقِ الأشجارِ شاديةٌ كأنهنَّ قِيَانٌ خلفَ أَسْتارِ

١ نفع الطيب ٤ : ٢٤٣ .

٢ نفع الطيب ٤ : ٢٤٢ .

٣ النفع : ساكناً .

٤ ط دم س : شوال .

ومعنى بيت ابن عبدون الثاني من متداولات المعاني ، منها قول الآخر ونقله إلى الدموع :

لولا الدموع وفيضهن لأحرقت أرض الوداع حرارة الأكباد

وأشبه منه قول ابن رباح :

نارٌ يُغَدِّبُهَا السحابُ بمائه فلذاك لم تك ترتمي بشرار

ومن أحسن شعر المعتضد قوله ^١ :

شربنا وجفن الليل يغسل كحله بماء صباح ^٢ والنسيم رقيق
معتقة كالتمر أما نجارها فضخم وأما جسمها فدقيق

وقال يخاطب مجاهداً ^٣ :

خلّي أبا الجيش هل يُقضى اللقاء لنا فيشتفي منك طرف أنت ناظره
شطّ المزار بنا والدار دانية يا حبذا الفال لو صحت زواجه

وقال من جملة قصيدة يخاطب بها أباه القاضي ^٤ :

أطعتك في سري وجهري جاهداً فلم يك لي إلا الملام ثواب
ولما كبا جدّي إليك ولم يسع نفسي على سوء المقام شراب

١ الحلقة ٢ : ٤٩ والنفع ٤ : ٢٤٢ وأعمال الاعلام : ١٥٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ وقد وردا في الذخيرة ١ : ٥١٨ منسوبين لابن برد الأصغر .

٢ ط : الصباح .

٣ الحلقة ٢ : ٤٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ .

٤ دانية بمعنى قرية كما أنها اسم البلد حيث مجاهد العامري أبو الجيش .

٥ الحلقة ٢ : ٤٦ .

فررتُ بنفسِي أبتغي فرجةً لها على أنْ حلَّو العيش بعدك صاب
وما هزَّني إلاَّ رسولُك داعياً فقلتُ أميرُ المؤمنين مجاب
فجئتُ أغدَّ السيرَ حتى كأنَّما تطيرُ بسرَّجي في الفلاة عِقَاب
وما كنتُ بعدَ البينِ إلاَّ موطناً بعزمي على أنْ لا يكونَ إِيَاب
« ولكنَّك الدنيا إليَّ حبيبةٌ » فما عنك لي إلاَّ إليك ذهابُ^١
أصِيبُ بالرضى غني مسرَّةً مهجتي وإنْ لم يكنْ في ما أتيتُ صواب

وكان المعتضد كثيراً ما يرتاح في شعره إلى ذكر الطائفة التي كانت يومئذ تحاربه ، فمن ذلك قوله :

لقد حُصِّلَتْ يا رُنْدَةَ^٢ فصرتُ للمكنا عقْدَةَ
أفادتُناكَ أرْمَاحُ وأسِيفُ لها حدَّةُ
وأجنَادُ أشدَّاءُ إليهم تنتهي الشدَّةُ
غدوتُ يروني مولىً لهم وأراهمُ عُدَّةُ
سأفني مُدَّةُ الأعدا ء ان طالتْ بي المُدَّةُ
وتبلى بي ضلالتُهمُ ليزدادَ الهوى جدَّةُ
[أ٦] فكم من عُدَّةٍ قَتَلَتْ ت منهم بعدها عُدَّةُ
نظمتُ رؤوسهم عقْداً فحلَّتْ لَبَّةُ السُدَّةُ

وأعجب المعتضد يومئذ بهذه القطعة الرندية ، عَجِبَ حسان بن ثابت بقصيدته الميمية^٤ ، وأخذ الناسَ بحفظها ، وحملهم على ضبط معانيها ولفظها .

١ بيت مضمن وهو للمتنبي ، انظر ديوانه : ٤٨٢

٢ البيان ٣ : ٢٠٨ والنفع ٤ : ٢٤٣ والحلة ٢ : ٤٩ .

٣ رندة : (Ronda) مدينة قديمة من مدن تاكرنا (الروض : ٧٩) .

٤ لعله يعني قصيدته التي يقول فيها :

لنا الجففات الغر يلعن بالضحى وأسِيفنا يقطرون من نجدة دما

وعلى ذكرها وذكرهم ، فلنسمع بشيء من أمرهم . بدأ بغرب لإشبيلية
وبها عدة رؤساء ، وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره ، وزبد تياره ،
إلا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الأفطس ، فانه نازعه لبوسها ،
وعاطاه إلى آخر أيامه كؤوسها ، ولهما في ذلك غير مجال وميدان ، وقد سرد
قصصهما أبو مروان ابن حيان ، وسألمعُ بعيونها ، وأقلبُ ظهورها لبطونها .

جملة من حروبه مع المظفر وغيره من أمراء الغرب

قال ابن حيان^٢ : وأول ما ظهر من تفاسد عباد والمظفر ان ابن يحيى
صاحب لبلة عند هجوم عباد عليه استجار بالمظفر بن الأفطس ، فأجاره
وانزعج له ، ووصل يدهُ وعطّل ثغره ، وجمع جيشه وأقبل إلى لبلة ناصراً
لابن يحيى ، مضياً لمن خلفه يوقد نار فتنة كان في غنى عنها ، حتى نزل
بنفسه على ابن يحيى ودافع ابن عباد عنه ، وحرك في ذلك من حلفائه البرابرة
جماعة ، فسارعوا إليه غير ناظرين في عاقبة أمرهم ، وتقدموا في تحريك
يعنسُوبهم محمد بن القاسم فانتظم به أمرهم ، وتقدم بهم إلى إشبيلية ورحاهم
تدور على قريعتهم باديس بن حبّوس ، مدّ رهمهم في الجلى ومفزعهم
في النائية ، يستلمون لرأيه ويزحمون بركنه ، فأشفق الوزير ابن جهور من
حركتهم تلك ، على عادته في التقلقل لأمثالها ، وجهد جهده في صرفهم ،
وأرسل ثقات رُسُلِهِ إلى عامتهم ، إلا ما كان من الدائنين منهم عباد
داعية المروانية ومحمد بن إدريس صاحب مالقة دائل الحمودية ، فإنه تنكّبها

١ البيان : وجرية .

٢ البيان ٣ : ٢٠٩ .

بعاداً من الظنّة ، إذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين^١ على كل دعوة ، فلما وصلت رسله إليهم ما زادهم إلا لجأاً . ولم يزل ابنُ جهورٍ يضربُ لهم الأمثال ، ويخوفهم من سوء العاقبة والمآل ، حتى صار فيهم كثرة من آل فرعون وعظاً وتذكّرة^٢ ، يَجِدُ^٣ منهم الأطوَادَ الراسية ، ويرتقي الحيات المتصامّة . واستنّ القوم في ميدان الغي ، فلما صبح عند ابن عباد خروجهُ للبلّة بجيشه دفعاً عن ابن يحيى منتظراً لخلطائه ، جرد خيلاً ضربت على بلد ابن الأفطس ، وغارت وأنجحت ، وفعلت فَعَلَاتٍ نَكَاتِ القلوب ، وقرفت الندوب^٤ ، ثم نهض ابنُ عباد بنفسه إلى بلّة للقائه ، فجرت بينهما على بابها وقعة عظيمة^٥ صعبة ، استتھما فيهما النصر في مقام واحد شقّ الأبلّسة ، وكانت < الدائرة >^٥ أولاً على ابن الأفطس ، فولّى الدبر وخاض وادبها دون مخاضة ، وقيل قُتِلَ من رجاله عددٌ كثير ، ثم رجعت له على ابن عباد كربة فكشف رجاله وأصاب منهم نفراً ، ثم افترقوا ولحق بعدُ باديسُ بجمعه وخاض وادي قرطبة وجاز إلى الشرف ، وتجمّع بحلفائه ، وعاثوا في نظر إشبيلية ، وانقطعت السبل جملة ، وكثر القتل والهرج والسلب ، وأمسى الناسُ في مثل عصر الجاهليّة ، ثمّ والى ابنُ يحيى بعد ذلك كله المعتضدَ لضرورة دفعته إلى ذلك ، فكاشفه^٦ المظفر وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله وأودعه عنده ، [٦ ب] أيام تورطه في حرب المعتضد ، فانبتت

١ ط : متوقفين ؛ البيان : مترفين ؛ س : متوقفين .

٢ ط : يحدو ؛ د : يحذر ؛ س : يحدوا .

٣ ط د م س : الذنوب ؛ وقرفت الندوب : قشرت الجروح .

٤ عظيمة : سقطت من ط د والبيان .

٥ زيادة من دوزي .

٦ ط : فكشفه .

بينهم العصمة ، وضربت خيلُ المظفر على صاحب لبلة ، فاستغاث المعتضدُ فلحق به خيله واقتلت مع خيلِ المظفر ، وكان ابن جهور كثيراً ما يوالي رسله إلى الاصطلاح بينهما ، فتصدر عنهما وتخير أن ابن الأفطس أقرب إلى الملام ، بامتطاء قعود اللجاج في القطيعة .

ومن النوادر المحفوظة بينهما أن المعتضد والى حربه في شهور سنة اثنتين وأربعين فعبّر بلده ، وفتح عدة حصون ضمها إلى عمله ، وشدها برجاله ، ودمر عمارات^٢ واسعة أفسد غلاتها ، وأوقع رعيته في المجاعة الطويلة ، وعجز المظفر عن دفاعه شبراً واحداً فما دونه ، استكاثت للحادثة التي هدّت ركنه ، وأفنت حُمّة رجاله ، فاعتصم بحصنه بطليوس^٣ ، ولم يخرج من خيله فارساً ، وجعل يشكو به إلى حلفائه ، فلا يجد ظهيراً ولا نصيراً .

فلما قضى المعتضد من تدوين بلادهِ وطَرَهُ ، وكرّر راجعاً إلى إشبيلية في سؤال من العام ، وردت علينا بقرطبة يومئذ غريبة^١ ، وذلك أن رسولَ المظفر في أثر هذه الوقائع عليه < ورد قرطبة >^٢ يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنسُ بهن^٣ ، نافياً بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم يكن له عادة بمثله ، فنقّب له رسوله عن ذلك ، وكُنَّ قد عُدَّ من بقرطبة يومئذ ، فوجد له صييتين ملهيتين عند بعض التجار لا طائلَ فيهما ، فاشتراهما له ، وأقام رسوله يلتمس الخروجَ بهما فلم يستطع ، لقطع خيلِ المعتضد جميع الطرق ، فأقام مدة بقرطبة إلى أن شُيْعَ بخيلِ كثيفة ومضى بهما ، وأولو

١ في النسخ : بغير .

٢ ط م : عمرات ؛ س : غمرات .

٣ زيادة من البيان المغرب .

النَّهْيُ يَعْجَبُونَ وَيَعْجَبُونَ^١ مِمَّا شَهَرَ بِهِ نَفْسُهُ مِنَ الْبَطَالَةِ ، أَيَّامَ الْحُرُوبِ
 الْمُحَرَّمَةِ لِأَطْهَارِ النِّسَاءِ عَلَى فُحُولِ الرِّجَالِ الْعَاقِدَةِ لِلْأُزْرَةِ ، وَعَلَى مَا
 كَانَ يَدَّعِيهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَدَبِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَبَحِثُ عَلَى هَذِهِ الْأَعْجُوبَةِ وَمَا
 الَّذِي حَمَلَهُ عَلَى هَذَا الْأَفْنِ فَلِذَا بِهِ نَاغَى كَاشِحَهُ الْمُعْتَصِدَ الْمُرْتَاحَ بَعْدَ
 الظَّفَرِ لاجْتِلَابِ قَيْنَةِ عَبْدِ الرَّحِيمِ^٢ الْوَزِيرِ مِنْ قَرْطَبَةِ ، إِثْرَ وَفَاتِهِ يَوْمَئِذٍ ،
 وَقَدْ اسْتَدْعَاهَا لَمَّا وَصِفَتْ لَهُ بِالْحَذَقِ فِي صَنْعَتِهَا ، فَوُجِّهَتْ نَحْوَهُ ،
 فَتَقَبَّلَهُ الْمُظْفَرُ فِي إِظْهَارِ الْفَرَاغِ وَطَلَبِ الْمُلْهِيَاتِ ، وَقَدْ عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّهُ
 لَفِي شُغْلٍ عَنْهُمْ . فَامْتَدَّ شَأُو هَذَيْنِ الْأَمِيرَيْنِ يَوْمَئِذٍ فِي الْغَيِّ وَتَبَارِيَا فِي
 الْقَطِيعَةِ حَتَّى أَفْنِيَا الْعَالَمِينَ ، إِلَى أَنْ سَنَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا الصَّلْحَ ، فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ
 سَنَةِ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ ، بِسَعِيِّ ابْنِ جَهْوَرٍ أَمِيرِ قَرْطَبَةِ ، كَعَادَتِهِ بَيْنَهُمَا^٣ ،
 بَعْدَ كُتْبِ وَرُسُلٍ فِي ذَلِكَ ، وَالْمُظْفَرِ يَمْتَنِي الْجَاجَةَ هُنَاكَ .

فَلَمَّا سَكَنَتِ الْحَالُ بَيْنَهُمَا فَرَّغَ الْمُعْتَصِدُ إِلَى حَرْبِ الْأُمَرَاءِ الْأَصَاغِرِ
 بِالْغَرْبِ ، كَابْنِ يَحْيَى وَابْنِ هَارُونَ وَابْنِ مَزِينِ وَالبَكْرِيِّ^٤ ، وَأَتَيْحَ لَهُ مِنْ
 الظَّفَرِ عَلَيْهِمْ مَا حَازَ بِهِ أَمْلَاكَهُمْ وَضَمَّهَا جَمْلَةً إِلَى عَمَلِهِ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ بَعْدُ
 إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ حَمُودٍ صَاحِبِ الْجَزِيرَةِ الْخَضِرَاءِ ، فَرَضَةَ الْمَجَازِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ

١ وَيَعْجَبُونَ : مِنْ م وَحَدَّهَا .

٢ الْبَيَانُ : قَيْنَةُ ابْنِ الرَّمِيمِيِّ .

٣ ط د م س : بَيْنَهُمْ .

٤ ابْنُ يَحْيَى صَاحِبُ لُبْلَةِ ، وَقَدْ مَرَمِنْ خَبْرِهِ مَا يَكْفِي ، وَابْنُ هَارُونَ هُوَ سَعِيدُ بْنُ هَارُونَ صَاحِبُ
 اَكْشُونِيَّةٍ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٤٣٤ هـ وَخَافَهُ ابْنُهُ وَمِنْ يَدِهِ أَخَذَ الْمُعْتَصِدُ اَكْشُونِيَّةَ سَنَةِ ٤٤٩ هـ ؛ وَابْنُ
 مَزِينٍ هُوَ عَيْسَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ مَزِينٍ صَاحِبُ شَلْبِ ، حَكَمَ فِيهَا سَنَةَ ٤٤٠ هـ وَوَالَى عِبَادَ الْحُرُوبِ
 ضَدَّهُ وَقَتْلَهُ سَنَةَ ٤٤٥ هـ وَانْتَزَعَ مَدِينَةَ شَلْبِ مِنْهُ ، وَأَمَّا الْبَكْرِيُّ صَاحِبُ شَلْطِيشِ وَأُونَبَةِ
 فَيُورِدُ ابْنُ بَسَامٍ خَبْرَهُ مَعَ يَنِي عِبَادٍ فِي مَا يَلِي .

إلى أرض العدو التي كان منها فتحها ومن قبّلها ما أتاها على قدّم الدهر ،
وذلك أنه لما وجد هذا الفتى ، على نباهته وجلالة عمله ، أضعف أمراء
البرابرة شوكةً وأقلّتهم رجالاً ، صمّد له وحصره ، فاستغاث القاسم
حلفاءه بالأندلس وصاحب سبّعة سقوت البرغواطي^١ مولى ابن حمود ،
فأبطأ عليه حتى سقط في يده ، ونزل على أمان ، وآل أمره إلى أن لحق
بقرطبة وأسكنها تحت كنف ابن جهور مع نظرائه من المخلوعين .

فلما كانت سنة إحدى وخمسين ، وقد أتيح له من الظفر ما أتيح ،
اتّصلت الأنباء عندنا بقرطبة بصموت منابره في جميع أعماله عن ذكر إمامه
هشام بن الحكم ، صاحب الرّجعة ، الذي اتّصل الدعاء له على منابره
من عهد قيام والده إلى آخر هذه السنة ، يومئذ إليه بالحياة في غياهب الحُجُب
من غير ظهورٍ لخاصّةٍ ولا عامّةٍ ، ودعوته على ذلك كله [أ٧] مرفوعة
عند من اتّسبى بالمعتضد من أمراء شرق الأندلس ، إلى أن قطعها قاطع
الأعناق عليها ابنُ عبّاد ، فدُكِرَ أنّه دعا وجوهَ حضرته فنّعى لهم
إمامهم هشاماً ، وكشفَ إليهم تقدّم وفاته من علّةٍ زمانية ، ووصف
أنّ الحال التي كان بسبيلها من اشتداد الفتنة بينه وبين من تظاهر عليه من
أمراء الأندلس الدّائنين منه عاقه يومئذٍ عن البوّح بوفاة هذا الإمام والشهرة
لدفعه ، إعطاءً للحزْمِ بقبسطه ، فلمّا سكنت الحالُ وجب التصريحُ
بالحق ، وعطف - زعموا - بكلامه على شحذِ بصائرهم في التمسك
بجبل الإمامة ، والفرار عن الميتة الجاهلية . ودُكِرَ أنّه خاطب من كان
تحت دعوة هذا المنعّي هشام من أمراء الأندلس ناعياً له ، داعياً إلى التّوَضُّع
منه ، فارتفعت الدعوة منذ ذلك الوقت ، وصارت هذه الميتة الحامل

١ سيأتي خبر سقوت في هذا القسم من الذخيرة .

هذا الاسم الميتة الثالثة ، وعساها تكونُ إن شاء الله الصادقة ، فكم قُتِلَ وكم مات ، ثمَّ انتفض من التراب ، ومزَّق الكفن قبل نفخة الصور ووقعة الواقعة ، فقد كان مات في يد أول خالعه محمد بن هشام بن عبد الجبار ودُفِنَ علانيةً ، ثمَّ نُشِرَ بيد واضح الصقلي فتى بني أبي عامر ودال مدَّينةً ، ثمَّ قُتِلَ خالعهُ الثاني سليمان المستعين ودفنه خفيةً ، ثمَّ أبرز صدهاء علي بن حمود الحسني المتري ، يُذكي الطلب بثأره على الدولة ، ودفنهُ الدفنة التي خلناها حقيقةً ، فلم يلبث أن نجَمَ حياً بإشبيلية بعد حِقَبٍ ، فبقي هنالك ملكاً ودال قرناً إلى أن وقعت عليه هذه الميتة الثالثة ، فما نقول ونعتقد في الفرق بين هذه الميتات المتواليات ، إذ كان مائتها واحداً ، وليس إلا السيوف عليها أدلة ، غير إخلاص الدعاء لكلمة المسلمين في الائتلاف لما فيه الصلاح ، انتهى ما تلخصته من كلامه .

قال ابن بسام^١ : ثم غمس المعتضد يده بعُذُ في من كان يليه من أقاتله البرازلة فصدم^٢ شرهم بشرهم ، وضرب يزيدهم بعمرهم^٣ ، وقد كان عندما تسعرت نار الحرب ، بينه وبين رؤساء الغرب ، هادتهم على دخن ، وفتح لهم حتى ضربوا حوله يعطن ، ليقتلهم بسيوفهم ، ويستدرجهم إلى حتوفهم ، فلما استقرت قدمه بشلب ، قاصية قواعد الغرب ، كان أول ما بدأ به من حربهم هجومه على الحاجب ابن نوح^٣

١ البيان المغرب ٣ : ٢١٤ .

٢ س ودوزي : فضرِب .

٣ هو محمد بن نوح الدمري الملقب بعز الدولة ثار بمورور سنة ٤٣٣ إلى أن أنهى المعتضد حكمه سنة ٤٤٥ ، وسجنه وتوفي في سجنه ٤٤٩ .

المتري منهم - كان - بكورة مورور^١ في غير كتيبة نظمها ، ولا مقدمة إليه قدمها ، إلا فتیان ينيهان عليه ، ويحملان الأموال بين يديه ، تجاسراً على ركوب الخطر الذي تحاماه اللبيب ، واستنامةً لصرف القدر وهو لا يدري أينخطيء أم يُصيب ، فخلص إلى ابن نوح هذا : من رجل لا يبالي دم من تجرع ، ولا يحفل بأي شيء يصنع ، فبالغ ابن نوح في برة ، وتضاءل لأمره ، وحمل ذلك من فعله على أكد أسباب السلامة ، وأتم وجوه الاستنامة^٢ ، وفض المعتضد يومها^٣ من صميم ماله ، في وجوه حماة ابن نوح ورؤوس رجاله ، ما استمال به قلوبهم ، واستنصح به جيوبهم .

ثم صار إلى ابن أبي قرّة برنده فسامه مثلها ، وحذا له نعلها ، فتلك اعتدّ عليهم يداً ، وجعلها لما أراد من مكروهم أمداً . وقد كان أحد أجنادهم أشار بالرأي في أمره ، وأراد أن يتطلع عليه من ثنية مكره ، فواطهم يومئذ بغدره ، ورمز لهم بالاستراحة من شره ، ففهمها المعتضد وجعل تلك الكلمة دبراً أذنه ، وأثبتها في ديوان إحته ، حتى حل بطائلها . واستقاد بعد مديدة من قائلها ، وجأجأ بالحاجبين المذكورين لأول تمكنه من الغرة ، وساعة صدره من مركزه من الحضرة ، فتهافتا تهافت الفراش على الجمرة . وجاءا مجيء الحائن إلى الشفرة ، وتطفل عليهما الحائن ابن خزرون المتري - كان - وقته بأركش ، فله أبوه وافداً

١ مورور (Moron) : مدينة صغيرة إلى الجنوب الغربي من قرمونة ، بولاية اشبيلية (الروض

المعطار رقم : ١٨١) .

٢ م س والبيان ودوزي : الاستقامة .

٣ في النسخ : يوماً .

٤ هو أبو النور هلال بن أبي قرّة اليفرنى .

٥ س ط : فواطنهم (لعلها : فراطنهم ؛ وهي قراءة توافق قوله «ورمز») .

لم تُجزِهِ الوفاة ، وواهاً له قتيلاً لم يحلّ بظايل الشهادة ، فجرّع الكل [٧ ب] الخوف ، وحكم في عامتهم السيوف ، واستمرّ بعد ذلك على حرب بقاياهم ، وتبع أخراهم ، حتى تغلب على بلادهم ، وألوى بطارفيهم وتلادهم ، في أخبار طويلة استوفاهما ابن حيان ، هي خارجة عن غرض هذا الديوان ؛ وقد أملت منها بما فيه كفاية ، إذ لا يتسع هذا المجموع لاستقصاء الغاية .

والسبب^١ الذي كان يُغريه بطلبهم ، ويبيعه على التمرّس بهم ، أن بعض من نظّر بمولده كان أخبره أن انقضاء دولته يكون على أيدي قوم يطروون على الجزيرة من غير سكّانها ، فكان لا يشك أنهم تلك البرازلة الطارئون عليها في عهد ابن أبي عامر ، فأعمل في نكاحهم وجوه سياسته ، وشغل بقتالهم أيام رياسته ، واتفق أن دخل عليه يوماً بعض وزرائه وبين يديه كتاب قد أطل فيه النظر ، فإذا كتاب سقط المتري يومئذ بسبته ، يذكر أن القوم المثلثين^٢ المدعّوين بالمرابطين قد وصلت مقدّمتهم رحبة^٣ مراکش ، فقال له ذلك الوزير المذكور كلاماً معناه : وأين رحبة مراکش ؟ دخلوها^٣ فكان ماذا ؟ ومات الحجاج قـمـة ؟ ! ودونهم اللجج الحضرة ، والمهامه الغُبر ، والليالي والأبيام ، والجماهير العظام ، فقال له المعتضد : هو والله الذي أتوقعه وأخشاه ، وإن طالت بك حياة فستراه ، اكتب الى فلان - يعني عامله على الجزيرة - باحتراس جبل طارق حتى يأتيه أمري ،

١ انظر الحلة ٢ : ٥٠ .

٢ ط د س : المثلثين .

٣ ط م س : وجلوها (اقرأ : وجلوها) .

وأخذ يريش^١ في تحصينه ، ووضع أرصاده هنالك وعيونه ، ويبري^٢ ، والله عزائم لا تقيها الحصون^٣ ، ولا يهندي إليها الأرصاد والعيون ، ولكل شيء أمد مكتوب ، وميقات مضروب ، ويبلغ الكتاب أجله .

فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد

واجتلاب جملة من شعره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمر بعد المعتضد لابنه المعتمد ، وكان مع اشتغاله بالحرب ، وسعة مجاله بين الطعن والضرب ، وعلى أن أباه عبداً ما انفك يدير عليه الرحي ، ويقرّع^٢ إليه كلما قرعت عصاً عصاً ، حتى صار أسوة لنجوم ليلها ، وحلّساً لمتون خيلها :

لا يشرب الماء إلا من قلب دم ولا يبيت له جار على وجل^٣

فقد كان متمسكاً من الأدب بسبب ، وضارباً في العلم بسهم ، وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صدر مثله عمّن جعل الشعر صناعة ، واتخذة بضاعة ، لكان رائعاً معجباً ، وفادراً مستغرباً ، فما ظنك برجل

١ ويبري مطوقة على « يريش » .

٢ يقرع (من الثلاثي) فيه معنى المشاورة ، وإذا كان مضارعاً للرباعي (أقرع) : ففيه معنى الرجوع تقول : أقرع إلى الحق أي رجيم ؛ ولولا شخصية المعتضد وما تنطوي عليه من الاعتداد لصح أن تكون القراءة « ويفزع إليه » .

٣ البيت لأبي سعد المخزومي واسمه عند المرزباني (معجم الشعراء : ٩٨) عيسى بن خالد بن الوليد وقيل إنه دعي في مخزوم (طبقات ابن المعتز : ٢٩٥ - ٢٩٨) وكان يهاجي دعبل بن علي الخزاعي ؛ وقد ورد بيته هذا في معجم المرزباني وديوانه : ٥٣ .

لا يجدُ إلا راثياً ، ولا يُجيدُ إلا عابثاً . وهو مع ذلك يرمي فيصيب . ويهي
 قيصُوب ، وشعره يوضحُ ما شرح ويعبر عما ذكر . مع أنه قد رُوِيَتْ
 أشعارُ أولي النباهة والأعيان ، على قديم الزمان ، لشرف قائلها ، مع قلّة
 طائلها ، وقد رأيت أبا بكر الصولي أثبتَ للملكِ بني أمية وخلفاء بني العباس .
 ما لو صدر مثله لصغار الناس لاستُهِجِنَ ، أو طرأ للضعفاء السوق لاستُصْفِرَ .
 فلنا في الصولي أسوةٌ في إثبات هذا النوع من الشعر إن وقع في كتابنا هذا .
 [أ٨] والعجب من المعتمد أنه مرّى سحابه في كلتا حاله فصاب : ودعا
 خاطره فأجاب . ولا تراجعَ له من طبع . ولا بعد الخلع . بل يومه في
 هذا الشأن دهر ، وحسته في هذا الديوان عشر . فان أجاد فما أولى ، وإن
 قصر فعذرُه أوضح وأجلى .

والبيت المتقدم^١ من جملة قصيد . للمخزومي أبي سعد^٢ ، وإنما أشار
 في معناه إلى قول بشار^٣ :

فتى لا يبيتُ على دمنة^٤ ولا يشرب الماء إلاّ بدم^٥
 وقال أبو الطيب^٥ :

ولا تردُ الغدران إلاّ وماؤها من الدم كالريّحان تحت الشقائق
 وقال محمد بن هاني^٦ :

لا يُوردون الماءَ سنبكٍ سابحٍ أو يكتسي بدم الفوارس طحلبا

١ ط : المقدم .

٢ ط دم س : أبي سعيد .

٣ ديوان بشار : ٢١٧ (جمع العلوي) .

٤ دوزي : هدنة .

٥ ديوان المتنبي : ٣٩٠ .

٦ ديوان ابن هاني : ١٨٩ .

جملة من شعر المعتمد في النسيب وما يناسبه^١

قال^٢ :

دارى الغرامَ ورامَ أنْ يتكتَّمَا وأبى لسانُ دموعه فتكلَّمَا
رحلوا وأخفى وجده فأذاعهُ ماءُ الشَّوونِ مصرَّحاً ومجمِجَا
سائرَتْهُمُ والليلُ عُفْلٌ ثوبُهُ حتى تراءى للنواظر مُعلَّمَا
فوقفتُ ثمَّ محيراً وتسَلَّبتُ مني يدُ الإصباحِ تلكَ الأنجمَا

وكانَ معنى هذا البيت الأخير ، إلى قول المجنون يشير^٣ :

فأصبحتُ من ليلي الغداةَ كناظِرٍ مع الصبحِ في أعقابِ نَجْمٍ مُغْرَبِ

وله^٤ في أم الربيع وقد مرضت فلم يعدها :

مرضتُ فأمسكتُ الزيارةَ عامداً وما عن قلى أمسكتها لا ولا هجرِ
ولكنني أشفقتُ من أن أزوركُم وأبصرَ آثارَ الخسوفِ على البدرِ

١ تتردد أشعار المعتمد في كثير من المصادر التي ترجمت له ، وقد جمع ديوانه الأستاذان : أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد (القاهرة ١٩٥١) وأرى أن أكتفي بمراجعة ما جاء في الذخيرة على هذا الديوان ، إلا استثناءات قليلة .

٢ الديوان : ٢٦ .

٣ ديوان المجنون : ٧٩ .

٤ هذه العبارة والبيتان التاليان من هامش ط ، وهما مکتوبان بخط الأصل ، وأمام العبارة لفظة : « طرة » ؛ وهما ومعهما بيت ثالث في المقتطف من أزهار الطرف لابن سعيد الورقة : ٤٤ ، ولم ترد هذه الأبيات في الديوان أو في النسخ الأخرى .

وقال المعتمد ^١ :

أَكْثَرْتَ هَجْرِي غَيْرَ أَنَّكَ رَبَّمَا عَطَفْتُكَ أَحْيَانًا عَلَيَّ أُمُورُ
فَكَأَنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجُرِ يَتَنَسَا لَيْلٌ وَسَاعَاتُ الْوَصَالِ بِدُورِ

وهو ينظر إلى قول الأسعد بن بليطة ^٢ :

تَتَنَفَّسُ الصُّبْهَاءُ فِي لُحَاثِهِ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ فِي الْآصَالِ
وَكَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي لَبَاتِهِ سَاعَاتُ هَجْرِي فِي زَمَانِ وَصَالِ

وقال ^٣ :

تَظُنُّ بِنَا أُمُّ الرِّبَيعِ سَامَةً أَلَا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذَنْبًا تَوَاقَعُهُ
أَأَهْجُرُ ظُلُمًا فِي فَوَادِي كَنَاسُهُ وَبَدَرَ تَمَامٍ فِي ضُلُوعِي مُطَالَعُهُ
وَرَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَنِيهَا وَبَارِدًا مِنْ الظُّلُمِ لَمْ تُحْظَرْ عَلَيَّ شَرَائِعُهُ
إِذْنٌ عَدِمْتُ كَفَيْ نَوَالًا تُفِيضُهُ عَلَى مَعْتَفِيهَا أَوْ عَدُوًّا تَقَارِعُهُ

وناوله بعض نسائه كأس بلور مترعاً خمرأ ولمع البرق فارتاعت فقال ^٤ :

رَبَعَتْ مِنَ الْبَرْقِ وَفِي كَفِّهَا بَرْقٌ مِنْ الْقَهْوَةِ الْمَلْعِ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعِ

وقال ^٥ :

- ١ ديوان المعتمد : ١٣ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
- ٢ ترجمته في القسم الأول من الذخيرة ص : ٧٩٠ .
- ٣ ديوان المعتمد : ٢٠ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
- ٤ الديوان : جفوني (عن المطرب والحريدة) .
- ٥ الديوان : ٢١ ومعاهد التنصيص ٢ : ١١٤ والمعجب : ١٦١ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
- ٦ الديوان : ١٥ ورايات المبرزين : ٣٧ (١٠ غرسية غومس = غ) والمعجب : ١٦١ .

قامت لتُحجبَ قُرْصَ^١ الشمسِ قامتها
 عن ناظري حُجِبَتْ عن ناظرِ الغيرِ
 [٨ ب] علماً لعمرِكَ منها أنها قمرٌ
 هل تُحجبُ الشمسَ إلا غرّة^٢ القمرِ

وقال^٣ :

عفا اللهُ عن سِحْرِ على كلِّ حالةٍ
 أسحرُ ظلمتِ النفسَ واخترتِ فرقتي
 وكانت شُجُونِي باقترابك نَزْحاً
 ولا حُوسِبَتْ عني بما أنا وأجِدُ
 فجمعتِ أحزاني وهُنَّ شَوَارِدُ
 فيها هنَّ لما أن نأيتِ شَواهِدُ

وقال^٤ :

فإن تَسْتَلْذِي بَرْدَ مائِكَ بَعْدَنَا
 فبَعْدَكَ ما نَدري متى الماءُ بارد

وقال^٥ :

يا غرّةَ الشمسِ التي
 لَوَلَاكِ لم أَكُ مُؤَثِّراً
 قلبي لَهَا أَحَدُ البرُوجِ
 فُرُشَ الحَرِيرِ على السَّرُوجِ

وقال^٦ :

١ الديوان : ضوء الشمس .

٢ الديوان : صفحة .

٣ الديوان : ٨ .

٤ عد هذا البيت في الديوان لاحقاً بالأبيات السابقة .

٥ الديوان : ٥ .

٦ الديوان : ١٧ .

تَمَّ لَهُ الْحُسْنُ بِالْعِذَارِ واقْتَرَنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ
أَخْضَرُ فِي أَيْضٍ تَبَدَّى ذَلِكَ آسِي وَذَا بَهَارِي
فَقَدْ حَوَى مَجْلِسِي تَمَاماً إِنَّ يَكُ مِنْ رَيْقِهِ عَقَارِي

هذا كقول ابن وكيع^١ :

شَادِنٌ خَدَّةٌ وَعَيْنٌ نَاهُ وَرْدِي وَنَرْجِسِي
إِنَّ يَجْدُ لِي بِخَمْرَةٍ فَلَقَدْ تَمَّ مَجْلِسِي

ما أخرجته من مقطوعاته السلطانية التي
أجراها مُجَرِّى الاخوانيات

بات الوزير أبو الأصمغ بن أرقم^٢ على قربٍ من لإشبيلية ، وأعلمه أنه
وافدٌ عليه صبيحة غدٍ ، فكتب إليه المعتمد^٣ :

أَهْلًا بِكُمْ صَحَبْتَكُمْ نَحْوِي الدَّيْمُ إِنْ كَانَ لَمْ يَتَجَنَّحْ لِي بِكُمْ حُلُمُ
حُثُوا الْمُطَيَّ وَلَوْ لَيْلًا بِمَجْهَلَةٍ فَلَنْ تَضَلُّوا وَمَنْ بَشَّرِي لَكُمْ عِلْمُ
سَأَكْتُمُ اللَّيْلَ مَا أَلْفَاهُ مِنْ بُعْدٍ وَأَسْأَلُ الصَّبْحَ عَنْكُمْ حِينَ يَبْتَسِمُ

وأدخلت إليه يوماً باكورة نرجس ، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه^٤ :

١ لم يردا في ديوانه المجموع .

٢ انظر ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٦٠ .

٣ الديوان : ٦٠ .

٤ هذه هي قراءة م ، وفي ط د : يتنحج ؛ الديوان : يتبع ؛ س : يتحتج .

٥ الديوان : ٦٤ وقد أثبت هناك جواب ابن عمار أيضاً ؛ ومختارات الصيرفي : ١١٠ .

قد زارنا الرجيس الذكي
ونحن في مجلس أنيق
ولي نديم غدا سميتي
يا ليتته ساعد السمي
فأجابه ابن عمار :

لبيك لبيك من مناد
له الندى الرحب والندي
ها أنا في الباب عبد قين
قبلته وجهك السني
شرقه والداه باسم
شرفته أنت والنبي

وسأله الوزير أبو عمرو بن غطمش^١ أن يشرقه^٢ بالسير معه إلى منزله ،
فاجتمع الندماء بالقصر . [٩٩] بعد صلاة العصر . انتقلوا ليلاً بانتقالها
إلى دار الوزير المذكور ، فبدت من ابن عمار حينئذ هنة أوجبت أن رماه
المعتمد ببعض الآتية . فافترقوا بعد نومه ووقوع اليأس من سيره ، ومضت
الجماعة إلى دار الوزير المذكور ، فلما استيقظ المعتمد من السكر ، أخبر
بما وقع من الأمر . فكتب إليهم بهذين البيتين^٣ :

لولا عيون من الواشين ترمقني
وما أحاذرُه من قول حُرَّاسٍ
لزرتكم لأكافيكُم نجفوتكم
مشياً على الوجه أو حبواً على الراس
وله يستعطف أباه المعتضد إذ دخل مالمقة وأخرج منها ، في قصيد أوله^٤ :

١ كنيته في ط د : أبو عمر ؛ وقد مر ذكره عند المقرئ (النفع ٤ : ٧٧) في رسالة
كتبها المعتمد نفسه إلى الأعلم الشتمري يقول له فيها « سألك الوزير الكاتب أبو عمرو
ابن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكر . . . الخ » .

٢ الديوان : ٥٨٧ و المسالك : ٣٩٧ وابن خلكان ٥ : ٢٦ .

٣ الديوان : ٣٦ وابن خلكان ٥ : ٢٤ والحلة ٢ : ٥٦ والقلائد : ١٩ ومنها بيت واحد
في زيارات المبرزين : ١٠ (غ) .

سَكَنُ فَوادِكَ لا تذهبُ بكَ الفكرُ
وإن يكنُ قدرٌ قد عاقَ عن وَطَرٍ
وإن تكنُ خيبةٌ في الدهرِ واحدةٌ
إن كنتَ في حيرةٍ عن جُرمٍ مجرم

ومنها :

يا ضيفاً يقتلُ الفرسانَ مفترساً
قد أخلقتني صروفٌ أنت تعلمها
وحلتُ لوناً وما بالجسمِ من سقمٍ
لم يأتِ عبدُكَ ذنباً يستحقُّ بهِ
ما الذنبُ إلاَّ على قومٍ ذوي دَغَلٍ

ومنها :

لم أوتَ من زماني شيئاً ألدُّ بهِ
ولا تملكني دلٌّ ولا خَفَرٌ
رضاك راحة نفسي لا فجعتُ بهِ
وهو المدام التي أسلو بها فاذا

١ ط والديوان : أخلقتني .

٢ الحلة : ولا تمرس بي (ولم تثبت هذه القراءة في الديوان) .

٣ ط م س : الذي .

ذكر الخبر عن حديثه يومئذ بمالقة ودخوله إياها ،
وانصرافه مفلولا دون ما تخيل من التخيم في ذراها ،
وأمل من الاستباحة لحماها

قال ابن بسام : لما سما باديس بن حبوس إلى قصبة مالقة بعد تقلص
الظلال الحمودية عن أرجائها ، وأقول النجوم العلوية في سماءها ، في خبر
خلا منه هذا المجموع حين لم يتعلق بذيله مما وقع إليّ نظم ولا نثر ،
ولا أشرق في ليله مما حصل في يدي للأدب كوكب ولا بدر ، فلذلك
أضربت [٩ ب] عنه ، وأخليت كتابي منه ، وأتيتُ بخبر المعتمد فيها حين
أنبأ به شعر ، وجرى له على لسان الأدب ذكر ، وفاء بالشرط ، وتوفية
بالقسط :

كان^١ أهل مالقة إذا جرى ذكرُ عبّاد ارتاحوا إليه ارتياح الغصون
تحت النسيم ، ورفعوا أصواتهم بالصلاة عليه والتسليم ، هذا على ما كان
يُفندي عيونهم من قبح آثاره ، ويصكُ أسماعهم من هول أخباره ، ويلفحُ
وجوههم من وهج ناره ، تشبّعاً لم يكن له أصل إلا شؤم الحميّة ، ولؤم
العصية ، فاهتبلوا غرةً من باديس أميرهم ، وناجوا عبّاداً بذات صدورهم ،
وألّقوا إليه بأيدي تأميلهم وتأميرهم ، فجأجأوا لظمآن^٢ لا يروى على
طول الشرب ، وهزّوا سيفاً يكاد يهتكُ الضريبة قبل الضرب ، فجذّ
فيها وشمّر ، ونادى أهلها وحشّر ، وكان المعتضد إذا طول اختصر ،

١ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٣ .

٢ ط د م س : حاجوا الظمآن .

وإذا تُحَدَّثَ عنه على البعد حضر ، ولَبَّى دُعاةَ أهلِ مَلاقةَ بالخيَلِ بين
الجلالِ والتَّبود ، وبالأبطالِ أثناءَ الحريرِ والحديدِ ، وأنفذَ إليهم شوكَتَهُ
الوحيَّ سَمُّها ، وأطلعَ عليهم كتيبتَه البعيدَ هَمُّها ، القاسطَ^١ حَكَمها ،
معصبةً بابنيه جابرٍ ومحمد ، فلأولِ إطلالِ عسكره عليها هَبَّتْ له رِيحُ
فتحها ، وضحك في وجهه بشرٌ^٢ صَبَحها ، فحلَّ لأولِ وقته بحرِيمها ،
وتحكَّم في ظالمها ومظلومها ، إلّا فرقةً من السودانِ المغاربةِ لاذوا بذروةِ
قَصَبَتِها وهي بحيثُ ينشأُ تحتها الدَّجَنُ ، ويعجزُ دونَ مرامها الظنُّ ،
إنافةً مكانَ^٣ ، وإطالةً بنيانٍ ، وقد كان أهلُ مَلاقةَ أشاروا على ابني
المعتضدِ ، حينَ خلّوا بينهما وبين البلدِ ، بإذكاءِ العيونِ ، وإساءةِ الظنونِ ،
وضَبَطَ ما حولها من المعازلِ والحصونِ ، فغفلا ، واستصرخَ السودانُ المغاربةُ
أَميرَهُم باديسَ فلبَّاهُم بزخرةٍ من تياره ، وأقبَسَهُم شرارةً من ناره ،
فلم يَرُعْ ابني عباد ، إلّا صهيلُ الجيادِ ، وتداعي الأجنادِ ، بشعارِ الجلالِ ،
فلم ترَ إلّا أسيراً أو قتيلاً ، أو فازعاً إلى الفرارِ ما وجدَ إليه سبيلاً ، وامتلاّت
أيدي الباديسيين من السلاحِ والكراعِ ، ورفلوا بين خيارِ البرِّ وفاخرِ المتاعِ ،
ولجأَ ابنا عبادِ إلى رُنْدَةٍ وقد انغمسا في عارها ، وصليا بنارها ، ورأيا
وجهَ الموتِ في لمعانِ أسنّتها وشفارها ، ومن ثَمَّ خاطبَ المعتمدُ أباه
بالشعرِ المتقدمِ الذكرِ ، وقد أخفرَ ذِمَمَهُ ، ونذرَ دَمَهُ ، ولولا أَنَّهُ استجارَ
— زعموا — يومئذٍ برجلٍ من العبادِ كان هنالك لتَبَّتْ يداه ، ولحقَ إسماعيلُ
أخاه .

١ س ودوزي : الفاظ .

٢ ط د : وجه .

٣ دوزي : اتقان .

ورُفِعَ إلى المعتمد صَدْرَ دولته شعر ، عَزِيَّ إلى بعض الأصحاب ،
من الوزراء الكتاب ، يعرِّضُ بأبي الوليد بن زيدون فيه ، أوله ^١ :

يا أيُّها الملك العليّ الأعظم	اقطعْ وريدَيَّ كلَّ باغٍ ينثمُ
[واحسم بسيفك داءَ كلِّ منافقٍ]	يُبْدي الجميلَ وضدَّ ذلك يكتمُ ^٢
لا تتركُنْ للناس موضعَ شبهةٍ	واحزمْ فمثلك في العظام بحزم
قد قال شاعرٌ كندةٌ فيما مضى	بيتاً على مرِّ الليالي يُعلَمُ
« لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى	حتى يراقَ على جوانبه الدم » ^٣

فلما سمعها المعتمد ، عرف الغرض الذي إليه قصد ، ووقَّعَ على
ظهر الرقعة : بهذه القطعة ، وهي من جيد نظامه . وحرَّ كلامه ^٤ :

كذبتُ مناكم صرَّحوا وأجمَّعوا	ألدينُ أمتنُ والمروةُ أكرمُ
خنتُمُ ورمتمُ أن أخونَ وإنما	حاولتمُ أن يُستخَفَّ يللم
وأردتمُ تضيقَ صدرٍ لم يَضيقُ	والسُّمرُ في ثَغْرِ الصدورِ تحطَّم
وزحفتُمُ بمحالكم ^٥ لمُجربٍ	ما زال يثبتُ في المحالِ فيهزم
أنِّي رجوتُمُ غدرَ مَنْ جَرَّبْتُمُ	منه الوفاءَ وجورَ ^٦ مَنْ لا يَظلم

١ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٠٦ والقلائد : ١٤ والإعلام : ٢ : ٣١٥ .

٢ زيادة من دوزي .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٨ .

٤ ديوان المعتمد : ٦٧ والقلائد : ١٥ والإعلام : ٢ : ٣١٦ .

٥ الديوان : النحور (عن القلائد) .

٦ ط د م س : ورجعتم لمحالكم ، وبهامش ط « وزحفتُم » .

٧ دوزي والقلائد : وظلم .

أَنَا ذَاكُمْ لَا الْبَغْيُ يُثْمِرُ غَرْسُهُ عِنْدِي وَلَا مِثْيُ الصَّنِيعَةِ يُثْلَمُ^١
كُفُّوا وَإِلَّا فَارْقَبُوا لِي بَطْشَةً يُلْقَى السَّفِيهُ بِمِثْلِهَا فَيُحْلَمُ

ولأبي الوليد على ذلك جوابُ شكرٍ من جملة قصيد ، قال فيه ^٢ :

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُنْبِضِينَ قِسِيَهُمْ سَتَرُونَ مَنْ تُصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهُمُ
أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ غُيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْهُمُ
مَا كَانَ حِلْمُ مُحَمَّدٍ لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ دَغِيلُ الضْمِيرِ مُذْمَمُ
فِرْقَ عَوْتٍ^٣ فزَارَتْ زَارَةً زَاجِرُ رَاعَ الْكَلِيبَ بِهَا السَّبَنَتَى الضَّيْغَمُ
لِي مِنْكَ فليَذِبِ الْحَسُودُ تَلْظِيًّا لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلِّ الْأَكْرَمُ
لَمْ تُلَفْ صَاغِبَتِي لَدَيْكَ مُضَاعَةً كَلَا وَلَا ضَاعَ اصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعْتُ حِفْظًا وَصَدَقَ رِعَايَةً ذِمٌّ مَوْثِقَةُ الْعَرَى لَا تُفْصَمُ
فليُخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرٌ مُنْجِدٌ مِنِّي تَنَاقَلَهُ الْمُحَافِلُ مُنْهِمُ

ومن كلام المعتمد الجزل ، قوله يوم كُيِّلَ يخاطب الكبل ^٤ :

إِلَيْكَ فَلَوْ كَانَتْ قِيُونُكَ أَشْعِرَتْ تَصَرَّمَ مِنْهَا كُلُّ كَفٍّ وَمَعْصَمٍ
مِهَابَةً مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسِيِّهِ وَمِنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَّمَ

ومما قاله بعد زوال سلطانه وتضعضع بنيانه ، لما دُخِلَ عليه البلد يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة أربع وثمانين ، خرج مدافعا عن ذاته ، وذابا عن حرمانه ، وظهر يومئذ من بأسه ، ومن تراميه — زعموا — على الموت

١ د والديوان ودوزي : تهدم (عن القلائد) .

٢ ديوان ابن زيدون : ٣١٤ والقلائد : ١٦ .

٣ ط م : غوت .

٤ ديوان المعتمد : ١١٢ .

بنفسه ، ما لا مزيد لبشرٍ عليه ، ولا تناهي لِخَلْقٍ إليه ، وفي ذلك يقول^١

لَمَّا تَمَاسَكَ الدَّمْعُ	وَتَنَبَّهَ الْقَلْبُ الصَّدِيقُ
قَالُوا الْخَضُوعُ سِيَاسَةٌ	فَلْيَبْدُ مِنْكَ لَهُمْ خَضُوعُ
وَالَّذِي مِنْ طَعْمِ الْخَضُوعِ	عَلَى فَمِي السَّمِ النَّقِيعُ
إِنْ تَسْتَلِبْ عَنِّي الدُّنَا ^٢	مُلْكِي وَتُسَلِّمَنِي الْجَمُوعُ
فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ	لَمْ تُسَلِّمِ الْقَلْبَ الضَّلُوعُ
لَمْ أُسْتَلَبْ شَرَفَ الطَّبَا	عَ أُيُسَلَّبُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ
قَدْ رُمْتُ يَوْمَ نَزَاهِمِ	أَلَا تَحْصَنُنِي الدَّرُوعُ
وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى الْقَمِي	حَصْرٌ عَلَى الْحَشَا شَيْءٌ دَفُوعُ
وَبَذَلْتُ نَفْسِي كَيْ نَسِي	لَ إِذَا يَسِيلُ بِهَا النَّجِيعُ
أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ	بِهَوَايَ ذُلِّي وَالْخَضُوعُ
مَا سَرْتُ قَطَ إِلَى الْقَنَا	لَ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرَّجُوعُ
شَيْمُ الْأَوَّلَى أَنَا مِنْهُمْ	وَالْأَصْلُ تَتْبَعُهُ الْفُرُوعُ [١٠ب]

قوله : « ما سرت قط إلى القتال » . . . البيت ، كقول قيس بن الخطيم^٣ :

وإنِّي في الحرب الضروس موكل^٤ بتقديم^٥ نفسي لا أريد بقاءها

١ ديوانه : ٨٨ وبعضها في القلائد : ٢٢ والمعجب : ٢٠٢ والاعلام : ٢ : ٣١٤ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٢ الديوان والقلائد : إن يسلب القوم العدا .

٣ ديوان قيس بن الخطيم : ١٠ .

٤ ديوان قيس : باقدام .

وروى ابن قتيبة قال^١، قال أبو دلامة : كنتُ في عسكر مروان بن محمد أيامَ زَحَفٍ إلى شيبان^٢ ، فلما التقى الزحفان خرج رجلٌ منهم ينادي إلى البراز ، فلم يخرج إليه أحدٌ إلاَّ أعجَلَهُ ولم يُنْهِنِهِ ، فغَاظَ ذلك مروان ، فجعل يندب الناسَ على خمسمائة ، فقتَلَ أصحابَ الخمسمائة ، فندبهم على الألف ، ولم يزل يزيد حتى نادى بخمسة آلاف ، قال أبو دلامة : وكان تخيُّ فرس لا أخافُ خَوْنَهُ ، فلما سمعتُ بخمسة آلاف اقتحمت الصفَّ ، فلما نظر إليَّ الخارجي علم أني خرجتُ للطمع ، فبرز إليَّ وهو يقول^٣ :

وخارج أنخرجه حُبُّ الطمَعِ
فَرَّ من الموت وفي الموت وقعَ
من كان ينوي^٤ أهله فلا رجع

فلما وقرتُ في أذني انصرفتُ عنه هارباً ، فجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ ليتوني به ، ودخلتُ في غمار الناس .
وقيل^٥ كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية ، فدعا رجلاً إلى البراز فقال له أبو مسلم : اخرج إليه ، فأنشأ يقول :

١ انظر الشعر والشعراء : ٦٦١ والأغاني ١٠ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

٢ ثار في زمن مروان اثنان كل منهما يعرف بشيبان وهما شيبان بن عبد العزيز الشكري وشيبان بن سلمة (المعروف بشيبان الأصغر) ، وفي م س والأغاني : سنان ؛ د : سنار ؛ ط : سناس .

٣ انظر شعر الحوارج : ٢٢١ (الطبعة الثانية) .

٤ ط د م س : يهوى .

٥ الأغاني ١٠ : ٢٨٠ .

ألا لا تلمني إن هربت^١ فانتني أخاف على فخارقي أن تحطما
فلو أنتني أبتاع في السوق مثلها وجدك ما باليت أن أتقدم

وحدث أيضاً أبو دلالة قال^٢ : أتني بني المنصور وأنا سكران ، فحلف
أن يخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلبني لقتال
الشراة ، فلما التقى الجمعان قلتُ لروح : لو أن نخني فرسك ومعك سلاحك
لأثرت اليوم في عدوك أثراً ترتضيه ، فنزل عن فرسه ونزع سلاحه ، فلما
حصل ذلك في يدي وزالت حلاوة الطمع أنشدته :

لنتي استجرتك أن أقدم في الوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة فركتها ومضيت في الهرب
ماذا تقول لما تنجي ولا تثرى من بادر^٣ الموت بالنشاب

قال : دع عنك هذا ، وبرز رجل من الخوارج فقال : اخرج إليه ،
قلت : أنشدك الله في دمي أيها الأمير ، ان هذا أول يوم من أيام الآخرة
وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنا والله جائع ما تنبعت مني جارحة من الجوع ،
فأمر برغيين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت إلى الصف ، فلما رأني الخارجني
أقبل نحوي وتحدثنا ، وقلت : إن معي زاداً أحببت أن تأكله معي وما
أريد قتالك ، فجعلنا نأكل على ظهور دوابنا والناس يضحكون ، فلما
استوفيناه ودعني ، فلما انصرف قلتُ لروح : قد كفيتك قيرتي فقل
لغيري يكفبك قيرته . ثم خرج آخر يدعو إلى المبارزة فقال : اخرج إليه فقلت :

١ الأغاني : فررت .

٢ الأغاني ١٠ : ٢٥٥ .

٣ الأغاني : واردات ؛ ط م س : باردات .

إِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحِ أَنْ يَقْدُمَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ
 إِنْ الْبَرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ [١١١]
 إِنَّ الْمَهْلَبَ حَبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَمَا وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الْمَوْتِ مِنْ أَحَدٍ
 لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى لَجَدْتُ بِهَا لَكِنَّهَا خُلِقَتْ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ

فضحك وأعفاني .

رجع : ثم التوت بالمعتمد الحال أياماً يسيرة ، والناس بحضرة اشبيلية
 قد استولى عليهم الفزع ، وخامرهم الجزع ، يقطعون سُبُلَهَا سياحة ،
 ويخوضون نهرها سياحة ، ويترامون من شُرُفَاتِ الْأَسْوَارِ ، ويتوكلون مجابي
 الأقدار ، حرصاً على الحياة ، وحذراً من الوفاة ، فلما كان يومُ الْأَحَدِ الْمُوفِيِّ
 عشرين من رجب المؤرخ ، دُخِلَ الْبَلَدُ عَلَى الْمُعْتَمِدِ بَعْدَ أَنْ جَدَّ الْفَرِيقَانِ فِي
 الْقِتَالِ ، واجتهدت الفِئَتَانِ فِي التَّرَالِ ، وفي أثناء تلك الحال ، وما كان يتناجي
 باله من اللبلال ، خاطب أبا بكر المنجم الخولاني بهذه الايات ١ :

أَرَمِدْتَ أَمْ يَنْجُومُكَ الرَّمْدُ قَدْ عَادَ ضِدًّا كُلُّ مَا تَعِدُ
 هَلْ فِي حِسَابِكَ مَا نَوَّمَلَهُ أَمْ قَدْ تَصَرَّمَ عِنْدَكَ الْأَمْدُ
 قَدْ كُنْتَ تَهْمِسُ إِذْ تَخَاطَبَنِي وَتَخَطُّ كَرَّهَا إِنْ عَصَتْكَ يَدُ
 فَالآنَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ أَتَرَكَ غَيْبَ شَخْصِكَ الْبَلَدُ
 وَتَرَكَ بِالْعُرَاءِ فِي عُرُسٍ أَمْ إِذْ كَذَبْتَ سَطَا بِكَ الْأَسَدُ
 الْمَلِكُ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَالْمَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدُ

ثم أخرج المعتمد في ذلك اليوم إلى أن أطلقت إليه جميع أمتهات أولاده
 وبنيه ، وكل ما يختص به من أقاربه وذويه ، وعُمِرَ بِهِمْ مَرْكَبٌ فَرَكَبُوا

١ ديوان المعتمد : ٨٧ .

البحر ورزقوا السلامة فيه ، إلى أن وصلوا إلى أمير المسلمين وناصر الدين ،
 أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فبقوا هنالك في كنفه وذرى
 فضله ، تحت إحسان عميم ، وبذل نائل جسيم ، حتى انقرضت هنالك
 أيامه ، ووافاه حِمَامُهُ ، بعد مرضٍ شديدٍ أصابه ، وكانت وفاته
 في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين . وكان مولده في ربيع الأول سنة إحدى
 وثلاثين .

ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظيم
 سُلْطَانِهِ ، وجلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء ، والعزة والكبرياء . وبلغني أنه
 لما أحسَّ بالوفاة ، رثى نفسه بهذه الأبيات ^١ :

قبر الغريب سقاك الرائحُ الغادي	حقاً ظفِرتَ بأشلاءِ ابن عبّادٍ
بالطاعنِ الضاربِ الرامي إذا اقتتلوا	بالخِصْبِ إنْ أجذبوا بالرّيِّ للصّادي
نعم هو الحقّ وافي به قدّر	من السماءِ فوافاني لميعادِ [١١ب]
ولم أكنْ قبلَ ذاكِ النعشِ أعلمُهُ	أنّ الجبالَ تهادى فوق أعواد
فلا تزلْ صلواتُ الله نازلةً	على دفينك لا تُحصَى بتعداد

ثم وصّى بأن تثبتَ على قبره .

وتنازعت يومئذٍ لمةٌ من أهلِ الأدبِ بأغمت ، ورثوه بقصائد مطوّلات ،
 منهم أبو بحر بن عبد الصمد ^٢ ، رثاه بقصيد أوله ^٣ :

١ ديوانه : ٩٦ والمعجب : ٢٢٢ والاعلام : ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٠٩ .

٣ أبياته في القلائد : ٣١ والنفع : ٤ : ٢٢٤ ، ٢٥٩ والاعلام : ٢ : ٣٢١ .

ملك الملوك أسامعُ فأنادي أم قد عدتكَ عن السماع عوادِ
لما نُقلت من القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعيادِ
قبُلتُ في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلتُ قبرك موضعَ الإنشادِ

وأنشد على قبره وفعل ما ذكر : قبل الترب ومرغ جبينه وعفّر ، فأبكي
من حضر^١ .

وبلغني أيضاً عن بعض بني عباد أنه أنشد في النوم قبل حلول الفاقة
هم هذه الأبيات^٢ :

ما يعلم المرءُ والدنيا تمرُّ به بأنَّ صرفَ ليالي الدهرِ محذورُ
بيننا الفتيّ متردُّ في مسرّتهِ وافى عليه من الأيامِ تغييرُ
وفرّ من حوله تلك الجيوشُ كما نفرَ إنْ عايَنتُ صقراً عصافيرُ
وخرّ خُسراً فلا الأيامُ دُمنَ له ولا بما وُعدَ الأحرارُ محبورُ
من بعد سبعِ كأحلامٍ تمرّ وما يرقى إلى الله تهليلٌ وتكبيرُ
يحلّ سوءٌ بقومٍ لا مردّ له وما تُردّ من الله المقاديرُ

وكذلك حكى عن رجل أنه رأى في منامه إثرَ الكائنةِ عليهم كأنَّ
رجلاً صعد منبرَ جامع قرطبة واستقبل الناسَ ينشدهم^٣ :

ربّ ركبٍ قد أناخوا عيسهمُ في ذرى مجدهمُ حينَ بسقُ
سكت الدهرِ زماناً عنهمُ ثم أبكاهمُ دماً حينَ نطقُ

١ قارن بقوله في القلائد : « . . . وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وخر على ترابه ولثمه ،
فانحشر الناس إليه وانحفلوا ، وبكوا لبكائه وأعولوا » .

٢ الخلة ٢ : ٦٣ .

٣ الخلة ٢ : ٦٤ والمعجب ٢١٧ .

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعيٌ لملكه ، وإعلامٌ بما انتثر من
سلكه ، فقال ^١ :

من عزا المجدَ إلينا قد صدقُ	لم يُلَمَّ من قال مهما قال حقُ
مجدنا الشمسُ سناءً وسناً	من يَرُمُ سترَ سناها لم يطق
أيها الناعي إلينا مجدنا	هل يضيرُ المجدَ إن خطبُ طرق
لا تُرْعَ للدمع في آفاقنا	مزجتهُ بدمٍ أبدي الخرق
حقن الدهر علينا فسطا	وكذا الدهرُ على الحرّ حنق
وقديماً كَلِفَ الملكُ بنا	ورأى منا شموساً فعشق
قد مضى منا ملوكُ شهروا	شهرة الشمس تجلّت في الأفق
نحن أبناءُ بني ماءِ السما	نحونا تطمحُ الحافظُ الحدق
وإذا ما اجتمع الدينُ لنا	فحقيرٌ ما من الدنيا افترق

قال ابن بسام: والبيتان اللذان^٢ أنشدا في المنام رواهما الرواة [١٢ أ]
في خبر النعمان بن المنذر ، وهو أنه نزل تحت شجرة ، ومعه عدي^٣ بن زيد
فقال له : أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ قال : وما تقول ؟ قال
تقول :

ربّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلالِ
ثم أضحووا لعبَ الدهرُ بهم وكذلك الدهر حال بعد حال

فتكدّر على النعمان نعيمُ يومه الذي كان فيه .

١ المصدر نفسه .

٢ ط م س : الذي .

٣ ط م د س : علي .

ويتعلق بذيل هذا الخبر قول الآخر ^١ : سل الأرض من غرس أشجارك
وشق أنهارك . وجنى ثمارك . فان لم تجنك حواراً ، أجابتك اعتباراً . وقال
بعض الحكماء ^٢ : أشهد أن في السموات والأرض آيات ودلالات ، وشواهد
قائمت ، كل تؤدي عنه الحجة ، وتشهد له بالربوبية .

وجلس أبو العتاهية بجانوت وراق فأخذ كتاباً وكتب على ظهره ^٣ :
أيا عجباً كيف يُعصى الاله . أم كيف يجحدُهُ جاحدُ
وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

فلما انصرف اجتاز بالموضع أبو نواس فقال : لمن هذه ؟ لوددتها لي
بجميع شعري . قيل له : لأبي العتاهية . فكتب تحتها ^٤ :

سبحان مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ قَ من ضَعِيفٍ مَهِينٍ
فصاغه ^٥ في قرارٍ إلى قرارٍ مَكِينٍ
يجول ^٦ شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
حتى بدت حركاتُ مخلوقةٍ من سكُونٍ

وإلى هذا المعنى ذهب أبو الطيب بقوله ^٧ :

١ عيون الأخبار ٢ : ١٨٢ وكتاب الصناعاتين : ١٤ وزهر الآداب : ٣٣٣ .

٢ زهر الآداب : ٣٣٢ .

٣ ديوانه : ١٠٤ وزهر الآداب : ٣٣٢ .

٤ زهر الآداب : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

٥ ط م د س : فصاغها .

٦ ط د س : تجول .

٧ ديوان المتنبي : ٢٣٩ .

تُنشِدُ أثوابنا مدائحهُ بالنُّسْنِ ما لهنَّ أفواهُ
إذا مررنا على الأصمِّ بها أغنَّتهُ عَنْ مِسْمَعَيْنِ عيناهُ

ومنها قول نصيب ^١ :

فعاجوا فاثنوا بالذي أنتَ أهلهُ ولوسكتوا أثنتَ عليكِ الحقائقُ

وقال أبو تمام ، وله بهذا المعنى بعض الإلمام ^٢ :

من القلاص اللواتي في حَقائِبِها بضاعةٌ غيرُ مُزجاةٍ مِنَ الكَلَمِ

وأخذه بعضُ أهل عصرنا ، وهو الوزير أبو محمد بن عبدون . فقال

للمتوكل ^٣ :

فجاءته لم تبصر سوى البشر هاديا وسله ولم يَسْمَعْ سوى الشكر حاديا
هوادٍ على أعجازها قيم الندى فأربِحُ بها مشريَ حمدٍ وشاريا ^٤

وهذا المعنى الذي افتنوا فيه نظماً ونثراً ^٥ هي النصبه ^٦ الدالة بذاتها التي وصفها الجاحظ في أقسام البيان .

رجع : وكان أبو بكر الداني ماثلاً لبني عبّاد بطبعه ، إذ كان المعتمدُ

١ ديوان نصيب : ٥٩ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦ .

٣ تردد ترجمته في ما يلي من هذا القسم وفيها البيتان .

٤ في النسخ : هاديا ، وصوبناه بحسب ما سيجيء في ترجمة ابن عبدون .

٥ ط د : نثراً ونظماً .

٦ النصبه هي الحال الدالة التي تقوم مقام الدلالات الأخرى من لفظ وإشارة وعقد وخط (البيان

١ : ٧٦) ، وفي ط د س م : النسبة .

الذي جذب بضبعه . وله في البكاء على أيامهم ، وانتشار نظامهم ، عدة مقطوعات ، وقصائد مطولات ، يشتملُ عليها جزءٌ لطيف ، صدر عنه في صيغة تأليف . وهيئة تصنيف ، ضلّ فيه وأضلّ « والنثرُ يُعذّرُ في القدر الذي حمّل » سمّاه بـ « نظم السلوك » ، في وعظ الملوك « ترجمة رائقة بلامعنى . ، ليست من الغرض الذي نحاه ولا المغزى ؛ على أنه كان شاعراً يتصرّف . وقادراً لا يتكلّف ، فوجد هنالك على المعتمد وفادة وفاء ، ولا وفادة استجداء . وانقطع إليه انقطاع وداد . لا انقطاع استرفاد . وله أشعارٌ سائرة ، ومعه أخبارٌ نادرة . تدلّ على كرم طُعمته . وبُعدٍ همته . وأنا أورد هاهنا منها ما يليقُ بالديوان . ويروق في السماع والعيان .

حدث الداني عن نفسه قال : لما أردت الانفصال عنه هنالك بعثَ إليّ بعشرين مثقالاً وشقة رازي بغدادي . وكتب مع ذلك ^١ :

إليكَ التّزر من كف الأسير	فان تَقَبَّلْ تَكُنْ عَيْنَ الشُّكُورِ
تَقَبَّلْ ما يذوبُ له حياءُ	وان عَذَرَتْهُ حالاتُ الفقيرِ
ولا تعجبْ لخطبِ غَصْرٍ ^٢ منه	أليسَ الخسفُ ملتزمَ الدورِ
ورجٌ يجبره عَقْبِي نداه ^٣	فكم جَبَرَتْ يدهُ من كسيرِ
وكم أعلتْ علاه من حضيض	وكم حَطَّتْ ظُباهُ من أميرِ
وكم مِن منبرِ حنّتٍ إليه	أعالي مرتفاه ومن سريرِ
زمانَ تراجعْتُ ^٤ عن جانبيه	جِادُ الخيلِ بالموتِ الميرِ

١ ديوان المعتمد : ١٠٢ والمعجب : ٢١٩ والاعلام : ٢ : ٣٢٢ .

٢ ط د م س : غص .

٣ ط د م س : يده .

٤ دوزي : تراجعت .

فقد نظرتُ إليه عيونُ نَحْسٍ
نحوسٌ كُنَّ في عَقبي سَعْدٌ
مضتُ منه بمعدومِ النظيرِ
كذلك تدورُ أقدارُ القديرِ

قال الداني : فرددتُ عليه صلته وكتبتُ إليه مع ذلك ^١ :

سقطتُ من الوفاءِ على خيرٍ
تركْتُ هواك وهو شقيقُ ديني
ولا كنتُ الطليقَ من الرزايا
أسيرُ ولا أصيرُ إلى اغْتِنامٍ
أنا أدرى بفضلِكَ منك إني
غنيُّ النفسِ أنتَ وإن أَلَحَّتْ
تَصَرَّفُ في الندى حَيْلُ المعالي
أحدَثُ منك عن نَبْعٍ غريبٍ
جذيمة أنتَ والزَّباءُ خانتِ
وأعجبُ منك أنكَ في ظلامٍ
[رويدك سوف توسعني سروراً
وسوف تحلتي رُتَبَ المعالي
تزيدُ على ابن مروانِ عطاءً
تأهبُ أن تعودَ إلى طلوعِ
فذرَّني والذي لك في ضميري
لئن شُقَّتْ برودي عن غَدُورٍ
لئن أصبحتُ أجنحُ بالأسيرِ
معاذَ الله من سوء المصيرِ
لبستُ الظلَّ منه في الحرورِ
على كَفَيْكَ حالاتُ الفقيرِ
فتسمحُ من قليلٍ بالكثيرِ
تَفْتَحُ عن جنى زَهْرٍ نصيرِ
وما أنا من يقصِّرُ عن قصيرِ
وترقِّعُ للعفاة منار نورِ
إذا عاد ارتقاؤك للسريـرِ
غداة تحلُّ في تلك القصورِ
بها وأزيدُ ثمَّ على جريرِ ^٢
فليس الخسفُ ملترمَ البلورِ] ^٣

١ انظر ديوان المعتمد : ١٠٣ والمعجب : ٢٢٠ والخريدة : ٢ : ٤١ والنفع : ٤ : ٩٦ - ٩٧

والاعلام : ٢ : ٣٢٢ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ - ١٢١ .

٢ يشير إلى ان جريراً مدح الأمويين بأنهم أعطوا « هنيئة » وهي مائة من الأبل .

٣ هذه الأبيات زيادة من دوزي .

قال الداني : فراجعني المعتمد بهذه الأبيات ^١ :

ردّ برّي بغياً عليّ وبرّاً	وجفا فاستحقّ لوماً وشكراً
حاطّ ^٢ نزري إذ خاف تأكيدَ صرّي	فاستحقّ الخفاء إذ حاط نزرا
فلذا ما طويتُ في الحمد بعضاً	عاد لومي في البعض سرّاً وجهراً
يا أبا بكرٍ الغريبَ وفاءً	لا عدمناك في المغارب ذخراً
أيّ نفعٍ يجدي احتياطُ شفيقٍ	متّ ^٣ ضرّاً فكيف أُرهبُ ضرّاً

[١٣ أ] وهذا المصراع الأخير ، كأنه إلى بيت أبي الطيب يشير ^٤ :

• أنا الغريق فما خوفي من البلل •

قال الداني : فراجعته ^٥ :

أيتها الماجدُ السّميعُ قدرا	صرفي البرّ إنما كان برّاً
حاشَ لله أنْ أُجيجَ كريماً	يتشكّى فقراً وكم سداً فقراً
ليت لي قوّةٌ أو آوي لركنٍ	فترى للوفاء مني سرّاً
أنت علّمتني السيادة حتى	صرت أرقى على الكواكب قدرا
ربحت صفقةً أزيل بروداً	عن أديمي بها وألبس فخرا
وكفاني كلامك الرطب نيلاً	كيف ألقي درّاً وأطلب تبراً
لم تَمُتْ إنما المكارم ماتت	لا سقى الله بعدك الارض قطرا

١ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ .

٢ م والديوان : عاف ؛ س : خاف .

٣ م ط د س : بت .

٤ ديوانه : ٣٢٨ ، وصدر البيت : « والهجر أقتل لي بما أراقبه » .

٥ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ وبمضها في النسخ ٤ : ٩٧ .

٦ الديوان ودوزي : ناهضت همّي .

قال الداني : وبلغت حالي عنده من التقريب والترحيب أن أفرطت في الإدلال ، وانبسطت في الاسترسال ، وخاطبته في أن يكون زادي من نعمائه ، وأن يحاول صنعته بعض إمامه ، حرصاً مني على التشريف ، وسعياً إلى الاستزادة من شكر المعروف : فكان ذلك على أحسن وجه ، وشكر غاية الشكر انبساطي ، وتحقق به صحة ارتباطي ، وكنت خاطبته في ذلك بهذه القطعة :

وداعٌ ولكني أقول سلام	وللنفس في ذكر الوداع حِمامٌ
أخادع نفساً إنْ تحققت النوى	فليس لها بين الضلوع مقام
قد اثلفتُ أهواؤها بكَ جملةً	كما اثلفت في وكرهنّ حمام
وشققت عن النصح المبين جيوبها	كما شققت عن زهرهنّ كمام
أكرّر لحظي في محياك إنّه	لنور الهدى فيه عليك قَسَامٌ ^١
وأحمل من تقبيل كفك سُودداً ^٢	على عاتق الجوزاء منه حسام
أملئسني النعمى قديماً ومثلها	حديثاً وأحداثُ الزمانِ عظام
لأجلستني حتى اتكأت ولم يزل	يُدلُّ على المولى الكريم غلام
عسى عند حمل العيسر حليّ في غدٍ	يُهيّأ من زادي لديك طعام
وميلي إلى الطاهي وطيب إرادة	ليثبت لي في وصف ذاك كلام
وكيف أزيدُ المجد صحف محاسنٍ	سهرتُ لها والعالمون نيام

قال : فأجابني بقوله^٣ :

كلامك حرٌّ والكلام غلام	وسحرٌ ولكن ليس فيه حرام
ودرّ ولكن بين جنبيك بحرٌ	وزهرٌ ولكن الفؤاد كمام

١ هامش ط : في أخرى : محيا لنور الهدى فيه قسام .

٢ خ بهامش ط : من كفك مجداً وسودداً .

٣ ديوان المعتمد : ١١٣ .

وبعدُ فإن ودَّعتني بخداعة
أعنتي^٢ على نفسي بتزويد نفسها
فدونكتهُ إذ لم أجِدْ لي حيلةً
فهنتهُ زاداً وفي الصدر وقدةً
لقد كان قال من سمائك مؤنسُ
تحلبت بالداني وأنت مباعدُ
ويا عجباً حتى السَّماتُ تخونني
أضاء لنا أغماتَ قربك برهةً
تسيرُ إلى أرضٍ بها كنت مضغةً
وأبقى أسامُ الذلِّ في أرضٍ غربة
فبَلَّغْتَهَا في ظلٍّ آمنٍ وغبطةٍ
فحقِّي^١ ان يجني عليك ملام
بلى قول^٣ لاشيء^٢ عليَّ حرام
وقلبي فاعلم في الطعام طعام
وللصبر من دون الفؤاد مرام
وقد عاد ضداً فالغزاء رمام
فيا طيب بدء لو تلاه تمام
وحق انتباهي للصديق منام
وعاودها حين ارتحلت ظلام
وفيهما اكتست بالحكم منك عظام
وما كنت لولا الغدر ذاك أسامُ
وسنِّي لي مما يعوق سلامُ

قال ابن بسام : وكان الحُصْرِيّ المكفوف القروي قد طرأ على الأندلس
في مدّة ملوك طوائفها ، فتهاذته تهاديَ الرياض للنسيم ، وتنافسوا فيه تنافُسُ
الديار في الأنسِ المقيم ، ولما خلَعُوا وأخَوّتْ تلك النجوم ، وطُمِسَتْ
للشعر تلك الرسوم ، اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعُهُ ، وتراجع
طبعُهُ ، فتصدّى إلى المعتمد في طريقه ، وهو في تلك الحال ، من الاعتقال ،
بأشعار له قديمة صدرها في الرباب وفرتنى ، وعجزها في الاستجداء وطلب
اللهى ، خارجة عن الغرض والمغزى ، مما كان فيه المعتمد يومئذ ، وألحَّ
عليه بالوصول بتلك الأشعار إليه ، فندبه كرمُ جبلته إلى مقارضته ،

١ ط م : أن يجنى عليه .

٢ ط : أعين .

٣ ط م د س : وقول .

عند مفاوضته ، فطبع على ثلاثين مثقالاً لم يمكنه سواها ، وأدرج قطعة شعر
 طيها معتدراً من نزرها ، راغباً في قبول أمرها ، فلم يجاوبه الحصريّ عما
 حصل حينئذ من قبيله لديه ، فكتب المعتمد بهذه الأبيات إثر ذلك إليه ^١ :

قُلْ لمن قد جمع العا م ومن أحصى صوابه
 كان في الصرة شعرٌ فتَنَظَّرْنَا جوابه
 قد أثبتناك فهلاً جلب الشعرُ ثوابه

واتصل فعلُ المعتمدِ بالحصريّ إلى جماعة من زعانف الشعراء ، وكلُّ
 طالب حياء ، من مَشْحُوزِ المديّةِ ، في الكُدَيْتَةِ ، فتعرّضوا له بكلِّ
 قارعة طريق ، وجاءوه من كلِّ فجٍّ عميق ، يحسبون الدفلى من حاله نور
 اجتناء ، ويعتقدون السراب في أمره غدير ماء ، وطىّ الحال ، كان ما لا
 مزيد عليه من الاختلال ، وعند ذلك قال ^٢ :

شعراء طنجة كلّهم والمغربِ ذهبوا من الاغراب أبعد مذهبِ
 سألوا العسير من الأسير وانه بسؤالهم لأحقُّ فاعجب واعجبِ
 لولا الحياء وعزةٌ لحميّةٌ طيّ الحشا ناغاهم ^٣ في المطلبِ
 قد كان أن سئِلَ الندى يُجْزَلَ وان نادى الصريخُ يبابه اركبْ يركبِ

١ ديوان المعتمد : ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والاعلام : ٢ : ٣١٥ .

٢ ديوان المعتمد : ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والحلة : ٢ : ٦٧ ومختارات الصيرفي : ١١٩ .

٣ الديوان : لحكامهم .

٤ ط د م س : الغنى .

وعند ذلك قال ^١ :

قل لمن يطمع في نائليه قد أزال اليأسُ ذاك الطمعا
راح لا يملك إلا دعوةً رحم ^٢ الله العفاة الضيعة

وسأله رجل يعرف بابن الزنجاري أن يزوده من شعره فكتب إليه ^٣ [١٤]

لو أستطيع على التزويد بالذهب فعلتُ لكنْ عداني طارقُ الثوبِ
يا سائل الشعر يَجْتَابُ الفلاة به تزويدك الشعر لا يغني عن السغب
زادُ من الريح لا ري ولا شَبَعُ غدا له مؤثراً ذو اللب والأدب
أصْبَحْتُ صِفْراً يدي مما تجودُ به ما أعجب القدر المقدور في رجب
ذلّ وفقرٌ أدالا عِزّةٌ وغنيٌّ نَعَمَى الليالي من البلوى على كتب
قد كان يستلبُ الجبارَ مهجته بطشي ويَحْيَا قَتيلُ الفقرِ في طلبي
والملكُ يحرسه في ظلّ واهبه غُلِبَ من العجم أو شمٌ من العرب
فحين شاءَ الذي آتاه ينزعه لم يُجْدِ شيئاً قراعُ السمر والقضب
فهاكها قطعةٌ تطوى لها حسداً «السيفُ أصدقُ إنباءٍ من الكتبِ»

ومما قاله في ابنه ، وتعجب من حاله ، قال ^٤ :

بكت أن رأيتُ للفين ضمهما وكر مساءً وقد أخنى على لفها الدهرُ
بكت لم تُرِقْ دمعاً وأسبلتُ عبرةً يقصّرُ عنها القطرُ مهما همى القطرُ
وناحتُ وباحتُ واستراحتُ بسرّها وما نطقَ حرفاً يبوح به سرّ

١ من أبيات في ديوانه : ١٠٨ .

٢ الديوان : جبر .

٣ ديوانه : ٩٢ .

٤ ديوانه : ٦٨ والقلاند : ٢١ .

فمالي لا أبكي أم القلب صخرة
بكت واحداً لم يشنحها غير فقده
بني صغير أو خليل موافق
ونجمان زين للزمان احتواهما
غدرت إذن إن صن جفني بقطرة
فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي
وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر
وأبكي لآلاف عديدهم كثر
يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر
بقرطبة النكداء أو رندة القبر
وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر
لمثلهما فلتحزن الأنجم الزهر

قال ابن بسام : وهذه القطعة يشبه أولها قطعة عوف بن محم ، وما
أراه إلا بها ألم ، وعلى منوالها سدّي وألحم ، وهي ^١ :

وأرقني بالري نوح حمامة
على أنها ناحت ولم تذّر عبّرة
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
فنحت وذو الشجو الغريب ينوح
ونحت وأسراب الدموع سفوح
ومن دون أفراخي مهامه فيح

وقال المعتمد أيضاً يبكيهما بما يفتت الكبد ، ويفت العضد ^٢ :

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر
هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
تري زهرها في مآتم كل ليلة
يشنح على نجمين ، أثلكت ذا وذا
[١٤ب] أفتح لقد فتحت لي باب رحمة
توليتما والسن بعد صغيرة
سأبكي وأبكي ما تطاول بي عمري
يزيد فهل عند الكواكب من خبر ^٣
تخمش لهما وسطه صفحة البدر
وأصبر ما للقلب في الصبر من عذر
كما بيزيد الله قد زاد في أجري
ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري

١ طبقات ابن المعتز : ١٨٧ وابن خلكان ٣ : ٨٦ .

٢ ديوان المعتمد : ١٠٥ ومختارات الصبر في : ١٢٠ .

٣ ط م د : صبر ؛ س : صهر .

توليتما حين انتهت بكما العلا
فلو عدتما لاخترتما العود في البرى
يعيد على سمعي الحديد نشيده
مع الأخوات الهالكات عليكما
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله
أبا خالد أورثني الحزن خالداً
وقبلكما قد أودع القلب حسرة
إلى غاية ، كل إلى غاية يجري
إذا أنتما أبصرتما في الأسر
ثقيلاً فتبكي العين بالحس والنقر
وأمتكما الثكلي المضرة الصدر
وتزجرها التقوى فتصغي إلى الزجر
أبا النصرمذ ودعت ودعني نصري
تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو^١

قوله : « فلو عدتما لاخترتما العود في الثرى ... » البيت ، كأنه من أشعار النساء ، وأراه ينظر إلى قول الخنساء في صيغة المبني ، وإن خالفه في المعنى ، وهو^٢ :
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وأبو عمرو الذي ذكره هو ابنه المقتول بقرطبة على يدي ابن عكاشة ، حسبما يأتي شرحه في موضعه من هذا المجموع إن شاء الله .

قال أيضاً فيهما يندبهما بما يوقد الضلوع ، ويسكب الدموع^٣ :
يا عَيْنُ عَيْنِي أَقْوَى مِنْكَ تَهَانَا أبكي لحزن وما حُمِلْتَ أَحْزَانَا
ونار برقك تخبو إثر وقْدَتِهَا رنار قلبي تُلْفِي الدهر بركَانَا
نار وماء صميم القلب أصلهما متى حوى القلب نيراناً وطوفَانَا

١ أبو عمرو ابنه الملقب سراج الدولة . وسيأتي الحديث عنه في ما يلي .

٢ انظر السط : ١٤٥ .

٣ ديوان المعتمد : ٦٩ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٤ العين : مطر أيام لا يقلع .

٥ ط م د س : يلقي .

ضدَّانَ أَلْفَ صَرَفُ الدَّهْرِ بَيْنَهُمَا
 بَكَيْتُ فَتَحاً فَإِذْ نَادَيْتُ^١ سُلُوتَهُ
 يَا فَلَذَتْنِي كَبْدِي يَا بَنَى تَقَطُّعُهَا
 لَقَدْ هَوَى بِكَمَا نَجْمَانِ مَا رَمَى
 مَخْفَفٌ عَنْ فَوَادِي أَنْ تُكَلِّكُمَا
 يَا فَتَحُ قَدْ فَتَحْتَ تِلْكَ الشَّهَادَةَ لِي
 وَيَا يَزِيدُ لَقَدْ زَادَ الرَّجَا بِكَمَا
 كَمَا شَفَعْتَ أَخَاكَ الْفَتْحَ تَبِعَهُ
 مِنِّي السَّلَامُ وَمَنْ أُمَّ مُفَجَّعَةً
 أَبْكِي وَتَبْكِي وَتُبْكِي غَيْرَنَا أَسْفَاً

لَقَدْ تَلَوْنَ فِي الدَّهْرِ أَلْوَانَا
 ثَوَى يَزِيدُ فَزَادَ الْقَلْبَ نِيرَانَا
 عَنْ وَجْدِهَا بِكَمَا مَا عَشْتُ سُلْوَانَا
 إِلَّا مِنْ الْعُلُوِّ بِالْأَلْحَاطِ كَيَوَانَا
 مَثْقُلٌ لِي يَوْمَ الْحَشْرِ مِيزَانَا
 بَابَ الطَّمَاعَةِ فِي لِقَاكَ جَذَلَانَا
 أَنْ يَشْفَعَ اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانَا
 لِقَاكَ اللَّهُ غَفْرَاناً وَرِضْوَانَا
 عَلَيْكُمَا أَبَدَاً مَثْنَى وَوَحْدَانَا
 لَدَى التَّذَكُّرِ نِسْوَاناً وَوَلَدَانَا

واجتاز يوماً عليه بموضع ثِقَافِهِ سِرْبُ الْقَطَا فَهَاجَ وَجْدَهُ ، وَأَثَارَ
 مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ^٢ :

بَكَيْتُ إِلَى سِرْبِ الْقَطَا إِذْ مَرَرَنِي بِي
 [١٥ أ] وَلَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ حَسَادَةً
 فَأَسْرَحَ لَا شَمْلِي صَدِيعٌ وَلَا الْحِشَا
 هَنِيئاً لَهَا أَنْ لَمْ يُفَرِّقْ جَمِيعُهَا
 وَأَنْ لَمْ تَبِتْ لَيْلَاً تَطِيرُ قُلُوبُهَا
 وَمَا ذَاكَ مِمَّا يَعْتَرِينِي وَإِنَّمَا

سَوَارِحَ لَا سِجْنَ يَعْقُوقُ وَلَا كِبْلُ
 وَلَكِنْ حَنِئاً أَنْ شَكْلِي لَهَا شَكْلُ
 وَجِيعٌ وَلَا عَيْنَايَ يُبْكِيهِمَا ثَكْلُ
 وَلَا ذَاقَ مِنْهَا الْبَعْدَ مِنْ أَهْلِهَا أَهْلُ
 إِذَا اهْتَرَّ بَابُ السَّجْنِ أَوْ صَلَّصَلِ الْقِفْلُ
 وَصَفَّتِ الَّذِي فِي جَبَلَةِ الْخَلْقِ مِنْ قَبْلِ

١ الديوان : فإذا ما رمت .

٢ ديوان المعتمد : ١١٠ والقلائد : ٢٨ .

٣ ط م د س : الأهل .

لنفسى إلى لقبا الحمام^١ تشوق^٢ سواي بحب العيش في ساقه كبل
ألا عصم الله القطا في فراخها فإن فراخي خانها الماء والظل^٣

ومعنى البيت الخامس منها يشبه قول أبي عامر بن شهيد القرطبي^٤ :
وما اهتزَّ باب السَّجَنِ إلَّا تَفْطَرَتْ قلوبٌ لنا خوفَ الرَّدَى وكبود^٥
ولستُ بذى قيدٍ يرنُّ وإنَّمَا على اللحظِ من سُخْطِ الامام قيود

وقال السهري العكلي^٦ من شعراء الدولة الأموية بالعراق^٧ :
لقد جمَعَ الحدَّادُ بَيْنَ عَصَابَةٍ نَسَاءَلُ في الأقيادِ ماذا ذنوبُها
بِمَتْرَلَةٍ أَمَا اللَّثِيمُ فِسامنٌ^٨ بها وكرامُ الناسِ بادٍ شُحوبُها
إذا حَرَسِي قَعَقَعَ البابُ أَرْعِدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارتْ قلوبُها
نَرَى البابَ لا نَسْطِيعُ شَيْئاً وراءه كأنَّا قَتْنَا^٩ <قد> أَسْلَمَتْهَا كعوبها

وتجوز المعتمد في قوله : « وما ذاك ممَّا يَعْتَرِينِي » . . . البيت ،
وأجاد فيه ما أراد .

وقال من جملة قصيد ، وقد دخل عليه بناته للسلام يوم عيد^{١٠} :

١ م س : الحبيب .

٢ ديوان ابن شهيد : ١٠٠ - ١٠١ .

٣ هو السهري بن بشر بن أويس العكلي ويكنى أبا الديلم (الأغاني ٢١ : ٢٥٧) .

٤ الأبيات في الأغاني ٢١ : ٢٦٤ .

٥ الأغاني : فشات ؛ وهو خطأ : والسامن : الذي يكتب سنة .

٦ ط م د س : قسي أسلمتها ؛ وقد غيرته اعتماداً على الأغاني .

٧ ديوان المعتمد : ١٠٠ والقلائد : ٢٥ ومختارات الصيرفي : ١١٩

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا
 ترى بناتك في الأطمار جائعة
 برزن نحوك للتسليم خاشعة
 بطان في الطين والأقدام حافية
 أفطرت في العيد لا عادت إساءته
 لا خد إلا تشكى الجذب ظاهره
 قد كان دهرك إن تأمره ممثلاً
 من بات بعدك في ملك يسر به
 فساءك العيد في أغمات مأسورا
 يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
 أبصارهن حسيرات مكاسيرا
 كأنها لم تطأ مسكاً وكافورا
 فكان فطرك للأعياد تفتيرا
 وليس إلا مع الأنفاس مطورا
 فردك الدهر منهياً ومأمورا
 فإنما بات بالأحلام مغرورا

ودخل عليه ابنه أبو هاشم وهو يرسف في قيوده ، ويتقلب في حديدته ،
 فخنقت الطفل العبرة ، وكان أحبهم إليه ، وأحظاهم على صغره لديه ،
 وفيه يقول يوم الجمعة المشهور ، إذ أبلى في قتال النصارى ^١ :

أبا هاشم هشمي الشفار
 ذكرت شخصك ما بينها
 فليله صبري لذاك الأوار
 فلم يشني حبه للفرار

وعند بكائه قال ^٢ :

[١٥ب] قيدي أماً تعلمني مسلماً
 دمي شراب لك واللحم قد
 أبيت أن تشفق أو ترحماً
 أكلته لا تهشم الأعظماً
 يبصرني فيك أبو هاشم
 فيثني والقلب قد هشماً
 ارحم طفيلاً طائشاً لبه
 لم يخش أن يأتك مسرهما

١ ديوان المعتمد : ٤٨ .

٢ ديوانه : ١١٢ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

وارحَمُ أَخِيَّاتٍ لَهُ مِثْلُهُ جَرَّعَتْهُنَّ السَّمَّ وَالْعَلْقَمَا
 مِنْهُنَّ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئاً فَقَدْ خَفْنَا عَلَيْهِ لِلْبَكَاءِ الْعَمَى
 وَالْغَيْرُ لَا يَفْهَمُ شَيْئاً فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا لِرَضَاعٍ فَمَا

وذكرت بقوله : « ذكرت شخصيك » . . . البيت ، بيتين أنشدنيهما
 الوزير أبو بكر - هما لأخيه أبي الحسن البطلبوسي^١ - لنفسه :

ذكرتُ سُلَيْمَى وَحَرَّ الْوَغَى كَقَلْبِي سَاعَةً فَارَقْتُهَا
 وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَنَا قَدَّهَا وَقَدْ مَلَنَ نَحْوِي فَمَانَقْتُهَا

ومن شعره في الندبة على نفسه قال^٢ :

غَنَّتْكَ أَغْمَانِيَّةُ الْأَلْحَانِ ثَقُلْتُ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
 قَدْ كَانَ كَالثُعْبَانِ رُحْمَكَ فِي الْوَغَى فَعَدَا عَلَيْكَ الْقَيْدُ كَالثُعْبَانِ
 مُتَمَدِّدًا بِحِمِيكَ كُلَّ تَمَدُّدٍ مَتَعَطِّفًا لَا رَحْمَةً لِلْعَانِي
 قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بَشَّةُ لَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ
 يَا سَائِلًا عَنْ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ مَا كَانَ أَغْنَى شَأْنَهُ عَنْ شَانِي
 هَاتِيكَ قَيْسِنْتَهُ وَذَلِكَ قَصْرُهُ مِنْ بَعْدِ أَيِّ مَقَاصِرٍ وَقِيَانِ
 مِنْ بَعْدِ كُلِّ غَرِيرَةٍ^٣ رُومِيَّةُ تُخْزِي الْحَمَائِمَ فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ

١ ترد ترجمتهما في ما يلي من هذا القسم ، وكذلك البيتان وانظر الغيث ٢ : ١٩ .

٢ هذه القطع الثلاث المتوالية ترد في الديوان : ١١٥ ، ٩٤ ، ٩٨ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

٣ ط س : عزيزة .

وقال من قصيدة :

تبدلتُ من عزٍّ ظلُّ البنودِ وكان حديدي سناناً ذليلاً
وكان حديدي سناناً ذليلاً فقد صارَ ذاك وذا أدهماً

وقال :

غريبٌ بأرضِ المغربين أسيرُ وينهلُ دمعُ بينهنَّ غزيرُ
وتندبهُ البيضُ الصوارمُ والقنا فما يُرتجى للجودِ بعدُ نشورُ
إذا قيل في أغماتِ قدماتِ جودهُ وأصبحَ عنه اليومَ وهو نفورُ
مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به متى صلحتُ للصالحين دهورُ
برأيٍ من الدهرِ المضللِ فاسدٍ وذلُّ بني ماءِ السماءِ كثيرُ
أذلُّ بني ماءِ السماءِ زمانُهُمُ أمامي وخلفي روضةٌ وغديرُ
فيا ليت شعري هل أبيتَ ليلةً تغني قياناً أو ترنُّ طيورُ
بمنبتةِ الزيتونِ مورثةِ العلا تشيرُ الثريّاً نحونا ونشيرُ
[١٦٦] إزاهرها السامي الذرى جاده الحيا غيورين والصب المحبُّ غيورُ
ويلحظنا الزاهي وسعدُ سعوده ألا كلُّ ما شاءَ الإله يسيرُ
تراه عسيراً أم يسيراً مثالهُ هنالك عنّا للنشورِ قبورُ
قضى الله في حمصِ الحمامِ وبُعْثِرَتْ

١ في هامش ط أبيات مطلعها :

تؤمل للنفس الشجيرة فرجة وتأتي الخطوب البنود إلا تهاديا
وبعدما قطعة قافية ، وهي بخط الناسخ نفسه ، ولكنه كتب عليها : « من غير الأصل » فلذا لم أثبتها .

والثريا وسعد السعود والزاهي الذي ذكر في هذا الشعر أسماء قباب
ومصانع سلطانية كان تأتق في بانيها من قصور إشبيلية . وعلى هذا الشعر
أجابه أبو محمد الصقلي المعروف بابن حمديس بأبيات قال فيها ^١ :

نحيء خلافاً للأُمُورِ أُمُورُ وَيَعْدِلُ دَهْرٌ فِي الْوَرَى وَيَجُورُ
أَتْيَاسٌ مِنْ يَوْمٍ يَنَاقِضُ أَمْسَهُ وَزَهْرُ الدَّرَارِي فِي الْبُرُوجِ تَدُورُ
وَقَدْ تَتَخَيَّ السَّادَاتُ بَعْدَ خُمُولِهَا وَتَخْرُجُ مِنْ بَعْدِ الْكَسُوفِ بَدُورُ

وفي هذا الجواب يقول :

ولما رحلتمْ بِاللَّيْلِ فِي أَكْفَاكُمُ وَقَلْقَلِ رَضْوَى مِنْكُمْ وَثِيرُ
رَفَعْتُ لِسَانِي بِالْقِيَامَةِ قَدْ دَنَتْ فَهَذِي الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتِ تَسِيرُ

وَنَعَبَتْ غُرَبَانُ بِجِدَارِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ وَرَدَ لِأَثَرِ ذَلِكَ النَّبَأِ
بِقُدُومِ بَعْضِ نِسَائِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ ^٢ :

غُرَبَانُ أَغْمَاتَ لَا تَعْدَمَنَّ طَيْبَةً مِنْ اللَّيَالِي وَأَفْنَاناً مِنَ الشَّجَرِ
تُظِلُّ زُغَبَ فَرَاخٍ تَسْتَكِنُ بِهَا مِنَ الْحُرُورِ وَتَكْفِيهَا أَذَى الْمَطَرِ
كَمَا نَعَبْتُنَّ لِي بِالْقَالِ يَعْجِبُنِي مَخْبَرَاتٍ بِهِ عَنْ أَطْيَبِ الْخَبَرِ
أَنَّ النُّجُومَ الَّتِي غَابَتْ قَدْ اقْتَرَبَتْ مِنَّا مَطَالِعُهَا تَسْرِي إِلَى الْقَمَرِ
عَلَيَّ إِنْ صَدَقَ الرَّحْمَنُ مَا زَعَمَتْ أَلَا يَرُوعُنَّ مِنْ قَوْسِي وَلَا وَتْرِي
وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا نَقَرْتُ وَاقِعَهَا وَلَا تَطْيَرْتُ لِلْغُرَبَانِ بِالْعُورِ
وَيَا عَقَارِهَا لَا تَعْدِمِي أَبَداً شَدْخاً وَعَقراً وَلَا نَوْعاً مِنَ الضَّرَرِ

١ ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ .

٢ ديوان المعتمد : ١٠٠ .

كما ملأت قلبي مدحاً حللت بها مخافةً أسلمت عيني إلى السهر
 ماذا رمتك به الأيام يا كبدي من تبلىهن ولا رام سوى القدر
 أسرٌ وعُسْرٌ ولا يُسر أو مله أستغفرُ الله كم لله من نظر

وقال أيضاً وهو بتلك الحال ، من الاعتقال ^١ :

لك الحمد من بعد السيوف كبول بساقي منها في السجونِ حبول
 وكنا إذا حانت لنحرق فريضةً ونادت بأوقات الصلاة طبول
 شهدنا فكبرنا فظلت سيوفنا تُصلي بهاماتِ العدا فتُطيل
 سجود^٢ على إثر الركوع متابع هناك بأرواح الكُماة تسيل^٣

ومما قيل فيه بعد خلعه من ملكه وانتثار سلكه

من ذلك قصيد لأبي بكر الداني أنشده [١٦ ب] إياه حين فُكَّت عنه
 القيود ، أوله ^٤ :

تَنَشَّقُ رياحين السلام فلانما أفضُّ بها مسكاً عليك مخنما
 وقل لي مجازاً إن علمت حقيقةً لعلك في نعمي فكم كنت منما
 أفكر في عصرٍ مضى لك مشرق فيرجع ضوءُ الصبح عندي مظلماً
 وأعجب من أفقِ المجرة إذ رأى كسوفك شمساً كيف أطلع أنجماً
 لئن عظمت فيك الرزية إننا وجدناك منها في البرية أعظماً

١ ديوان المتمد : ١١١ .

٢ ط م س : وفود .

٣ في هامش ط قطعتان بخط الناسخ ولكنها من غير الأصل .

٤ انظر نفع الطيب ٤ : ٢٥٧ ومختارات الصيرفي : ١٢١ .

قناة سَعَتَ للطعن حتى تَقَصَّدَتْ
بكي آلَ عباد ولا كمحمدٍ
حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقوله
وكنّا رعيّنا العزّ حول حِمَاهُمُ
كأن لم يكن فيه أنيسٌ ولا التقى
ولا حَلَّتْ الآمالُ فيكَ ثُبّاً ثُبّاً
ولا اخضَرَ روضٌ في رباها فخلته
ولا انعطفت فيه الغصونُ فعانقتُ
ولم تخفقِ الراياتُ فيها فأشبهتُ
ولا جرّ فيها صعدةَ الرمح خلفه

وفيهما يقول :

مؤيدَ لحمٍ هل تؤمّلُ رجعةً
حكيتَ وقد فارقتَ ملكك مالكا
ندبتك حتى لم يخلَ ليَ الأسى
وإني على رسمي مقيمٌ فإن أمتُ
بكاك الحيا والريحُ شَقَّتْ جيوبها
ومزقَ ثوبُ البرقِ واكتست الدجى
يُنَجِّيكَ من نَجَى من الحبّ يوسفاً

وسيفٌ أطالَ الضربَ حتى ثلّما
وأبنائه صوبُ السحابِ إذ همي
« عسى طَلَلٌ يدنو بهم ولعلّما »^١
فقد أجذبَ المرعى وقد أقفرَ الحمى
به الوفدُ جمعاً والخميسُ عرمرما
فقامت إليها المكرمات لُمّاً لُمّاً
توشحَ منهم لا من النور أنعما
وشيجاً بأيدي الدارعين مقوماً
قوادمَ طيرٍ في ذرى الجوّ حوّمّا
فتاها فقلْتُ الصلِّ أتبِعَ ضيغما

فكم أملٍ أضحي إلى النُجَحِ سلّما
ومنْ وَلَّيَ أحكي عليك متمما
دموعاً بها أبكي عليك ولا دما
سأتركُ للباكين رسميَ مرسما
عليك وباحَ الرعدِ باسمك معلما
حداداً وقامتْ أنجمُ الليلِ مآتما
ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

١ مضمّن من قول حبيب أبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تعتب الأيام فيهم فربما

قوله : « ندبتك » ... البيت ، أغار فيه على إبراهيم الشاشي ^١ وقصر
بأعه ، وضافت فيه ذراعه ، وخلّى السبيل له حيث يقول :

لا ترحلنّ فما أبقيت من جلدي ما أستطيعُ به توديعَ مرثَحلٍ
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ولا من الدمع ما أبكى على طلل

ومن هذه القصيدة :

لله جسمي فما أبقي حُشاشَتَهُ على الحوادث والأسقام والعلل
يغدو سقامي على مثل الخيال ضني ويقرع الخطبُ مني صفحة الجبل
[١٧] ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً وأملك السرج في وجه القنا الذبل
ولا يُقِلّ ردائي عاتقي دنفاً ويحملُ الدرعَ مسلوباً عن البطل

ورأى أبو بكر الداني حفيدَ المعتمد ، وهو غلام وسيم ، قد اتخذ الصياغة
صناعة ، وكان لقَّبَ في دولتهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر
إليه وهو ينفخ النار بقصبة الصائغ ، فقال من جملة قصيدة ^٢ :

شكأتنا فيك يا فخرَ العلا عَظُمْتُ والرزءُ يعظمُ في من قدره عظما
طُوِّقْتُ من نائباتِ الدهرِ مِخْنَقَةً ضاقتُ عليكَ وكم طوَّقنا نعما
وعاد كونُكَ في دكانِ قارعة من بعد ما كنتَ في قصرِ حكي إرما
صَرَفْتُ في آلة الصّواعِ أنْمِلَةً لم تدرِ إلا النَّدَى والسيفَ والقلما
يدُ عهدتُكَ للتقيل تبسطها فتستقلُ الثريا أنْ تكونَ فما
يا صائغاً كانت العليا تصاغُ له حَلِيّاً وكان عليه الحَلِيّ منتظما

١ ط س : الشاشي .

٢ الممجب : ٢٢٣ والنفع : ٤ : ٩٧ - ٩٨ والإعلام : ٢ : ٣٢٢ ومنها أبيات في ساهد
التنخيص : ٣ : ٢٠ ومختارات الصيرفي : ١٢٤ .

للتنفخ في الصورِ هولٌ ما حكاَهُ سوى
وددتُ إذ نظرتُ عيني إليك به
ما حطَّكَ الدهرُ لما حطَّ من شَرَفٍ
لُحْ في العُلا كَوَكْباً إن لم تلحْ قمرأً
[واصبرُ فربَّتما أحمَدَت عاقبةُ
والله لو أنصفتك الشهبُ لانكسفتُ
بكي حديثك حتى الدَّر حين غدا
هولٍ رأيتُكَ فيه تنفخُ الفَحما
لو أن عيني تشكو قبل ذاك عَمي
ولا تحيِّفَ من أخلاقك الكرما
وقم بها ربوةً إن لم تقم علما
من يلزم الصبرَ يحمَدُ غبَّ ما لزمًا^٢
ولو وفي لك دمعُ الغيثِ لانسجما
يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسماً

وله فيهم أيضاً من قصيدة يرثيهم أولها :

تبكي السماء بدمعٍ رائجٍ غادي
على الجبال التي هُدَّتْ قواعدها
عريسةٌ دخلتها النائباتُ على
وكعبةٌ كانت الآمالُ تعمرها^٣
أن يُخلَعُوا فبنو العباس قد خلَعُوا
نسيتُ إلا غداةَ النهرِ كونَهُمُ
والناسُ قد ملأوا العبرين واعتبروا
على البهاليل من أبناء عبادِ
وكانت الأرضُ منهم ذاتُ أوتادِ
أساودٍ لهم فيها وآسادِ
فاليوم لا عاكفٌ فيها ولا بادِ
وقد خلت قبلَ حمصٍ أرضُ بغدادِ
في المنشآتِ كأمواتٍ بالحدادِ
من لؤلؤ طافياتٍ فوق أزبادِ

١ في أصل ط : توقد ، وخ بهامشها : تنفخ .

٢ غ بهامش ط : شكت. [من] .

٣ زيادة من دوزي .

٤ القلائد : ٢٣ والنفع : ٤ : ٢١٤ والمعجب : ٢٠٩ ومختارات الصيرني : ١٢٢ .

٥ القلائد والنفع : يميزن .

٦ فوقها في ط : منهم .

٧ القلائد والنفع : تخدمها .

حُطَّ القِنَاجُ فلم تُسْتَرْ مَخْدَرَةٌ وَمُرُقَتْ أَوْجُهُ نَمْرِيْقَ أَبْرَادِ
حَانَ الْوَدَاعِ فَضَجَتْ كُلُّ صَارِخَةٍ وَصَارِخٍ مِنْ مُفْصَدَةٍ وَمِنْ فَادِ
سَارَتْ سَفَاتْنَهُمِ وَالنَّوْحُ يَصْحَبُهَا كَأَنهَا إِبِلٌ يَحْدُو بِهَا الْحَادِي
كَمْ سَالَ فِي الْمَاءِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الْقَطَائِعُ مِنْ قِطْعَاتِ أَكْنَادِ

ومحاسن الداني كثيرة ، وفي القسم الثالث^١ من شعره جملة موفورة ،
ومحاسن المعتمد أيضاً أكثر من أن تعدّ فقد استوفيتها في كتابي المترجم
بـ « الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد بن عباد » .

[١٧ ب] باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان ، ممّن كان
بدولة المعتمد من أرباب هذا الشأن ، واجتلاب ملح وطرف
لشعراء كانوا بذلك الأوان ، مع ما يتعلقُ بها ،
ويذكر بسببها

فصل في ذكر الوزير الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني^٢ وإلّبات
فصول من نثره ، مع ما ينخرط في سلكها من شعره ،
وإيراد جملة من أخباره ، وحميد آثاره

هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله أبي

١ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٦ وما بعدها .

٢ أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠) طلب العلم على شيوخ الأندلس ثم ارتحل سنة ٤٤٤ (وابن بسام يقول سنة ٤٤٠) وأخذ عن علماء المشرق ، وأصبح مفتقناً في العلوم ؛ ولما قتله عباد بيده أمر بدفنه بشيابه وقلنسوته وهيل عليه التراب داخل القصر من غير غسل ولا صلاة (انظر الصلة : ٣٨١ والنفح ٢ : ٩٣ وممالك الأبصار ١١ : ٤١٦ والمغرب ١ : ٢٣٤ وفيه نقل عن الذخيرة ، وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٥) .

سعيد الداخل بجزيرة الأندلس ، وهو كان صاحب صلاة الجماعة بقرطبة على عهد عبد الرحمن بن معاوية وهشام الرضي ابنه . وهوزن الذي نُسِبَ إليه ، وغلب اسمه عليه ، بطن من ذي الكلاع الأصغر .

وأفضى أمرُ إشبيلية إلى عباد ، حسبما تقدّم به الايراد ، وأبو حفص يومئذ ذاتُ نفسها ، وإيالة شمسها ، وناجِذُها الذي عنه تبسم ، وواحدُها الذي بيده يَنْقُضُ وَيُبْرِمُ . وكان بينه وبين عباد قبل إفضاء الأمر إليه ، ومدار الرياسة عليه ، إئتلافُ الفرقدين ، وتضافرُ اليدين ، واتصال الأذن بالعين . ولما ثبتت قدمُ المعتضد في الرياسة ، ودفع إلى التدبير والسياسة ، أوجس منه ذعراً ، وضاق بمكانه من الحضرة صدىً ، وأحسَّ بها أبو حفص . وكان ألمعياً ، وذكيّاً لودعيّاً ، لو أخطأ الحازم أجَلَهُ ، ونفعت المحتال حِيلَهُ . فاستأذن المعتضد في الرحلة سنة أربعين وأربعمائة^١ ، فصادف غرَّتَهُ ، وكفي إلى حينٍ مَعَرَّتَهُ ، واحتلَّ صقليّةً تضيقُ عن فخره الآفاق ، وتهادى عجائب ذكرِهِ الشامُ والعراق ، ثم رحل إلى مصرَ وله هنالك صوتٌ بعيدٌ ، ومقام محمود ، ووصل إلى مكّة ، وروى في طريقه كتابَ الترمذي في الحديث وعنه أخذه أهل المغرب ، ثم رجع إلى الأندلس واستأذن المعتضد في سكنى مُرُسيّة : رأياً رآه ، وبلداً اختاره وتوخّاه ، وأميرها يومئذ ابنُ طاهر ، فلما غلب الرومُ على مدينة بَرَبُشْتَر^٢ سنة ست وخمسين ، وقرِف الندب ، وتفاقم الخطب ، وضاق عن ساكنه

١ المغرب : وتناصر .

٢ انظر التعليق رقم : ٢ على الصفحة السابقة .

٣ م : مدينة ابن بشر ، وانظر الكائنة على مدينة بربشتر في الذخيرة ٣ : ١٧٩ .

الشرق والغرب ، خاطب المعتضد برقعةٍ يحضُّه فيها على الجهاد ، ويستشيرهُ إلى أين ينتقل من البلاد ، فراجعهُ برسالةٍ من إنشاءِ الوزير الكاتب أبي الوليد ابن المعلم ، وهي ثابتة في أخباره من هذا القسم ، يشير عليه فيها بالرجوع إلى بلده ، لا بل استدرجه إلى مَلْحَدِهِ ، فأذهله عما كان استشعر ، وأنساه ما كان حذر ، أَجَلَ قَرِيب ، وَحِمَامٌ مَكْتُوبٌ ، وَمَصْرَعٌ ، لم يكنْ عنه مدفعٌ ؛ فاستقرَّ بإشبيلية سنة ثمان وخمسين ، ولقيه المعتضد فأعلى المحلَّ ، وفوّض إليه في الكُثُرِ والقُلَّ ، وعوّل عليه في العَقْدِ والحلِّ . فلما كان يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلةً لربيع الأول سنة ستين أحضره القصر ، وقد غلب [أ١٨] - زعموا - عليه السكر ، وأمر خادمين من فتيانه بقتله ، فكلاهما أشفقَ من سوءِ فعله ، وفرَّ : لا يبالِي سيِّءَ عِبَادٍ أو سُرٍّ ، فقام إليه هو بنفسه وباشر قتله بيده ، فلم ينلْ عِبَادٌ بعده سولاً ، ولا مُتَّعَ بدنياه إلا قليلاً ، وإلى الله الإياب ، وعليه الحساب .

فصل من رقعة كان خاطب بها المعتضد من مرسية واستفتحها بهذه الأبيات ٢ :

أَعْبَادُ جَلَّ الرِّزُّوْءُ وَالْقَوْمُ هُجِّعُ على حالةٍ من مثلها يُتَوَقَّعُ ٣
فلقَّ كِتَابِي من فَرَاغِكَ سَاعَةً وإن طال فالموصوفُ للطول موضع
إذا لم أَبْثُ الداءَ رَبِّ دَوَائِهِ ٤ أَضَعْتُ وَأَهْلٌ لِلْمَلَامِ الْمُضِيعِ

١ في الصلاة : لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر .

٢ الأبيات في المغرب وترتيب المدارك وهي وبعض الرسالة في النفع ٢ : ٩٣ .

٣ ترتيب المدارك : يتقنع .

٤ المغرب : نجادة ؛ النفع : شكاية .

وفي فصل منها : وكتابي عن حالة يشيبُ لشهودها مَقْرُقُ الوليد ، كما يغيرُ لورودها وجهُ الصعيد ، بدوُها ينسفُ الطريفَ والتالد ، ويستأصل الوليدَ والوالدَ^١ ، تَدَرُّ النساءَ أيامي ، والأطفالَ يتامى ، فلا أَيْمَة إذا لم تبق أنثى ، ولا يتيم والأطفالُ في قيد الأسرى ، بل تعم الجميع جمًا جمًا ، فلا تخصّ ، وتزدلف إليهم قُدُماً قُدُماً ، فلا تنكص ، طَمَتْ حتى خيفَ على عُرْوَةِ الإيمانِ الانقضاض ، وطَمَتْ حتى خُشِيَ على عمودِ الإسلامِ منها الانقضاض ، وَسَمَتْ حتى تُوَقَّعَ على جناحِ الدينِ الانهياض .

وفي فصل منها : كأنَّ الجميعَ في رَقْدَةٍ أهلِ الكهف ، أو على وعدٍ صادقٍ من الصّرفِ والكشف ، وأنّى لمثلها بالدفاع عن الحريم ، ولما نَمَثَلْ أَدبَ العزيز الحكيم في قوله : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) وقوله تعالى : ﴿ لَهْدُمْتُ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . وَلِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (الحج : ٤٠) ومن أين لنا دفعهم^٢ بالكفاية أو كيف ، ولم نَمَتْ إليهم الخوف ، ونساجِلُهُمُ السيف ، بل لَمَّا يُرَأَبُ مِنْ صَدُوعِهِمْ ثَلَم ، ولا دُوْوِيٍّ مِنْ جِرَاحِهِمْ كَلَمٌ . ولا رُدَّ في نخورهم سهم ، ان حاربوا موضعاً أرسلناه ، أو انتسفوا قَطْرًا سَوَّغناه ، وان هذا لأمر^٣ له ما بعده ، إلا أن يُسَنِّيَ اللَّهُ على يَدَيْكَ دَفْعَهُ وَصَدَّهُ :

١ د : والتليد . . . الوالد والوليد .

٢ دفعهم : سقطت من ط س .

٣ م د س : الأمر .

فكم مثلها جأواء^١ تهنّته فأنثت وناظرها من شدّة النّقع أرمد^٢
 فمرّت تنادي الويل للقادح الصفا لبعض القلوب الصخر أو هي أجلد
 وألقت ثناء^٣ كاللّطائم نشره^٤ تبئد^٥ الليالي وهو غض^٥ يجدد^٥

وفي فصل منها: والحرب في اجتلائها حسناء عروس تطبي الأعمار
 بزتها ، وفي بنائها شمطاء عبوس^٢ تختلي الأعمار غرتها ، فالأقل
 للهبها وارد ، والأكثر عن شهبها حائد ، فأخلق بمجيد عن مكانها ، وعزلة
 في ميدانها ، فوقودها شكة السلاح ، وفرندا مساقط الأشباح ، وقطارها
 متصاعد الأرواح ، فان عسّس ليلها مدة من الانصرام ، أو انجس
 وبّلها ساعة لانسجام ، فيومها غسق يرد الطرف قليلا ، وتبّلها
 صيب يزيد الجوف غليلا :

أعباد ضاق الذّرع واتسع الخرق ولا غربّ للدنيا إذا لم يكن شرق^٢
 ودونك قولاً^٣ طال وهو مقصر فللعين معنى لا يعبره^٤ النطق^٤
 [١٨ب] إليك انتهت آمالنا فارمادهمي بعزمك ، يدمغ هامة الباطل الحق

وما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ، ولا أرجى الدليل من ناط
 الأمور بأربابها ، ولرب أمل بين أثناء المحاذير مدّ مسج ، ومحبوب في طي المكاريه
 مدّرج ، فانتهاز فرصتها فقد بان من غيرك العجز ، وطبق مضاربيها فكان

١ الجأواء : الكتيبة التي يملوها لون السواد لكثرة الدروع . ط س : شهواء .

٢ م : مجدد .

٣ ط : قول .

٤ س م : يمترها .

٥ بهامش ط بخط مغاير : مفاصلها ، وكذلك هي في بعض أصول النفع .

قد أمكنك الحز، ولا غرو أن يستمطر الغمام في الجذب، ويستنصب
الحسام في الحرب، فالسهم تطيش فتختلف، والرمح تلين وتنقص،
فان جعجعت أيها الساعي المخب في بغاء الفرج، وتحقق بالحث على
جلاء تلك اللجج، ووجدت في فتح ذلك الباب المرتج :

فناد : أعبادُ ذا عائدُ	وقدك، على حينها تنصرم
تجيبك أسودُ على ضمير	معوذة ما بفت أن يتم
كأن المقادير حزب له	فيمضي على رأيه ما حكم
سفته الحمية جريالها	وصحت مناقبه في الكرم
فصاب لأعدائه مُسقِر	وغيث لراجيه حلوالديم
كنوه بما مد في عمره	وكان نحور العدا يخترم
تقيدنا حر أفعاله	وكنيته تقتضي ما رسم
فمن ذين تفريع أوصافه	وبالرمز نغي الذكي الفهم

وفي فصل منها : وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزراً ، وأدخرك
في ملحمها ملجأً وعَصراً ، للدلائل أوضحت فيك الغيب ، وشواهد رفعت
من أمرك الريب ، فالنهار من الصباح ، والنور من المصباح ، ولئن كان
ليل الفساد مما دهم قد أغدِف جلبابه ، وصباحُ الصلاح بما ألم قد قد
إهابه ، فقد كان ظهر قديما من اختلال الأحوال ما أبأس ، وتبين من
فساد التدبير ما أبلس^٢ ، حتى تدارك فتق ذلك سلفك ، فرتقه جميل
نظرهم ورأبه ، وصرفه مشكور أثرهم وشعبه :

١ م س : تخترم ؛ أصل ط : تتخرم .

٢ م س : أبس .

فعاد الشملُ منتظماً هنياً وأضَ الصَّدْعُ ملتئماً سوياً

ثم تَوَلَّيْتَ فَكَفَيْتَ، وَخَلَفْتَ فَأَرَبَيْتَ، وَبَزَعْتَ فَأَوْرَيْتَ، فَالْأَناسُ
مَذْبُوءَاتُهُمْ رَحَبَ جَنَابِكَ فِي عَطْنٍ يُرْبِي عَلَى لَيْنِ الدِّمَقْسِ، وَتَحْتَ مِئَنٍ
تَعْلُو عَلَى مُنَى النَّفْسِ، فِي زَمَانٍ كَالرَّبِيعِ اعْتَدَلَ هَوَاؤُهُ، وَتَشَاكَهَتْ أَرْضُهُ
وَسَمَاوُهُ، وَاخْضَرَّتْ بِالنَّبْتِ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهَا الرَّقِيعُ، وَتَعَمَّمُ بِالنُّورِ جَمِيمُهَا فَتَقُولُ
هُوَ التَّرْصِيعُ، فَفَضْلُكُمْ فِي الْأَعْنَاقِ أَطْوَاقُ، وَمَجْدُكُمْ لِلْأَفَاقِ إِشْرَاقُ،
وَحَيْثُمَا حَلَلْتِ: الْأَرْضُ عُرَاقُ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ هُوَ^١ إِلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ مُشْتَاقُ،
فَلَا تَحْزِمْنِي وَصْلًا كُنْتُ جَاهِدًا فِي إِنْبَاطِهِ، وَلَا تَصْدَقْنِي^٢ عَنْ مَنْهَلٍ كُنْتُ
صَدْرًا فِي فُرْطَاةٍ، فَأَحَقُّ الْوَرَى بِجَزِيلِ تِلْكَ الْآلَاءِ، وَأَخْلَقَهُمْ بِمُتَرَكِّ تِلْكَ
السَّمَاءِ، أَنْصَحُهُمْ لَهُ جَيِّيًا، وَأَصْحَهُمْ فِيهِ غَيِّيًا :

أَعْبَادُ كَلَّا ^٣ قَدْ عَلَوَتْ فُضَائِلًا	تَقَاصَرَ عَنْهَا كُلُّ أَرْوَعَ مَا جَدِ
فَأَوَّلَهَا جُودُ ^٤ أَرَانَا أَكْفَهُمْ	جَمُودًا كَكَفٍّ لَمْ تَوَيْدُ ^٥ بِسَاعِدِ
وَسَعِي ^٦ لَّا تَبْغِي بِخَيْلٍ سَعْيَهُمْ	تَلَا عُبَّ وَلَدَانِ ^٧ أَطَافَتْ بِوَالِدِ
وَنَصْرَ لِمَنْ ^٨ وَالْيَتَّ يَرْدِي عَدُوَّهُ	رَدَى أَهْلَ جَوِي ^٩ فِي وَقِيعَةِ خَالِدِ
[١٩] مَنَعَتْ بَنِي جَالُوتَ مَا قَدَّ أَبَاحَهُمْ	سَوَاكَ ^{١٠} بِحَرْبٍ قَبَّدَتْ كُلَّ شَارِدِ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ أَسُودًا بِرُوضَةٍ	تُرَاعِي عَصَا رَاعٍ ^{١١} وَتَعْنُو لِرَائِدِ
عَجَائِبُ مَجْدٍ أَعْجَزَتْ مِنْ سَوَاكُمُ	وَمِنْ سَرَّهَا الْمَشْهُورِ صِدْقُ الْمَوَاعِدِ

١ م : بالروض .

٢ د : من هوى ؛ وسقط من م س ، وموضعه في ط كلمة غير واضحة .

٣ د : تصرفني .

٤ جو : اليمامة ، ووقيعه خالده فيهم في حروب الردة مشهورة .

٥ بعد هذا البيت في م س : ومنها

فان راثَ امرِي فادركني برحلةٍ
وَحِدْبٌ مَكَاناً أَنَّهُ فَرَضَاكُمُ
فَقَدْ جَدَّ أَمْرٌ هَدَى شَرْعَ مُحَمَّدٍ
لِكُلِّ يَبِينُ الرَّأْيُ عِنْدَ وَفَاتِهِ
أَضَاعُوا وَجْهَ الْحَزْمِ يَوْمًا فَعَزَّاهُمْ^١
إِلَى مَأْمَنِ فَالْخَوْفُ أَعْجَلُ طَارِدِ
هَوَايَ وَإِنْ أَغْشَى كَرِيهَ الْمَوَارِدِ
وَمَا مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِ مِثْلُ شَاهِدِ
وَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ بَعْدَ نَهَشِ الْأَسَاوِدِ
عَلَى أَمْرِهِمْ مِنْ لَيْسَ عَنْهُ بِهَاجِدِ

وفي فصل منها : فالثمرة من ساقها ، والجياذ على أعراقها ، ولئن
لذت تلك الثمرة لذائق ، وشدخت غرة تلك القرحة لرامق ، لما يبين^٢
كُنْهَ المجتني قبل نَفْطُرِ أَكْمَامِهِ ، ومما يصحح عِتْقَ الجَنِينِ^٣ قبل أَوَانِ
فَطَامِهِ ، فلنوي الأبصار أدلة على العتق لائحة ، ولأولي الألباب شواهد
على الكرم واضحة ، وبحق أدركت ، فعلى السوابق سلكت ، وبمشاعر
المعالي نَسَكْتَ فَنَسَكْتَ :

« وما بك من خير أتوه فلانما توارثه آباء آبائهم قبل »
« وهل يُنْبِتُ الخَطِيَّ إِلَّا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل »
« وقول رسول الله أعدل شاهد فحكمته شرع ومنطقه فصل »
يقول : بنو الدنيا معادن ، خيرها إذا ما زكوا من كان قديماً له الفضل

١ في النسخ : فغرم .

٢ ط م : لما تبين ؛ س : لما يبين ؛ وسقطت من د ، وأثبتنا ما في هامش ط .

٣ م س وهامش ط : المجتني .

٤ م ط س : وبمشاعر .

٥ البيتان الأولان لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١١٥ .

وصلّى الله على رسوله فقد نبّه بتصحيح ، ودلّ دلالة نصيح ، فان
المعادن لا تؤتي غير معهودٍ فليزها ، كما لا تصحّ الدوائر إلا على نقطةٍ
مركزها ، فمن طلب النبل في غير معادنه ، واستثار الخير من غير مكانه ،
أعجزه من مطلبه مرامه ، وطاشت في سهمه أعلامه ، بل قد
ضلّ قصد السبيل ، واعتسف الفلاة بغير دليل ، فسقط العشاء به على
سرحان^٢ ، وأفضى القضاء به إلى الطوفان ، وإنما هو الفجر أو البحر^٣ .

ومن شعره أيضاً يحض على الجهاد ،
ويستنفر كواف البلاد^٤

قوله :

بيت الشر فلا يستزل طرق التوأم سيمع أزل^٥
فثبوا واخشوشنوا واحزبوا كل ما رزى سوى الدين قل^٦
صرح الشر فلا يستقل^٧ إن نهلم جاءكم بعد عل^٨
بدء صق الأرض نشء وطل^٩ ورياح ثم غيم أبلى^{١٠}

١ ط م د س : واستشار .

٢ المثل في فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢١ والمسكري ١ : ١٥ (تحقيق أبو الفضل)
والمستقصى : ٢٢٦ واللسان (سرح) وجمهرة ابن دريد ٢ : ١٣٢ .

٣ من كلام أبي بكر الصديق . يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر أبصرت قصدك وإن
خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه ، يضرب الفجر والبحر مثلا لفترات

الدنيا (اللسان - فجر) وانظر النخبة ١ : ٣٩٤ .

٤ ط م : آل البلاد ؛ س د : إلى البلاد .

٥ النفع : رش : ط م د س : نشو .

قد رَجَتْ عادٌ سحاباً يُهَلُّ فإذا رِيحٌ دَبُورٌ مِحَلُّ
نَقَّبُوا فالداءُ رزءٌ يَحُلُّ^١ واغمدوا سيفاً عليكم يُسَلُّ

ومنها :

يَدُنَا العليا وهمٌ وَيَكْ^٢ شَلُّ فَلِمَ استرعى^٣ الأعزَّ الأذلَّ
عجبٌ الأيام ليثٌ صمل ذعرته نعجةٌ إذ تصل
« خبرٌ ما جاءنا مصمِّلٌ جلٌّ حتى دقَّ فيه الأجلَّ »^٤

قوله : « فنبوا^٦ واخشوشنوا ... » من قول عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه : « اخشوشنوا واخشوشنوا وعليكم باللبسة المعدية » ؛
وقوله : « بدءٌ صَعَقُ الأرض نشءٌ^٧ وطلٌّ » ... معنى مبتذل ، ومنه
المثل « السَّقَطُ يحرقُ الحَرَجَةَ » ، وقال الأول :
والشيء تحقره وقد ينمي^٨

وقال الفرزدق^٩ :

-
- ١ النفع : خفضوا فالداء رزء أجلى .
 - ٢ م ط : بك .
 - ٣ في النسخ : استوى .
 - ٤ ط د : عجبا .
 - ٥ مضمّن من الحماسية رقم : ٢٧٣ في شرح المرزوقي .
 - ٦ فنبوا : سقطت من م ط .
 - ٧ ط د : نشو ؛ م : نشي .
 - ٨ صدره : ان يأبروا تخلا لغيرهم ، الحماسية رقم : ٤٤ للحارث بن ولة الجرمي .
 - ٩ حماسة البحّري : ١٣٦ والمختار : ١٧٢ .

قوارص تأنيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الاناءَ فيفغصمُ

[١٩ ب] وقال نصر بن سيار من أبيات كتب بها لمروان :^١

فان النارَ بالعودين تذكى وان الحربَ مبدأها الكلامُ

وقال أبو تمام ، وعليه عولَ الفقيه ، ولكنه استحقته بما زاد فيه . وهو^٢ :

كم من قليلٍ حدا كثيراً كم مطرٍ بدؤه مُطَيَّرُ

وأخذه أبو عبادة فقال :

وأول الغيث طلٌّ ثم ينسكب^٣

وقال ابن الرومي^٤ :

لا تحقرنَّ سُبَّيْناً قد قاد خييراً سُبَّيْبُ

وقال أبو العلاء ، وحرفته إلى بعض الأنحاء ، ولكنه إليه أشار ، وحواله

دار . *

فأولُ ما يكون الليثُ شبلٌ ومبدأ طلعةِ البدرِ الهلالُ

وكان له فيه إلام ، بقول أبي تمام^٥ :

١ مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٦٩ ، ٢٣٣ .

٢ المختار : ١٧٢ وزهر الآداب : ٥٧٣ .

٣ صدره : وأزرق الفجر يبدو قبل أشبهه ، ديوان البحري : ١٧١ والمختار : ١٧٢ .

٤ ديوان ابن الرومي : ١٤٦ وزهر الآداب : ٥٧٣ وروايته : كم جر (كم قاد) .

٥ شروح السقط : ١٧١٨ .

٦ ديوان أبي تمام : ٤ : ١١٥ .

إن الهلالَ إذا رأيتَ نموَّةً أيقنتَ أن سيكونُ بدرًا كاملاً

وقال العباس بن الأحنف وقصد به قصده ، وكان ينفق مما عنده^١

الحبُّ أوَّلُ ما يكونُ لِحاجةٍ تأتي به وتسوقُهُ الأقدارُ
حتى إذا اقتحم الفتي لجج الهوى جاءتُ أمورٌ لا تُطاقُ كبار

وقال الآخر ، وكأنه نحا به نحواً غريباً ، ولكنه نظر إلى المعنى نظراً مريباً :

فلا تحقرنْ عدوًّا رماك وإن كان في ساعديه قصراً^٢
فان السيوفَ تحزُّ الرقابَ وتعجزُ عما تنال الإبر

ومن كلام المحدثين ما أجروه مجرى الأمثال : « ربّ عشقٍ جُنِّيَ بلفظة ،
وصبايةٍ غُرِسَتْ من لحظة »^٣ . إلى غير ذلك مما لا يُحدّثُ شهرةً ، ولا
يحصي كثرةً .

وقال الوزير أبو حفص من جملة قصيدة :

أيا أسفا للدين إذ ظلَّ نهْبَةً بأعيننا والمسلمونُ شهودُ
أفي حرمِ الرحمنِ يُلحَدُ جَهْرَةً ويجعلُ أشراكَ الإلهِ يهودُ
ويُثَلَّبُ بيتُ الله بين بيوتكم وقادِرُهُ عن ردِّ ذاك قعيد
ويوضَعُ للدِّجَالِ بيتٌ بمكّة ويخفى عليكم منزعٌ وقصود

١ ديوان العباس : ١١٦ .

٢ النسخ ٣ : ٢٣١ ، وردا غير منسوين ، وهما في التمثيل والمعاصرة : ١١٥ لابن
نباتة السعدي وانظر نهاية الأرب ٣ : ١٠٤ واليتيمة ٢ : ٣٩٦ .

٣ في الميداني (١ : ٢١٤) رب صباية غرست من لحظة . رب حرب شبت من لفظة .

٤ في النسخ : شهود .

أَعِزَّكُمْ أَنْ تُدْهِنُوا فِيمَسَّكُمْ . عِقَابٌ كَمَا ذَاقَ الْعَذَابَ ثَمُودُ
وَأَقْبَحُ بِذِكْرِ يَسْطِيرَ لَأَرْضِكُمْ يَوْمٌ بِهِ أَقْصَى الْبِلَادِ وَفُودُ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ جَانِسَ الْحَوْضِ ضَفَدَعٌ وَقَدْ مَآ تَسَاوَى مَطْلَبٌ وَشُهُودُ
يَقُودُ امْرَأً طَبْعٌ إِلَى عِلْمِ شَكْلِهِ كَمَا انْمَازَتْ الْأَرْوَاحُ وَهِيَ جُنُودُ

وهذا المصراع الأخير ، إلى معنى الحديث^١ يشير : « قلوب المؤمنين
أجناد مجتدة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »^٢ ، وأخذه
الحسن فقال^٣ :

إِنَّ الْقُلُوبَ لِأَجْنَادٍ مَجْتَدَةٍ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ بِالْأَهْوَاءِ تَعْرِفُ
فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهُوَ مُؤْتَلِفٌ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا فَهُوَ مُخْتَلِفٌ

[٢٠ أ] وقال الوزير أبو حفص من أخرى :

تَبَارَكَ مَنْ تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ وَأَسْلَكَ خَلْقَهُ سُبُلَ الْفَنَاءِ
وَشَتَّتَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ انْتِظَامٍ وَكَدَّرَ وَرْدَهُمْ إِثْرَ الصَّفَاءِ
وَلَمْ يُجَبِّرِ الْأُمُورَ عَلَى قِيَاسٍ فَلَيْسَتْ دَارُنَا دَارَ الْجَزَاءِ
فَتَبَصَّرَ مُحْسِنًا يَجْزَى بِقُبْحٍ وَذَا ضَمَعَةٍ يَقَادُ إِلَى السَّاءِ
وَقَدْ كُنْتُ أَعْتَلَقْتُ أَجَلَ مَلِكٍ وَأَعْلَمَهُمْ بِنَقْبٍ أَوْ هِنَاءِ^٤

١ م : البيت .

٢ في صحيح مسلم ٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦ الأرواح جنود مجتدة ما تعارف . . الخ الحديث .

٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .

٤ في النسخ : تختلف .

٥ في النسخ : اعتقلت ، وما أثبتته من هامش ط .

٦ يشير إلى المثل : « يضع الهناء مواضع النقب » والهناء : القطران ، والنقب : الحرب ،
يضرب مثلاً للحاذق البصير في الأمور ، وهو من شعر دريد بن الصمة في الخنساء ، وصدر
البيت « متبدلاً تبدو محاسنه » .

ومن يجهد لندياه حريصاً فليس بجائرٍ غيرَ العناء
ومن يثق الزمانَ يجده خبياً ويَصْرَعُهُ على حين الرجاء
إذا كان الدواءُ به اعتلاي فأبي الخلق أرجو للشفاء

وهذا كبيت عدي بن زيد^٢ :

لو بغير الماءِ حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعتصاري

وأرى الوزير أبا حفص إنما عَوَّلَ فيه على قول أبي بكر رضي الله عنه
وقد قيل له : لو سألنا لك الطبيب ، فقال : « الطبيبُ أَعَلَّتِي » .

فصل في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي^٣ ، من باجة الأندلس^٤ ،
والإتيان بلمعةٍ من أخباره التي زاحمت في بيوت شرفها الكواكب ،
وقطعةٍ من أشعاره التي ملأت بفوائدها وطُرُقِها المشرقَ والمغرب
قال ابن بسّام : نشأ أبو الوليد هذا وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء ،

١ في النسخ ، لدى ، وما أثبتته من هامش ط .

٢ ديوان عدي : ٩٣ .

٣ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (أو سعدون) بن أيوب التجيبي ، أحد أقطاب المذهب المالكي ، وصاحب المؤلفات الفقهية القيمة ، منها المستقى وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرهما ، توفي بالمرية سنة ٤٧٤ ؛ (انظر ترتيب المدارك : ٨٠٢ والديباج المذهب : ١٢٠ والمرقبة العليا : ٩٥ وبغية الملتبس رقم : ٧٧٧ والصلة : ١٩٧ والقلائد : ١٨٨ والمغرب : ١ : ٤٠٤ وتهذيب ابن عساكر : ٦ : ٣٤٨ ومعجم الأدباء : ١١ : ٢٥٦ والإكمال : ١ : ٤٨٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وابن خلكان : ٢ : ٤٠٨ والشذرات : ٣ : ٣٣٤ ونفح الطيب : ٢ : ٦٧ ومرآة الجنان : ٣ : ١٠٨ وفوات الوفيات : ٢ : ٦٤ وعبر الذهبي : ٣ : ٢٨٠ والروض المعطار : ٧٥ .

٤ باجة الأندلس (Beja) : تقع في البر تغال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

ومكانه من النثر والنظم يسامي مناط الجوزاء ، وبدأ في الأدب فبرز في ميادينه ، واستظهر أكثر دواوينه ، وحمل لواء منشوره وموزونه ، وجعل الشعر بضاعته فوصل له الأسباب بالأسباب ، ونال به مآكل القُحْم الرغاب ، حتى جُنَّ الإحسان بذكره ، وغنى الزمان بغرائب شعره ، واستغنت مصر والقيروان بخبره عن خبره ، ولم تزل أقطار تلك الآفاق تواصله ، وعجائب الشام والعراق تغالزه ، حتى أجاب ، وشدت الركاب ، وودَّع الأوطان والأحباب ، فرحل سنة ست وعشرين ، فما حلَّ بلداً إلا وجده ملآن بذكره ، نشوان من قهوتي نظمته ونثره ، ومال إلى علم الديانة ، وقد كان قبل رحلته تولَّى إلى ظله ، ودخل في جملة أهله . فمشى بمقياس . وبنى على أساس . فلم يبعد أن أصبح نسيج وحده ، في حله وعقده . حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه . ويرتاحون إلى الأخذ عنه ، وحتى علم العلم أن له أشكالا . وتيقن أهل العراق أن بالأندلس رجالا ، ثم كر ، وقد نفع وضراً ، وأحلى وأمر ، واستقضي بطريقه بحلب ، فأقام بها نحواً من عام . ثم نازعه [٢٠ ب] هوى نفسه ، إلى مسقط رأسه ، ومنبت غرسه . من أرض الأندلس ، فورد وعشب بلادها ناب وظفر . وصوب عهادها دم هدر ، ومالها لا عين ولا أثر ، وملوكها أضداد ، وأهواء أهلها ضغائن وأحقاد ، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد . فأسف على ما ضيَّعه ، وندم لو أجدى عليه ذلك أو نفعه ، على أنه لأوّل قدمه رفع صوته بالاحتساب ، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلّة ما انبت من تلك الأسباب ، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعاً واعية . بل نفخ في عظام ناخرة ،

وعكفَ على أطلالِ دائرة ، بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب ، وأجزل حظه بالتأنس والتقريب ، وهو في الباطن يَسْتَهْجِلُ نَزْعَتَهُ ، ويستثقلُ طَلْعَتَهُ ، وما كان أفطنَ الفقيه ، رحمه الله ، بأموهم ، وأعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالاً تثوب ، ومذنباً يتوب ، ولم يَخْلُ مع ذلك من تأليفِ الدواوين وتدريسها ، وتشيد المكارم وتأسيسها .

بلغني عن الفقيه أبي محمد بن حزم أنه كان يقول : لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب^١ مثل أبي الوليد الباجي . وقد ناظره بميوزقة فقلَّ من غَرَبِهِ ، وسبَّبَ إحراقَ كتبه ، ولكنَّ أبا محمد وإن كان اعتقد خِلَافَهُ ، فلم يطرحْ إنصافه ، أو حاول الردَّ عليه ، فلم ينسب التقصير إليه . وتوفي أبو الوليد الباجي ، رحمه الله ، سنة أربع وسبعين ، وهو بسبيله من تصنيف الدواوين ، في علوم الدين ، وقد أخرجت ما وجدت من كلامه في هذا الفن الذي أنا في إقامة أوده .

ووجدت للوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر رقعةً كتبها عن مجاهد أمير دانية ، وقَفَّتْهُ ، إلى المظفر بيبطليوس في صفته ، يقول في فصلٍ منها : الآفاق — أيديك الله — وإن وارت الأنوار والشهب ، والأبعادُ وإن كُشِفَتْ^٢

١ هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر القاضي (- ٤٢٢) (انظر في ترجمته ترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ وطبقات الشيرازي : ١٦٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والديباج المذهب : ١٥٩ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمرقبة العليا : ٤٠ والفوات ٢ : ٤١٩ وستأتي ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة ؛ وانظر كذلك مصادر أخرى ذكرت في حاشيتي الوفيات والفوات) .

٢ في النسخ : كُشِفَتْ .

الأسرار والحجب ، فلن تحجب أنوار الفضل والكرم ، ولن تسد مطالع
 المآثر والهمم ، ولن تقطع تعامل التواصل والوداد ، وتدأب التضافر^١ والإنجاد ،
 وتلك حالنا فإننا على بعد الدار ، وشحط المزار ، ننطوي على أنفس
 متجاوزة متلاصقة ، ونأوي^٢ إلى مذاهب متوافقة ، والفقيه الحافظ أبو الوليد
 الباجي غدي نعمتك ، ونشأة^٣ دولتك ، هو من آحاد عصره في
 علمه ، وأفراد دهره في فهمه ، وما حصل أحد من علماء الأندلس متفقهاً
 على مثل حظمه وقسمه ، وقد تقدم له بالمشرق صيت وذِكْرٌ ، وحصل
 بجزيرتنا^٤ ولك فيه جمال وفخر ، فإنه إليك تنعطف أسبابه ، وعليك
 تلتقي وتلتف آراؤه ، لكن شددت عليه يدي ، وجعلته عَلمَ بلدي ، يشاور
 في الأحكام ، ويهتدى إليه في الحلال والحرام ، فقد ساهمتك به ، وشاركك
 فيه ، كما تساهمنا وتشاركنا في الأحوال السلطانية ، والأمور الدنياوية .

١ د : التظافر .

٢ في النسخ : فانك . . . ننطوي . . . ونأوي .

٣ د : وغرس .

٤ د : بجزيرتنا .

ما أخرجه من أشعاره في أوصاف شتى

فمن ذلك قوله ^١ :

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعه ^٢
فليمُ لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعه

وقوله في صفة قلم :

وأسر ينطق في مشيه ويسكتُ مهما امرَّ القدمُ
على ساحة ليلها مشرقٌ مُنيرٌ وأيضُها مدلتهمُ
وشبهتُها بيباض المشيب يخالط نور سواد اللثمُ

[ودخلَ بغداد والحِرمان قد كساه سراويل، ورماه بطير أبابيل، وقاضي

١ بهامش ط : جملة من شعر أبي الوليد ، وليس في النسخ شعر أو نثر له ؛ وقد جاء في هامش ط المقطوعتان الأوليان الثابتان هنا ، وهناك ما يفيد أنهما نقلتا من نسخة عتيقة ؛ ثم كتب بهامش النسخة نفسها بخط مغاير كثيراً لخط الأصل : « بل بقي نحو الورقة ونصف » وكتب عندنهاية الترجمة ، « بقيت خمسة أبيات » ، وهذا الذي أثبتته هنا إنما جاء في الطبعة المصرية (١٩٧٥) اعتماداً على النسخة الكتانية ؛ وقوله « ما أخرجه » - بضمير الغائب - دليل على أنه ملحق بمجهود رجل آخر عدا ابن بسام ، لعله وجده في مسودات ابن بسام نفسه ، أو لعله أضافه مشاكهاً عمل ابن بسام في المقدمات المسجوعة ، وما جاء به مسجوعاً هنا يقارب طريقة ابن بسام ، ولكنه لا يطابقها تماماً . هذا وقد خالفت قراءة الطبعة المصرية في عدة مواضع ، دون أن أشير إلى ذلك .

٢ وردت القطعة في ابن عساكر والقلائد والمغرب والفوات وبغية المنتم والصلة والمرقبة العليا وابن خلكان ومعجم الأدباء والنفع وترتيب المدارك والديباج المذهب والروض المطار .

قضاتها السمناني ناصح الدين تاج الإسلام^١ يباري القطر ، ويحلي ديباج
 الفقر ، فقلّده معهود تحفيه ، وسقاه ماء أمانيه ، وأهّبه من نوم فاقته ، وطبّه
 بجودٍ أسرع في إفاقته ، واشتمل عليه اشتمالاً مع صون ماء وجهه عن إراقته ،
 أناله ما أحسّبه والله وأكسّبه ، فاقتصر على نداءه ، واهتصر أفنان جناه .
 وقال يمدحه^٢ :

يا بعد صبرك أنهموا أم أنجدوا	هيهات منك تصبرٌ وتجلّدُ
يأبى سلوكَ بارقٍ متألّقٍ	وشميمٌ عَرَفَ عرارةٍ ومغرّدٍ
في كل أفقٍ لي علاقةٌ خولةٍ	تهدي الهوى وبكلّ أرضٍ تُهدّ
ما طال عهدي بالديار وإنما	أنسى معاهدها أسيّ وتبلّدُ
ولقد مررتُ على المعاهد بعد ما	لبس البداوةَ رسمها المتأبّدُ
فاستنجدتُ ماء الدموع ليّنهم	فتتابعَتُ حتى توارى المنجّدُ
طفقتُ تسابقني إلى أمد الصيا	تلك الرُبي ومنالُ شأوي يبعدُ
لو كنتُ أنبأتُ الديارَ صبابتي	نخلٌ ؛ الصفا بفنائها والجلمدُ
لله أيامُ الشبابِ وحُسْنُها	وغصونهنّ المائساتُ الميّدُ
أيامَ أنفضُ للمراح ذؤابتي	بين اللداتِ ودرع بردي مُجسّدُ
أتقنصُ الظمّيّاتِ في سُبُل الصبا	فيصيدهن لي العذار الأسودُ

١ هو القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني - سنان العراق - كان فقيهاً متكلماً
 على مذهب الأشعري وقد أخذ عنه الباجي علم الكلام بالموصل لا ببغداد ، وتوفي السمناني
 سنة ٤٤٤ (الباب والمتنظم ٨ : ١٥٦) .

٢ منها بيتان في معجم الأدباء ١١ : ٢٤٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٣ في البيت إشارة إلى مطلع معلقة طرفة .

٤ النفع ومعجم الأدباء : رق .

وأبرّ ما سبق المشيب المولد
وبصرتُ فالتاح السيلُ الأقد
وسعى إليّ من الخطوب مُعَرِّدُ
تَسْتَبْعِدُ الأيامُ عنديَّ يبعدُ
أدنى منازلها السُّها والفرقدُ
أملٌ مطالبه العُلا والسوددُ

حتى علاني الشيبُ قبل تحلُّمِ
وحجّيتُ أسنّ الحلم في زمن الصبا
وسقّني الدنيا زُعاقَ خمارها
ما هالني صعبُ المرام ولا الذي
أستقربُ الهدفَ البعيدَ بهمةٍ
أسري إذا اعتكر الظلامُ وقادني

ومن مديحه :

ورسّت قواعدهُ وحلّ المِقودُ^١
لا يستضام ونبعهُ لا يقصد
دامٌ ولا للفضلِ عنه مَبْعَدُ
إذ بالحضيض لغيره مستوقد
عَلِمَ الهدى هذا الإمامُ الأوحد
كانت شياطين [الضلال] تمرّد

حيثُ التقتْ ظُبّةُ السّماحة والعلا
فجنّابهُ لا يُستباحُ وجارهُ
حرّمُ المكارمِ لا [ينال] فيناه
عالي محلّ النارِ في كَلْبِ الشتا
هذا الشهابُ المستضاءُ بنوره
هذا الذي قمع الضلالةَ بعد ما

وله في المعتضد بالله^٢ :

بأنعمٍ تبلغ النعائمُ^٣
حتى تغنّت به الحمائمُ

عبادٌ استعبد البرايا
مديحه خيمٌ^٤ كلُّ نفْسٍ

١ حجيت : لزمت وتمسكت بـ .

٢ هذا البيت قلق القراءة .

٣ معجم الأدباء ١١ : ٢٥٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٤ النعائم : منزلة من منازل القمر .

٥ معجم الأدباء والنفع : ضمن ؛ والحيم : الخليقة والطبع .

وله يرثي ابنه ١ :

رعى الله قلبين استكانا ببلدة
لئن غيباً عن ناظري وتبوعا
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلتي
فما ساعدت ورق الحمام أخاصي
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى
أحن ويشتي اليأس نفسي على الأسي

هما أسكنيها في السواد من القلب
فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
سأنجد من صحب وأسعد من سحب
ولا روح تريح الصبا عن أخي كرب
ولا ظمنت نفسي إلى البارد العذب
كما اضطر محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمد ٢ :

أحمد إن كنت بعدك صابراً
ورزئت قبلك بالنبي محمد
فلقد علمت بأنني بك لاحق
لله ذكر لا يزال بخاطري
فإذا نظرت فشخصه متخيل
وبكل أرض لي من أجلك روعة
فإذا دعوت سواك حاد عن اسمه

صبر السليم لما به لا يسلم
ولرزوه أدهى لدي وأعظم
من بعد ظني أنني متقدم
متصرف في صفوه متحكم
وإذا أصخت فصوته متوهم
وبكل قبر عبرة وترثم
ودعاه باسمك ميقول بك مغرم

١ المغرب ١ : ٤٠٥ والقلائد : ١٨٩ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٥٠ - ٢٥١ وترتيب المدارك

٤ : ٨٠٧ ومنها بيتان في ابن خلكان ٢ : ٤٠٨ .

٢ ترتيب المدارك : وأمطر .

٣ القلائد : ١٨٩ والنفع ٢ : ٧٥ .

٤ القلائد والنفع : لوعة . . . وقفة وتلوم .

حَكَمَ الردى ومناهجٌ قد سنَّها لأولي النهى والحِذْقِ قبلُ مُتَمِّمُ
فلئن جزعتُ فلئن ربِّي عاذِرٌ ولئن صبرتُ فإنَّ صبري أَكْرَمُ

وله يمدح الأمير معز الدولة أبا علوان ابن أسد الدولة ٢ :

محلُّ الهوى من سرِّ حبك أهيلُ وصرفُ النوى عن شملِ شوقي غافيلُ
ولله طيفٌ لا يُلْمُ كأنما له من سهادي في الزيارة عاذلُ
غدا نافرأ لا أستطيعُ اقتناصهُ ولو أنِّي لي يوم الكئيبِ حبايلُ
تبيتُ جفوني صاديّاتٍ من الكرى ولكنتها من ماءِ دمعي نواهيلُ
لئن أمطرتُ روضَ الحدودِ سحابُها لقد صديتُ منا قلوبٌ مواجلُ
خليليّ ها فاستعرضا الركبَ منهما فقد درجتُ في الريحِ منها رسائلُ
أسروا إلى الليلِ البهيمِ سُرَاهُمُ فننمَّتْ عليه في الشَّمالِ شمائلُ
متى نزلوا ثاوين في الخيفِ من منى بدتُ للهوى بالمازمينِ مخايلُ
فلله ما ضمتُ منيَّ وشعابُها وما ضمتُ تلكَ الربى والمنازلُ
ولما التقينا للجِمارِ وأبرزتُ أكفٌ لتقليبِ الحصى وأناملُ
أسرَّتْ ٥ إلينا بالغرامِ محاجرُ وباحت به منّا جُسومٌ وواحلُ
سقى أثلاثَ الجزعِ من أم مالك عشارُ سحابٍ مُترعاتِ حوافِلُ

١ القلائد والنفح : والحزن .

٢ منها أبيات في نفح الطيب ٢ : ٨٤ : ومدوح الباجي هذا هو ثمال بن صالح المرداسي صاحب حلب ، فهذه القصيدة مما قاله بالمشرق .

٣ النفح : بالخيف .

٤ النفح : لتقبيل (وما هنا أصوب) .

٥ النفح : أشارت (وما هنا أصوب) .

وله بمدحه :

لريّاهمُ في عَرَفٍ رَبَّكَ عُنْوَانُ
وفيك من الحِمَى الذين تحمّلوا
وكم ليلةٍ فيها تعسّفتُ حولها
سريّنا كما يسري الخيالُ وغُصّضتُ
لبِسنا برودَ الليلِ حتى تشقّقتُ
حويتَ معزَّ الدولة المُلْكَ فاعتزّى
فللمجدِ سِلْكُ قد أجيدَ نظامه

ومن حُسْنهم في حُسْنِ مَغْنَاكَ تِيَانُ
مخايلُ أغصانِ تيمسُ وكُتبانُ
وكالِئها مني مشيحٌ ويقظانُ
على ركبنا من ناظرِ الليلِ أجفانُ
جيوبٌ تضيءُ بالصباحِ وأردانُ
بذِكركَ في الآفاقِ مُلْكٌ وسُلطانُ
وأنتَ لذاك السلكِ دُرٌّ ومرجانُ

وله :

تجنّبْ بجهلك ما صوروا
فإن الرسولَ عليه السلامُ

وإن كان في سِتْرٍ أو [مبثّر]¹
أحقُّ العذابِ لمن صورَه

وله :

تبلّغْ إلى الدنيا بأيسرِ زادٍ
وغُصَّ عن الدنيا وزخرفِ أهلها
وجاهدِ عن اللذاتِ نفسَكَ جاهداً
فما هذه الدنيا بدارٍ إقامةٍ
وما هي إلا دارُ هوى وفتنةٍ

فلأنك عنها راحلٌ لمعادٍ
جفونك واكحلها بطولِ سهادٍ
فإنَّ جهادَ النفسِ خيرُ جهادٍ
فيُعْتَدَّ من أغراضها بعتادٍ
وإن قصارى أهلها لنفادٍ

وله :

١ انظر النهي عن التصاوير في السّر في سنن النسائي ٨ : ٢١٢ . والميثرة كهيمة المرفقة أو الثوب تجلّل به الثياب ؛ وهذه القراءة تقديرية .

يا قابُ إمّا تُلْهِي كاذباً
تشغلي عن عملٍ نافعٍ
أحرّ بأن تُسلمني نادماً
وحاق بي ما جاء عن ربّنا
أو صادقاً عن الهدى جائراً
في موقف ألقاك لي ضائراً
إن لم ألق الله لي عاذراً
(ووجدلوا ما عملوا حاضراً)

وله في معنى السفر :

إذا كنتَ ربي في طريقيّ صاحباً
فسهّل سبيلي وازو عنيّ شرّها
وتخلّفتني في الأهل ما دمتُ غائباً
وشرّ الذي ألقاه في الأهل آيباً

وله في معنى الحمد والشكر :

الحمدُ لله ذي الآلاءِ والنعمِ
مَنْ يحمِدُ الله يأتيه المزيدُ ومن
ومُبْدِعِ السَّمْعِ والأبصارِ والكلمِ
يكفّرُ فكم نعمِ آلتُ إلى نِقَمِ

وله :

الحمدُ لله حَمْدَ مُعْتَرِفٍ
وأنّ ما بالعباد مِنْ نِعَمٍ
وانّ شكري لبعضِ أنعمه
بأنّ نِعَمَاه ليس نُحْصِيهَا
فلنّ مَوْلى الأنام مَوْلِيهَا
من خير ما نعمةِ يواليها

وله في قيام الليل :

قد أفلح القانتُ في جُنْحِ الدُّجَى
فقائماً وراكعاً وساجداً
له حنينٌ وشهيقٌ وبُكَا
يتلو الكتابَ العربيّ النيرا
مُبْتَهِلاً مُسْتَعْبِراً مُسْتَغْفِراً
يبلّ من أدمعه تُرْبَ الثرى

١ الأبيات في ابن عساكر ٦ : ٢٥٠ (ما عدا الثاني) .

إِنَّا لَسَفَرٌ نَبْتَغِي نَيْلَ الْمَدَى فِي السُّرَى بُغْيَتُنَا لَا فِي الْكُرَى
مَنْ يَنْصَبِ اللَّيْلَ يَنْلِ رَاحَتَهُ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمَ السُّرَى^١
وله :

وَتَبَقَّنْ بِأَنْتَ الدَّهْرَ تُمْلِي فِي كِتَابِ الْمُسْتَحْفَظِينَ الْكِرَامِ
ثُمَّ تُوْتِي يَوْمَ الْكِتَابِ كِتَابًا نَاطِقًا بِالْفَجُورِ وَالْآثَامِ
وَأَرَى عَشْرَةَ اللِّسَانِ ، وَإِنْ لَمْ تَبْدُ ، أَنْكِي مِنْ عَشْرَةِ الْأَقْدَامِ
وَأَرَى الْقَوْلَ كَالسَّهَامِ فَإِنْ كَا نَ قَبِيحًا عَادَتْ عَلَيَّ سَهَامِي
وَمَنْ الْغِيَّ أَنْ أَصَابَ بِسَهْمِهِ وَأَنَا مَالِكٌ يَمِينُ الرَّأْمِي [

الوزير أبو عامر بن مسلمة^٢

طائلُ الدهر ، وعَلَمٌ بُرْدَةٌ ذَلِكَ الْعَصْر ، وأحدُ جِهَابِذَةِ الْكَلَامِ ،
وجماهيرُ الشَّارِ وَالنَّظَامِ ، من قومٍ طَالَمَا مَلَكُوا أَرْمَةً الْأَيَّامِ ، وَخَصَّصُوا
بِالسِّنَةِ السُّيُوفَ وَالْأَقْلَامِ ، لم يَزَالُوا أَقْمَارًا فِي آفَاقِ الْكُتَابِ ، وَصُدُورًا فِي
صُدُورِ الْمَرَاتِبِ ، وَكَانَ أَبُو عَامِرٍ هَذَا مِنْ شَرَفِهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْفَصِّ مِنْ الْخَاتَمِ ،
وَبِمَكَانِ السَّرِّ مِنْ صَدْرِ الْحَازِمِ . وَلَمَّا ثُلَّتْ تِلْكَ الْعُرُوشُ الْأُمُويَّةُ ، وَاخْتَلَّتْ
تِلْكَ الدُّوَلَةُ الْقُرْطُوبِيَّةُ ، تَحَيَّرَ إِلَى الْمُعْتَصِدِ ، لِأَمْلَاقٍ قَدِيمَةٍ كَانَتْ لَهُ فِي الْبَلَدِ ،
فَعَاشَ بِفَضْلِ وَفَرِهِ ، وَتَصَوَّنَ عَنِ الدَّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، إِلَّا عَنْ زِيَارَةِ

١ انظر المثل في فصل المقال : ٢٥٤ ، ٣٣٤ والميداني ١ : ٣٠٣ والفاخر : ١٥٨ والعسكري
(بهامش الميداني) ٢ : ٦٤ .

٢ ترجمته في الجذوة : ٦١ (والبغية رقم : ١٠٧) والمطبع : ٢٣ والمغرب ١ : ٩٦ .

لما ، ومنادمة في بعض الأيام ، جَدَّتهُ إليها ، وغلبه مضطراً عليها ، ولم يزل يتخادع له عن ذلك استدفاعاً لشره ، ومداراةً على بقيّة عمره ، حتى مات مستوراً بماله ، مبقًى على أشكاله ، وله منظومٌ مطبوع ، ونثر بديع ، وقد وقع إليّ من إملأاته ، وغرائب أدواته ، تأليفٌ جمعه للمعتضد سماء على ما اقتضاه مطابقة الزمان ، ومذهب الأوان « حديقة الاربّاح في صفة حقيقة الراح » دلّ على كثرة روايته [١٢١] وجودة عنايته ، إلى غير ذلك من نظمته ونثره ، وأوردت منه طرفاً شاهداً على ما أجريتُ من ذكره .

جملة من شعره

نقلت من خطه قال : كتبت يوماً بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي عليّ إدريس وأبي جعفر بن الأبار^١ مستدعياً لهما :

أيا	شقيقي	إخاءِ	ويا	قسيميّ	صفاءِ
ومن	هما في	ذوي	الفه	م	جوهرُ
تفضلاً	وأجيباً	إلى	نديّ	نداء	
لتأنسا	بحديثِ	وقهوةِ	وغناء		

١ م س : على ما أخرجت .

٢ أبو عليّ إدريس بن اليماني ترد ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٣٦ وابن الأبار سترد ترجمته في هذا القسم : ١٣٥

قال ، فأجاني إدريس :

يا صِنُوْ ماءِ السماءِ	في رقةٍ و صفاءِ
ويا سراجَ ضياءِ	يجلو دجى الظلماءِ
بهرتَ سيما ذُكاءِ	في بهجةٍ و ذكاءِ
وحزتَ في العلياءِ	قوادمَ الجوزاءِ
يا حاتمَ الكرماءِ	وأحمدَ الشعراءِ
بادهتنا بلالَ	سواطعِ اللآلِءِ
قريضُ حُسنٍ كلرٌ	على طلى الحسناءِ
يقود في كلِّ معنى	معنى الغنى والغناءِ
وقد أجبنا إلى ما	دعوت من آلاءِ
[لازال] نجمك ^١ أسمى	من نجم كل سماءِ

قال الوزير أبو عامر : وبعث إليّ أبو الأصبع بن عبد العزيز^٢ باكورَ بهارٍ وكتب معها :

وبهارٍ أَلْمَ قَبْلَ الأَوَانِ	في بهاءٍ يروقُ رأيَ العيانِ
أمكن القطفَ في مدى شهرٍ تشرى	نَ على غيرِ عادةٍ الإمكانِ
سبق الزهر ^٣ في الفضائلِ طراً	وكسا بالجمالِ فَضْلَ الزمانِ

قال ، فأجبتُه :

١ م ط س : بجنت .

٢ سيأتي طرف من خبره في هذا القسم : ٢٠٦ .

٣ م ط د س : الدهر .

يا إماماً في السبق يومَ الرهان كلّ حين يؤمّني بالأمان
وصل النرجس المبكر يحكي سبقَ عبادِ الملكِ اليماني
يا بهارَ الرياضِ أنتَ بهارٌ باهر الأتوار^١ والريحان

قال الوزير أبو عامر : وأعلمتُ ابنَ الأَبَر بخبر البهارة ، وكان عليلاً
وقلت له : إني نادمتها ليلتي ، وجعلتها مؤنستي على قهوتي ، فكتب إلي :

بالله كيف النديمة يا ذا السجايا الكريمة
عذراءُ تعبقُ شمماً وأنت تعبقُ شيمه
أحبّبتُ بها بكرَ نورٍ من البهار يتيمه
فتلك عندي والعو دَ لا نديما جدّيمه
فاصببْ فُديتَ عليها من المدامة ديمه
والدهرُ يمضي فبادرْ من الزمانِ غنيمه
وانعمْ بدولة ملكٍ ثنى الغيوث لثيمه
عبادِ المُصنّفِ المج دَ باللهي المظلومه

وله في وصف مشروب زيب :

مُرّةٌ ماتت زماناً بحجابٍ يحتويها
لَبِثَتْ في بطنِ أمّ غَيَّبَتْهَا عن بنيتها
ألحَدَتْهَا الشمسُ دهرأً ثم عاد الروحُ فيها
كان ماءُ المزن عيسى^٢ إذ وضعناه بفيها

١ كذا في م ط د س ، وهو مختل ، ولعل صوابه « باهري الأنوار » .

٢ م ط س : فيها .

فانبرى منها سراجٌ
وبدأت منها شمسٌ
عزبت ألبابنا إذ
عزبت في شاريها
رائقٌ من يجتليها
عزبت في مطليها

والمصحفي^١ قبله القائل :

٢١١ ب] ولما تولت بابنة الكرم جائرٌ
ولم يبق من جثمانها غير جلدتها
وصلت بها الماء القراح حافظاً
عليها فأصلاها بزعمكم الشمساً
غدت للذي تحويه من روحها رمساً
فراح لها جسماً وراحت له نفساً

وذكر الوزير أبو عامر أنه ما رآه ، ولا نظر إليه ، ولا اعتمد عليه ،
ولا قصده ، ولو سمعه لما أورده .

وقال :

ومنهف غصن^٢ الشباب منعس
قد جاء يسمى^٢ بالندام فقلت لا
لا تسقي راح الكؤوس وسقني
فأقام لي من لحظه ورضابه
وضللت في ليلي فأبدى غرة
فيه أطرت إلى الجماح جناحي
إني هجرت تعاطي الأقداح
سحر العمون يقم مقام الراح
راحاً وقام الخد بالتفاح
أغنت عن المصباح والإصباح

قال : وبلغني أن ابن الأبار صد عنه يوماً من يهواه ، وواصل سواه ،
فكتبت إليه :

١ هو الحاجب جعفر بن عثمان المصفي ، منافس المنصور بن أبي عامر ، وقد قضى عليه المنصور
سنة ٣٦٧ (وأخباره في المصادر التاريخية المتعلقة بتلك الحقبة ، وانظر المطح : ٤ - ٨) .
٢ يسمى : سقطت من ط م س .

قد هَجَرَ الأَنسُ والسُّرُورُ
وغيَّضَت غَيْضَةً التَّمَنِّي
وأَقْفَرَ الرَّبْعُ بَعْدَ أَنَسٍ
إِذْ هَجَرَ الشَّادِنُ النَّفُورُ
فَطَرَفُ نَوَارِهَا حَسِيرٌ
فَعَمُرُ لَهْوِ الْفَى قَصِيرُ

قال : فراجعني بهذه الأبيات :

يَا مَنْ بِهِ تَزْدَهِي الدُّهُورُ
وَمَنْ إِذَا احْتَلَّ فِي عُلَاهُ
قَدْ عُوْتُبَ الشَّادِنُ الْغَرِيرُ
وَمَنْ لِي بِالْجَوَابِ نِيهَاً
فَافْتَرَّ عَنْ وَاضِحٍ شَنِيبٍ
ثُمَّ تَلَاَقَتْ لَنَا عُيُونُ
تَرْجَمَ بِالشَّغْرِ عَنْ مَعَانٍ
وَلَمْ نَزَلْ نُعْمِلُ الْحَمِيَا
مَدَامَةً أَفْتَتِ اللَّيْسَالِي
تَخَالُهَا فِي الْكُؤُوسِ سِرًّا
حَتَّى إِذَا مَا الصُّدُودُ^٢ أَوْدَى
فَاهِنًا بِمَا قَدْ هَذَا مُحِبِّ
كَانَ لَكَ اللَّهُ مِنْ وَفَى
إِنَّ الْوَرَى أَصْبَحُوا أَجَاغًا
وَمَنْ لَهُ تَخَضُّعُ الْبُدُورُ
فَكُلُّ جَفْنٍ بِهِ قَرِيرُ
فَعَادَ مِنْ وَصْلِهِ الْيَسِيرُ
وَهُوَ بِمَا قَلْتُهُ خَيْرُ
فِيهِ لِمَتِ الْهَوَى نَشُورُ
تَخَالَفَتْ تَحْتَهَا الصُّدُورُ
ضَنَّ بِإِعْلَانِهَا الضَّمِيرُ
وَاللَّحْظُ مَا بَيْنَنَا سَفِيرُ
وَأَرْضِيعَتُ ثَدْيَيْهَا الدُّهُورُ
وَهِيَ لِشَرَابِهَا سُرُورُ
تَنَاوَلَتْ مَرْجَهَا الشُّغُورُ
خَطَرُكَ فِي نَفْسِهِ خَطِيرُ
وَفَى بِهِ دَهْرُنَا الْغُرُورُ
وَإِنَّكَ السَّائِغُ النَّمِيرُ

١ موضع هذا الشطر بياض في ط د س وقد جاء في م بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ س م : السُّرُور .

لَطْفُفْتَ ظَرْفًا وَطَبِيتَ حَتَّى
لَا زِلْتَ بِالْفَضْلِ لِي مَلِيًّا
تَرْجَمَ عَنْ خُلُقِكَ الْعَبِيرَ
فَلَانِي بِالثَّنَا فَقِيرَ

[١٢٢] وقال الوزير أبو عامر ^١:

أَهْلًا وَسَهْلًا بوفودِ الربيعِ
كَأَنَّمَا أَنْوَارُهُ ^٢ حُلْسَةٌ
وَتَغْرِهِ الْبَسَامِ عِنْدَ الْطُلُوعِ
مِنْ وَثْنِي صِنَاعَةِ السَّرِيِّ الرَّفِيعِ
دَعَا إِلَى اللَّهِو فَكُنْتُ السَّمِيعِ
فَكُلُّ مَا تُبْصِرُ فِيهَا بِدِيعِ
بَثَّ عَلَى الْأَرْضِ دَرَانِيكَ ^٣

قال الوزير أبو عامر : وكُتِبَتْ إلى ابن الأَبار يوماً بهذه الأبيات :

قُلْ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمُتَقَى
انْظُرْ إِلَى الطَّبِيِّ الْأَتَقِ الَّذِي
مِنْ سَرٍّ قَحْطَانٍ وَخَوْلَانٍ
يُخْتَالُ فِي أَبْرَادِ إِحْسَانٍ
كَأَنَّمَا مَقْلَتُهُ بِأَبْلِ
حُقَّتْ بِسِحْرِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
كَأَنَّمَا شَارِبُهُ بِهَجَّةٍ
زَمَرْدٌ مِنْ فَوْقِ مَرَجَانِ
كَأَنَّمَا أَرْدَافُهُ عَالِجٌ
وَقَدَّهُ غُصْنٌ مِنَ الْبَانِ

قال ، فأجابني بأبيات منها قوله :

وَأَبَايَ ذَاكَ الْغَزَالُ الَّذِي
مُقَرَّطَقٌ يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُو
يَحُولُ فِي سَرٍّ وَإِعْلَانِ
رَصْعَةُ الْحَسَنِ بِمَرَجَانِ
أَفْدِيهِ مِنْ أَحْوَرَ أَجْفَانِهِ
نَامَتْ لَكِي تَسْهَرُ أَجْفَانِي

١ منها ثلاثة أبيات في المغرب ١ : ٩٧ .

٢ المغرب : أزهاده .

٣ الدرانيك : البسط .

لما بدا لي جيدُهُ مُتَلَعاً قلتُ لمن قد ظلَّ يلحاني
لا فزتُ منه بجميعِ المنى إن كانَ هذا عندَ رضوانِ
من أينَ للظبي كَأَجْفَانِهِ أو مثلَ ذاكِ الخوطِ للبانِ
ما هو إلاَّ [...] برهانٍ وحجَّةُ اللوطي على الزاني

قال : وكتب إلي ابن الأَبَر أيضاً بهذه الأبيات :

يا مُفْصِحَ الكفِّ واللسانِ بالطَّوْلِ طوراً وبالبيانِ
عندي مَنْ عندَهُ فؤادي ومن تجنَّبه قد براني
أظنها نومةٌ لِقُردي أو غفلةٌ الغرِّ من زماني
وليس سرُّ السرور إلاَّ ضرةٌ أخلاقِكَ الحسانِ

قال فأجبتَه :

يا مالكَ السحرِ والبيانِ وناظمِ الدَّرِّ والجُمانِ
أكرمُ بمولى أجابَ عبداً فأقبلِ الدهرُ بالأمانِ
وانترحتُ دولةً التناهي واقتربتُ دولةً التداني
وكلُّ شيءٍ يكونُ عندي ملكُكَ يا ناظرَ الزمانِ
وقد بعثتُ المدامَ تحكي جزءاً من أخلاقِكَ الحسانِ

الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم^١ :

يبيع ذلك الزمان ، أحد وزراء المعتضد الكتاب الأعيان ، وممن

١ ذكره صاحب الجذوة مرتين : ٦٥ : ٢٨٣ (البقية رقم : ٣٨٣ ، ١٥٧٢) فقال في
الموضع الأول إنه أديب شاعر يروي عنه ابنه عبد العزيز ، وأن ابن حزم ذكره ، وأورد
له في الموضع الثاني أبياتاً من قصيدة طويلة قاماً في القاضي أبي الفرج ابن العطار .

شهيرَ بالإحسان ، في صناعة النظم والنثر ، ولم أقعْ له عند نقلي هذه النسخة إلا على التافه النَّزْرُ ، وعلى ذلك فقد كتبتُ له منهما ما يشهد أنه كان من أهل الرواية والعلم ، وذوي الدِّراية والفهم .

فصول له من مقامة

قال في أولها : سقى عَهْدَكَ أيتها الدمنةُ الزهراءُ كلُّ عهد ، وجاد
قُطْرَكَ أيتها الروضةُ الغناءُ كلُّ قَطْر ، وسال عليك من أدمعي كلُّ
مِلْبِثٍ هَطَّال ، وتناوحتْ عليك من أضلعي كلُّ جنوب وشمال ، منشرةً
أنوارك ، لا مُعَقِّيةً آثارك ، ومهديةً أَرْجَكَ ونسيمك ، لا مُغَيِّرةً
أطلالكِ ورسومك ، فكم لنا في واديك من بُلَهْنِيَّةِ زمانٍ أُنِيق ، وفي
مغانيك من رفاهية عيشٍ رقيق ، نَعْلُ بِكَاسِي عَتَابٍ وإعتاب ، ونرتعُ
في جَنَّبَتِي صَباً وتصاب ، غَدُوْنَا من عشيقٍ إلى صديق ، ورواحنا من
صَبُوحٍ إلى غَبُوق ، وخليلنا مساعد ، وعدوْنَا مباعِد ، ورقينا أعمى ، وزماننا
أعشى ، حتى إذا استيقظ الدهرُ من هجعتِه ، وهبَّ من غطيط رقدته وسكرته ،
ضرب فوقنا بجرانِه ، وصرف إلينا لَهْذَمَ سِنَانِه ، ولبس لنا جِلْدَةَ
النَّمْرِ ، وقلَّبَ لنا ظهرَ المِجَنِّ ، وألقى علينا بَعَاعَه ، وطمس ذوننا^١
شعاعَه ، مسترداً ما وهب وأعطى ، ومكدرأ ما منح وأصفى :

أبدأُ تستردُّ ما تهبُّ الدُّرُ يا فيا ليت جودها كان بخلا^٢

١ م س : جنبي .

٢ ط د : لنا .

٣ البيت للمتنبّي ، ديوانه : ٤٠٠ .

فما لبث أن صدعَ مروتننا ، وقصمَ عروتننا ، وحلَّ عقدنا ،
ونثرَ عقدنا .

وفي فصل منها : وكان لي أليف ، وعقيد شريف ، من صرحاء الاخوان ،
وصيابة الفتيان ، ومُصاص أعيان الزمان ، وحين سَوَّلْتُ لي همتي ما
سَوَّلْتُ ، وخيَلْتُ لي أمنيتي ما خيَلْتُ ، أجَلَّنَا قِداح الرأي ، وأسهمنا
بين القُربِ والنأي ، شاورَ في أمري قريحتهُ ، ونخلَّ لي نصيحته ، وقال :
أرى أن لا تريمَ بيضتكَ^١ وأرومتكَ ، وأن تُوطِنَ أرضك ولا تفارق
عشيرتك ، وأربأ بك عن مُضِلَّاتِ المني ، وأعِيْذُكَ من تُرْهَاتِ لعلِّ^٢
وعسى ، فتحسبُ كل بيضاء شحمة ، وتظنُّ كلَّ سوداء ثمرة^٣ ، وربما
سَقَطَ العشاءُ بكَ على سِرْحان^٤ ، وكلُّ الناسِ بكر ، وفي كلِّ وادٍ
بنو سعدٍ^٥ :

والرفق يمنُ والأناةُ سعادةُ فاستأنِ في رفقٍ تلاقٍ نجاحاً

وان أبيتَ إلا التحوُّلَ ، فعليك من الرؤساء . بأحلمِ الحلباء ، ومن القرباء
بأشرفِ الشرفاء ، ولا تَغُرَّتْكَ المناصبُ ، دونَ المناسبِ ، ولا المَقُولُ

١ ط د س : بيضتكَ .

٢ انظر المثل « ما كل بيضاء شحمة » و « ما كل سوداء ثمرة » في المسكري ٢ : ٢٨٧ (تحقيق
أبو الفضل) والميداني ٢ : ١٦٩ .

٣ انظر فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢٣ والمسكري ١ : ٥١٤ (أبو الفضل)
والفاخر : ٢٠٦ وقد مر تخريجه ص : ٨٣

٤ انظر المسكري ١ : ٦١ والميداني ١ : ٣٦ .

٥ بيت شعر للناطقة الذبياني (انظر اللسان والاساس : أنى ، وفصل المقال : ٣٢٨) .

دون المعقول ، ولا الدراهم دون المكارم ، واذهب في أكثر كل عين ،
واذكر قول [ابن] الحسين ^١ :

وما رغبت في عَسْحَدٍ أَسْتَفِيدَهُ وَلَكِنَّهَا فِي مَفْخَرٍ أَسْتَجِدُّهُ

فلما سمعتُ ووعيتُ ، ارتكنتُ ^٢ وتوليت ، ثم أبيت قبولاً ، ليقضي
اللهُ أمراً كان مفعولاً ، وناقضتُ نصحه بقول حبيب ^٣ :

وإنَّ صريحَ العزمِ والرأيَ لا مرى إِذَا بلغته الشمسُ أن يتحولاً

ومغترأ بقول الثاني ^٤ :

تلقى بكلِّ بلادٍ أنتَ نازها أَهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ

وفي فصل منها : وصرَّحَ لي الدهرُ عن أهله ، ووجدت الناسَ اخبرُ
تَقْلِهِ ^٥ ، من أميرٍ لا أسميه ، ووزيرٍ أَفْجَحِمَتِ الواوُ فيه ، وكاتبٍ أُمِّي ،
وقاضٍ جَبْلِي ^٦ ، وأمة مبورة ، في قرية مصورة ، وإذا اختلفوا أنشدوا :

ومن تكنِ الحضارةُ أعجَبَتْهُ فَأَيَّ رجالٍ باديةٍ ترانا ^٧

١ ديوان المتنبي : ٤٥٤ .

٢ م ط س : ارتكبت .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ١٠٦ .

٤ م ط س : ومعنى القول الثالث .

٥ هذا من الحديث ، والهاء في « تقله » هاء السكت : ولفظ الحديث لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ،
أي من خبرهم أنفضهم (التاج : قل) .

٦ جبلي : نسبة الى جبل وقاضيهما يضرب به المثل في الجهل (ثمار القلوب : ٢٣٦) .
وفي النسخ : حني .

٧ البيت للقطامي ، ديوانه : ٧٦ .

[١٢٣] فينا^١ أقرع السنين ، وأعض^٢ الكفين ، وأخضب^٣ بلا
حناء ، وأنشد^٤ في الأمراء :

وإذا نظرتُ إلى أميرِ زاذني كلفاً به نظري إلى الأمراء^٥

إذ قرع البشيرُ بابي ، وطرقَ المستأذنُ حجابي ، قائلاً : رسولُ
مولاك ، وكتابهُ وإفلاك ، فممتُ أنساقطُ من الجذل ، وأعثر في دعائري العجل ،
مقبلاً فاه ، وصائحاً : زاه .

وفي فصل منها : وأفضنا في وصفِ معاليه ، واستنشدني فأنشدته ما
قلته فيه ، فقال : براءة الفصحاء ، وبراعة الشعراء ، دعني من زُخرفِ
شعرك ، وصِفْهُ لي بمُنْصِفِ نثرك ، فللمنظوم رونق ، وأنت فيه ذو
طولق^٤ ، فقلتُ : على الخبير سقطت ، وأنا الكفيلُ بما سألت وشرطت ،
وأسمعته سجعاً لا نظماً ، ونثراً لا شعراً ، فقلت : هو الإمام الطاهر ،
والكوكب الزاهر ، والأسدُ الخادرُ ، والبحر الزاخر ، أوهبُ الملوك
للذخائر ، وأعفاهم عن الجرائر ، وأرفعهم قدرأ^٥ ، وأوسعهم صدرأ^٥ ،
وأطيبهم ذكرأ^٥ ، أعطرأ^٥ من العنبر ، في كل منبر ، وأفوحُ من المسكِ الذكي ،

١ ط : فيها .

٢ م ط : وأنشدوا .

٣ البيت لعدي بن الرقاع العاملي ، انظر الشعر والشعراء : ١٧٥ وتمام المتون : ٣٣٩ - ٣٤٠ .

٤ طولق : انظر في شرح هذه اللفظة ١ : ٢٦٨ ، ٣ : ٦٥٣ من الذخيرة ، وهو هناك شرح استنتاجي ،
وقد جاء في شرح القصيدة الساسانية لصفي الدين الحلي أن الطولق درج فيه تصاوير و تماثيل ،

انظر : C. E. Bosworth: The Mediaeval Islamic Underworld part II p. 73

(Arabic Part), p. 329 (Eng. Trans).

٥ ط : قدرأ .

٦ د : أطيب .

في كلّ نَدِيٍّ ، الحليمُ فما يَغْضِبُ ، والجوادُ وما يَرْغِبُ ، والشجاعُ وما يَرْهَبُ ، والقويُّ وما يَعْغَفُ ، واللّينُ وما يَضْعَفُ ، والرفيقُ^١ إذا سَاسَ ، والمصيبُ إذا قَاسَ ، ينبوعُ كلِّ جَدَلٍ ، ودافعُ كلِّ وَجَلٍ ، وحسبك بي عنده^٢ من جليسٍ رئيسٍ ، أكلّمُ منه سحبانَ ، وأخذ عن ائِمَّانَ ، وأستزِلُّ كيوانَ :

له كبرياءُ المشتري وسعوده وسطوةُ بهرامٍ وظرفُ عطاردي^٣

وقمر إلا أنه بشر ، وجبلٌ إلا أنه رجل ، بحرٌ علمٍ . وطودٌ حلم ، وعالم في عالم : الأصمعيُّ عنه ناقل ، والجاحظُ عنده باقل . إذا ركب ضاق عنه الأفق ، وإذا تبدّى وسع الدهر ندى ، وإن نطقَ بَيِّنَ وصدق ، وإن كتب أبدعَ وأغرب ، نداه سحائب ، وكتبه كائب ، مشرفيَّاته من لسانه وبيانِه ، وخَطَيَّاته من أعلامه وبنانه . تمشق فيها جبادُ فهمه ، ويمرّي دِرَرَ أشوالها من آدابه وعلمه ، ويسحبُ لها من فكره مضماراً . ويثير من مداده قَسْطَلاً وغباراً ، ويرتّب فيها الحروفَ ، ترتيبَ الصفوف . ويمشق بها في المهارق ، مَشَقَّهُ في الطلّي والمفارق ، هذا إلى روحانية مَلَكٍ ، في تجلّة مَلَكٍ . فاستطيرَ فرحاً ، وازدهيَ مرحاً . وخفّ فقام إليّ ، ورفّ يقبلُ بين عينيّ ، وكأنه إنما نُشِرَ من قبر ، أو صحا من سكر ، وقال : أَصَبَّتَ واللهِ القرطاسُ ، وبنيتَ على أساس . وفُزْتَ بالقَدَحِ المَعْلَى ، وتحلّيتَ من الجَلَى ، والحديثُ ذو شجون : متى الحركة ؟ وفيهِم التلوُّمُ

١ س ط د م : والرفيق .

٢ م ط س : عندهم .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧١ .

٤ م ط س : وخاف .

والمقام ؟ وكنت شاكياً فقلت : رويدَ الإبلالِ ، وبُعَيْدَ الإقلالِ ^١ ، قال :
فَسِيرْ في كنف السَّلامة ، إلى وطن الكرامة .

وله من رقعة كتبها عن المعتضد إلى الوزير الفقيه أبي حفص الهوزني ،
قال فيها : وردني كتابك الأثير المقابل بين النثر البليغ والنظم البديع ،
تَصَرَّفْتَ فيهما تَصَرُّفَ من إذا حاك الكلامَ طَرَّرَ ، وإذا غَشِيَ ميدانَ
البيان برَّرَ ، وأخذ بأفاق العلوم ، وأشرقتْ خواطِرُهُ فيها كلِّ إشراقِ النجوم ،
ولمَّا لفضيلةٌ بَعْدَ فيها شأوك ، وفات جَهْدُ المجارينَ لك عَقْوُك ؛
فأمَّا ما صَدَّرْتَهُ به من بالغِ إطراء ، وسابغِ ثناء ، فأمرٌ أعلمُ أَنَّهُ صَدَرَ
عن عهدٍ كريمٍ ، ومعتقدٍ سليمٍ ؛ أنا معتقدٌ عليهما بحمیل القرض ،
والمجازاة الحسنة بهما في وكيد القرض . واقضيت ما تلا ذلك من وعظك
المبرور ، واحتسابك ^٢ المشكور ، في الحال التي أشرتَ إليها فأقنعت ،
ورَمَزْتَ ^٣ بها فأسمعت ، بصحة دينك ، وبرَدِ يقينك ، حتى نظرت
إلى ما دَهَمَ المسلمين من كَلَبِ العدوِّ عليهم : يجوسون ^٤ البسيط من
ديارهم ، ويستبيحون ^٥ المحوطة من دمارهم ، ليس إلى الانقيادِ عن أحكامهم
دِفَاعٌ ، ولا سوى الانحياز من أمامهم امتناع ، قد تبيَّن لهم أنَّ تخاذُلنا
لهم علينا ناصراً ، وتواكُلنا مظاهير ^٦ مؤازرٍ ، فلا يَعدُمونَ من يتخلى لهم

١ رويدَ الإبلال ، الإقلال : بياض في م د س ، وثبت في ط بخط مغاير لخط الأصل .

٢ في النسخ : واحسانك ، واثبت ما في هامش ط .

٣ ط د : وزمرت .

٤ م ط د س : ويجرمون .

٥ د : ويستحيون ؛ م ط س : ويستحبون .

٦ خ بهامش ط : مضافر .

عن بلد ، أو يعطيهم الجزية عن يدٍ ﴿ ولو شاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد : ٤٧) .

ولقد شرحت من تلك [٢٣ ب] النُصَبِ ما يُسْهِرُ النَّوَاطِرَ ، ويبلدُ الخواطرَ ، ولا يدع ركنَ عزٍّ إلا أوهاه ، ولا بناء جلد إلا أرداه ، ولا عِدًّا صَبْرًا إلا أغاضه ، ولا نَمْدَ دمعٍ إلا أفاضه ، وإن الحذرَ أن تَغَشَى^٢ التي لا شَوَى لها ، وتَفْجَأَ التي لا لَعًا منها ، فَيُرامُ من ذلك استكفافُ سَيْلٍ من التلفِ قد انحدر ، وَيُنْظَرُ في أعقابِ نجمٍ من التلافي قد انكدر ، إلا أن يعودَ الله علينا برحمته ، ويهيء لنا أسبابَ عِصْمَتِهِ .

وأما ما نَدَبْتَ إليه ، وحضضتَ عليه ، من إحقاد^٣ السعي فيما يَقْضَى^٤ المشركين - بدّهم الله - ويجمعُ عليه كلمةَ المسلمين ، فيعلمُ الله أني قد ناجيتُ بذلك وناديتُ ، وراوحتُ فيه وغاديتُ ، وبثتُ رسلي إلى ذلك داعين ، يَصِلُونَ التذكرةَ ، ويوكِّدونَ التبصرةَ ، ويتلونَ المواعظَ ، ويستثيرونَ الحفاظَ ، فَصَمَّتِ المسامعُ ، واتفقت في الشاغلِ المنازعِ ، وَخَلَجَ بالخُلْدانِ ، وتُجَوِّزُ الجمجمةُ في ذلك إلى الإعلانِ ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى .

وفي فصل منها : وأما إزماعك للتقل . وأن أرسم لك مكانَ التحوّلِ ، فأني مكان يكونُ ذلك سوى وطنِكَ الذي تعرّفتَ فيه سابغِ الأمنِ ،

١ د : بحر .

٢ م : تمشي .

٣ في النسخ : إجهاد والاحقاد : الاسراع .

٤ م : وجليح ؛ س : وجليح .

وتلقيت فيه طائر اليمس ، ولم تعدم المحل الرفيع ، والجانب المنيع ،
والسكون مني إلى من لم يزل يعتمدك بإيثاره ، ويشاركك في خاص أسراره ،
ويرفع قدرك فوق أقدار الأكفاء ، ويحط عن منزلتك منازل النظراء ،
وان كان قد جرى قدر بمفارقة فكانت سليمة لم يتبعها إلا حال لك محوطة
محفوظة ، وساقاة^١ بعين الصيانة مكلوة^٢ ملحوظة .

وهذه أيضاً جملة من شعره

له في المعتضد من قصيد أوله :

دونَ الأجرة بالوعساء أعداءُ	وسلّم كل بعيد الهم هينجاءُ
والحب كالمد لا ينفك من كبَدٍ	فيه يلذ لنا بؤس ونعماءُ
حفيظة منك عين الله تكلوها	وشيمة شيم منها العين والطاءُ
وهية لم تزل تعنو إليك بها	والدين يخط منه الليل عشواءُ
مدوا إليك أكف البغي فأنجذمت	وقد خلّت منهم بالسيف أقفاءُ
وقادة في وجوه القوم أنجلها	من حد سيفك تويخ وإدماؤُ
أبناء دابة من مقطوف ^١ هامهم	على الجذوع لها وقع وإقعاءُ
قوم هم نبئوا الإسلام قاطبة	عنهم كما نبذ الأموات أحياءُ

ومعنى البيت الثاني منها كقول حبيب^٣ :

١ هذا يعني ان الهوزني قد خلف له اقرباء في اشيلية حين ارتحل عنها .

٢ طس : مطوف .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ١٨ .

كَأَنَّهُ كَانَ تَرْتَبَ الْحَبَّ مُدُّ زَمَنِ فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلَا كَبِيدُ

وَأَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ ١ :

وَقَدْ صُغَّتِ الْأَسِنَّةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي فُؤَادِ

وَقَالَ مِنْ أُخْرَى ٢ :

سَحَبْتُ عَلَى أَثَرِ الْخِيَالِ ذِيولاً وَسَرْتُ تَعُودُ مِنَ الصَّدُودِ عَلِيلاً
عُلَلْتُ مِنْكَ بِكُلِّ وَعْدٍ كَاذِبٍ وَسَرَى خِيَالُكَ بِالرُّضَى تَخْيِيلاً
لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا وَخَضِبْتُ شَيْبِي بِالشَّبَابِ مَحِيلاً
سَقِيّاً لِعَهْدِكَ وَالشَّبَابُ مُلَاءَةٌ تَنْثِي عَيُونَ الْحَوْرِ عَنِّي حُولاً [١٢٤]
أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي الصَّبَابَةِ خَالِماً رَسْتِي وَأَسْحَبُ فِي الْمَجُونِ ذِيولاً
وَأَصِيدُ بَيْنَ حِمَائِلِي وَحِبَائِلِي صَيْدَاً وَغَيْدَاً مَا يَدِينُ قَتِيلاً

ومنها :

يَا هَذِهِ عَنِّي إِلَيْكَ فَانَّ لِي أُملاً بِأَعْنَانِ السَّمَاءِ كَفِيلاً
مَنْ لَمْ يَبْتَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَخْطَأَ التَّأْمِيلاً

ومنها فِي وَصْفِ حَرْبِهِ مَعَ صَاحِبِ سَبْتَةِ :

فَارْحُ جِيَادَكَ فَهِيَ أَطْلَاحُ السَّرَى وَقَدْ الْجِيُوشَ إِلَى الْعِدَا أُسْطُولاً
أَنْشَأْتَنَ سَفَانَتاً وَمَدَانَتاً وَجَنَّبَتْنَهُنَّ كَتَائِباً وَرَعِيلاً
دَهْمُ تَخَالُ الْبَيْضِ فِي أَوْسَاطِهَا بَلَقَاً وَفِي أَطْرَافِهَا تَحْجِيلاً
قُرِعَتْ بِأَوْسَاطِ الرِّيَاحِ فَأَسْرَعَتْ فِي الْمَاءِ تُعْمِلُ كَلْكَلَاً وَتَلِيلاً

١ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٢ وقع هنا خرم في م .

قوله : « لو كنت صادقة » . . . البيت ، نقل لفظه من قول أبي الطيب^١ :
 خُلِقْتُ أَوْفًا لَوْ رُدِدْتُ إِلَى الصَّبَا لفارقت شيبي مُوجَعِ القلبِ باكيا
 وقال محمد بن هاني^٢ :

لخَطَطْتُ شَيْبًا مِنْ عِذَارِي كَاذِبًا ومحوت مَحَوَ النِّقْسَ عَنْهُ شَبَابًا
 وَخَضِبْتُ مَبِيضًا^٣ الْحَدَادِ عَلَيْكُمْ لو أَنِّي أَجِدُ الْبَيَاضَ خَضَابًا
 وله من أخرى في المعتمد^٤ :

أَشِيتَ الْبَرْقَ بَاتَ لَهُ اثْتِلَاقٌ تَضِيءُ بِهِ الْأَمَازِرُ وَالْبُرَاقُ
 وَبَيْنَ جَوَانِحِي قَلْبٌ مُطَارٌ جَنَاحَاهُ ادِّكَارٌ وَاشْتِيَاقُ
 ومنها :

وَلَمْ أُنْسَ الْكُثِيبَ وَلَيْلَتَيْهِ كَأَنَّهُمَا اخْتِلَاسٌ وَاسْتِرَاقُ
 نَجْمِ الرَّاحِ فِي أَفْلَاكِ رَاحٍ مَشَارِقُهَا الْمَطَرُفَةُ الرَّاقُ
 وَشَدُوْهُ تَطْرَبُ الْأَلْفَاظَ عَنْهُ كَمَا نُفِضْتُ مِنَ الدَّرِّ الْحَقَاقُ
 وَأَفْصَحَ مِنْ أَبَانَ النَّصْحِ عَنْهُ يَدٌ نَيْطَتْ بِهَا قَدَمٌ وَسَاقُ
 تَذَكَّرْتُ الصَّبَابَةَ وَالتَّصَابِي هُنَالِكَ إِذْ تَرَوَّقُ وَلَا تَرَاقُ
 وَنَحْنُ كَأَنَّنَا غُصْنَا أَرَاكَ قَدْ اشْتَبَكَا وَضَمَّهْمَا اعْتِنَاقُ
 ذِرَاعَاهُ عَلَى عُنُقِي نَجَادٌ وَسَاقَاهُ عَلَى كَتِفِي نَطَاقُ

١ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٩ .

٣ الديوان : مسود .

٤ في المعتمد : لم ترد في ط س .

٥ س ط : السحر .

إذا ما الشمس ورّسها أصيلٌ ومن نِعَمِ ابنِ عبّادٍ كؤوسٌ
 وأدالَ الإصطباحَ لها اغتباقُ ومن كَفِّ الرّبيعِ لنا ربيعٌ
 نُعَلُّ بها وأقداحُ تتّاقُ
 يصوب حياً ومن حمصٍ عراق

وله فيه وقت انصراف قرطبة إليه ، وقتل ابن عكاشة على يديه :

صفا لك الشُّربُ كانت فيه أقذاءُ وعاد بُرءٌ على ما أفسدَ الداءُ
 ولن يُعَجَّلَ مَقْدورٌ له أَجَلٌ وللأمورِ مواقفٌ وآناء [٢٤ ب]
 وقد تباطأ وحي الله آوَنَةٌ عن النبيّ وغابت عنه أنباءُ
 فليهنك الصنعُ قد راقَت عواقبُهُ وشُفِّعَتْ عنه بالآلاءِ آلاءُ
 فتحٌ كما وضعَ الإصباحُ منه على آفاقٍ مُلْكِكَ إشرافُ ولآلاءُ

ومنها في رثاء ابنه :

الظافر الذفر الذكري معطرةُ منه المنابرَ ألقابُ وأسماءُ
 رزئتَه فاحتسبهُ عند خالِقِهِ زُلْفَى بِذلك تقريبُ وإدناءُ
 ولو أفادَ عليك الحزنُ فائدةً لكان صخرأ وکلّ الناسِ خنساءُ
 تشرفت بك دولاتٌ وأزمنةُ وفاخرت بك أمواتٌ وأحياءُ

ومن مرثية له في المعتضد :

عليك أبا عمرو سلامٌ مُودَعٍ له كَبَدٌ بين الضلوعِ دخيلُ
 عمّت الورى بالثكل فيك رزيةُ وقَبَّحَتْ وَجْهَ الصبرِ وهو جميلُ
 فمن شاء فليَنظُرْ بعينِ حَقِيقَةٍ ففبك لنا وعظْمُ مداهُ طويلُ
 يرى الأرض فيها الأرض كيف تزلزلت بنا ويرى الأطوادَ كيف تزولُ
 أَقَلَّتْ فَعَادَتِ حمصُ بعدك دُجَّةُ كأنك شمسٌ والزمانُ أصيلُ

١ س ط : وأحداق نشاق ؛ وتناق : مخففة من تناق أي تماثل .

وكتب إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة من جملة أبيات :

يا ابن الكرام السادة الخُلص	قولاً بلا إفاك ولا خرّص
ماذا ترى في القصف متكناً	مع رنة الطنبور والرقص
فلعلتي أشفي بريقتيها	من عارض في الصدر كالقصص
والذئ عند سماع مُبْهَجها	من طيب الأخبار والقصص
أهل العراق على مذاهبها	لا تلق منهم غير مرتخص

فأجابه أبو عامر بأبيات منها :

يا جهيداً قد قال بالرُخص	القصفُ عندي غايةُ الفُرص
مع ماجدٍ حلّو شمائله	ذي حُنْكةٍ للهوا والقصص
فإذا مضت للفطرِ ثانية	أرسلتُ خيلَ اللهو للقصص
فجرت لدى الميدانِ جاححة	وجريتُ في لَبِّبٍ من الرخص
في مجلسٍ قد طاب مجلسه	خالٍ من التكدير والنقص

الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب^٢ :

كان سديدَ سهمِ المقال ، بعيدَ شأو الروية والارتجال ، والأديب

١ م : باللهو .

٢ أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب . الملقب بحبيب ، وقال ابن الأبار إن أباه كان يلقب بذلك ، توفي في حدود ٤٤٠ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (وقال ابن سعيد : ابن تسع وعشرين سنة) ؛ وذهب ابن سعيد إلى أن المعتضد هو الذي قتله ، وكان له أخ اسمه محمد بن محمد بن عامر وهو شيخ أبي بكر ابن العربي ؛ وكانت لأبيه قدم في الرياسة عند المعتضد كما أشار ابن بسام في هذا الجزء . (انظر الجذوة : ١٥٢ والبغية رقم : ٥٣٤ والتكملة : ١٨٠ والمغرب ١ : ٢٤٥ والنفع : ٣ : ٤٢٧ والمسالك ١١ : ٢١٥) ؛ وكتابه « البدیع في فصل الربیع » نشر بتحقيق هنري بريس ، الرباط : ١٩٤٠ .

أبو جعفر بن الأبار هو الذي أقام قناته ، وصقل - زعموا - مرآته ، غاطعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاجباً ، ولو تحاماه صرّف الدهر ، وامتد به قليلاً طلقُ العمر ، لسدَّ طريق الصباح ، وغبّر في وجوه الرياح . توفي ابن اثنتين وعشرين [٢٥ أ] سنة ، فذهب بأكثر ما كان في ذلك الوقت من حسنة ، وقد أعرب عن ذلك من أمره بأبيات شعر قرأتها على قبره ، وله كتاب سمّاه « البديع في فصل الربيع » جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة ، أعرب فيه عن أدب غزير ، وحظ من الحفظ موفور ، وقد أخرجت من نثره ونظمه ، ما يشهد بغزارة علمه وفهمه .

فصل من نثره

قال في صدر التأليف الموصوف^١ : فصل الربيع أرج وأبهج ، وأنس وأنفس ، وأبدع وأرفع ، من أن أحدَ حسنَ ذاته ، وأعدَّ بديع صفاته ، وهو مع سماته الرائقة ، وآلائه الفائقة ، لم يعن بتأليفها أحد ، وما انفرد بتصنيفها^٢ منفرد .

وله فصل من أخرى إلى أبيه^٣ : لما خُلِقَ الربيعُ من أخلاقك الغرّ ، وسرَقَ زَهْرُهُ من شيمك الزُّهر . حسنَ في كلِّ^٤ عين منظره ، وطاب في كلِّ سمع خبره ، وتاقت النفوسُ إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف

١ البديع : ١ .

٢ البديع : بتأليفه . . . بتصنيفه .

٣ البديع : ٢٨ - ٢٩ والنفع ٣ : ٢٧ والعطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل ص : ٤ .

٤ البديع والعطاء : لكل .

على بعض ما يحتويه ، من النور الذي كسا الأرض حُللاً ، لا يرى الناظرُ
في أثنائها حُللاً . فكأنها نجومٌ نُثِرَتْ على الثرى ، وقد مُلِثَتْ مسكاً وعنبراً ،
إن تَنَسَّمْتَهَا فَأَرَجَتْ ، أو تَوَسَّمْتَهَا فبهجة ، تروقُ العيونَ أجناسها ،
وتُحيي النفوسَ أنفاسها :

فالأرضُ في بردةٍ من يانعِ الزَّهرِ تُزري إذا قِستَها بالوشي والحبرِ
قد أحكمتها أكفُ المزنِ واكفةً وطرزتها بما تهمي من الدررِ
تبرجتْ فسبَّتْ منَّا العيونَ هوىً وفتنةً بعد طولِ السَّترِ والخفرِ

فأوجدني سيلاً إلى إعمال بصري فيها ، لأجلو بصيرتي بمحاسنِ نواحيها ،
والفصلُ على أن يكملَ أوانهُ ، وينصرمَ وقتهُ وزمانه ، فلا تُخليني من
من بعضِ التشقي منه ، لأصدِرَ نفسي متيقظةً عنه ، فالنفوسُ تصدأ كما
يصدأ الحديد ، ومن أجمتها فهو السَّديدُ الرشيد .

وله من أخرى إلى بعض إخوانه^١ : قد علم سيدي أن بمراه يكملُ جذلي ،
ويدنو أمني . وقد خللتُ محلاً عُنِيَ الجوّ بتحسينه ، وانفردَ الربيعُ بتحسينه ،
فكساه حُللاً من الأنوار ، بها ينجلي صدأ البصائر والأبصار ، فمن مكتومٍ^٢
يعبقُ مِسْكُهُ ، ولا يمنعه مَسْكُهُ ، ومن بادٍ يروق مجتلاه ، ويفوق مجتاه ،
في مرآه ورياه ، فتفضّل بالخفوفِ نحوي ، وتعجيلِ اللحاقِ بي ، لنجددَ
من الأنس مغاني دَرَسَتْ ، ونفكَّ من السَّرورِ معاني قد أشكلت وأبست^٣ ،

١ البديع : ٢٩ .

٢ البديع : ٣٠ والعطاء الجزيل : ٤ .

٣ البديع : مكتوم .

٤ في النسخ : وأبست .

ونشكر للربيع^١ . ما أرانا من البديع .

قال ابن بسام : ووجدت لأبي الوليد هذا رسالةً عارض بها أبا حفص ابن برد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار . فخرج فيها أبو الوليد - خروج أبي حفص بن برد - على الورد، ودعا إلى البهار، وأسمع سائر الأنوار، فنصبه إماماً، ولولا اشتهاه فضل الورد لكانت لزاماً، وقد اقتضيتُ من الرسالتين قبض فصول، تخفيفاً للتثقيب، وجمعاً للشمل، ومقابلة للشكل، وقدّمتُ رسالة ابن برد، على حُكْم الإحسان ومقتضى النقد، وهي رقعة خاطب بها ابن جمهور^٢، قال فيها^٣ :

أما بعد، يا سيدي ومنّ أنا أفديهِ، فانه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين فيه، وذوي الظرف المعتنين بِمُلَحِّ معانيه. أنّ صنوفاً من الرياحين، وأجناساً من أنوار البساتين، جمعها في بعض الأزمنة خاطراً خَطَرَ بنفسوها . وهاجسٌ هَجَسَ في ضماثرها . لم يكن لها بدٌّ من التفاوض فيه والتحاوُر، والتحاكم من أجله والتناصف، وأجمعتُ على أن ما ثبت في ذلك من العهد، وتنفذَ من الحليف، ماضٍ على من غاب شخصه . ولم يثنُ منها وقته، فقام منها قائمها فقال: يا معشرَ الشجر . وعامةَ الزَّهَر . إن الله تعالى اللطيف الخبير^٤ [٢٥ ب] الذي خلق المخلوقات، وذراً البريات . بايّنَ بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين مَنَحْها وأعطيّاها . فجعل عبداً وملكاً . وخلق قبيحاً

١ ط م د س : الربيع .

٢ هو أبو الوليد ابن جمهور، وفي العطاء الجزيل : ابن جمهور .

٣ البديع : ٥٢ (وابن بسام يوجز في النقل) وانظر أيضاً العطاء الجزيل : ١٢٦ - ١٢٧

ونهاية الأرب ١١ : ١٩٦ .

٤ العطاء : إن اللطيف الخبير .

وحسناً . فضَّلَ بعضاً على بعض^١ حتى اعتدل بِعَدْلِهِ الكلُّ ، واتَّسَقَ على لطف قدرته الجميع ، فجعل لكلٍّ واحد منها^٢ جمالاً في صورته . ورقةً في محاسنه ، واعتدالاً في قَدِّه ، وعبقاً في نسيمه ، ومائيةً في ديباجته ، وقد عطفَ علينا الأعين ، وثنتْ إلينا الأنفس ، وزهتْ بمحضرنا المجالس ، حتى سَفَرْنَا بين الأحبَّةِ ، ووصلنا أسبابَ القلوب ، وتحملنا لطائف الرسائل ، وصيغَ فينا القريض ، وركبَتْ على محاسننا الأعاريض ، فطمع بنا العُجب . وازدهانا الكبر ، وَحَمَلْنَا تفضيل مَنْ فضَّلنا ، وإيثار مَنْ آثَرنا ، على أن نَسِينَا الفِكْرَ في أمرنا ، والتمهيدَ لعواقبنا ، والتطبيبَ لأخبارنا ، وادعينا الفضلَ بأسره ، والكمالَ بأجمعه ، ولم نعلمْ أنَّ فينا من له المزيةُ علينا ، ومن هو أولىُّ بالرياسةِ مِنَّا ، وهو الورد الذي إنْ بذلنا الإنصافَ من أنفسنا ولم نَسْبَحْ^٣ في بحرِ عمانا ، ولم نَمِلْ مع هوانا ، دِنًا له ، ودعونا إليه ، فمن لقيه منا حيَّاه بالملكِ ، ومن لم يُدْرِكْ زَمَنَ سُلْطَانِهِ . ودولةِ أَوَانِهِ ، اعتقد ما عُقِدَ عليه ، ولَبَّى ما دُعِيَ إليه ، فهو الأكرمُ حَسَبًا . والأشرفُ زَمَنًا ، إنْ فَقِدَ عَيْنُهُ لم يُفْقَدْ أثره . أو غاب شخصه لم يَغِبْ عَرَفُهُ . وهو أحمرُ والحمرةُ لونُ الدم ، والدم صديقُ الروح ، وهو كالياقوت المنضَّدِ ، في أطباقِ الزبرجد ، وعليها فرائدُ العسجد ، وأما الأشعارُ فبمحاسنه حَسَنَتْ ، وباعتدالِ جماله وُزِنَتْ .

١ البديع والمطاء : فضل على بعض بعضاً .

٢ البديع والمطاء : مِنَّا .

٣ البديع : نرتكض .

٤ المطاء : عليها .

وفي فصل منها : وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار ، الرجس الأصفر والبهار ، والبنفسج والخيري النمام^١ . فقال الرجس الأصفر : والذي مهّد لي حِجْرَ الثرى ، وأرضعني ثديي الحيا ، لقد جئت بها أوضح من لبّة الصباح ، وأسطق من لسان المصباح ، ولقد كنتُ أسيرُ من التعبّد له والشغف به ، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه ، ما أتحل جسمي ، ومكن سقمي ، وإذ قد أمكن البوح بالشكوى ، فقد خفّ ثِقْلُ البلوى .

ثم قام البنفسج فقال : على الخير سقطت ، أنا والله المتعبّد له ، والداعي إليه ، المشغوف به ، وكفى ما بوجهي من ندوب ، ولكن في التأسي بك أنس . ثم قام البهار فقال : لا تنظُرُنَّ إلى غضارة منبّي ، ونضارة ورقّي^٢ ورقتي ، وانظروا إليّ وقد صرتُ حدقةً باهتةً تشير إليه ، وعيناً شاخصة تندي بكاءً عليه :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي^٣

ثم قام الخيري^٤ فقال : والذي أعطاه الفضلَ دوني ، ومدّ له بالبيعة يميني ، ما اجترأت قطّ إجلالاً له ، واستحياءً منه ، على أن أتنفس نهاراً ، أو أساعد في لذة صديقاً أو جاراً ، فلذلك جعلتُ الليلَ سراً ، واتخذت جوانحه كيناً .

١ المطاء : وهو النمام .

٢ د : رونقي .

٣ للخنساء ، ديوانها : ١٥٢

٤ المطاء : الخيري النمام .

فلما استوت آراؤها قالت : إن لنا أصحاباً ، وأشكالاً وأنساباً ، لا نلتقي بها في زمن^١ ، ولا نجاورها في وطن ، فهلّم فلنكتب بذلك عقداً ينفذ على الأقاصي والأداني : فكتبوا رقعة^٢ نسختها : هذا ما تحالف عليه أصنافُ الشجر . وضروبُ الزهر ، وسميها وشتويها ، وربيعيها وقظيها ، حيث ما نجمت من وهاد^٣ أو ربوة ، وتفتحت من قرارة أو حديقة ، عندما راجعت من بصائرهما . وألمت من مرادها ، [واعترفت بما سلف^٤] من هفواتها ، وأعطت للورد قيادها ، وملاكته أمرها ، وعرفت أنه أميرها المقدم لخصاله^٥ فيها ، والمؤتمر لسوابقه عليها ، واعتقدت له السمع والطاعة ، والتزمت له الرق والعبودية ، وبرئت من كل زهر نازعه نفسه المباهاة^٦ له . والانتزاء عليه . في كل وطن ، ومع كل زمن ، فانه زهرة قضى عليها لسان الأيام هذا الحلف ، فلتعرف أن إرشادها فيه ، وقيام أمرها به .

وأما رسالة أبي الوليد فخطب [٢٦ أ] بها المعتضد يومئذ [قال] فيها^٧ : فأول من رأى ذلك الكتاب . وعاین الخطاب . نواوير فصل الربيع التي هي جيرة الورد في الوطن ، وصحابته في الزمن . ولما قرأته أنكرت^٨

١ ط م : زمناً في زمن .

٢ العطاء : تلمة .

٣ زيادة من البديع والعطاء الجزيل .

٤ العطاء : بحالصة .

٥ العطاء : بسوابقه .

٦ ط م د س : نازعه المباهاة .

٧ البديع : ٥٨ والعطاء الجزيل : ١٢٧ .

٨ البديع : أكبرت .

ما فيه ، وبنت على هدم مبانيه ، ونقض معانيه ، وعرفتِ الوردَ بما عليه ،
 فيما نسب إليه ، من استحقاقه ما لا يستحقه ، واستناله ما لا يستأهله . ورأتُ
 أنَّ مخاطبةَ من أخطأ تلك الخطيئةَ ، وأدنى من نفسه تلك الدنية : تدبيرٌ
 دَبْرِيٌّ ، ورأيٌ غيرُ مرضي ، فكُتبت إلى الأخوان والخيري الأصغر كتاباً
 قالت فيه : لو استحق الوردُ إمامةً ، واستوجب خلافةً . لبادرَتْها آباؤنا ،
 ولعقدها أوائلنا ، التي لم تزل تجاوره في مكانه . ونجىء معه في أوانه ؛
 ولا ندري لأي شيءٍ أوجِبَتْ تقديمه ، ورأتُ تأهيله ، بما غيرهُ أشكلٌ
 له وأحقُّ به ، وهو تَوَرُّ البهار ، البادي فضله بُدْوُ النهار ، والذي لم يزل
 عند علماء الشعراء ، وحكماء البلغاء ، مشبَّهاً بالعيون التي لا يحول نظرها ،
 ولا يحورُ حَوَرُهَا ، وأفضلُ تشبيهِ الوردِ بنِضرة الخلد عند من تشبَّع فيه ؛
 وأشرفُ الخواص العين ، إذ هي على كلِّ مُتَوَلٍّ عَيْنٌ^٢ ، وليس الخلدُ حاسةً ،
 فكيف تبلغه رئاسة ؟ :

أينَ الحدودُ من العيونِ نفاسةً ورئاسةً لولا القياسُ الفاسدُ^٣
 وأصح تشبيه الورد وأقربه من الحق قول ابن الرومي في الشعرِ الطائي^٤
 ولقد وافق ووفق . وشبهه فحقَّق .

١ العطاء : لا يحول . . . ولا يحول .

٢ البديع : منول ؛ وفي النسخ : منول عون ، وآثرت قراءة العطاء الجزيل .

٣ البيت لابن الرومي ، انظر ديوانه ٢ : ٦٤٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ١٩٣ وديوان
 المعاني ٢ : ٢١ وحلبة الكميت : ٢٠٢ ؛ وعند هذا البيت ينتهي ما جاء من هذه الرسالة
 في العطاء الجزيل .

٤ يشير إلى قول ابن الرومي في هجاء الورد (حلبة الكميت : ٢١١) :

وقائل لم هجوت الورد معتمداً فقلت من رقبته عندي ومن سخطه
 كأنه سرم بفل حين يخرج منه عند البراز وباتي الروث في وسطه

وطول أبو الوليد في رسالته هذه ، وختمها بمبايعة الأزهار للبهار ،
فرجعت عن تقديم الورد في خبر طويل .

ومن شعر أبي الوليد في أوصاف شتى

قال يصف ورداً بعث به إلى أبيه^١ :

يا من تأزَّرَ بالمكارم وارتدى	بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر إلى خدَّ الربيع مركباً	في وجه هذا المهرجان الرائق
وردٌ تقدَّم إذ تأخَّر واغتدى	في الحُسْن والإحسان أول سابق
وفاك مشتملاً بثوب حياته	خجلاً لأنَّ حيَّاك آخر لاحق

وقال فيه^٢ :

إنما الوردُ في ذُرَى شَجَرَاتِهِ	كأجلَ الملوك في هيئاتِهِ
نفحة المسك من شذا نَفحاتِهِ	خَجَلُ الخدِّ من سنا خَجَلَاتِهِ
مُرِجَتُ حمرة اليواقيت بالدَّرِّ	فجاءت به على حَسْبِ ذاته
مثل ما جاء من سماح وبأس	خَلُقَ الحميري سُمُّ عَدَاتِهِ
إن يَعدُّ فالوفاء حَتَمٌ عليه	فَرَضُهُ في صِلَاتِهِ كَصَلَاتِهِ

وقال^٣ :

١ البديع : ١٢٨ ونفع الطيب ٣ : ٤٢٨ .

٢ البديع : ١٢٩ .

٣ البديع : ١٥٥ والمسالك ١١ : ٢١٥ والنفع ٣ : ٤٢٨ .

أتى^١ الباقلاءُ الباقلُ اللونَ لابساً
تري نَوْرَهُ يُلْتاحُ في ورَقَاتِهِ
لبرد^٢ سماءٍ من سحائبها غذي
كَبَلْتُ جِيادٍ في جِلالِ زمرّدٍ
وقال^٣ :

كأن نَوْرَ الكَتانِ حين بدا
أكفُ فيروزِجٍ معاصِمُها
وقد جلا حُسْنُهُ صدا الأنفُسِ
أولا فزُرُقُ الباقوتِ قد وُضعتْ
قدسَرتَهنَّ خُضْرَةُ الملبسِ [٢٦ب]
على بساطٍ يروقُ من سُندُسٍ
وقال^٤ :

وقهوة لا يحدّها مُبْصِرُ
إذا دنت فالسرورُ مبتسمٌ
رَقَّتْ وراقتُ في أعينِ النَظَرِ
كأنها والحبابُ يحجبها
وان نأتُ فالسرورُ مستعبر
غنيتُ عنها فلبستُ أقربها
بحرٍّ من التبرِ يقذفُ الجواهر
بناظرٍ منه يَسْكُرُ المسكرُ

وبيته الثالث في هذه من التشبيه الذي ما له من شبيه ، وأما بيته الأخير
منها فمن قول ذي الرمة^٥ :

وعينان قال الله كونا فكانتا
وزاد أبو الوليد زيادة حسنة^٦ : لم يقنع أن يفعل ناظره فعلَ الخمر حتى
أسكرها منه . وقال :

١ البديع : أرى .

٢ البديع : يرود .

٣ البديع : ١٥٧ والمسالك نفسه .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ديوان ذي الرمة : ٤٧٨ .

وكأسٍ لها كَيْسٌ على اللبِّ والعقلِ
 كأنَّ حَبَابَ الماءِ في جَنَابِهَا
 تزيدُ ذوي الألبابِ فضلاً ولم تزل
 غنيتُ بمن أهواه عن نشواتها
 شمولُ تريكِ الأنسِ مجتمَعِ الشَّمْلِ
 دروعُ لُجَيْنٍ قد جَلَّتْهَا يدُ الصقلِ
 تُدِيلُ بطبعِ الجودِ من طَبَعِ البخلِ
 فمن طَرَفِهِ خمري ومن ريقه نُقْلِي

وقال :

حِمَامٌ بلحظك قد حُمَّ لي
 وإن لم تُغثني بمعنى الحياة
 فيها أنا قاضٍ بداءِ الهوى
 فيا لَيْتَ قَبْرِي حيثُ الهوى
 عسى مَنْ تَلِفْتُ بِحَيِّ له
 فإن جاد بالوصل بعد الوفاة
 فيا صاحبي هناك احفرا
 إذا ما أدركتُ كؤوسَ الهوى
 مُدَامَ تُعَتَّقُ بالناظرين
 فما زال يهدي إلى مقتلي
 من ريقِ مبسمك السلسلِ
 وقاضي جمالِك لم يَعْدِلِ
 فأكرمُ بذلك من منزلِ
 يرقُ على ذي بلاءٍ بلي
 رجعتُ إلى عيشي الأولِ
 ولا تحفرا لي بقطربلِ
 ففي شربها لست بالموثلي^٢
 وتلك تَعَتَّقُ بالأرجلِ

وهذا البيت مما أغربَ به على الألباب ، وأعرب فيه عن موضعه من الصواب ، وبينه وبين قول أبي الطيب شبه بعيد ، ولكن لأبي الوليد فضلُ التوليد ، وحُسْنُ من النقل ليس عليه مزيد ، وهو قوله^٣ :

١ د : أردت ؛ طس : رأيت .

٢ هذا البيت والذي يليه في المغرب ١ : ٢٤٥ ورايات المبرزين : ٣٩ (١١ غ) والنفع والمسالک .

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

انظر إذا اختلفَ السيفانِ في رَمَجٍ إلى اختلافهما في الخلقِ والعملِ
 هذا أعدى^١ لريب الدهرِ منصلاً وعدُّ ذاك^٢ لرأس الفارسِ البطلِ
 وقال الآخر وإن لم يكن به :
 بالهند تُطْبَعُ أسيافُ الحديدِ وفي بغداد تُطْبَعُ أسيافُ من الحدقِ

الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار^٣

أحد شعراء المعتضد المحسنين المتقنين [٢٧ أ] انتحل الشعرفاتنَ وتصرف ،
 وعُنيَ بالعلم فجمع وصنَّف ، وله في صناعة النظم فضلٌ لا يُردُّ ، وإحسانٌ
 لا يعدُّ ، وقد كتبتُ طرفاً مما أبدع ، ليكونَ أعدلَ شاهدٍ على أنه تقدَّم
 وبرع .

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

قال^٤ :

لم تدري ما خلَّدتَ عيناك في خلدي من الغرامِ ولا ما كابدتُ كبدي

١ الديوان : هذا الممد .

٢ الديوان : أعد هذا .

٣ هو أحمد بن محمد الحولاني الاشبيلي (- ٣٣٣ هـ) ، كان كثير الشعر (انظر ترجمته

في ابن خلكان ١ : ١٤٦ والجذوة : ١٠٧ وبنية الملتبس رقم : ٣٦٤ والمغرب ١ : ٢٤٣

والمسالك ١١ : ٤١٨ والوافي ٨ : ١٣٧ وله أشعار في النفع والبديع في فصل الربيع) .

٤ انظر الوافي ٨ : ١٣٧ ومنها بيتان في المسالك .

أفديك^١ من زائرٍ رام الدنوّ فلم
خاف العيونَ فوافاني على عَجَلٍ
عاطيته الكأسَ فاستحييتُ مُدامتها
حتى إذا غازلتُ أجفانهُ سنّةً
أردتُ توسيدهُ خدّي وقلّ له
فبات في حرّم لا غدرَ يذعُرُهُ
بدرٌ ألمٌ وبدرٌ التّمّ ممتحقٌ
تخيّرَ الليلُ فيه أينَ مطلعه
يسْطِعهُ من غرق في الدّمعِ متقدّم
معطلاً جِدهُ إلاّ من الغَيْدِ^٢
من ذلك الشَّنْبِ المعسولِ بالبردِ^٣
وصيّرتهُ يدُ الصبهاءِ طَوّعَ يدي
فقال كفكُ عندي أفضلُ الوُسْدِ
وبتُ ظمآنَ لم أصدرُ ولم أرِدِ
والأفقُ محلولكُ الأرجاءِ من حسدِ
أما درى الليلُ أنّ البدرَ في عضدي

قال ابن بسام : وقد رأيت من يروي هذه القطعة لادريس بن اليماني ، وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني ، وهي لمن كانت له منهما رائقة ، ومتأخرة سابقة ، في التزام العفاف مع السلاف ، وما سمعت بأبدع منها لأحد من أهل هذا الأفق . وإنما أثبت هنا بعض مقطوعات في معناها لأهل المشرق ثم أعود لإيراد ملح أهل أفقنا ، وأرجع إليها وأكرّ بعدُ عليها ، وأقدّم أولاً الحديث : « من أحبّ فعفّ ومات فهو شهيد » ، والعفافُ مع البذل ، كالاستطاعة مع الفعل ، والله درّ صريع الغواني ، فهو صاحب بدیع في أكثر المعاني ، كقوله :

ألا ربّ يوم : صادق العيش نلتُهُ بها ونداماي العفاقة والبذلُ^٥

١ الوائي : أفديه .

٢ الوائي : الجيد .

٣ الوائي : والبرد .

٤ روى ابن بسام منها بيتين لادريس في الذخيرة ١ : ٨٧ .

٥ زهر الآداب : ٧٢٧ وديوان صريع الغواني : ٩١ .

وقال الآخر^١ :

وبتنا فوقَ الحَيِّ لا نحن منهمُ
وباتَ يقينا ساقطَ الطلِّ والندى
نعدّي بذكرِ الله في ذاتِ بيننا
ونصدر عن رِيِّ العفافِ وربما
ولا نحن بالأعداءِ مختلطانِ
من الليلِ بُردًا يمتنّ^٢ عطرانِ
إذا كان قلبانا بنا يردانِ
نقعنا غليلَ النفسِ بالرشقانِ

وقال الصمة القشيري^٣ :

بنفسي من لو مرَّ برَّدُ بنانه
ومن هابني في كلِّ شيءٍ وهبتهُ
على كبدي كانت شفاءً أناملُهُ
فلا هو ييداني ولا أنا سائله

وقال القسّ المكي^٤ :

أهابك أن أقولَ بذلتُ^٥ نفسي
حياءً منك حتى سلَّ جسي
ولو أني أطعتُ القلبَ قالا [٢٧ ب]
وشقَّ عليَّ كتمانِي وطالا

وقال العباس بن الأحنف^٦ :

أتأذنون لصبٍ في زيارتِكُم
لا يضمُرُ سوءَ إن طالَتِ إقامته
فعندكم شهواتُ السَّمعِ والبصرِ
عفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

١ انظر الزهرة : ٦٦ .

٢ ط د : ديمة .

٣ هما ليزيد به الطرية في ابن خلكان ٦ : ٣٦٩ والأغاني ٨ : ١٦٤ .

٤ الأغاني ٨ : ٣٣٧ .

٥ ط د م س : بذات .

٦ زهر الآداب : ٧٢٧ والزهرة : ٦٧ وديوانه : ١٤٧ .

ولبعض الطالبين^١ :

رَمَوْنِي وَلِيَاها بِشِغَاءِ هَمِّهَا أَحَقُّ أَدَالَ اللهُ مِنْهُمْ وَعَجَلًا
بِأَمْرِ تَرْكَنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا فَإِذَا عَفَّةً أَوْ تَجَمَّلًا

وقال سعيد بن حميد^٢ :

زَائِرٌ زَارَنَا عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ مُخْطَفُ الْكَشْحِ مُثْقِلُ الْأُرْدَافِ
غَالِبَ الْخَوْفِ حِينَ غَالِبَهُ الشُّو قُ وَأَخْفَى الْهَوَى وَلَيْسَ بِخَافِ
غَضٌّ طَرَفِي عَنْهُ تَقَى اللهُ وَاخْتَر تٌ عَلَى بَذْلِهِ بَقَاءَ التَّصَافِي
ثُمَّ وَلَّى وَالْخَوْفُ قَدْ هَزَّ عَظْفِي هُ وَلَمْ نَخْلُ مِنْ لِبَاسِ الْعَفَافِ

وأنشد الصولي لأبي حاتم السجستاني في أبي العباس المبرد ، وكان يلزم
حلقته ، وهو غلام وسيم^٣ :

مَاذَا لَقِيتُ الْيَوْمَ مِنْ	مَتَمَجِّنٍ خَنِيثِ الْكَلَامِ
وَقَفَّ الْجَمَالَ بِوَجْهِهِ	فَسَمَتَ لَهُ حَدَقُ الْأَنَامِ
حَرَكَاتُهُ وَسَكُونُهُ	تُجَنِّي بِهَا ثَمَرُ الْأَنَامِ
وَإِذَا خَلَوْتُ بِمَثْلِهِ	وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى اعْتِرَامِ
لَمْ أَعُدْ أَفْعَالَ الْعَفَا	فِ وَذَاكَ أَكْرَمُ لِلْغَرَامِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا أَل	هَبَّاسٍ حَلَّ بِكَ اعْتِصَامِي
فَارْحَمِ أَخَاكَ فَإِنَّهُ	نَزَرُ الْكَرَى بِأَدَى السَّقَامِ
وَأَنِلْهُ مَا دُونَ الْحَرَا	مِ فَلَيْسَ يَطْمَعُ فِي الْحَرَامِ

١ زهر الآداب : ٧٢٧ والروض المبطار (بيروت ١٩٧٥) : ١٩٤ .

٢ زهر الآداب : ٧٢٧ .

٣ متابع لزهر الآداب : ٧٢٧ .

وكان أبو حاتم يتصدق كلَّ يومَ بدينار ، ويحتم القرآن في كل أسبوع .

واجتمع^١ أبو العباس بن سريج الشافعي وأبو بكر بن داود القياسي في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء ، فقال له ابن سريج : أنت بقولك «مَنْ كَثُرَتْ لحظاته ، دامت حسراته» ، أبصر منك بالكلام في الإيلاء ؛ فقال أبو بكر : لئن قلتَ ذلك فاني أقول :

أنزّه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرّما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو أنّه يُصبُّ على الصخر الأصمّ تهدّما
وينظر طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي ردّه لتكلما
رأيتُ الهوى دعوى من الناس كلّهم فلست أرى حبّا صحيحاً مسلّما

فقال أبو العباس : لم تفتخر^٢ عليّ . ولو شئت أنا أيضاً لقلت : [٢٨ أ]

ومطاعم للشهد من نفثاته قد بت أمنعه لذيد سنّاته
ضناً بحسن حديثه وكلامه وأكرّر اللحظات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده^٣ ولى بخاتم ربّه وبرّاته^٣

فقال أبو بكر : يُحفظُ عليه ما قال ، حتى يقيم عليه شاهدي عدل
أنّه ولّى بخاتم ربّه ، قال أبو العباس : يلزمني في ذلك ما يلزمك في قولك :

أنزّه في روض المحاسن مقلتي . . . البيت .

١ متابع لزهر الآداب : ٧٢٨ وانظر ابن خلكان ؛ : ٢٦٠ والوافي ٣ : ٥٨ ومصارع

العشاق ٢ : ١٣٧ .

٢ ط : تفخر .

٣ وبرّاته : مخفف من « وبرّاته » .

فضحك الوزير ابن الجراح ، وقال : لقد جمعتما ظرفاً ولطفاً وفهماً
وعلماً .

وقال الشريف الرضي ^١ :

بنتا ضجيعين في ثوبَي هوى وتقى	يلفئنا الشوق من قرنٍ إلى قدمٍ
وبات بارقُ ذاك الثغر يوضح لي	مواقع اللثم في داجٍ من الظلم
وبانت الريح كالغيرى تجاذبنا	على الكتيب فضول الریط واللمم
يولعُ الطلُّ بُردَنا وقد نسَمَت	رُويحةُ الفجر بين الضال والسلم
وأكم الصبح عنها وهي غافلة	حتى تكلم عصفورٌ على علم
فقمْتُ أنفض بُرداً ما تعلَّقه	غيرُ العفاف وراء الغيب والكرم

وقال المتنبّي ^٢ :

وأشَبَّ معسولِ الثنَيَاتِ واضحٍ	سرتُ فمي عنه فقَبَّلَ مفرقي
وأجِيادَ غزلانٍ كجيدِكَ زرنِي	فلم أثبِتْ عاطلاً من مطوَّق

وقال :

يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ويعصي الهوى في طيفها وهو راقدٌ

وهذا المعنى في شعرهم أكثر من أن يحصى .

وأثبتُ هنا أيضاً مقطوعاتِ أبياتٍ لغير واحد ممن تقدم ابن الأبار في

١ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٤ .

٢ ديوان المتنبّي : ٣٣٥ ، ٣١٠ .

ذكر العفاف ، ثم أعود بعد إلى ما له من الأشعار في سائر الاوصاف :

قال الرمادي ^١ :

وليلة راقبتُ فيها الهوى	على رقيبٍ غيرِ وسانٍ
والراحُ ما تنزل من راحتي	وقتاً ومن راحة ندماني
وربَّ يومٍ قَيْظُهُ منضجٌ	كأنَّه أحشاءُ ظمآنٍ
أبرزَ في خديهِ لي رشحهُ	طللاً على وردٍ وسوسانٍ
وكان في تحليلِ أزراره	أفودَ لي من ألفِ شيطانٍ
فُتِّحتِ الجنةُ من جيبه	فبتُ في دعوةِ رضوانٍ
مروءةٌ في الحبِّ تنهى بأنَّ	يجاهرَ اللهُ بعضيان

وقال من أخرى :

لياليَ بعثُ العاذلين إمامي	بفتكي وولَّيتُ الوشاة أذاني
وإذ ليَ ندمانان : ساقٍ وقينةٌ	رشيقانِ بالأرواحِ يمتزجانِ
أمدُّ إلى الطاووس في تارةٍ يدي	وفي تارةٍ آوي إلى الورشانِ
وكنت أديرُ الكأسَ حتى أراهما	يميلانِ من سُكْرِ ويعتدلانِ [٢٨ب]
فكانا بما في الجسم من رقةِ الضنى	يكادان عند الضمِّ يلتقيانِ
ونفضي إلى نومٍ فإن كنتَ جاهلاً	مكاني فوسطى العِقْدِ كان مكاني
فلو تبصرُ المضى وبدره حوله	لقلت السُّها من حوله القمرانِ
وما بيَ فخرٌ بالفجورِ وإنما	نصيبُ فجوري الرشفُ والشفتانِ

وقال الحصري الكفيف :

١ أبيات الرمادي في المطرب : ٣ - ٤ .

قالت وهبتك مهجتي فخذ
وثنّت إلى مثل الكتيب يدي
وهمت لكن قال لي أدبي
قالت : عفت فعت ، قلت لها
ولابن فرج الجياني ^١ :

وطائفة الوصال عفت^٢ عنها
بدت في الليل سافرة فباتت
وما من لحظة إلا وفيها
فملكت الهوى جمحات شوقي
وبت بها مبيت الطفل^٣ يظما
كذاك الروض ما فيه لثلي
ولست من السوائم مهملات
وما الشيطان فيها بالمطاع
دياجي الليل سافرة القناع
إلى فتن القلوب لها دواعي
لأجري في العفاف على طباعي
فيمنعه الفطام عن الرضاع
سوى نظري وشم من متاع
فأخذ الرياض من المراعي

قال ابن بسام : وابن فرج هذا ممن تقدمني^٤ في نشر محاسن أهل هذه
الجزيرة ، وإظهار خبايا فضائلهم المشهورة ، فعارض كتاب « الزهرة » للأصبهاني
بتصنيف رائق ترجمه بـ « كتاب الحقائق » ، فان لا يكن سبق بالزمان .
فلقد زاحم بالاحسان . وله شعر مشهور له فيه إحسان كثير كقوله . وهو
من ملبح الوصف في العفاف عن الطيف^٥ :

١ هو أبو عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الحقائق ، وأبياته في الجذوة : ٩٧ والمطبع :

٨٠ والشريشي ١ : ٢١١ والمغرب ٢ : ٥٦ والنفع ٣ : ١٩١ و ٤٣٧ واليتيمة ٢ : ١٧ .

٢ في أصل ط : غدوت .

٣ في أصل ط : السقم ؛ وفي الحاشية : السقب .

٤ م ط : أمي .

٥ انظر هذه القطعة في المصادر المذكورة سابقاً .

بأَيْتِهما أنا في الحبِّ بادِ بِشكرِ الطيفِ أمْ شكرِ الرقادِ
 سرى فازداد بي أُملي ولكنْ عَفَفْتُ فلمْ أُنلْ منه مرادي
 وما في النومِ من حَرَجٍ ولكنْ جريتُ من العفافِ على اعتيادي
 أخذه من قول المتنبي :

« يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادر . . . البيت »

كانه لما عف في اليقظة جرى على عادته في النوم .

ولابن الأبار في هذا عدة أشعار ، منها قوله :

ومعترضٍ بالغُصْنِ في حركاته تَسَلُّ^١ القلوبُ العفوَ من لحظاته
 عاطيتهُ كأساً كأنَّ سُلَافها من ريقهِ المعسول أو وَجَنَاتِهِ
 حتى إذا ما السكرُ مال بِعِطْفِهِ وعنا بحكم الوصلِ في نَشَوَاتِهِ
 هصرَتْ يدي منه بغصنٍ ناعم لم أجنِ غيرَ الحِلِّ من ثمراته [٢٩أ]
 وأطعتُ سلطانَ العفافِ تَكَرَّماً والمرءُ مجبولٌ على عاداته

وقال^٢ :

ومنعَمَ غضَّ القطافِ عذبِ الغروبِ للارتشافِ
 قد صيغَ من دُرِّ الجِمالِ لـ وَصِيْنٍ في صَدَفِ العفافِ
 وسقته أندية^٣ الشبا بـ بِمَانِها حتى أنافِ
 فترَوَّضَتْ عنه الريا ضُ وَسُلِّقَتْ منه السُّلافِ

١ تسل : مخفف من « تسأل » .

٢ انظر المسالك ١١ : ٤١٨ - ٤١٩ .

٣ المسالك : أيام .

مهما أردتُ وفاقهُ	يوماً تعرّضَ للخلاف
لمّا تصدّى للصدو	دِ وما ل نحو الإنحراف
هيأتُ من شرّكي له	فِعْلَ اللطافِ من الظّراف
فَسَقَبْتُهُ ماءً بها	وأدرتُ صافيةً بصف
حتى تَرَنَّجَ مائلاً ^١	كالغصنِ مال به انعطاف
فوردتُ جَنَّةَ نحره ^٢	ونعيمها داني القطاف
وَضُمْتُ ناعمَ عِطْفِهِ	ضمّ المضاف إلى المضاف
فورعتُ في حين الجنى ^٣	وكففتُ عن فوقِ الكفاف
وعصبتُ سلطانَ الهوى	وأطعتُ سلطان العفاف

وما أملح هذه الملح ، وما أقبح ما أنشدت في ضدّها لعبد الجليل ، حيث يقول :

تعرّض لي ليسقطَ في حبابي	سقوطَ تعمّدٍ شبه اتفاق
وبات على المدامة لي نديماً	وبين جفونه للغنّج ساق
إلى أن مال من سِنَةِ الحميا	وقام الليلُ ممدودَ الرّواق
وحلّ معاهدَ الهيمانِ عنه	بِسَبْطٍ كان يعقدها رفاق
وصار على كرامتهِ بساطاً	ولَفَّتْ بيننا ساق بساق

وبعده ما أضربت عنه ، وصنّتُ كتابي منه .

١ د : قدّه .

٢ المسالك : خده .

٣ المسالك : حتى في الخنا (اقرأ : الجنى) .

وأنشدني أبو بكر الداني^١ لنفسه :

أتوبُ لله من هوى رشأُ غيرَهُ بالعطاءِ مَنْ غيرُ
ليس معي خاتمٌ ولا فتكٌ ولا شرابٌ إناؤه عنبر
ولنما كان شرطه قدحاً وكان شرطي عليه أن يسكر

وممن رأيت أروع هذه الأوصاف وشغف، وصرف فيها الكلام فتصرف،
الأديب أبو القاسم المعروف بالمنيشي الاشيلي^٢ ، أنشدني لنفسه من جملة
قصيدة^٣ :

وعجزاءَ حوراءَ^٤ وفقَ الهوى تحيرتُ فيها وفي أمرها
غلاميةٌ ليسَ في جِسمِها مكانٌ دقيقٌ سوى خصرها
إذا أدبرتْ أو إذا أقبلتْ فقي قرها الموتُ أو كرها
ولما خلونا ورقَّ الكلامُ دفعتُ بكفي في صدرها [٢٩ب]
ومن لا أسميه مثلُ القناةِ فألقتُ ذراعاً على عشرها
فما زلتُ أجمعُ طعناً وضرباً على زيدها وعلى عَمَرِها
وصارفتها العينَ هذا بذاك وقد شدتِ السوقَ من أزرها
فأعطيتها المحضَ من فضتي وأعطني المحضَ من تبرها

قوله : « ولما خلونا ورقَّ الكلام » ، من قول امرئ القيس^٥ :

- ١ هو ابن البانة ، وترجمته في القسم الثالث : ٦٦٦ .
- ٢ هو المعروف بمصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطيلي (انظر ترجمته في المطمح : ٨٨ والمغرب : ١ : ٢٨٩ والرايات : ٢٣ غ) وأبياته قد وردت في المغرب : ١ : ٢٩٠ .
- ٣ عند هذا الحد ينتهي الحرم في النسخة م .
- ٤ المغرب : لفاء .
- ٥ ديوان امرئ القيس : ٢٢ .

وصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامنا ورضتُ فذلّتُ صعبةً أي إذلالٍ

وأخذه الآخر فقال^١ يصف كتاباً :

وفيه الوصلُ يُشْرِقُ جانباه وقد رقّ التشكّي والخطابُ

وقال ابن الرومي :

كادتُ لعرفانِ التوى ألفاظُها من رقةِ الشكوى تكونُ دموعا

وقوله : « غلامية » ... البيت ، معنى " كثر ترداده ، وطال منهم
تعمّده واعتماده ، وأرى أيضاً أن أوّلَ من أشار إليه ونبّه عليه الملكُ الضليلُ ،
حيث يقول :

مَنْ ما تَرَقَّ العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ ... البيت

غير أنه أورده مُقْلَصَ الذيل ، بهيم الليل ، وقد بيّنه بقوله :

• له أبطلا ظي وساقا نعامة •

ثم نقله الشعراء بعدُ كلَّ على مقدار ما أوتي من البيان ، ووهب من
الإحسان ، فقال الاعرابي^٢ :

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ لِزَارِهَا فَدَعِ عَصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلُ
وقال الآخر^٣ :

١ فقال : سقطت من م .

٢ البيت من قصيدة لابن الطُّرَيْيَّة في وفيات الأعيان ٦ : ٣٦٨ والحماسية رقم : ٥٤١٠ وزهر
الآداب : ٨٥٤ وقيل لأبي كبير الهذلي ، وأدرجت في ديوان ابن الدميني : ١٨٦ وخرجها
محقق الديوان ص : ٢٥٦ .

٣ هو الحكم الحضري ، انظر الأغاني ٢ : ٢٥٠ .

تساهم ثوبها ففي الدرع رادة* وفي المرط لقأوان ردفهما عبل'

وقال ابن أبي ربيعة^١ :

خود* وقبر* نصفها ونصفها مهفف

ونسخه أبو تمام فقال^٢ :

تشكى الأين من نصف سريع إذا قامت ومن نصف بطي'

وقال الأخطل^٣ :

أسيله مجرى الدمع أما وشاحها فيجري وأما القلب منها فلا يجري

وهذا كقول خالد بن يزيد^٤ :

تجول خلاخيل النساء ولا أرى لرملة خلخالاً تجول ولا قلباً

ومدحهم بضمور الكشح، وجولان الوشح، وصموت القلب والخلخال،
وامتناع الخدام من الحجال، كثير، ومنه قول النابغة^٥ :

على أن حجلتيها وإن قلت أوسعا صموتان من ملء وقلّة منطق

وقال الطائي^٦ :

١ ديوان ابن أبي ربيعة : ٢٥٢ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٥٢ .

٣ ديوان الأخطل : ١٢٩ .

٤ الديوان : الحجل .

٥ زهر الآداب : ٣٩٣ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٤ .

٦ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان النابغة : ١٨٤ .

٧ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان أبي تمام ٣ : ١١٥ .

من الهيف لو أن الخلاخيل صيرت لها وشحاً جالت عليها الخلاخل

وقال ابن أبي زرعة^١ : [١٣٠]

استكثمت خلخالها ومشت تحت الظلام به فما نطقاً
حتى إذا ربح الصبا نمت ملأ العيرُ بنشرها الطرقات

وقال المتنبي^٢ :

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا

وقلبه الناجم فقال^٣ :

مسلولة الكل غير بطن مثقل فهي عنكبوت
حجولها الدهر في اصطخاب ووشحها كظم صموت

وما أحسن قول القائل فانه ترك اللفظ المطروق ، واختصر على كافة الشعراء الطريق^٤ :

أبت الروادف والثدي لقمصها مرس البطون وأن تمس ظهورا
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيورا

وحسنه بعض أهل أفقنا فقال^٥ :

إن العزيز علي خصرك إنه بالردف حمل منك ما لا يحمل

١ زهر الآداب : ٣٩٣ والمختار : ٩٨ .

٢ زهر الآداب : ٣٩٤ وديوان المتنبي : ٢٧٩ .

٣ زهر الآداب : ٣٩٤ .

٤ أمالي القاضي ١ : ٢٣ .

٥ هو النحلي ، الذخيرة ١ : ٣٨٤ .

ولإنما أخذه من قول المتنبي ^١ :

أعارني سقمَ عينيه وحملني من الهوى ثِقْلَ ما تحوي مآزره

قال ابن بسّام : وهذا الباب واسع الميدان ، ملتف الأغصان ، وإنما ألمع من كل معنى يسير ، وأثيرُ حصاة من ثبير .

وقول أبي القاسم المذكور : « على زيدها وعلى عمرها » من الكنايات المختارة ، والسامع يفهم الإشارة ، وإنما نبّهته على هذا التعريض ، وأرثه كيف يأخذ في هذه العروض ، إحدى من جَاهَرَتْ بالصّبوة ، وتجاوزت طَلَقَ الجَمُوحِ في ميدان الشهوة فقالت : إن ضمّ قَضَقَض ، وإن دَسَرَ أغمض ، وإن أخلَّ أحمض .

وقال أبو القاسم من أخرى ^٢ :

وخشفيّة الألفاظ والجديد والحشا
تثنى على مثل العنان إذا التوى ^٣
وليس كما قال الجهول تقسّمت
ولكن لها فضلُ القبولِ على الحشفِ
وقد عقدها للفسوقِ على النصفِ
فبعض إلى غصنٍ وبعض إلى حِقْفِ

ومنها :

سعت في سبيلِ الفتك ^٤ والفتك بيننا
إشارة لحظٍ تنسخ ^٥ النكْرَ بالعرفِ

١ ديوان المتنبي : ٣٦ .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٩٠ .

٣ المغرب : إذا انثنى .

٤ المغرب : المتك .

٥ المغرب : تخلط .

ومنها :

وما شئت من عضّ الحليّ ورضهٍ وما شئت من صكّ الخلاخل والشنف

قوله : « خشفية الألحاظ » معنى مشهور ، ومنه قول مجنون بني عامر^١ :
أيا شبه ليلي لا تراعي فاني لك اليوم من وحشية لصديق

وقوله : « وما شئت من عض الحلي » ... البيت ، كقول الآخر :
باعتناق ينوب منه حصّى اليا قوت ضمّا وتطمئنّ النهود

وقال أبو بكر الداني :

ضممتها ضمّ مشتاق إلى كبدي حتى توهّمت أنّ الحليّ ينكسر

[٣٠ ب] وقال ابن عمار :

ضمّا ولثما يغني الحليّ بينهما كما تجاوب أطيار أطيار

وقوله : « وما شئت من صكّ الخلاخل بالشنف » فانه صكّ به وجه
بعض أهل عصرنا^٢ حيث يقول :

• وجمعت بين القرط والخلخال •

ومن مجنون ابن الأبار قوله مما يضارع ما تقدّم^٣ :

زارني خيفة الرقيب مريباً يتشكّى القضيّب منه الكثيبا

١ ديوان المجنون : ٢٠٦ .

٢ هو صالح الشتمري ، كما سيبيء في ترجمته .

٣ انظر المسالك : ٤١٩ والفوات : ٤٠٦ والنفع : ٣ : ٤٧ ومعاهد التنصيص : ١ : ٩٥-٩٦ .

رشاً راش لي سهام المنايا من جفونٍ يُصْمي بهنّ القلوبا
 قال لي : ما ترى الرقيبَ مُطِلاً^١ قلتُ ذَرّه أتى الجناب^١ الرحبا
 عاطيه أكؤس المدام دراكاً وأدرها عليه كوباً فكوبا
 واسقنيها بخمر^٢ عَيْنَيْكَ صِرْفاً واجعل الكأس منك ثغراً شنيا
 ثم لَمّا أنْ نامَ مَنْ نَتَقِيهِ^٣ وتلقَى الكرى سميماً مجيا
 قال لا بدّ أن تدبّ إليه قلتُ أبغي رشاً وأخذ ذيباً ؟^٤
 قال فابدأ بنا وثنّ عليه قلتُ كلاً لقد دَقَعْتَ قريبا
 فوثبنا على الغزال ركوبا ودينا إلى الرقيب ديبا
 فهل أبصرت أو سمعت بصب^٥ ناك محبوبه وناك الرقيا

قال ابن بسام : ولقد ظرّف ابن الأبار واستهزّه ما شاء وندر ، وأظنّه
 لو قدر على إبليس الذي تولى له نَظْمَ هذا السِّلْكِ ، وأوطأ له ثَبَجَ هذا
 الملك ، لدَبّ إليه ، ووثب أيضاً عليه ، وأبو نواس ، سهّلَ هذا السيل
 للناس ، حيث يقول^٦ :

نكنا رسولَ عنانٍ والرأي فيما فعلنا
 فكان خبزاً بملحٍ قبلَ الشواء أكلنا

١ القوات : المكان .

٢ النفخ : من خمر .

٣ المساك : ثم لما نام الرقيب سريماً ، القوات : نام من بعد نهم .

٤ ط : وأحذر ؛ م : وأخاف ؛ س : وأخشى .

٥ م : واشتتر ؛ ط د س : واشتھر ، والتصويب عن المساك .

٦ المساك ١١ : ٢٠ ؛ وديوان أبي نواس ١ : ٨٤ (تحقيق فاجنر) .

ومن أناشيد التعالي^١ :

ليَ أيرُ أراحني الله منه صار همّي به عريضاً طويلاً
نامَ إذ زارني الحبيبُ عناداً ولعهدي به ينيكُ الرسولا
حُسِبَتْ زورةٌ لشقوةٍ جدّي فافترقنا وما شفيْنَا غليلاً

وقرأت^٢ في بعض الملح خبراً له بهذا الموضع ، بعضُ موقع ، قال بعضهم :
مشيتُ فإذا أنا بصديقٍ من أهل اليسارِ خارجاً من دارٍ بغي ، فقلت له :
أَيكونُ عندك أربعُ حرائر ، وأكثرُ من ستينَ سريّة ، وتأتي مثلَ هذه
الدينّة ؟ ! فقال : اسكت . مثَلُ أيرِي مثَلُ الكلبِ يَنابحُ مَنْ طرأ عليه
ولا يتعرّضُ لمن اختلَطَ به .

وقد قلت إن الحسن بن هاني ، أكثرَ من هذه المعاني ، حتى منعه الأمين
محمد بن هارون عن ذلك ؛ وله في وصف الشرابِ ، وما يتعلق بهذه الأسباب ،
شعر كثير ، كقوله^٣ :

قد هجرتُ المدامَ والنِّلْمَانا وَتَمَتَّعْتُ^٤ ما كَفَّاني زمانا
ونَهاني^٥ خليفةُ الله أنْ لا أَقربَ الخنْدرِيسَ والغلمانا [١٣١]
وخَشِيتُ الهلاكَ إنْ لم أَطِعهُ ودعني نفسي لإيهم عيانا

١ الأبيات للمفجع البصري ، انظر البيّمة ٢ : ٣٦٣ ومجمع الأدباء ١٧ : ١٨٢ والمساك
١١ : ٤٢٠ .

٢ نقل العمري هذه الحكاية ١١ : ٤٢٠ .

٣ م : من ذلك قوله ؛ وانظر ديوانه : ٣٥٤ ، وما هنا أتم .

٤ الديوان : وتفتيت .

٥ م ط س : ونهانا .

وغزال سقيته^١ الراح^١ حتى أضغفت^٢ منه مقلة^٣ ولسانا
قال : لا تسكرنني بجياني قلت : لا بد^٤ أن تُرى سكرانا
إن^٥ لي حاجة^٥ إليك إذا نم تَ فان شتَ فاقضِها يقظانا
فتلكنا تلكتوا^٦ بانحناث^٦ ثم أصنى^٧ لما أردتُ فكانا

واشتهار شعره ، يمنعني من ذكره .

وممن سلك أيضاً هذه السبيل من الشعراء المجاهرين بالمجون ، الناطقين
بالسنن الشياطين ، الفرزدق^٨ ، بقوله^٩ :

هما دلتاني من ثمانين قامة^{١٠} كما انقض^{١١} باز أفتخ^{١٢} الريش كاسره^{١٣}
وهو قصيد^{١٤} مشهور^{١٤} ، وقد عيَّره به جرير فقال^{١٥} :

تدلتني ليزني من ثمانين قامة^{١٦} وقصّر^{١٧} عن باع العلا والمكارم
ومن محاورات امرئ القيس التي تقدّم^{١٨} الناس فيها قوله^{١٩} :

تقول^{٢٠} وقد جرّدتها من ثيابها كما رُعت^{٢١} مكحول^{٢٢} المدامع^{٢٣} أتلتما
وعيشك^{٢٤} لو شيء^{٢٥} أنانا رسول^{٢٦}ه سواك ولكن^{٢٧} لم نجد^{٢٨} لك^{٢٩} مدفعا
وزاد فيه ابن أبي ربيعة فقال^{٣٠} :

١ الديوان : عاطيته الكأس .

٢ الديوان : فترت .

٣ ديوان الفرزدق : ٢١٢ .

٤ ديوان جرير : ١٠٠١ .

٥ الديوان : تدليت تنزي . . . وقصرت .

٦ ديوان امرئ القيس : ٢٤١ وقراءة الذهب : ٤٢ .

٧ ديوان ابن أبي ربيعة : ١١٣ وقراءة الذهب : ٤٢ .

وناهدةِ التدينِ قلتُ لما اتكبي على الأرضِ في ديمومةٍ لم تَوسدِ
فقلتُ على اسمِ اللهِ أمرُك طائعٌ وإن كنتُ قد عوددتُ ما لم أعودِ

وذكرت بقوله : « على اسم الله » ما أنشده ثابت في كتابه « في خلق
الانسان »^١ مما له بهذا بعضُ تعلق :

تقول إذ أعجبها عتورُهُ^٢ وغابَ في كعشَبها^٣ جُدْمورُهُ^٤
أستقدرُ الله وأستخيرُهُ

وقال أبو نواس أيضاً :

فبتنا يرانا الله شرَّ عصابةٍ^٥ نجرُّ أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ
وهو القائل^٦ :

عصابةٍ شرٍّ لم تر الدهرَ مثلَهُم^٧ وإن كنتُ منهم لا بريئاً ولا صفراً
إذا ما أتى وقتُ الصلاةِ رأيتهم يحشُونها حتى نفوهمُ سكرًا

وقال والبة بن الحباب^٨ :

-
- ١ انظر كتاب ثابت : ٢٨٧ والسان (عتر) .
 - ٢ عتر الذكر : اذا اشتد إنعاظه واهتز .
 - ٣ ثابت : فقرتها .
 - ٤ ديوانه : ٢٧٣ .
 - ٥ الديوان : فقمنا إليه واحداً بعد واحد .
 - ٦ ديوانه : ٢٧٤ .
 - ٧ انظر ترجمة والبة في الأغاني ١٨ : ٤٣ وتاريخ بغداد ١٣ : ١٨ وطبقات ابن المعتز ٨٧ والفوات ٤ : ٢٤٧ وقد ورد بيتاه في معظم المصادر المذكورة .

قلت لِنَدِماني على خَلْوَةٍ أدُنْ كذا رأسك من رأسي
ونَمْ على جَنْبِكَ لي ساعةً لاني امرؤ أنكح جُلَّاسِي
وقال سُحَيْمٌ^١ :

وبتنا وسادانا إلى عَلَجَانَةٍ وَحِيفٍ تهاداه الرياحُ تهاديا
توسدني كفاً وتشتي بمعصم عليّ وتلوي أرجلها من ورائنا [٣١ب]
وممن كنى ولم يصرّح ابنُ المعتز بقوله^٢ :

وكان ما كان ممّا لست أذكرُهُ فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبرِ
قال ابن بسّام : والباب طويلٌ والاكتار مملول : وتتبع كلُّ معنى
يعترض ، يخرج بي عن الغرض : فان سكتُ فترفيها ، وان أملتُ بشيءٍ
فدلالةٌ على الأدب وتنبهاً .

سائر أشعار ابن الأبار في أوصاف شتى

غُنِّيَ يوماً بشعر ابن الرومي حيث يقول^٤ :
وحديثها السَّحَرُ الحلالُ لو أنه لم يخنِ قَتَلَ المسلم المتحرِّزِ
فسأله الوزير الشيخ أبو الوليد ابن المعلم الزيادةَ فيها ، فقال :

١ ديوان سحيم : ١٩ - ٢٠ .

٢ الديوان : وتحوي .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ المختار : ٤١ وزهر الآداب : ٩ .

راق الرياض بزهره وبزهره فتحيرت في معجب بل معوز
عاقرت من طرب عليه عقارة صفراء تغزى للنحول وأعترى
لكن تميز في الكؤوس بنورها وبهائها ، وبقيت غير مميز

وقال :

نطق العود فعاتب من نطق واصطبجها مزة أو فاغتبى
لا تدعها قهوة كترخية لم يدعها نوح إذ خاف الغرق
خلتها في كأسها إذ شعشعت شفقا تلبس أثواب الفلق
قهوة رقت وراقت كأبي عمرو الراق خلقا وخلق
حاجب ما إن نبي أنملة بالعطايا والمنايا تندق
هو والإفضال روض وصبا هو والعلياء عقد وعشق
هو والأملاك إن قيسوا به مهيع بين بنيات الطرق

قوله : « لم يدعها نوح » أشار إلى ما روي في بعض الأحاديث : ان
الشجرة التي أكل آدم عليه السلام منها في الجنة المنهي عنها شجرة العنب .
وروي أيضاً أن نوحاً عليه السلام لما نزل عن السفينة نازعه إبليس أصل
العنب ، فاصطلحا على أن لنوح الثلث ، ولإبليس الثلثان ، وإلى هذا أشار
يوسف بن هارون الرمادي^١ بقوله ، وهي من ملحه :

أفي الخمر لامت خلتي مستهامها كفرت بكاسي ان أطعت ملامها
لمحمولة في الفلك من جنة المنى قد أوصي^٢ نوح غرسها وضيامها
فخادعة إبليس عنها لعلمه بها فرأى كتمانها واغتمامها

١ انظر الشريفي ٢ : ٢١ - ٢٢ .

٢ م : فأوصي ؛ الشريفي : قد أوصى لنوح .

فَفَازَ بِثَلَاثِيهَا وَنَوَحُ بِثَلَاثِيهَا
لَهُ حَظٌّ أَثْنَى وَهُوَ حَظُّ مَذْكَرٍ
وَإِنَّا لَوَرَّاثُ ، وَقَدْ مَاتَ جَدُّنَا
وَلَوْلَا مَغْيِبِي عَنْهُ لَمْ يَكْ رَامِهَا
قَلِيلٌ لَعَيْنِي أَنْ تُطِيلَ انْسِجَامُهَا
غَيْبِنَا ، وَإِنَّا لَا نَجِيزُ اقْتِسَامُهَا

ومن قصائد ابن الأبار الطويلة في المدح

له من قصيدة في اسماعيل [٣٢ أ] بن عباد قال فيها ١ :

حُبَيْتَ مِنْ بَرَقِ يُجِينُ جَنَانَهُ ٢
كَالْأَنَّهُ سَهْرًا وَبَاتَ مَكَالَتِي
وَالصَّبْحُ يُشْهِرُ مِنْ سَنَاهُ صَوَارِمًا
وَكُنْ جُنْحَ اللَّيْلِ طِرْفُ أَدَمٍ
وَكُنْ غَائِرَةَ النُّجُومِ بِأَفْقِهَا
وَكُنَّا الْجُوزَاءُ إِذْ بَصُرْتَ بِهِ
عَذَلُوا وَلَوْ عَذَلُوا أَوْ اسْطَاعَ الْهَوَى
لَا تَكْثُرُوا فَالْحُبُّ فِي حَوْبَائِهِ
مَلِكٌ إِذَا الْهَبَبَاتُ أَظْلَمَ جَنَحَهَا
رَاعَتْ وَقَائِعَ بَاسِهِ حَتَّى لَقَدْ
إِنْ كَانَتْ الْأَسْدُ الضُّوَارِي لَا تَخَا
وَجَدَا إِلَى أَهْلِ الدَّخُولِ دَخِيلًا
حَتَّى رَأَيْتُ اللَّحْظَ مِنْهُ كَلِيلًا
وَاللَّيْلُ يَرْفَعُ مِنْ دُجَاهُ سُدُولًا
مَتَضَمِّنٌ مِنْ صَبْحِهِ تَحْجِيلًا
عَنْ وَجْهِهِ تُغْضِي عَيْنًا حَوْلًا
أَلْقَتْ إِلَيْهِ نِطَاقَهَا مَحْلُولًا
نُطْقًا لَكَانَ الْعَاذِلُ الْمَعْنُولًا
كَالْحَمْدِ فِي أَسْمَاعِ اسْمَاعِيلَا
فِي مَعْرَكٍ جَعَلَ الْحَسَامُ ٣ دَلِيلًا
تَرَكَ الْحَمَامَ بِنَفْسِهِ مَشْغُولًا
فُ صِيَالَهُ ٤ فَلِمَ اتَّخَذَنَ الْفِيلَا

١ المسالك : ١٩ ؛ وفي المغرب منها أبيات .

٢ المسالك : تسهد ليله .

٣ المغرب : جعل الحسام إلى الحمام .

٤ المغرب : لم تخت من بآسه .

إن كانت البيضُ الصوارم لم تَهيم في حُبّه فلم اكتسَيْنَ نحولا
لم يتسم ثغرُ الحجابة زاهياً حتى غدا لجينها إكليلا
لو تخفّز العشاقُ بيضُ سيوفه^١ لم يتركوا عند العيون دُحولا

وما أحسن قولَ < أبي الفضل ابنِ شرف >^٢ :

لم يبقَ للظلم في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيون الغيد من حورٍ

وقال المتوكل بن الأفتس في صفة سيفٍ وأخبر عنه :

لولا الفتورُ بالحاظِ الظباءِ إذن لقلتُ إني أمضى من ظُبابِ الحدقِ

ومن قصيدة ابن الأبار :

غُضُّوا الملاحظَ إنَّ نورَ جبينه يُعشي العيونَ ويبهُرُ المعقولا
ولقد خشيتُ على الثرى وعلى الورى لما دَنَوْا من كَفِّهِ ثقبِلا
هل كان يعصمُ منه إلا عَفْوُهُ لو أنَّ أنملَهُ جَرَيْنَ سيولا

الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي^٣

من مشاهير شعراء المعتضد أيضاً ، أحد من راشر سهام الألفاظ بالسحر

١ م : سيوفهم .

٢ انظر المغرب ٢ : ٢٣٢ والنفع ٤ : ٦٧ .

٣ له ترجمة في الجذوة : ٢٩٦ ، ٣٧١ (البغية رقم : ١٢٣٢ ، ١٥٢٣) والمغرب

١ : ٢٤٥ ، وذكره في رايات المبرزين ١١ (غ) ؛ ونقل ابن سعيد عن الحجاري قوله ان ابن حصن

نشأ مع المعتضد فاستوزره إلا أنه كان فيه طيش أداء إلى حتفه ؛ وانظر أيضاً النفع ٣ :

٢٦٦ ، ٢٩ ؛ وبدائع البداهة : ٣٦٧ والمسالك ١١ : ٢١٧ .

الحلال ، وشقَّ كرائم المعاني عن أبين^١ من محاسن ربّات الحجال ، بين طبع أرقّ من الهواء ، وأعذب من الماء ، وعلم أغزر من القطر ، وأوسع من الدهر ، إذا ذكر شعراً ظنَّ أنه صانعه ، أو ديواناً توهّم أنه مؤلفه وجامعه ، واني لأعجب من قوم من أهل أفقنا لم يعرفوه ولم ينصفوه ، فأضربوا عن ذكره ، وزهدوا في أعلاق شعره ، ولعلمهم حاسبوه بنزع عبلات كان يعبّثُ بها بين مجونه وسكره ، وهيهات فضله أشهر ، وإحسانه أكثر ، ولو تأملوا قوله من قصيدة في اسماعيل بن عباد : [٣٢ ب]

بَكَرَتْ سُحْرَةً قُبَيْلَ الذَّهَابِ تنفضُ المسكَ عن جناح الغراب^٢
وقوله على أنها من عبثاته^٣ :

عليّ أن أتدلّل له وأن يتدلّل
خدّ كأنّ الثريا عليه قرطٌ مسلسل

لعلّوا أنه رأس الصناعة ، وإمام الجماعة .

ولما هيّأت المعتضدُ بأبي الوليد بن زيدون فأنحطّ في حبله ، وتولى إلى ظلّه — حسبما قدمت ذكره في أخباره من القسم الأول — أفرج له عن صدرِ النّادي ، وخلق بينه وبين بجبوحة الوادي ، وهو يظنّ أن سيّجري بالخلاء^٤ ، ويستولي على حمّل اللواء ، فانتحاه من ابن حصن هذا شيطان مريد ، وطلّع عليه منه رقيب عتيد ، وطفق ينازعه الراية ، ويسابقه إلى

١ المساك : أفقن .

٢ المغرب : تنفض الماء ، د : غراب ، والبيت في المسالك .

٣ انظر النفع ٣ : ٢٩ .

٤ فيه إشارة إلى المثل : كل بحر في خلاء يسر .

الغاية، وإن كان أبو الوليد ربما غمره بمكانه، وتمكُّنه من سلطانه . وكان المعتضد ، لشلوذ مناحيه ، وفضل عريدة كانت فيه ، ربما أغرَى بينهما إذا اجتماعا في مجلسه، فيتمكن لابن حصن التقدُّمُ عليه ، بسعة ذرعه ، ورضاه بالفضو من طبعه ؛ وكان ابن زيدون قد جرى من الكلام إلى غاية لا يتعدّاها، ولا يرضى من نفسه إلا بلوغ أقصاها ، ولا يمكنه ذلك منها إلا في مُهَلَّةٍ طويلة ، وعلى كُلفَةٍ ثَقِيلَةٍ ، فربَّما كبا جواده ، وتأخَّرَ مُرادُه ، ولم يزل أبو الوليد يُطَرِّقُ ويحلم ، ويسدِّي في أمره وَيُلْحِمُ ، وابن حصن يغترُّ وَيُقَدِّمُ ، فغاز ابن زيدون بحلمه وتوقُّره، وهوى نجم ابن حصن بين اغتراره وتهوُّره ، فزلَّتْ قدمه ، وطاح دمه ، في خبر مشهورٍ مذكور ، «وعند الله تجتمع الحصوم»^١ وإليه ينتهي الظالم والمظلوم .

جملة من أشعاره في صفات مختلفة

قال :

ألا قلْ لبدْرِ الدجى ما عداهُ مما بدا من نوالِ نوى لي^٢
وهاتِ اشْفِيَيْنِ غُلَّتِي بالمدام فان بناتِ الدوالي الدوا لي

وقال^٣ :

١ عجز بيت من الشعر ، وصدره « إلى ديان يوم الدين نعضي » والبيت لأبي العتاهية في ديوانه :

٣٥٣ والأغاني ٤ : ٥٣ وهو دون نسبة في ابن خلكان ٦ : ٢٢٩ .

٢ س م : نوال .

٣ المسالك ١١ : ٢١٧ .

وربَّ شعلَةٍ نارٍ شفيتُ منها أوارِي
أليس ذاك عجيَّباً^١ يُطْفئُ الغليلُ بناراً؟^٢
كأنما عصرت من شقائق الجَلَنارِ
إذا بدت لك في قط همة من البَلَّارِ
حَسِبْتُهَا شَقَقاً صُ باً في زجاجِ نهارِ

وقال^٣ :

قمْ يا غلام فسقنيها واطرب واشربْ عتبتُ عليكَ إنْ لم تشربِ
من قهوةٍ صفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ في الكأسِ تأتلقُ اتِّلاقَ الكوكبِ
خَضِبْتُ بنانَ مديرها بشعاعها فِعْلَ العرارةِ في شِفاءِ الربربِ

وقال :

مالي وللراحِ وأخلاقها ولائمي فيها لإخلاقها
هات اسقنيها الآنَ تبريةً تحكي^٣ سنا الشمسِ بإشراقها
راحٌ متى راحتْ بكفِّي فقد قامتْ لي الدنيا على ساقها

وقال :

ولي نديمٌ راقدٌ ليلُهُ أعدى من الحَيْنِ على الأنفسِ
نادَى به مازِحُنًا في الدَجَى والوردُ مقرونٌ مع النرجسِ
قلت له : دعه فلا بدَّ من نيلوفرٍ في وَسَطِ المجلسِ

١ ط : أليس ذا عجباً أن .

٢ وردت في المغرب ١ : ٢٤٦ والمساك ، والآخر منها في رايات المبرزين : ٤٠ (١١ غ) .

٣ ط : تحوي .

وقال :

قد شَغِلَ الناسُ بذكرِي وما شَغِلَ إلا الكأسُ والآسُ
ماذا على الناسِ من الناسِ ما أحقَّ بعضَ الناسِ يا ناسُ^١

[٣٣ أ] ومن مستظرف مجونه قوله^٢ :

بأبي ظبيُّ صغير السِّ	نَّ حازتُ ^٣ ثُلثَ سنِّي
سرَّني أنْ ليس يدري	مذهبي فيه وفني
فهو يدعوني عمّا	وأنا أدعوه يا ابني
ذاك عندي وأبي أطر	فُ ما مرَّ بأذني
قلتُ لما أنْ بدا لي	وجهه < من > تحت بطني
قال ماذا قلته لي ؟	قلتُ خيراً فيك أعني
أنا صبٌّ فيك ميت	فاتقِ الله واصلني
لستُ أخشى الموت إلا	خوف أن تبعد عني
فاكتستُ وجنته رَوُ	ضَةً ورد فتنتي
لو ترى مجلس لهوي	قلتُ ذا جَنَّةٌ عَدَنِ
ومدامي خندريس ^٤	لم يشبها ماء مُزَنِ
لو تراني قلتُ هذا	ملك ^٥ ما ذا ابنُ حصن

١ سقط هذا البيت من م .

٢ وردت أبيات منها في المغرب ١ : ٢٤٦ وتحفة العروس : ١٦٨ .

٣ كذا في النسخ ، على التأنيث ، ولعله « حاذى » .

٤ ط م د س : تنأ .

٥ ط : مالك .

ومعي مُسْمِعةٌ تشدُّ ربُّ كأساً وتغني
 وإذا ما شربتُ كأساً ساء من الراح سقتني
 قهوتَي خمرٍ وعَيْنٍ بهما قد أسكرتني
 قلت للمازج خذ صافيةً مِنْهَا ومني
 فاسقنيها بكبيرٍ فإن أعيا فبدن
 فلقد شاقَ فؤادي رنةُ العودِ المرنِ
 فتساقينا إلى أن جازَ جَوَزُ الليلِ عني
 قمت نشواناً وقامت في تهادٍ وتشي
 ونضتُ عنها قميصاً ثم لما ضاجعتني^١
 قَلَبْتُ بطناً لبطنٍ^٢ قلتُ لا ظهراً لبطن
 فأنثتُ في خَجَلٍ قاةً ثلةً عند التثني
 أنا حانوتُ بوجهين؛ فَلَطُ إن شئتَ وازن
 لم أنلُ من كلِّ ما فُهِ تٌ به غيرَ التمني
 إنما الشعرُ فكاهها تٌ وحسبي حُسْنُ ظني^٣

قوله : « قلت لما أن بدا لي وجهه »^١ . . . البيت ، مما أراد أن يسهل

١ المغرب : بتهاد .

٢ م : ضجعتني .

٣ المغرب : لظهر .

٤ أصبح هذا مثلاً عند الاندلسيين ، انظر المثل رقم : ٨٣٦ من أمثال الزجالي (٢ : ١٩٠) .

٥ م س : ظن .

٦ أورد البيت كاملاً في النسخ ، وذلك لا يلتئم مع اثباته لفظة : « البيت » التي تشير إلى حذف .

فيه فنهق ، وأن يتغزل فزلق ، وإنما أراد قول عمر فقصر ، وما أورد
ولا أصدر ، حيث يقول^١ :

قلت يوماً لما وحركت العو دَ بمضراها فغنتُ وغنى
ليتني كنت ظهرَ عودك يوماً فإذا ما احتضنته^٢ كنتُ بطنا
فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالت من بهذا أذاك في اليوم^٣ عنا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليك أن^٤ أتمنى
وقال ابن حصن^٥ :

أمتُ إليه فما يُسْعِفُ وأشكو جفاهُ فما يُنْصِفُ
غزالُ كحيلٍ له رِيقَةٌ يُشَابُ بها المسكُ والقرْقَفُ
كأنَّ العذارَ على خدِّه نجادُ ومقلتهُ مُرْهَفُ

وهذا كقول ابن رشيق القيرواني^٦ ، وهو من متداولات المعاني :

وهل على عارضيه إلاَّ فلاندد^٧ قلدتُ حساما

وقال في الشَّعِيرِ^٨ :

وبستانٍ أعجبتُ الطُّرفَ عنه على شقر كمثل لحى الديوكِ
كأن حجابِ ثاوي الطلِّ فيه جُمانُ فوق تيجانِ الملوكِ

١ ديوان عمر : ٤٣٩ .

٢ الديوان : احتضنتني .

٣ ط د : النوم .

٤ منها بيتان في المسالك ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٢ .

٥ ديوانه : ١٦٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

٦ الوفيات : وهل ترى . . . حمائلا .

٧ الشقر : شقائق النعمان .

وقال ١ :

شربناها كميتَ اللونِ حتى رأيتُ الفجر قد وضعَ النقابا [٣٣ب]
عجوزٌ عتقتُ حجباً ولكن تروك كلَّما شابتُ شابا
وأحسب أنها كانت عقيفاً جرت أنفاسنا فيه فذابا

وقال ٢ :

يُجحف ٣ عنها الدنُّ فاستعبرت جرياً كما قوس إكليل
كانها في الكأس مبيضة ٤ خيطٌ من الفضة مفتول

وقال :

طلَّ على خدَّه العذارُ فافتضح الآسُ والبهارُ
وابيضَّ هذا واسودَّ هذا واجتمع الليلُ والنهارُ
وقد جرى ٥ للنعيم فيه ماء بأحشائي منه نارُ
أقام من فوقه حجابٌ يطيرُ من تحته شرارُ
أغضَّ جفني عنه لأنِّي ٦ عليه من مقلتي أغارُ
رشا أعارَ الغزالَ لحظاً فحسُّنُهُ منه مستعارُ
شربتُ من خمرٍ مقلتيه كأسين لي منهما خمارُ
متى أرمُ سلوةً نهاني غنَّجُ بعينه واحرارُ

١ وردت في المسالك ١١ : ٢١٨ .

٢ وردا في المسالك .

٣ ط م د س : يحجب ؛ المسالك ، حجب ؛ ويححف : يقشر .

٤ المغرب : من صبها ؛ المسالك : منصبة (وهي قراءة جيدة) .

٥ وقد جرى : سقطت من م س ط .

٦ عنه لأنِّي : موضعها بياض في م ط س .

عِذارُهُ قائمٌ بعُدْري فليس لي في الهوى اعتذار
حكى غزالَ الفلا نِفاراً فشأنه التَّيْنَةُ والنِّفار

وكان يوماً على وادي قرطبة في مجلس أنس فتذكر اشبيلية ، فقال :
ذَكَرْتُكَ يا حمصُ ذَكَرَى هوى أَمات الحسودَ وَتَغْنَيْتَهُ
كَأَنَّكَ وَالشَّمْسُ عِنْدَ الْغُرُوبِ عروسٌ من الحسنِ مَنْحوتُهُ
غدا النهرُ عقدَكَ وَالطَّودُ تاجَكَ وَالشَّمْسُ < في > أَعْلَاهُ ياقوتُهُ
وقال ^١ :

اشربْ على طيِّبِ نَسِيمِ السَّحَرِ وانظرْ إلى غُرَّةِ ذاك القَمَرِ
كَأَنَّهُ ماءٌ غديرٍ صفا والمحقُّ فيه مثلُ ظلِّ الزَّهَرِ
ومنها :

أُنشِدْكُمْ شعري كمن قد قرأ سورةَ ياسين على من كَفَرَ
في نَفْسٍ أَسْتَغْفِرُ اللهَ بل في بَقَرٍ لولا اختلافُ الصُّورِ

ما أخرجته من قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به

قال من قصيدة ^٢ :

وما راغني ^٣ إلا ابن ورقاء هاتفاً على فتنٍ بين الجزيرة والنهرِ

١ البيتان في المغرب ١ : ٢٤٦ والمسالك .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٤٧ والمسالك ١١ : ٢١٩ وسرور النفس : ١٠٢ وعنوان المرقصات :

٢٦ ونهاية الأرب ١٠ : ٢٦٧ وحلبة الكميت : ٢٨٦ ورايات المبرزين : ٣٩ (١١ غ) .

٣ خ بهامش ط : هاجني ، وكذلك هو في سرور النفس .

مُفَسِّتَقُ طَوْقٍ لَازُورِدِيْ كُلِّكُلٍ
أَدَارَ عَلَى الْبَاقُوتِ أَجْفَانٍ لَوْلِيْ
حَدِيدُ شَبَا الْمَنْقَارِ دَاجٍ كَأَنَّهُ
تَوَسَّدَ مِنْ عُوْدٍ^٢ الْأَرَاكِ أَرِيكَهَ
وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاقًا^٣ أَرَابَهُ
فَحَثَّ جَنَاحِيهِ فَصَفَّقَ طَائِرًا

مَوْشَى الطَّلَى أَحْوَى الْقَوَادِمِ وَالظَّهَرِ
وَصَاغَ مِنَ الْعَقِيَانِ طَوَقًا عَلَى الشَّعْرِ^١
شِبَا قَلَمٍ مِنْ فِضَّةٍ مُدَّةً فِي حَبْرِ
وَمَالَ عَلَى طِيٍّ الْجَنَاحَ مَعَ النَّحْرِ
بِكَائِي فَاسْتَوَى عَلَى الْغُصْنِ النَّصْرِ
فَطَارَ فَوَادِي حَيْثُ طَارَ وَلَا أُدْرِي

ومنها في المدح :

جَوَادٌ يَرَى أَنَّ الْعِلَاءَ خَيْرٌ مَا اقْتَنَى
يَرَى أَنَّهُ عَرِيَانٌ مِنْ كُلِّ مَلْبَسٍ
طَمُوحٌ إِلَى الْعِلْيَاءِ كَاسٍ مِنَ التَّقَى
يُرْوِقُكَ مِنْهُ خَلِيقَةٌ وَخَلِيقَةٌ

وَأَنَّ ادَّخَارَ الْحَمْدِ مِنْ أَفْضَلِ الذِّكْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ يَخْتَالُ فِي حَلَلِ الشُّكْرِ
غَضِيضٌ عَنْ الْفَحْشَاءِ عَارٍ مِنَ الْوُزْرِ
مَتَى شَتَّ إِطْرَاءً أَرَتَكَ بِمَا تَطْرِي

وهذا مما ذهب به مذهب أبي الطيب وقصر عنه^٤ :

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شَتَّ مَدَحَهُ
وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُمْنِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

وقال من أخرى :

أَقَامَ قَنَاةَ الدِّينِ وَاقْتَعَدَ الْعِلَاءَ
وَشَدَّ عَرِيَّ الْإِسْلَامِ وَاخْتَرَمَ الشُّرَكَاءَ

١ ط : التبر .

٢ خ بهامش ط : فرع ، وكذلك هو في سرور النفس .

٣ سرور النفس : توأماً .

٤ ديوان المتنبي : ٤٦٥ .

٥ م ط س : واعتزم .

يضيق الفضا عن أن يكونَ لبانه وتدنو الثرياً أن تكونَ له سمكا
أدرت وقد دارت رحي الحرب عزيمةً أبادت ذوي الشحنة صولتُها هُلُكا
قَابُوا وَسُمِرُ الخطِّ سائلةٌ دماً وأجسامهم ينضجن من صدأ سهكا
قَبْلُ ما انفكت تغادرُ في العدا وقبعة غسانٍ غداة غزّت عكا^٢

ومنها في الحرباء :

تظل ترى الحرباء فيها مرفعا يدَيّ كاتبٍ ما زال يدعو وما انفكا
قال ابن بسّام : وقد أكثر الناس في وصف الحرباء وانتصابها ، وكنوا
بكل شيء عن تلوتها وانقلابها ، فممن أحسن في التشبيه ، وذهب بهذا المعنى
مذهباً من الحسن لا شك فيه ، ابن الرومي بقوله^٣ :

ما بالها قد حُسِنَتْ ورقبيها أبداً قبيحٌ ، قُبِحَ الرقباءُ
ما ذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء

وقال ابن بابك في غير هذا المعنى ، ولكنه في ذكرها معه التقى^٤ :
بغرةٍ كشعاع الشمس لو برزت في ظلمةٍ^٥ الليل للحرباء لانتصبا
ونقله بعض أهل عصرنا فقال في صفة يبداء :

١ ط د : ويدنو .

٢ يريد قبيلة عك .

٣ ديوان ابن الرومي ١ : ٦٣ والتشبيهات لابن أبي عون : ٢١ والشريشي ٢ : ١٨٠ .

٤ اليتيمة ٣ : ٣٧٩ .

٥ اليتيمة : ذو غرة . . . لو برقت . . . في صفحة .

بيت حرباؤها ضحيانَ منتصباً وإنَّ أظْلَ¹ فلم ينظرُ إلى نورِ
وقال :

بحيث ترى الحرباءَ بالشمسِ كافراً ولو أنه جاءته من جنّتي عَدْنِ
ولو يستطيع التفّ في ظلّ عوده على وشكٍ ما يعني وقلة ما يعني
وقال أبو العلاء ² :

أوفى بها الحرباءُ عودَيّ منبرٍ للظهيرِ إلا أنه لم يخطُبِ
فكأنه رام الكلام ومسه عي³ فأسعده لسانُ الجندبِ
وقال أيضاً ⁴ :

وساحرة⁴ الأقطارِ يجني سرابها فتصلبُ حرباءٌ برياً على جذعِ
وقال عبد الجليل المرسى :

بقلبٍ كحرباء الظهيرة لا يني مع الشمس من ذاك الشعاعِ يدورُ
وأرى أوّلَ من ذكرها ذو الرمة⁵ في قوله ⁶ :

غدا أكنهبَ الأعلى وراحَ كأنه من الضيْحِ واستقبالهِ الشمسُ أغبرُ¹

١ م : أطل .

٢ شروح السقط : ١١٣٣ .

٣ شروح السقط : ١٣٥١ .

٤ ط م ذ س : وساجرة .

٥ ديوان ذي الرمة ٢ : ٦٣٣ .

٦ الديوان : أخضر .

وقال ابن حصن من قصيدة أولها^١ :

أعاجوا المهاري بالعقيقِ فمنعجِ وأوضح منهم توضح كل منهج [٣٤ب]
على نؤي دارِ الركبِ عرجُ فانه حرامٌ علينا السَّيرُ إن لم نُعرجِ
على نؤي دارٍ قد تبقى كانه وقد مَحَّ منه شطره نصف دُمْلجِ

ومنها :

بعيدةٌ مهوى القرطِ مُصَمَّتَةُ البرى لطيفةٌ طيُّ الكشحِ رِيًّا المدملجِ
تعضّ على العنَّابِ بالبردِ الشهي وتمسح ماء الطلّ فوق البنفسجِ
جلت بعقيقِ جوهرأ فتبسمت وذبت عن الوردِ الندي بصولجِ

ومنها :

فقلتُ صلي قد ضقتُ ذرعاً بهجركم فقالتُ صه قد ضقتُ ذرعاً بدملجي

وهذا المعنى مشهور ، هو في شعرهم كثير ، إلا أنه غوره وأبعده ،
وأوعر لفظه وعقده ، والذي إليه أشار ، وعليه دار ، قول أبي تمام^٢ :
يعيرني^٣ أنْ ضِقتُ ذرعاً ببَيْتِنِه ويجزعُ أنْ ضاقتُ عليه خلاخلُه

ومن مدح هذه القصيدة :

جزيلُ التقى يمشي الهويّنا تواضعاً ويهترُ إعظاماً له كل خُنْبُجْ

١ منها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٤ .

٣ الديوان : يعنفني .

٤ الخنج : الضخم ؛ وفي ط : خنج .

وهذا المعنى مما ركب فيه ابن حصن رأسه وحكم هواه، والمعنى مشهور في من وصف بالنسك ومُدِّح بالانسلاخ عن أبته الملك ، ومن ذلك ما قال أبو تمام^١ :

يقول فيُسْمِعُ ويمشي فيُسْرِعُ ويضربُ في ذاتِ الإله فيوجعُ

ورأت عائشة^٢ رضي الله تعالى عنها رجلاً ناسكاً يداني الخطي ويخفض الصوت فقالت : ما بال هذا ؟ قيل : هو ناسك ، قالت : عمر والله كان أنسك منه ، ولكنه كان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب في ذات الله أوجع . وأبو تمام بهذا الكلام ألم^٣ ، وبه ترنم . وفي الحديث^٤ أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفأً كأنه ينحدر من صلب .

وقال من أخرى^٥ :

خليليَّ من يضحى إلى البدر شافعي
يعزُّ على واديهمُ أن أزورهمُ
وما شفني وادٍ تَضَوَّعَ عنبراً
تُدْرَجُ عطفيه الرياحُ فيثني
فما لي على وجدي به من تصبُّرٍ
فلا يردون الماءَ غير مكدرٍ
سواهُ ولا ماءُ يشابُ بسكَّرٍ
ثنيَ أعطافِ التزيفِ المخصرِ^٦

ومنها :

١ ديوان أبي تمام : ٣٢٦ .

٢ ورد في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩ منسوباً للشفاء ابنة عبد الله .

٣ انظر مسند أحمد ١ : ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ٣ : ٢٢٨ ، ٢٧٠ .

٤ منها خمسة أبيات في المسالك .

٥ المسالك : أزوره .

٦ د : الغزال المخصر ، م : المحصر .

وإلاّ فلي منهم بِمُنْعَرَجِ اللوى
مُعَرَّسُ صيدان وأعطانُ بَزَلِ
معاهدُ لم أعهدُ بها عَتلَ الصبا
وصلتُ بها عيشاً كأني قطعته
فكم غمرة جلتى شكرتُ لها الدجى
وما استيقظتُ إلا لقرع حجالها
وقالت : هو الهيمانُ ما باله انتهى
إلى كم أناجي كلَّ أبيض صارمٍ
وحتامُ أَسْتَدْعِي الظُّبَا سُلَماً إلى

[٣٥أ] ومنها :

تحمى هداجاً بالظُّبَا كلَّ هودجٍ
وقائع تغتال^٢ النفوس كأنها
فتى كفرند السيف أرهيف حدّه
أخو الحرب مَشَاءُ إليها ترهوكاً^٣
إذا شهد الهيجا فأولُ مُورِدِ
يفاجيك عفواً منه جودُ بنانه
ويعشاك دون السَّترِ نورُ جبينه

له واشتجاراً بالقنا كلّ مشجر
وقائعُ عبادٍ لدى كلّ عسكر
يهولك في مرأى نبيلٍ ونخبر
إذا سَهِكَ الأبطالُ تحت السَّنَوَرِ
حرائبها عللاً وآخرُ مُصدِرِ
بأغدق من صَوْبِ الغمام وأغزر
بأشرق من ضوء الصباح وأنور

١ د ط س : جريان ؟ وجريان السيف : غمده أو هو قراب فضخم يضع المرء فيه السيف وأدوات أخرى ، والمفقر : السيف الذي فيه حروز مطمئنة عن متنه .

٢ د : بالصرائم .

٣ المسالك : تختار .

٤ م ط س : تركوها ؟ الترهوك : مشي الذي كأنه يموج في مشيته .

تَكَفَّكَتِ الْأَبْصَارُ عَنْهُ بِمُؤَدَمٍ
مُقَابِلِ أَطْرَافِ الْعُمُومَةِ مُخَوِّلِ
أَمَسْتَخْبِرِي عَنْهُ ، عَنْ الدَّهْرِ لَا تَسْلُ
أَرْقَى إِلَى السَّيِّعِ الشَّدَادِ تَخْرُصاً

ومنها في وصف قصيدته ٣ :

تَذَكَّرْتُ لَيْلِي لِلْقَوَافِي فَلَمْ تَزَلْ
فَدُونُكَ عَذْرَاءَ الْمَعَانِي ابْتَدَعْتَهَا
إِذَا مَا الرِّوَاةُ اسْتَنْشَدَتْهَا تَبَرَّقَعَتْ

ومنها في التعريض بابن زيدون :

وَيَنْكَلُ عَنْهَا شَاعِرُ الْمَصْرِ كُلِّهِ
وَدُونُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَ نَظْمِي وَنَظْمِهِ
وَلَسْتُ بِكَاسِيهَا مَدَى الدَّهْرِ حُلَّةً
وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يُحَمَّدُ السِّيفُ عَنْدهُ

وله من أخرى :

١ هو مؤدم مبشر : وصف للرجل الكامل أي جمع لين الأدمة ونعومتها وهي باطن الجلد وشدة البشرة وخشونتها وهي ظاهر الجلد ؛ ويقولون امرأة مؤدمة مبشرة إذا حسن منظرها وصح مخبرها .

٢ ط : وإنما ؛ س د : وأنا .

٣ ومنها . . . قصيدته : وقع في د قبل قوله « أرقى إلى السيِّع . . . » .

٤ د : خوداً للمعاني .

أبى أبدأ إلا اصطحاب ثلاثة
 حسامٌ ويعبوبٌ وسمرأٌ لدنةٌ
 أجال على الصحراء أجرد ساجماً
 طليعة عيني منه أذنٌ حديدةٌ
 شككت ظلمه ظلمان كل مفازة
 وصاغ من الاكليل حلياً لنحره
 أصرف منه في الأعينة بارقاً
 ومنها :

أحنُّ إلى البرق اليماني إذا انتحى
 متى حُسبَ الأملاكُ من كل أمة
 به نسخت أيدي الليالي ملوكها
 وقال من أخرى :

جفا الأبردين الماء والظل وارفأ
 معننى بأحباب يسائل عنهم
 ثننى ذكره المثني مخايل دمة
 أسى بالتي من أجلها اقتحم القنا
 محش غي ورأد ما حمت القنا
 تبوأ أفياء القنا وكفى بها
 ومنها :

وأبيض مهوٍ لم تجده إذا انتمى
 إلى الشرف العادي يعدو المشارفا

١ المهو من السيوف : الرقيق ، وقيل هو الكثير الفرند .

أَعَارَتْهُ أَنْفَاسِي التَّهَابَ وَرَقَرَقَتْ
وَرَاقِ الْعَذَارَى حُسْنُهُ فَأَعْرَنَهُ
تَحَالُ مُذَابِ التَّبْرِ فَوْقَ لُجَيْنِهِ

ومنها :

يَذْكُرُنِي الْبَرْقُ الْيَمَانِي إِذَا انْتَحَى
عَلَى عَاتِقِي شُهْلَانٌ مِنْهُ غَمَامَةٌ

ومنها :

سَقَى عَهْدَهَا بِالْخَيْفِ غَادٍ وَرَائِحُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ نَازَعَتْ كَفَّ الْمَنَى بِهَا
مَعَاهِدُ اسْتَسْقَى لَهَا أَنْجَعُ الْحَيَا
تَحْمَلَنِي مَا لَا أَطِيقُ وَطَالَمَا
بِمَا بَيْنَنَا مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَبْرَى
رَوَيْدِكَ بِالْغَصْنِ الْخَضِيدِ فَانْهَا
وَفَكَّتِي أَسِيرًا مِنْ ثِقَافِكَ إِنْهَا
إِذَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ تَرْتَمَ طَائِرٌ
طَوَى نَحْوِكَ الْأَجْزَاعَ يَرْعَى خِلَالَهَا
تَبْدَلُ مِنْ رِيحِ الْقَرْنِفُلِ بِالضَّحَى
وَمَنْ قَدَنْ غَنَّتَهُ شِدْوًا قِيَانُهُ

عَلَيْهِ جَفُونِي مَوْجَ دَمْعِي ذَارِفَا
دِمَاجَ خُصُورٍ وَائْتِلَاقَ سَوَالِفَا
سَوَاكَا بِأَفْوَاهِ الْكَوَاعِبِ لِاصْفَا

لَدَى الْهَزِّ بَرْقًا مِنْ حَفَافِهِ خَاطِفَا
إِذَا أَسْدَفَ اللَّيْلُ اسْتَهْلَتْ سَدَائِفَا

وَأَيَّامَنَا بِالْخَرْجِ مِنْهُ السَّوَالِفَا
جَنَى الْوَصْلِ حُلُومَ الطَّعْمِ وَالْعَيْشِ غَاضِفَا^١
وَفَاءٌ وَأَسْتَصْحِي الدَّمْعَ الذَّوَارِفَا
عُرِفْتُ صَبُورًا فِي الْمَلَمَّاتِ عَارِفَا
عَلَى عِطْفِكَ الْمَضْنَى بَرْدُكَ عَاطِفَا
رَوَادِفُ يَتَرَكْنَ الْجِبَالَ رَوَاجِفَا
مُضَارِبُ الْخَاطِظِ بَهْرَنَ الْمُثَاقِفَا
حَسِبْتُ بِهِ طَيْفًا مِنَ الْجَنِّ طَائِفَا
صَفَائِفُ^٢ وَالْأَجْزَاعُ تُتَدَى صَفَافِفَا
ذَوَارِيٍّ مِنْ أَرْوَاحِهَا وَذَوَارِفَا
ثِقَاتِلَ مِنْ أَلْحَانِهَا وَخَفَافِفَا

١ لصف : برق وتلألأ .

٢ الغاضف : الناعم البال .

٣ د : صفائف ؛ وأرجح أن تكون القراءة « صفائف » .

وبالرَّمْلِ مرتجاً وبالْبَانِ مائساً
وبالنَّفْسِ النَّفَّاحِ من نحو أرضهم
وبالْأَمْلِ^٢ [الملقى] بأطرافه على
فَقِي تَرِدُ الأملاكُ سُدَّةً بابه
تخالهم من كلِّ شرقٍ ومغرب
يؤمّون بحراً يتركُ البحرُ جوده
مكارم تُنْبِي^٣ حَدَّ ذَهْنِي وتغتدي
نماه إلى العلياء كلَّ مُدَجَّجٍ
وَأَسَادُ آجَامٍ تهبُّ رياحُهُمْ
إذا ما انتضوا بيضَ السيوفِ حسبهم
يهزّونَ بالسُّمْرِ اللدانِ أشاجعاً
تري البشرَ منهم في صحائفِ أوجهٍ
يصنونون أحساباً كراماً وأوجهاً
تلافى هضيمَ المجدِ فاخضرَّ عوده
إذا جمدت كفُّ الكرامِ عن الندى
وجدت أبا عمرو على كلِّ حالةٍ

روادفَ يملأن الملاء ومعاظفا
غواليَ يلقينَ الرياحَ غوالفا^١
أبي عمرو الأعلى تليداً وطارفا
كما تردُّ الماءَ الحمامُ عواففا
طوائفَ بالبيت العتيق طواففا
غريقاً، وبدر أترك البدر خاسفا [٢٦٩]
مصاييحُ فكري في دجاها نوالفا
يرآحُ إلى المعروفِ جذلانَ عارفا
غداة الوغى في الناكثين حراجفا^٤
شموسَ ضحى تُبْدي بروفاً خواطفا
عوارىَ بالطعنِ التّوام عوارفا
قرأنا عليها للنجاح صحائففا
حساناً وأحلاماً حصاناً حصائففا^٥
ولولا تلافيه لأصبحَ تالفا
وخلفها مرّةً السنين جلائفا^٦
جواداً بما يحويه سمحاً ملأطفا

١ ط م س : عوالفا .

٢ د : وبالأمّن .

٣ تنبي : تسبب فيه نبوة .

٤ المخرجف : الريح الباردة .

٥ ط د س : قرأنا .

٦ م : حصافاً ؛ م ط : حصائففا .

٧ جلائف : مقطوعة متأصلة .

وأصبحتَ للدنيا وللدين كالشأ
رمّني صروفُ الدهر خيفاً عيونها
وأصلحتَ أحوالي وكنّ فواسداً
وأوردتني صداة^١ ودك سلسلاً
وأرضتَ أطماعي وكنّ خشاشياً
وإني وإنّ أحكمتُ نظم جواهر
للق سبيك العسجد المحض منك في
وأنشدك السحر الحلال مخاطراً
وأجنبك من شكري بوردي مضاعف
وتمنحني بده الكريم وتارة

وله من أخرى أيضاً :

على الظنّ أني عنك سالٍ ولم أكن
ومن فترقي لا تعجبي وتعلمي
وإني وإن عاقت عوائق دوننا :
ليذكريك المسي والصبح والدجى
مشتمٌ ذكي عَرَفُهُ ، ومقبَلٌ
سَلَوْتُ ولكن عن صبحٍ أرققُ
بأنّي مللوتُ من الحبل أفرق
رقبٌ عتيدٌ أو فراقٌ مفرق
وجوّزُ الضحى ، كلٌّ إليك مشوقٌ
شهبي ، وصدرٌ ناهدٌ ، ومُعْنَقٌ

١ س ط : سراد .

٢ فيه إشارة إلى المثل : « ماء ولا كصداه ومرعى ولا كالسعدان » .

٣ ط : أبرضت ؛ وأرضت : جعلتها أريضة ممرعة ، والخشاشي : الأرض الصلبة ذات الحصى ،
والخشائف : اليابسة .

٤ من المثل : « أعن صبح ترقق » يضرب لمن يعرض بشيء وهو يريد غيره . انظر فصل المقال :

٧٥ والضمي : ٥٣ .

وخذ^١ غدا يستغفر الله كلما
 يخادعه مكرأ فيحسب أنه
 وليل زمان الوصل منك لحفته
 نرقرق من نظم الكلام ونثره
 حديثاً كعرف العنبر الورد بيننا
 جلست وهي عبّري عن محيا نقابها
 تكاد بلحظ الوهم تندى غضارة^٢
 ومما يغيظ الخيزرانة أنها
 إذا طفقت تمشي الهوينا تهادياً
 أرتك الهوى رُشدأ ولم تعد أنها
 وإن سقرت تفر عما يجيدها
 سمعت قلوب العاشقين كأنها
 مليك^٣ له مرأى جميل^٤ ومخير^٥
 تلوذ^٦ بحقوقه الملوك كأنها
 إذا صال كاد النجم من شد صوله
 وإن لقي الأعداء ولت^٧ كأنها
 له من نبيل الرأي سيف^٨ وذابل^٩
 ذكي^{١٠} إذا حاك الكلام رأيت^{١١}

تخلله لحظي يعيث ويفسق^{١٢}
 يناجيه سرأ وهو يزني ويسرق^{١٣}
 بيوم به كل الأمان تلحق^{١٤}
 سلفاً تسقاها الجريش^{١٥} وتغبق^{١٦}
 مع المسك مفتوقاً يذر ويسحق [٣٦ب]
 كما انحل خيط المزن والشمس تشرق
 وتعتقد^{١٧} لبناً بالبنان وتطلق^{١٨}
 بعقدتها فوق الحشا^{١٩} تنطق
 كما انساب مشحوناً على الماء زورق
 أراك^{٢٠} على وعساء بالخلي تورق
 وعن مثل ما تفر من ذاك تنطق
 بنود أبي عمرو مع الريح تحفق
 نبيل^{٢١} وفعل^{٢٢} مستطاب^{٢٣} ومنطق
 كواكب بالشمس المنيرة تحدد
 يخرق^{٢٤} جلباب^{٢٥} الدجى ويمزق^{٢٦}
 بغاث^{٢٧} رأت في الجوى صفراً يخلق
 ومن حزمه درع^{٢٨} حصين^{٢٩} ويلتمق^{٣٠}
 يصمم^{٣١} في أوصاله يطبق^{٣٢}

١ في النسخ ، جرشي ، ولا وجه لاسقاط « ال » التعريف فيه .

٢ م ط د : ترقرق . . . ونعيق ، والبيت متصل بما بعده .

٣ ط د م س : الحيا .

٤ ط م : اطفقت .

يشققُ أبكارَ المعاني كأنَّها
 يطيبُ نسيمَ الشَّعرِ من طيب ذكره
 متى حِكتُ فيه الشَّعرَ بَيْتٌ وليلتي
 به دمرَ الرحمن دمرَ وانطوى
 ومن آلِ يرنيان^٢ أنكثُ أمةً
 ثلاثةُ رهطٍ بدَّدَ اللهُ شَمْلَهُمْ
 وصيرهم قبل انقضاءِ حديثهم
 وكلُّ غدا رهناً بما كان عاملاً
 فأشكَلُ ملبوسٍ تخيرتهُ لهم
 وأفضلُ مركوبٍ عليه حملتهم
 همُ وردوا الخوضَ الذي عنه ذدتهم
 همُ نقضوا ميثاقَ عهدك عَنوةً
 همُ أنفضجوا ذاك الشَّواءَ فرمَدوا
 ومنها :

بمعتضد بالله أشرفتِ الدُّنَا
 ورقَّتْ حواشي الدهرِ حتى كأنه
 وأطلقها من ربةِ الجورِ مُطْلِقُ
 رداءُ عروسٍ بالعبيرِ مرققُ

١ - بنو يفرن من زناة ، استولوا بعد الفتنة على تآكرنا وكانت قلعته رندة ، وكان زعيمهم أبو نور بن أبي قره حليفاً لعباد ، ثم غدر بهم عباد في حديث طويل ، (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٠ وما بعدها) وقوله : « دمر » هي أحد فروع اليفرنيين ، وفي النسخ : تدمر .
 ٢ - وردت في النسخ : يرقيان ، وعند ابن عذاري (٣ : ٢٧١) يرنيان ، وكان أميرهم عبدون بن خزرون صاحب أركش وشذونة ، وقد قام عباد بالقضاء عليهم أيضاً وأباد أكثرهم سنة

ومنها :

لأغرقتني من أن أكونَ بشكرها
ولو كلُّ عضوٍ فيَّ أو كلُّ شعرةٍ
أتني يدٌ بيضاءُ منكَ كأنَّها
ومشتاقه عذراءُ شدَّ خناقُها
عليه من اسم الملك عِقْدٌ منظَّمٌ
تلاقيتها بِشراً ملاقاةً شيقٍ
أقبلها طوراً وطوراً أضمتها
إلى أن تشفينَا عناقاً وخفتُ أن
قطعتُ عليها عقدها فتناثرتُ
كحلتُ بها حولاءَ عيني فاغتدى

ومنها في ذكر قصيدته :

وأيقظتُ أفراسي لها فتطايروا
فيا لك من لهُوٍ وطيبٍ وفرحةٍ
لو أنَّ جريراً والفرزدق أنشِدَتْ
وهنَّ وإن كانتُ قوافي تننقى

وله فيه من أخرى ١ :

وليلٍ كأكبادِ العُدَّةِ وصلتهُ
ويومٍ عماسي بلبيلٍ ذعرتهُ

١ موضع هذه العبارة بياض في م ط س .

وجرية ماء كالمجرة جلّت
تشادي به ورق الحمام بالضحى
ومنهما :

أحمج شري الخطب جزواً ومخطباً^١
وألقى بأمثال الخطوب خطوبها
ومن يشك ما أشكول إلى نصّب الشرى
ومن يرج عبّاد بن عبّاد الرضا
ففي تدري^٢ الهيجاء أرواقها به
وتسفر منه المشكلات تقابها
وما أصعب الأشياء حتى يرومها
يذل له الأمر العسير فكاد أن
ومنهما :

وطوقني دون السؤال اهتاله^٣
فأبني لي ما جف من عودٍ مطلبي
تراسل في الجلتى أسيرة وجهه
أيادي جلّتي وقد كنت عاطلا
وعاد أجاجي منه عذباً سلاسل
نجيعاً وطوراً سؤدداً وطوائلا

١ في د ط : جدواً ؛ ويجمع : يحدق النظر ، (وفي النسخ : يجمع) والشري : الحنظل ،
والجرو : الحنظل حين يكون صغيراً ، والمخطب : الحنظل حين يصغر .
٢ في النسخ : ألمح ؛ وألمج : أرفع ؛ الجداء : القليلة اللبن ، والحافل : الفرع
المتلء باللبن .

٣ في النسخ : تزدري ؛ ولا معنى له .
٤ نكل حرب : قوي عليها ، وفي النسخ : حزب .
٥ م ط : ابتهاله ؛ س : ابتهاها .

يدٌ تَسَعُ الدنيا بما وَسِعَتْ ولا
يَقِيلُ أبان^١ أن يرى فصَّ خاتمٍ
أمستوصفي عنه ابنَ بجدتها أجَلُ
مساعٍ إذا ما الوصفُ حاولَ بعضَهَا
خلعن على سحبان حُلَّةَ باقلٍ
سوى العجز لا يجدي تناولَ وصفها
وإنَّ زماناً جادَ فينا بمثلِهِ
فهذا مكانُ الوصفِ إن كنتَ واصفاً
فما يهبُ الآمالَ إلاَّ حوالياً
وإن خاتلت أعداؤه أفئدة^٢ لهم
فما ينظمُ الآراءَ إلاَّ دأبياً

ومنها :

همُ القوم طابوا أبطننا وعمائراً
ضراغمُ آجامٍ تهبُّ لدى الوغى
فما حملوا إلاَّ بنصرٍ حمائلاً
ولا ادرعوا غيرَ القلوبِ سوابقاً

ومنها :

ودونكها مصبوحةٌ رِسلَ مِقْولٍ

أحاشي بها برأوبجرأوساحلا [٣٧ ب]
لها والبحورُ الزاخرات أناملا
لقد جَلَّ عن وصفي عللاً وفواضلا
ذهبن به في كلِّ وادٍ محاولا
فساوى بها سحبانُ في العيِّ باقلا
عليَّ وقولي عزَّتِ المتناقلا
جديرٌ بأن يدعى الجوادَ المناولا
وهذا مكان القولِ إن كنتَ قائلاً
إذا وهب الناسُ العطايا عواطلا
بما قِطِ^٣ حَرْبٍ لم تجده مخاتلاً
ولا يبعثُ الراياتِ إلاَّ قوائلاً

وطابوا شعوباً قوبلتُ وقبائلاً
شماثلهم في المأزقين شماثلاً
ولا أعملوا إلاَّ بِنُجْجٍ عواملاً
ولا سكنوا غيرَ السَّروجِ معاقلاً

أزفَ بها بكرأ عواناً مُراسلاً

١ أبان : اسم جبل .

٢ سر م : أفة .

٣ المأقط : المترك .

قوافي أمثال الصخور بعثها
حوامل للآمال أجمل^١ من غدت
إذا أنشيدت في محفل القوم أعربت
بيان هو السحر الحلال تجودت
قديمًا على أسمع قوم معاولا
مطافيل بالمعنى النفيس حواملا
من الغيظ في أضلاع قوم محافلا
به فكرة أضحت لبابل بابلا

وله من أخرى في اسماعيل بن عباد :

هوى بي هوى الغيد الحسان فللجوى
وزين عندي حلة السقم أنها
أما وعيون العين يوم النوى لقد
أمرضتها كأس الملامة مدمنًا
نفضت يدي عن كل ورد وسوسن
وأغضيت إلا أن يلوح لناظري
والعس معسول اثنايا من المني
حبيب رقيب الحسن فوق جبينه
حشا كحلا عينيه مسك عذاره
سأهواه ما اهتز الأراك وأصبحت
صقيل فرند السيف يبيض ليله
تبئل منه كل مرأى ومخبر
تلين له الأيام وهي شدائد
بكل فؤاد من فؤادي^٢ تمكن
نحور بها زهر الحلى تزيين
سبي قلبي الغصان منهم أغصن
أقل علي^٣ اليوم كم أنت تدمن
لحد به ورد أنيق وسوسن
حيًا به أيقنت أني محبين
ألد ومن شمس الظهيرة أحسن
يتيه ، ومعشوق الملاحه بمنجن
فلاح به وجه من العذر بين
أنامل إسماعيل بالجوود تهين^[١٣٨]
إذا اربد من ليل الكربة موهين^٤
فقد فتنت فيه قلوب وأعين
وتعنو وجوه الحادثات وتذعن

١ م : أحمل .

٢ ساقط في ط م س ؛ وفي د : بكل فؤاد من فؤادي ؛ ولا أراه دقيقاً ، ولعل الصواب « بكل
قسيم من فؤادي » أو « بكل فؤادي علقه وتمكن » أو ما أشبه من قراءة .

فقد يقطع الصمصامُ والمتنُ ليتن
 رأى حُسْنِ مسعاهم فما زال يحسن
 وقائعهم في كلِّ هيجاءِ تؤمِّن
 وتثالُ منهم بالفصاحةِ ألسن
 وعزاً مكيناً لا يني يتمكن
 وليس كذا لكنَّهُ يتظنن
 ذكيًّا كمثلِ النارِ في الزُّندِ تكمن

فلا تياسنَ منه بلينِ عريكةٍ
 نماءُ إلى العلياءِ آباءُ عزَّةٍ
 ميامينُ أجدادٍ مآمينُ لم تكنْ
 ترفقُ منهم بالسماحةِ أوجهُ
 كفاهم باسماعيلِ مجدأٍ مؤثلاً
 تظُنُّ به في المشكِّلاتِ كهانةُ
 توقدُ ذهنٍ في خمودِ سَكينةٍ

وله من أخرى :

إلاً إشارةُ عتابٍ وتسليمُ
 والسرُّ منهتكُ والصبرُ معدومُ
 حمَلَتْها ضعفٌ ما يلقي بها الريمُ

ما بينَ البينِ يومَ الخوفِ مذمومُ
 وآيةُ الحبِّ في الأجفانِ واضحةُ
 هي الغزاةُ لولا ضيقُ دملجها

ومنها :

حداهم^٢ كلَّ رهوٍ السيرِ مخطومُ
 أحوى المحاجر طاوي الكشحِ مهضومُ
 كأنه سوسنٌ بالوردِ ملطومُ
 تحفه طُرّاً ليلٍ وتعميمُ
 للّينِ حِقْفٌ من الكافورِ مركومُ
 ضربانِ مُنتَشِرٌ منه ومنظومُ

ساروا وقلبي أسيرٌ في القبابِ وقد
 وفي الغبيطِ الموشى شادنٌ خرقُ
 مخدّد الخدُّ بالأوهامِ ناعمه
 بلرٌ بدياجتية عُجْمَتَا سَبَجٍ^٣
 غُصْنٌ من الورقِ الماذي يجذبه
 يُهندي لك الدرّ من لفظٍ ومبتسمُ

١ لعل الصواب : « ذكاء » .

٢ س ط : حدا بهم .

٣ العجمة : النقطة ؛ السجج : الخرز الأسود .

يُجْنِي الذُّنُوبَ وَأَحْنُو أَنْ أُوَاخِذَهُ
 مَا هَاجَ بَرَحَ الْهُوَى إِلَّا مَطْوَقَةً
 تَرَنَّمَتْ وَدَمَوْعُ الصَّبِّ آيَةً أَنْ^١
 أَيْ حَمَامَةً ذَا الْوَادِي أَثَرَتْ جَوَى
 إِلَّا يَكُنْ وَادِيًا حَلَّتْ رَكَابُهُمْ
 هُمْ أَنَاخُوا بِجِزْ عَيْنِهِ جَمَالَهُمْ
 [هَلَمْ] نَسْرِي اعْتِسَافًا حَيْثُ عَنْ لَنَا
 نَغْشِي بَهَنَ بَنَاتِ الْوُخْدِ سَابِجَةً
 يُنْضِي^٢ سَرَى اللَّيْلِ تَأْوِيْبَ النَّهَارِ وَلَا
 وَالْآلُ عِنْدَ هِيَامِ الْقَيْظِ مُضْطَرَبٌ
 يَزَاحِمُ اللَّيْلَ وَالْخَرَقَاءَ مَوْضِعَةً
 مَرْقَّتُهُ وَثَرِيَّاهُ تَلُوحُ كَمَا
 وَقَدْ مَحَا سُنَّةَ الْبَدْرِ الْخَسُوفُ كَمَا

ومن المدح :

حَوَى مِنَ الْفَخْرِ مَا لَمْ يَحْوَهِ مَلِكٌ
 أَغْرُ مِبْتَهَجٌ فَاحَ الزَّمَانُ بِهِ
 هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي أَضْحَى السَّمَا حَ لَهُ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قِيلَ الْحَسَنُ مَرْحُومٌ
 كَأَنَّهَا مِنْ نَحْوِ شَفْهَى جِيمٍ
 يَهِيلُ سَاجِمَهَا بَيْنَ وَتَرْنِيمٍ
 تَنْقُضُ مَنْقَدَةً مِنْهَا الْحَيَازِيمُ
 بِهِ وَإِلَّا فَمَا وَادِيكَ مَأْمُومٌ
 وَأَنْهَلُوهَا وَهَنَ الطَّلْحُ الْهِيمُ
 مِنْهُمْ وَهَنًا سَنَا نَارٍ وَتَخْيِيمُ
 تَخْذِي وَقَدْ هَمَّ بِالسَّمَاءِ تَهْوِيمُ
 هَجِيرٍ مِنْ لُحْبِ الرَّمْضَاءِ تَضْرِيمُ
 كَأَنَّهُ فِي بَسَاطِ الْقَاعِ مَحْمُومُ [٣٨ب]
 وَالْقَفْرُ مِثْلُ طَرَادِ السَّيْفِ دِيمُومُ
 لَاحَتْ بِأَعْمَلِ زَنْجِيٍّ خَوَاتِيمُ
 مَحَا سَنَا رَوْنَقِ الْمَرَاةِ تَسْهِيمُ

وَحَازَ مَا لَمْ يَحْزُهُ الْعُرْبُ وَالرُّومُ
 كَأَنَّمَا دَهْرُنَا بِالْمَسْكِ مَرْثُومُ
 رَيْطًا كَأَنَّ الْعَطَايَا فِيهِ تَعْلِيمُ

١ س م ط : أفة أن .

٢ بياض في م د س ؛ وفي ط كلمة لعلها مزيدة بخط غير خط الأصل .

٣ ط م س : يضني ؛ د : يقمي .

٤ مرثوم : مخلوق ملطخ بالطيب .

٥ التعليم : جملة مملوءة أي مخططة .

قد كفل الخلق جدواهم فعمتهم
 إذا نبا حادثٌ للدهر عن له
 يا ها أمية لا تقرب لحمص حمى
 كذلك آباؤه الماضون هم أكمّا
 إذا نظرت فأشكالُ البدور وإن
 نماك للمجد عبادٌ فأنت له
 هذي الليالي على حُكْمٍ وإن رغمت
 كأنما الرزقُ من كفيهِ مقسومٌ
 عزمٌ ثنى المتن منه وهو مقصومٌ
 محمد ما تحامى فهو ترخيمٌ
 ت الغز ما ظلّموا يوماً ولا ضيموا
 خبرتهم فهم الأسدُ الضراغيم
 نبجل سمّت بكما الصيدُ اللهايم
 زمامها بكلا كفّيك مزوم

ومنهم الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي^٢

قال ابن بسّام : وكان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي
 من بلغاء الكتاب ، وأغرب شأؤ جده الباجي في الولادة كل الإغراب ،
 في صلة حبّل البلاغة على جميع كتاب الإسلام ، لأنه أنسل أربعة من
 حملته الأقلام وفرسان الكلام ، أولهم جدّه يوسف ، وابنه جعفر بن
 يوسف ، وعبد الله ويوسف ابنا ابنه جعفر ، ويوسف هذا هو المكني بأبي
 عمر . فأما أبوه جعفر فكتب صدر الفتنة المؤرخة أوّل هذا الكتاب لعدّة

١ ط د م : وما .

٢ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٤٠٥) أن يوسف بن جعفر الباجي كان فقيهاً جليل القدر
 رحل إلى المشرق وحج وولي قضاء حلب ، وعاد إلى الأندلس فجل قدره عند المقتدر بن هود
 ملك سرقسطة ، وقد ذكره ابن بشرّون الصقلي وعنه ينقل العماد (الخريدة ٢ : ٣١٣)
 وذكر أن له مؤلفات وتصانيف شرعية ؛ وعاد العماد فذكره (٢ : ٣٨٠) نقلاً عن
 القلائد ١٠٢ وفيها أن كنيته « أبو عمرو » ، وانظر المسالك ١١ : ٤٢٠ .

من كبار أملاكها آخرهم يحيى بن اسماعيل بن ذي النون ، ولديه توفي بمدينة سالم سنة خمس وثلاثين . وكان أبو عمر هذا إنما تصرف كاتباً ، وطلع شهاباً ثاقباً ، بأفق المشرق ، وإنما ذكرته هنا لأن بلده وبلد سلفه باجة ، إحدى مدن الجانب الغربي من الأندلس ، وقاعدة بلاد ساحل البحر المحيط الرومي .

ونقلت ما أثبت في هذا المجموع من رسائل بني الباجي من قراطيس تعاليق ، وبطائق وقعت إليّ تفاريق ، منسوبة لهم في الجملة ، وربما اختلطت رسائلُ الابن والأب لهذا السبب ، وهذا الذي أصف وأشرح ، ممّا لا يضر ولا يقدح^١ ، لا سيّما في رواية حكاية لا يُخل بها نسبُها إلى من < لم > يحكيها ، وفي نشر نسيجه لا يَغُضُّ من بهجتها إضافتها إلى من لم يحكها ، وإنما هي ملّحٌ منشور أو منظوم ، وليست بحقائق علوم ، فتتكلّف في صحة الأسانيد ، والفرق بين سعيّد وسعيد ، والفصل ما بين عبّيد وعبّيد . وعلى أي حال ورد هذا المجموع ، من مجهول أو معلوم ، في منشور أو منظوم ، فبديع رائق ، ومتأخّر إن شاء الله سابق .

جملة من رسائله في أوصاف مختلفة

له من رقعة عن ابن هود إلى المعتضد :

كثرت - أيتدك الله - محامدك فصارت زاد الرفاق ، وأشرقت

١ هكذا يقول ابن بسام ، ولكن هذا من التجوز الذي يلحق ضرراً بالدراسة الدقيقة . والمؤلف إنما يتشعل لنفسه عذراً ، وقد علق العمري على هذا بقوله : « وهبهم أهل بيت واحد أليس يفرق بينهم التفات ؟ ! » .

محاسنكَ فَرَمَتْ بساطع نورها إلى الآفاق ، ففي كلِّ سبيلٍ طليعةٌ من ثنائكَ مرحلٌ^١ ، وفي كلِّ أفقٍ بريدٌ من أنبائكِ يُتَعَلَّلُ ، [٣٩] ولفضائكِ المأثورةِ حَمَلَةٌ يتباينون في القدر ، ويتفاضلون في النشْر ، وكلّهم موجزٌ وإن حاولَ أن يُطْنَب ، ومقتصدٌ وإن حاولَ أن يُسْهَبَ ، والله يصونُ ما ألبَسَكَ من المكرمات ، ويزيدُ فيما خَوَّلَكَ من الصالحات ، بمنّه .

وأنا لا أزال بفضلِ خُلُوصي إليك ، وصدقِ انجذابِي لك ، وشدةِ اغتباطِي بموهبةِ الله السنيّةِ فيكَ ، مصيخاً إلى كلِّ داعٍ بشعاركَ ، وحاملٍ لآثاركَ ، مستهدياً لطيبِ أحاديثِكَ ومبهجِ أخبارِكَ ، فإذا ظفرتُ بمحدثٍ عنكَ فقد نلتُ جَدَلِي ، وإذا وقفتُ على خَبَرٍ من لدنكَ فذلك من أُمِّي .

وفلان لحقٍ بجهتي ، طاعتكَ : وعنده أوفى بضاعةٍ من رفيعِ ثنائكَ ، وأحسنُ إشاعةٍ بجميلِ أنبائكِ ، وهو الناطقُ القَوول ، والصادقُ المقبول ، فَعَرَضَ تلكَ البضاعةَ الزكيّةَ في معرضِ نَقَاقِها . وقصدَ بها أقومَ أسواقِها ، وأهدى ذلكَ العَلِقَ السَّيِّئَ إلى مستهديه ، وأدّاهُ إلى يدٍ^٢ مقتنيه ؛ ولما أنْ صَدَرَ عَنْهَا ، بعد انقضاءِ وطره منها ، وقد ضَمَّخَها بذكرك ، وقام فيها بشكرك ، تُفَّتْ إلى مواصلتكِ معه . وتجديدِ العهدِ الكريمِ على يده ، فأصحبته كتابي هذا مُخْبِراً عن مقامه في بثِّ مناقبك . وواصفاً لحاله في نشرِ محامدك ، ومجِلاً عليه في وصفِ ودِّي ، والإخبارِ عمّا عندي .

وله من تعزية إلى ابن أبي عامر في ابنه المعتز^٣ : بأيّ لسان — أيّدك الله —

١ كذا في النسخ .

٢ يد : سقطت من ط .

٣ وردت هذه الرسالة في العطاء الجزيل : ٦٢ .

أخاطبك مذكراً ، أو بأيّ مقالٍ أَلَطِفُكَ مصبراً ، وقد أذهلتني
فجأةُ الخطبِ ، وتركني طائرَ القلبِ واللّب ، وقد رماني ساعدُ الزمانِ
حينَ رماك ، وأصماني سَهْمُهُ كما أصمّاك ، وثارتُ إليّ فجائعهُ من حيثُ
ثارتُ إليك ، ودارتُ عليّ وقائعهُ من حيثُ دارت عليك . ولو كان ما
طالني خَطَرَةً حُلُمٍ ، لكفى به داعيةٌ بثٌ وألمٌ ، فكيف إذا كان يقيناً
يقطع أَمَلَ المؤمِّل ، ويُبْطِلُ رجاءَ المرتجِي المتعلِّل ؟ !

وورد كتابُكَ الجليلُ ناطقاً بلسانِ الرزية ، مقصداً سهمَ الفجيعة في
المعتر بالله ، ابنك ، ومعتمدي - كان - فأتانا الله ! ! أيُّ رزءٍ ما أفضله في
القلوب ، وأيُّ خطبٍ ما أشنَّعه في الخطوب ، وأيُّ مصابٍ ما أحقه
بالأسيِّ ونَسَبِ الأُسيِّ ، لولا أمرُ الله تعالى . ولا أجيدُ - أيتدك الله - لهذه
الفادحةِ قُدراً ، ولا أقيسُ بها أمراً ، ولا أكاد أقولُ في مثلها صبراً ،
فإنها سالبةُ الأذهانِ ، وجامعةُ الأحزان ، وخبیثةُ الحدّثان ، وكبيرةُ نوائبِ
الزمان .

وفي فصل منها : ونحن مأمور فينا ، ومحكومٌ علينا ، يملكنا خيرُ المالكين ،
ويحكمُ فينا أعدلُ الحاكمين ، ولو شاء الله لم يَخْلُقْنَا ، فضلاً عمّن
خَلَقَ مِنَّا ولنا ، وقد أنعم الله عليكَ بنعمي متَّعَكَ^٣ بها ما شاء ، ثم صنع
في بعضٍ ما شاء ، فإن تقابلُ بالاحتسابِ قَدَرَهُ النَّازلُ ، وبالتفويضِ

١ العطاء الجزيل : بطول الأسي .

٢ في النسخ : وكثيرة .

٣ في النسخ : منحك ، والتصويب عن العطاء الجزيل وزاد فيه بعد اللفظة « الله » .

قضاءه العادل ، فأحزِرَ بِحَزْنِكَ أَنْ يَعودَ سروراً ، وَبِصَدْعِكَ أَنْ يَكُونَ
بثواب الله مجبوراً .

وله من أخرى في مثله ^١ : كتابي عن نَفْسٍ مستطارةٍ بِلَوَعَتِهَا ،
وكبدٍ مُذابيةٍ بروعتها ، وعن قلبٍ شعاره بُرَحُ الجوى ، وأشاره تَهْبُ
الأسى ، تفجئاً لما فجعلك ، واشتراكاً في عظيم المصاب معك ، وأسفاً على
من فقدناه فقدانَ السَّمْعِ والبصرِ ، ورُمينا فيه بأفْطَعِ الحوادثِ والغيرِ ،
فانّا لله وإنّا إليه راجعون ، بها يعتصمُ العارفون ، وإلى حقيقتها يرجعُ المسلمون .

وانّ كتابك ورد منبئاً عن صورة حالك ، وتوفية ^٢ رزنيك حقّه من
الأسف ، وإعطاءٍ مصابك بقدره من اللّهُفِ ، فسَدَّ ^٣ على نفسي
— فاديتك — ثنابا الصَّبْرِ ، ووقع منها موقع المَشِيمِ من الجمرِ ، ولعمرُ
الله إنه الرزء ، [فليس كمثل الأرزاء ، التي] يحسن فيها العزاء ، وإنك باللبث ^٤
والحزن لحقيق ، ثم إنك بالصبر والاحتساب ^٥ الخائق ، ولولا أنّي أثقُ برجوعك
إليه ، وتأيد الله تعالى لك في الاحتمال عليه ، لسلكت في الذكرى طريق
المحتشد [٣٩ ب] ، وأنفَدْتُ فيها وَسْعَ المجتهد ، على أنّي باستهدائها ^٨

١ وردت في العطاء الجزيل : ٦٣

٢ العطاء الجزيل : في توفية .

٣ ط م س : فشد .

٤ في النسخ : الحبر .

٥ ط م د س : لرزه يسهل لا يحسن فيها ، وأثبت ما في العطاء الجزيل .

٦ ط م د س : للبت .

٧ ط م د س : في الاحتساب .

٨ م س : باستدائها ، ط : باستمدائها .

جدير ، وإلى سماعها فقير . وما اقتباسي إلا منك ، ولا اقتدائي إلا بك ،
جعلك الله في تلقّي هذا الرزء ، وتحمل هذا العبء ، قدوة رشدي للجازعين ،
وأسوة هدي للغافلين .

وله من أخرى إلى ابن هود بعد خروجه عنه : كتب مملوكه الملتحف
في نعمائه ، المتقلب في آلائه ، من فلانة ، وما قطع مرحلة ، ولا احتل منزلة ،
إلا ودأبه وصف معاليه ، ونشر أياده ، وأما مفارقة ذراه فيكاد الإشفاق
يُضمي الجنان ، ويدمي الأجفان ، وينفي بالجملة السلوان ، وهو أمر
حسّ واقترّب ، وقضاء سبق وغلب ، وأنا مع انفصالي عن ذلك الكنف الجليل
المأمول ، والفناء العزيز الموصول ، الذي عمرته في ظل الإكرام
والتوجيه ، ومهاد الإنعام والترفيه ، غير خارج من عداد من يتقلب فيه ،
وجملة من يراو حه ويغاديه ، لأن فضله بي حيث كنت محيط ، وأمل
به منوط ، وتشيعي له مشهور ، واعترافي بعوارفه لدي مأثور ، وسيعلم
مولاي أنني صحت فاعتدلت ، ثم فارقت وما اختللت ، بل أعظمت
وأجللت ، وأثبتت فاحتفلت . والله الحسيب بالنيات والأعمال ، الشهيد
على الأقوال والأفعال .

ومن أخرى له : سيدي ، ومن أبقاه الله للكرم يتبوا سيطته ، والشرف
يدرّع برّدته ، والعزّ يلبس سرّباله ، والفخر يسحب أذياله ، بأي
لسان - أعزك الله - أناجيك على بُعد الدار ، وقد أخرست عن واجب
الشكر لساني ، وطمست على وجوه بياني ، بما أضفيت من حلل برك التي

أخجلتني ، وطوّقتني من منتك التي أجمعتني^١ ، بالهدية السنية التي لا يزال الدهر ينثرها ، وأيدي الثناء تنشرها ، فكم من علق نَفْسٍ شافهتي منها بلسان بغداد وعَدَن ، ولاحظني بمقلة مصر واليمن ، وأيمُ الله : لقد ابتسمتُ إليّ نجومُ السماء ، ودان لها تفويهُ كل روضة غناء ، وتحدث بها الكرمُ المحضُ ، وأشاد بذكرها الثناء الغضُّ ، وحقُّ لهدية أهدتها أناملُكَ المستهتة السحاب ، وجادت بها راحتُكَ الثرةُ المواهب ، أن يعنوا لها القمران ، ويحاسنَ بها زماننا كل زمان ، فلو أن البحر عاينها طامياً لما ساجلك ، والغمام شاهدتها هامياً لما طاولك .

وله من جوابٍ على كتاب عتاب : المودات - أعزك الله - إنما تثبت دلائلها ، وتصحُّ مخايلها ، بمضمرات الفؤاد ، لا بمزورات المداد ، وبمعتقدات الحقائق ، لا بمعهودات البطائق ، وفي علمه تعالى أني من الاعتداد بمجدك ، والاعتلاق بجبل ودك ، والاسناد إلى كرم عهدك ، بمنزلة لا يتعاطى إدراكها أحدٌ ، ولا تطول يد صفائي فيها يدٌ ، وفي نفسك النفيسة من ذلك أعذلُّ شاهد ، وأصدقُّ رائد .

وقد ورد كتابك ففضضته^٢ عن مثل عقارب لاسية ، وسهام نافذة صائبة ، من عتاب صدع قلبي ، وفَتَّ في عضدي ، وتقريع لم أقِفَ ببابه ، ولا جَدَبْتُ بأسبابه ، ومعاني العتاب^٣ - أعزك الله - إذا وردت على سليمٍ منها ، نزيه عنها ، متحفظٍ من وقوعها ، متحرزٍ من جميعها ، أساءت

١ م ط : أفجعتني ، س : أجمعتني .

٢ م ط س : وفضضته .

٣ ط : الكتاب .

ظنه ، وأطالت فيكرهه ، وأشغلت سيره ، ولا سيما على بعيد الدار ،
 نائي المحل ، مشتاق إلى الإخوان ، متأسف على فقد الخلفاء ، مستشعر
 حرماناً لزم ، وزماناً جارٍ وظلم . وأما الهنات التي أطلقت عنان العتب عنها
 في ميدان فسيح ، وجريته في إيرادها جريتي الشفيق النصيح ، فليست
 بهنات مخلقة ليعرض ، ولا قاطعة عن فرض ، وربما غيرت عندك
 صفتي فتكرت عليك ، ومثلك من حكيم الخبر على الخبر ، وقنع بالعين
 دون الأثر .

وله من أخرى عن ابن هود إلى ابن ذي النون [٤٠ أ] يشكره باطلاق
 ابن غصن^١ من السجن : كتابي - أيدك الله - كتاب أعزيتته من ذكر
 الوداد ، وعدلت فيه عن وصف الاعتقاد ، خرقاً لعادة المتوددين ، وصفحاً
 عن طريق المتصنعين ، على أني - علم الله - في الصدر المقدم ممن
 يواليك ، والرعي الأول ممن يتشيع فيك ، وأفردته بشكري يدك البيضاء ،
 وحميد صنيعتك الغراء ، التي طوّقت بها جيد الأدب ، طوقاً يبقى على
 الحقب ، ووضعت على نار الذكاء ، وقوداً يسطع بطيب الثناء ، مزاحماً
 بفضل همتك لكل الزمان ، وقد أناخ على الفهم بجران ، ومحافظاً على
 حرمة الكرم وقد أعرض عن ثقلها الثقلان ، أنفة من أن يضع حذاء
 نظرك حق أديب ، وتقطع بمرأى عينك نفس لبيب ، وأنت عين
 الآداب ، وعمدة ذوي الألباب ، فيعود عليك من أهلها ملام ، ويقول
 قائلها ضاع عند أوفى البرية ذمام . فله همتك التي أبت إلا الحفاظ
 السليم ، وشيمتك التي لم ترض إلا المقام الكريم ، ويدك التي انتعشت

١ كان المأمون بن ذي النون قد سجن أبا مروان ابن غصن الحجاري ، انظر أخباره في القسم
 الثالث : ٣٣١ وما بعدها .

بها الأديبَ أبا مروانَ بنَ غصنٍ من هُوَّةِ العثارِ ، وفككتَهُ من قَبْضَةِ الإِسارِ ، فأحييتَهُ وهو مُشْفٍ على البَوَارِ ، فإنها يدُ مَسِيحٍ الكرامِ ، ومبدعةُ حَسَنَةِ الأيامِ ، فلو كانتَ للمكارمِ صورةٌ لكانت هذه الصنعةُ كُحْلَ طَرَفِهَا ، أو كانتَ للجدِّ روضةٌ لكانتَ المستبدُّ بطيبِ عَرَفِهَا ، أو لو نطقَتِ ألسُنُ الآدابِ لَفَدَّتْكَ ، أو أُرْسِلَتْ نَجْمَةُ الشَّاءِ لما تَعَدَّتْكَ ، وإن كثيرَ الشكرِ لَيَقِيلُ في جَنبِ ما أسديتَ ، وبالغَهُ ليقصِّرُ عن الغايةِ التي لها تَصَدَّقَتْ ، لِأَنَّكَ ضَمِنْتَ حَيَاةَ نَفْسٍ ، ونشرتَ دَفِينَ رَمَسٍ ، فكأنكَ أحييتَ جميعَ الوري ، ونشرتَ كلَّ مستودعٍ في الثرى ، وأنتى يقاومُ هذا الصنيعُ ، ولو تظاهر على فرضه الجميع . وعند الله كفاءُ ما أوليت من جميلِ الفعلِ ، وجزاءُ ما أتيتَ في سبيلِ الفضلِ .

وله من أخرى على لسان البهارِ إلى ابنِ هود^٢ : أطال الله بقاءَ المقتدر بالله ، مولاي وسيدي ، ومُعَلِّي حالي ومقيمِ أودي ، وأعاذني من خيبة العناء ، وعَصَمَنِي معه من إخفاقِ الرجاءِ ، ولا أَسْمَتَ بي عنواً من الرياضِ يناصيني ، وحاسداً من التناويرِ يراقبني ، وقد غنمَ الوردُ موقعَ إمارتي ، وغنيَ بلطيفِ إيمائي عن عبارتي . وإنها تحيةُ الزهرِ حيَّاكَ بها ، وخيبةُ ذَخَرِهَا ناكَ وأهلكَ لها ، وقد أتيتُ في أواني ، وحضرتُ وغابَ أقراني ، ولم أحلِّ من خِدَمَتِكَ رتبي ومكاني ، ولم أعزَّ من الحضورِ بين يديك نوبتي وزماني ، وأنا عبد مطيعٌ مسخَّرٌ ، ومملوكٌ يتصرَّفُ مدبَّرٌ ، حقيقٌ بأن يُحَسِّنَ إليَّ فأدني ، وجديرٌ بأن يُهْتَبَلَ بي ولا أُجفَى ، لأنني سابقُ حَلْبَةِ النوارِ ، وأوَّلُ

١ ط د : صبيح .

٢ تقع هذه الرسالة في سلسلة الرسائل « الزهرية » التي مرت منها نماذج في ترجمة أبي الوليد

اسماعيل الملقب بحبيب : ١٢٧

طلائع الأزهار ، وأنا ناظرُ الفضلِ وَعَيْنُهُ ، ونُضَارُ الرُوضِ وَلُجَيْنُهُ ،
وقائدُ الظَّرَفِ وفارسُهُ ، وعائدُ مجلسِ الأُنسِ وحارسه .

وفي فصل منها : فهل لمولاي أن يحسنَ إليَّ صنيعاً ، ويكرمَ النورَ جميعاً ،
ويدنيني فأرقى إلى أختي الثريا سريعا ، في مجلسٍ قد أخلَصَتْهُ سحائبه ؛
وأفرغت الحسنَ عليه والطيبَ ضرائبه ، وجَهْلُكَ بَدْرُهُ ، وغرَّتكَ فجره ،
وأخلاقك زَهْرُهُ ، وثناؤك دُرُّهُ وعطره ؛ وتُعْمِلُ في أمرِ الدنيا رأيك ،
وتتركُ الهمومَ حيثُ تركها الناسُ قبلك ، ولوصلحُ الكَمَدِ لأحدٍ لَكنْتُ أنا أحقُّ
مَنْ لَزِمَهُ ، وأثبَتَ عليه قَدَمَهُ ، لأنِّي سريعُ الذُّبُولِ ، وشيكُ الأُفُولِ ،
لا يصحبني الظهورُ إلا قليلاً ، ولا أُمْنَحُ من مَتَاعِ السُّرُورِ إلا تعليلًا ،
غيرَ أني مُغْتَنِمٌ لساعاتي ، آخِذٌ من الأُنسِ بقدرِ استطاعتي ، وقديماً
أكرمَني مولاي فلا يهني ، ووصلني فلا يصرمي ، ومنحني فلا يحرمي :
لا تُهِنِّي بعدما أكرمْتَنِي فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَةٌ

[٤٠ ب] ولابن الخطاط^١ رقعة في وصف هذه الرسالة ، منها فصل قال
فيه : بعثت إليك برسالة الوزير الكاتب أبي عمر الباجي في البهار ، منقولةً
بخطي على اختلافه ، واختلاف أشكاله . إلا أن حُسْنَ الرسالة ، وموضعها
من البلاغة والجزالة ، يغطي على قِماءة خطي ، ودناءة ضبطي ، فاجتلتها
— أعزك الله — عروسَ فكرٍ . لحظها حِبرٌ ، ولفظها سِحْرٌ ، ومعناها بديعٌ ،
ومنتهاها رفيعٌ ، ومرماها شديدٌ ، ركبَ اللفظَ الغريبَ فاعتنَّ له^٢ المرادُ البعيدُ ،
يُطْنَعُ وَيُؤَيَسُ ، ويوحش ويؤنس ، فأما إطماعُها فيما تُحَرِّزُ من لدونة

١ هو محمد بن سليمان الرعيني أبو عبد الله ، راجع ترجمته في القسم الأول : ٣٧ .

٢ ط د م س : فاعتزله .

ألفاظها وسهولة أغراضها ، وأما إياها فيما يُعجز من امتثالها ، ويُبْعِدُ من متّالها ، والله يُمْتَعِكَ برياضِ الآداب تجتني أزارها ، وتتقي خيارها .

ولأبي عمر في نزول الغيث بعد القحط^١ : إنَّ الله تعالى قضايا واقعةً بالعدل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومنحاً ييسطها إذا شاء إنعاماً وترفيهاً ، ويقبضها إذا أراد إلهاماً وتنبهاً^٢ ، ويجعلها لقوم صلاحاً وخيراً ، ولآخرين^٣ فساداً وضيئراً ، ﴿ وهو الذي ينزلُ الغيثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وينشُرُ رَحْمَتَهُ ۚ ، وهو الوليُّ الحميد ﴾ (الشورى : ٢٨) .

وإنه كان من امتسالك السّقياء ، وتوقّف الحيا ، ما رينع به الآمينُ ، واستطير به السّاكنُ ، ورجفت الأكبادُ فزعاً ، وذُهِلَتِ الألبابُ جزعاً ، وأذكتْ ذُكاهُ حرّها ، ومَنَعَتِ السماءُ درّها ، واكتستِ الرياضُ غُبرةً بعد خُضرةٍ ، ولبست شحوباً بعد نَضرةٍ ، وكادت برودُ الرياضِ تُطوى ، ومدودُ نعمٍ^٤ الله تُزوى ، ثم نشر تعالى رحمته ، وبَسَطَ نعمته ، وأتاح مِنته ، وأزاح مِحْنَتَهُ ، فبعث الرياحَ لواقعٍ ، وأرسل الغمامَ سوافحٍ ، بماءٍ دَفَقٍ ، وريواءٍ غَدَقٍ ، من سماءٍ طَبَقٍ ، استهلَّ جَفْنُهَا فدَمَعَ ، وسمحَ دَمْعُهَا ففهم ، وصابَ وبَلُّها فنقع^٥ ، فاستوفت الأرضُ ريتاً ،

١ قارن بالقلائد : ١٠٣ والخريدة : ٢ : ٣٨٢ ، ووردت أيضاً في العطاء الجزيل : ١٢٩

٢ القلائد والخريدة : ترفيهاً وإنعاماً . . . تنبيهاً وإلهاماً .

٣ القلائد والخريدة : وعلى آخرين .

٤ العطاء الجزيل : له .

٥ م : أنعم .

٦ م د س ط : ففتح .

واستكملت من نباتها أثاثاً ورثياً، فزينة الأرض مشهورة، وحلّة الزهر
 منشورة، ومينة الرب موفورة، والقلوب ناعمة بعد بوسها، والوجوه
 ضاحكة بعد عبوسها، وآثار الجزع محوّة، وسور الشكر^١ متلوّة،
 ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق، ونستهديه في قضاء الحقوق، إلى سواء
 الطريق، ونستعيد به من المنّة أن تعود فتنة، ومن المنحة أن تعود محنة.
 وإحسان بني الباجي كثير، وترسيلهم مشهور، اندرج لهم فيه بديع،
 ولا يتسع لاستيفائه هذا المجموع.

وهذه أيضاً جملة من شعر أبي عمر

قال من قصيدة في المعتمد، وقد طباعت له غافق والمدور^٢ أولها :
 أنارت لك الدنيا ووجهك أنور وجلت عطاياها وقدرك أكبر
 ودار كما شئت القضاء مساعداً فجاءت ولاء غافق والمدور
 أزرتهمما بجر الكتائب مزبداً فألقت عنان الطّوع رضوى وصنبر^٣
 ومنها :

١ العطاء الجزيل : إثر .

٢ القلائد والخريدة : الحمد .

٣ غافق : حصن حصين كان بقرب حصن بطروش (الروض : ١٣٩) والمدور حصن آخر
 (Almodovar del Ria) قريب من قرطبة ، وانظر الحديث عن المدور في المغرب

١ : ٢٢٢ .

٤ صنبر : اسم جبل ، ذكره البحري « اعلام رضوى أو شواهد صنبر » . وفي المسالك :
 وألقت عنان الطّوع وهي تحسر .

يقول مُشَارُو الجن إذ ذعروا به
سرى فاستطُيروا خيفةً من نذيره
فتوحٌ يموتُ الحاسدون شجىً بها

ومنها :

لئن جهدَ المدَّاحُ فيكَ فأطنبوا
فدتكَ مُسُوكَ لا ملوكَ كما ادَّعَوْا
ولله منك القولُ والعقدُ صحَّةٌ
وعصر تحلىً منك بالأحدِ الذي
وأيامُ سعدٍ في ظلالك أوطنتُ
نفى حسنُها عن ناظري طائفَ الكرى
وأمتعتني جوٌّ نضيرٌ وسلسلٌ^١
وكم مَوْرِدٍ في الأرض يُشفي به الصدى
أهنيك أم هذا الأنامُ بأنعمٍ
وهل تلتقي الأجفانُ إلا على الرضى

وله فيه من أخرى أولها ^٢ :

لا زال عزك يُخضِّعُ الأطواء
لله أيامٌ بقرائك أنعمت

هي الأرض تسمى أم هو البحر يزخر
ولم تك ليلًا قبله الجن تُدْعَر
فليت حليف الغي يحيا فيخبرُ

فأنك أعلَى في النفوسِ وأخطرُ [١٤١]
إذا ظفروا يوماً زهواً وتجبَّروا
إذا سدَّ مسموعٌ وخالفَ مضمر
له في يد السبقِ اللواءُ المشهر
تُراجُ بها الآمالُ دأباً وتُمطرُ
ساعاتي بها حينَ أسهر
وممتدُّ المطارفِ أخضر
ولكنْ نذاك الفمرُ أحلى وأنضر
جميعهم في حلتها يتبختر
وأنت على الدنيا الإمامُ^٣ المؤتمر

ويُذِلُّ في آجامِها الآمادا
ما خسرَّها أنْ لم تكنْ أعيادا

١ المسالك : تالدي

٢ المسالك : المير

٣ منها أربعة أبيات في المسالك

راقتُ محاسنُها وطابَ نعيمُها
أسفي على زَمَنٍ مضى في غيرها
وهذا كقول أبي العلاء^١ :

فأتى الزمانُ حدائقَ وعيها
يا ليتَ ذاهِبَهُ استُعِيدَ فعادا
فليتَ سِنِيهِ صوتُ^٢ يُستعادُ

وأطربني الشابُ غداةً ولَّى
وفيها يقول ابن الباجي :

مَنْ مَبْلَغُ عَنِّي الْأَحْبَةِ إِذَا نَأَتْ
أَنْتِي وَجَدْتُ الْجَوْ طَلْقاً بَعْدَهُمْ
فَلْيَكِبِ الْأَعْدَاءُ أَنْكَ وَاحِدٌ
لِلَّهِ مَعْتَمِدٌ عَلَيْهِ مُؤَيَّدٌ
لَا يَصْرِفُ النَّصْحَاءُ عَزْمَ سَمَاحِهِ
جُودٌ يَفِيضُ الْبَحْرُ مِنْهُ وَمَنَّةٌ
وَأَنَاءٌ حَلِمٌ فِي إِبَاءِ حَفِيزَةٍ

أوطأنهمُ والمعرَّ الحسادا
والماءَ مصقولَ الأديمِ بُرادا
رَجَعَ الْجَمُوعَ وَقَلَّلَ الْأَعْدَادَا
بِالنَّصْرِ مِنْهُ عَفَا وَجَادَ وَزَادَا
سَبَحَانَ مَنْ طَبَعَ الْجَوَادَ جَوَادَا
فِي الْبَاسِ يُدْفِشُ ذِكْرُهَا الْأَنْجَادَا
كَالْأَرْضِ تَطْلُعُ سَوْسَاءٌ وَقَتَادَا

وله من قصيدة في تأييد المقتدر بن هود . أولها^٣ :

كَأَنَّكَ مَا اخْتَلَتْ التَّمَصَّرُ دَارَا
وَلَا غَدَّتِ الْجَمُوعُ عَلَيْكَ خَرَسَا
سَكِينَةٌ أَلْقَى فِي حُبَاهَا
مَخْلَقٌ يَسْتَحْدِرُ الْفَهْلُ مِنْهَا

وَلَا أَوْقَدَتْ بِالْعِلْيَاءِ نَارَا
يَهَابُونَ السَّكِينَةَ وَالْوَقَارَا
شَمَائِلُ تَكْسِبُ الْأَنْسَ النَّوَارَا
رِيَاضُ الْحَزَنِ سَامَرَتِ الْقَيْطَارَا [٤ب]

١ خروج السقط : ٢٨٤ .

٢ م د ط س : صرَب .

٣ منها أربعة أبيات في المعالك .

تعالى الله كيف هوى ثيرٌ ووافى البحرُ مسْقَطَهْ مغارا
أسرَّ الدهرُ مُقْتَدِرَ المعالي فليَمْ يا بدرُ فارقتَ السرارا ١
أباحَ لهاجمِ الحدَثانِ منه زعيماً لم يزل يحمي الذمارا
وطال به الزمان وكان قدماً يجبرُ على الزمانِ منٍ لستجارا
ريبُ وقائعٍ بليّتْ عليه حمائلُه وما حملُ العذارا
لتبك الخيلُ مرسلها رياحاً تلوثُ بمفرق الشمس الغبارا
ويبضُ الطبعُ مصلتها بروقاً وصُفّرُ النبع مُقْدِحها شرارا

في ذكر الأديب الأريب أبي الحسن ابن الاستجي^٢

وكان شاعراً مُجيداً ، وإماماً في سائر التعاليم محموداً ، وله سَبَقٌ لا
يُنْكَرُ ، وحقٌّ لا يُؤخَّرُ ، وإحسانٌ لا يزال يُذَكَّرُ ، أنشد له أبو الوليد
ابن عامر في كتابه المسمّى بـ « البديع في فصل الربيع » ، قال ، أنشدني أبو الحسن
ابن الاستجي لنفسه^٣ :

قد قلتُ للروضِ ونوارهُ نوعانِ تبريٍّ وفضيٍّ
وعرفهٌ مختلفٌ طيبهُ صنفانِ خمريٍّ ومسكيٍّ
ووجهُ عبد اللهٍ قد لاح لي وهو من البهجة دريٍّ

١ ط م س د : حام .

٢ هو علي بن عبد الله بن علي المعروف بابن الاستجي ؛ ذكره الحميدي مرتين (الجدوة : ٣٧٠ ، ٢٩٥) وتصفح اسمه في الموضع الثاني إلى « الأشجعي » وكان فقيهاً نحويّاً من أهل قرطبة ، سكن اشبيلية (انظر البنية رقم : ١٢٢١ ، ١٥٢٢ والمسالك ١١ : ٤٢) .
٣ انظر البديع : ١٨ ، والجدوة : ٣٧١ والمسالك والبنية .

ثُمَّ غَرَسَكَ الْأَرْضِيَّ إِنِّ الَّذِي أَبْصَرْتُهُ غَرَسٌ سَمَاوِيٌّ
حُسْنُكَ نَوْرِيُّ بَلَا مِرْيَةٍ وَحَسْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَوْرِيٌّ

ومعنى البيت الرابع من هذه ناظر إلى قول الآخر :

لَا تَقْسُ غَرَسَ رَبِّنَا بِالَّذِي يَغْرِسُ الْبَشَرَ

وقال يمدح المعتضد^١ ويصف الشقائق^٢ :

تُقَتِّ ومسودُّها من حالك اللمم	إِنَّ الشَّقَاقِيقَ مِنْ حُرْمِ الْخُلُودِ قَدَاشَ
حمرُّ قد اضطربت ^٣ من قافى الأدم	كَأَنَّهَا فِي الْمَرْوَجِ الْخُضِرِ آتِيَةٌ
فلم تزل في حمى منه وفي حرَم	يَا ابْنَ الَّذِي قَدْ حَمَاهَا فِي مَنَابِتِهَا
محفوظة المتنى مرعيَّة الذمم	مَعْرُوفَةٌ بِاسْمِهِ فِي كُلِّ مُطَّلَعٍ
وَصَلَّ لها مُحَدَّثُ الْإِكْرَامِ بِالْكَرَمِ	جَدُّ ^٤ لها مِنْ وَكِيدِ الْعَهْدِ حُرْمَتِهَا

أشار إلى أن جدّه كان النعمان الذي نسب إليه الشقائق ، وروي أنه مشى يوماً في بعض شأنه ، فأفضى إلى موضع فيه من هذه الشقائق كثير فقال : احموها ، فحميت ، فسميت بذلك شقائق النعمان ، حكى ذلك أبو حنيفة^٥ ورفعها إلى الأعشى ، وذكر أنه كان حاضراً النعمان يومئذ .

وأذكرها هنا قطعاً من الشعر ، ما ضرّها أن لم تكن قطعاً من الزهر ،

١ البديع : ١٥١ .

٢ م : الشعر .

٣ البديع : أبيّة . . . اصطلمت .

٤ س د م ط : جرد ، والتصويب عن البديع .

٥ يعني أبا حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات .

عَلَّقَتْ بَدَنَ ابْنِ الْاِسْتَجِيِّ هَذَا ، بَارَى بِالْمَعَارِضَةِ فِيهَا صَدُورَ الرَّبِّ ،
وَأَفْرَادَ أَهْلِ الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ بِأَشْيِيلِيَّةٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، أَخْرَجَتْهَا مِنْ كِتَابِ
« الْبَدِيعِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ » لِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ حَبِيبٍ الْمَذْكُورِ .

قَالَ أَبُو الْوَلِيدِ ^١ : أَنَشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ ابْنُ الْاِسْتَجِيِّ لِنَفْسِهِ بِمَدْحِ الْقَاضِي
ابْنِ عَبَّادٍ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ : [٤٢ أ]

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ ^٢ لَمَّا	وَشَتَّ يَدُ الْمَزْنِ أَرْضَهُ ^٣
كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءٍ	مِنْ الزَّبَرْجَدِ غَضَّةٌ ^٤
كَأَنَّ طَلَّ الْأَقَاحِي	مَدَامَعٌ مِنْ فَضَّةٍ ^٥
أَوْ لَوْلُوْهُ فَوْقَ أَرْضٍ	مِنْ الْمُهَا مَبِیضَةٌ
كَأَنَّمَا الْوَرْدُ صَدْرُ	أَبْقَى بِهِ اللَّسْمُ عَضَّةٌ
كَأَنَّمَا النَّهْرُ نَصْلُ	جَلَا الصِّبَا قَلْبُ عَرْضَةٍ ^٦
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي الْجَوِّ	حِينَ تَقْطَعُ عَرْضَهُ ^٧
وَجْهُ ابْنِ عَبَّادٍ الذِّدِّ	بِ حِينَ تَأْمَلُ قَرَضَهُ ^٨
حَوَى بِطَوْلِ يَدَيْهِ	تَطَوَّلَ الثَّنَاءُ وَعَرْضَهُ

وَمِنْ شَمْرِ أَبِي الْوَلِيدِ ابْنِ عَامِرٍ فِي مَعَارِضَتِهِ مِنْ جُمْلَةِ قَصِيدَةٍ ^٩ :

^١ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ : ٤٢ - ٤٣ .

^٢ الْوَرْدُ : الْوَرْدُ .

^٣ الْمَزْنُ : الْمَزْنُ .

^٤ الْغَضَّةُ : الْغَضَّةُ .

^٥ الْمُهَا : الْمُهَا .

^٦ الْعَرْضَةُ : الْعَرْضَةُ .

^٧ الْقَرَضَةُ : الْقَرَضَةُ .

انظر إلى النهر واعجب
 قد حلّ بين رياض
 من نرجسٍ مثل لونِ الـ
 وأقحوانٍ أنيقٍ
 كأنما النهرُ أفقُ الـ
 وقد كسا عدوّتيه
 كما ابنُ عبادٍ الند
 بحسن مرآه وارضة
 من النواوير غصّه
 مهجور فارق غمضه
 بروده مبِيضة
 سماءٍ عاتقٍ أرضه
 بحومة الزهر مخضه
 بـ قد كسا الصّونَ عرضه

وقال ابن القوطية في ذلك ^٢ :

بشاطي النهر نور
 نمارق وزراب
 فالوردُ وجنةُ خود
 كما البنفسج خد
 والياسمين نجوم
 حكى سجايا ابنِ عبا
 كما ^٣ الدّرّانك أرضه
 من النواوير غصّه
 غراءُ بيضاءُ بضه
 أبقى به اللثم غصّه
 حازت من الحسنِ محضه
 دي الكريمِ وعِرْضه

وقال ابن الأبتار من جملة أبيات ^٧ :

١ ط د م س : عضه ؛ خ بهامش ط : مخضه ؛ البديع : من الأزاهر مخضه .

٢ البديع : ٤٣ .

٣ م ط س : كما (كى) .

٤ البديع : بيضاء غراء .

٥ البديع : الظم .

٦ بعد هذا حدث سقط في م .

٧ البديع : ٤٣ .

شقائق^١ شقّ قلبي
 كأنما الأرض^٢ منها
 ونرجس^٣ متغاضٍ
 يرنو بطرفٍ كليلٍ
 وسوسن^٤ إن تشمه^٥
 أو ألسن^٦ الدّر صيغت^٧
 والأقحوان^٨ نجوم^٩
 رواؤها وافتضة^{١٠}
 خريدة^{١١} مفتضة^{١٢}
 كأنما الحزن^{١٣} مضه^{١٤}
 كمن يحاول^{١٥} غمضه^{١٦}
 فكالوذائل^{١٧} بضه^{١٨}
 أو الطلي المبيضة^{١٩}
 ليست تَرى مُنْقَضَه^{٢٠}

ثم خرج إلى المدح بأبيات حذفها لطولها .

وقال أبو الاصبح بن عبد العزيز :

يا من تأملَ نوراً فيه النواويرُ غضة^١
 وعاینَ الحسنَ منها قد زینَ البعضُ بعضه^٢
 فالنرجسُ الغضُّ تبرُّ في صُفرةٍ منه محضه^٣
 والأقحوانُ بياضاً كأنه سَمَطُ فضه^٤
 والوردُ ماءً وناراً سالاً على وجهه بضه^٥
 ضدّان في صحن خدّ قد أَلَفَا بعد^٦ بغضه^٧

١ البديع : واقتضه .

٢ ط د س : الحسن .

٣ في النسخ : يشمه .

٤ هنا ينتهي السقط في م .

٥ البديع : ٤٦ .

٦ ط د م س : سلا .

٧ س ط : بعض .

والمُدح حذفته .

وعارضهم القاضي ابن عباد بسطاً لأمانيتهم . وعجباً بما أوردوا من
الفاظهم ومعانيهم ، وكأنه نقد على ابن عبد العزيز هذا شيئاً في التشبيه ،
فقال يعرض به ويعاتبه فيه ^١ :

أَبْلِغْ شَقِيقِي عَنِّي	مقالة	لتمضه
بأنَّ وَصَفَ الْأَقَاحِي	الذي وصفَ لم أرضه ^٢	
هلاً وَصَفَ الْأَقَاحِي	بأكوسٍ من فضه	
أو النجومِ تَسَاقَطُ	نَ في ألها المبيضة	

في أبيات غير هذه .

وقال ابن حصن في ذلك ^٣ :

نَبَّهْ جَفُونَكَ لِلرَّو	ض واهجرن كل غمضه
قَدْ نَبَّهَ الْطَلَّ مِنْهُ	جفن الذي كان غمضه
مَنْ بَيْنَ وَرْدٍ كَخَدِّ	حبيب حاولت عضه
وَسُوسٍ قَدْ حَكَى لِي	سوالف الغيد بضه ^٤
وَمَنْ بَهَارٍ تَدَلَّى	جماجم منه غمضه

١ البديع : ٤٧ .

٢ ورد البيت في م :

بأن وصف الأقاحي باكوس من فضه

وهو سهو .

٣ البديع : ٤٨

٤ هذا البيت والذي يليه سقطا من م .

كَأَنَّهُ مُعْرِضٌ عَنْ حَدِّثٍ لَمْ يَرِضْهُ [٤٢ ب]
وَمِنْ أَقَاحٍ يَبَاهِي مَصْفَرَهُ مَبِيضَهُ
كَأَنَّهُ نَقَرَ التَّيْبَ فِي مَدَاهِنِ فَضِهِ

ولم أسلك في هذه الأشعار طريق الاختيار ، إذ ليس فيها حظ لمختار ،
ولمّا أثبتّها لما تعلّق بها ، وذكرت بسببها ، ولا أعطّل جيد التأليف من
مُحْسِلِهَا .

فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة من الأدباء
كانوا بعصر المعتضد عباد ، ولم أجد لهم أشعاراً تفسح لي
في طريق الاختيار ، إلّا ما أثبت لهم الوزير أبو عامر
ابن مَسْلَمَةَ في عرض كتابه المترجم بـ « الحديقة » فكل
ما أثبت لهم في هذا الفصل فمن كتابه نسخت ،
ومن خط يده نقلت

فمنهم الوزير أبو الأصمغ بن عبدالعزيز أنشد له في فنون الخيري ورحلة
البهار :

رحل الربيعُ عليه بندُ موالٍ وأقيم للخيري رايةُ والٍ
في شهر كانونٍ أذيلٍ وقوَّضتْ أيامُ بهجته فهن خوالي

١ س ط م د : نقد .

٢ ذكره الحميدي (الجزء : ٣٦٧ والبدية رقم : ١٥١٣) في من ذكروا بالكنية ولم يتحقق
من أسمائهم . والحميدي يعتمد أيضاً كتاب الحديقة لأبي عامر ابن مسلمة .

فاشكر أوائله فهن نوافج
ولإذا سررت بخل صدق وافد
واحمد أوآخرة فهن غوالي
ورضيته فانظر إلى الترحال
وأنشد له :

هام قلمي بغزال	أتمنى منه عطفه
شرب الكأس وأبقى	عامداً في الكأس نطفه
فعلما أنه ير	غب أن يمتح رشفه
قال لي لولا الحميا	ما خصصناك بتحفه
كشفت من سيرة ما	لم تكن تأمل كشفه
وبدا في الخلد منه	خجل خالط طرفه
فجني الورد فيه	وأنا أمتع قطفه

قال أبو عامر : وكتب إلي وإلى ابن الأبار وقد رأى معاً غلاماً فيما سلف
وسيماً . ثم عذر رداء بر . بأبيات أولها :

أُمتسرتسي ظبي أغر غريم	ومقتنصتي ناري أنار منير
لئن نشما بالمسحر من كل غرة	ففي مقبل الغلال كل غرور
وقد يحرم الرامي المصيب فريسة	ويبرزقها بسحر كل سحور
أثرت من الصيد الذي قد عقرتما	وكم عاقر للصيد غير مشير
وسعد الفتى في عمره جالب المنى	إليه وفي الخرس كل عسير
فطيا جميعاً واطربا وتمكنا	فليس الذي أدركتما يسير
هل الراح إلا وجهه ورضابه	فان جمعت حلت بغير تكير

فأجابه ابن الأبار :

لعمرك إن الطَّيِّبَ غيرُ غريبٍ وإنَّ محبَّ البدر غير منيرٍ
بدتْ لحيَّةٌ في وجهه هي لحنَّةٌ أتاحتْ له موتاً بغيرِ نشورِ [٤٣أ]

ومنها :

إذا لم أقُلْ إلاَّ براحٍ وراحةٍ فما قدَّرُ ذنبي في اغتفارٍ قديرٍ
سأقعدُ عن ناهي الشَّهي في اجتنابها وإن قام في فوديَّ شاهدُ زورٍ
هل العيشُ إلاَّ أن أقبِلَ ثَغَرَهَا وأصغي إلى بَمٍ أجشَّ وزيرٍ
خَبَرْتُ بني الأيامِ شَرْقاً ومغرباً فأثرتها إذ لم أفزُ بأثيرٍ

وأنشد له أيضاً بما خاطب به ابن الأبار :

أما وخذْ له مُعَدَّرٌ ومبسمِ الخاتمِ المجهوهِ
وخصَّره المتعَبِ المعنَى بثقلِ ما ضاق عنه مثوَرٍ
ولمَّةٍ أسبَلتْ أثيئاً كأنه وابلٌ معطَّرٍ
ووردِ خديَّه بعدَ سُكْرِ والغُنْجِ من لحظة المحيَرِ
إنَّ لعينيه في فَوادي أشدَّ من وقعِ كلِّ خنجرٍ
إنَّ خلَّتْهُ ضيغماً قطوباً أو أسدأ عابساً غضنفرٍ
فهو من الحسنِ كلُّ بدرٍ وهو من الطيبِ كلُّ عنبرٍ
ريقتهُ خمرةٌ ولكنَّ شيبَ شذاها بطعمِ سُكْرِ
لو كان في الخلدِ مثلُ هذا تاه على الحوَرِ أو تكبَّرِ
في شبهه قال مثلَ هذا من أحسنِ الوصفِ ثم ندَّرِ
« مظفَّرٌ » كاسمه مظفَّر أخلاقِ ليثٍ وخلقِ جُوذَرِ

فأجابه ابن الأبار بهذه الأبيات :

لستُ بصابٍ إلى معذر	بل أنا في حُبِّه معذر
لا أعشقُ الطَّيِّبَ ذا الحامِ	لأنَّه في الطَّيِّبِ منكر
أهواهُ والحدُّ منه صُبْحٌ	حتى إذا ما دجا تغيَّر
أحسنُ ما فيه أن تراه	بين مهابةٍ وبين جؤذر
متوجِّجاً لمةً تبدَّى	بتاج كسرى ومَلِكٍ قيصِر
إن ماس فالمرطُ منه مُشرٍ	بما حوى والوشاحُ مُعسرٍ
يرفقُ بالخلقِ حين يُغضي	وينظرُ الموتُ حين ينظر
متى يَلُكُمُ عاذلٌ عليه	يبدو له وجهه فيُعذر
كم علَّني الراحَ ثم حيَّا	أحوى مريضُ الجفونِ أحور
كأنَّما سحر وجنتيه	نومَ أجفانه لتسهر
ما زلتُ أشتفها ونُقلي	طلاه والمبسمِ المجرهر
أمكن من طُرةٍ وثغري	فصرتُ في جنةٍ وكوثر

وأُشدُّ للوزير أبي الأصمغ بن سعيد^١ :

وما أنسَ لا أنسَ المدامةَ بيننا	يناولنيها وهو بالسحرِ نافثُ
ويجعلُ نقلي ريقه ^٢ بعد رشفها	فيا لك من طيبٍ على السُّكرِ باعث
فسُكرانٍ من خمري ومن رشفِ ريقه	وبينهما من سحرٍ عينيه ثالثُ

١ انظر الجذوة : ٣٦٧ (البغية رقم : ١٥١٢) ووصفه بأنه رئيس أديب شاعر ؛ وانظر النفع

٣ : ٤٨٥ ؛ وذكر الحميدي : ١٦٤ الأصمغ بن سيد وكناه أبا الحسن ، وقال انه ، شاعر اشبيل

رآه قبل ٤٥٠ ، ولعل الشخصين شخص واحد ، وانما الخطأ واقع بين الاسم والكنية .

٢ م ط س : ريقها .

وأنشد له :

يا أيّها الساقى الذي بعثت لنا
لا تسقنيها دونَ ملءِ كؤوسها
إني اتّخذتُ الغيَّ رشداً والهوى
فامزج بريقك لي الكؤوس وقلّ لنا
يُمنّاهُ من مُزْنِ الغمام رذاذا
وإذا سجدتُ بها إليك فماذا
ديناً ولذتُ عن الرشاد لوإذا
خُذْتُ ، تلقني لكبارها أخاذا

وأنشد له :

بالغت في عدّلي وفي تأنيبي
هيئاتٍ لستُ بتائبٍ عن شرّبيها
إن كان أكرمني المشيب فانها
فلأشربنّ لكي أدافعَ كَرَبَها
في الراح حينَ وعظمتي بمشيبي
ما دامَ شرّبيها أقلّ ذنوبي
راحٌ تروحُ بكُربةٍ المكروب
عني وأطربُ فوق كلِّ طروب

وأنشد لأبي إسحاق بن خيرة الصباغ^١ [٤٣ ب]

يومٌ كأنَّ صحابهُ
حجّبتُ به شمسَ الضحى
فالغيثُ يبيكي فقدها
والرعدُ يخطبُ مَفْصِحاً
والروضُ يسقيه الحيا
فاطربُ ولدً بحُسْنِه
لبستُ غمامي المصامتُ
كئثال^٢ أجنحة الفواخت
والبرقُ يضحكُ مثلَ شامت
والجوُّ كالمحزون ساكت
والنورُ ينظرُ مثلَ باهت
واشربُ فإن العمرَ فائت

١ هو ابراهيم بن خيرة أبو اسحاق يعرف بابن الصباغ ، من شعراء اشيلية (الجدوة : ١٤٥
والبنية رقم : ٥٠١ والمغرب ١ : ٢٦٠ والنفع ٣ : ٤٨٥) وفي المصادر بغض أبياته
الثانية ؛ وقد نسبت الأبيات في المطبع : ٢٣ لأبي عامر ابن مسلمة نفسه .
٢ س والجدوة : بمثال .

صرفاً كأنَّ حَبَابَهَا درَّ على العقيانِ ثابت
تحكي خلالَ الحاجبِ الزَّ اكي المغَارِسِ والمنابت
عبادِ السامي الذرى والمجدِ حيثُ النجم ثابت
ملكٌ إذا نَطَقَتْ عُلَا هُ بمعركِ فالخطبُ صامت
أو طاشَ عقلُ معَاشِرِ في ضَنكِ حَرْبٍ فهو ثابت
وأنشد له أيضاً :

انبذْ مقالَ النصيحِ وَدِنْ بِشَرْبِ الصَّبُوحِ
ورحْ وباكِرْ مُداماً كالشمسِ وقتَ الجنوحِ
خرقاءَ يُلغُ منها لسانُ كلِّ فصيحِ
إذا تناولتَ منها حَسَنْتَ كلَّ قبيحِ
رَقَّتْ على ظهرِ كسرى وعهدِ عادٍ ونوحِ
فليس توجدُ إلاَّ بنورِ لونِ وريحِ

وأنشد له :

ربَّ ليلٍ طال لا صُبْحَ له ذي نجومٍ أقسمتُ أن لا تَغُورُ
في دجى ليلٍ بهيمٍ حالِكٍ يستوي الأكمهُ فيه والبصيرُ
فتراها حائراتٍ في الدجى زاهراتٍ كمصاييحٍ تنيرُ
قد هتكنا جُنْحَهُ عن فلقٍ من خمورٍ ووجوهٍ من بدورِ
إذ بدتْ شَبَّهَتْهَا في كأسها نارَ إبراهيمٍ في بردٍ ونورِ
وامتطينا للملاهي مَرَحاً خيلَ راحٍ بمنايانا تدورِ
صَرَعْتَنَا إذ عَلَوْنَا ظَهرها في ميادينِ التصابي والسرورِ

١ س : طال .

فنعانا العودُ في ميتةٍ بأبحَّ الهمَّ إسعافاً وزير
فرفعنا من كؤوسٍ نُكَّسٍ وفتحنا من عيونٍ بفتور
فكأننا حين قُمْنَا مَعَشَرَ نُشِرُوا بعد مماتٍ من قبور

وأنشد لأبي بكر بن نصر الإشبيلي^١ :

أهدتُ إلى روعي براحٍ يمينها راحاً أرقَّ من الهواءِ وأعتقا
فكأنَّ حبَّ حَبَّابِها في وجهها درَّ على أرضِ النَّضارِ تَفَرَّقَا
وكانَ شَخْصَ الكَأْسِ شمسٌ وُشِحتُ قمرًا فغاضَ شعاعها وتمزَّقَا
للهِ درُّكٌ من زمانٍ لم يَزَلْ حُلُوَ الحُلَى رَحْبَ الجَنَابِ مَعْتَقَا
زمنٌ هَصَرَنا عَيْشَهُ فكأنَّه من جُودِ إسماعيلَ كانَ مَنَمَقَا
الحاجِبِ المَلِكِ الذي حجب الوري عن كلِّ مكروهٍ يُخَافُ وَيُنْتَقَى
وكأنَّه بِيديه صَوَّرَ نَفْسَهُ فأجادها كيف اشتهى وتأنَّقَا

وأنشد لمحمد بن ديسم الإشبيلي^٢ :

امزجْ حُمِيَّ الكؤوسِ واشربْ بنفثَةٍ من رُضَابِ أُلْعَسْ
راحاً تَمَطَّى بطونَ راح لها خلالَ الضلوعِ مِكنَسْ
يديرُ منها البنانُ خمرًا صبغةَ ماءِ اللجينِ ملبسْ
مَلِكٌ زها رفعةً ومجداً كما زكا مَحْتِيداً وَمَغْرِسْ [٤٤أ]

١ أبو بكر ابن نصر الإشبيلي ، ذكره الحميدي في الكنى اعتماداً على ابن مسلمة (الجزوة : ٣٦٩ والبقية رقم : ١٥١٩) .

٢ ذكره ابن سعيد نقلاً عن الحجاري وأنه من شعراء الدولة الممتضدية ، معتمداً على أبي عامر ابن مسلمة (المغرب ١ : ٢٥٩) .

تَطْلُعُ أَنْوَارُهُ شَهَاباً إِنَّ عَارِضَ الْخُطُوبِ عَسَعَسُ
وَيَذْءُ عَنِ الْمَوْتِ حِينَ يَسْطُو وَيَبْسُمُ الْمَوْتَ حِينَ يَغْبِسُ

وَأَنشُدْ لَهُ فِي تَرْكِ الشَّرَابِ ¹ :

تَجَافَيْتُ عَنْ شُرْبِي لَهَا لَا لِعِفَّةٍ وَلَمْ يَكْ إِقْصَائِي لَهَا عَنْ تَحَرُّجٍ
وَلِإِنْ ² أَكُ قَدْ عَرَّجْتُ عَنْ حَقِّ حَبِّهَا فَمَا أَنَا عَنْ تَفْضِيلِهَا بِمَعْرِجٍ

وَأَنشُدْ لَهُ فِي مِثْلِهِ :

وَلَمْ أَجْتَنِبْ شُرْبَ الْمَدَامِ لِعِفَّةٍ وَلَمْ أَلْحِقِ الصَّهْبَاءَ ذِمًّا وَلَا عَذْلًا
تُنَافِرُنِي أَنْ صِرْتُ ضِدًّا لَشَكْلِهَا فَلَيْسَتْ لَنَا أَهْلًا وَلَسْنَا لَهَا أَهْلًا

وَأَنشُدْ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلْمِيِّ الْإِسْبِيلِيِّ ³ :

وَلَقَدْ رَشَفْتُ مُدَامَةً أَشْهَى مِنَ الثَّغْرِ الْبَرُودُ
بَكْرًا وَلَكِنْ عَهْدُهَا مِنْ عَهْدِ عَادٍ أَوْ ثَمُودُ
لَأَنْتَ لَنَا لَكِنْ لَهَا بِعَقُولِنَا بَطْشٌ شَدِيدُ
تَبْلُو وَقَدْ نَظَّمِ الْمَزَا جُ مِنْ الْحَبَابِ لَهَا عَقُودُ
وَإِذَا تَوَارَتْ بِالْحُلُودِ قِ بِدَا سَنَاها فِي الْخُلُودِ
وَكَأَنِّي مَوْلَى الْوَرَى وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عِيْدُ

وَأَنشُدْ لَهُ :

¹ وردا في المغرب ١ : ٢٥٩ .

² م ط د س : ولم .

³ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٥٩ والنفع ٣ : ٤٨٤ .

وَمُدَامَةٍ وَرَسِيَّةٍ أَعْمَلْتُهَا عُرِضَتْ عَلَيَّ بِشْرُهَا أَعْمَالِي
فَكَوَّسُهَا بِصَفَائِهَا كَلَّالِي وَشَرَابُهَا فِي جَوْفِهَا كَالْآلِ

وَأَنشَدَ لَهُ صَاحِبُ كِتَابِ « الْبَدِيعِ » ^١ :

انْظُرْ وَنَزَّهُ نَاطِرِيكَ بِرَوْضَةٍ غَنَاءَ مَا زَالَتْ تُرَاحُ وَتُمُطَّرُ
لَتَرِيكَ مِنْ صِنْعَاءِ صِنْعَةٍ وَشِبَاهِهَا بِمُطَارِفٍ مِنْ تُسْتَرٍ لَا تُسْتَرُ
أَلْوَانُهَا مِثْلُ وَطِيبٍ نَسِيمِهَا يُقْصَى الْعَبِيرُ ^٢ بِهَا وَيُنْسَى الْعَبِيرُ

وَقَالَ ^٣ :

أَمَا تَرَى الزَّجْسَ الْغَضَّ الذَّكِيَّ بَدَا كَأَنَّهُ عَاشِقٌ ذَابَتْ ذَوَائِبُهُ
أَوِ الْمَحَبِّ اشْتَكَى لَمَّا أَضَرَّ بِهِ فَرَطُ السَّقَامِ فَعَادَتَهُ حَبَابُهُ

وَقَالَ ^٤ :

رَبِّ نِيلُوفَرٍ غَدَا يَخْجَلُ الرَّأْيَ نِيَّ إِلَيْهِ نَفَاسَةٌ وَغَرَابَةٌ
كَمَلِيكَ لِلزَّنَجِ ^٥ فِي قَبَتِهِ بِيضًا يَدْنُو الدَّجَى فَيُغْلِقُ بَابَهُ

١ البديع : ٢٩ .

٢ م ط س : يقضي العبور .

٣ هما في المغرب والنفع ؛ وقال ابن سميذ أن صاحب البديع أنشدهما له ، ولكنهما لم يردا في المصدر المذكور .

٤ البديع : ١٤٦ والمغرب والنفع .

٥ البديع : الأحبوش .

وأنشد للوزير أبي بكر بن القوطية^١ في تجنيس القوافي، عارض بها طريقة
أبي الفتح البستي :

سقاني كأسه^٢ ولها ديب^٣ . زادني ولها
غزال^٤ إن رأى ولهي زها^٥ عن قصتي ولها

وقال :

ومنادم^٦ لم أرض من أشري به فندمت^٧ إذ أصبحت غير شريه
يا ليت ما ألقاه^٨ من أرقى به وسهادي^٩ انفردا بعين رقيه

وقال :

ومُدِلْ^{١٠} بِسَقِيهِ^{١١} يَتَلَقَى^{١٢} نُدَمَاهُ^{١٣} بِسَطْوَةٍ^{١٤} واقنذار
فمتى أسأل الرجوع^{١٥} لداري قال لي : اشرب^{١٦} فلست في وقت دار

وقال في المردقوش^{١٧} :

عنبري^{١٨} اللون في الحلقة^{١٩} قد فاق طيباً كل^{٢٠} مشوم وبذ^{٢١}
ذو جلايب^{٢٢} له قلصها^{٢٣} فأت خلقاً كأذان الجرذ^{٢٤} [٤٤ ب]

١ المشهور بهذا الاسم أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال
وكتاب افتتاح الأندلس ، أصله من اشبيلية وسكن قرطبة ، وكان عالماً بالنحو حافظاً للغة وأخبار
الأندلس وأحوال فقائها وشعرائها ، وطال عمره ، وكانت وفاته سنة ٣٦٧ ، ولا يمكن أن
يكون هو المذكور هنا ، فلعل هذا حفيد له ، ولهذا وضعه الحميدي في باب الكنى (الجفوة :
٣٦٩ والبقية رقم : ١٥١٨) ، وقد كان أبو بكر هذا هو صاحب الشرطة وذكر أنه شاعر
متأخر (بالنسبة لزمان الحميدي) ، وقد أكثر له صاحب البديع من المختارات الشعرية .
٢ يسمى أيضاً المرزنجوش والمرزجوش ، وهو نبات كثير الأغصان ينسبط على الأرض ،
وله ورق مستدير عليه زغب ، وهو طيب الرائحة جداً .

ولذا سَمَّوْهُ إِذْ أَشْبَهَهَا مَرْدَقَوْشًا بِاشْتِقَاقِ يَوْمِئِذٍ
أشار إلى ما حكاه بعضهم أن المرد بالفارسية : الأذن ، والقوش : الفأر .
وقال في الترنجان :

وَأَخْضَرَ فُسْتُقِيَّ اللَّوْنِ غَضَّ يَرُوقُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ الْعَيُونَا
ذَكِيَّ الْعَرَفِ مَشْكُورِ الْأَيْدِي كَرِيمِ عَرَفُهُ يُسْلِي الْحَزِينَا
أَغَارَ عَلَى التُّرْنَجِ وَقَدْ حَكَاهُ فَزَادَ عَلَى اسْمِهِ أَلِفًا وَنُونَا

وأراه سمع قول صاعد اللغوي فيه ، حيث يقول ^١ :
من طيبه سَرَقَ الْأَتْرُجَ نَكْهَتَهُ يَا قَوْمُ حَتَّى مِنْ الْأَشْجَارِ سُرَّاقُ
ولكنه عكسه ، إذ اقتبسه ، وترك الرائحة ومال إلى الاسم .

وقال في التفاح :

وَجُلَّتْ نَارِيَّةٌ مَسْكِيَّةٌ النَّفْسِ كَأَنَّهَا جَنُودٌ فِي كَفٍّ مُقْتَبَسِ
قَدْ أَشْرَبَتْ مِنْ صِبَاغِ اللَّهِ حَمَرَهَا كَأَنَّهَا غُرَّةٌ أَوْفَتْ عَلَى لَعَسِ
كَرِيمَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْفَرْعِ مَا حَضَرَتْ إِلَّا وَحَضَّتْ عَلَى الذَّاتِ وَالْأَنْسِ
حَافَتْ فَتَكَسَّتْهَا لَمَّا كَلَفَتْ بِهَا فَاِنْ دَعَوْتُ أَجَابَتْ بِاسْمِ مُتَكَسِّسِ

قوله : « حافت » هو « تفاح » مقلوب .

وقال في السفرجل :

١ البيت في الذخيرة ٤ ، الورقة : ٣٤ .

وزعفرانية في ثوب مخزون
مصفرة من بنات الحُسن تحسبها
قد رُنُحت فوق أغصان ترجحها
تروقُ طعماً وشمّاً في البساتين
في زغبها مبيتاً في ثوب تكفين
وفلَكت كئدي الرَّبِّ العَيْنِ

وقال في الأثرج :

جسمٌ من الثورِ في ثوبٍ من النَّارِ
فابيضٌ باطنها واصفرُّ ظاهرها
محفوفة برماحٍ من منابتها
عطريّة لم تطيب للقاء ولا
كأنّه ذهبٌ من فوق بُلّارٍ
كأنّها درهمٌ من تحت دينارٍ
مشحوة بين أرواح وأمطارٍ
مدّت يميناً إلى حانوتِ عطارٍ

وقال في الخوخ :

وطيبُ الريقِ عذب آبَ في آبٍ
مُخَمَّلُ الثوبِ لم تَخْمَلْ رِثاسته
خالسَتْهُ نظري فاحمرّ من خجلٍ
من اسمه فيه مقلوباً ومُبتدئاً
وزار مُشْتَمِلاً في زيِّ أعرابٍ
بين الفواكه من نقصٍ ولا عابٍ
خدّاهُ ثم انثنى عني كرتابٍ
أرْبَى على اللوز في تطريزِ جلبابٍ

يريد أن الخوخ يقرأ من طرفيه . وفيه يقول :

لم أرَ كالْفِرْسِكِ جلباباً
من طرفيه يتأتى اسمه
كأنّه قد سكن الزابا
فإن تفتنت له ثابا

وقال في الفستق : [٤٥ أ] .

صدَفٌ أبيضٌ نقي
مُنَقَّرٌ عن جوهر
كلُّ صبغٍ يعزى إلى
ذو بهاءٍ وروْنَقٍ
أخضرٍ فيه مُطَبَّقٍ
لونه قيل فُسْتُقِي

وقال في العُنَّاب :

أما ترى ثَمَرَ العُنَّابِ مُوقَرَةً بكلِّ أَحْمَرَ لَمَاعٍ من الخرزِ
وقد تدلَّتْ به الأغصانُ مائلةً مثلَ العناكيل من صَدْرٍ إلى عجزِ
وقد حمتها عن الأيدي أسنَّتها حذارَ مفترسٍ أو خَوْفَ منتَهزِ

وقال :

ما طَلَعَتْ في قوسها إلآءَ بدا قوسُ قَرْحِ
نَفْسٍ وما مِنِ نَفْسٍ رُوحٌ ولكنْ لا شَيْعِ
شِراةٌ تلمحها قِراةٌ لمنْ لمحِ
ولستُ من شُرَّابها ولا لها بمفقرِ
ولا أنا مُغْتَبِقٌ بها ولا بمصطَبِ
لكنتي أمدحُها تظرفاً في من مدحِ

الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر اليايادي

أحدُ الأفرادِ الأجمادِ من إيادٍ ، وهو وإن كان في وقتنا البحرَ الذي لم يُبْلَغْ بالتحصيل ، والصبحَ الذي لا يُفْتَقَرُ معه إلى دليل ، فلإني أجريتُ ذكره في نَفْسِ هذا الديوانِ نَفْساً ، واجتلبتُ قطعةً من شعره أقمتها للآدابِ عُرْساً ، وجعلتها لألبابِ الشعراءِ والكتابِ مِدْوَسا ، مع أنه أعلى قدراً ، وأبهرُ ذكراً ، من أن يعبرَ الدهرُ عن علاه ، أو يدعي الشعرُ أنه من حلاه ؛ ولم أظفرُ عند تحريري هذه النسخة بشيء من نثره ، فلذلك اقتصرْتُ على جملةٍ من شعره ، جعلتها ذريعةً إلى إجراء ذكره ، ولولا ترتيبُ اقتضاه

١ في النسخ : مدرجا .

هذا التأليف ، وقضى به التصنيف ، لحل ذكره من هذا الديوان محل زحل من الفلك ، والتاج من مفريق الملك .

وقد قدّمت في أخبار القاضي ابن عباد من إظلام أفقه - كان - على الأشكال ، واجتماع فرقته من < غير > الأغفال ، بما أغنى عن إعادة المقال . وكان الفقيه جدّه محمد بن مروان بن زهر^١ . منشأ تلك الدولة العبادية أول من تُشئى عليه الخناصر ، وتشير إليه القلوب والنواظر ، وتفتقر إلى ما لديه الألباب والبصائر . فضاقت دولته عن مكانه . ضيق صدر العاشق عن كتّم أشجانه ، واسترايت لجلالة شأنه ، استراية المناق بتلجج لسانه ؛ وأهمته أمره حتى أخرجه عن بلده ، واستصفى ذات يده ، فلحق بشرق الأندلس . وأقام بها بقيّة عمره ، بين جاهه ووفره ، وفي حصن حصين من سلامة سرّه وجهه .

ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد^٢ فما بلغ أشده ، حتى سدّ مسدّه . بل ما خلع تئاتمه ، حتى استوفى مناقبه ومكارمه . وورث مباديته وخواتمه ، ومال إلى التفتن في أنواع التعاليم من الطب وغيره من العلوم ، فجمع شعاها ، واستوفى أجناسها وأنواعها ، وجذب بضبعها ، وفرّق بين غربها ونبّعها ، ورحل إلى المشرق لأداء حجّ الفريضة فملأ البلاد جلاله ، ورَجَحَ الأطواد أصالة ، ولم يلق أحداً من زعماء تلك الأقطار إلاّ عولّ على ما عنده ، وتجاوز في الأخذ عنه عقوه وجهده .

١ توفي الفقيه محمد بن مروان بن زهر سنة ٤٢٢ (انظر المطرب : ٢٩٣ والصلة : ٤٨٧

والبغية ص : ١٢٠ والوافي ٥ : ١٦ وعبر الذهبي ٣ : ١٥٠) .

٢ راجع ترجمة أبي مروان عبد الملك في الذيل والتكملة ٥ : ٣٧ والتكملة رقم : ١٦٩١

وطبقات صاعد : ٨٤ وابن أبي أصيبعة : ٦٤ والمغرب ١ : ٢٦٥ .

ونشأ أبو العلاء زهر بن عبد الملك^١ فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب ،
وشرع نبلاً قصرت عنه نتائج الألباب ، وكنا نتوقع الحمام حتى سطا ،
ونتجع الغمام إلى أن أعطى ، لو ساجل البحر لفضحه ، أو وازن الدهر
لرجحه ، نشأ بشرق الأندلس والآفاق تتهادى عجائبه ، والشام والعراق
تندارس بدائعه وغرائبه ، ومال إلى علم الأبدان ، فلولا جلالة قدره ،
لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره ، ولولا أن الغلو آفة المديح ، لتجاوزت
طلق الجموح ، ولكن اكتفيت بالكناية عن التصريح ، وصلوات الله
على المسيح . [٤٥ ب] ولم يزل مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من غزوة
أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، في من انضم
إليه من ملوك الطوائف إلى حصن ليبيط ما كان ، فشخص الوزير أبو العلاء
معه ، فلقية المعتمد واستماله واستهواه ، وكاد يغلب على سيره وتجنواه ،
وصرف عليه بعض أملاكه ، فحن إلى وطنه ، حين النجيب إلى عطفيه ،
والكريم إلى سنتيه ، ونزع إلى مقر سلفيه . نزع الكوكب إلى بيت
شرقيه ، إلا أنه لم يستقر بأشبيلية إلا بعد خلع المعتمد ، ودعا به أمير
المسلمين ، رحمه الله ، فلباه ، وحل من نفسه محلاً لم يحله الماء من الظمان ،
ولا الروح من جسد الجبان . وقد أخرجت من ملبح أشعاره ما يعطل
شدا الزهر ، ويخجل سنا الأنجم الزهر .

١ انظر في أخبار زهر بن عبد الملك كتاب التكملة : ٣٣٤ والمطرب : ٢٠٣ والنفع ٣ : ٢٤٦ ،
٤٣٢ (نقلا عن الذخيرة) . وبدائع البداه : ٣١٠ وابن الأصبعة ٢ : ٦٤ - ٦٦ . وكانت
وفاته سنة ٥٢٥ ودفن بأشبيلية خارج باب الفتح .

جملة من مقطوعاته الاخوانيات

كتب إليه حسام اللولة ابن رزين بهذه الأبيات ١ :

وَدَعِ الحُسُودَ بِغِلَّةٍ وَبِدَائِهِ	عَادِ اللِّثِيمَ فَأَنْتَ مِنْ أَعْدَائِهِ
مَشْغُولَةٌ أَفْوَاهُهُمْ بِجَفَائِهِ	لَا كَانَ إِلَّا مِنْ غَدَتِ أَعْدَاؤُهُ
حُسَيْدَ الْكَرِيمِ بِجُودِهِ وَوَفَائِهِ	أَبَا الْعَلَاءِ لَثْنِ حُسَيْدَتِ لَطَالَمَا
وَنَأَى السَّيِّئِ فَكُنْتَ مِنْ أَبْنَائِهِ	فَخَرَّ الْعَلَاءُ فَكُنْتَ مِنْ أَبْنَائِهِ
لَا كَانَ قَلْبٌ لَسْتُ فِي سَوْدَائِهِ	كُنْ كَيْفَ شِئْتَ مُشَاهِداً أَوْ غَائِباً
مَمْلُوءَةً مِنْ وَدِّهِ وَصَفَائِهِ	وَالَيْكَ كَأْسًا مِنْ وَدُودٍ مُمَحِضٍ

فأجابه الوزير أبو العلاء بقوله :

وَتَعَبَّدَ الْأَحْرَارَ حُرّاً وَفَائِهِ	يَا صَارِماً حَسَمَ الْعَلَاءُ بِمَضَائِهِ
إِلَّا بِأَنْ سُمِّيتَ مِنْ أَسْمَائِهِ	مَا أَثَّرَ الْعَضْبُ الْحَسَامُ بِذَائِهِ
حَتَّى اسْتَمَدَّ الرُّشْدَ مِنْ آرَائِهِ	وَلَقَدْ غَدَا رَأْيُ الزَّمَانِ بِمَعْزَلِهِ
وَتَبَرَّقَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى لِسَانَهُ	عَنَّتِ الْمُلُوكُ لِفَضْلِهِ وَعِلَائِهِ
سَمّاً لَمَّا قَابَلْتَهَا بِدَوَائِهِ	شَرَّفَتْ ذَا أَمَلٍ بِكَأْسٍ لَوْ غَدَتِ
وَأَرَى رَهْيْنَ الرَّمْسِ مِنْ شَهْدَائِهِ	كَيْمَا أُحْمُونَ الدَّهْرَ مَكْلُوءاً بِهِ

قال ابن بسام : قول ابن رزين : « فخر العلاء فكنت من آبائه » . . .

١ انظر النفع ٣ : ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٢ النفع : حسن .

البيت ، للشعراء تصرفاً في اشتقاق المدائح من أسماء المدحوحين ، ومنه قول ابن الرومي ^١ :

كأنَّ أباه حين سمَّاه صاعداً رأى كيف يرقى في المعالي ويصعدُ

ولما سمع البحريُّ هذا البيت قال : مني أخذه في العلاء بن صاعد ^٢ :

سمَّاهُ أسرَّتُهُ العلاء وإنَّما قصدوا بذلك أن تمَّ علاهُ

وقال ابن البين البطلوسي ^٣ في الوزير أبي الأصمغ بن المنخر :

شُمُّ الأنوفِ لذاك ما سُمِّوا بها ومن المسمَّى تُؤخذُ الأسماءُ

وقال أبو بكر بن سوار ^٤ في القاضي ابن حمدين : [٤٦ أ] .

من مبعثرٍ حمِدوا فأحمِدَ سَعْيُهُمْ فلذاك ما سُمِّوا بني حمدين

وقال صاحبُ بن عباد ^٥ : وقد قتلَ المتنبي من هذا جبلاً اختنق به ،

فقال ^٦ :

في رتبةٍ حجبَ الورى عن نيلها وعلا فسَمَّوهُ عليَّ الحاجبا

وقال أبو الوايد بن حزم ^٧ في الوزير أبي العلاء المذكور :

١ ديوان ابن الرومي ٢ : ٥٩١ ورسالة صاحب : ٢٤٢ .

٢ ديوان البحري : ٢٤٠٥

٣ سنجي . ترجمته في هذا القسم : ٧٩٩

٤ » » » » : ٨١١

٥ رسالة صاحب : ٢٤٢ .

٦ ديوان المتنبي : ١٠١ .

٧ ترجمته في ما يلي من هذا القسم .

أما العلاء فلن تراحمك العدا فيه وحسبك أن دُعيت له أبا

ومن جواب الوزير أبي العلاء له :

أجريت طيرُفَكَ في العتابِ وربّما — وقيتَ — مَنْ أَجْرَى بِلا قَصْدٍ كِبا
عُتْبِي ولا عَتَبُ لَدَيَّ ، وإن بنا استبدلتَ برقاً شام لحظُكَ خَلْبًا
نَحْبًا وضمَّنَ من سجايا ذاته نفحاتِ غَدْرِ ضِمنَ هَبَّاتِ الصَّبَا
ولطالما فيه انخدعتُ إخاله نَصْلاً فلما أن ضربتُ به نِبا
ما كلُّ ناضِرٍ دوحةٍ روضاً ولا كلُّ ضياءٍ راقٍ حسناً كوكبا

وقول الوزير أبي العلاء : « وربما وقيت » ، من مליح الالتفات ، وهو عند بعض أهل النقد تميم ، والالتفات أولى به وأشكل بمعناه . ومنه قول كثير^١ :

لو أن الباخلين وأنتَ منهم رأوكِ تعلّموا منك المطالا

وقوله : « وأنتَ منهم » التفات ، وقد سمّاه ابن المعتز^٢ : « اعتراضاً » وجعله باباً على حدته بعد الالتفات ، وغيره جَمَعَ بينهما^٣ . وقال النابغة^٤ :

ألا زعمتُ بنو عبسٍ بآني ، ألا كذبوا ، كبيرُ السنِّ فان

١ ديوان كثير : ٥٠٧ ومعه مصادر تخريجه ، يضاف إليها : بديع أسامة : ١٣٠ وبديع ابن

المعتز : ٦٠ واعجاز الباقلاني : ١٥٠ ومعاهد التنصيص : ١ : ١٢٥ وشرح النهج : ٢ : ٤٠٧ .

٢ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٣ يريد ابن رشيق في العمدة ٢ : ٥٤ ، وهو يتابعه في أمثله .

٤ لم يرد في ديوان النابغة الذبياني وقال صاحب العمدة : ورواه آخرون للجمدي ، وهو في

ديوانه : ١٦٢ وروايته ، ألا زعمت بنو كعب .

فقوله : « ألا كذبوا » اعترض ؛ وقال بعض العرب^١ :
 فظلتوا بيومٍ دُعُ أخاك بمثله على مَشْرَعٍ يروي^٢ ولما يُصَرَّدِ
 فقوله : « دُعُ أخاك بمثله » التفاتٌ مليح ؛ وقال عَوْفُ بن محَلَم^٣ :
 إن الثمانين ، وَبُلَّغَتْهَا قد أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى ترجمان^٤
 وقال اسحاق الموصلي : سألني الأصمعي وقال : أتعرف التفاتات جرير؟
 قلت : وما هي ؟ فأنشدني^٥ :
 أتُنسى إذ تودُّعُنَا سليمي بفرعٍ بِشَامَةٍ سُقِيَّ البشامُ^٦
 وقال لي : أما تراه مقبلاً على شعره ثم التف إلى البشام فدعا له ؟ وأنشد
 له ابن المعتز^٧ :
 متى كان الخيامُ بذِي طلوحٍ سُقِيَتِ الغيثُ أيتها الخيامُ
 وأحسن^٨ ابنُ المعتز في العبارة عن الالتفات ، حيث قال : هو انصراف
 المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، وعن المخاطبة إلى الإخبار وتلا قوله تعالى :
 ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا
 رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس : ٢٢) وأنشد لأبي عطاء السندي يرثي عمر بن
 هبيرة :

١ العمدة ٢ : ٤٥ ، وكذلك سائر هذا الفصل عن الالتفات .

٢ س م ط د : يوفي .

٣ طبقات ابن المعتز : ١٨٨ .

٤ ديوان جرير : ٢٧٩ ، ٢٧٨ .

٥ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٦ هذا كلام ابن رشيق ، وانظر ابن المعتز : ٥٨ .

ولأنك لم تبعد على متعمد بل كل من تحت التراب بعيد
وهو عندهم استدراك ؛ وأنشد ابن المعتز في هذا النوع لبشار^١ : [٤٦ب]
نبئت فاضح أمه يغتابني عند الأمير ، وهل عليّ أمير ؟
وما أملح قول نصيب^٢ :
وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا سنا بارق نحو الحجاز أثير
فقوله : « ولم أخلق من الطير » عجب . ولما سمعت^٣ التي قيل فيها
هذا البيت تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أواه ، زاه !!
قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك لنتعق وطار ، فجعله
ابن أبي عتيق غراباً لسواده . وأنشدوا للعباس بن الأحنف^٤ :
إن تم ذا الهجره يا ظلوم ، ولا تم ، فما لي في العيش من أرب
وقال عدي بن زيد ، وهو في حبس النعمان^٥ :
فلو كنت الأسير ، ولا تكنه ، إذا علمت معد ما أقول^٦
واستقصاء ذكر هذا الباب ، ممّا يضحّم حجم الكتاب .

١ ديوان بشار : ١١١ (جمع الملوي) .

٢ ديوان نصيب : ٩١ .

٣ أنظر الأغاني ١ : ٢١٣ .

٤ ديوان العباس : ٣٣ .

٥ م د : السحر .

٦ لم يرد في ديوانه .

٧ هنا آخر النقل عن المدة لابن رشيق .

وقول الوزير أبي العلاء : « أَثَّرَ الْعُضْبُ الْحَسَامُ بِذَاتِهِ » ... البيت ،
من مليح المدح في حسن التعرف بجنس السيفيّة ؛ وأبو الطيب ممّن اتخذ
سبيّاً إلى سمائها وعَرَجَ ، وَقَرَعَ بِأَبْهَا حَتَّى دَخَلَ كَيْفَ شَاءَ وَخَرَجَ ، كَقَوْلِهِ ¹ :
لَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ مِنْ دَوْلَةٍ لَهَا مِنْكَ يَا سَيْفُهَا مُنْصَلٌ
وكقوله :

لَوْلَا سَمِيَّ سَيْوِفِهِ وَمُضَاوَهُ لَمَّا سُلِّلْنَ لَكِنْ كَالْأُجْفَانِ
وكقوله :

تُسَمَّى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مِثَابِهِ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ
وقال :

قَلَّدَ اللَّهُ دَوْلَةً سَيْفُهَا أَذْ تَحُسَامًا بِالْمَكْرَمَاتِ مُحَلَّى
فَإِذَا اهْتَرَّ لِلنَّدَى كَانَ بِحَرًّا وَإِذَا اهْتَرَّ لِلْوَغَى كَانَ نَصْلًا
وقال :

وَإِنْ الَّذِي سَمَّى عَلِيًّا لِمَنْصَفٍ وَإِنْ الَّذِي سَمَّاهُ سَيْفًا لظَالِمُهُ
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ وَتَقْطَعُ لَزْزَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمُهُ
وقال :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهُ حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ
وَإِذَا تَوَجَّ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ وَإِذَا تَخْتَمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ

¹ انظر في هذه الأبيات ديوان المتنبي : ٢٩٧ ، ٤١٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ ،
٣٤٤ على التوالي .

وقال :

مَنْ لِلسَّيْفِ بَأَن يَكُونَ سَمِيَّتِهَا فِي أَصْلِهِ وَفَرَنْدِهِ وَمُضَائِهِ
طَبِيعَ الْحَدِيدِ فَكَانَ مِنْ أَجْناسِهِ وَعَلَى الْمَطْبُوعِ مِنْ آبَائِهِ

ولما أفضت الحال ، بالمعتمد إلى الاعتقال ، وحُبس بأغمار ، اعتلت بعض كرائمه في أثناء ذلك ، والوزير أبو العلاء هنالك ، فبادر إلى مرغوبه ، وسارع إلى تأتبي مطلوبه ، ولم يلتفت إلى ما كان سلف بين سلفيهما من معانٍ ، قضتها صروف الزمان ، واقتضتها حمايةُ السلطان ، فلاطف علاجها ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاء الطويل ، وكتب إليه المعتمد إثر ذلك بهذه الأبيات . وذكر قصة غريبة وهي : أن أكرم بناته ألقاها حين إلى استدعاء غزلٍ بأجرة تسدُّ بعض خلعتها ، فأدخل إليها في جملة ما أخرج غزل لبنت عريف شرطته^١ المنتقل إليه من دولة غرناطة ، وعلم الأمر بعد ذلك فتعجب من تقلب الدهر ، وفي ذلك يقول للوزير المذكور^٢ : [٤٧ أ]

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى أسيرٌ أن يطولَ به البقاءُ
أليسَ الموتُ أروحَ من حياةٍ يطول على الشقي بها الشقاء
[أأرغب أن أعيش أرى بناتي عواري قد أضرت بها الحفاء]^٣
خوادم بنتٍ مَنْ قد كان أعلى مراتبه - إذا أبدو - النداء
وطردُ الناسِ بين يديّ مروري وكفهمُ إذا غصّ الفناء

١ م ط س : شرطه .

٢ ديوان المعتمد : ٩٠ والمعجب : ٢١٨ .

٣ زيادة من الديوان لاستيفاء المعنى .

وركض^١ عن يمين أو شمال
ولكن^٢ الدعاء إذا دعاه
جُزيت أبا العلاء جزاء بر^٣
سبيلي^٢ الكل عمّا فات علمي

إذا اختل^٤ الأمام أو الورا^٥
ضمير^٦ خالص^٧ نفَعَ الدعاء
نوى برّاً وصاحبك العلاء
بأن^٨ الكل يدركه^٩ الفتاء

فأجابه الوزير أبو العلاء بأبيات ، قال فيها :

تنافست المراتبُ فيك حتى
عزيز^{١٠} أن ينال البحر نهي^{١١}
ويُلقي في متون الرمل ماء^{١٢}
ولكن^{١٣} الزمان بلوّم طبع^{١٤}
ومجدك إنه قسّم عظيم^{١٥}
لكنت الغيث إن محلّ تبدى^{١٦}
ومثلك ، عزّ قدرك عن مثيل^{١٧}
لأنك في سماء المجد نجم^{١٨}
وغاية كل شيء لانتهاء^{١٩}

حلّت العُسر إذ نحب الشقاء
وتسقي الكوثر العذب الرشاء
وتشكو غاية المحل السماء
على الحرّ الشريف له اعتداء
به وجِد السنّ وله السناء
وكنت الليث إن عن اللقاء
يؤمل أن يطول له البقاء
به لنواظر الدنيا جلاء
وأنت لغاية المجد انتهاء

وخاطبه الوزير أبو محمد بن عبدون برقعة خطب فيها ودّه ، فتخلّف
عن جوابه لشغلٍ عرّض ، فأعاد عليه ثانية بهذه الأبيات :

نصبي من الدنيا مودّة ماجد^{٢٠} أهيم^{٢١} به سرّاً وأخدمه^{٢٢} جهراً

١ في المعجب :

وركض عن يمين أو شمال ننظم الجيش ان رفع الورا
يعني أمام أو ورا إذا اختل الامام أو الورا

٢ م ط د : سبيلي ؛ س : سبلي ؛ المعجب : سبيلي النفس .

له الخيرُ إنْ يأذنْ أَقلُّ غيرَ عاذلٍ
خطبتُ إليه من هواه عقيلةً
فأطرقَ لم ينبسْ بحرفٍ ولم يُعِدْ
وما الصمتُ في هذا المكانِ لِسُنَّةٍ
فان زفَّها دوني إلى كلِّ خاطبٍ
وإن حَدَّثتْ منه إليَّ إجابةً

فأجابه الوزير أبو العلاء :

وفاؤك ما أَسْتَى وفضلُك ما أَسْرَى
إذا رمتْ نثراً جثتْ بالسَّحَرِ نائراً
بسطتْ بعفوِ القولِ عني وملتْ أنْ
ولو نهضتْ بي نحو سؤلي قدرةً
عقيلةً نظمٍ عن يسارِ زففتها
فما لجميلِ الظنِّ يحسبُ أنني
أنزّه ذاك الفضلَ عن كشفِ سوءةٍ

وإنْ يَأْبَ اسكتْ عنه لا طالباً عذراً
وأعطيتُ من شكري وأغلٍ به مهراً
إليَّ جواباً منه نظماً ولا نثراً
فلإني لم أخطُبْ مودَّتَه بكراً
فلم يرَ مثلي لا وفاءً ولا براً
عذرتُ عن الأولى ولم أكفرِ الأخرى

ومجدُك ما أَسْمَى وزندُك ما أَوْرَى
وإنْ حِكمتْ شعراً جثتْ بالآية الكبرى
قبضتُ ولم أمددْ إليها يداً يسرى
إذنْ لم أدعْ في الشكرِ نظماً ولا نثراً
لكفوٍ ودادٍ لم تجدْ كفوه مهراً
صمتُ لكبرٍ حينَ عدتْ به سرّاً
لحأتْ إليها حينَ أَرهقني عسراً

ما وجدته من شعر أبي العلاء في النسيب

كلفه حسام الدولة وصف غلام قائم على رأسه . فقال ٢ :

١ د : أعقبني .

٢ بدائع البداهة : ٣١٠ - ٣١١ .

تضاعفَ وجدي إذ تبدى عذارهُ
وقد كان ظنِّي أن سيمحقُ ليلهُ
فأظهر ضدَّ ضدَّه فيه إذ وشت
وتمَّ فخان القلبُ مني اصطبارهُ [٤٧ب]

بدائع حسنِ هام فيها نهاره
بعنبرِ صدغيهِ على الخلد ناره

وقال فيه :

مُحِبَّتْ آيةَ النهارِ فأضحى
كان يُعشي العيونَ نوراً إلى أن

بدرَ تمَّ وكان شمسَ نهارِ
شغلَ الله خدَّه بالعدارِ

كأنه ألم في هذا بقول الآخر :

حلّقوا رأسه ليزدادَ قبحاً
كان قبل الحلاقِ ليلاً وصباحاً

حذراً منهمُ عليه وشحاً
فمحوا ليله وأبقوه صباحاً

وقال فيه :

عذارٌ أَلَمْ فأبدى لنا
ولو لم يحنَّ النهارُ الظلامُ

بدائع كنّا لها في عَمى
لم يستبنَّ كوكبٌ في سما

وقال فيه :

تَمَّتْ محاسنُ وجهه وتكاملتْ
وكذلك البدرُ المنيرُ جماله

لما استدار عليه صبحٌ موقنٌ^٣
في أن تكنفَهُ جمالٌ أزرق

١ م ط د س : يفشى .

٢ ط م د س : يستبق ، والتصويب عن بدائع البدائه .

٣ بدائع البدائه : لما استدار به عذار موقن .

٤ بدائع البدائه : استنار .

وهذا كقول ابن برد وقد تقدم^١ :

يا ثوبه الأزرق الذي قد فاق العراقي^٢ في السناء
كأنه فيه بدرٌ تمُّ يشقُّ في زُرْقَةِ السماء

ولأنما أخذه من قول ابن المعتز :

الآن صرتَ البدرَ حينَ لبستَ ثوبَ سمائه

وله وهو مما طبّق المفضل في الغرض واستوفى معنى لم أر أحداً يستوفيه ،
وجمعه من ألفاظ أدبية ، ومعانٍ فلسفية ، وأبرزه في صورة من الحسن
يوسفية :

يا راشقي بسهامٍ ما لها غرضٌ إلا فؤادي وما منها له غرضٌ
وممرضي يجفون لحظها غنجٌ صَحَّتْ وفي صنعها التمريض والمرض
امنٌ ولو بخيالٍ منك يؤنسني فقد يسدُّ مسدَّ الجواهر العَرَض

١ أورد ابن بسّام هذين البيتين في القسم الأول : ٥٠٦ وهما هناك منسوبان لابن الرومي ،

وانظر ديوانه : ١٣٧ .

٢ م : الأزرق .

ومنهم الوزير الفقيه^١ أبو عبيد البكري^٢

وكان بأفقنا^٣ آخرَ علماء الجزيرة بالزمان، وأولَّهم بالبراعة والإحسان، وأبعدَهُم^٤ في العلوم طَلَقاً، وأنصعهم في المثور والمنظوم أفقاً، كأنَّ العرب استخلفته على لسانها، أو الأيام ولَّتْهُ زِمَامَ حدثانها، ولولا تأخُّرُ ولادته، وعهدة في زيادته، لأنسى ذكرَ كنيته المتقدِّم الأوان، ذَرَبَ لسان، وبراعة إتقان، لا يجمع الزمانُ حبَّه، إلا كما يؤلف كتبه، ولا يهزُّ البرقُ حسامه، إلا كما يصرفُ أعلامه، ولا يتدفَّقُ البحرُ إلا كما يجيشُ صدره، ولا يكونُ السَّحَرُ إلا كما يروقُ نظمُه ونثرُه، وله تقدُّمٌ سبق. وسَلَفٌ صدق. وقد كان لسلفه بغربي جزيرة الأندلس إمرة^٥ قعدوا منها مقعدَ أكابر الأمراء من الخروج عن الطاعة، والاستبداد عن الجماعة، ولهم في ذلك، وللمعتضد قريع أقرانهم، الذي طمَّ واديه على

١ الفقيه : زيادة من ط .

٢ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧ -) صاحب المؤلفات اللغوية البارعة مثل شرح الأمالي وفصل المقال، والكتب الجغرافية مثل: المسالك والممالك ومعجم ما استعجم؛ انظر مقدمة السط التي جمع فيها الأستاذ الميمني ما ورد عنه في الصلة والقلائد وبغية الملتبس والحلة والوافي وعد مؤلفاته، وانظر دراسة عنه في الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: ١٠٧ - ١٤٨ وقد نقل الأستاذ الميمني نص الذخيرة هذا أيضاً في مقدمة السط .

٣ بأفقنا : سقطت من م ط س

٤ ط م س : وأبعدهم ؛ الميمني : وأبرعهم .

٥ يعني أبا عبيد القاسم بن سلام .

٦ ونثره : سقطت من م س .

٧ م ط : أميرة .

قُرْبَانِيهِمْ ، أخبار ذكرها ابن حيّان ، وقد أُلْمِتْ منها بلمع ليتصل الكلام ،
ويستقيم النظام .

فصل في أخبار البكرين من أمراء الغرب^١

[١٤٨] قال ابن حيّان : لما تولّى الوزير أبو الوليد بن جمهور
الاصلاح بين ابن الأفطس والمعتضد ، بعد امتدادِ شأوهما في الفتنة ، وسنّى
الله السلمَ بينهما في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ، اعتدى بعد ذلك المعتضدُ
على جَارِيتهِ ابنِ يحيى أمير لبلة ، وأبي زيدِ البكري أمير شَلطيشَ وأوْتَبَةَ^٢
فأخرجهما عن سلطانهما الموروث ، وحصل له عملهما بلا كبير مؤنة ،
وضمَّهُ إلى سائر عمله العريض ، وازداد بذلك المعتضد سلطاناً وقوةً ، وذلك
أنه لمَّا خلا وَجْهَهُ من المظفرِ بن الأفطس فرغ لابن يحيى بلبله^٣
وصمّم في قَصْدِهِ بنفسه ، فترل ابن يحيى له عن لبلة وخروج عن البلد ، وانزعج
إلى قرطبة : وردّها مسلوبَ الامارة : لاثناً بكنف ابن جمهور ساداً الخلةِ

١ نقل دوزي هذا الفصل عن الذخيرة في مجموعه عن بني عباد ١ : ٢٥٢ وانظر البيان المغرب ٣ :

٢٤٠ والمجلة السراء ٢ : ١٨٠ - ١٨٢ .

٢ أوتبة اسم آخر لمدينة ولبة (Huelva) وهي وشلطيش (Saltes) في كورة اكشونية

في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة ايبيرية ، وتسمى المديرية اليوم مديرية ولبة . وفي ساحلها

جزر صغيرة أكبرها جزيرة شلطيش (انظر الروض المطار ، الترجمة الفرنسية : ٤٤ ، ١٣٥)

٣ لبلة (Niebla) تقع شمال اقليم اكشونية وتبعد عن اشبيلية إلى الغرب مسافة خمسين
كيلومتراً (الروض : ٢٠٣) .

٤ م س : وردھا .

ومأوى الطريد . وكان من الغريب النادر أن شاركه المعتضدُ بقطعةٍ من خيله
أوصلته إلى مأمنه بقرطبة .

ثم سقط إلينا النبأ بعدُ بامتداد يده إلى البكري بولبة وشلطيش ؛
وكان هذا الفتى أبو زيد البكري أوارث ذلك العمل لأبيه ، وكان أبوه
من بيت الشرف والحسب والجاه والنعمة ، والاتصال القديم بسلطان
الجماعة ، وكان له ولسلفه قبيل إسماعيل بن عباد جدُّ المعتضد وسائلُ
وأذمةٌ خلَّفها في الأعقاب اغترَّ بها عبد العزيز البكري ، فبادر البعثة إلى
المعتضد ساعة دخلَ لبلة يهنئه بما تهيأ له منها ، وذكره بالذمام الموصول
بينهما ، واعترف بطاعته ، وعرض عليه التخلّي عن ولبة ، وإقراره بشلطيش
إن شاء ، فوقع له ذلك من المعتضد موقع إرادة ، وردَّ الأمر إليه فيما يعزم
عليه ، وأظهر الرغبة في لقائه ، وخرج نحوه يبغي ذلك ، فلم يظمنَّ عبدُ
العزيز إلى لقائه ، وتحمَّلَ بسفنه بجميع ماله إلى جزيرة شلطيش ، وتخلّى
للمعتضد عن ولبة . فحازها حوزةُ لبلة ، وبَسَطَ الأمانَ لأهلها ،
واستعمل عليها ثقةً من رجاله . ورسم له القطعَ بالبكري ، ومنَعَ الناسَ
طُرّاً من الدخول إليه ، فتركه محصوراً وسطَ الماء إلى أن ألقى بيده من قُربٍ
ولم يَغْرُبْ عنه الحزم . فسأل المعتضد أن ينطلقَ انطلاقَ صاحبه ، فأمنَّه ،
ولحق بقرطبة ، وبوشر منه رجلاً سرياً عاقلاً عفيفاً أديباً يفوتُ صاحبه ابنُ
يحيى خِلالاً وخصالاً^١ إلى زيادةٍ عليه بيت السَّرو والشرف ، وبابنٍ له
من الفتيان بزَّ الأقرانَ جمالاً وبهاءً وسَرواً وأدباً ومعرفةً ، يكنى أبا عبيد .
وتحدَّثَ الناسُ من حزم عبد العزيز يومئذ أنه لما احتلَّ بشلطيش علم أنه لا

١ دوزي : جلالاً وخصالاً .

يقارعُ عبّاداً ، فأخذ بالحزم أولاً ، وتخلّى له عنها بشروط وفقى له بها ،
فباع منه سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال ، واحتلّ قرطبة في كنف ابن جهور
المأمون على الأموال والأنفس ، وصفّت لعبّاد تلك البلاد ، لو أن شيئاً
يلوم صفاؤه ، والملك لله وحده^١ .

[فصل من ثره^٢]

له من كتاب ينفى فيه المعتمد بالفتح الذي كان سنة تسع وسبعين
وأربعمئة : أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ،
ذي الأيادي الغرة ، والنعم الزهر ، وهناً ما منحه من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر ،
بطالع السعد يا مولاي أبت ، وبسانح اليُمن عدت ، وبكنف الحرز عدت ،
وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم البرّ سعت ، وبجنتِ العصمة أتيت ، وبسهم
السداد رميت فأصميت ، صدّر عن أكرم المقاصد ، واشرف المشاهد ،
وعوداً بأجل ما ناله عائد ، وآب به وارد ، فتوح أضحكت مبسم الدهر ،
وسفرت عن صفحة البشر ، وردّت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر ،
وهزّت أعطاف الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نخباً ، وثنت آمال الشرك

١ بهامش ط الأيسر بخط غير خط الأصل : « بقي منها نحو نصف ورقة » وعلى الهامش الأيمن
« هنا ترجمة للوزير الفقيه أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج » . ولكن مما يلفت النظر أن النسخ
المعتدلة لم تورد ترجمة ابن حجاج كما أنها لم تورد للبكري شعراً أو نثراً ، وهي في
الأرجح ناقصة عما رسمه ابن بسام نفسه ، لهذا أثبت هنا بعض نثر البكري وشعره ليكون
ذلك في نسق مع طبعة كتاب الذخيرة .

٢ نهاية الأرب ٥ : ١٤٥ ونقله الميعني في مقدمة السط .

كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية رهبا ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاغب ،
ومتعة الحاضر ونقطة المسافر :

بها تُنْفَضُ الأحلاس في كل منزلٍ وتعقد أطراف الحبال وتطلق^١

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفّت الملة ، وبردت
الغلة ، وكشفت العلة .

كان داء الاشتراك سيفك واشتدت شكاة الهدى وكان طبيبا

فغدا الدين جديداً ، والإسلام سعيداً ، والزمان حميداً ، وعمود الدين
قائماً ، وكتاب الله حاكماً ، ودعوة الإيمان منصورة ، وعينُ الملك قريرة ،
فهنا الله مولانا وهنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشهية مواقعها ، المشهورة آثارها ،
المأثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ففي البرِّ تحلُّ وتعقد ، وعضد حسامه
فبالقسط يُسلُّ ويغمد ، وأيدٌ مذاهبه فبالتحزّم تُسندى وتلحم ، وأمدٌ
كتائبه ففي الله تسرج وتلجج . فكم فادح خطب كفاه ، وظلام كرب
جلاه ، وميت حق أحياه ، وحي باطل أرداه ، وكم جاحم ضلالة أطفأ
ناره ، وناجم فتنه قلم أظفاره ، ومغلول أسنة أرهف شفاره ، ومستباح
حرمة حمى ذماره .

فلله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القويمة . المتبلجة عن ميمون النقية
ومحمود العزيمة ، فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج
للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي سطع هذا السراج ،
وانتهج هذا المنهاج ، فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ،
إدالة من مشاقبه ، وإزالة لمحاربيه ، وإبادة لمناوئيه . وإن أجل هذه النعم
في الصلور ، وأحقها بالشكر الموفور ، ما من الله به من سلامة مولاي التي هي

١ للأعشى ، ديوانه : ١٤٩ والخيرة ١ : ٨٣٥ .

جامعة لعزّ الدين، وصلاح كافّة المسلمين، بعد أن صلي من الحرب نيرانها،
فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها :

وقفتَ وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهونائم^١
تمرّ بك الأبطالُ كلّمى هزيمةً ووجهك وضاح وثغرك باسم

فله الحمد والابداع والالهام ، وله المنّة وعلينا متابعة الشكر والدوام ،
وفازت الكفّ الكليم ، بأعلى قداح المكلوم لدى المقام الكريم ، وانها لمي
التالية للاصبع الدامية ، في المنزلة العالية :

بصّرتَ بالراحة العُليا فلم ترها تُنالُ إلا على جسرٍ من التعب^٢

جملة من شعر أبي عبيد البكري^٣

قال يخاطب أبا الحسن ابراهيم بن محمد المعروف بابن السقاء وزير ابن
جهور ، وقد خرج رسولا^٤ إلى باديس بن حبوس بفرناطة :

كذا في بروج السعد يتقلّ البدرُ ويحسن حيث احتل آثاره القطرُ
وتقتسم الأرض الخطوط فبقعة^٥ لها وافر منها وأخرى لها نزر
لذلّ مكان^٦ غاب عنه مملكي وعزّ مكان^٧ حلّه ذلك البدر
فلو نقلت أرض خطاها لأقبلت تهنيه بغداد^٨ بقربك أو مصر

وله في المعتمد عندما أجاز البحر مستجيراً بأمر المسلمين وناصر الدين :

١ ديوان أبي تمام ١ : ٧٨ .

٢ انظر الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ وما بعدها ، ومقدمة السمط .

يهون علينا مركب الفلك أن يرى
فجزنا أجاج البحر نبغي زلاله
يذكرنا ذاك العباب إذا طمى
ندى كفك الهامي على القرب والبعد

ومنها :

محمد يا ابن الأكرمين أرومة
فلو خلد الانسان بالمجد والتقى
ليهنك تشيد المكارم والمجد
وآلاته الحسنى لهنت بالخلد

وله :

أجد هوى لم يأل شوقاً تجددا
وما زال هذا الدهر يلحن في الورى
ومن لم يحط بالناس علماً فاني
ووجدت إذا ما أتهم الحب أنجداً
فيرفع مجروراً ويخفض مبتداً
بلوتهم شتى مسوداً وسيدا

وله ، وكان مولعاً بالخمير :

خليلي إني قد طربت إلى الكاس
فقوما بنا نلهو ونستمع الغنا
فليس علينا ، في التعلل ساعة
وتقت إلى شم البنفسج والآس
ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
وإن وقعت في عقب شعبان من باس^١

١ هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ، وقد نقل ابن سعيد شيئاً منها عن الذخيرة (المغرب ١ : ٢٥١) وفيها يقول : « كان بحر علوم ، وسابق ميدان منشور ومنظوم » وأورد له ابن سعيد رسالة أو قطعة من رسالة ، أثبتها البلوي أيضاً على نحو أتم في العطاء الخزيل (ص : ٥) ؛ وأرجو أن أوفق إلى العثور على الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة .

في ذكر ذي الوزارتين الفقيه الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان
المعروف بابن القصيرة^١

وهو في وقتنا جمهورُ البراعة ، وبقيةُ أئمةِ الصناعة ، وعذبةُ اللسان العربي ، وسويداءُ قلبِ هذا الإقليمِ الغربي ، بحرٌ علمٍ لا يتزح ، وجبلٌ حلمٍ لا يُزحزح ، من بعضِ كورِ إشبيلية ، نشأ في دولةِ المعتضد ، شهر^٢ بالعفافِ فلزمه ، وَيُسِرُّ للعلمِ فتعلَّمه^٣ وعَلَّمه ، وكانت له نفسٌ تأبى إلا مزاحمةَ الأعلام ، والخروج على الأيام ، وهو دائماً يَغْضُ عِنَانَهَا فتجمع ، ويَطْأُ من غُلُوَائِهَا فتتطاول وتطمح ، ممتنعاً من خدمةِ السلطان ، قاعداً بنفسه عن مرتبةِ نُظَرَائِهِ من الأعيان ، بين عَفَّةٍ تزهده ، وهيبةٍ من المعتضدِ تُقْعِدُهُ ، حتى فطن له ذو الوزارتين ابن زيدون ، فلم يزل يَضْرَحُ قُدَى العُطْلَةِ عن مائه ، ويُعْلِي رمادَ تلكِ الهيبةِ عن نارِ ذكائه ، إلى أن نبه عليه المعتضد [٤٨ب] آخر دولته ، فتصرف فيها قليلاً على تقيّةٍ من تلكِ البقية ،

- ١ أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي (٥٠٨) كان من أهل التفنن في العلوم كاتباً بارع الخط ، وبها فرسولا عن المعتمد بن عباد إلى الملوك غير مرة ، وقبيل وفاته أدركه الخرف ؛ انظر ترجمته في الصلة : ١٠٤ والمغرب ١ : ٣٥٠ والمطرب : ٨١ واعتاب الكتاب : ٢٢٢ والمعجب : ٢٢٧ والوافي ٣ : ١٢٨ والمحمدون من الشعراء : ٣٥٨ والخريدة ٣ : ٣٨٣ والذيل والتكملة ٦ : ٢٢٧ والنفع ٤ : ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ والاحاطة ٢ : ٥١٦ .
- ٢ من هنا نقل ابن الأبار نص ابن بسام في ترجمة ابن القصيرة (اعتاب الكتاب : ٢٢٢) حتى قوله : تقمعه ؛ ثم لخص بعد ذلك حتى آخر الترجمة .
- ٣ الاعتاب : فعلمه .

وتتشف من ذلك التعفف ، إلى أن أفضى الأمر إلى المعتمد ، وأحسبه قد كان في أيام أبيه ، من بعض من يداخله ويصافيه ، فجاءه من علاه بنصيب ، وسقاه من نداء ببحر لا يذتوب ، وأنهضه إلى مشى الوزارة ، وأكثر ما عول عليه في السفارة ، فسفر غير ما مرة بينه وبين حلفائه من ملوك الطوائف بأفقتنا ، حتى انصرفت وجوه آمالهم إلى أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثر صوابه ، واشتهر في ذات الله مجيئه وذهابه ، واضطر المعتمد إليه قريباً من آخر دولته ، فعظمت حاله ، واتسع مجاله ، واستولى على الدولة استيلاءً قصراً عنه أشكاله ، إلى أن كان من خلعه ما كان ، فكان ذو الوزارتين أحداً من حرب ، وفي جملة من نكيب . وأقام على تلك الحال ، نحواً من ثلاثة أحوال ، حتى تذكره أمير المسلمين بما كان عهد من حسن خليقته ، وسداد طريقته ؛ وقد حدثت أن سبب ذلك الذكر ، كتاب كان ورد من صاحب مصر ، لم يكن بد من الجواب عليه والانصاف منه ، وتفقد يومئذ أعلام المشاهير ، فكان ذو الوزارتين أقرب مذكور ، فاستدعاه لحينه ، وولاه كتبة دواوينه ، ورفع شأنه ، حتى أنساه زمانه ، وقد أثبت من كلامه مما أنشأه في الدولتين ، ما يملأ ذكره الخافقين^١ .

١ ذكر مؤلف المصنف : ٢٢٨ أن ابن القصيرة كان على طريقة قدماء الكتاب من إثارة جزل الألفاظ وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأسجاع التي أحدثها متأخرو الكتاب ، اللهم إلا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء .

جملة من إنشاءاته السلطانيات مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها

له من رقعة وردت على الجناح بهزيمة الطاغية اذفونش، قصمه الله ، يوم الجمعة المشهور ، الذي أباد الله فيه عبدة الطواغيت على يدي أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، قال فيها :

كتبت^١ صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب ، وقد أعز الله الدين ، وأظهر المسلمين ، وفتح لهم بفضلهم على يدي مسعانا الفتح المبين ، بما يسر الله في أمسه وسنائه ، وقدره سبحانه وقضاه^٢ ، من هزيمة أذفونش بن فردلند ، أصلاه الله - إن كان طاح - الجحيم ، ولا أعدمه - ان كان أمهل^٣ - العيش - الذميم ، كما قنعه الخزي العظيم ، وإتيان القتل على أكابر رجاله وحُماته ، وأخذ النهب في سائر اليوم والليلة المتصلة به إلى جميع محلاته ، وحضور العدد الوافر بين يدي من رؤوسهم ، ولم يحتز منها إلا ما قرب ، وامتلاء الأيدي ممّا قبض ونهب ، واتخذ الناس هياماتهم صوامع يؤذنون عليها ، ويشكرون الله تعالى على ما صنع فيها ، والتبّع بعد في آثارهم ، وتمادي الطلب من وراء فرارهم ؛ والذي لا مرية فيه أنّ الناجي منهم قليل ، والمفلت

١ فيه مشابه سا أورده صاحب الروض المطار (مادة : الزلافة) ونقله المقرئ في النفع ؛ :

٣٦٩ ، وانظر أيضاً القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام : ٢٤٥ .

٢ م : وقدره ممثلاً وقضاه ، س : وسنائه ممثلاً وقضاه .

٣ اعلام : ان كان قد أمهله .

من سيوف الهند بسيوف الجوع والبعد مقتول ، ولم يصبني بحمد الله إلا جرح أشوى^١، وعنت رغب حُسن المال عندي^٢ وزكّى^٣، فلا يشتغل لك بذلك بال^٤، ولا تتوهم فيه غير ما أشرت إليه ، والحمد لله على ما صنع حقّ حمده ، وهو أهلُ المزيدِ الذي لا يرجى إلا من عنده .

قال ابن بسام : وشهر رجب الذي ذكره كان سنة تسع وسبعين .

ثم ورد بعد كتاب من إنشائه يشرح جُمَل هذا الفتح وتفصيله^٥ ، قال في بعض فصوله : وقد علم ما كنا قبلُ مع عدوّ الله اذفونش بن فردلند ، قصمه الله ، من تطأطؤنا واستعلائه ، وتقامثنا وانتخائه ، وأنا لم نجد لدائه دواء ، ولا لبلائه انقضاء^٦ ، ولا لمدة الامتحان به فتاء^٧ ، إلى أن سنّى الله تعالى من استصراخ أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، معقلي الأحمى - أيده الله - ما سنّى ، وأدنى من نأى دياره وشحط مزاره ما أدنى ، فلم أزل أصلُ بيني وبينه الأسباب ، وأستفتح إلى ما كنتُ أتخيّل من نصره الأبواب ، إلى أن ارتفعت الموانع قبله^٨ ، وانتهجت السبل القصية^٩ له ؛ ثم أجاز - على بركة الله وعونه - يريش ويبري ، وصار بعد قُدماً يخلق ويفري ، ويتبع وجوه الحزامة [٤٩ أ] كيفما اتجهت ويستقري ، وأنا أنجده بوسعي ، وأسعده على حسَب ما يُطبقه ذرّعي ، إلى أن صرنا معشر الحلفاء

١ أشوى : أصاب الشوى أي الأطراف ولم يكن قاتلاً .

٢ هذه العبارة قلقة هنا ، وكذلك هي في الروض والنفح واعمال الاعلام .

٣ ط د س : القيمة (ولعل الصواب : العصية) .

٤ م س : الحلفاء .

بِبَطْلَيْوُس - حرسها الله - واتفق رأينا بعد تشاورٍ على قصد قورية^١ - حرسها الله - وسمع العدو - لعنه الله - بذلك ، فصمد من مُحْتَشِدِهِ إليها في جيوشٍ تملأ الفضاء ، وتسدُّ الهواء ، ونَمْنَعُ أن تقع على ما تحت راياته ذُكاء ، قد تحصَّنوا بالحديد من قرونها إلى أقدامهم ، واتخلَّوا من السلاح ما يزيدُ في جرأتهم وإقدامهم ، ولما أشرف على جنابها ، ولسنا بها ، ودنا من أعلامها ، ولم يتَّجه لنا بعدُ ما أردنا من إلامها ، دعاهُ تعاظمه^٢ إلى مواجهة سبيلنا ، وحمله نَفْجُهُ وَهْؤُهُ على السلوك في مَدْرَجِ سبيلنا .

وفي فصل منها : فدنونا إليه بمحلاتنا - نصرها الله - ثم اضطربناها^٣ بازائه ، وأطللنا عليه براياتنا^٤ حتى كدنا نركزها بِفِنائِهِ^٥ ، ورأى - لعنه الله - ما اعتمدناه من إصغاره وإخزائه ، فأجمع مضطراً على اللقاء ، وقدَّم بعض أخيبته دَهْشاً في الرقعة التي كانت بيننا على صغرها من بساط الفضاء ، وقد تيقَّن أنه إن أخذ المسلمون مصافهم ، ورتبوا في مواقعهم كواقفهم ، اضطلِّمَ عن آخره جَمْعُهُ ، واجتثَّ أصلُهُ وفرعُهُ ، فاهتبلَ فيما قَدَّرَ غِرَّةً ، وحمل ولم يكن - بحمدِ الله - ما استشعره مرَّةً ، فتنادى المسلمون بشعارهم المنصور ، وأقبلوا عليه وعلى من معه في حالٍ مؤذنة بالظهور والوفور ، فتواقف قليلاً الجمعان ، وتجاول ملياً الفريقان ، وللسيوف حكمها ، ومن الختوف حدُّها المفهوم ورسومها ، ثم صدق أميرُ المسلمين وناصر

١ قورية (Coria) قريبة من ماردة (الروض المطار رقم : ١٥٣) وفي س م : مورية .

٢ م ط : تعايطه .

٣ م د : أخطرناها .

٤ م : برايتنا .

٥ بفنائته : سقطت من م .

الدين - أيده الله - الحملة ، و صدم في جمع لم يكثر عدد الحملة ، فلم يلبث أعداءُ الله أن ولّوا الأدبار ، واستصرخوا الفرار ، واتبعهم خيل المسلمين - نصرهم الله - بقية اليوم والليلة ، تقتلهم في كل غَوْرٍ ونجد ، وتقضي أرواحهم على حالين من كآءٍ ونقءٍ ، ولم يخلص منهم على أيدي المتبعين - آجرهم الله - إلا من سيلتهمه البُعد ، ويأتي على حُشاشته الجهد ، وأما محلّتهم فانتُهبت في أوّل وهلة ، وشُرِبَت بأسرها في نهلة .

وفي فصل منها :

ولم يُصَبِّ بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول المقام ، وشدةِ الاقتحام ، كثيرٌ ، ولا مات من أعلامهم^١ تحت تلك الجولة إلا عدد يسير ، فإن كان اذفونش - لعنه الله - لم يمت تحت السيوف بدداً ، فسيموت لا محالة أسفاً وكداً ، ونحمد الله على ما يسّره من هذا الفتح الجليل وسنّاه ، ومنحه من هذا الصنع الجميل وأولاه .

قول أبي بكر فيما كتب به عن المعتمد يومئذ : « ولم يصنبي إلا جرح أشوى » تواتر النبا أنه جرحته يده في ضنك ذلك المأزق .

وقيل في يوم الجمعة أشعارٌ سارت بالمغارب والمشارق ؛

أخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو عبد الله بن عباد^٢

١ الكآء : النسيئة والسلفة ، والنقد : الدفع المعجل .

٢ م : أعاليهم .

٣ يعني أبا عبد الله محمد بن عباد المعروف بابن القزاز .

من المربة بقصيدته في صفة يوم الجمعة ، فارفعت إلى المعتمد على يدي ،
وهي التي يقول فيها ^١ :

وقالوا كفه جرحت فقلنا	أعاديهِ	تواقعه ^٢	الجراحُ
وما أثرُ الجراحة ما رأيتُ	فترهبها	المناسِلُ	والرماحُ
ولكن فاض سيلُ البأسِ منها	ففيها	من مجاريهِ	انسياح
وقد صحتْ وصحتْ بالأمانِ	وفاض	الجودُ	منها والسماح
رأى منه أبو يعقوب فيها	عُقَاباً	لا يُهاضُ	لها جناح
فقال له لك القِدْحُ المعلَى	إذا ضُرِبَتْ	بمشهدك	القِداحُ

[٤٩ ب] وفي ذلك اليوم يقول عبد الجليل : ويمدح أمير المسلمين وناصر
الدين ، رحمه الله تعالى ^٣ :

فتار إلى الطعان حليفُ صدقٍ	تثورُ	به	الحفيظةُ	والذِّمامُ
نُمي في حميرٍ وتمتِكْ لحمٌ	وتلك	وشائجٌ	فيها	التحام
فيوسفُ يوسفُ إذ أنت منه	كيامنُ ^٤	لا	وهي	لكما نظام
نهجتَ لسيله نهجاً فوافى	وفي	آذيتِه	الطامي	عِرامُ

١ انظر أبياتاً منها في القسم الثالث من أعمال الاعلام : ٢٤٩ وفي القلائد : ١٣ والمغرب والخريدة

وهي من قصيدة وردت في ترجمة ابن عبادة القزاز في القسم الأول من الذخيرة : ٣٠٨

٢ م س : تواقعه .

٣ منها أبيات في المسالك : ١١ : ٢٢١ والخريدة : ٢ : الورقة : ٩٩ (في ترجمة عبد الجليل ابن وهبون)

والمغرب : ١٢٠ - ١٢١ والقسم الثالث من أعمال الاعلام : ٢٤٧ - ٢٤٨ والقلائد : ١٣ .

٤ كيامن : مثل يامن (يعني بنيامين أخا يوسف الصديق) وفي أعمال الاعلام : كبا يزلا

وما لكما نظام (وهو غريب) .

فَهَيْلَ بِهِ كَثِيبُ الْكَفْرِ هَيْلًا وَكُلُّ رُقِيغَةٍ^١ مِنْهُ رَكَامٌ
وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا كَأَنَّ وَهَادَهَا مِنْهُمْ أَكَامٌ
عَدِيدٌ لَا يَشَارِفُهُ حَسَابٌ وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زَمَامٌ
تَأَلَّفَتِ الْوَحُوشُ عَلَيْهِ شَتَّى فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ
فَإِنْ يَنْجُ الْعَيْنُ فَلَا كَحْرٌ وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْجُو اللَّثَامُ

وكان أذفونش قد اضطره الخور يومئذ للفرار ، فتسئم قسن الجبال الشاهقة والأوعار ، إلى أن جنَّه ثوبُ الظلام ، فنجاً منجى الحارث بن هشام . برأس طميرة^٢ وبلحام^٣ . ودخل طليطلة - أعادها الله - مع شيرذمة^٤ من أتباعه قليلة ، وبقية^٥ من طائفة له مخنولة مغلولة ، فوصف ذلك كله عبدُ الجليل في هذه القصيدة ، فقال :

فَأَيْنَ الْعَجَبُ يَا أَذْفُونَشُ هَلَاءَ تَجَنَّبْتَ الْمَشِيخَةَ يَا غَلَامُ^٦
سَتَسْأَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رِجَالٌ فَتَخْبِرُ مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ^٧

وهذا لفظ أبي فراس في سيف الدولة . وننشد ما قبله لاتصال المعنى به^٨ :

سَلِي عَنِّي سَرَاةَ بَنِي كَلَابٍ بِبَالَسٍ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الْعَوَالِي

١ ط : رقيقة ؛ م : رقيقة ؛ والرفيفة : التراب اللين .

٢ فيه إشارة إلى قول حسان بن ثابت يعبر الحارث بن هشام بالفرار :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَنَجَوْتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يَقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طَمِيرَةٍ وَبِلِحَامٍ

٣ هو مثل ، انظر جمهرة العسكري ٢ : ٢٥٥ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ٢ : ١٤٣ .
واللسان (عصم) .

٤ ديوان أبي فراس : ٣٠٦ .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ كَقَيْنَ مؤونة الأسَلِ الطَّوالِ
تدورُ به نساءُ بني قُرَيْظٍ^١ وتَسألهُ النساءُ عن الرجالِ

وفي هذه القصيدة يقول كأنه يخاطب أذفونش :

أَقمتَ لدى الوغى سوقاً فخذها	مناجزةً ، وهُونٌ ما تُسام
فان شئتَ اللجينَ فممْ سامٌ	وإن شئتَ النصارَ فممْ حام
رأيتَ الضربَ تصلياً فصَلِّبْ	فأنتَ على صليكَ لا تلام
أناَمَ رجالكَ الأشقونَ ؟ كَلّا	وهل يحلو بلا رأسٍ منام
رفعنا هامَهُم في كلِّ جِدْعٍ	كما ارتفعتُ على الأيكَ الحمام
سيعبدُ بعدها الظلماءَ لَمّا	أُتيحَ له بجانبها اكتنام
ولا ينفكُ كالحفّاشِ يُغْضِي	إذا ما لم يباشِرهُ الظَّلَام
ننْضا أذراعَهُ واجتَابَ ليلاً	يودُّ لو أنّ طولَ الليلِ عام
وليس أوانٌ للأبمِ ^٢ انْسلَخُ	ولكنْ في ضمائرهِ احتدام

وقوله : « سيعبد بعدها الظلماء » ... البيت : كقول المتنبي^٣ :
[٥٠ أ] .

وكم لظلامِ الليلِ عندك من يدٍ تخبّرُ أنّ الما نوِيّةَ تكذبُ
وكقول أبي تمام^٤ :

١ الديوان : إمام من قريظ .

٢ م س : الليل .

٣ ديوان المتنبي : ٤٦٤ والخريدة ٢ : ١٠٠ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ١٩٩ .

جفا الشرقَ حتى ظنَّ مَنْ كان جاهلاً
بدين النصارى أنَّ قِبَلَتَهُ الغربُ

وقوله : « يود لو أن طول الليلِ عامٌ » ؛ من قول المعري ، وقصَّر عنه :
يودُ أنَّ ظلامَ الليلِ دامَ له . . . البيت ^١ ؛ ونقله التهامي نقلاً مليحاً
فقال ^٢ :

وتودُّ لو جعلتُ سوادَ قلوبها وسوادَ عَيْنَيْها سوادَ عذارِ

وكانت طوائف الروم ، مدة ملوك الطوائف بأفئنا قد كلب داؤهم
بكلِّ إقليم ، فلاطفوهم بالاحتيال ، واستزلوهم بالأموال ، فلم يزل
دأبهم الإذعان والانقياد ، ودأب النصارى التسلُّط ^٣ والعناد ، حتى
استصفوا الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن التفاد ، بما كانوا
ضربوا على أنفسهم من الضريبة ، إلى ما يتبعها من هديآت ونفقات ، وشعرُ
العصرِ ، شاهدٌ بالأمر ، كقول حسَّان بن المصيصي ^٤ يمدحُ المعتمد ويهون عليه
تلك الاتاوات ، من جملة أبيات :

ولم تَطْوَ دون المسلمين ذخيرةٌ	تُهينُ كرامَ المنُفساتِ لتكرما
تَحِيلُ في فكِّ الأسارى وإنما	تعاقدُ كفَّاراً لتطلق مسلما
وما كنت ممن شحَّ بالمال والقنا	فتكثرُ ديناراً وتركزَ لهذما
فترسله للصُّفْرِ أصفر عسجداً	وإن خالفوا أرسلت أبيض مخدما

١ تمامه : وزيد فيه سواد القلب والبصر (شروح السقط : ١١٩) .

٢ ديوان التهامي : ٥٥ .

٣ م : التصليط .

٤ ستأتي ترجمته في هذا القسم : ٤٣٣

وفي ذلك يقول أبو بكر الداني من جملة قصيدة :

في نصرة الدين لا أَعْدِمَتْ نصرتهُ تلقى النصارى بما تلقى فتنخدعُ
تنيلهم نِعْماً في طيِّها نَقَمُ سيستضرُّ بها من كان ينتفع
وقلَّ ما تسلم الأجسامُ من عَرَضٍ إذا توالى عليها الريُّ والشَّبَعُ
لا يخبِطُ الناسُ عشوا عند مشكلةٍ فأنت أدرى بما تأتي وما تدع

وهذا مدح غرور ، وشاهد زور ، وملقٍ مُعْتَفٍ سائل ، وخديعةُ
طالبٍ نائل ، وهيهات !! بل حَلَّتِ الفاقةُ بعدُ بجماعتهم حين أيقن النصارى
بضعف المُنَنِ ٢ ، وقويت أطماعهم بافتتاح المدن ، واضطربت في كلِّ
جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن أخطأه
القتلُ منهم فإنما هو بأيديهم سبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحنِّ والبلايا ، حتى
دنوا مما أراحوه من التوثب ، وأشرفوا على ما أمْلَوْه من التغلب ٣ .
وحصلت مدينة قُورِيَّة وسُرَّتة أولاً في يد العدو ، إلى عدَّة حصونٍ
وقلاع ، كلها في غاية من الحصانة والامتناع ، ثم لم يزل التخاذل يتزايدُ ،
والتدابُرُ يتسائدُ ، حتى حَلَّتِ الفاقةُ ، وقُضِيَتِ القضيةُ ، وتُعْجَلَتِ
البلية ، بحصول مدينة طُلَيْطَلَة في أيدي النصارى ، وذلك في سنة ثمان
وسبعين ، وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة ، وواسطة القلادة ، تدركها
من جميع نواحيها ، ويستوي في الاضرار بها قاصيها ودانيها . وفي ذلك يقول

١ ط م س : تمام .

٢ ط د : المتن .

٣ وضعنا هذا النص بين أقواس ، لأنه سيرد من بعد في رسالة لمحمد بن أيمن ، فهو ليس
من كلام ابن بسام ، وإنما أورده مقتباً .

بعض الشعراء^١ :

حَثُّوا مطاياكمُ عن أرضِ أندلسٍ فما المقامُ بها إلا من الغَلَطِ [٥٠ ب]
فالثوبُ ينسلُّ من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

ولعمري لو^٢ قضى بالسماع على العيان ، واستغنى بالإقناع عن
البرهان ، واطمأن قلبه^٣ إلى التمويه ، وقد رآه محضاً لا شك فيه ، لكان
كلامُ الداني أبي بكر ، في ذلك المعنى المتقدم الذكر ، برتبة ذلك أليق ،
وفي حليته أجمع وأسبق ، حتى لو سمعه الحارث بن هشام ، لعلم
أنه قد ترك في حَمْدِ المذموم ، ومعارضة الصحيح بالسقيم ، طلقاً شاسعاً ،
ومجالاً واسعاً .

وأولُّ من حسنَ الفرار ، فما وقع ولا طار^٤ ، الملكُ الضليلُ حيثُ
يقول^٥ :

وما جَبَنْتُ خيلي ولكنْ تذكَّرتُ مرابطتها من بربعيص وميسرا^٥

ثم تتابع الشعراء في خَدْعِ العقولِ ، بالتمويه المستحيل ، فمن مُحَسِّنٍ
بَرَزَ ، ومن مقصِّرٍ عَجَزَ ، ومن أحسن ما ورد في ذلك قول حسان^٦ :

١ هو ابن العسال الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي ، انظر النفع ٤ : ٣٥٢ .

٢ في النسخ : لقد .

٣ م : عار .

٤ ديوان امرئ القيس : ٧٠ .

٥ قيل إن بربعيص بنواحي حلب ؛ وفيها وفي ميسر كانت وقعة فيما يبدو .

٦ ديوان حسان ١ : ١٧ .

نوليها الملامة إن المُنَا إذا ما كان مغثٌ أو لحاء^١
ونشرها فتركنا ملوكاً وأسداً ما يُنهنهن اللقاء

الآيات ، حتى قال الحارثُ بن هشام قطعتهُ في حُسْنِ الفرار ، التي
التي صارتُ نهايةً في العجب ، وشهادةً في تحسين نتائج الهرب ، وهي
قوله^٢ :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقرَ مُزِيدِ
ونشيتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم في مأزقٍ والخيلُ لم تبددِ
وعلمتُ أني إن أقاتِلُ واحداً أقتلُ ، ولا يضرُّ عدوي مشهدي
فصدتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعاً لهم بعقابِ يومِ سَرَمَدِ

وسمعا بعض العجم فقال : قاتلكم الله معشرَ العرب ، حَسَنَتُمْ كُلَّ
شيءٍ حتى الفرار .

ومن أسحر^٣ ما وَرَدَ في ذلك للألباب ، وأخذعه عن الصواب ،
قولُ ابنِ الرومي في سوداء ، وقد تقدم في ما مرَّ من الكتاب^٤ :

أكسبها الحبَّ أنها صُبِغَتْ صبغةَ حَبِّ القلوبِ والحدقِ
إلى ما لا يُحصى عدده ، ولا يُستقصى أمدُه .

١ المَغْثُ : القتال ؛ اللِحاءُ : السباب ؛ المُنَا : فعلنا ما نلام عليه .

٢ حماسة البحتري : ٥٠ ونسب قريش : ٣٠٢ والسيرة ٢ : ١٨ والعقد ١ : ٤٠ .

٣ م : أبهر .

٤ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٣٦ والقسم الأول من الذخيرة : ١٥٠ .

والغيث ٢ : ١٦٠ .

ومن الشاهد أيضاً على ما تقدم من الأوصاف رفاع رأيتها تكتب يومئذ
بأحد بيوت الأشراف ، خوطب بها العمّال ، في استعجال قبض تلك
الأموال ، منها رقعة عن المعتمد قبل فيها :

الحال مع العلوّ - قصمه الله - يئنة لا تخفى ، ومداراته - ما لم تمكن^١
مضاهااته - أرلى وأخرى^٢ ، والتزيم له في الصلح المتفق عليه جملة مال
رسم عليك منه - بعد النظر لحالك ، والتحاشي من الإجحاف بمالك - كذا ؛
فعجل النظر فيه ، وابعثه بكتاب تجاوب على ظهره بوصوله ، وبحسب
تعجيلك أو تأخيرك يكون الاستدلال على طيب نفسك ، وصدق ضميرك ،
فتدرك بالمشاركة في هذا الخطب الملمّ المهم الذي لا محيد عنه ، ولا
بد منه .

وأخرى خوطب عنه بها قواد البلاد في هذا المعنى : الحال مع العلوّ -
قصمه الله - يئنة لا تحتاج إلى جلاء ولا كشف ، معروفة لا تفتقر إلى
نعت ولا وصف ، ومن لا يمكن مقاوamته ومخاشته . فليس إلا مداراته
وملايئته . وكان - قلّ الله حدّه ، وفضّ جنده - قد اعتقد الخروج في
هذا العام إلى بلادنا - عصمها الله - بأكثف من جموعه في العام القارط
وأخفل ، وأبلغ في استعداده وأكمل ، إلّا أنّ الله تعالى يسّر من إنايته
إلى السّلم ما يسّر ، ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظر ، ووقع
[٥١أ] الاتفاق معه على جملة من المال تُقدّم إليه ، ونستكف بها الشرّ

١ ط م د : تكن .

٢ م : وأجدى .

المرهوب^١ لديه ، فكم حال كانت بخروجه تتلّف ، ونعمة بأيدي طاغيته
تُنتسَف ، والرعيةُ - حاطها الله - في هذا العام على ما يقتضيه ما عمّ
البلاد من الفساد ، وشملها من جائحة القحط والجراد ، وتكليفها أداء
شيء من المال الذي التزم مرتفع ، وأخذها بالمعونة على ما ناب مُنتسِع ،
فلم يبق إلا أن نميل بهذه الكلفة على الخدمة ميّلا العموم ، ونجريهم
فيها على أحسن مجاري التحرير والتقويم ، وهي حال تقتضي من كل
من أحسن التأمل المعونة فيها ، والمبادرة بحسب طاقته إليها ، وقد أدرجت
طبي رُفعتي هذه قينداقاً^٢ تُسمّى الخدمة قبلك فيه ، ورُسم على كل
واحد منهم ما توجه حاله وتقتضيه ، فتقدم في ما نصصته من الحال إليهم ،
وكلمتهم بما يخفف الحال عندهم ويسهلها لديهم ، ولتقبض ذلك كله
في أعجل ما يمكن ، فالحاجة إليه وكيدة ، والضرورة حافزة شديدة .

قال^٣ : ولما كلب العدو - قصمه الله - في ذلك التاريخ ، وأعضل دأؤه ،
وجعل يظأ بلاد المسلمين ، آمناً لا يخاف ، وآسأ لا يستوحش ، مُقْدِماً
لا يكع ، ومجتزأً لا يرتدع ، ينزل بساحات القواعد الرفيعة ، والقلاع
المنبئة ، فيعفتي الآثار ، ويستبيح الدمار^٤ ، ويهتك مَصُون الأستار ، ورِمّت

١ ط : الموهوب .

٢ ط : متدماً ؛ م س : قندماً ؛ وبياض في د ؛ والقنداق لفظة يونانية تعني « بيان » أو
« براءة » مدرجة ضمن رسالة أو رقعة ، كما يفهم من النص أعلاه .

٣ قال : سقطت من م د س .

٤ في النسخ : كمل .

٥ ط : ومجرماً .

٦ كذا ولعلها « الديار » ، وهي غير واضحة في م .

لها الأنوف ، واستُعْذِبتَ معها الختوف ، وحيث منها النفوسُ الأبيّة ،
والعدوّ في كل ذلك ثلجُ الفؤاد ، رابطُ الجأشِ ، لا يرقبُ سنانَ دافعٍ ،
ولا يبدو له وضّحُ سيفِ مدافعٍ ، لأنّ أكثرَ ملوكِ هذا الإقليم ، كانوا
يداخلون طوائفَ الروم ، ويكثري كلُّ واحدٍ منهم عسكرياً بجملةٍ من المال ،
يُخْرِجُهُ إلى بلدٍ كاشحِهِ . ويسلّطُهُ على معانده ممن يجاورُهُ من
البلاد ، حسداً له وطمعاً في بلده أنْ يصيرَ طَوْعَ يده ، فكانت نيرانُ
الفتنةِ بينهم مشتعلة ، والرعيّةُ مهملةً ، لأن جُمْلَةَ غلاتهم ، وجميعِ
اعمالاتهم ، كانت تلتفُّ بأيدي تلك الطواغيت ، الخارجة إليهم في أكثرِ
المواقيت ؛ وما كان يفلتُ من الخراب يَغْرَمُونَهُ في المغارم ، وما يُجَشِّمُونَهُ
من المجاشم ، فقطعوا أيّامهم بقرع الظنائب ^١ ، وشرع الأنايب ، نكاياتِ
قَعْدَةٍ ، لا نكاياتِ مَرْدَةٍ ، إذ كان كلُّ واحدٍ منهم يختفي عن قِرْنِهِ
بقصره ، ويبطلُ الهزَّ لسيفٍ غيره . ويسلّهُ على جاره ، حتى غدا ذلك
السيفُ مسلولاً عليه ، كما قال أبو تمام ^٢ :

عَبَأَ الكَمِينَ لَهُ فَظْلٌ لَحِينِهِ وَكِينُهُ الْمَلْقَى ^٣ عَلَيْهِ كَمِينُ

لأنّ النصارى لما اطلّعوا على عوراتهم ، زحفوا بطوائفهم إليهم ،
ولما لم يبق إلا نفَسٌ خافت ورَمَقٌ زاهقٌ ^٤ ، ورأى المسلمون أنّهم بالجزيرة
على طرفٍ : وفي سبيلٍ ^٥ تمام وتلف ، استصرخوا أميرَ المسلمين وناصر

١ قرع للأمر ظنوبه (وهو عظم الساق) : استعد له وتهيا .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٠ .

٣ الديوان : المخفى .

٤ ط : نافق ؛ س م : راهق .

٥ م د : سيل .

الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة تسع وسبعين ، وبادر بنفسه وجماعته عجالاً ، وتداركوها ركبانا ورجالا ، ونفروا نحوها خفافاً وثقالاً ، والنَّجْحُ يُقَدِّمُهُمْ ، والفَلَجُ يصحبهم . فكان من الفتح يوم الجمعة المؤرخ ما كان : صرع الله فيه عبدة الطَّوَاعِيتِ ، ووفد عليه عوضاً من آلاف دنائير الأموال . ضِعْفُهُمْ من الفرسان الأبطال ، ففي ذلك يقول عبد الجليل من جملة قصيدة :

أَتُنْكِرُ الْعُجْمُ أَنْ الْعَرَبَ سَادَتَهَا	وتشهد البيض والخطية السمر
لما تعارض ^١ دون الشكر كفرهم	عادت بوادر فيهم تلکم البدر
وهب عن كل دينار لهم بطل	كخالص التبر مسبوك ومختبر
فليقبلوها ألوفاً من أسود وغى	تركو على السبك لا جبن ولا خور
وليرقبوا من أمير المسلمين ومن	مؤيد الدين ليلاً ما له سحر [هـ]
لم يهشمو الثغر إذ عاثت أكفهم	لو يعقلون ولكن تلکم الثغر
وليس ما غيروا إلا لأنفسهم	كأنما نبهوا إذ نامت الغير

قوله : « وهب عن كل دينار لهم بطل » . . . البيت ، نبهه على هذا المعنى المتنبي بقوله^٢ :

ولو كنت في أسر غير ^٣ الهوى	ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان النضار	وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخليل مجنوبة	فجئن بكل فتى باسل

١ د : تعرض .

٢ ديوان المتنبي : ٢٥٩ .

٣ م ط : غير أسر ، وهي رواية أخرى .

وفي يوم الجمعة يقول أيضاً ابنُ جمهور^١ من جملة قصيدة :
 لم تعرف العُجمُ إذ جاءتْ مُصمَّمةٌ يومَ العروبةِ أنَّ اليومَ للعربِ
 وهذا ينظر إلى قول أبي تمام^٢ :

لئن كان نصرانياً النهرُ آلسٌ لقد وجدوا وادي عقر قسٍ مسلماً^٣
 وفي ملوك الأندلس يقول أبو الحسن ابنُ الجدد^٤ يمدحُ أميرَ المسلمين
 وناصر الدين ، رحمه الله :

في كلِّ يومٍ غريبٌ فيه مُعتَبَرٌ	نلقاهُ أو يتلقانا به خَبَرٌ
أرى الملوكَ أصابتهمُ بآندلسٍ	دوائرُ السوءِ لا تُبقي ولا تَدَرُ
قد كنتُ أنظرها والشمسُ طالعةٌ	لو صحَّ للقومِ في أمثالها النظرُ
ناموا وأسرى لهم تحت الدجى قَدَرٌ	هوى بأنجمهم خَسَفاً وما شعروا
وكيف يشعرون في كفه قَدَحٌ	تحذو به مُذهلاتُ الناي والوتر

١ في النسخ ابنُ جمهور ، والتصويب عن الحلة ٢ : ١٠١ حيث ذكر أنه أحد أدباء اشبيلية .
 وابنُ جمهور ليس من اشبيلية ، وقد عرف محقق الحلة بمن اسمه عبد الله بن أحمد بن جمهور
 ومن المستبعد أن يكون هو الشاعر المقصود هنا ، لأن عبد الله ولد سنة ٥١٦ هـ أي بعد الزلافة
 بشماني وثلاثين سنة .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٤٢ .

٣ نهر آلس وادي عقر قس ببلاد الروم ، وكان عند الأول نصر للروم وعند الثاني نصر للمسلمين .
 ٤ ترجم ابن سعيد (المغرب ١ : ٣٤٠) لأبي الحسن بن محمد بن الجدد ، الذي سترجم له ابن
 ابن بسام في هذا الجزء ويكنيه بأبي الحسين (والكنتين تبادلان في المخطوطات) فلمله هو
 المعنى هنا .

صَمَتَ مَسَامِعُهُ عَنْ غَيْرِ نِعْمَتِهِ فَمَا تَمَرُّ بِهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
تَلْقَاهُ كَالْعَجَلِ مَعْبُوداً بِمَجْلِسِهِ لَهُ خُورٌ وَلَكِنْ حَشَوهُ خُورُ
وَحَوْلُهُ كُلُّ مُغْتَرٍ وَمَا عِلْمُوا أَنَّ الَّذِي زَخَرَفَتْ دُنْيَاهُمْ غَرَرُ
فَقُلْ لِمَنْ نَامَ أَصْبَحَتْ، انْتَبَهَ، فَلَقَدْ مَضَى لَكَ اللَّيْلُ بُحْتًاوَانْقَضَى السَّحَرُ
وَانْظُرْ إِلَى الصَّبْحِ سَيْفًا فِي يَدِي مَلِكٍ فِي اللَّهِ مِنْ جُنْدِهِ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ
يُرْعَى الرِّعَايَا بِطَرْفٍ سَاهِرٍ يَقْظُ كَمَا رَعَاهَا بِطَرْفٍ سَاهِرٍ عَمْرُ
رَدُّوا مَوَارِدَ قَدْ أُرِدْتُمْ حَقًّا بِهَا الْأَنَامَ وَلَكِنْ مَا لَكُمْ صَدْرُ
كَأَنِّي بِكُمْ قَدْ صَرْتُمْ سَرَّارًا وَمَا لَكُمْ فِي الْوَرَى عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ
أَمَا نَكُمُ قَبْلَ مَوْتٍ^٢ سَوْءَ فَعَلْكُمْ^١ وَكَيْفَ بِالذِّكْرِ إِذْ لَمْ تَحْسُنِ السَّيْرُ

رجعت إلى إيراد فصول من ترسيل ذي الوزارتين المذكور

فصول من رقعة كتبها عنه إلى صاحب القلعة ، قال فيها^٣ :

ورد كتابك الذي أنفدته من وادي منى مُنْصَرَفَكَ من الوجهة
التي استظهرت عليها [٥٢ أ] بأضدادك ، وأجحففت فيها بطارفك وتلادك ،
واخفقت من مَطْلَبِكَ ومِرَادِكَ ، فوقفنا على معانيه ، وعرفنا المصْرَحَ به
والمشار إليه فيه ، ووجدناك تتجنى وتُشْرَبُ على مَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبِ التَّشْرِيبَ ،

١ سقط البيت من م .

٢ م ط : صوت .

٣ هذه الرسالة موجهة إلى صاحب قلعة بني حماد على لسان يوسف بن تاشفين ؛ كذا قال في

القلائد : ١٠٥ والحريدة ٣ : ٢٨٥ .

وتجعل سببَكَ حَسَنًا ، وَمُنْكَرَكَ^١ معروفًا ، وخطأك^٢ صوابًا بيِّنًا ،
وتقضي لنفسك بفَلَجٍ^٣ الخصام ، وتوليها الحجَّةَ البالغةَ في جميع الأحكام ،
ولم تتأوَّلْ أنَّ وراءَ كلِّ حُجَّةٍ أدْلِيَّتُهَا ما يَدْحَضُهَا ، وإزاءَ كلِّ^٤
دعوى أبرمتها ما يَنْقُضُهَا ، وتلقاءَ كلِّ شكوى صَحَّحَتْهَا ما يُمرِّضُهَا ،
ولولا استنكاف الجدالِ ، واجتناب تردُّدِ القيلِ والقالِ ، لنَصَصْنَا^٥
فصولَ كتابك أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، وتقرينَها تفاصيلَ وجُمَلًا ، وأضفنا إلى كلِّ^٦
فصلٍ ما يُبْطِلُهُ ، ويُخْجِلُ من يتحلَّه^٧ ، حتى لا يدفعَ لصحَّتهِ^٨ دافع ،
ولا ينبو عن قبُولِ أدْلِيَّتِهِ راءٍ ولا سامع ، ولا يختلف اعترافًا به دانٍ
ولا شاسع .

وفي فصل منها : ونشُدُّكَ الله الذي ما^٩ تقوم السماء والأرض إلاَّ
بأمرِهِ ، ألم نكنْ عندما نزع الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف ،
رحمه الله ، وتفاقم الشنآن ، قد توفّرنا على ما كان بالحال من إقلاق ، وتأخّرنا
عمَّا كانت النصبَةُ^{١٠} تستقدّم إليه من بدارٍ أو سباق ، ولم نَمُدَّ^{١١} الجهةَ حقَّ
إمدادها^{١٢} ، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهير أَعْدَادِهَا ، ولا عَدَدَ كُنَّا

١ القلائد والخريدة : ونكر .

٢ القلائد والخريدة : وخلافك .

٣ م ط سر : يصلح .

٤ القلائد : لقصصنا ؛ الخريدة : لفضضنا .

٥ ط : ويخجل من حجته .

٦ القلائد والخريدة : حجته .

٧ د والقلائد : لا .

٨ د : القصة .

٩ م ط : امتدادها .

عن^١ جهادِ المشركين ، ولا أقبلنا إلاّ على ما يحوط حريمَ المسلمين ، رجاءَ أن يثوب استبصار ، أو يقع إقصار ؛ وأنت خلالَ ذلك تحتفل وتحشّد . وتقوم بحميّةٍ وتقعّد ، وتبرق غضباً^٢ وترعد ، وتستدعي ذؤبانَ العرب وصعاليكهم من مُبتَعِدٍ ومقْتَرَبٍ ، فتعطيهما ما في خزائنك جزافاً ، وتنفق عليهما ما كَتَرَه أوائلُك إسرافاً . وتمنح أهلَ العشرات مئتين وأهلَ المئتين آلافاً ، كلّ ذلك تعتضد بهم ، وتعتمد على تعصّبهم لك وتألّبِهم^٣ ، وتعتقد أنهم جُنُتَكَ من المحاذير ، وحماك^٤ دون المقادير ، وتذهلُ عمّا في الغيب من أحكام العزيز القدير^٥ .

ونحن أثناء ما فعلت ، وخلال ما عقدت وحللت ، نؤمّ العدوَّ - قصمه الله - فنجهه ونكافحه ، فنقدعه^٦ ونناطحه ، ونتحيّفه من أقطاره ، ونغزوه بدءاً وتعقيباً في عُقْر داره ، إلى أن استجمعت أخيراً واستجشّنت ، وترجعت إلى عرفانك وأجهشت ، ولولا ماؤك^٧ الذي ثَمَدوه . وشارفوا^٨ إلى أن يستنفدوه ، ما أووا لشكواك ، ولزادوك ضعفاً على إبالة بلواك ، وإنك لمتداوٍ منهم بسمٍ ، ومستريح إلى غمٍّ ، فبلغت معهم ما بلغت ، وأرغمت بهم ما أرغت ، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو واقداً أخذناه بمخنته ، وأضفنا

١ القلائد : ولا عنانا غير .

٢ القلائد والخريدة : : غيظاً .

٣ القلائد والخريدة : وحماكتك .

٤ م ط س : القادر .

٥ س د : فنندهه (اقرأ : فنبدته) .

٦ م س د وخ بهامش ط : مالك .

٧ ظ : وشارفوا .

أنشوطه وَهَقَّ الخَزْنِي عَلَى عُنُقِهِ . وَأَشْفَى عَلَى انْفِطَاعِ ذَمَائِهِ وَرَمَقِهِ ،
فَفَرَّجَتْ عَنْهُ كَرْبَةً لَمْ يَظْنَنَّهَا تَنْفَرَجُ ، وَنَهَجَتْ لَهُ مِنْهَا وَجْهَهُ مَخْلَصٌ لَمْ يَحْسَبْهُ
يُنْتَهَجُ ، وَأَخْلَيْتْ^١ وَجْهَهُ لِأَذَى الْمُسْلِمِينَ يُبْدِئُهُ وَيُعِيدُهُ ، وَبَسَطَتْ
فِيهِمْ يَدَهُ وَكَانَتْ فِي جَامِعَةِ تَقْصُرُهُ عَمَّا يَرِيدُهُ ، وَلَوْ أَنَّ صَاحِبَ رُومَةَ^٢
الْمَشْتَمَلِ مَعَهُ بَعَاءَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ ، الْمُنْتَحِلَ مَا يَنْتَحِلُهُ مِنْ كَلِمَةِ الزُّورِ
وَالْإِفْكِ ، يَكُونُ مَكَانَكَ مِنْ جَوَارِنَا ، وَيَصَاقِبُ كَمَا صَاقَبْتَ قَاصِيَةَ دَارِنَا ،
مَا أَتَى مِنْ نَصْرِهِ فَوْقَ مَا أَتَيْتَ ، وَلَا تَوَلَّى مِنْ انْتِشَالِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي اسْتِقْلَالِهِ ،
إِلَّا بَعْضَ مَا تَوَلَّيْتَ ، وَلَا أَنْحَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَضَارِهِ إِلَّا بَدُونَ مَا أَنْحَيْتَ ،
وَلَا بَغَاهُمْ خَبَالًا^٣ بِأَكْثَرِ مِمَّا بَغَيْتَ .

وما في تلك الجزيرة - عصمها الله - من صالح ولا طالح إلا ما يعرضُكَ
على الله تعالى ، ويرفعُ إليه فيكَ عَقِيرَتَهُ بِالشُّكْوَى ، وَكُلُّ مَا سَفَكَ مِنْ
دَمٍ ، وَانْتَهَكَ مِنْ مُحَرَّمٍ ، وَاسْتَهْلَكَ مِنْ ذِمٍّ ، فَإِلَيْكَ مَنْسُوبٌ ، وَعَلَيْكَ
مَحْسُوبٌ ، وَفِي صَحِيفَتِكَ مَكْتُوبٌ ، وَمَوْعِدُ الْجَزَاءِ غَدًا وَإِنِّهِ لَقَرِيبٌ ،
فَانْظُرْ مَا أَنْجَحَ أَثْرَكَ ، وَأَرْبَحَ مَتَجَرَكَ ، وَأَصْلَحَ مَوْرَدَكَ وَمَصْدَرَكَ .

وله من أخرى عنه إلى الفقيه قاضي الجماعة [٥٢ ب] بقرطبة أبي عبد
الله بن حمدين^٣ : وصل كتابك فوقفنا على معانيه ، وأحصينا المجلل والمفضل

١ ط م : وأجلت .

٢ س م ط : ولولا صاحب رومة .

٣ هو محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي ، أبو عبد الله ، كان من أهل التفنن
في العلوم ، حافظاً ذكياً تولى القضاء بقرطبة سنة ٤٩٠ وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة ٥٠٨
(الصلة : ٤٣٩ - ٥٤٠) وانظر القسم الأول : ٨٣٩ (الحاشية : ٤) وفي ما جاء هنا
تصحيح لما ورد هناك حول أبي عبد الله قاضي الجماعة .

مما ذكرته فيه ، والذي أومأت إليه من أن الأمر الذي وليته ذو شغوبٍ
مُشغِبةٌ ، وأشغالٍ على مُحاولِها صعبةٌ ، حقّ لا امتراء فيه ، ولا غطاءً
عليه من مُحَصِّلِيهِ ، ولذلك ما اختير له ، على وجه الزمان ، أهلُ المنَنِ من
أولي الديانة والصيانة ، الذين نرجو أن تكون منهم محسوباً ، وفي صدرِ
ديوانهم مكتوباً ، فاستهد الله يهدك ، واستعن بالله يعنك في صدرِكَ وَوَرْدِكَ ،
وتولّ ١ القضاء الذي ولاّكهُ الله بجدٍّ وحزم . وجلّد وعزم ٢ ، وأمضِ
القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ، ولا تبال ٣ برغمٍ راغمٍ ،
ولا تُشفقْ من ملامةٍ لائمٍ ، وآسِ بين الناس في وجهك وعدلك ، ومجلسك ،
حتى لا يطمع قوياً في حيفك ، ولا ييأسَ ضعيفٌ من عدلك ، ولا يكنْ
عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحقَّ له . ولا أضعفَ من القوي حتى
تأخذَ الحقَّ منه ، وانصحُ الله تعالى ولرسوله عليه السّلام ، ولنا ولجماعة
المسلمين .

وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كلِّ حقٍّ تُمنّضيه .
ولا يعترضوا عليك في قضاء تَقْضِيهِ ، ونحن أولاً وكلهم آخرأً مذ صرت
قاضياً ، سامعون منك ، غيرُ معترضين في حقِّ عليك ، والعمالُ والرعيةُ
كافةٌ سواء في الحقِّ ، فإن شكّت إليك بعاملٍ وصحَّ عندك ظلمه لها ، ولا
يتجه في ذلك عملٌ غير عزله ، فاعزله ، وإن شكّا العامل من رعيةٍ خلافاً

١ س ط د : وتولى .

٢ وجلّد وعزم : سقطت من م .

٣ ط د م س : تبالى .

٤ م : وعالك .

٥ س : لديك .

في الواجب فأشكته منها وقومها له ، ومن استحقَّ من كلا الفريقين الضربَ
والسجنَ فاضربهُ واسجنه . وان استوجبَ الغرمَ في ما استهلك فأغرمنه ،
واسترجع الحقَّ شاءَ أو أبى من لدنه ، والأمرُ في استكفاء من يكفيك ،
ويُغني في بعض الأمور عنك ، إليك ، ولا نشيرُ بشيء عليك ، وتصرفُكَ
أحياناً في إصلاح صنعتك وترقيع معاشك . غيرُ مُضَيِّقٍ عليك فيه ،
فاعلمه .

وله من أخرى عن المعتمد إلى ابن صمادح : إنما أشاركك^١ - أيتك
الله - في النعمة بأسوغها ، وأطالعك^٢ في الهمة بأبلغها . لما أعلمه علمَ
اليقين . وأتوسمه توسم الصبح المبين^٣ . أنك بكريم عهدك . وسليم ودِّك ،
تأخذ من ذلك بالخطِّ الأوفى ، وتضرب في الارتياح له بالقدحِ المعلن ،
وأفقدته من حصن لبيط^٤ - سهَّلَ الله مرامه . وأعاد إلى يد المسلمين زمامه
- وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين سرعانٍ من الجند - نصرهم
الله - عند إطلالي عليه تناوش أطمعَ فيهم ، ودلَّ بأنه قد سقطَ في أيديهم ،
ثم صوبجوا يومَ كذا بالحرب ، وكوفحوا إلى أخرةٍ بالغرب^٥ . بالطعنِ
والضرب ، وانصرفوا ولاذوا بالانجحار ، واحتجزوا بالجلدران والأسوار ،
ولم يكنْ واحد منهم يثور إلا إلى حمام . ولا يبدي جارحةً إلا إلى سَهْمٍ

١ م ط س : إشارتك : خ بهامش ط : أشاركك .

٢ د : وأطلعك .

٣ خ بهامش ط : المستبين .

٤ م ط س : سطر ؛ د : لبيط (وهذا الوجه الأخير يكثر وروده) .

٥ ط : بالضرب .

رام ، وفي خلال ذلك ما أمرتُ بِشربهمُ فَعَوَّرَتُ^١ منابِعَهُ ، وَقَطَعَتُ
مشارِعَهُ ، وحصلوا منّا ومن العطش تحت محارِبَيْنِ : ظاهرٍ وباطنٍ ،
وعرضةً لمجاولين : مستترٍ وعالين .

وغيرُ ذاهبٍ على أحدٍ ما تقتضيه هذه الحالُ المبهجةُ بما يخالفها على علو
كعب الإسلام ، وينصب على الشركِ وأهله من سوء الانتقام ، بعد البلوغ
من الشكر لله تعالى إلى الغاية القصوى . من اختصاصِ أمير المسلمين وناصر
الدين ، أبي يعقوب حليفنا^٢ الأعزّ - أيده الله - بقسمٍ من الشكرِ وافرٍ ،
وحظٍّ من الثناء والنثر^٣ ظاهرٍ ، فانه الذي نهجَ بنفسه الكريمة - سناها الله - هذه
السبيلَ . وتجتشم فيها المجاشمَ حتى أذلَّ من المشركين العزيزَ وأعزَّ من المسلمين
الذليلَ . ثم لم يشغله - دام تأييده - عن صلةِ أيدينا بعد ذلك أمر . ولا ثناه
عن النظر لنا عُدُر .

وفي فصل منها : وكان نفوذِي إليها من لوزقة^٤ بعد أن تملكْتُ قصابيها ،
وتولّجتُ على ما اقترحتُ أبوابها ، وكان تخليّ سعدٍ الدولة أبي الأصبغ
ابن لبون^٥ عنها على أفضل حال وأجمعها . بما [٥٣ أ] شئت من إلفاظ

١ م د : فعورت .

٢ ط د : حليفنا .

٣ كذا ورد في م ط د .

٤ لوزقة (Lorca) من أكبر مدن ولاية مرسية (انروض رقم : ١٦٢) .

٥ ط : ليون ؛ وأبو الأصبغ سعد الدولة هذا ذكره ابن سمي في المغرب (٢ : ٢٧٥) وذكر
أنه ولي لوزقة بعد أخيه أبي عيسى ابن لبون (الذي ترجم له ابن الأبار في الحلة ٢ : ١٦٧)
ثم صارت للمعتد كما يذكر ابن القصيرة في هذه الرسالة .

والجمال : يأسر وتساهل ، وتقاصر حيث كان له أن يتناول ، رأياً أدرك منه على صغره ، وقصر ما قطعته من مسافة عمره ، ما يعجز عنه الكهل المجرب ، ويقصر دونه الحول القلب . وتأملت ذلك منه - أبقاه الله - حق التأمل ، ونظرت إليه بعين الملتفت المحصل ، فوقيته الجزاء ، وسرت معه حسبما سار معي إلى ما شاء ، فحصل لي من الناحية ما لا يضاهي معقلاً وبسيطاً ، وعاد الشمل محوطاً والأمر مبسوطاً ، والعاجز الكاسل حازماً نشيطاً ، ورجع الضيق بها سعة ، والهرج^٢ بحمد الله دعة .

ومن جواب ابن صمادح ، من إنشاء ابن الوكيل^٣ كاتبه : إلى مخاطبتك - أيدك الله - تسكن النفس ، وبمطاعتك يتمكن الأنس . فما تزال - والله يُعْلي كعبك ، ويجعل الأيام والليالي أنصارك وحزبك - تطلع من الاهتبال ، في وفق الإجمال ، ما يبدو ويتبين مع البكر والآصال - لا أعدمك الله معلومة تبديها ، ومنقبة تنافس همم الكرام فيها .

وورد كتابك مفتوحاً بما كان من صنعه تعالى الكفيل ، وبلائه الجميل ، ومنه المتابع الموصول ، في احتلاك بليط^٥ - سره الله ، وأحلّ الهلاك بمن احتواه - وما كان من ذلك التناوش الذي أبدى مخايل الاعتلاء ، وأذن بالملك والاستيلاء ، ولا شك أن من سعى لله وحده ولم يرد الظفر والظهور

١ د : والأمل .

٢ ط : والحرج (وهي قراءة مقبولة) .

٣ لعل المعنى هنا هو أبو بكر عيسى بن الوكيل البابري الذي عاش إلى أيام دولة المرابطين واستعمل على الكتابة بفرنطة (اعتاب الكتاب : ٢٢٤) .

٤ د : أفق .

٥ د : بليط ؛ ط س م : بليط .

إلا بما عنده ، أنَّ حزْبَهُ مُنْصُورٌ ، وآمالُهُ مُوصُولٌ بِهَا التَّسْهِيلُ والتَّيسِيرُ ،
والْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا مَنَحَ مُتَعَيِّنَيْنِ ، ومَوْضِعُ الضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ فِي الْإِزْدِيَادِ
ظَاهِرٌ بَيِّنٌ ، عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ نَعَمٍ ، أَظْهَرَتْ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خُمُولٍ ، وَالشُّكْرُ
لَهُ عَلَى قِسْمٍ ، أَعَزَّتِ الدِّينَ وَقَدْ كَانَ جِدًّا ذَلِيلٍ .

وَتَوَجَّهَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ شُكْرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ أَبِي يَعْقُوبَ ،
حَلِيفِنَا الْأَعَزَّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ بَدْءًا مِنَ الْخُفُوفِ^١ بِنَفْسِهِ النَّفِيسَةِ
- نَسَّأَهَا^٢ اللَّهُ - وَمَا اعْتَمَدَهُ عَوْدًا مِنَ الْإِهْتِبَالِ الَّذِي تَوَخَّاهُ ، فَهُوَ الَّذِي
نَهَجَ هَذِهِ السَّبِيلَ ، وَبَرَّدَ اللَّوْعَةَ وَالْغَلِيلَ ، وَأَعَادَ الْحَزْبَ اللَّعِينَ بَعْدَ عِزَّتِهِ
الْحَقِيرِ الدَّلِيلِ .

وَرَأَيْتُ - أَرَاكَ اللَّهُ مُنَاكَ - أَنْ حَرَكْتَكَ الْمَيْمُونَةَ كَانَتْ إِلَى هُنَاكَ مِنْ
لُورِقَةٍ بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَتْ قَصَابَهَا ، وَتَوَلَّجْتَ عَلَى اخْتِيَارِكَ أَبْوَابَهَا ، عَلَى
الصُّورَةِ الَّتِي وَصَفْتُهَا ، مِنْ مُتَابَعَةِ^٣ أَهْلِهَا ، وَانْطِيَاعِ^٤ مِنْ فِيهَا ، نِعْمَةٌ يَعْلَمُ
اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ نَصِيبِي مِنْهَا النَّصِيبُ الْأَوْفَرُ ، وَذَنْبِي مِنْهَا الذَّنْبُ الْأَكْبَرُ ،
وَكُلُّ نِعْمَةٍ أَنَاخْتُ بِجَنَابِكَ ، وَحَطَّتْ رَحْلُهَا بِبَابِكَ ، فَإِنِّي فِيهَا الْخَلِيطُ
الْمُسَاهِمُ ، وَالْمُشَارِكُ الْمَقَاسِمُ ، عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْإِخَاءُ ، وَيَسْتَدْعِيهِ الْإِنْتِظَامُ
وَالصَّفَاءُ .

١ س ط م د : الخوف .

٢ ط م : نسأها .

٣ كذا في النسخ ، ولعلها : مشايعة .

٤ ط م د س : وانطباع .

وله من أخرى عنه : قلّ ما ينفع صلاح الظاهر إذا فسدت الدخلة^١ ، ولا يغني اندمال الخارج ما كانت العلة^٢ ؛ وكتابي هذا يوم كذا وفي ليلة طلّع عليّ الخبر بما تستغربه من غدر أهل فلانة لي ، وعقد السلم بيننا لم يحفّ ميداده^٣ ، وعهد التوائك لم يكدّ ينفصل أسهاده^٤ ، فانظر فعلهم ما أقبّحه ، وتامله فما أفضّحه^٥ ، واعلم أن غائلتهم لا تطفأ أبداً نائرتُها ، ولا يؤمن على حال نائرتُها .

وله عنه من أخرى ، إثر دخول ابن عكاشة قرطبة^٦ ، وقتله لابنه عباد ، وقد وجدت هذه الرقعة في بعض التعاليق منسوبة لابن الباجي : كتبت على أثر النازل الشنيع ، والرّزء الفظيع ، الذي صدّع كبدي ، وفتّ في عضدي ، وأتكلني من^٧ كان القرّة لعيني ، ما جرى على الفقيدي الشهيد عباد ابني مجلّك - كان - رحم الله مصرّعه^٨ ، وبرّد مَضْجعه^٩ ، وقتل قاتله ، ووَفّر لي أجر المصاب فيه .

وشرح هذه الفاجعة ، والقاصمة الهاجمة : تسببت من مثابرة العدو المبين المفتون ، جاري الذميم الحوار^{١٠} القبيح الآثار ، ومجاهرة الفاسق المعروف بابن عكاشة ، دليله في سبيل التسلّط والعدوان ، وسهّمه إلى أغراض

١ ط م د س : الداخلة .

٢ قص الفتح في القلائد : ١٠ - ١٢ كيف استولى المعتد على قرطبة بمدخلة أهلها وولاه ابنه الملقب بالظافر « ولم يزل فيها آمراً وناهياً ، غافلاً عن المكر ساهياً . . . إلى أن ثار فيها ابن عكاشة ايلاً وجر إليها حرباً وويلاً » وقتل الظافر ؛ وانظر أيضاً النفع ١ : ٦٢٣ - ٦٢٧ واعمال الاعلام : ١٥١ - ١٥٨ واسم ابن عكاشة « حكم » وانظر ما يلي : ٢٦٨ .

٣ ط م د س : تم .

٤ يشير بهذا إلى ابن ذي النون ، كما سيذكر ابن بسام في ما يلي .

التمرد والطغيان ، على السعي الحثيث الذي لا يُصِرُّ على مثله إلا منحرفٌ
 عن الملة ، منسلخٌ عن [٥٣ أ] الخير بالجملة ، طلب الغيرة في قرطبة حتى
 أصابها ، وارتقب الفرصة حتى ولج بابها ، ليلاً في زمرة من أخابيث
 أصحابه ، بعد أن هبَّيَّ^١ له فتحة ، ودخل المدينة ، وصادف
 السرب آمناً غريباً ، والعدد قليلاً نثيراً ، ويمتَم موضع المطهر بالشهادة ،
 فنذّر بهم وخرج مُطالماً للأمر ، فلم يبعد أن غشيته^٢ المردة فثبت لها
 مدافعاً عن نفسه حتى أفيضت^٣ - رحم الله موقعه فريداً مسلماً ، وأقره
 في جواره العزيز سعيداً مكرماً .

ثم عاث المذكور في البلد . واستشار أشباهه من السفلة الأراذل ، في
 استباحة المنازل ، فأجابوه وانضموا إليه ، وصار جمعه منهم وبتوت أمره بهم^٤ ،
 وأما سائر الأعلام والأسواط فبرءاء من هذه القصة : ناؤون عن المشاركة
 في هذه الدنية ، بغتتهم^٥ من الحال ما لم يعلموا ، ففوضوا وسلّموا ، وبادرت
 إلى عرض ما وقع على فضل تأملك . ل ترى جيداً هذا العدو المطالب ،
 المشاق المناصب . وإكبابه^٦ على التسلط والتمرد ، إلى أن انتهك الحرمات

١ قد تقرأ في م : « سني » .

٢ م : غشيته .

٣ ط : أفيضت .

٤ ط د س : واستشار .

٥ م : ومتون ؛ س : وتيور .

٦ زاد في د : مهم .

٧ د : إلا أنهم بغتهم .

٨ قد تقرأ في م : والبابه ؛ د : والبائه ؛ وفي ط : واكبابه والبابه .

ووتر في الولد^١ ، غير مُبالٍ ببعيد ولا قريب ، ولا مُمسِكٍ مخافةً إنكارٍ
ولا تثريب ، والربُّ لِيَبْغِيَهُ بِالْمُرْصَادِ ، والقاطعُ بأمله في الانبساطِ والازدياد .

ذكر الخبر عما دار به نجم قرطبة يومئذ ،

من تغلب ابن ذي النون عليها ،

وعودة المعتمد بعد إليها^٢ .

قال ابن بسّام : قد قدّمتُ من عَجَبِ المعتمدِ بذاته ، وتوفّره — كان —
على لذّاته ، وتقديره أنه يضبطُ أزمّةَ البلادِ ، ويملكُ رقابَ العبادِ ، وخيلهُ في
الأجلالِ^٣ ، وكأسه في يد السّاقِ المختالِ . على مكانه من العلم . ووفورِ
حظّه من الحِلْمِ ، ما فيه كفايةٌ لمن استغنى . وآيةٌ لمن تدبّرَ واجتلى .
وعندما أخرج قرطبة من أيدي بني جهور ، في خبرٍ قد شُرحَ في القسم الأولِ
وَقُسِّرَ ، ولأَها ابنه عباداً ، وكان مِحْشَ حَرْبٍ ، ونشأة طَعْنٍ وضربٍ ،
فَتَى لا يبالي مَنْ لقي ، ولا إلى أيّ شيءٍ دُعِيَ ، هاجم ابنَ ذي النون في
بعضِ نهْدَاتِهِ إلى قرطبة ، وجيشه قد ملأَ الفضاءَ ، وفات الإحصاءُ ،
فقلَّ أجناده ، واستباح طارفه وتلاده ، ونجا ابنُ ذي النون منْجَى أبي نصر ،
بعد ما أعطى على القَسْرِ ، وترجّحَ بين القتلِ والأسْرِ ، لا يحفلُ بما أُخْذَرُ ،
ولا يُلْئوي على مَنْ تَعَدَّرَ .

١ د : البلد .

٢ نقل دوزي هذا الفصل في ما جمعه من أخبار بني عباد ١ : ٣٢٢ وانظر اعمال الاعلام : ١٤٩

١٥٢ .

٣ م ط ودوزي : الآجال .

٤ انظر القسم الأول : ٦١٠ - ٦١٤ .

غير أن المعتمد لما تهيأت له على ابن ذي النون الجسرة^١ ، وأمكنته^٢ منه تلك الغيرة^٣ ، أدار أمر قرطبة ، وأميرها ابنه ، على أحد عبيده المتجندين ، محمد بن مرتين^٤ . وكان شهاباً لا يضطلي بناره . وأسداً لا يستقر على زاره ، إلا أنه كان من الإدلال بئسه ، والإهمال لنفسه ، والإقبال على كيسه وكأسه ، والغفلة عن عادة الله في جنسه . آية من آيات الله الذي وكله إلى سوء القدر ، وقتله بيد أضعف البشر ، أحد الرجال المتلصصين ، والدائرة المتمردين ، المتصرفين في صغار المهن ، النابتين في مدارج سيول الفتن . رجل كان يعرف بابن عكاشة^٥ ، لم تكن له سابقة قديمة^٦ ، ولا نباهة معلومة ، قرآشة طارت حول نار الفتنة المبيرة ، المهتكة لمحارم هذه الجزيرة . فترقى من سكنى الشعاب . والسكون إلى الذئاب ، وانتهاز الفرصة إن أمكنته^٧ في الطارق المنتاب ، إلى تسنم المعقل ، وتدبير الأمور الجلائل ، وأذكاه ابن ذي النون عيناً على قرطبة ، في أحد الحصون المصاوبة لها ، وأبعد أماله كانت إخافة سبلها ، وتحيف عملها ، وكان إحدى^٨ الأعاجيب ذكاء لب ، وصرامة قلب ، وتقديماً إلى ضرب ، لا يحل إلا ريثما يرحل ، ولا يقول إلا بعد ما يفعل ، وابن مرتين في خلال ذلك خال بشيطانه ، ساع في شأنه ، بين بطالته وطغيانه ، كلما حدث عن ابن عكاشة بغرة اهتبلها ، وأشير عليه في أمره بنصيحة كي

١ أبو بكر محمد بن مرتين : ذكره الحجاري وقال إنه كان ينادم ابن افتتاح (المغرب ١ : ٢٤٣) وقد ذكر في النفع ٣ : ٤٠٦ ولقب بالقائد ، وانظر ٣ : ٤٧٤ ، وذكره ابن الخطيب في أعمال الأعلام : ١٥١ ، ١٥٨ وأشار إلى أنه وزر للظافر أثناء توليه قرطبة ، وهو ما يتحدث عنه ابن بسام في هذا الفصل .

٢ دوزي : أمكنت .

٣ م : أحد .

يقبلها [٥٤ أ] أعرضَ عن الصادقِ الخير ، ودَقَعَ في صدرِ الناصحِ المشير .

حدثني من أثقُ بخبره ، ممن كان بعضُ أبوابِ قرطبةَ يومئذٍ إلى نظره ، أن ابنَ عكاشةَ كان يَسْرِي تحتَ الليلِ إلى أحدِ حُرَّاسِها فيَخْرُجُ إليه بعضُ مَرَدَّتها ، فيطعمهم ويسقيهم ، ويدبِّرُ كيف يفتحُ البلدَ على أيديهم ، ويوليهم الأعمالَ وَيَقْطَعُهُم النفوسَ والأموالَ ، فأخبرَ بذلك عبادَ بنَ المعتمد ، فقال له : القَ ذا الوزارتينِ الأعلى ابنِ مرتين ، وكان لا يستبدُّ^١ عليه ، ولا يقطعُ أمراً إلا بين يديه ، فأدَّي ما كان عنده من ذلك إليه ، فأظهر السرورَ ، ووعد الجَدَّ والتَّشْمِيرَ ، وقال له : تقدِّمُ إلى فلان وفلان ، جماعةٍ كانت بالحضرةِ من الأعيان ، فليكونوا عندك في العَدَدِ الوافر ، والسلاحِ الظاهر ، فأمرهم عنه فَأَتَمَّرُوا . وتقدَّمَ إليهم بالحضور فحضروا :

في ليلةٍ من جمادى^٢ ذاتِ أُنْدِيَةِ لا يُبْصِرُ الكلبُ في ظلماتها الطنْبُ^٣

وأقاموا منتظرين لأمره حتى بدا النور ، وتكلَّم العصفور ، وهو مشغولٌ بجَرِّ ذبُوله ، وعصيانِ عَدُولِهِ ، فيشوا من نَصْرِهِ ، وجعلوا بعدُ يُلْحَلون في أمره . وتمَّ لابنِ عكاشةَ تدبيرُهُ ، واستوسق له غيرُه وتَفيرُهُ ، فأنتهك حُرْمَةَ قرطبةَ ، سنةَ سبعٍ وستين ، في شِرْذِمَةٍ قليلةٍ ، وشبابةٍ^٤ كليلَةٍ ، مُعلنين بشعارهم : متلبِّثين بين تغريهم واغترارهم ، لم تكن لهم هِمَّةٌ

١ بعد هذه اللفظة بياض عند دوزي ، لا وجود له في النسخ المعتمدة .

٢ من جمادى : سقطت من ط م س .

٣ البيت لمرة بن محكان التميمي ، شاعر مقل إسلامي ، انظر الحماسية رقم : ٦٧٥ .

٤ س م ط د ودوزي : وشبابة .

إلا دار عباد ، فثار إليهم عندما أحسّ بهم ولا أهبة إلا إقدامه ، ولا صاحب
إلا حسامه ، فجادلهم بالسيف صلّناً ، حتى أذاقوه الموت بحثاً ، ثم نهّدوا
إلى دار ابن مرتين وهو في منزل راحته ، غافلاً عما نزل بساحته . ذُكِرَ
أنه كان ساعِثُ يُلْعَبُ بين يديه بالكرّج ، فعولَ على الفرار . واستتر
مدّينةً في بعض الأقطار ، حتى انقضت أيامه . وعَثَرَ عليه حِمامُهُ ،
أخرج من قرطبة كأنه يُحمَلُ إلى ابن ذي النون . وقد تقدّم إلى
حمَلَتِهِ ، فطوّوا خبره ، ومَحَوْا أثره .

وبات ابنُ عكاشة ليلته يطرقُ دورَ الأعيان من أهل قرطبة . يتودّدُ
إليهم ، ويعرض نفسه عليهم ، فمن أجابه قبله . ومن أبى عليه لم يعرض
له ، وأصبح قد انضاف إليه من بني المحن . وطغَمَ الفتن . من منَعَ
منه ، وحسم الأطماع عنه . ودعا الكافة إلى المسجد الجامع فأتوه خيفاً
وثقالاً ، وبايعوه بيطاءٍ وعِجالاً ، وانثالت إليه طوائفُ الأمداد ، وقوَّادُ
الأجناد ، فانتظم له الأمر ، واستوسق له المِصرُ ، ولحقَ ابنُ ذي النون
بعد ذلك وهو يرى أنه قد وطّئ صلّةَ التّسرّ ، وأخذ بِمُخَنَّقِ الدهرِ ،
أملأ طامناً علته به المطامع . وهزته إليه المضاجع ، ولم يزل في يوم دخوله
قرطبة يُعْمِلُ الحيلة في إقصاء ابنِ عكاشة من دولته ، وإخراجه عن جملته .

بلغني أنه دَخَلَ على ابن ذي النون يوماً . وقد رفل في الشارة ، وتقلّد
مُشَنَّى الوزارة ، فرحب به وأدناه . وهشَّ إليه وناجاه ، فلما
خرج تنفّس الصُّعداء ، وأنبهه نظرةً شوهاء ، وهَيَّئَ بكلمةٍ عوراء ،

١ م ط : وهذته ؛ خ بهاش ط : وهزته .

فكَانَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُطْرِي ابْنَ عَكَاشَةَ ، وَيَذْكُرُ حُسْنَ بِلَائِهِ ، وَيَنْبَهُ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الدَّوَاةِ وَغَنَائِهِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ لَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ : دَعْ عَنْكَ ، مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى الْمُلُوكِ لَمْ يَصْلَحْ لِلْمُلُوكِ .

ثُمَّ لَمْ يَلْبِثِ ابْنُ ذِي النُّونِ إِلَّا أَشْهَرًا لَمْ تُتَعَبْ كَفَّ الْعَاقِدُ ، وَلَا أَطَالَتْ غَمُّ الْحَاسِدِ ، حَتَّى أَتَيْتِ مِنْ مَأْمَنِهِ ، أَغْبَطَ مَا كَانَ بِسَيْثِهِ وَحَسَنِهِ ، وَسَقَاهُ السَّمَّ الْوَحْيَ - زَعَمُوا - بَعْضُ ثِقَاتِهِ ، فَاسْتَقَلَ بِجَسَدِهِ تَابُوتُهُ ، وَطَارَ بِهِ إِلَى طَلِيظَلَّةِ جَنَّتِهِ وَعَفَارِيئَتِهِ ، وَخَلَا وَجْهَهُ قُرْطُبَةً بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُعْتَمِدِ وَعَادَ إِلَيْهِ مُلْكُهَا . وَانْظَمَ فِي يَدَيْهِ سِلْكُهَا ، وَأَخَذَ بَثَارَ ابْنِهِ عَبَادٍ بِقَتْلِهِ لِابْنِ عَكَاشَةَ فَلَمْ يَكُنْ كَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ٢ :

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لِدَائِهِ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ قَارِبٍ

وَمِمَّا كَتَبَ عَنِ الْمُعْتَمِدِ بَعُودَ قُرْطُبَةَ إِلَيْهِ ، وَقَتْلَ ابْنِ عَكَاشَةَ عَلَى يَدَيْهِ رَقْعَةً مِنْهَا : وَأَنْفَذْتَهُ عِنْدَمَا عَادَتِ الْحَضْرَةُ إِلَى يَدَيْ ، وَانْتَضَمَتْ بِلَدِي ، عَلَى صُورَةٍ مِنَ التَّيْسِيرِ ضَاعَفْتُ [٥٤ ب] حُسْنَ مَوَاقِعِ الْعَارِفَةِ بِهَا ، وَبَشَرْتُ بِلَوْاحِقِ النَّصْرِ الْمُرَادِفِ بِعَقِبِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَهَا الصَّادِقَةَ فِي مَحَبَّتِنَا أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُتَّفِقَةَ عَلَى طَاعَتِنَا آرَاؤُهُمْ ، لَمْ يَزَالُوا عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ تَقْلُبًا مِمَّا جَرَى قَبْلَ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ . وَتَوَجَّعًا لِمَا كَانَ انْقَضَى عَلَيْنَا فِي جَوَارِهِمْ ، نَائِبِينَ عَمَّنْ وَلَيْتَ أَمْرَهُمْ بَعْدَنَا ، مُسْتَقْصِرِينَ لَشَانِهِ عِنْدَنَا ، إِلَّا النَّفَرَ الْيَسِيرَ ، وَالتَّافَهُ الْحَقِيرَ ، مِنْ سَفَهَاتِهِمُ الَّذِينَ سَبَّوْا تِلْكَ الْوَهْلَةَ ، وَظَاهَرُوا عَلَى تِلْكَ الْغَفْلَةِ ،

١ م ط د س : وحسنه .

٢ البيت من قصيدة في الأصمعيات (رقم : ٢٩) : ١١٧ - ١١٩ ، وانظر حماسة ابن الشجري : ١٣ والسمط : ٦٩٠ والخزانة ٣ : ١٦٦ .

ولم يكن لهم أولاً علمٌ بما سدّوهُ والحموه ، ولا رضوا آخراً بما جنّوهُ
وارتكبوه ، فتحرّكتُ من وقفي ، ولم أكّدْ أطيلُ على أفقهم إلاّ والإشارةُ
علينا ، بأنوابهم إلينا : أنْ أقْدِمُوا وصَمُوا ، فافتحمتُ من النهر مخاضةً
توازي الربضَ الشرقيّ منها ، وثار أهلها معي ، داعينَ بشعاري ، معلنين
بانتصاري ، وكلمة ثاري ، يكسرون بين يديّ كلّ غلّقى يعترضني ،
ويفتحون ١ كلّ مُرتجّ يتصبّ دوني ، وأحسّ ابنُ عكاشة ومن معه
من الشيعةِ المفلولةِ بمكاني ففرّوا بأرواحهم ، وألقوا ما كانَ معهم من
سلاحهم . وقد كنتُ أحطّطُ بنواحي الحضرةِ خيلاً ترصدُهم ،
وتقطعُ من النجاةِ سببهم ، فوقعوا فيها وأتّوا على آخرهم ، وسبقَ إليّ رأسُ
ابنِ عكاشة : وكان الحبيبَ إليّ ، أنْ يمثلَ بين يديّ ، فأبْسَطَ له من العذابِ
ما كان أشقىَ لنفسي ، وأثلجَ لصدري .

وفي هذا الفتح أنشده حسّان بن المصيصي قصيدته التي يقول فيها ،
ووصف إشارةَ الناسِ يومئذٍ من سور المدينة :

وليسوا بفرقى قد أشاروا لساحلٍ ولكنهم غرقى أشاروا إلى بحرٍ
وله عنه من أخرى إثرَ فتحِ مُرسيةٍ على يدي ابنِ عمار ، وإخراجِ
بني طاهرٍ منها : لم يغبْ عنك من مجرى الحالِ بمرسيةٍ وجّهٌ أجلوه ، ولا
انطوى من فحواه أمرٌ أنشُرهُ وأبديهِ ، وها أنا أعرضُ عليك من باطنها
ما ربّما خفي ، وأنهي إليك من نجواه ما لعله لم ينمَ على وجهِهِ ولا أنهي ٢ ،

١ م : ويقتحمون .

٢ د : البحر .

٣ ط : نهي .

وذلك أن الافرنج أيامَ تلومهم على صاحبها، وإحداقيهم بجانبها، أشخصوا
إليَّ من أعيانهم من قَرَّبَ عليَّ وجهَ مرامِها ، فاستجبتُ لندائهم ، ولم
يَكْدُ يَخْتلجُ بيالي شكٌ في صِدْقِ أنبائهم ، وإذا الأمرُ بخلافِ ما ذكروه ،
وعلى غير ما سَهَّلوه، وَوَقَعَ من المطاولةِ ما وقع ، وآلتِ الحالُ معهم إلى ما
قد فشا وَسُمِعَ، فأعدتُ إليها الخيلَ مع فلانٍ لإطالةِ حصرها، والإناخةِ
بِعُقْرِها ، وصاحبُها معَ ذلك عمٍ عن رُشدِهِ ، يقدِّمُ رجلاً ويؤخِّرُ
أخرى في إعطاءِ صَفْقَةٍ يده ، ليقضي الله تعالى قَدَرَهُ ، ويُسَلِّغَ أمرَهُ ،
فلما رأى أهلُها الممتحنون بسوءِ نظره، المصابون من خَطَلِ تدبِّره ، أنَّ
غمائمهم^٢ لا تنفُرجُ^٣، وظلماءهم لا تنجلي ولا تليحُ^٤، أبدَوْا إليه، ما كانوا
ينطوون له عليه ، فتألَّبوا وثاروا وطَيَّرُوا بالخبرِ من كان فيها من الأولياءِ
إلى فلانٍ، وكان على مقربةٍ منها ، غيرَ متراخٍ عنها ، فانصبَّ إليها كالشُّبوبِ
الماطر ، وانقضَّ عليها كالعُقَابِ الكاسِرِ ، ووافاها وقد بولغ في حصاره ،
وانبسطَ أيدي النُهَبِ في دياره ، فكشفهم عن مكانه ، ونفَسَ عنه^٥
فانتشَى^٦ ريحَ أمانه . ثم نقله وابنَ أخيه إلى أدنى معقلٍ إليهما، وآمنه عليهما،

١ ط م د س : والاباحة .

٢ م : غمائم .

٣ م س : تنفُجح ؛ ط : تنفُجح ، وتقرح : تصيح قرحاء أي ذات غرة ، والأقرح : الصيح لأنه
يباض في سواد .

٤ الباء غير معجمة في النسخ ؛ وهي من ألح بمعنى أضاء وبدا وتلأأ ؛ ويمكن أن تكون قراءة
هذه العبارة على النحو الآتي : « أن غمائم لا تنفُرج ، وظلماءهم لا تنجلي ولا تليح » ، ولكن
آثرت ما هو أقرب إلى الأصل .

٥ د : عنهم .

٦ هذه القراءة من هامش ط ؛ وفي النسخ : فانتشَى .

وأخذ في ضبط الحصون ، وما يُغني به الحزم من وجوه التحصين ، وأظهر أهل البلد [من] الاغتيال بمآلهم ، والاستبشار بمفاتحة حالهم ، ما يُظهر من خراج من ضيق إلى سعة ، وانتقل من هرج إلى دعة .

ومن أخرى له عنه : ومن أحدث نعم الله الممنوحة عهداً ، وأبعد لها في التمام والوفور حدّاً ، ما أتاحه الله في المغالط المعجب ، القوي المجيء والمدّ هب ، فلان - ضاعف الله إذلاله وإخزاه ، ووفاه على ذميم السعي جزاءه - فانّ حاله جرّت على ما أصفه : سلف من ضلّاته في موالة التعريض^٢ للحضرة وسائر أعمالها ، ما أثاره الحسد المدوي لصدّره ، والقلق الغالب على صبره ، واتفق له من [٥٥ أ] إمهال الله تعالى إياه ، وتنكيب الحوادث عن ذراه ، مدة عنه ، اتفاق أجره رسته ، وأسلكه في الغواية سنّته ، حتى ظنّ أنّ الحوادث لا تربيّه ، والنوايب لا تنوبه ، وحسب أن الأيدي لا تمسّد إلى مطالبته ، والآمال لا تطمح إلى معارضته ، وقديماً خان هذا المعتقد أهله ، وأبان لمن سكن إليه جهله .

وفي فصل منها : ولم يبعد أن خرج في شهر رمضان على عادته من الاستخفاف بعظيم حرّمته ، وترك المراقبة لأهل الاسلام وذمّته ، بعد أن تأهّب ، واستنجد واستمدّ ، والعجب قد أطغاه وأبطره ، والشره قد غطى سمّعه وبصره ، والمطامع قد تشبّت عليه ، وبسّطت في

١ م : حرج (واللفظتان تتبادلان في النسخ) .

٢ د : التعرض .

انتهاز الفرصة يديه ، فأخرجتُ ابني الظافر^١ مستعيناً بالله معولاً^٢ عليه ، متبرئاً من الحول والقوة إليه . فلما دنا من المحلة الذميمة واصطفوا إزاءها ، اقتحم سرعانُ رجالنا نهراً كان بينهم . مبادرين غيرَ هيأين ، ونشأت بين الفريقين حربٌ أجَلَّتْ عن أعدادٍ صرعى من أصحاب المخذول ، ثم تلا ذلك عيونُ كافة العسكر وصدقت الحملةُ على الحائنين . فلم يلبثوا أن وكنوا مدبرين . وألقوا بأيديهم منهزمين ، والأسنةُ تحفزهم ، والجلادُ يزعجهم ، فانحجزوا بالحصنِ وأسلموا محلَّتَهم ، فحيزَ جميعها . وغنم من كُرَاعِهِم وسلاحهم وسائرِ أسلَاحِهِم جُمْلٌ نفوتُ الحصرَ ، وتُعْجِزُ الوصفَ ، وبقي المخاذيلُ إلى آخرِ النهار ، ثم خرجوا مع المغيب ، وشُعيرَ بفعلهم ، فاتبعتهم الخيلُ إلى النهر ، فتهافتوا فيه تهافَتَ القراشُ في النار ، وفرُّوا على عاجلِ البوار ، وكان الشاذَّ منهم من سلِمَ ، والجُمُ الغفيرُ من غرقَ وتلفَ ، والله حسيبُ من أَوْرَظَهُمْ وأغراهم ، والمتنقمُ ممن قادهم إلى مَنايَاهم . وأمَّا المخذولُ المعهودُ خَوْرُهُ ، والشديدُ هَوْرُهُ ، فإنه سقط عن مركبه في تلك الصدمة سقوطاً أَوْهَنَهُ وكَلَمَهُ ، ولولا من كرَّ عليه حتى أَقِلَّ واحتُمِلَ لحصلَ في رِبْقَةِ الأسْرِ . وَلَغَلِقَ رَهْنُهُ إلى آخرِ الدهرِ .

وله من أخرى : وقد كانت نشأتُ بيننا وبين فلان ، النَطِيفِ الودِّ ، السيِّءِ العهدِ — جزاءُ الله جزاءَ من خاس بدمامه ، ونثرَ عِقْدَ الوفاءِ بعد انتظامه — مُدَاخَلَةً تَوسَّطَها رؤساءُ ، وتقلَّدها وزراءُ ، طالت زمناً لا ينتهَجُ فيها

١ م : المظفر .

٢ م : ومعولاً .

إلى السلم سبيل ، ولا يبدو من 'الوفاق دليل' ، ولا يلوح للنجاح وجهه^١ مقبول ، بما كان السفراء يلقونه من تشطط في غير كُنْهيه ، ومقابلتي بما كان يأتي من شبهه ، إلى أن تطأ من سموه ، وتقاصر من علوه ، ونضا عنه ثوب الرياء ، وأبدى وجه حاجته إلى الانقياد والاستبقاء^٢ ، فأثبت إنابة من يؤثر الهدنة على الفتنة ، وتأيت إرادة من يريد إدالة المودة من الإحنة^٣ ، وأنا أعتقد أنه مصحح فيما أراه ، صادق في الذي أعطاه ، أقضي على الظاهر ، ولا أتجاوز تصفح الحاضر ، وإذا هو مصر غيرة شوهاء ، لو تهيتا مراده منها لأغصت بالريق ، وللفت السوق بالسوق ، ولكن الله بما عودنا من فضله نبه على الغامض ، وأبان عن برق الحلب الوامض ، فرأيت مكنون الضمير ، بعين التفكير ، ونشرت مطوي الجوانح بيد التدبير ، فإذا كل ما عقد منحل ، وما أبرم مضمحل ، فرددت عندما خلج عقده إليه ، وقلت غير ملیم ظهراً المجن إليه .

ومن أخرى عنه : كنت قد هادنت أهل غرناطة - لازالوا في أذيال مكرهم عاثرين ، وفي أيدي غوائلهم مستأسرين - مهادنة دعوني إليها فأجبت ، واستدنتوني نحوها فدنوت ، فلما أشرفت على التمام ، وأذنت بالانصرام ، راسلوني في تماديها فساعدت . وأرادوني على اتصالها فانفعلت وأنفذت ، وانعقد بيننا عقد بولغ في تأكيده . وتنوحي في إحكام موافيقه وعقوده .

١ م ط س : تبدو عن .

٢ د : والاستبقاء .

٣ م ط س : الأحنة .

٤ د : الخاطر .

٥ م : شهراء .

ولم تكذ صحيفته تُطوى ، ولا شهيدته يتولّى ، حتى غدروني في الحصنِ
 الفلاني باستنامةٍ مَنْ كان فيه مِنْ قِبَلِي إلى السلم ، وإضاعته استشعار الحزم ،
 فلم أعجلْ بالتنكر ، ولا سارعت بالتنمر ، ورأيت الاستيناءَ ، وآثرت
 الاستبقاء ، رجاءَ أن يفكروا في العواقب ، فيفيثوا^١ إلى الواجب ، ويعطفوا
 [٥٥ ب] إلى الرأي الصائب ، وأعدت إليهم من أمكنني لإعادته من السُّفراء ،
 فلقوا منهم بدهة^٢ وإباءً ، والتواءً وانزواءً ، ولما رأيت ذاهبَ رشادهم لا
 يرجع ، ودواءَ استصلاحهم لا ينجع ، وثأني نصفتهم^٣ لا يُرأب ، وغائبَ
 قِبَاتهم لا يُرتَقَب ، عملت على الإيثار ، واستجمعت لذي الانتصار ،
 وسقيتهمُ بمثلِ كأسهم ، ورميتهمُ عن نظائرِ قياسهم ، فلم يَطلُ أمدٌ ،
 ولا كثر من ماضي الأيام عَدَدٌ ، حتى حَصَلَ من وجوهِ قوادهم ، ورؤوس
 أجنادهم ، فلانٌ وفلان ، إلى ستةٍ وعشرين^٤ رجلاً أحبط بهم أسراً^٥ ،
 وتقبُّضَ عليهم طُرّاً ، وجعلوا قِراهم البثَّ والآهِنَ ، وأبا مِثواهم
 الهون^٦ والخسف .

وله من أخرى عنه : شرُّ الناسِ لنفسه مَنْ جهلَ مقدارها ، ولم يتَّهِمِ
 اختيارها ، وقفّاً إذا شرفت وعميت آثارها ، وطار بجناحِ طَمَعها . إلى

١ ط : فيعموا .

٢ البدهة : المباغطة والمفاجأة ؛ س ط د : بديهة .

٣ م ط د س : وثاني ؛ ط : نصيفتهم .

٤ خ بهامش ط : تئمة عشرين .

٥ م ط : أسرى .

٦ ط : الجهون وفوقها « كذا » ، وشكلها قريب من ذلك في م س .

ذميم طَبَعَهَا ، واتَّبَعَ رائدَ جشعها^١ ، إلى وخيم مرتعها ، وعاد إلى الصالح من خُلُطَائِهِ فاستفسده ، وإلى الصفي فأحقده ، وإلى المستنيم فأوحشه وشرَّده ، ولا سيما في حالٍ تحضُّ على استدناء البعداء ، وتبعث على مصادقة الأعداء ، ومع نصبةٍ قد أُنذرت بما لها ، وحَدَّرَتْ من بغتةٍ اغتيالها ، بل والله قد نفحت رجومها ، ولفحت سَمومها ، وصرَّحَ بالبأساء شومها .

وليس يذهب عنك أني ، بما أشرت إليه ودَّرت حواليه ، إلى صاحب طليطلة ناظر ، وإلى قُبُح ما عاملني به شاهر ، وذلك أنه منذ زمنٍ يتمرَّس بجاني ، ويقوم في وجه ما لا يَرِيْبُهُ من مذاهبي ؛ فمن ذلك ما نعلمه^٢ من خُفُوفِهِ إلى بَسْطَةِ^٣ اللقاءِ فلانٍ - أَخَذَهُ الله بما أَلْبَسْتُهُ من حُرْمَةٍ^٤ فجردَها ، وأولَّيْتُهُ من نعمةٍ فَعَمَّطَها وَجَّحَدَها - وبقائه هنالك يشجعه على غدري ، ويشيعه من مخالفةٍ أمري ، وتوثقَ له أنه إذا انصرم مني ، وانخرَكَ بعضِ عمله عني ، كان له إنْ هَمَّتُ به سنداً ، ووصلَ به إنْ وصلتُ بدأً ، فحينئذٍ صنع فلان ما صنع ، وحاول أن يطيرَ فوق ، من تلك^٥ الجهة التي كانت انخرطت في سِلْكِ بلدي وعملي ، واطَّردت في منابرِها الخطبةُ

١ س م ط د : خشمها .

٢ د : نعلم .

٣ بسطة (Basa) واسمها في القديم (Basti) ، وهي اليوم أكبر مدينة في ولاية غرناطة وتبعد ١٢٣ كم إلى الشمال الشرقي من غرناطة نفسها (الروض رقم : ٤٦) .

٤ من حرمة : سقطت من م .

٥ م : عن مخالفته ؛ س : عن مخالفة .

٦ س م ط : ذلك .

لي ، حتى انصات^١ فيها فَوَاقَ بَكِيَّةٍ حُكْمُهُ . وَذُكِرَ على أَعْوَادِهَا اسْمُهُ ،
« ولكن قليلاً ما بقاءُ الثَّأْبِ »^٢ ووسمه : إلى^٣ غير ذلك من قوَارِصِ^٤ القول
والفعل ، ستصل إليك على ألسنة الرسل . وأنا في كل ذلك أحتمل الأذى ،
وأغضي على القذى ، وأقبض يد الانتصار . طمعاً في الاقتصار^٥ والاستبصار ،
وذهاباً مع عادة الأناة والإنظار . وربما ألمحت في بعض الأحيان بعتاب^٦ ،
وتكلمت بكلمات غضاب ، فظن^٧ أن ذلك قُصَّاري في إنكاري ، ومتهمي
وُسْعي واقتداري ، فزاد الاعتداء والاستهداف^٨ ، وعظم الازدراء والاستخفاف ،
ولولا نظري من هذه الجزيرة - عصمها الله - إلى ما يُنْتَظَرُ إليه ، وإشفاقي
منها على ما لا^٩ يشفق عليه . لَأُسْكَنْتُ أَوَّلَ انبعاثه ذلك التزوان ، وردعت^{١٠}
قبل احتفاله ذلك الاستنان .

وفي فصل منها : ثم ختم تلك الهنات ، وتلا تلك السيئات ، بنَجْرِ صاحب
فلانة ، كنت أوطأته على علمك رقاب أهلها ، وجعلت إليه القبض والبسط^{١١}
فيها ، ولم أشرك معه أحداً في معنى . فخان بما ائتمن^{١٢} ، وفرط في ما
احتججن^{١٣} ، وخاف عاقبة ذلك فَنَغِلَ واضطغن^{١٤} . وأراد أن يفوزَ بيطنته

١ انصات : استقام ؛ س م : اقضات ؛ د : اتصلت .

٢ عجز بيت لأحمد بن أبي فتن . و صدره : « نتابت كي لا ينكر الدمع منكر » (زهر الآداب :

١٠١٢ وقد مر تخريجه في القسم الأول : ٣٢٣ وورد هنالك برواية مختلفة)

٣ ط م س : التشاوب اسمه استقال ؛ د : في اسمه .

٤ ط م د س : قوارص .

٥ د : الاقتصار .

٦ م ط د : والاستهراف .

٧ كذا في النسخ .

وما جمع ، وينجو مما حذر عليه وتوقع ، فأزمع على الانحراف والانزواء ، واستجمع للخلاف والانتزاع ، وداخل فلاناً يعرض عليه ما ذهب إليه ، ليؤيده على قبوله بما في يديه . فنأى عنه بجانب التزيه الكريم ، وأعرض لإعراض الحرّ الصميم ، فانصرف إلى المذكور وهو لناها مستمطراً متوكّفاً ، وإلى مثلها مستوقفٌ مُستَشْرِفٌ ، فما دعاه حتى لبّاه ، ولا أومى إليه حتى تهافت عليه ، لا يتهيبُ حالاً ، ولا يتوقعُ مآلاً ، وبلغني الخبرُ وكفى به مُزْعِجاً ، ولا كئله مُبْرِماً مُخْرِجاً ، فصبرتُ حتى أعذرتُ ، وتأنيتُ حتى أبلّيتُ ، ثم اعترمتُ على الانتصار ، وتقدّمتُ اطلبِ الثار ، مستخيراً وعد الله لمن بُغِيَ عليه ، مقتضياً حُكْمَهُ العَدْلَ فيمن تُسَبِّبُ إليه ، فتقدّمتُ في معسكر أَلْفَتَهُ يَدُ الإِعْجَالِ ، [٥٦ أ] وحالت البديهةُ بينه وبين الاحتفال ، فَأَنْخَتُ به على بلده أياماً ، قطعتُ فيها دونه كلَّ الرفاق ، ولم أبقِ حوله سقفاً على جدار ولا قائمةً على ساق ، ثم مررتُ إلى جهةِ فلانةٍ أجوسُ خلالها ، وأنقرتُ بالنهبِ والإحراقِ أعمالها . وأتسّمُ معاقِلَها ، وأجعلُ أعالِها أسافِلَها ، إلى أن وقفتُ^١ بجانبها^٢ مُنْزَلاً . وزحفتُ إلى بابها مقاتلاً ، وصاحبها يرى الخويّ ملءَ عينيه ، ويقلّبُ على خسارةِ صَفْقَتِهِ كَفْيِهِ ، ولا يعاينُ إلا ناراً تضطرمُّ عليها ، وتصطلمُ حوالِها ، فلو أصغينا لسمعنا قعقةَ أضراسِهِ ، واستشعرنا لوجدنا حرّاً أنفاسِهِ ؛ وكلُّ كميٍّ عنده - وكانوا عدداً لفيفاً ، وجمعاً كثيفاً - قد نُسِخَ جباناً . وَمُسِخَ هِدَاناً ، لا يكادُ يُقْبِلُ حتى يُدبر ، ولا يبرزُ حتى ينجر :

١ م ط : اسق . . . مقفاً .

٢ أجوس . . . وقفت : سقط من م س .

٣ م ط : بجانبها .

تلقَى الحسامَ على جِراءَةٍ حَدَةٍ . مثلَ الجبانِ بكفٍّ كلِّ جبانٍ^١

ثم انكفأتُ ، على غير الطريق التي كنتُ أنشأتُ ، عائداً بمثل ما بدأتُ ،
واطئاً ما لم أكن قبل وطئتُ ، فتخيّلُ سبيلي ، في وجهتي وقفولي ، وتمثّلُ
أثري ، في وردي وصَدَري . وكنتُ قد وجهتُ أسطولا^٢ بلغ في ساحلِ
بلده أقصى المبالغ من الإفسادِ والتدمير ، والتغيير والتأثير ، ثم انصرف
بحمد الله كما انصرفتُ على غاية الوفور والظهور .

وله عنه من أخرى : وإنّ فلاناً جارنا - لا أجارَهُ اللهُ من رَيْبِ الزمانِ ،
ولا صرفَ عنه صروفَ الحداث - يأبى الله أن يراه حائداً عن فسادٍ ، وعائداً
إلى رشادٍ ، ومُقْلِعاً عن قبيحٍ ، ومستمعاً من نصيحٍ ، فهو - والأيامُ قد
وعظته لو اتعظ ، والأحوالُ قد نهته لو انتبه واستيقظ ، وحجّةُ علوِّ السنِّ^٣
قد قامت عليه ، ووجوهُ غيرِ الدهرِ قد سَفَرَتْ إياه - بمنزلة الغرِّ العابثِ ،
في مسلاخِ السّفيه^٢ العاثِ ، ولا يُقْصِرُ ولا يبصرُ ، ولا يَرُغْوِي ولا
يفكر .

واتفق الآن ، بمساعيه الخبيثة ، ومحاولاته الذميمة ، أن تسبب إلى مداخلة
الحصن القلائي . على يدي خبيث من أهلها : قد دبّر الحيلة حتى اتجهت في مثلها .
وأنفذ إليه قائداً من وجوه عبيده . واتصل بي الخبر ، فطيرتُ^٣ مَنْ نَاشَبَهُمْ^١
الحربَ ، فوهب الله لأوليائي الظهور ، ووقى الله المحنورَ ، من مَضَرَّةِ

١ البيت للمتنبّي ، ديوانه : ٤١٦ .

٢ م س : السيف .

٣ م : فطيرت .

كان الجاهلُ المطاولُ قَرَعَ بابها ، وأحصد^١ في ظنِّه أسبابها ، فتأمل^٢ كيف^٣ دُوبُ هذا الموصوف بحقائق صفاته ، المتابع لقبائح^٤ هناته ، على إضرار نار الفتن ، باستشارة^٥ دواعي الإحن ، وتعريض المسلمين - عصمهم الله - للحوادث والمحن ، وكيف لا يزدادُ على الأيام إلا جماحاً في ميدانه ، وانقياداً لشیطانه ، واستكثاراً من سوء عمله ، على قريب أجله ؛ وليشكر الله حقَّ شكره من لم يُضِعْهُ هذه الضيعةَ الزَّهَاءَ الشَّوْهَاءَ ، ويشعرهُ هذه البصيرةَ العمياء الصماء ، ومن طَبَعَ على قلبه ، بمجاهرة عصيان ربِّه ، فشرُّهُ أبداً عتيد^٦ ، وشیطانه مريد^٧ .

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك مبيّناً عن ودِّ كماء المزن . وعهد كروض الحزن ، مع برِّ حافلٍ وقِيَّتِهِ ، والطفِ بالغِ أحفِيَّتِهِ ، مَجْلُوسِينَ في معرض سيادة لاحظتْ ضميري لها عيونُ حور ، وجاذبتهُ منها ألفاظُ أوانسٍ نور ، أرْتِي البيانَ كيف يدبُّ سحره ، والافتتانَ كيف يطمُّ بجره . وزهر الآداب كيف يطلعُ من كماميه ، ولؤلؤ الكلام كيف يتسقُ من نظامه . كلُّ ذلك سافرٌ عن وجه طويّةٍ سائلةٍ غُرّةِ الإحاض ، سليمةٍ جوهر الصفاء ، مع علوقٍ مستحيلةٍ الأعراض .

وله عنه من أخرى إلى صاحب المهدية : إنني - أيّدك الله - على ما بيننا من لُحجٍ خُضِرٍ ، وفياضٍ غُبِرٍ ، لمستكثراً من إخوانك ، مستظهراً بوفائك ،

١ س د م : وأحصل .

٢ زاد في م : شاء .

٣ لقبائح : موضعها بياض في م .

٤ ط م د : باستشارة .

متوفراً على إجمال ذكرك وثنائك، قياماً بما يتعين من مجدك وسنائك ،
 ويعلم الله أنه ما أُملي الأبعد ، وعملي الأحمد ، إلا أن يوم أفقك الطلق - صان
 الله بهاءه ، وحسن أرجاءه - من الخواص النبلاء ، والأعيان الفضلاء ،
 من يبلِّغك كتابي ، وينوب في إنهاء طاعتي إليك منابي .

وكان فلان [٥٦ ب] قد ألمَّ بي زائراً ، وتلوَّم لديَّ مجاوراً ، فأقبلتهُ
 وجهَ البشر ، وألحفته جناحَ البرِّ ، بخلالِ رائحة ، وخصالِ بارعة ، لنفائس
 المحاسن جامعة ، منها - وهي أحظى وسائله لديَّ ، وأدنى فضائله إليَّ -
 إدمانهُ نشرَ تشريِّ معاليك ، وإعلانهُ بثَّ أياديك ، وكنتُ متى تشوَّفَ
 لمعاودة وطنه ، واستشرف لمطالعة سكنه ، أقومُ في وجه زماعه ، وأغضُّ
 من طرَف نزاعه ، استمناحاً بما يثيره من ميامنك ، واستدامةً لما يتلوه من
 آيات محاسنك ، إلى أن جدَّ به التوقُّ . واستولى على مقادَته ١ الشوق ،
 ولم يكن في صدره عملٌ ، ولا بَرْدٌ قبِلٌ . فأصحبتهُ كتابي هذا إليك
 مجدداً رَسَمَ الوداد ، وعامراً سبيلَ حُسْن الاعتقاد . ومعلماً بما بلوتُ من
 صدق تشيِّعه لمجديك ، وخفَّة لسانه بحمدك ، ومشيراً إلى ما عنده من كُنْه
 إجلال لك . وحقيقة استكثار منك . ثقةً بأنه يُحسِّنُ لإنهاءه ، ويوفي
 أداؤه ، إن شاء الله .

قال ابن بسام : ومحاسن ذي الوزارتين أبي بكر أكثر من أن تحصى ،
 وآياته أبين وأبهر من أن تستقصى . وإنما ظفرتُ منها بطرف . وحصلتُ

١ النشر : الرائحة ؛ وقد انفردت بها ط ولعلها مكررة إذ المعنى يتم دونها .

٢ م : واستولى مفادة .

منها على نَتَفٍ ، ولم يقعْ إليَّ من شعره ما أوشعُ هذا المجموعَ بذكره ،
ولا بأس بآثباته إن حصل ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكل .

ومنهم الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم
محمد بن عبد الله بن الجحد^١

قريع وقتنا ، وواحد عصرنا ، ممن استمرى أخلافَ النظم والنثر ،
فدرتْ له بالبيان أو بالسحر ، فان تكلم فأبوجر ، أو نظم فكلثوم بن عمرو ،
حتى إذا أخذ في الجدل ، أو تفقّه في علم الحرام والحلال ، فرويدك حتى
ترى الصبحَ كيف يُسفر ، وتبجّ البحر كيف يزخر ، وهو على نباهة
الذكر ، وعلو القدر ، وشرف المحلّ من فهر ، قد لزم داره ، وطوى
أخباره ، واقتصر على عُفّة^٢ من المعيشة رزقها ، فهو يتبرّضَ جَمِيمها ، لا
بل يتزوّدُ نَسِيمها ، والشمسُ ، وان سترها الضبابُ فغيرُ^٣ خفية السّناء ،
ولا مجهولة الغناء . وكان على عهد المعتمد قد تقلّد وزارة ابنه يزيد^٤ ، فلم

١ محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجحد الفهري : شلبي الأصل سكن اشيلية ، ويعرف بالأحذب ،
أخو الحافظ أبي بكر ابن الجحد ، كان من أهل التفنن في المعارف والآداب والبلاغة ذا حظ جيد
من الفقه والتكلم في الحديث ، وكان يقف ببلده ليلة وتوفي سنة ٤١٥ (الصلة : ٥٤٤) والذيل
والتكملة ٦ : ٣٢٦ والمطرب : ١٩٠ والمعجب : ٢٣٧ والقلائد : ١٠٩ والخريدة ٣ : ٣٩٣
والمغرب ١ : ٣٤١ وإحكام صناعة الكلام : ١٨٥ - ١٨٦) .

٢ العفة : بقية الابن في الضرع ، ولعلها أن نقرأ « غفة » - بالعين المعجمة - وهي البلغة من
العيش .

٣ د : غير .

٤ هو الملقب بالراضي أبي خالد ، ولأه أبوه أولا الجزيرة الخضراء ثم رندة ، ومنها استنزل
وقتل سنة ٤٨٤ (انظر الحلة ٢ : ٧٠) .

يزل معه عليّ الشان ، نابه المكان ، حتى كان من أمره ما كان . وهو اليوم في وقتنا قد اضطرّ إليه أهلُ قاعدة لبلة فولّوهُ خطّةَ الشورى ، وألقوا إليه مقاليد الفتوى ، فمهّد لذلك جانباً من كفايته ، واحتسب فيه جزءاً من عنايته ، على كُرّهٍ منه شديد ، ومَرَامٍ في التزايد من العلم بعيد . وعلى ذلك فلم يدعُ مساجلةَ الإخوان ، ومراسلةَ من يرسم بهذا الديوان ، من بني الأوان ، بما يشهد له أنه بديعُ الزمان ، وفارس الميدان ، وقد أثبت له بهذا الديوان ، ما يقيمُ له أوضحَ برهان .

جملة من رسائله في أوصاف شتى

فصول^١ له من رقعة أنشأها على لسان مَنْ صَدَرَ من بيت الله الحرام وزيارة قبر^٢ نبيه عليه السلام : صلوات الله على خاتم الرسل ، وناهج السبل ، وناسخ جميع الملل ، ومجليّ الظُّلُم والظُّلُم ، ومحبي القلوب بنور الهدى والحكم ، ومقلّد التذارة والسفارة إلى كواف الأمم ، وعليه من لطائف التسليم ، ما يُرَبِّي على عدَد النجوم ، وَيُزْري بالمسك المختوم ، ويقتضي باتصاله واحتفاله رضى الحيّ القيوم .

كتبت يا أكرم الأنبياء وسائل ، وأعظمهم فضائل ، وأعمّهم فواضل ، وأتمّهم فرائض ونوافل ، وقلبي بحبك معمورٌ ومأهول ، وعلى الإيمان بك مفطورٌ ومجبول ، وبتمثل ما عاينته من عظيم آثارك مهوّل مشغول ،

١ د : فصل .

٢ قبر : سقطت من م ط س .

ومن لي بِمِقُولِ [٥٧ أ] لَا يَتَخَلَّلُهُ خَلَلٌ ، وَلَا يُدْرِكُهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْكَ وَالِدَعَاءُ لَكَ مَلَلٌ ، وَلَا يَشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِكَ سَهْوٌ وَلَا خَطَلٌ ، حَتَّى أَقْطَعَ بِذَلِكَ آثَاءَ لَيْلِي وَنَهَارِي ، وَأَصَالِي وَأَسْحَارِي ، وَأَجْعَلَهُ شِعَارِي وَدَنَارِي ، وَهَجِيرَايَ فِي إِعْلَانِي وَإِسْرَارِي ؛ اللَّهُمَّ أَهْمْنِي مِنْ تَحْمِيدِكَ وَتَسْبِيحِكَ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَنَصِيحِكَ ، مَا يَشْغَلُ لِسَانِي ، وَيَثْقُلُ مِيزَانِي ، وَيَسْطُرُ يَوْمَ الْفَرْعِ الْأَكْبَرِ مِنْ أُمَانِي ؛ اللَّهُمَّ وَفِّرْ حَظِّي مِنْ شِفَاعَتِهِ ، وَأَحْسِنْ عَوْنِي عَلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَتِهِ ، وَاحْشُرْنِي فِي عِيدَادِ زَمْرَتِهِ وَجَمَاعَتِهِ .

ولما صدرتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ زِيَارَتِكَ الْكَرِيمَةِ ، وَقَدْ مَلَأْتُ هَيْبَتُكَ وَمَحَبَّتُكَ أَرْجَاءَ فِكْرِي . وَفَضَاءَ صَدْرِي ، وَغَشِيَّتَنِي مِنْ نَوْرِ بَرَهَانِكَ مَا بَهَّرَ لِي . وَعَمَرَ قَلْبِي . لِحَقْنِي مِنَ الْأَسْفِ لِبَعْدِ مَزَارِكَ ، وَالْحَنِينِ إِلَى شَرَفِ جَوَارِكَ ، مَا أَوْدَعَ جَوَانِحِي التَّهَابَا ، وَأَوْسَعَ جَوَارِحِي اضْطِرَابَا . وَأَشْعَرَ أَمَلِي عَوْدَاً إِلَى مَحَاكِ الْمَعْظَمِ وَإِيَابَا ، وَكَيْفَ لَا أَحِينَ إِلَى قُرْبِكَ ، وَأَتَهَالِكُ فِي حَبْلِكَ ، وَأَعْفِرُ خَدَّيْ فِي مَقْدَسِ تَرْبِكَ ، وَبِكَ اقْتَدَيْتُ فَاهْتَدَيْتُ . وَلَوْلَاكَ مَا صُمْتُ وَلَا صَلَّيْتُ . وَلَا سَعَيْتُ وَلَا طَفْتُ ، بَلْ كَيْفَ لَا يَتَحَرَّكَ نَحْوُكَ نَزَاعِي ، وَيَتَأَكَّدُ انْقِطَاعِي ، وَبِكَ اسْتَشْفَاعِي ، وَإِلَيْكَ مَفْزَعِي يَوْمَ الدَّاعِي . فَلَا تَنْسَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ عِيَاذِي بِكَ وَلِيَاذِي ، وَإِسْرَاعِي إِلَى زِيَارَتِكَ وَإِغْدَاذِي ، وَاذْكُرْنِي فِي الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْمَشْهُودِ ، عِنْدَ حَوْضِكَ الْمُرُودِ ، وَظِلِّكَ الْمَمْدُودِ ، وَمَقَامِكَ الْمَحْمُودِ .

١ م : قلبك .

٢ وَلَا طَفْتُ : لَمْ تَرُدْ فِي د .

اللهم كما أعتني على حج بيتك المحرم ، وزور نبيك المكرم ، فاجعله لي شفيعاً ، وتوفني على ملتته مطيعاً . ويسر لي كربة إلى موطنه المقدسة ورجوعاً ، إنك على ذلك قدير . وبحقيقة دعائي عليم خبير ، والسلام المردد المؤكد على نبي الرضوان : وصفي الرحمن ، ما تعاقب السلوان ، وتناوب العصران .

وله من أخرى خاطب بها بعض من قدم من الحجاز : كتبت وقد هزني وافدُ البشرى . واستخفني رائدُ المسرة الكبرى . بما سنّاه الله من قدومك محوط الجوانب والأرجاء ، منشوط الفخار بدوائب الجوزاء ، محطوط الآثار في موطن الرسل ومواطئ الأنبياء ، فيا لها حجة مبرورة ما أتم مناسكها ، وأوضح في مناهج البر مسالكها . لقد شهد فيه الميقات بخلوص إهلاك وإحرامك . واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك . ورضيت المروة والصفا عن كمال أشواطك . وتهلل بطن المسيل لسبعك فيه وانحطاطك ، ثم باووقف الأعظم من عرفة سَطَعَ عِرْفُ تَحْشَعِكَ ودعائك ، وارتفع خفض تضرعك واستخذائك . وفي البيت الأكرم من المزدلفة حظي بقربك وتزلفك . وزكا تهجدك^١ وتنفلت . وعند الإفاضة فاضت الرحمة عليك ، وكملت النعمة لديك . وأما مني ففيها قضيت مناك وأوطارك ، وقبيلت هداياك وجيمارك ، وحطت خطاياك وأوزارك . فما صدرت عن تلك المعالم المكرمة . والشعائر المعظمة . وإلا وهي راضية عن عجبك وثجلك^٢ ،

١ في النسخ : بقربك .

٢ في النسخ ما عد ص ٤ بتوحدك .

٣ المعج المجمع في الإلاء . اللهم سفك دماء البدن وغيرها ؛ وفي الحديث : تمام الحج المعج . المعج . د . شحات .

شاهدةٌ لك بكمالِ حَجِّكَ ، مشفقةٌ من فراقك وَبُعْدِكَ ، متعلقةٌ لو
 أمكنها بِبُرْدِكَ ، وقبلُ أو بعدُ ما تَأَنَسَّتْ بك يثرب ، وَرَفِيعَ لك في جنبها
 مضرب ، فشافهت منازلَ التزويل ، وطالعتَ معاهدَ الرسول ، وقضيتَ من
 زيارةِ القبرِ الكريمِ واجباً ، وقمتَ بينه وبين المذبحِ صارعاً راغباً ، فما
 حُجِبَ عنه عليه السلام زَوْرُكَ ولِمامُكَ ، وقصدُكَ واثتمامُكَ ،
 وصلاتُكَ وسلامُكَ ، بل كان لكلِّ ذلكَ راعياً سامعاً ، ويكونُ لك بحولِ
 الله شاهداً شافعاً ، فهناك الله ما منحك من جزيلِ الأجرِ في مواقفِ الحرمين ،
 وأطارَ لك من جميلِ الذكرِ في الخافقين .

ولما قعد بي عن قصدك ما قعدَ ، ولم يمكنني الوفودُ عليك في جملة
 من وفد ، استنبت كتابي منابي [٥٧ ب] .

وله من أخرى في صفةِ مطرٍ بعدَ قحطٍ : لله تعالى في عباده أسرارٌ ، لا
 تُدْرِكُها الأفكارُ ، وأحكامٌ ، لا تنالُها الأوهام ، تختلفُ والعدلُ متفقٌ ،
 وتفرقُ والفضلُ مجتمعٌ متسقٌ ، ففي مَنَحِها ١ نقائسُ المأمولِ ، وفي منَحِها
 مدادُوسُ العقولِ ، وفي أثناءِ فوائدها حداثقُ الإنعامِ راتقةٌ ، وبين أرجاءِ
 شدائدها بوارقُ الإنذارِ والإعذارِ خافقةٌ ، وربما تفتحتُ كرائمُ النوائبِ ،
 عن زَهَرَاتِ المواهبِ ، وانسكبتُ غمامُ الرزايا ، بنفحاتِ العطايا ، وصدع
 ليلَ اليأسِ صبحُ الرجاءِ ، وخلعَ عاملَ البأسِ والي الرخاءِ ، ذلكَ تدييرُ اللطيفِ
 الخبيرُ ، وتقديرُ العزيزِ القدير .

ولما ساءت بثبُطِ الغيثِ الظنون ، وانقبضَ بتبسُّطِ الشكِّ اليقين ،

١ م : منحها ؛ س : فتحها .

واسترابت حياضُ الوهاد ، بعهود العهاد ، وتأهبت رياضُ النجاد ،
لبرود الحداد ، واكتحلتُ أجفانُ الأزهار ، بإعمد النقع المثار .
وتعطّلت الأنوار ، من حُلِيِّ الديمة المدرار ، أرسل الله تعالى بين يدي رحمته
ريحاً بليلة الجناح ، مخيلة النجاح^١ ، سريعة الإلقاح ، فنظمت عقود السحاب ،
نظّم السّحاب ، وأحكمت برود الغمام ، رائقة الأعلام ؛ وحين ضربتُ
تلك المخيلة في الأفق قباها ، ومدّت على الأرض أطناها ، لم تلبث أن
انهتك^٢ رواقها ، وانبتك^٣ وشيكاً نطاقيها ، وانبرت مدامعها تبكي بأجفان
المشتاق ، غداة الفراق ، وتحكي بنان الكرام ، عند أريحية المدام ،
فاستغربت الرياضُ ضحكاً ببكائها ، واهتزت رُفاتُ النبات طرباً لتغريد
مكائنها ، فكان صنعاء قد نشرت على بسيطها بساطاً موفّفاً ، وأهدت
إليها من زخارف بزّها ومطارف وشيها أظافاً وتحفاً ، وخيل للعيون أن
زواهر النجوم ، قد طلعت من مواقع التخوم ، ومباسم الحسان ، قد وصلت
بافترار الغيطان ، فبا برّد موقّعها على القلوب والأكباد ، وبيا خلوص
ريّها إلى غلّ النفوس الصّواد ؛ كأنما استعارت أنفاس الأحباب ، أو
ترشفت شنباً من الثنايا العذاب ، أو تحملت ماء الوصال ، إلى نار ° البلبال ،
أو سرت على أنداء الأسحار وريحان الآصال . لقد تبين للصّنع^٦ الجميل

١ م : الجناح .

٢ م ط س : انتهك .

٣ انبتك : انقطع .

٤ ط م : تشرفت .

٥ م ط س : ثار .

٦ م ط : الطبع .

من خلال ديمِها تنفّس^١ ونصول ، وتمكّن للشكر الجزيل في ظلال نعمها
مُعَرّس^٢ ومقبّل ؛ فالحمد لله على ذلك ما انسكب قطر^٣ ، وانصدع فجر ،
وتوقّد قبَس^٤ ، وتردّد نفّس ، وهو الكفيل^٥ تعالى باتمام النعمى ، وصلة
أسباب الحياة ، بعزته .

وله من رقعة خاطب بها الوزير الفقيه أبا القاسم الهوزني^١ إثر قدومه من
حضرة أمير المسلمين ، رحمه الله تعالى^٢ ، غبّ نبوة خلصت إلى غربيّه ، وروعة
كادت تطير بسرّه :

وكم نعمة لا يُستَقَلُّ بشكرها إلى الله في طي^٣ المكاره كامينة^٤

قد يُجتنى^٥ - أعزّك الله - من شجر المساءة ثمرُ المسرة ، ويجتلى
وجهُ المحبوب غبّ المكروه مُشرق الأسرة ، وربّما تهيم القدر وضميره^٦
مبتسم ، وتصلّب الزمن وعقده^٧ محتشم ، وإنّما ينظر إلى مواقع الأقدار
في الإصدار ، وتُحمّد مجاري الأعمال عند المآل ؛ وفي هذه المقدّمة دلالة^٨
على النبوة التي ما اعتكر جنحها ، إلّا ريشما وضع صُبْحها ، ولا نعب^٩
بالبعد غرابها ، حتى التفت إلى سانح السعد ركابها ، ولا استطار لها في
قلب الولي صدع^{١٠} ، حتى اشتمل منها على أنف العلو جدع^{١١} ؛ وما ذاك

١ أبو القاسم واسمه الحسن هو ولد أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني الذي ترجم له ابن بسام
في هذا القسم من الذخيرة (انظر ص : ٨١ فيما تقدم) وأبو القاسم هو الذي سعى في فساد
دولة بني عباد عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أخذاً بشار أبيه ، وكان فقيهاً مشاوراً ببلده ،
توفي سنة ٥١٢ (الصلة : ١٣٧ والمغرب ١ : ٢٣٥ وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٦) .

٢ تعالى : زيادة من م .

٣ م : يتجنّى .

إِلَّا لَأَن سُلْطَانَ الْحَقِّ أَنْجَدَكَ وَأَيْدَكَ ، وَبِرَهَانَ الْفَضْلِ قَامَ مَعَكَ وَأَطَالَ
يَدَكَ ، وَحَاشَا لِلْعِلْمِ أَنْ يُلَيِّسَ حَامِلَهُ خُمُولًا ، أَوْ يَحْتَثَّ لَهُ نَحْوَ الْإِذَالَةِ
حُمُولًا ، فَوْشَكَانَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِكَ أَيْدِي الْآثَارِ ، فِي صَدْرِ الْعَثَارِ ، وَخَاصِمَتْ
عَنْكَ أَلْسُنُ السُّنَنِ ، عَوَارِضَ الْمَحْنِ ، وَمَا سَرَتْ إِلَّا وَظِلُّ الْكِرَامَةِ
عَنْكَ ظَلِيلٌ ، وَصَنَعُ اللَّهِ لَكَ رَسِيلٌ وَبِكَ كَفِيلٌ ، فَلْتَنِ أَوْحَشَ مَسِيرِكَ ،
لَقَدْ آنَسَ ظَهْوُكَ ، وَلْتَنِ حَسُنَ اقْتِرَابُكَ ، لَقَدْ سَمَّجَ اغْتِرَابُكَ ، وَلْتَنِ
سَخِنَتْ الْعَيْنُ بِعَدِكَ ، لَقَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنُ فَقْدَكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْشَكَ
مَقْدَمَكَ ، وَأَعْلَى قَدَمَكَ ، وَرَفَعَ فِي كُلِّ مَكْرَمَةٍ وَمَأْتَرَةٍ عِلْمَكَ ، [٥٨ أ]
وَإِيَّاهُ تَعَالَى أَسْأَلُ أَنْ يَهْنِكَ وَيَهْنِيَءَ فِيكَ عَارِفَةَ السَّلَامَةِ ، وَيُبْقِيَكَ بَعِيدَ
الْصَبِّ رَفِيعَ الْقَدْرِ فِي الطَّحْنِ وَالْإِقَامَةِ ، وَلَوْلَا تَرَدُّدِي فِي عِقَابِلِ رِبْعٍ^١
لَزِمْتُ جَسْمِي شَهْوَرًا ، وَاتَّخَذْتُهُ رِبْعًا مَعْمُورًا ، لَمَا اسْتَنْبَتُ فِي التَّهْتَةِ خَطَابًا ،
وَلَحِثْتُ نَحْوَكَ رَكَابًا ، وَأَنْتَ بِسَرُّوكَ تُوسِّعُ الْعَذَرَ قَبُولًا ، وَتُقْبِلُهُ
وَجْهًا جَمِيلًا .

وله من أخرى يهنيء بمولود : إِنَّ أَحَقَّ مَا انْبَسَطَ فِيهِ لِلتَّهْتَةِ لِسَانٌ ،
وَتَشَرَّفَ فِي مِيَادِينَ مَعَانِيهِ بَيَانٌ وَبَنَانٌ ، أَمَلٌ رَجَوِي فَتَابِي زَمَانًا ، وَاسْتَدْعِي
فَلَوِي عِيَانًا ، وَطَارَدْتَهُ الْمَنَى فَاتَّبِعْهَا^٢ حِينًا ، وَغَازَلْتَهُ الْهَمَمُ فَاسْتَعْرِهَا^٣
حِينًا ، ثُمَّ طَلَعَ غَيْرَ مُرْتَقِبٍ ، وَوَرَدَ مِنْ صَحْبَةِ الْمَبَاهِجِ فِي عَسْكَرٍ لِحَبِّ ،
فَكَانَ كَالْمَشِيرِ إِلَى مَا بَعْدَهُ مِنْ مَوَاقِبِ الْأَمَالِ ، وَالِدَلِيلِ عَلَى مَا وَرَاءَهُ

١ يريد حتى الربيع .

٢ س م ط : فاتبعها .

٣ في النسخ : فأشعرها .

من كواكب الإقبال ، أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مباسمه
والبرق تتابعت إثر وميضه غمائم ، وفي هذه الحملة ما دلّ على المولود^١
المجلود ، المؤذن بترادف الحظوظ وتضاعف السُّعود . فباله نجم سعادة ،
تطلع في أفق^٢ سيادة ، وغصن سناء ، تفرع من دوحة علاء ، لقد
تهللت وجوه المحاسن باستهلاله ، وأقبلت وفود الميامن باستقباله ،
ونظمت له قلائد التمام ، من جوهر المكارم ، وخُصّ بالثدي الحوافل ،
بلبان الفضائل . وما كان منبت الشرف بانفراد تلك الأرومة الكريمة إلا
مقشعر الربى ، مغبرّ الثرى ، متهاف أغصان الرضى ، فأما وقد اهتز
في أيكّة السيادة قضيب^٣ ، ونشأ من بيته النجاة نجيب ، فأخلق بذلك
المنبت أن تعاوده نضرتة ، وترفّ عليه خبرته ، ويراجعه رونقه وبهاؤه ،
وتضاحكه أرضه وسماؤه ، فالحمد لله على ما أتاحه من انشاء^٣ الأمل بعد
جُمّاحه ، واختيال الجذل في حلية غرره وأوضاحه ، وهو المسؤول
أن يهنئك منه صنعا يحسن في مثله الحسد ، ويتمنى لفضله النسل والولد .

وله من أخرى خاطب بها ذا الوزارتين الكاتب أبا بكر بن القصيرة وقد
قربت بينهما المسافة ، حسبما ذكر ، ولم يتفق التقاؤهما :

لم أزل - أعزك الله - أستتزل قُربك براحة الوهم ، عن ساحة النجم ،
وأنصب لك شركَ المنى ، في خلس الكرى ، وأعلل فيه نفس الأمل ،
بضرب سابق المثل :

١ د : الوليد .

٢ ط : في أوفق .

٣ ط : انشائه ، م : انشاء .

ما أقدر الله أن يذني على شحطٍ من داره الحزنُ ممن داره صول^١

فما ظنُّكَ بي وقد نزل على مسافة يوم ، وطالما نفر عن خياله نوم^٢ ،
ودنا حتى همَّ بالسلام ، وقد كان من خُدَعِ الأحلام ، وناهيك من ظمأي
وقد حمتُ حول الوردِ الحَصِيرِ ، وذهمتُ الرشاءَ بالقصر ، ووقفَ بي
ناهضُ القدر ، وقِفَّةَ العَبْرِ بين الورد والصدر^٣ ، فهلا^٤ ، وُصِلَ ذلك
الأمل بباع ، وسمح الزمانُ باجتماع ، وطويت بيننا رقعةُ أميال ، كما
زُوِيَتْ مراحلُ أيامٍ وليال ، وما كان على الأيام لو غفلت قليلاً ، حتى
أشفيَ بلفائك غليلاً ، وأتسَمَّ من رَوْحِ مشاهدتك نَفْساً بليلاً ؛ ولئن
أقعدتني بعواقبها عن لقاءِ جرٍّ وقضاءِ برٍّ ، وسَقَرٍ قريب ، وظفرٍ غريب ،
فما تحيَّفتُ ودادي ، ولا ارتشفت مدادي^٥ ، ولا غاضتُ كلامي ،
ولا أحفَّتْ^٦ أقلامي ، وحسبي بلسان النبلِ رسولاً ، وكفى بوصوله
أملاً^٨ وسولاً ، ففي الكتاب بُلُغَةُ الوطر ، وَيُسْتَدَلُّ على العَيْنِ
بالأثر .

١ البيت لحنج المري (البلدان : صول) ؛ وصول : مدينة في بلاد الخزر من نواحي باب
الأبواب .

٢ س ط م : عن حباله ؛ وسقطت « نوم » من م ط س .

٣ من قول أبي العلاء المري (شروح السقط : ١٥٣)

هموا فأموا فلما شارفوا وقفوا كوقفه العبر بين الورد والصدر

٤ فهلا : سقطت من م ط س .

٥ م س : مرادي .

٦ م س : حاصت .

٧ س : أجفت .

٨ د : أمدأ .

على أني إنما وحيّ المشير باليسير ، وأحلتُ فهمك على
المسطور في الضمير ، وإن فرغت للمراجعة ولو بحرف ، أو لمحة طرف ،
وصلت صديقاً ، وبللت ريقاً ، وأسديت يداً ، وشفيت صدئاً ، لا زالت
أياديك بيضاً ، وجاهلك عريضاً ، ولياليك أسحاراً ، ومسايعك أنواراً .

ثم ختم رقعة بهذه الأبيات :

هو الدهر لا يفتنا^١ يمرّ ويحلّولي
إذا أشكلت يوماً عليه ملّمة^٢
سألني بحدّ الصبر صمّ خطابه^٣
وأعرض عن شكواه إلا شكبة^٤
روى لي أحاديث المني فيه غصة^٥
وجاد بقرّب الدار غير متمم
تراءى لي العنب النмир فلبّني
أنحجب شمس العلم بردة ليلة
ويخشن مسراها لموطيء أحمصي
أجل قيد هذا الدهر أضيّق حلقة
سأبعث طيفي كل حين لعلّه
ودونك من روض السلام تحية

وسيان عندي ما يجِدُّ وما يبلي [٥٨ب]
فمن ظهر قلبي يستمد ويستمل
وإن صبح فيها الشيب من حدّق النبل
بها من هوى مرآك ضرب من الخبل
ولكنها لم تخل من غلط النقل
ويا ربّ جود قد من شيم البخل
بردت لهاقي منه في نغمة النهل
ولو وصات أردانها ظلمة الجهل
ولو نبشت في جناحها إبر النحل
وأقصر للخطو الوَساع من الكبل
يصادف من نجوى خيالك ما يُسلي
تنسيك غصّ الورد في راحة الطل

١ ط م س د : يبغي .

٢ كذا في النسخ ، ولعلها : خطوبه .

٣ ط م س د : غصة .

٤ ط م د س : وجاء .

٥ د س : الظل .

قوله : « يا ربَّ جود قُدَّ من شيم البخل » يشبه قول الآخر :

الدهر ليس له صنيعٌ يُشكَّرُ شربٌ له يصفو وشربٌ يَكْدُرُ
يهبُ القليلَ وقد نوى استرجاعه هبةُ البخلِ أقلُّ منه وأنزر

وكانَ هذا من قول بشار^١ :

أما البخلُ فلستُ أعذله كلُّ امرئٍ يُعطي على قدره

فراجعهُ ذو الوزارتين برقة نسختها : كتبت ولسانُ القلم يتلعم ، وقدمُ
الكلم يتأخر أكثرَ مما يتقدم ، هبةٌ لانتقادك ، وعجزاً عن مواقع إصدارك
وإبرادك ، وإنَّ متعاطيَ جرائك^٢ ، ومناهضِ إعادتك أو ابدائك^٣ ، بلخديرٌ
بالتقصير ، وخليقٌ بحرمانِ حظِّ البُسوقِ والظهور ، والله يزيذك فضلاً ،
ويجعلك لكلِّ جليلةٍ من الحِصالِ ونبيلةٍ من الأحوالِ أهلاً ، بمنه .

ووصل إليّ - وصل الله اعتلاءك ، وأثّلَ مَجْدَكَ وسناءَكَ - خطابُك
الكريمَ نظماً ونثراً ، فأهدى برّاً ، واقتضى ما لا يُستطاعُ شكرًا ، ويعلمُ
الله الذي لا ينطوي دونه سرٌّ ، ولا يفوت إحصاءه أمرٌ ، أني أجيدُ من الشوقِ
إليك ، مثلَ ما أخبرتَ به لديك ، وأحسُّ من التشوّقِ إلى لقائك ، بنحو
ما أطلّعتَهُ من تلقائك ، واللهُ وليُّك حيثَ كنتَ ، وكالشُّكِّ وكالتي

١ لم يرد في ديوانه (جمع العلوي) ، وهناك بيت على شاكلة وهو (ص : ١٤٠) :

أعطى البخليل فما انتفعت به وكذلك من يعطيك من كدره

٢ م ط س : جوابك ؟ والجراء : بمعنى المجارة والمباراة .

٣ د : وإبدائك .

فيك أقيمت أو ظننت ، وإيَّاهُ أسألُ أن يبلِّغَكَ أوطاركَ ، ويؤتيكَ من كلِّ أملٍ وفي كلِّ موردٍ ومصدرٍ اختيارك ، بعزته .

وأنا أعتذر إليك من الاقتضاب ، وأن لا أَلُمَّ في النظم بجواب ، بما لا يذهب عليك من الأعذار ولا يستترُّ دونك من الأسباب ، وأنت بمعاليك تقبل العذر ، وتتأوَّلُ أجملَ تأوَّلٍ الأمر .

وله من أخرى : لم أزلُ مذجداً اغترابك ، ونعب غرابك . أتعجبُ من تحوُّلك ، وأتشفُّ إلى ما يَرِدُ من قبيلِكَ ، فلم أظفر من خبرك بيقين ، ولا حصلتُ من كيفيةٍ مقرَّكَ على ثلجٍ مبین ، إلى أن ورَدَ جُهيَّنةُ أخبارِكَ ، وعَيَّبةُ أسرارِكَ ، فلان ، فكشف من صورة أمرِكَ ما التبس ، ووصف من جُمْلَةٍ حالِكَ ما سرَّ وأتس ، وذكر أن ذلك القطر - حرسه الله - رَحَّبَتْ بك معاهده ، وَعَدُّبَتْ لك موارده [٥٩ أ] واشتملت عليك أفيأوه ، وتهالَّت إليك أرجاؤه ، ولا غرو من نفاقِكَ حيث احتلت ، وقبولِكَ أينما انتقلت ، فمن تحلى بمثلِ حلاك ، لم يَضِيعُ كيف تصرَّف ، ولا عدم اللطف أينما انحرف ؛ والله تعالى يصنعُ لك جميلاً ، ويُنيلُكَ حيثما كنت أَمْلاً وسُلواً .

ووصل خطابك الخطيرُ فجلاً وجَهَ بَرِّكَ وسيماً ، وشَخَصَ عَهْدَكَ عَمِيماً ، وأهدى إليَّ من رياض ودِّكَ نسيماً ، ومن عرارِ حمدِكَ شميماً ، فيا حُسْنَ موقعه من الضمير ، ويا نُبلَ منزَعِهِ الجميلِ المشكور .

وله من أخرى : قد يرد من تحف الإخوان ما لم يراقب له مَوْرِد ، ولا

١ أجمل تأوَّل : سقطت من م ط س .

ضُرِبَ فيه موعد، ولا غازلَه ضمير، ولا تقدّم فيه بشير، فيكون للجامع
الأنسِ أجبَل، ولمجامع النفس أذهب، وعلى صفحات الفؤاد أندى وأبرد،
وإلى تَلَعَاتِ الودادِ أهدي وأقصِد، لا سيّما إذا ورد وللوحشةِ جُثُومٌ،
وبين الجوانحِ كلُّوم، كورِدِ خطابِكَ، فإنه هجم ولا تأهّب له خلّد،
ونجم وفي جفنِ الأنسِ رَمَد، فأذكرني حُسْنُهُ زمنَ الصبا، وتَقَسَّ
الصّبا، وأنساني عهده زهَرَ الرّبي، وثمرَ المنى، وجدّدَ من رسم الصبابة
والمة قديماً، وأحيا من شخص القرابة رفاتاً رميمًا، ونشر من واشجها ما
دَفَنَتْهُ الأيامُ خمولا، ووصل من مقطوع أسبابها ما لم يكن قبل موصولا^١،
فله درُّ عهدك ما أجملَ مُحَبَّاه، وأنمّ في روض الوفاء ريتاه، وسقياً
لمفرس مجدك فما أذكى ثراه، وأطيبَ جنّاه، وصل الله ما بيننا يوم تُقَطَّع
الأسباب والأنساب، وجعله ميراثاً في الأخلاف والأعقاب، وأبقاك أنساً
لنوي الألباب، ومعدنا للكرم اللباب، بيمته .

وتلقيت المترعَ الجميل في جهة فلان، المُسْنَدِ إلى مجدك بأحسنِ وجوه
الإجمال، وأنمّ معاني البرِّ المتوال، وأقبلت عليه، لإقبال المصفي إليه،
المستوفي ما لديه، فنشر من أياديك الجميلة مآثر، وشبَّ بِمَسْنَدِ ذكرك
الطيبِ مجامير، وعمر بأوصاف معاليك مشاهدَ ومحاضر، وجعلت أهنأ
لسماعها طرباً، وأستعيد من أغانيها نوباً، وأستريده من محاسنها عجباً
وعجباً، فأمتع بشهيقها أذني، وأذكر بلذيتها معسف^٢ زمني. ورأيتَه حَسَنَ
الأداء، لمعاني الثناء، متصرفَ اللسان، في شكر الاحسان، والله يعمر
بوفودِ الأملِ جنّابَكَ، ويمدُّ في ساحةِ الكرمِ أطنابَكَ، بعزته .

١ م : وصولاً .

٢ كذا في م ط د س ؛ ولعل الصواب « متغيف » أي مائل الأغصان (أو مسعف) .

وله من أخرى : قد كنت - أدام الله عزك - بتواتر السماع ، وتظاهُر
 الإجماع ، أتقَلَّدَ فضلك ، وأشهد بالسبق لك ، وأودُّ أن يسفرَ بيننا خطاب ،
 ويتفقَ للمفاتيح أسباب ، رغبةً في الانتظام ، ولو بسفارة الأقلام ، واجتلاءً
 بالاخاء ، ولو بالرقم في صَفْحِ الماء ، إلى أن وافاني خطابُكَ ففتح للمداخلة
 باباً ، وأوضح في المواصلة شِعَاباً ، وتضمنَ من أدلَّةِ الودِّ ما لا يكذب
 رائده ، ولا يخرجُ شاهده ، بل يُقْضَى بشهادته وَيُحْكَمَ ، وَيُقْطَعُ
 على عدالته وَيُخْتَمَ .

فأمّا ما نخلتنيهِ من الوصفِ الجميل ، ومنحتنيهِ من الغرَرِ والحجول ،
 فلنما هي حُلاك ، أعزَّتْها أخاك ، وأوصافُكَ ، تبرَّعَ بها إنصافُكَ ، وسماتُكَ ،
 تجافَتْ عنها مكرماتُكَ ، وقد تقَلَّدْتُها حليةَ جَمالٍ ، ورفلت منها في حُلَّةٍ
 لإجمال ، واعتقدتها ذخيرةَ أيامٍ وليالٍ . والله تعالى يؤكِّدُ بيننا دواعي الوداد ،
 ويَجْعَلُ خُلُوتَنَا من عُدَدِ المعاد ، وَيُعِينُ على شكرِ بِرِّكَ المَبْدَأِ المَعَادِ .

واجتليتُ منه الإشارةَ الكريمةَ في جهةِ فلان ، فمهدتُ له عندي كَنَفاً
 رحباً ، وبوأتُهُ لَدَيَّ محلاً قريباً ، وشغلتُ لحظي برعاية أمره ، وبسطتُ
 يَدِي في شدِّ أزره ؛ ومما أكَّدَ حقوقَهُ عليّ تشيُّعُهُ في علائِكَ ، وتحدُّثُهُ
 بآلائِكَ ، وتقلُّبُهُ برهةً من الزمن في ظلِّ حَرَمِكَ وَفِنَائِكَ ، والله تعالى
 يبقيك مؤثراً للحسنة ، محموداً بجميع الألسنة ، ولا يخلِّيك من الشيمةِ الدمثة
 والكلمةِ اللينة .

وله من أخرى : إذا عَدَدْتُ [٥٩هـ] أعزَّكَ الله - أعيانَ الزمان ، وأفاضلَ

الاخوان ، ثبت عليك خنصري ، وطمحت إليك بعصري ، وطرت في
جوك ووقعت ، وانحططت في شعبك^١ وربعت ، لأنك - والله ييقبك
- حامل آداب ومعارف ، ولابس من خلع الفضل مطارف ، ومتميز
بفضول عاين منحت جمالها ، ومنفرد بخواص فضائل جمعت كمالها ،
لا أعلمني الله منك جملة فضل ، وزهرة نبيل ، وذخر وفاء ، وعلق
سناء ، بمنه .

وطلع علي خطابك مع فلان عبدك ، ولسان حمدك ، فأهب من
روح الأنس بك نسيماً ، وجدّد عهداً سلفت ورسوماً ، وأجاني من رياض
برك نوراً عطيراً ، وسقاني من حياض ودك عذبا خصباً .

• فيا شيعي برونقه وربي •

وأنى إليّ المذكور ما تنسمه من أرج ثنائك ، واجتلاه من تبلج
إخائك ، فاتصل البر واتسق ، وتتابع الفضل على نسق ، ثم استطرد إلى شكر
ما أوليته من غرّ آباد ، وإجمال متماد ، واستفد في ذلك جهداً لسانه ،
وجرى في ميدانه ملء عيانه ، فأحمدت مقطعه ومترعه ، ووجدت العرف
واقعا فيه موقعه ، وأنت بسرّوك تؤكد فضلك عنده ، وتصل إجمالك
معه ، لا أخلاك الله من بث صنائع ، في أصناف مواقع ، وأشتات مواضع .

ومن أخرى له : كتبت وأنا في عقابل شكوى سدّكت بي منذ أشهر

١ م ط : سميك .

٢ عجز بيت لأبي تمام ، وصدره (الديوان ٣ : ٣٥٦) :

فيا تلج الفؤاد وكان رصفاً

سَدَكَ الغريم ، وعركني بأكف^١ آلامها وأيدي سقامها عَرَكَ الأديم ،
حتى لقد فَعَرَتْ عليَّ^٢ فَاها المتون ، واستوت^٣ في اليأس منِّي الظنون ، إلا
أنه تعالى بلطفه مَنَّ^٤ بالاقالة والإرجاء ، ونقلني عن جهة اليأس إلى جانب
الرجاء ، له الحمد^١ متواتراً . والشكر^٢ أولاً وآخرأ ، وهو المسؤول^٣ ، عزَّ
وجهه ، أن يملك^٤ أطول الأعمار ، وَيَزُوِي عنك مكروه الأقدار ، بمنه :

وكان خطابك قد وافى في عنفوانها ، وصدر نَزَوَانِها ، فخفض من أوصالها ،
وخلع بعض أثوابها ، وكأنما ورد عائداً مُلْطِفاً ، أو وفد زائراً مُتَحَفَاً ،
وَرُمْتُ المراجعة فلم تساعدني يد^١ ، ولا نهض بي جَلَد^٢ ، ولما نصوت بُرْد
الاعتلال ، وَشِمْتُ بَرَقَ الإبلال^٣ ، وَجَبَ إنهاء العنبر المعترض ، وتعين
قضاء الحق^٤ المفترض . وأما شكري لما تضمنته الكتاب الكريم من لطائف
البرِّ والثناء ، ونتائج الفضل والثناء ، فمسحوب الأذيال ، في طريق الاحتفال ،
مأخوذ الأنفاس^١ ، من زهر الرملة الميعاس^٢ ، ويعلم الله تعالى المطلع^٣ على
خواطر الضمير ، وهواجس الصدور ، استنامتي إلى كرم نواحيك ، وثقتي
بشرف مناحيك ، واغترابي بما أحكم بيننا من نظام التألف ، ورُفِعَ لنا من
أعلام التعارف ؛ واجتليت من مخم الكتاب سلام الوزير الكاتب فائز درره ،

١ زاد في د : تعالى .

٢ م : يملكك .

٣ م : الاجلال .

٤ الميعاس : الأرض التي توطأ ، وفي القول اشارة إلى بيت أبي تمام (الديوان ٢ : ٢٢٤) :

بكر إذا ابتست أراك وميضها نور الأقالح برملة ميعاس

ويروى : نور الأقالح في ثرى ميعاس .

وراقم خبره ، ولك الفضلُ في إبلاغه من تحيّي ما يُضاهي تنفّسَ الأزهار ،
في وجوه الأسحار .

وكتب معنياً بأحد الأدباء الشعراء : لئن كانت الأيام - أعزّك الله - قد
قلّصتْ أذيالَ أحوالك ، وسلّطتْ هجيرَها على برْدِ ظلالك ، وكدّرتْ
بأفداءِ صرُوفها صفوَ زلالك ، فما استلانتْ نَبْعَكَ ، ولا أحالتْ عن
عادةِ الجميلِ طَبْعَكَ ، ولا عَفَتْ في منازلِ السَّناءِ والثناءِ رَبْعَكَ ، فقد
يجري الجوادُ وهو منكوب ، ويتجملُ^١ الحرُّ وبه ندوب ، والله تعالى
يجبرُ الصّدْعَ ، ويُجَمِّلُ الصُّنْعَ ، بعزته .

ويتأدّى من يد فلان ، وفي علمك ما دُهيي به وطنه من خطوب الزمن ،
وضروب المحن ، وتقلب عبّاد الوثن ، ودفعته الضرورةُ إلى استرقاد الأحرار ،
والتكسّب بالأشعار ، وهو ممن يتصرّف في الصناعة بلسانٍ صنع ، ويأوي
فيها إلى طَبْعٍ غير طَبْع ، وله في قبول عفو المتيل إجمالٌ ، وعنده في شكر
العُرف المختصر احتفال .

ولما عرف ما بيننا من عهد لا يفارقُ نصابه كَرَمٌ ، ولا يلحقُ شبابهُ
هَرَمٌ ، اتخذ خطابي هذا عنوانَ شعره ، ولسانَ أمره ، ودليلاً على موضعه ،
ومشيراً إلى مقصده ومتزعه ، وأنت بِسِرِّكَ تصدّقُ أمله ، وتبيّضُ وجّهَ
[١٦٠] الصنِيعَةِ قِبَلَهُ .

وله من أخرى في مثله : العهدُ وإنْ قدُمَتْ أحكامه ، وسلفتْ^٢ أيامه ،

١ م : ويحتمل .

٢ م : واسلفت ؛ س : واستلفت .

إذا استجدَّ عادٌ جديداً ، ونشأ حميداً ، لاسيما إذا غُرس في تربة وفاء ،
وسُقِيَ بنطفة صفاء ، وتردَّدَ في نِصابِ كرم ، وتشبَّثَ بأُطْنابِ ذمم ؛
وكان بين سلفنا ما لا يُنسى ماضيه ، وإن خَلَّتْ لِياليه ، ولا يُهَجَّرُ حَسَنُهُ ،
وإن بَعُدَ زَمَنُهُ ، وإنَّهُ لِمَسْطُورٌ في صحيفة تذكُّري ، وملحوظٌ بعين
تصوُّري ، ولئن لم يجمعنا مكانٌ ، ولا سَكَّفَ للمداخلة عنوان ، فإن ذلك
غيرُ قادحٍ في الضمير ، ولا مكدرٌ من العذب النмир .

وموصلُهُ فلان ، نشأهُ نعمتك ، توسَّمَ رعايتك لها فسألها ، وتخيَّلَ
تحفيُّك بنواحيها فرغب فيها ، وما أَجَبَتْهُ إِلَيْها إلا وقد علمت أنك
تُشَفِّعُ شفيعها ، وتؤثِّرُ ترفيعها ، وبوروده عليك تجلِّي وَجْهِه مترعه ومذهبه ،
وتقفُ^١ على جليَّةِ أُمِّه ومطلبه ، وأنت بفضلِكَ تصدِّقُ تخيلته ، وتراعي
وسيلته ، وتتجملُ معه ، وتضعُ العُرفَ موضعه ، مقتضياً بذلك من شكري
أبرعه ، ومن ذكري أطيَّبه وأضنَّعه .

ومن أخرى في مثله : أمّا وَكَنَفُكَ وَسَاع ، وشرفُكَ يَفَاع ،
والتحدُّثُ بتدفق أدبك ونشبك إجماع ، فلا غرو أن تُقَصِّدُ بِتَحَفِ القصيد ،
وتُطَوِّى نحوكَ صُحُفُ البید ، ويجري من يعتمدك في مضمار تأميك إلى
الأمر البعيد ، لا سيما مَنْ قد اعتمدك ، فأحمدَكَ وانتقلك ، كفلان ، فإنه
رُتِعَ في برك ، واكتحل برهةً بِبِشْرِكَ ، واشتمل بضاني عطاك ، وكرعَ
في صاني نطاك ، فهو إذا عَدَّ غُرَّرَ العصر ولمعَ الدهر ، بدأ بذكركَ
وختَمَ ، وطار في جوِّكَ وَجَسَمَ ، وله في نشر المحاسن والفضائل لسانٌ
ذَرَبٌ ، وعنده في شكرِ الصنائع والودائع مقامٌ^٢ درب ، ولما عضَّه العُسرُ ،

١ في النسخ : يجتلي . . . ويقف .

٢ مقام : سقطت من م .

وَمَسَّهُ الضَّرُّ ، وَجِبَ أَنْ يَتَجَعَ جَنَابُكَ ، وَيَسْتَمْطَرَ سَحَابُكَ ، وَيَوْمَ
فِنَاءِكَ ، وَيَجْبُرَ ثَنَاءُكَ ، وَهُوَ بَانَتْحَاكَ مَسْرُورٌ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ رَجَائِكَ
نُورٌ ، وَقَدْ سَفَرْلَهُ قَنَاعُ السَّقَرِ ، عَنْ أَسِيرَةِ الظَّفَرِ ، وَجُلِيَّتْ عَلَيْهِ صُورَةُ الْأَمَلِ ،
فِي مَعَارِضِ النَّصِّ وَالزَّمَلِ ، فَمَا أَجْدَرَهُ أَنْ يَجِدَ ظِلَّكَ سَجْسَجًا ، وَعَمَلِكَ
مَنْبَجًا^١ ، وَيَجْنِي رُبَاكَ غَضَّةَ النُّورِ وَلِثْرَهُ ، وَيَشْنِي عَنْ مَشْرَبِ نَدَاكَ
حَامِدَ الْوَرْدِ وَالصَّدَرِ ؛ لَا زَالَ مَقْرُوكَ مَعْتَمِدَ الزَّوَارِ ، وَمَتَرَعَ الْأَحْجَارِ ،
وَمُحَصَّبَ جَمَارِ الْأَشْعَارِ .

وله من أخرى في مثل ذلك : كَتَبْتُ عَنْ كِلَالِ ذَهْنٍ ، وَاتِّصَالَ وَهْنٍ ،
وَرُكُودِ خَلَدٍ ، وَفُتُورِ جِلْدٍ ، لَتَرْدِي فِي أَذْيَالِ الْعَلَةِ الَّتِي عَرَفْتَ صَفَتَهَا ،
وَاجْتَلَيْتَ مِنْ خَطَابِي الْمُتَقَدِّمَ صَوْرَتَهَا ، وَلَا مَزِيدَ عَلَيَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْإِجْمَالِ
لِذِكْرِكَ ، وَالِاحْتِفَالِ فِي شُكْرِكَ ، وَالتَّسْحُبِ^٢ عَلَى حَوَاشِي مَجْدِكَ ، وَالِانْحِطَاطِ
فِي غُورِكَ وَنَجْدِكَ .

وَمُوصِلُهُ فُلَانٌ ، لَمْ يَنْفَقْ لَهُ فِي غَيْرِ الْجِهَةِ الْحَالِيَةِ بَكَ أَمَلٌ ، وَلَا اعْتَلَقَ
بِهِ فِي سِوَاهَا عَمَلٌ ، فَحَنَّ إِلَى مَا عَهْدُهُ فِيهَا مِنْ حُسْنِ رَائِكَ ، وَكَرِيمِ
اعْتِنَائِكَ ، وَرَحْبِ جَنَابِكَ وَخِصْبِ فِينَائِكَ ، وَاسْتَنْهَضَ مَخَاطِبِي لَتُبُوءِهِ
تَحْتَ ظِلِّكَ كَتَفًا ، وَتَوَكَّدَ لَهُ سَبِيًّا مُؤْتَنَفًا .

١ إشارة إلى قول البحرني (ديوانه : ٤٠٥) :

لَا أَنْسِينَ زَمَانًا لَدَيْكَ مَهْدَبًا وَظِلَالِ عَيْشٍ كَانَ عِنْدَكَ سَجَسَجَ
فِي نِعْمَةٍ أَوْطَئْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَفْيَانِهَا فَكَأَنِّي فِي مَنْبَجِ

٢ م ط س : والشعب ؛ د : والشخب .

وله من أخرى : كتبت وريحانُ العهدِ يَسْنَدِي بِمَائِهِ ، ويتأوَّدُ في
 غُلَوَائِهِ ، لم يَلَمْ به مع القدمِ ذبولٌ ، ولا انسحب عليه للزمنِ ذبولٌ ،
 وكيف لا يرفُ ورَقُهُ ، ويَمِ عَبَقُهُ ، وفي روضِ وفائِكَ يرتعُ أسحاراً وأصلاً ،
 ومن ثَغْبٍ^١ صفائِكَ يشربُ عِلَلًا ونَهْلًا ، ولذلك ما يقعُ الإعتابُ
 بالخطاب ، ويُجْتَرَى بتناجي القلوبِ وتصافي الغيوبِ عن الكتاب ؛ والله
 يَبْقِي ما بيننا معقوداً بنوائبِ النجوم ، محجوباً عن كُلِّفَةِ العبوسِ والوجوم ،

وفلان لم يجدْ من ذلك الأفقِ بدَلًا ، ولا غرس في سواه أَمَلًا ، ولا
 أَلْفَى^٢ في تربةٍ غيره ثرى ولا بللاً ، فعاد إليه يحمَدُ عهدَهُ ، ويذمُّ ما لقيَ
 بعده ، وسألني مخاطبتك بهذه الحروف ، ايتريدَ بها من رأيك الشريف
 وفضلك المعروف .

وله في مثله إلى الفقيه أبي القاسم ابن المناصف^٣ بقرطبة : أما وأحاديثُ
 فضلكَ صحيحةُ الإسناد ، وأدلةُ سرِّوكَ مَزَلَّةُ العناد ، ومَطَالِبُ علمك
 وفهمك ساطعةُ الأنوار [٦٠ أ] ومناهجُ هَدْيِكَ وسعبك واضحةُ الصوى
 والمنار ، فلا عَجَبَ أن تحومَ على شرعةٍ مداخلتك حوائمَ الألبابِ ،
 وتُنْتَهَزَ في التماسِ مواصلتك فُرَصَ الدَّواعي والأسباب . ولم أزلُ أولعُ
 برائقِ صفاتك ، وألتمسُ سببَ معرفتك ، حرصاً على التجميلِ بخلَّتِكَ ،
 ورغبةً في التيمُّنِ بصلتك ، لأنك - والله يبيحك - أحقُّ من احتذِي على

١ الثغب : الغدير .

٢ ط م د : ألقى .

٣ بنو المناصف كثيرون ترجم لبعضهم ابن الأبار في التكملة وابن سعيد في المغرب ، ولم أجد
 من بينهم من كنيته أبو القاسم .

مثاله، واقتُدي بصالح أعماله، واستقيت آثار البر من مواقع خطاه، وانتسخت^١ أخبار الزهد والقصد من صحائف هداه، وأحرى بمن اتَّخذك صاحباً، وسلك من سبلك أثراً لاجباً، أن يأمن في جدد مسالكك العثار، ويتعدّم في جوارك^٢ نفع الفتن المثار، والله يبقيك لأشتات الفضائل نظاماً، وفي كلّ صالحة إماماً، ويوسع النعمة بك وفيك سبوغاً وتاماً .

ولما اتفق شخوص^٣ فلان إلى الحضرة، وعلمت أن انجذابه إلى جنباتك، ووعيت عنه جملاً حسناً من صفاتك، رأيت أن أصحبه خطاباً، وأمدّ في ساحة الانتظام بك أطناباً، حرصاً على أن يتأكد في ذات الله إخاؤنا، ويتفق في سبل مرصّاته وطرق طاعته أنحاؤنا، وحمّلتُهُ مع ذلك من لطائم الحمد، ونخائل الود، ما إذا أعرته ناظري تأملك، وصادق تخيلك، علمت به خلوص ضميري، وصفاء نميري، وسلامة عهودي، ودماثة نهامي ونجودي .

وهذا الرجل يشكر إجمالك معه شكر روض الحزن، لعارفة المزن، ويود أن يستظهر على ذلك بكلّ لسان، ويستنجز فيه كلّ ناء ودان^٤، وقد جاريته في مضمار شكرك طلقاً، وسعيت معه في ميدان الثناء عليك خيباً وعناقاً، فبيني وبينه من شابك القربى، ما يقتضي أن آخذ من مشاركتك له بالقسم الأوفى والسهم الأعلى، وقد عرفت ما مني به من عض الزمان. ومس الحرمان، ورأى أن يصرف وجهه همته إلى تلك الحضرة ليدرك بها أملاً، ويعلق من أعمالها عملاً، ومَعَوْلُهُ في موارده ومصادره عليك،

١ د : وانتسخت .

٢ خ : بهامش ط : جوادك .

٣ م : وذان .

ونظره في مطامع أغراضه والحاظه إليك، وأنت بمجدك تسدّد سَهْمَهُ،
وتؤيدُ عَزْمَهُ، متممًا يَدَكَ البيضاء، ومتّبعًا دَلْوَكَ الرِّشَاءِ^١.

وله في مثله إلى الفقيه القاضي بها : إن كانت المداخلةُ بيننا لم يفتح^٢ لها
بابٌ، ولا علّقتْ بها أسبابٌ، ولا رُمِيَ لنا في مُحَصَّبِها جِمارٌ، ولا
عَطَفَ بنا نحو كعبتها اعتمارٌ، فقد جمعنا في مُعَرِّفِ المعرفةِ مواقفٌ،
وَضَمَّتْنا من معالم العلم معاهدُ ومآلفٌ، ووشجتْ بيننا من أواصرِ الأدبِ
أنسابٌ، وضربتْ علينا في مدارجِ الطلبِ قبابٌ، ولا غرو من تداني القلوبِ
على تنائي الدِّيارِ، واتّلافِ النفوسِ مع اختلافِ النِّجارِ، فقد يتعارفُ الأندادُ
على البعادِ، ويتناكرُ الأضدادُ مع قُربِ السَّوادِ والوسادِ^٣، وربّما أَلَفَ
تشاكلُ الشَّيْمِ والأخلاقِ، بين مستوطنِ الشامِ وساكنِ العراقِ، ودأباً
حنَّ زهرُ الغُورِ إلى نسيمِ نجدٍ، وامترجَ عنبرُ الشَّحْرِ بمسكِ الهندِ. على أني
لا أدعي رُتْبَتَكَ في فنونِ العلمِ والآدابِ، ولا أتعاطى صِحبَتَكَ إلا
بشرطِ الانقيادِ والإصحابِ، ومن يضاهي محلَّ الفرقدِ، بمنبتِ الفرقدِ،
أويشبهُ رتبةَ التقليدِ، بدرجةِ النظرِ والتوليدِ، أو يقرنُ^٤ بين الالتباسِ والبيانِ،
ويعارضُ قوَّةَ القياسِ بضعفِ الاستحسانِ؟! لكنني وإن لم أعددَ في رعيك،
ولا أضيفَ مُبرِّمي إلى سَحِيلِكَ، فعندي من بضائعِ الكلامِ ما يَنفَقُ في

١ من قول قيس بن الخطيم : (الديوان : ٤) :

إذا ما اصطبحت أربعاً خط منزري واتبعت دلوئي في السماح رشاءها

٢ م ط : يفرج ، س : ييوج .

٣ السواد - بكسر السين - السرار ؛ وقيل لابنة الحس : ما أغراك بميدك ؟ قالت : طول السواد
وقرب الوساد (الحيوان ١ : ١٦٩) .

٤ م ط د س : يفرق .

سُوقَكَ ، ولديّ من سوامي الهمم ما يَتَّبِقُ بِسُوقِكَ ، ولعلّ بعض
كلامي يسجدُ في ذراك ، ويحظى برضاك ، ويصادف عندك رأياً جميلاً ،
ويستوقف لحظك ولوقليلاً ، بقيت حليةً للدهر فائقةً ، وغرةً في وجه الزهر
رائقة .

ولما علم فلان ، أنّ القيمَ عندك بحسب الإنسان ، وأعلى قدر تصرف
اليَد واللسان ، وأنّ أحظى ما قَرِعَ به بابُك ، ورُفِعَ له أحبابُك ، رقعةً
تشيرُ بها إلى علمٍ وأدب ، ولا يُخِلُّ بوجهها وشمُ نَدب ، استنهضني شفيعاً ،
فأجبتُه سريعاً ، حرصاً على المداخلة أَسِمُ غُفْلَهَا ، والمواصلة أَفْتَحُ قُفْلَهَا ،
ورغبةً في مشاركة الرجل المذكور ولو بشفاعَةِ الكلام ، وسفارةِ الأقلام ،
فبيني وبينه نسبٌ موصل ، وثرى مبلول ، وآصرةٌ رَحِم ، وعاطفةٌ سَهِم .

وكان له بتلك الحضرة النيرة بعدك فيما سلف ظهور ، وتصرفٌ [٦١ أ]
مشهور ، ثم أَلَقْتَ عليه العُطْلَةَ ثِقُلَ جَرَانِهَا . وَجَرَتْ به ملاءَ عَنَانِهَا ،
حتى انتسفت ما كان بيده . وحلّت جميعَ عُقَدِهِ : وقد دفعته الأيام إلى جميل
نظرك ، وطيب مَكْسِرِكَ ؛ وهو بكرم الصنِيعَةِ خَلِيقٌ ، ولحمل المننِ مطيقٌ ،
وغرضُهُ أَنْ يُصَرِّفَ في بعضِ وجوهِ العمل ، ويختبر حاله في الشدِّ والزَّمَلِ ،
وأنت بمجدك تفرضُ له من شَرَفِ عَنَابَتِكَ نصيباً ، وتوليه من رعايتك وجهاً
خصيباً ؛ وما أُسْدِيتَ إليه فلي فيه مَفْخَرٌ ، وهو عند الله مُدْخَرٌ ، واللهُ
يُبيِّقُكَ للحسنات تُعْرِسُ بِأَبْكَارِهَا ، والمآثرات تَحْلُدُ كَرَمَ آثَارِهَا ، بمنه .
وله من أخرى يشفع لبعضُ ^٣ الشراء : لا غرو أن يقصدك - أثَلُ اللهُ

١ م : بمِرضاك .

٢ الزمل : نوع من العدو ؛ وفي ط : الرمل . وهو أيضاً نوع من العدو .

٣ م ط س : إلى بمِضر .

سُودَ دَكَ - مُهْنَدِي حَمْدٍ ، ومقتضي رِفْدٍ ، ويلمَّ بِكَ مستوجبٌ معروف ،
ومُعَانِي صُرُوف ، فَقَدِيمًا غُشِيَّتْ مَنَازِلُ الْكَرَمَاءِ ، وَثَبَّتْ^٢ فُضَائِلُ الْعُلَمَاءِ ،
وَهَزَّتْ^٣ أَعْطَافُ الْكِبَرَاءِ ، بِنَغْمِ الثَّنَاءِ وَالْإِطْرَاءِ ، وَقَدْ أَصْنَى إِلَى الْأَشْعَارِ ،
جِلَّةُ الْأَخْيَارِ ، وَأَثَابَ عَلَى الْمَدِيحِ ، مَنْ بَعْدَ عَنْ التَّجْرِيعِ . وَهَئِكَ سَلَكَ
تِلْكَ السَّبِيلَ ، وَآثَرَ الْجَمِيلَ ، وَرَاعَى التَّامِيلَ .

وموصلُهُ - وَصَلَ اللَّهُ اعْتِلَامَكَ ، وَحَرَسَ أَرْجَاعَكَ - فَلَان ، وَهُوَ
مِمَّنْ اضْطَرَّه كَلْبُ الْحَرَمَانِ ، وَنُوبُ الزَّمَانِ ، إِلَى اعْتِمَادِ الْكِرَامِ وَاسْتِرْفَادِ
الْأَعْيَانِ ، وَلَهُ مِنْ صِنَاعَةِ الْقَرِيضِ ، وَبِضَاعَةِ التَّفْرِيزِ ، حِظٌّ مَوْفُورٌ ، وَعِنْدَهُ
لَأَوْجُهُ الصَّنَائِعِ إِذَا بَرَقَ بِهَا الْكَفُورُ ، ظُهُورٌ وَسُفُورٌ ، وَقَدْ قَصَدَ تِلْكَ الْجَهْمَةَ
فِيمَا سَلَفَ مُتَّجِعًا ، وَارْتَضَعَ مِنْ أَفَاوِيقِ دَرَاهِمِ جُرْعًا ، وَمَا عَدِمَ مِنْكَ تَنْوِيلًا ،
وَرَأْيَا جَمِيلًا ، لَكِنَّ الْعُودَ أَحْمَدُ ، وَرَبُّ الْعُرْفِ أَوْجِبُ وَأَوْكَدُ ، وَلَا يَذْهَبُ^٤
الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^٥ ، وَلَيْسَ مِمَّنْ يَسْأَلُ شَطَطًا ، وَيَتَعَسَّفُ غُلَطًا ،
وَلِأَنَّهُ لِيَتَبَلَّغُ بِالنَّسِيمِ ، وَيَسْتَنْجِزُ الْوَعْدَ بِالتَّسْلِيمِ ، وَحَسْبُهُ مَا يَرْتَقِعُ^٦
جَانِبَ خَلَّتِهِ ، وَيَنْقَعُ بَعْضَ غُلَّتِهِ ، وَأَنْتَ بِفَضْلِكَ تُشْفِقُ^٧ لِمَا مُنِّيَ بِهِ
مِنَ الْإِغْتِرَابِ وَالْاضْطِرَابِ ، وَتَحَافِظُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْوَسَائِلِ وَالْأَسْبَابِ .

١ من قول بشار (ديوانه : ١٥) :

بسقط الطير حيث يتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

٢ ثبتت : مدحت ونالها الثناء .

٣ من قول الخليلي :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

٤ ط م د : يرمع .

وله من أخرى إلى الفقيه أبي الحسن ابن الأخضر^١ : إذا كان عهد الإخاء ممّا رقمته^٢ يدُ الطلب ، في صفحة الأدب ، لم يَنْسَخْ له الدهرُ حُكْمًا . ولا أحالَ الزمنُ منه رَسْمًا ، بل يتجدّدُ على تقادم الأحقاب ، ويردّدُ أبدأً في عصر الشباب ، وإنما هو في الحقيقة نَسَبٌ لا يخفى ، ورحمٌ لا يحفُّ له ثرى ، وذمامٌ تُشْنَى عليه الخناصر ، والتحامٌ تُشيرُ إليه الأواصر ، فالأديبُ صِنُوُ الأديب ، وكفى بتمازج القلوب . وفي علمك ما سَلَفَ بيننا من العهد ، المزري حُسْنُهُ بزمنِ الورد ، سقاه الله صَوْبَ العهاد ، ولا زال مُخْضِرٌ المراد ، فما كان إلا غُرَّةً انتُهَزَتْ من تهايف^٣ البيض الغرائر ، ولمعة^٤ كأنما اقتبست في تضاحك الترائب تحت سود الغدائر .

ولما علم فلان . حليفُ شكرِكَ ، وأليفُ بِرِّكَ ، ما بيننا من المناسبِ الروحانية ، والمذاهب الأدبية ، استنهضني لشكر ما خَصَصْتَهُ له من تقريب محلٍّ ، وتخفيف كلٍّ ، فنهضتُ في ذلك نهوضَ المبدى المعيد ، واحتيتُ برداءِ الثناء عليك في المحفل المشهود ، وسرّني كونُ هذا الفى الدميتِ الخليفة ، السديدِ الطريقة ، من أنشاء تخريجك وتفهمك ، وأغصانِ تثقيفك وتقويمك ، فإنه ممن يتصورُ مقدارَ ما تُسدي إليه ، وفيهِ بِصَوْنٍ ما تُودِّعهُ لديه ، وليس كلُّ من أوليَ جميلًا يشكرُ ، ولا كلُّ شجرٍ وإن سَقِيَ يثمرُ ، وأنتَ بِسِرْوِكَ توسعُ قريحتهُ ذكاءً ، وصحيفتهُ جلاءً ، حتى يخلص خلوصَ

١ هو علي بن عبد الرحمن بن مهدي التنوخي من أهل اشبيلية (- ٥١٤ هـ) ، كان من أهل المعرفة بالأدب واللغة حافظاً لها (الصلة : ٤٠٤) .

٢ م : رقمته .

٣ م ط : تهايف ؛ س : تهايف ، وهي غير واضحة تماماً في م .

٤ لعل الصواب : وصفته .

الذهب ، ويتخصّص بحلّة الأدب ، مُحَرِّزاً في ذلك ذكراً يَشِيْعُ خبره ،
ويفوحُ عنبرُهُ ، والله يُبْقِيكَ لهذا الشانِ تَذِيْعُ أسرارهِ ، وترفعُ منارَهُ ،
بغرته .

وله من أخرى عنايةً بأحد الأدباء الشعراء : مَنْ دَفَعْتَهُ الأيام -
أعزَّكَ الله - إلى القلبِ في الآطار ، والتكسبِ بالأشعار ، لم يَخَفْ عليه
مواضع الأحرار ، في النجودِ والأغوار . على أنْ رَسَمَ الشعرُ قد درس
أو كاد . ومرتاد البرُّ قد عَدِمَ المراد والمراد ، إلا أنْ صاحب هذا
الشانِ لا بد أن يتصرف ، أنجح أو أخفق ، ويتسوّق^٢ كسد أو نفق .

وممن دخل ذلك الصقع^٣ فأحْمَدَهُ ، وتخيل يُمنّ معاودته [٦١ ب]
فاعتمده ، فلان ، وله في صنعة القريضِ باعٌ ، وبشكرٍ ما يوالاه اضطلاع ،
وبين فكّيه لسانٌ كشقة مبرد ، أو ظبّة حسامٍ فرد ، ولما كنت - أعزَّكَ
الله - مقدّماً في أعلام مصرك ، وأعيان عصرك ، وعلم ما بيننا من سهم
الوداد ، وكرم الاعتداد ، سألتني مخاطبتك راغباً في أن تسدّد له هنالك غرضاً ،
وتسهّل من حياضِ أمله فُرْضاً^٤ ، وترفع له في سبيل التزكية مناراً ، وتقلّده
من صوغِ التحلية طَوْقاً وسواراً ، فأجبتُهُ لما يمتُّ به إليّ من وكيدٍ ذمام ،

١ د : المرام .

٢ م س : وتسوق ؛ ط : وسوق .

٣ م ط : الصنع .

٤ د : شدقيه .

٥ فرضاً : سقطت من ط م س .

وحميدٍ للام ، والثقة بنزول رغبتي لديك على طَرَفِ ثَمَام^١ ، وشرفِ
اهتمام . وأنت بسرّوك تُدنيه من كَنَفَيَّ قبولك وإقبالك ، ولا تُخليه
من الأنسِ بتهمّمك واهتباك ، حتى يصدر وهجيره شُكْرُ إجمالك ،
ونشر صنيعه من جاهك أو مالك ، ان شاء الله .

وله من أخرى في مثله : مَنْ عَهْدَ - أعزّك الله - أنسَ فِئائك ،
وَحُسْنَ اعتنائك ، وألفَ بَرْدَ أفيائك ، ولينَ أرجائك ، لم يجبه
عنك سَكَنٌ ولا وطن ، ولا لذّة له في غير حجرك وظلك وسنّ ،
فَمُوَلِّي الجميل محبوبٌ ، ومكان الأنسِ مطلوب ، والنفوس على علمك
تلتبس الرجحان^٢ ، وتعتمد الفضلَ حيث كان .

وفلان ، ممّن قيّده إحسانك ، واستعبده امتنانك ، فهو لا يَعْدِلُ
بك أحداً ، ولا يحلُّ عن عصمة تأمليك يداً ، فإذا بَعْدَ عن جنابك لم
يَسْغُ له قرار ، ولا اطمأنت به دار ، وقد بعثه صدق الانقطاع إليك على
حَسَمِ العَلَقِ الموجبة لبعده عن ظلّ جناحك ، وأنسِ التماحك ، ولم
يبقَ له في غير مكانك سَبَبٌ^٣ يَجْذِبُهُ ، ولا أملٌ يصدقه أو يكذبه ، وأنت
بمجدك توالي اصطناعه ، وتراعي انقطاعه ، وتلحظ بعينِ تهمّمك
ضياعه .

١ العرب تقول للشيء الذي لا يمر تناوله هو على طرف الثمام ، والثمام نبت لا يطول ولهذا
لا يشق تناوله ؛ وفي النسخ : تمام .

٢ م : الرهان .

٣ د : سبب .

وله فصل من جواب خاطب به بعض الأدباء الشعراء : وردتني لك
قطعتان من القريض ، كقطع الروض الأريض ، أو نغم معيّد والغريض ،
تبسمتا عن ثغر وفاء ، وأهدتا إلي روح شفاء ، فأشعلت بذكر هممك مجمرأ ،
ووضعت عليه من ثنائي ندأ وعبرأ ، ورأيت ما ذكرته من إزماعك على
الرجيل ، واستجماعك لركوب ظهير السبيل ، فاسترجعت بذكر البين ،
ما وهبت من أنس السعدين ، والله يرد ذلك الصعب ذلولاً ، والحزن
سهولاً ، ولا يعدمك ممن ترجوه ترحيلاً وتسهيلاً .

وله أيضاً من جواب على كتاب في مثله : تكلفت المراجعة وحسني
القرينة مثنوّد ، وفي جوّ الذهن ركود وجمود ، وبين أثناء الضمائر خطوب
مثنول ، وفي صفائح الخواطر ثلوم^١ وفلول ، وما قصدت معارضة التبريز
بالتقصير ، ولا حاولت مناهضة الخطو الواسع بالباع القصير ، وإني لمن
ينصف ويعترف ، ويرى مدى السابق فيقف ، ولست ممن يجهل فضل
ما بين النبع والغرب ، ويذهل عن فرق ما بين الشبه والذهب ، على
أن عذري في الصناعة مقبول ، وذنب في ساحة القريض محمول ، فأنني لم
أقرع له باباً ، ولا شددت به عصابة ، وإنما يعدّ من أهله ، من سلك
مضايق سبيله ، ويكتسب في فرسانه ، من تصرف في ميدانه .

١ ط م : ثلم .

ومن رسائله في التعزيات

نسخة رقعة كتب بها إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني^١ يعزيه عن أخيه :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناس من خالدي^٢
كن المعزّي لا المعزّي به إن كان لا بدّ من الواحد

إذا لم يكن بدّ من تجرّع الحمام ، وتشئت النظام ، وانصداع شمل
الكرام ، فمن الاتفاق السعيد ، والقدر الحميد ، أن يرث أعمار البيته الكريمة
مُشيدٌ علاها ، وتسلم من القلادة وسطاها ، فمدار الكفاية على مُعلّاه ،
وفخار الحلبة بِمُحَرِّزِ مداها . وفي هذه النبذة إشارة إلى مَنْ قَرَطَ من
الإخوة الفضلاء ، ودرج من السّادة النُجباء ، فإنهم وإن كانوا في رتبة الفضل
صلوراً ، وغدوا في سماء النبل بدوراً ، فإن شمس علائك أهر أضواء
وأزهر أنواراً ، وظلّ جنابك على بنيتهم ومُخلّقيهم أُندي أصالاً وأبرد
أسحاراً [١٦٢] .

ونعي إليّ - أوشك الله سلوانك ، ولا أخل من شخصك الكريم
مكانك - الوزير أبو فلان - برّد الله ثراه وأكرم مثواه - فكأنما طعن ناعيه
في كبدي ، وظعن باكيه بنخيرة خلّدي ، لا جرم أني دُفِعتُ إلى غمرة من

١ هو الحسن بن عمر الهوزني الاشبيلي (٤٣٥ - ٥١٢) وقد مرّ التعريف به فيما تقدم ص: ٢٩١ .
٢ البيتان لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٧١ واليتيمة : ١ ٥٢٣ في تمزية سيف الدولة ،
وقد وردا في القسم الثالث : ٢٢٥ ونسبا في محاضرات الأدباء لأبي نواس ، وذلك تصحيف .

التلذذ لو صدِّم بها النجمُ الحار ، أو دُهِمَ بمثلها الحزمُ الحار ، ثم ثابت
إليَّ نفسي وقد وقَّذَها الجزعُ ، وعضَّها الوجعُ ، فأطلتُ الاسترجاعَ ،
وجمعتُ الجَلَدَ الشَّعاعَ ، وها أنا عند الله أحسبه جِمَاعَ فضائل ، وجمال
محافل ، وحديقةَ مكارم صَوَّحتْ ، وصحيفة محاسن دَرَسْتُ وامتحت .
وما اقتصرتُ من رسم التعزية المألوفِ ، على القليل المحنوف ، إلا لعلمي
بأن المعزِّي لا يوردُ عليك غريباً ، ولا يُسمِّعُكَ من موعظة عجيبةً ، فبك
يَقْتَدِي اللبيبُ . وعلى مثاليكَ يَحْتَدِي الأديبُ ، وإلى غرضِكَ في كلِّ
موطنٍ يَرْمِي المصيبُ ، وفي تجافي الأقدار عن حَوَائِكَ ، وسقوطِها
دونَ فِئائك ، ما يدعو إلى حُسْنِ العزاءِ ، ويهونُ جلائلَ الأرزاءِ ، لا
صَدَعَ الله جَمْعُكَ ، ولا قَرَعَ نبأُ المكروه سمعَكَ ، بعزَّتِهِ .

وله من أخرى في مثله : وردني - أعزَّكَ الله ، وأشعرك الصبرَ لما قضاه
- خطابُكَ الخطيرُ ، فاستقبلني أولُّهُ ببشرٍ وسيم ، وبرٍّ جسيم ، وتلقاني
آخره بوجهٍ شتيم ، ورزءٍ أليم ، فيا قُرْبَ ما انصرفتُ عن نهجِ الاستبشارِ ،
إلى سَمَتِ الاعتبارِ والاستعبارِ ، وانقلبتُ من مطالعةِ صفحةِ العهدِ
الواضحة ، إلى ملاحظةِ صورةِ الوجد الكالحة ، فما وقع سانعُ البشرى ،
حتى أطاره بارحُ المنعَى ولا افتر ثَغَرُ النُعْمَى ، حتى اكفهرَ وَجْهُ البوسَى ،
بما ختمتَ به الكتابَ الكريم ، وكان أحقَّ بالتقديم ، من ذكرِ وفاةِ الحبيبِ
الأديبِ ، أخيك ، ومحلَّ صِنْوِي ، كان - رحمه الله ، وألفه رضاه -
فياله رزءاً ، حَمَلَنِي عبثاً ، ومصاباً ، جرَّعَنِي صاباً ، وعند الله أحسبه
جُمْلَةً عَفافٍ ، وبقيةَ أَشْرَافٍ .

ومما أوقد لوعتي ، وأكدَ روعتي ، أنْ دَرَجَ وللشباب عليه سرُّبال ،

وللأَمَلِ في تراخي مُدَّتِهِ مَجَال ، فاعْبَاطُ النفوسِ أَنْفَجَ^١ ، وَبَغَتْ المقاديرِ
أَوْجَعَ^٢ وَأَشْنَعَ ، وهي الآجَالُ : فمَعْمَرٌ إلى أَقْصَاهَا ، وَمُخْتَصِرٌ^٣ دُونَ مَدَاهَا ،
وَلَا يَزَالُ الْمُؤَجَّلُ تُتَحَيَّفُ نَوَاحِيهِ ، وَتُخْتَفِطُ أَدَانِيهِ ، وَيُفْجَعُ بِأَحْبَابِهِ ،
وَيَرْوَعُ بِأَثْرَابِهِ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ لِلْغُرَضِ الْمَصَابِ ، وَالْمَحَلِّ الْمُنْتَابِ ،
وَالسَّوَادِ الْمُخْتَرَمِ ، وَالْخِيَالِ الْمُسْتَقْدَمِ . فَمَنْ تَصَوَّرَ الدُّنْيَا تَصَوُّرَكَ ، وَأَوْسَعَهَا
تَدَبُّرَكَ ، لَمْ يَرَعْهُ هَاجِمٌ كَرِبٍ وَإِنْ كَلَّحَ وَجْلِحَ ، وَلَا هَزَّةٌ وَاقِعٌ
خَطْبٍ وَإِنْ طَمَحَ وَجَمَحَ ، وَلَعَلَمِي بِمَضَاءِ جَنَانِكَ ، عَلَى مَصَادِرَةِ زَمَانِكَ ،
وَاتَّسَعَ صَدْرُكَ ، لِمُضَاقِقَةِ دَهْرِكَ ، سَلَكْتُ فِي التَّعْزِيَةِ مَسْلَكَ التَّخْفِيفِ ،
وَاقْتَصَرْتُ مِنْ مَعَانِي التَّسْلِيَةِ عَلَى الْبَسِيرِ الْلطِيفِ ، وَلَوْ شَهِدْتُ لِحَمَلَتِكَ عَنْكَ
بَعْضَ الْأَنْرَاحِ ، وَشَارَكْتُ فِي زِيَارَةِ الْغَدُوِّ وَالرَّوَّاحِ ، وَاللَّهِ يَعْوِضُكَ الْعِزَاءُ
الْجَمِيلَ ، وَيُضْفِي عَلَى سَاقَتِهِ^٤ - جَبْرَهَا اللَّهُ - ظِلَّكَ الظَّلِيلَ ، وَيَدِيمُ
إِمْتَاعَكَ بِمَنْ بَقِيَ مَعَكَ مِنْ أَخٍ كَرِيمٍ ، وَقَرِيبٍ حَمِيمٍ ، بَعْرَتِهِ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي مِثْلِهِ : مِحْنُ الدُّنْيَا - وَسَعَى اللَّهِ لَاحْتِمَالِهَا ذَرْعَكَ ،
وَأَنْتَسَرَ فِي إِحْيَاشِهَا رَبْعَكَ - ضُرُوبٌ ، وَلِسَانُ الْعِبَرِ بِهَا خَطِيبٌ ، وَنَوَائِبُهَا
أَطْوَارٌ وَفَنُونٌ ، وَمَصَائِبُهَا أَبْكَارٌ وَعُيُونٌ ، وَالْمَرْءُ غَرَضٌ لِأَخْيَافِ سَهَامِهَا .
وَمَعْرُضٌ لِاخْتِلَافِ أَحْكَامِهَا ، فَإِنْ أَخْطَأَهَا مِنْهَا صَائِبُ الْحَمَامِ ، وَتَخَطَّاهَا
وَأَثْبُ الْإِخْتِرَامِ ، رَشَقَتَهُ بَنِبَلِ أَرْزَائِهَا ، وَطَرَقَتَهُ بِمُغْضَلِ أَدَوَائِهَا ،

١ م س د ط : أجمع .

٢ د ط : أبشع ، س : أشنع وأوجع .

٣ ط م د س : ومختصر .

٤ الساقة : مؤخرة الجيش ، والمقصود هنا - فيما يبدو - من خلفهم الفقيد بعد موته من أبناء يحتاجون إلى رعاية . وانظر ما تقدم ص : ١٢٠ .

وَعَرَقَتْهُ بِعُصْلِ أَنْيَابِهَا ، وَأَشْرَقَتْهُ بِمُرِّ شَرَابِهَا ، وَأودعته من صنوف
التصاريف آلاماً^١ وأوصاباً ، وجرّعته من فراقِ الأحبة صبراً وصاباً ؛ فمن
فهم معاني صروفها فَهَمَّكَ^٢ ، وعجم عودِ خطوبها^٣ عَجَمَكَ^٤ ، لم
يتضعض منه لصدمتها^٥ جَلَدٌ^٦ ، ولا تروّع له عند ظلمتها خَلَدٌ^٧ ، ولا
شَقَّتْ لِيَصْبِرَهُ في مآثمها^٨ جُيُوبٌ ، ولا طار بقلبه في ملاحمها وجيبٌ ، بل
وجدته مُشْتَبِعٌ^٩ الجنان ، ثابت الأركان ، متهلل الجبين ، مُشْرِقُ اليقين ، مُتَسَمِّعُ
الجوانب ، لزحامِ النوائب ، مستقلّ الكاهل ، بأعباءِ النوازل .

فلئن نفذَ القدرُ بوفاءٍ من كنتَ تأنسُ^{١٠} بحياتها ، وتيتمنُّ^{١١} على القرب
والبعد يمينَ صلاتها وصلاتها ، وتضاعفَ الوجدُ بما افترقَ من فرقة المنون ،
وحرقة [٦٢ ب] النوى الشطون ، وانتظم من شحط المزار ، ونفوذ حَتَمِ
المقدار ، ففي تجلّذك لتحاملِ الخطيين محتمل ، ولتصبرك في سوم الخطّتين
تصرفٌ وعمل ، وبجسيم عظيم المصاب ، وكرم الاحتساب ، يكون حُسْنُ^{١٢}
الثواب ، وَيَمُنُّ^{١٣} المآب ، فللرزايا قيمٌ وأثمان ، وللحسنات في موازينها^{١٤}
خفوفٌ ورجحان ، فلا تمكّنْ من يدِ الجزعِ مَقَادَكَ^{١٥} ، ولا تُسْكِنْ
زفرةَ الأسفِ فؤادَكَ^{١٦} ، واعتصم عند الصدمة الأولى بِعُرْوَةِ الصبر

١ ط س : آمالاً .

٢ م : خطبها .

٣ م ط س : لصدمها .

٤ م : لعبرة نوائبها ، س : مآثمها .

٥ المشيع : الشجاع لأن قلبه لا يخذه .

٦ زاد في ط د : به .

٧ ط م س : موازئها .

الوثقى ، وتجنَّب ما يقدحُ في كَرَمِ النَّصَابِ ، ويقبح عند ذوي الألباب ،
واحسب فقيدتك - قدَّس الله روحها ، وأنَّس ضريحها - حديقة أنس ،
نُقِلَتْ إلى جَنَّةِ قدس ، وذخيرةَ إيمان ، ضُمِّنَتْ أكرمَ صِوانٍ ، ولا
تذهبُ نَفْسُكَ حشراتٍ ، ولا يتدارك نَفْسُكَ زفريات :

فقد فارق الناسُ الأَحَبَّةَ قبلنا وأعيا دواءُ الموتِ كلَّ طبيبٍ^١
وإذا كنا أهدافَ المنايا ، وأخلافَ الرزايا ، وأبناءَ الأحلام ، وأنداء
الغمام ، فأَيُّ معنىٍ في الجزعِ على مَنْ فَرَطَ ، والتوجُّعِ لمن شَحَطَ ،
ونحن عن قريبٍ نقدمُ على من تقدَّم ونلحق بمن سبق .

وهذه جملة من شعره

خاطبه بعض الأدباء والشعراء بنظم ونثر ، فراجع به بقوله من جملة
أبيات^٢ :

لئن راق مرأى^٣ للحسانِ ومسمعُ لَحَسْنَاؤِكَ الْغَرَاءُ أبهى وأمتعُ
عروسُ جلاها مطلعُ الفكرِ فأنثتُ إليها النجوم الزاهرات تَطَلَّعُ
زففت بها بكرأ تَأَرَّجُ طيبها وما طيبها إلاَّ الثناء المَضُوعُ

١ البيت للمتنبي ، ديوانه : ٣١٥ .

٢ انظر القلائد : ١١١ والخريدة : ٣ : ٣٩٤ - ٣٩٥ والمطرب : ١٩٠ .

٣ ط م : معنى .

٤ القلائد والخريدة : تضوع .

لها من طرازِ الحُسْنِ وشي مهلهل^١
تبغيت منها متعة اللحظ فانزوت
لئن لم تجدْ تقدأ لمثلي عاجلاً
فلو نك ذاك الحكمَ منها فأنه
ولي همة لو طواع الدهر حُكْمها
ومن صيغة الاحسان تاج مرصع
وقالت أدون المهر يُبغى تمتع
فما لكم عن قيمة البُضْعِ مترع
تضاء لعمري عادل ليس يُدْفَعُ
لكنْتُ بفتوى الجود في ذاك أقطع

وخاطبه أيضاً بعض أدباء العصر بشعر ، فراجعه بقوله^٢ :

سلام كَعَرَفِ المسكِ أوعَبَقِ الندَّ
سلام كأَنْفَاسِ الأَجَنَّةِ موهناً
سلام كإيماضِ الغزاةِ بالضحي
على من تحدّاني بمعجز شعره
غزافي^٣ من حوكِ اللسانِ بلامه
دلاصٍ من النظمِ البديعِ حصينة
عليها من الإحسانِ والحُسْنِ رَوْنَق
وفيها على الطبعِ الكريمِ دلالة
إذا خفَّ منها جانبُ الهزلِ كَفَّةَ
أبا عامرٍ لا زال رَبْعُكَ عامراً

على مَنْ غدا بالفضلِ فذأ بلا نِدَّ
سَرَتْ بشذاها العنبري صَبَاً نَجْد
إلى الروضة الغناء غبَّ الحيا العِدَّ
فأعجز أدنى عَفْوِهِ متبهي جهدي^٤
مضاعفةِ التاليفِ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ
تردُّ سنانِ النقدِ مُنْثَلَمِ الحدِّ
كما ديسَ مَتْنُ السيفِ من صدأ الغمدِ
كما افترَّ ضوءُ السَقَطِ من كرم الزندِ
ووقرَّ من أعطافِهِ ثِقَلُ الجدِّ
بوفدِ الشاءِ الحرِّ والسؤددِ الرغدِ

١ د والقلائد والخريدة والمطرب : مهلل .

٢ انظر القلائد : ١١١ والخريدة ٣ : ٣٩٥ .

٣ د م س وأصل ط : جدي .

٤ الخريدة : حباتي .

لقد سُممتني في حومة القول خُطّة
زفت هدياً من ثنائك حرّة
عقيلة مجد أتلع الفخر^٢ جيدها
وكلّفتني أن أستقلّ بحفّها
فلم أرَ برّاً أرتضيه لقلبرها
فعدراً فما عذري بمحتجب السنّا
فان كنتُ قد أحجمتُ عنك مقصراً
دلفتُ لهارأسي حيا من المجد^١ [١٦٣]
يقصر ملك الأرض عن مهرها عندي
فأغناه ذاك الحليّ عن حلّية العقد
وهيهات من إدراك أنسره وحدي
سوى الودّ محمولا على كاهل الحمد
ولا وجهه عند الجلاء بمسودّ
فلا غرو في الإحجام عن أسدٍ ورد

وكتب إليه أيضاً الأديب أبو عامر الذي ذكره بشعر أوله :

أعدها علينا أيها الندس الحبيرُ هديّ قوافٍ ميسكٌ صفحتها الحبرُ

فأجابه الوزير أبو القاسم بقوله^٣ :

أما ونسيم الروض طاب به فجرُ
تجافى^٤ له عن سيره زهرُ الرُبي
فني كل سَهَبٍ^٥ من أحاديث طيبه
وهبَّ له من كل زاهرةٍ نَشْرُ
ولم يدِرْ أن السرَّ في طيبه جهراً
نماثمُ لم يعلّقْ بحاملها وزرُ

١ مضمن من شعر أبي تمام ، وصدر البيت ، أتاني مع الركبان ظن ظننته (ديوان أبي تمام ٢ :

١١٥) ، وعند هذا البيت ينتهي ما ورد من القصيدة في القلائد والخريدة .

٢ د : المجد .

٣ القلائد : ١١٢ والخريدة ٣ : ٢٩٦ والمغرب ١ : ٣٤١ والمطرب : ١٩٠ .

٤ المطرب : طاب له نشر .

٥ المغرب والقلائد والخريدة : تجافى ، المطرب : يحامي .

٦ المغرب والقلائد والخريدة والمطرب : نشر .

٧ المطرب : سر .

لقد فغمتني من ثنائك نفحة
تضوع منها العنبرُ الوردُ^١ فأنثت
سرى الكبيرُ في نفسي بها ولربما
وشيب^٢ بها معنى من الراح مطرب^٣
أبا عامرٍ أنصف أخاك فإنه
أمثلك يبغي في سمانِي كوكباً
ويلتمسُ الحصاء في ثغب^٤ الحصى
عجبتُ لمن يهوى من الصفرِ تومة
تطأبتها مردودةً اللحظِ برزة
هي الثيبُ استعصت علي وإنما
فلونكها عذراء لم يعد وجهها
بذلت لها نقداً من الدرِّ غالباً
ولاني لصبُّ بالتلاقي وإنما
أذوبُ حياءً من زيارةٍ صاحبِ

قوله : « ففني كل سهب من أحاديث طيبه » كقول أبي المغيرة ابن حزم^٥ :

١ المطرب : الند .

٢ المطرب : صرامِي ؛ المغرب : ضرائبها .

٣ ط : وشتت ؛ د : وشتت ؛ م والقلائد والحريدة : وشتت . . . مطرباً .

٤ الثغب : ما بقي من الماء في بطن الوادي ؛ المطرب والقلائد والحريدة : ثغب .

٥ هذا البيت نهاية القصيدة في المصادر المذكورة .

٦ ط م س : ولا .

٧ القسم الأول : ١٧٩ .

وَرَرْتُ بِالْحَظِّ تَدِيرُ كَوْسَهَا فِينَا فَتَشْرِبُهَا حَلَالًا مَسْكِرًا

وقوله : « أمثلك يبغي » ... البيت ، كقول الآخر ^١ :

أَعْنَدَكَ الشَّمْسُ تُسْرِي فِي مَطَالِمِهَا وَأَنْتَ مُشْتَغَلٌ بِالْحَظِّ^٢ بِالْقَمَرِ^٣ [٦٣ب]

وَأَرَاهُ عَكْسَ قَوْلِ حَبِيب ^٤ :

إِذَا الشَّمْسُ لَمْ تَغْرُبْ^٥ فَلَا طَلَعَ الْبَدْرُ

وقال أبو الطيب :

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحُلِ

انتهى ما أثبتته من كلام الوزير أبي القاسم ، وهو أبهى من النجوم وأبهى ،
وأسرى من النسيم وأسير ، وكنتُ جديرًا باستقصاء أخباره ، وحميد آثاره ،
لا سيما ومزاره كُتِبَ ، وبينني وبينه من ذمام الأدب . والتزام الطلب ،
سبب ونسب ، ولكنَّ النواثب زاحمت ضماثري . وضربتُ وجوهَ
خواطري ، فما دفع إليَّ عَفْوَاً تَلَقَّيْتُهُ وَوَعَيْتُهُ ، وما كانت فيه أدنى كلفة
رجوته وأرجيته ، ولا بأس من الزيادة إن انتهجت سبيل ، والله نظرٌ جميل ،
وفيه مطمع وتأميل .

١ هو أبو تمام ، ديوانه ٤ : ٤٦٤

٢ الديوان : الاحشاء .

٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٦٨ وصدر البيت : « وقالت أُنشئ البدر قلت تجلداً » .

٤ د : تشرق .

٥ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

فصل في ذكر ذي الوزارين الكاتب أبي القاسم

محمد بن عبد الغفور^١ صاحب المعتمد^٢

وكانا قبل تمكن السلطان ، رضيعي لبان ، أمهما الكأس ، وفرسي رهان ، ميدانها الأنس ، فلما أفضى الأمر إليه ، وأدير رحى التدبير عليه ، أراحه تِلاعه ، وعَصَبَ به خِلاقه وإجماعه . وتوفي ذو الوزارين في عنفوان شباب ذلك الملك ، وهو منه بمكان الوساطة من السلك ، فقال المعتمد فيه من جملة أبيات يرثيه^٣ :

أبا قاسم قد كنتَ دنيا صحبتها قليلاً ، كذا الدنيا قليلٌ متاعها

وقد وجدتُ لأبي القاسم شعراً إن لا يكن شديدَ المِثْنِ ، أزور الركن ، فإنه مليحُ الاطرادِ ، سَلِسُ القيادِ ، يقربُ من متناوله ، ويدلُ على قائله ، ولم يقعْ إليَّ وقتَ تحريري هذه النسخة شيءٌ من شره ؛ وفيما

١ له ترجمة في المطمح : ٢٩ والمغرب ١ : ٢٣٦ والحريدة ٣ : ٤٣٧ والنفع ٣ : ٥٥٢ (نقلا عن المطمح) . وهو جد صاحب «إحكام صنعة الكلام» (تحقيق د. رضوان الداية، بيروت) .

٢ قد أشار صاحب إحكام صنعة الكلام الى جانب من هذه العلاقة (ص ١٩٧) وأورد بجلده بيتين طيرهما للمعتمد حين كان المعتمد ما يزال يلقب بالظافر ، وهما :

ظفرت بالأعداء يا ظافر ونلت مجداً نوره باهر
فمنك الباغي والمبتغي غضب جراز وندى غامر

ففك المعتمد المسمى .

٣ انظر إحكام صنعة الكلام : ١٩٨ .

أثبت هنا من مقطوعات شعره ، شاهد صادق على ما أجريت من ذكره .

فمن شعره يخاطب أحد أعيان بني الدب^١ :

يا وزيراً تنو له الوزراءُ	ضاق ذَرْعِي وبانَ مني العزاءُ
أمنَ الحقّ أن أكونَ سقيماً	لستُ أرجى وفي يديك الشفاءُ
يا كبيرِ وسيدي وظهيري	كُنْ نصيري على أناسٍ أساعوا
قد توقفتُ في الشهادةِ حتى	حرّمَ اليأسُ ما أحلَّ الرجاءُ
ولقد تعلّمتُ محضَ ودادي	وثناني ، وقلَّ فيك الثناءُ
ولكم سائلٍ أطالَ سؤالي	هل على الأرضِ مَنْ لديه وفاءُ
فجعلتُ الجوابَ منه مقالي	ليس يخفّي على العيونِ ذُكاءُ
إن جهلتَ الوفاءَ في أهلِ حمصٍ	فبنو الدبِّ سادةٌ زعماءُ
فيهمُ عفةٌ وفيهم وفاءٌ	ولهم ذمةٌ وفيهم حياءُ
وزراءُ أكابرُ كرماءُ	علماءُ أفاضلُ حلماءُ
أيُّ قومٍ وأيُّ أعلامٍ مجدٍ	أنجبتهم إلى العلا آباءُ
يفخر الدهرُ منهمُ بأناسٍ	ليس إلا لهم يدٌ بيضاء [١٦٤]
مَنْ يجارِ الوزيرَ أعني أبا مر	وان في الفضلِ طال منه العناءُ
من يجاريه في متانةِ دينٍ	وعليه من الحياءِ رداءُ
أورثَ المجدَ والمكارمَ نجلاً	منه هامتْ بمثله العلياءُ

١ هذا المخاطب هو الوزير أبو مروان ابن الدب كانت له منية بدوة اشبيلية ، وكان صهره هو الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبي أمية (انظر المطمح : ٢٨ - ٢٩ والنفع ٣ : ٥٥٠) .

فات أهل الزمان فضلاً ومجداً وذكاءً وأين منه الذكاء
المعياً مهذباً لودعيّاً للمروعات في يديه لواء
وإذا ما اعترى لأكرم خال وقف الفضل عنده والسناء
ولعمرُ العلا وسُمرُ العوالي إنه خير من تُظِلّ السماء
يا عمادي ومنّ عليه اعتمادِي عش كما شئت مُدركاً ما تشاء
ولئن كانت النفوسُ فدائي إن نفسي لملككم لِفداء

في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الغفور^١ ،
ابن ذي الوزارتين أبي القاسم المذكور ،
واجتلاب قطع من شعره ، ولمع من نثره

وأبو محمد هذا في وقتنا عارض^٢ إذا همع استوشلت البحار ، ونجم^٣
إذا طلع تضاءلت الشمس والأقمار ، وهو أحد من آوى من الحسب
باشيلية إلى ثبج عظيم^٤ ، ومشى من الأدب على منتهج قويم ، سابق

١ م : العليل ومن .

٢ قال صاحب المغرب (١ : ٢٣٦) « ذكره الحجاري فقال : قطع الله لسان الفتح صاحب
القلائد ، فانه شرع في ذمه ، بما ليس هو من أهله ، والله ما أبصرت عيني شخصاً أحق بفضله
منه . . . » وما قاله الفتح فيه (القلائد : ٦٠) : فانه بادي الهوج ، وعمر المنهج ، له
ألفاظ متعقدة ، وأغراض غير متوقدة . . . وربما ندرت في نثره ألفاظ سهلة الغرض ، مستنبلة
الغرض ، وهذا الذي يقوله ابن خاقان ذو حظ كبير من الحقيقة ، ويتبين ذلك من قراءة
رسائله فان القموض - بسبب التقعر - يرين على صفحاتها ؛ وانظر أيضاً في ترجمته :
الخريدة ٣ : ٢٩ ؛ ونقل عن اليسع قوله إن ابن عبد الغفور كان كاتباً بمراكش سنة ٥٣١ .
٣ ونجم . . . عظيم : سقط من م س .

لا يُنْسَحُ وجهه إلا بهيادبِ الغيوم ، وصارمٌ لا يحلى غمده إلا بأفراد
النجوم؛ وكان نشأ بين يدي أبيه من دولة المعتمد، بحيث يفىء عليه ظلالها،
ويتشوفُ إليه قبولها وإقبالها ، وانشقت تلك السماء قبل أن ينوبَ متابَ
سلفه في سرُّجها ، ويحلَّ بيتَ شرفه من أبرجِجها ، والله هو ، فلئن كان
نبا به الأوان ، وضاقَ عنه السلطان ، فلقد نهض به جنانٌ يندفقُ بالغرائب ،
ولسانٌ يقرى شبا النوائب ، وإحسانٌ يملأ أفاصي المشرقِ والمغرب .
وقد أخرجتُ من غرائب نظمه ونثره ما يُخجِّلُ الخلود ، ويعطلُ
السوالف الغيد .

فصول من كلامه في أوصاف شتى

له من رقعة خاطب بها بعضَ أهلِ عصره ، وافتتحها بهذين البيتين^١ :

لولا عدى غاظوا الصديقَ قَ بِنَقِيهِمْ عني الكتابه
لم أوذِ سَمْعَكَ بالهراً ءِ ولا انحرفتُ عن المهابه

لعمرى — وإن كان نفى^٢ منفيًا ، وتفرَّع^٣ صديقاً حفيًا — لرب
أعجمَ ضَجِيرَ فأفصحَ ، وأجذمَ عُيْرَ^٤ ففدحَ ؛ وإن لم يُستألفًا بَعْدَ

١ وردت الرسالة في العطاء الجزيل : ٣٢ .

٢ د : وان كان لعمرى بقي .

٣ ط م : وتفرع .

٤ د : غير ؛ ط م س : عمر .

الإفصاح ، وما شقَّ من كُلفة^١ التحاملِ في الاقتداح ، لم يؤمّنّا على ذكرِ
 ميت ، وإحراقِ بيت : فله من احتال لتخلصه^٢ ، ولم يُعجّبْ بتخصّصه ،
 ودفع بيد جلدِه ، في صدر حُسّده . وفي هذه الحملة بلاغٌ لو ارتضيت^٣
 بها مُستقصاً . ولم يرني^٤ بالاختصار عليها متخرّصاً ، في الكتابة متلصصاً ،
 إذ لعله ممّن يظنُّ الإيجازَ حصراً وانقطاعاً ، ولا يعتقدُ الإجادة مع الاسهاب
 شيئاً موجوداً ولا مستطاعاً . لا جرمَ أني بحكمِ هذه التقيّة ساطيل قصصاً ،
 وأنطلبُ فيما لم يطرُقْ من القولِ قنصاً ، ليعلمَ من ناف^٥ ، ومن جلف
 جاف ، بل من نزرٍ حقيرٍ خاف ، أتتني من كتابٍ وقته ، وإن رَغِمَ أنفُ
 مَقْنَتِهِ ، والله ما عرفتهُ إلى اليوم ، ولعلي سأعثر عليه في النوم ،
 فأعرفه : مِنْ أَرَعَنَ ناقصِ الوزنِ والصرفِ فأصرفه ، بسمّةٍ من الهونِ
 تشغله بنفسه ، وتخلّجه^٦ في رَمْسِهِ ، والله يفنيه ، [٦٤ ب] ولا
 يعرفنيه ، وينزّههُ عن شخصه الوضيرِ الدّئيسِ عائرٍ سهامي ، ومن عِرْضِهِ
 القديرِ النجسِ طاهرٍ كلامي .

وكأنني بفارس هذه الصناعة ، ومالك أزمّة البلاغة والبراعة ، قد
 سمع هذري ، وضحك من ضجري ، وعجّب كريمة ودّه ،

١ العطاء الجزيل : كلمة .

٢ د : بتخلصه .

٣ العطاء الجزيل : أَرْضِيت .

٤ م : ترني .

٥ العطاء الجزيل : عليه .

٦ أي الذي نفى عنه القدرة على الكتابة .

٧ م : وتحجبه .

وعقيلة عهده ، من خاطب ، بِسَخَفٍ^١ مخاطب ، في ليلٍ من الجهل
 خاطب ، لم يأت خِطْبَتَهَا من بابها ، ولا رفق في طَلابها ، وهيهات لمرتقب
 الشعري ، من ملابس الكرى ، والمثل أُملي في ذلك السماء ، من تقصير في
 الاحفاء ، ولكن صَدَرَ التحبير ، بما يشتمل على الضمير ، فمضى سمح
 لغيره بمكانه ، فقد ضُرم فجاء قبل أوانه ، وكُلِّفَ نضجاً ولات حين
 إِيَابِهِ^٢ ، وسأمرها من جميل الثناء مَهراً تشمه زهراً ، وتختمه نجوماً
 زُهرًا ، وترده كثرًا ، وتحمده عيناً وأثرًا ، وتحمل^٣ من بهائه تاجاً
 تنو الشمس لضياؤه ، وتفرق في لجة لألانه ، فيكون بدعاً من المهور ،
 ويفخر دهره على سائر الدهور ، بمقتضى ما التزمت شروط الوفاء فيه ،
 وحرمت من غدر بني الأيام صِحة مَبَانِيهِ ، ولو اكتفيت بما مضى عليه
 سَلَفُنَا الكريم ، وتبعتم ولم ترم مركها منه أعظمهم البالية الرميم ، من
 صفاء ود^٣ يُعدي الجار فضلاً عن البنين ، ووفاء عقد يشي النار عن أن تحرق
 بالطبع أو بالمماسّة عدد سنين ، أحرزت من الفضل نصاباً تجب فيه الزكاة ،
 وحيث من الفصل قصاباً لا تدركها الكُفَاةُ ، ولا تبلغها العُفَاةُ ؛ على أنه
 لا شيء أغرب من عقل يمتار مما في يديه ، ولا يحتاج إلى صدقة عليه ، ولا
 من فضل يتجاوز غلوة سَهْمٍ ، فضلاً عن غاية شهْم .

وكنتم قد استغنيت بما أصَلُّوا ، ولم أقطع بهذا الاستئناف ما وصلوا ،
 إلا أني وجدتُ نَسَبَ أدبِهِ قد كَلَّ ، ورَسَمَ سببه قد اضمحل ، والكلالة

١ المطاء الجزيل : من خاطب سَخَف .

٢ ط م د س : إِيَابِهِ .

٣ المطاء الجزيل : وتحميل .

في الآداب ، أمس^١ منها في الأنساب ، فاعتمدت بهذه النأمة سداد خلل ،
وعماره طلل ؛ وشائع مجده كان أولى بهذه الرتبة من التهمم ، وأهدى
إلى سنن الفضل والتكرم ، إذ كان أفصح^٢ في القول طلقاً ، وأحسن في
در كليمه العذب سرّداً ونسقاً ، فكيف تزل لي عن صهوة الانتداء ،
وتوفر عليّ خطة الاقتداء ، هذا إذا قدرت ، وما أراها إلا كأختها قد تعذّرت^٣ ،
ليس إلا لمكاني^٤ من الحرمان والحمول ، وكل عذر يُدفع به في نحر هذا
الصدق فقير مقبول .

وقد حطبتُ وخطبتُ ، وسببتُ بل ضربت ، وتكاتبتُ حتى كتبت .
ولو خططتُ في صفحة البدر ، بأنجلي العشر ، أو في غرة الشمس ، بالمعهودة
الخمس ، وصغتُ لفظاً للرقعتين ، محاسن الحديدين ، لقييل رمى الغرض
فكاد ، ولو نسج على منوال فلان وفلان ؛ لأجاد ، وفلان إذا نقل الأقاليل
توسّط ، وإذا رُفِعَ إلى فطرته الفطيرة تورّط ، فان رأى أن يرجع بالقبول ،
وبما لديه من الرأي الحسن الجميل ، بشرط العلول عن التفريط المخجل ،
واللفظ المشترك المحتمل ، واعتقاد تجريحي في الصناعة بمجرد التبصير ، وتترّبه
خطوه الوَسّاع فيها عن معارضة خطوي القصير ، دلّ على موضعي^٥ من
إيثاره ، وطار اسمي الواقع بيؤمن جواره ، عمّر الله ربّعه بالتأميل ،

١ المطاء الجزيل : أفصح .

٢ م : غدرت .

٣ المطاء الجزيل : بمكاني .

٤ المطاء الجزيل : أو فلان .

٥ المطاء الجزيل : ول على موضوعين .

وَسَمِعَهُ^١ بِالتَّكْرِيمِ وَالتَّجِيلِ ، وَصَدَأُ^٢ هَذَا الزَّمَانِ مُعَذِّبٌ كُلَّ عَقْلٍ ، وَفِي
مَا أُنَوِّكُفُ^٣ مِنْ جَوَابِ كَرِيمٍ مِدْوَسُ^٤ إِمْتِهَاءٍ وَصَقْلٍ ، وَأَزَالُ^٥ جَاهِلَ
شَبَحِي^٦ لَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْدَاءِ ، حَتَّى أُجْتَلِيَ صُورَةُ حَقِيقَتِهِ فِي رَوْنَقِ الْجَلَاءِ ،
وَحَبْذَا تَعَجُّلِهِ قَبْلَ اسْتِيلَاءِ^٧ الْعُجْبِ الْقَبِيحِ ، وَتَكَاتَفَ حُجُبِ الْغَيِّ^٨ عَلَى
مَتْنِ الصَّفِيحِ^٩ ، فَيَعَزَّ صَقَالُهُ^{١٠} ، وَيُعْجِزُ انْتِقَالُهُ ، فَرَأَيْكَ فِي ذَلِكَ مَسَدًّا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَتَخَلَّفَ الْمُخَاطَبُ^٧ عَنِ الْمَجَابَةِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً بِمُخَاطَبٍ قَالَ فِيهِ :

وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — بِجَوَابِهِ لَا يَبْخُلُ عَلَيَّ ، وَقَدْ بَسَطْتُ
لِنَيْلِي بِهِ الْأَمَلَ يَدِيَّ ، وَمَدَدْتُ لِاجْتِلَاءِ السَّرُورِ عَيْنِيَّ ، وَحَتَّى الْآنَ فَلَمْ
يَرْتَدِّ طَرَفِي الشَّيْقُ لِي^{١١} ، بَلْ قَيْدُ بَشْطُورٍ ، تَشَوُّفًا إِلَى بَهْجَةِ تِلْكَ السُّطُورِ ،
فَمَا ظَنَّهُ بِصَفْرِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْأَمَلِ ، نَاطِرًا إِلَى [٦٥ أ] أَحَدِ الشَّقِيَيْنِ كَالْمُخْتَبِلِ ،
بَلْ مَا ظَنَّهُ بِقَوْمٍ يُكْثِرُونَ عَنْهُ السُّؤَالَ ، وَيَضْرِبُونَ فِيهِ الْأَمْثَالَ ، يُوَدُّونَ
لَوْ قَعَدَتْ تَحْتَ الرِّيْبَةِ مِنْ تَأَخُّرِ الْجَوَابِ ، وَأَطَاعَ دَاعِيَ الظَّنَّةِ فِي قَطْعِ رَحِمِ
الْآدَابِ ، لَشَدَّ مَا قَدَحُوا زَنْدَ الْوَحْشَةِ فَصَادَفُوهُ — وَالْحَمْدُ لِلَّهِ — جِدًّا
شَحَاحٍ ، وَأَوْكَبُوا لِنَارِ الْفُرْقَةِ فَلَمْ يَسْتَضِيئُوا مِنْهَا بِمَصْبَاحٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ

١ العطاء الجزيل : وصار .

٢ د ولا زال ؛ م ط : ولا أزال .

٣ كذا يمكن أن تقرأ في العطاء الجزيل . وفي ط : يستحي .

٤ ط م د س : الاستيلاء .

٥ ط م د س : عن .

٦ ط س : الصفح .

٧ ط م س : المخاطبة .

وَرَدَ مِنْ جَوَابِ كَرِيمٍ فَكْتَمْتُهُ كَنْتُمْ الْأَرْضِ ، وَلَمْ أَهْشُ لِنَافِلَةِ الشُّكْرِ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنْ الْفَرَضِ ، وَهِيَاهُ لَوَجْهِ الصُّبْحِ الْمُبْرِجِ مِنْ كَنْتُمْ ، وَلَنْسِيمِ زَهْرِهِ الْمَتَّارِجِ مِنْ خَنْتُمْ ؛ غَيْرُ كَلِمَةِ الْعَذْبِ ، بَلْ لَوْلَاهُ الرُّطْبُ ، يَجْهَلُ لِلْخُمُولِ سُرَاهُ ، فَلَا يَفْضُلُ عَنْ سِرِّ الرَّاحِ سِنَاهُ ، وَلَا يَحْمِلُ مُثْقَلَاتِ الرِّيحِ مِنْ طِيبِ شِذَاهُ ، فَلِيَحْيَتَنَا مِنْهُ بِقِطْطَفٍ يُجْنِنُنَا ثَمَرَ السَّرُورِ ، وَيُعْغِفُنَا مِنْ وَصْمَةِ التَّقْصِيرِ بِنَا وَالْقُصُورِ ، فَمَا زِلْتُ — أَرَاهُ اللَّهُ مَا تَمَنَّاهُ — أَكْرَمَ بَنِي الْأَيَّامِ عَهْداً ، وَأَحْكَمَهُمْ عَقْداً ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْآفَاتِ وَدَاً ، وَأَحْمَدَهُمْ قَرِيباً حَمِيداً وَبَعْدَداً ، وَأَصْعَبَهُمْ عَلَى الزَّمَانِ الْغَادِرِ مَرَاماً ، وَأَشْدَّهُمْ أَنْفَةً وَعِرَاماً ، مِنْ أَنْ يَنْقَادَ طَوْعَ زَمَانِهِ ، وَيَتَصَرَّفَ — وَقَدْ جِئْتُ خَاطِبَ وَدَّهِ فِي تَضَرُّعٍ أَنْفِي بَدَمٍ — عَلَى أَحْكَامِهِ ، لَا هُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ — صَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنْهُ — سَرَّ عَلَى مَا عَهْدُهُ مِنْ تَأْخُرِ كَلِمِي ، وَتَعَثُّرِ قَلَمِي ، وَاسْتَعْجَامِ بَنَانِي ، وَقِيَامِ ظِلِّ الْبَلَادَةِ دُونَ إِحْسَانِي ؛ فَهَلْ شَعَرَ أَنَّهُ قَدْ نَبَلَ النَّاسُ ، وَظَهَرَ النَّسْنَسُ ، وَكَلَّمَ الرَّمْلُ الْهَزَجَ ، وَسَيْطَ غَيْرُ مَا شَيْءٍ فَا مَتَرَجٌ !! وَلِذَلِكَ مَا أَقْدَمَ بِي قَدَمُ الْإِعْجَابِ ، وَاسْتَوْذَنْ لِي عَلَى دَوْلَةِ الْكِتَابَةِ بَعْدَ طَوْلِ حِجَابِ ، فَافْتَتَحْتُ مَطَالَعَةَ حَضْرَتِهِ الْبَهِيَّةِ ، أُرَانِي بَنِيْلَ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ لِلنَّجْمِ رَاكِباً ، وَالسَّعْدِ مَوَاكِباً ، وَإِنْ كُنْتُ مَتَكَاتِباً لَا كَاتِباً ، وَقَاعِداً حِينَ تَطَارَدَ فُرْسَانُ الْكِتَابَةِ لَا جَائِئاً مَعَهُمْ وَلَا ذَاهِباً ، مَا ضَرَّهُ لَوْ قَارَضَنِي عَلَى الْجِدِّ وَلَوْ هَازِلًا ، وَسَابَقَنِي إِلَى غَايَةِ الْوَدِّ وَأَنَا الرَّاكِبُ الْمُنْتَبِئُ فَيَسْبِقُ مُسْتَرِيحًا نَازِلًا ، بَلْ مَا ضَرَّهُ لَوْ فَتَقَّ لَهَاتِي وَقَدْ هَمَمْتُ ، وَسَدَّدْتُ سِهَامَ كَلِمَاتِي وَقَدْ أَلَمْتُ ، بِمَكُونِ الدَّرِّ ، مِنْ أَلْفَاظِهِ الْغَرِّ ، وَمُخْشِجِلِ الزَّهْرِ ، مِنْ حِكْمَةِ الزَّهْرِ ، فَيَدْنِي مِنْ ذِي حَرَصٍ عَلَيْهِ

١ لا كاتِباً : سقط في م س .

أمله ، ويعث جده ، ويكون جمال إصابته له ؛ فلم حرمني جوابه ،
وتغافل عني وقد قرعت بيد الثقة بابه ، ألا سلم للأيام ، في إحالتها طباع
الكرام ، وأنشد :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً^١

كلاً ، لا أسلم لها فيه ، ولا أوجدها^٢ السيل إلى شين معاليه ، ولو
ضاعت هذه الثانية ضياع سراج في شمس ، ولقيت من إعراضه عنها ما
لقيت أختها بالأمس ، فليصل من وصله ، وليعذر في الاقتضاء من
مطله ، ولو غيره عاملي مثل هذا الاتزواء ، وقابلي بأيسر كبير وجفاء
لنظرت إلى كلمة أبي الطيب^٣ :

لا تحسبوا ربكم ولا طلكه أول حي فراقكم قتله
فكنت أقول :

لا تحسبوا قولكم ولا عممة^٤ أول ركن بناصل هدمه

ورب كاتب أثقف مبان ، وأشرف أبيات معان ؛ ولكنه عيني التي
بها أبصر ، وعصدي التي بها أنصر ، فمن ذا الذي يعتمد بسوء بصرة^٥ ،

١ البيت المتنبي : ديوانه : ٢١٨ .

٢ س : أوجدها .

٣ ديوان المتنبي : ٢٣٤ .

٤ س د ط : عمله .

ويقلع^١ نابيه حين ينجي عليه أو ظفـره^٢ .

وله من رقعة : توفي الصبر فهششت لاقامة رسم العزاء ، ثم تذكرت فتأخرت ، وأن نفسي - فاديتته - عيرتني ترك المقال ، وقالت : أين ما ذخرت لهذه الحال ؟ فقلت : أحسن الله عزاء من بكاه ، وأرضى بقبض ذلك الظل من اشتكاه ، حتى يهدي إليه غفراناً ، يلحقه رضواناً ، ويحفه روحاً شهيداً وريحاناً ، ليعلم الهالك - رحمه الله - حيث تصفو العقول ، وتنسى الحسائف السالفة والذخول ، أن الباقي بعده قد عطف على الأول <عطفاً> ، وإلى ما يقرببه إلى الله زُلْفى ، فأهدى سنًا المغفرة ، إلى عظامه النخرة ، وسكره الشّمات ، ولم يحقد على من مات ، وإن كانت العرب قد هجت قتلاها ، وشمّت على مرّ الدهور بموت عيـداها . قال الحصين يهجو من قتله^٣ .

• [٦٥ ب] فلما علمت أنني قد قتلته •

وقال غيره يشمت :

وان بقاء المرء بعد عدوه ولو ساعة من عمره لكثير

١ م ط : ويقتلع ، والتاء غير معجمة .

٢ ط : نظفر ، وفوقها « كذا » .

٣ الحصين بن الحمام المري ، هو الذي يقول لما أكثر القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع :

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

أما قوله « فلما علمت أنني قد قتلته » فانه صدر بيت للقتال الكلابي ، وعجزه « ندمت عليه أي ساعة مندم » (ديوان القتال : ٨٩) .

وقال حبيب^١ :

يا أسدَ الموتِ تَخَلَّصْتَهُ من بينَ لحبيبي أسدَ القاصرة^٢

وقال أبو الطيب^٣ :

قالوا لنا : ماتَ اسحقُ فقلت لهم : هذا الدواءُ الذي يشفي من الحمى

والله يعمّر السيد حتى يرثَ أولياءه وأعداءه ، ويقتضي على الأيام
علاءه وسناؤه ، فليس لهذه المدّة منتهى ، ولا يبلغ منها مدى .

ومن أخرى : وإنما هو دأبُ فلكي ، وجري سُلَيْمِي ، يتأكّد ويتصل ،
وتولّد أسبابه فلا تَفْنَى ولا تنفصل ؛ قال الأول^٤ :

فيوماً على سِرْبٍ نقيٍّ جلوده ويوماً على بيدانةٍ أمٌ تولب^٥

• وتلك المني لو أننا نستطيعها^٦ •

وأنا أقول : فيوماً في سوق فليق ، ويوماً في طحن دقيق ، ويوماً أفتاتُ
فيه بسخت^٧ السويق ، ويوماً أقطّعه على الريق ، ويوماً في شهب ، ويوماً

١ ديوانه ٤ : ٣٦٢ في هجاء عياش بن لهيعة .

٢ القاصرة : موضع على الطريق بين مكة ومصر .

٣ ديوان المتنبي : ٢٢١ .

٤ هو امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٩ .

٥ البيدانة : الاثنان التي تمشي في البيد ولا تقرب الناس ، التولب : الولد الصغير .

٦ فيه إشارة إلى قول البحري : « مى النفس في أسماء لو تستطيعها » (الديوان : ١٢٩٦) .

٧ السخت والسختيت : دقاق السويق ؛ ط د : بسخت ؛ م س : بحت .

بالحامدة ويوماً بالسليق ، سبعة ألقاب ، لسبعة تأكل شِلْوَ الأحقاب ،
تَسَعُ جميع الشهر ، وتجري كالروح في هذا الدهر ، فأنا آلمُ من السليم
بوجهه ، وأشغلُ بهذا الكدِّ منه بأشجعه ، حتى آوي إلى عجوز . لنوبها
الترادفة مَنْ يجوز^١ ، آونة تَطْلُبُ بميت^٢ سور ، وآونة بينان جسور^٣ .
وما في إناء رزقها المكسور . مِنْ بِلالة سور^٤ ، ولم يبقَ على هذا القياس
بعد مَغْرَمِ الثُّغُورِ والدروب ، إِلَّا أَنْ تُشَمَّرُ عن ساقٍ للحروب ، وإنما
عليهنَّ جرُّ الذبول ، وعليها إجراء الحيول ، فان رأى — أعزّه الله — أن
يُعْفِيها ويكفيها ، فلها أمثال^٥ ، في ربّات الحجال ، وفي ذوي اليسار من الرجال .
وقد تقدم أمرُ الأمير باعفاء النساء ، بيمنٍ فالقوادم فالחסاء ، فما شأن هذه
المرأة تُخَصُّ بالغرامة ، وتستثنى بهذه الحضرة من الكرامة ؟ أفَتَرَاهَا التي
دَلَّتْ على ضيف لوط ، فَتُسَعِّطَ من قاتِلِ الظلم هذا السَّعُوطُ ؟ كَلَّا ولكنها
أَمْ كاتب هذه الرقعة التي لو فُسِّرَتْ لفصحاء يونان ، لعضُّوا من حسرة
التقصير عنها البنان .

وله من أخرى : جُعِلْتُ فداك ، هل ظَفِرَتْ بمطلوبٍ يداك ؟ كَلَّا
ولكنك رأيتَ سراباً ، فحسبتهُ سراباً ، وَغَرَّتْكَ دُمَانَةٌ ، تحنها غَنَائَةٌ ،

١ ط د س : يجوز .

٢ م : ميت .

٣ ط : بلقيان حيور .

٤ سور : مخففة من سور أي بقية .

٥ د : امتثال .

٦ من قول زهير (ديوانه : ٥٦) :

عفت من آل فاطمة الجواه فيمن فالقوادم فالחסاء

وسكون^١ ، لا يصلح إلى جانبه ركون^٢ ، وبحكم الرغبة والحرص ، كانت فراستك في ذلك اللص^٣ ، وإلا فصمت عبي^٤ ، لا يذهب على ألمعي^٥ ، ودمع^٦ فاجر ، لا تروى منه المحاجر : وإذ قد نبا حدّ عتابك من قرع^٧ ذلك الحجر الصلد ، كما أعيّا قبل ذلك على ذي مِرّة جلد^٨ ، فمن العناء^٩ معاناته^{١٠} ، ومن الدناءة قُربُه ومداناته^{١١} ، فاستشعر اليأس^{١٢} منه ، واصرف عينان التريب والعذل عنه ، فانما هو كذّيب في ثلّة^{١٣} ، بأرض مدلّة^{١٤} ، في ليلة بعيدة مسافة^{١٥} الصباح ، قعيدة روعات الصراخ والنباح ، يتملأ^{١٦} من دمائها ، ويهزأ هذا الخبيث من ثغائرها^{١٧} ، بل هو أعق^{١٨} من صبّ حرب^{١٩} ، في جُحر^{٢٠} خرب^{٢١} ، يخاف على حرشائه من الحرش^{٢٢} ، ولا يعتصم من أعدائه كمعرب^{٢٣} الحرش^{٢٤} ، فهو إلى عقوبه^{٢٥} أنزق^{٢٦} من ذي خرق^{٢٧} ، وقع في حباله^{٢٨} ثم أبق^{٢٩} ، أحسن الله فيه العزاء حيّاً ، وطوى بيد السلو^{٣٠} لهجي بشكايته طيّباً ،

١ ط د : قراع .

٢ م س : المعنى .

٣ في النسخ : لمسافة .

٤ في النسخ : يتملاء .

٥ في النسخ : الحبيب .

٦ م : بكائها ؛ س : بقائها ؛ ط د : بقائها .

٧ الحرشاء : النقية من الحرب ، ولعلها « الحرشاء » أي الجلد ، الحرش : الحك والقشر ،

والحرش أيضاً صيد الضب .

٨ د : بعرب ؛ ط م س : لعرب .

٩ الحرش : الغص والחדش .

١٠ م : عقوبة .

١١ م : حباله أبق .

حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواء أصدق من نار القُرْسِ
في الصدق ، وأبصر في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

وله من أخرى : وصل جوابك فشفى غليلاً ، وبرّد غليلاً ، ونسم من
رَوْحِ الظَّفَرِ بالأمل نفساً بليلاً ، وما كان لِشَرْبِ ودادِكَ العذب أن يستحيل
صاباً ، ولا لمحلِّ مجدك الموفي على الشهب أن ينحطّ نصاباً ، ولا لوفاء منك
رساً ثيراً ، أن يذهب مع الرياح هباءً مستطيراً ؛ عَقْدَةُ ودِّكَ أَحْصَفُ ،
وحجابُ مجدك أضفى من أن يُسْتَرَقَّ وأكثف ، بقيتْ لغماء تجليها ،
ونعماء توليها ، وعلياء تنافس فيها ^١ ، وإنْ أتبعَ سيدي قَرَسَ البرِّ بي
بلحامها ، وقرع عارضُ المسرة تكاتفها والتثامها ، فقد أمكن من الإحضار ،
وروي ظمء آمالي بِمُنْهَلٍ القِطَارِ [١٦٦] .

وله من أخرى : من الأمور الشائعة ، والمعاني المتفقّة الواقعة ، ما يُعَدَّلُ
له في الكتب عن قصْدِ السبيل ، ويؤخذُ في أساليب التطويل ، وشعاب التمثيل
أو التعليل ، فيقومُ عُدْرُ الكاتب ، ويُرْجى الفلاحُ للمكاتب ؛ كالرأي
المستحكم مني في جانبك - أعزّك الله - دون سببِ أحكمه ^٢ ، وأربِ قضى
لمّا عن فأبرمه ، ولكنْ فطرةً في الميلاد ، وحكمةً من خلاقي العباد ،
خفّيت عن أذهان منّا حِدادٍ ، وضربَ بيتنا وبين سرّها المكثوم بسدّ بل
بعدّة أسداد ، فمنّا - معشر الانس - من يجيب المارّ الأجنبيّ لسلامه ،
ويبغضُ البارّ الحفيّ من أخواله وأعمامه ، وربما زاد سوءُ المقدار ، في

١ ط : بنيت ؛ د : بقية ، وسقطت اللفظة من م س .

٢ ط : فيه .

ذميم هذا الاختيار ، فهجر أحد أبويه أو كليهما ، وقد علم أن طآب الجنة تحت قدميهما ، فَقَضَاهُ النوعُ البهيميُّ بقَفَرٍ أثرِ مَرَضِهِ ، وقد غني عن رضاعها ، وزاد على خطوة باعها ، وتبرأ منه الجنسُ الإنسيُّ بموجب عقله ، ومقتضى دليلي برهانه عن الله تعالى ونقله ، فلا هو من البشر في شُكْرِ المحسن إليه ، ولا من البقر في إلفِ القائمِ ولا من الشجر ، بل هو أفسى من الحجر ، ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَشْتَقُّ فَيُخْرِجُهُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ (البقرة : ٧٤) فيكون باذن الله مورداً ، وَتَلَطَّفُ منه الأجزاء فيكحل إثمداً .

وقد لعمرى مُنيتُ بهذا النوع من الولد ، وكدت به أبرح كد ، واشتغال نفسي بِقَسْوِهِ ، بعد حُسُوهِ ، وبعده بعد طول دنوه ، مزج شكيتي ، بالبسط لأمنيّتي ، حتى هرفتُ بما لم أعقِدْ عليه نيتي ، ولا قصدته في هذا المقام برويتي : كالحارف : « اصبحوا الركب اغبقوا الركب »^١ ، والهارفة : « زوجوني زوجوني »^٢ .

• إن اللسان على الفؤاد دليل •

والله^٣ يُحَسِّنُ فيه العزاء حَيّاً ، ويطوي بيد السلو نهجي بهذه الشكاية طيباً ، حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواه ، أصدق من نار الفرس في الصدق ، وأبصر في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

١ فيه إشارة إلى النمر بن تولب ، فقد كبر حتى خرف وأهتر فجعل يقول : اصبحوا الركاب (الشعر والشعراء : ٢٢٧ والخزانة ١ : ١٥٦) .

٢ فيه أيضاً إشارة إلى قصة امرأة جعلت تردد هذا القول عندما خرفت وأهترت .

٣ من هنا حتى آخر هذا الفصل مكرر ، انظر ما سبق ص : ٣٣٦ - ٣٣٧ .

وفي فصل منها : وإذا اتفق من المشاكلة ما صدّرنا الكتاب به ، ومن المماثلة ما قد ائثلقت نفوسنا بسببه - وهي كما قال عليه السلام : «أجنادٌ مجنّدة» - فمن حقنا أن نأثلف ولا نختلف ، ونتعاون أعضاء وآراء ، وأقوالاً وأفعالاً ، ونطيب نفوساً ، ونستوي في حُسن العشرة أقداماً ورؤوساً ، فنصرف على الأيام جمالَ أنبائها ، ونرسم في جريدة وفائها ، ونسربل من الحمد لبُوساً ، ونقمع من استيلاء الذمّ معرة وبُوساً .

ومن أخرى : من طال - أعزك الله - أمد ارتياده ، ودوّم به جناح جِده واجتهاده ، في طلبِ كريمِ الأخلاق ، ثم قدر له ^١ به تلاقٍ ، فما أحراه وقد وجده ، أن يشدّ على عِلْقٍ منه يده ، حتى إذا اعتمد اختياره ، وأحمدَ في كلِّ الضرائب آثاره ، شدّ عليه بالعشرِ ، وسجد له سجدة الشكر ، وصان منه بعدُ تيممة ^٢ تاج ، وفارج رتاج ، فأسكنه في جفْنِ ناظرٍ كريم ، وربأ به عن جفْنِ مُتَّخِذٍ من الأديم .

وأنت حقيقةً ذلك العِلْقُ الشريف المشدود عليه ، ومجازاً شبه العصبِ المشرّف ^٣ في المشار إليه ، مَنْ أَحْرَزَكَ أَغْنَيْتَهُ ، أو هَزَكَ شَفَيْتَهُ ، أو استكفأك خَطْباً مستليماً كَفَيْتَهُ ، ولتناهي ودادي فيك ، وتشيعي الشائع لمعاليك ، أقتصرُ معك على لقيةٍ في العام ، وأعتمدها في سَنَيِ الإنعام .

١ له : لم ترد في ط م .

٢ د : وصان منه يمينه ؛ ط د : بعد تيممة ؛ س : تميمه ؛ وفوقها «كذا» في النسخ .

٣ في النسخ : أشبه العصب المشرف .

٤ د : واعتقدها من .

وفي فصل منها: وإنما يثابر على عمارة ما غرس، ويرجع في الإقامة على ما أسس، من استراب ببحث التربة التي احتلها بغيره، واختطها لوقاية نفسه، وأما من أحمد نراه، فقد طابت يقظته وكراه، على أن لقاء سيدي ومشافهته، ومحدثته ومفاكهته، كان أحب إلي، وأمتع لمسمعي، وأجلب لقرّة عيني، ولكنني مشغول بيومي، مدفوع إلى تقوية قومي: وأحارب خيلاً من فوارسها الدهر^١ ولا عدة إلا التجلّد والصبر

قد عدت أعزى من نواة، وكنت أكسى من قطة، فإذا لقيت ذا هيئة خجلت خجل بخاء [٦٦ ب] اضطرت إلى سرار، وفوها همت بافترار، ووزير بل أمير دفع بعد ركوب الفاره إلى ركوب حمار.

ومن أخرى^٢: ربما كان من اللطاف ما لا سبب له، إلا تنفيق كتب كاسدة، وتسويق سلع فاسدة، لأنّ الملّطف أحوج بسوء عشرة إلى تقويم، أو غلظ قشرة إلى ترفيق أديم، ولا أن الشيء^٣ المهدى يسمن ولا يغني من جوع، فيمنع^٤ بالفرح له أو الترح عليه عينا^٥ من الهجوع،

١ س م : تقوية .

٢ صدر بيت للمتنبي، وعجزه : « وحيداً وما قولي كذا ومعني الصبر » .

٣ وردت في العطاء الجزيل : ه وتكرر بعضها فيه ص : ٩٧ .

٤ م ط س : أهل اللطاف .

٥ س م ط والعطاء الجزيل : كنية .

٦ م س ط والعطاء الجزيل : شعرة .

٧ الشيء : سقطت من العطاء الجزيل .

٨ العطاء الجزيل : فيمنع .

٩ ط : سيباً .

لَاهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طُلُوعُ ذَلِكَ الشَّيْءِ النَّزْرِ، مِنْ وَدُودٍ بَرٍّ، أَوْ مَوْدُودٍ رَفِيعِ الْقَدْرِ، فَهُوَ أَوْفَرُ مَا يُقْنَى^١، وَأَبْعَدُ مَا يُتَمَنَّى.

وفي فصل منها : فالمودات ، ما خَلَّتْ من تَهَادٍ مُكَرَّرَةٍ^٢ ، كطبيخ خلا^٣ من اللحم يُدْعَى مَزُورَةً^٤ ، والمهدَى بين يدي هذه الأحرف عدد^٥ كذا من سفرجل ، وتصحيفه عندي سفرجل ، وإذا سَفِرَ عن ثغره جل^٦ ، فالظفر بطارقِ الهمِّ^٧ مجل^٨ ، يشبه صُورَ العذارى ضَمَّتْ بالعبير^٩ ، وتدين بالتميس^{١٠} والتقدير ، كأنما لبستُ من الحرير سَرَقًا ، أو شكتُ بألوانها وجدًا قد بَرَّحَ بها وأرقًا ، بل كأنما سرقتُ الثدي طَوابعَ مسكِ أَحَمَّ ، ضَمَّتْ عليه جوانحها إذ^{١١} خافت الذَّمَّ^{١٢} ، أقداحَ غَرَبٍ^{١٣} ، عَلَّتْ بِمَاءٍ ذَهَبٍ . طُبِعَ من العنبر^{١٤} نواها ، وناب عن شذاها الفائح للشَّربِ ساطع شذاها ، وربما^{١٥}

١ م ط س : مما ينقى ؛ د : يعنى ؛ والتصويب عن العطاء الجزيل .

٢ د : مكدره .

٣ العطاء الجزيل : خلا .

٤ المزورة : نوع من الحساء دون لحم .

٥ العطاء الجزيل : عدة .

٦ ط د : خل .

٧ ط د : مجل .

٨ م ط : بالعنبر .

٩ د : بالتميس ؛ ط م س : بالتمين .

١٠ العطاء الجزيل : ثم .

١١ م ط : الدم .

١٢ ط : أفراح عرب .

١٣ العطاء الجزيل : العبير .

١٤ العطاء الجزيل : ولربما .

فصلت شهياً التفتّاح ، وفكتك بأدواء المعدِ فتكة السفّاح ، وإنّ فاكهة تشبه الثدي ، وتشرّك في بعض صفاتها الهدى ، بلحديرة بأن يحفظها عناقاً ، ولا يعدل بالواحدة منها عناقاً^١ ، بل يجعل فدية قضمها أن تُشدّ وثاقاً ، وتضرب أعناقاً . وإن محلك من نفسي لخصيبُ جنابِ الصفاء ، نقيّ جِلْبَابِ الوفاء ، فصيح طيرِ الثناء ، نصيح جَيْبِ الصناعة والولاء ، وداداً لا يُبلّغ مداه ، ولا تُويس هواجر البعدِ ثراه ، والله يُلحِفُهُ من التمهيد ظلالاً ، ويزيد يانع روضه نُصْرَةً وجمالاً ، حتى لا تكري عيون أزهاره ، ولا تعيا ألسنة أطياره ، ولا يتعرى من ورقِ عوده ، ولا تخشى من حلّ نظام عقوده .

وفي فصل : وعذبُ شَيْمٍ ، لو أنطقها الله لقلت : مَعَشَرَ الأُنيس على شفا ، لن تجلوا في غيري مُرْتَشَفاً ، فردوا نيمراً سائغاً ، وتفيأوا ظلاً سابغاً .

وعرضت عليه رسالة أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجلد المتقدمين في صفة المطر بعد القحط ، فعارضهما برقعة قال فيها^٢ :

ولله جلّت عظمته أوامر تحيل المنيرة عن طباعها ، وتسلب^٣ من حصي المعزاة فضل شعاعها ، وتردّ في خِلْفِ تمرية حَلَبِ ارضاعها ، لا

١ العطاء الجزيل : تحفظها . . . تعدل . . . م ط : عماقاً .

٢ وردت في العطاء الجزيل : ٩٧ ، ١٢٩ ؛ وانظر ما تقدم : ٢٨٩ .

٣ العطاء الجزيل : وتسلب .

٤ في النسخ : من خلف الممرية جلب ؛ م : يجلب .

تُلْحَقُ بسوابق الرهانِ ، في ميادين الأذهان ، ولا تُدْرِكُ بقداح القمار ،
من معليات الأبصار ، تُطْلِعُ المِنَحَ من ثنِيَّاتِ المحن ، وتُخَوِّلُ العاجزَ
الزمنَ ، مُنْقِيسَاتِ الزَّمَنِ ، وقد تَذْهَبُ بما تهب ، وتُغَيِّرُ على ما به تَغَيِّرُ^١ ،
حكمةٌ بهرتْ حقيقتُها زواهرَ الأفكارِ ، وغمرتْ دقيقتُها^٢ زواجرَ بحارِ
الاعتبارِ ، له الخَلْقُ والأمرُ ، وبيده النفع والضّرّ ؛ وإنَّ أحقَّ النعمِ بشكرٍ
لا تَنْضَبُ مُدودُه ، وحمدٌ تتجاوزُ حدَّ المعهودِ حدوده ، نعمى أحييت
بالسُّقْيَا أرضاً مواتاً ، وأنشَرَتْ بِدَرٍّ الحيا أَمْلاً رفاتاً ؛ وقد غَبَطَ طيرُ الماءِ
ضِيَابَ اليهماءِ ، وحجب كاسفُ الرجاءِ نِيَّراتِ النعماءِ ، وشابت مفارقُ
الرياضِ ، وغاضَتِ مُفْعَمَاتُ الحياضِ ، واقشَعَرَّتِ الرَبِيّ ، وحلَّتْ نبتُ
الحاجرِ عَقْدَ الحبِّ ، وباتتْ أزهارُ الغيطانِ ، عليّاتِ الأجنافِ ، تستسقي
نجومَ السماءِ ، وتتوسَّلُ بالشَّيْبَةِ إلى ذواتِ الأنواءِ ، فعندما أُمْسَتْ البسيطةُ
على شفا ، وأجْبَلَّ^٣ المحتفرُ ولم يجدْ مُرْتَشِفاً ، أرسلَ اللهُ تلكَ النعمةَ ، بين
يدي الرحمةِ ، رِيحاً لَيْسَتْ هُبُوبِ النسيمِ ، في الروضِ الحشيمِ ، شديدةَ حفزِ
الغمامِ ، لتدارِكُ ما في الكمامِ ، فنسجتْ بِإِذْنِهِ مَلَأَها ، ورمتْ أُمْرَاسَها
وَدَلَاءَها ، فلما لَمَّتْ قَرَعُها^٤ ، وَوَصَلَتْ بِقُدْرَةِ الخلاقِ قِطْعَها ، سفحتْ
عيونُ تلكَ النجومِ ، بمكنهزِّ الغيومِ ، رحمةً لعليلِ النباتِ ، ورقَّةً لآليلِ
المُهَجَّجَاتِ ، فَتَنُمُ وَشَيُّ التلاعِ ، بيدِ لطيفةِ [١٦٧] صنّاعِ ، ورصعِ

١ المعطاء الجزيل : من منفسات .

٢ في النسخ : تعير ؛ تغير ؛ تفيد وتمنح .

٣ ط م د : رقيقةً .

٤ المعطاء الجزيل : الدجى .

٥ ط م د س : وأخيل .

٦ م ط س : أملت قرعها ؛ د : فرعها .

تيجانُ الأكام ، يَنْطَفِ الغمام السَّجَام ، فاهترت القطاريَّةُ لذلك القطار ،
واشتملت على مُحسِّنِها من الأوطار ، وضحك ثَغَرُ الروضِ بعد عبوس ،
ونُقِلَ إلى سَعَةِ الرحمة من ضَنِّكَ البؤس ، وسحبت فواحقُ الأنهارِ مذانيها ،
ونشرت عرائسُ الأزهارِ ذوائبِها ، ناظمةٌ من لآلِءِ الطلِّ عقودَها ، ماثلةٌ^١
لبَتِّها^٢ من جوهره الرائق وجيدَها^٣ ، تفوحُ مجامرُ أزهارها ، وتلوحُ خفيَّاتُ
أسرارِها ، في مرائي أنوارها^٤ ، فترمي الذاهلَ بريَّها ، ونحيتي النائمَ وما
حيَّها ، مؤذنةٌ بادراكها ، على لسانِ مِسْكها في ساحةٍ مَدَاكها ، وقام
من مترنِّمٍ^٥ الأطيَّارِ ، على منابرِ الأشجار ، خطيبٌ يتلو ما حَبَّرَ من الثناء ،
على سابغِ النعماء ، وسائعِ رحيقِ الآلاء . فيا لها نعمةٌ ما أحسنَ موقعَها ، ورحمةٌ
ما ألطفَ محلَّها من النفوسِ وموضعِها ، لقد برَّدَت حرَّ الأكبادِ ، وشفَّت
غليلَ القلوبِ الصَّواد ، وفديتُ بنفائسِ النفوسِ^٦ والأولاد ، نفَّستُ خناقَ
الآمالِ ، وجلتُ عِقالَ^٧ الإقبالِ ، وكادت تُجْري الأرواحُ في الرَّمَمِ
البوالي ، والحمد لله كما حضَّ عليه منتهى الحمد ، ومَبْلَغِ الوُسْعِ والجهد ،
وما لا يحصره العدَدُ ، وما شاء تعالى من شيءٍ^٨ بعد .

١ ط م : ماثلة .

٢ العطاء الجزيل : ليتها .

٣ ط : وتجيدها ، س : ونحيدها .

٤ ط م د س : استارها .

٥ ط م د س : سر .

٦ العطاء الجزيل : ومحبي .

٧ العطاء الجزيل : عقل .

٨ شيء : سقطت من العطاء الجزيل .

ووصف له أحد إخوانه امرأة ومدحها وحضه على أن ينكحها ، وكان
لذلك الصديق امرأة سوداء ، فكتب إليه ابن عبد العفور^١ :

بينما كنتُ ناظراً في المرأة من شعر أحم^٢ ، ورأس أجم^٣ ، لا أخافُ
معه الدم^٤ ، إذ تقدّمَ رسولكَ إليّ ، بخطبُ بنتِ فلانِ عليّ ، ويرغب^٥ منها
في سعة مالٍ ، وبراعةِ جمال ، ويُقسِمُ أنها لَبَرَةٌ بالزوج بريكة^٦ ، لا
تُخْرِجُهُ عند النومِ إلى أريكة ، ولو يُسْرَتُ — وعياداً بالله — لهذا النكاح ،
لرزقت^٧ قبل الولد منها^٨ آلهَ النطاح ، ولا حاجةَ لي بعد الدّعة والسكون ،
إلى حَرْبِ زَبُونٍ ، وقِرَاعِ بالقرون ، ولو حَمَلَتِ إليّ تاجَ كسرى وكنوز
قارون . فاطلبْ لهذه السلعة المباركة مشرباً غيري ، ولا تسوقها^٩ ولا في
النوم على أبري ، وابتعنْها ولو بأرضِ الأثمانِ لنفسك ، وأضيف^{١٠} عاجتها
النفيسَ إلى أبنوسِ عِرْسِكَ ، ولا عُدْرَ لها في النشوزِ والإعراض ، فانما
حَسَنَ السَّوَادُ الحالكُ بالبياض ، والله بمدّك بِقَرْنَيْنِ قَبْلَ الحَيْنِ ،
ويصنعُ لك صنْعَيْنِ وبيلين ، فَيُسْقِطُكَ بهذا النكاح الثاني كما أسْقَطَكَ
بالأوّلِ لليدين^{١١} .

١ وردت في العطاء الجزيل : ١١٢ .

٢ العطاء : ورغب .

٣ م ط س : ولو رزقت .

٤ العطاء : منها قبل الولد .

٥ ط والعطاء : تسوقها .

٦ م : وأضعف .

٧ في النسخ : باليدين .

ومن أخرى : بلغني من ثناء الوزير الجليل ، النّقَابِ العلامَةِ النبيل ،
سَيِّدِي وَسَيِّدِ أَهْلِ مَصْرِهِ ، بِلِ وَقْتِهِ وَأَعْصَارِ خَالِيَةِ قَبْلِ عَصْرِهِ ، مَا
فَقَعَمَ أَنْوَافَ النُّجُومِ ، وَأَرْغَمَ مَعْطَسَ حَاسِدِي بَمَذَلَةِ الْوُجُومِ ، وَإِنَّمَا
يُبْنِي مِنْ رَهِينِ شُكْرِهِ ، وَمَعْظَمُ شَأْنِهِ الرَّفِيعِ وَقَدَّرَهُ ، عَلَى سَهْمِ ذَرْبِهِ ، أَوْ شَهْمِ
قَدِ ذَرْبِهِ ، أَوْ تَلْمِيزِ أَدَبِهِ وَعِلْمِهِ ، فَكَانَ لَهُ الْفَضْلُ الْأَكْمَلُ بَأَنْ كَلَّمَهُ ،
فَكَانَهُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ ، بِحُكْمِ جَلَالِهِ - أَمِيرٌ شَهِيدٌ لِنَفْسِهِ فَيَتَوَقَّفُ بَيْنَ حَدِّ الْقَبُولِ ،
وَبَيْنَ مَا فِي رَدِّ شَهَادَتِهِ مِنْ خَوْفِ الْحَبُولِ ، وَهَبَهُ مَنْ كَلَّمَ مَكْلُومَ الْهَاجِسِ ،
مَكْلُومَ السَّيِّئَاتِ وَالْمَعَاجِسِ ، قَدْ صَحَّحَتْ فِيهِ الدَّعْوَى لِصَاحِبِ ، وَمُحَسَّنَتْ
الشُّبُهَةَ فِي سَبْقِهِ بِأَوْضَحِ لَاحِبِ ، أَيُّ خَلَلٍ سَدَّ ، وَأَيُّ سَلَبٍ اسْتَرَدَّ ،
لَا بَلَّ أَيُّ خَطْبٍ دَرَأَ ، وَوَطَبٍ مَلَأَ ؟ ! فَاذْ قَدْ اعْتَرَضَ عَلَى مَا قَدْ انْخَلَّ
مِنْ الْإِحْسَانِ ، مَقْدُورِ الْحَرَمَانِ ، فَاذْ فِي حَبْرِي بِهِ حَسْرَتِي . وَفِي الْفَقْرَةِ
الطَّالِعَةِ فَاقْرَتِي ، وَفِي حَطِّي لَهَا حَظِّي ، وَلَا فَائِدَةَ لِهَذِهِ الْأَسْجَاعِ ، سِوَى
تَحْرِيكِ أَشْجَانٍ وَتَوَلِيدِ أَوْجَاعٍ ، فَإِنْ رَأَى - أَعَزَّهُ اللَّهُ - أَنْ أَنْبَذَهَا بِالْعَرَاءِ ،
وَأَطْلَقَ مِنْهَا دَاعِيَةَ الضَّرَاءِ ، فَقَدْ وَافَقَ إِرَادَتِي . وَاخْتَارَ لِي أَجْدَى مِنْ
مَكْنُوبِ إِجَادَتِي . وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الْوَزِيرَ الْجَلِيلَ - سَيِّدِي وَسَيِّدِ أَهْلِ عَصْرِهِ -
حَتَّى يُشْكِيَّ مِنْ شُكَا ، كَمَا ؛ لَمْ يَزَلْ يَرْقُ لِمَنْ بَكَى ، وَيُصَيِّخُ لِلْمَكْرُوبِ
إِذَا شُكَا ، بَعَزَتْهُ .

١ م : رهون .

٢ ط : اكمله .

٣ م ط : الجبول .

٤ كما : سقطت من ط .

وكان الوزير أبو الحسين بن سراج^١ قد خاطب بعض أهل العصر برقعة يشفع لرجل يعرف بالزرزير يقول في فصل منها :

كُتِبْتُ أَحْرُفِي هَذِهِ ، وَالوَدُّ صَقِيلُ الْوِذَائِلِ ، مَطْلُولُ الْخِمَائِلِ ،
جَمِيلُ الْبِكْرِ [٦٧ ب] وَالْأَصَائِلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ أَزْهَارَهُ وَضَوْحاً
وَأَطْيَارَهُ صَدُوحاً ، وَظَبَاءَهُ تِيَامناً وَسُنُوحاً ، بِمَنِّهِ .

ويصل به - وَصَلَ اللَّهُ عِلْوَكَ ، وَكَبْتَ عِلْوَكَ - شخص^٢ من الطيور
يُعرَفُ بالزرزير ، أقام لدينا أيامَ التحسير ، وزمانَ التبْلُغِ بالشكْرِ^٣ ، فلما
وافى ريشه ، وَنَبَتَ بِأَفْرَاحِهِ عُشُوشُهُ ، أَرْمَعَ عَنَّا قُطُوعاً ، وَعَلَى ذَلِكَ
الْأَفْقِ اللَّدْنَ^٤ تَدْلِيّاً وَوُقُوعاً ، رَجَاءً أَنْ يَلْقَى فِي تِلْكَ الْبَسَاتِينَ مَعْمِراً^٥ ،
وَعَلَى تِلْكَ الْغُصُونِ حَبَباً وَثِمْراً ، وَأَنْتَ بِجَمِيلِ تَنَاتِيكَ ، وَكَرَمِ مَعَالِيكَ تَصْنَعُ
لَهُ هُنَاكَ وَكُوناً ، وَتَسْتَمِعُ مِنْ نَعْمِ شُكْرِهِ عَلَى ذَلِكَ أَغَارِيدَ وَلُحُوناً ، دُونَ أَنْ
يَلْتَقِطَ فِي فَنَائِكَ حَبَّةً^٦ ، أَوْ يَسْطَرِّطَ مِنْ مَائِكَ غَبَّةً :

وَإِذَا امْرُؤٌ أَهْدَى إِلَيْكَ صَنِيعَةً مِنْ جَاهِهِ فَكَأَنَّهَا مِنْ مَالِهِ .

وانتهت هذه الرقعة إلى الوزير أبي القاسم ابن الجحد^٦ فعارضها برسالة قال فيها :

١ قد مر التعريف به في القسم الأول ص : ٨٢١ .

٢ التحسير : إلْقَاءُ الرِّيشِ الْعَتِيقِ ؛ الشَّكْرِ : صَفَارُ الرِّيشِ .

٣ ط : اللَّدْنِ .

٤ المعمر : الْمَنْزِلُ ، وَقِيلَ هُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ فِي قَوْلِ الرَّاجِزِ « يَا لَكَ مِنْ قَبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ » .

٥ البيت لأبي تمام من أبيات كتب بها إلى إسحاق بن أبي ربيمي كاتب أبي دلف ، ديوانه ٣ :

٦٠ وَتَمَامُ الْمُتُونِ ٣٦٤ ، ٣٦٦ .

٦ مرت ترجمته في هذا القسم ، ص ٢٨٥ :

حَسُنْتَ لك يَا سَيِّدِي أبا الحسین ضرائبُ الأيام ، وتشوّفتُ نَحْوَكْ
غرائبُ الكلام ، واهترَّتْ مكاتبتك أعطافُ الأقلام ، وجادت على حملك
الطافُ الغمام ، وأشادت بفضلك ونبلك أصنافُ الأنام ، فان كان روضُ
العهد - أعزك الله - لم يُصِبْهُ من تعهدنا طَلَّ ولا وابل ، ولا سَجَعَتْ
على أيكهِ وُرُقٌ ولا بلابل ، فان أزهاره على شِربِ الصفاء نابتة ، وأشجاره
في ثُربِ الوفاء راسخة ثابتة ، وقد آن الآن لِعُقْمِ شجره أن تُطْلِعَ من
الثمر ألواناً ، ولِعُجْمِ طيره أن تُسمع من النغم ألحاناً ، بما سَقَطَ
إليّ ، ووقع عليّ ، من طائرٍ شهيّ الصغير ، مينيّ الاسم على التّصغير ،
فلأنه رجّع بذكرك حيناً ، وابتدع في توبةٍ شكرك تلحيناً ، وحرّك من
شوقي إليك سكونا ، ودمت في قلبي لودك وكوناً ، ثم أسمعني أثناء ترنمه
كلاماً وصف به نفسه ، لو تَغَنَّتْ^١ به الورقاء ، لأذنت^٢ له العنقاء ، أو
ناح بمثله الحمام ، لبكى لِشَجْوِهِ الغمام ، أو سمعه قيسُ بن عاصم في
ناديه ، وبين أعاديه ، لحلَّ الزَّمْعِ^٣ حُبَاهُ ، واستردَّ الطربُ صباه ،
فتلقيتُ فضلَ صاحبه بالتسليم ، واعترفتُ بسبقه اعترافَ الخبير العليم .

وبعدُ فلإني أعودُ إلى ذكر ذلك الحيوانِ الغريدِ ، والشيطانِ المریدِ فأقول :
لئن سَمِي بالزُرَيْرِ ، لقد صَغُرَ للتكبير ، كما قيل « حَرِيقِص »^٤ ، وَسَقَطَ

١ م ط س : تيقنت .

٢ ط : لأدانت .

٣ الزمع : القلق .

٤ فيه إشارة إلى قصة أوردتها القالي في أماليه (١ : ٦٥) وهي أن الأصمعي وقف على غلام
من بني أسد اسمه حريقيص فقال له : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصاً حتى حرقوا اسمك ؟
فقال : إن السقط ليحرق الحرجة .

يحرقُ الحَرَجَ ، و « دويبة »^١ وهي تلتهمُ الأرواحُ والمهج ، ومعلومُ أنَّ
 هذا الطائرَ الصافرَ يفوقُ جميعَ الطيورِ في فهمِ التلقينِ ، وحُسْنِ اليقينِ ،
 فإذا علَّمُ الكلامَ لهجَ بالتسبيحِ ، ولم ينطقْ لسانُهُ بالقبيحِ ، ثم تراه يقومُ
 كالنصيحِ ، ويدعو إلى الخيرِ بلسانٍ فصيحٍ ، فمن أحبَّ الاعتاظَ ، لقيَ
 منه قُسرًا إِيادٍ بعكاظٍ ، أو مال إلى سماعِ البسيطِ والنشيدِ ، وجَدَ عنده
 نُحْبَ الموصليَ للرُشيدِ ، فطوراً يبيكُك بأشجى من مراني أُرْبَدَ^٢ ، وحيناً
 يسليكَ بأحلى من أغاني مَعْبَدٍ ، فسبحانَ مَنْ جَعَلَهُ هادياً خطيباً ،
 وشادياً مطرباً مطيباً^٣ .

ولما طار ببلاد الغربِ ووقع ، وَزَقَا^٤ في أكنافها وَصَقَعَ ، وعانَ ما
 اتَّفَقَ فيها هذا العامَ من عَدَمِ الزيتونِ ، في تلكِ البطونِ والمتونِ ، أزمَعَ
 عنها فِراراً ، ولم يجدْ بها قراراً ، لأنَّ هذا الثمرَ بهذا الأفقِ هو قَوَامُ مَعَاشِهِ ،
 ومِلاكُ انتعاشِهِ ، إليه يقطعُ ، وعليه يقعُ ، كما يقعُ على العسلِ الذبابُ ،
 وتقطعُ إلى العرَادِ الضُّبابُ^٥ ، فاستخفَّهُ هائجُ التذكارِ ، نحو تلكِ الأوكارِ ،
 حيث يكتسي ريشهُ حريراً ، ويحتشي جوفهُ بريراً ، ويحتسي قراحاً

١ وردت دويبة مصفرة لتعظيم في قول لبيد :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل

٢ يعني مراني لبيد في أريد أخيه .

٣ مطيباً : سقطت من م س .

٤ م ط د س : ورقا (ورقي) .

٥ فيه إشارة إلى قول الراجز في الضب :

لا يشتهي أن يردا

إلا عراداً عردا

والمرادة : شجرة صلبة المود .

نميراً ، ويغتدي على رهنه أميراً . فَخُذْهُ إِلَيْكَ ، نازلاً لَدَيْكَ ، ماثلاً بين
يديك ، يترنمُ بالثناء ، تَرْتَمِ الذِّبَابِ فِي الرُّوضَةِ الغَنَاءِ ، وقد هزَّ
قوادمَ الجناح ، لعادة الاستمناح ، وحبرَ من لُمعِ الأسجاعِ ، ما يصلحُ
للانتجاع ، واثقاً بأنَّ ذلك القُطرَ الناصرَ ستَنفِحهُ حَدائِقُهُ ، ولا تلفحه
وَدَائِقُهُ ، لا سيما وَقَضْلُكَ دَلِيلُهُ إلى تُرَعِ رِياضه ، وَقُرْصِ حِياضه ،
مع أنه لا يَعْدَمُ في جنبك حَبّاً ثِيراً ، وخصباً كثيراً ، وعشاً وثيراً :
[١٦٨] .

فإذا ما أراد كنتَ رشاءً وإذا ما أراد كنتَ قليباً

والله تعالى يكفيه ، فيما ينويه ، شرَّ الجوارح ، وبقيه سُؤْمَ الجابهِ
والبارح ، بمنه .

وبعد هذا الهزلِ العجَابِ ، جدُّ كالظَّلَامِ المُنْجَابِ ، وبروزِ صَفْحَةِ
الشمسِ من الحجابِ ، أخطُبُ به من رسائلِك بَكرًا ، أجعلُ نَقْدَهَا
شُكْرًا ، وأبدلُ بها لها من ودِّي مَهْرًا ، وأمتّعُ بها لحظي دَهْرًا ، فإن
فَرَجْتَ لِحَظِّي بَابًا ، ووصلتُ في مواصِلتي أسبابًا ، جدَّدتَ للعهدِ شِبابًا ،
واستوجبتَ من الحمدِ محضاً لِبَابًا . واقراء على سيدي سلاماً أعطرَ من مِسْكِ
دارين ، وأكثرَ من رَمَلِ يبرين ، بحبيبه مع العشيّ شروقًا ، ومع النجمِ
طروقًا ، والسلامُ المعادِ الموصولُ ، ما عَضَّدتِ الفروعَ الأصولَ ، وألِفَتِ
الجفونَ النُصُولَ ، على سيدي ، ورحمة الله .

١ ط س : وصلت .

وله ^١ من أخرى : إنَّ عجباً برُّ الوزير بالزعانف والزرّازير ، وحظُّرُهُ ^٢
 على قلب يكاد من الشوق إليه يطير ، ومن الظمأ يتشكَّى قطعاً ^٣ ويستطير ،
 وإنه مع عَرَضِهِ على نارِ الحفّاء غُدُوّاً ، ونبوّ مضجع الاحتفام به هُدُوّاً ،
 ووصمة التقصير في جزائه ، وممارسة جرّع أرزائه واخترائه ، إن لهيج
 فبذكره ، أو هزّج فبأفانين شكره ؛ فكيف به لو ضاحك من خفي برِّه
 فَرَضَ شُبوبِ شُنانٍ ^٤ ، غَمَرَهُ بنوب عزاليه نَوْعَ الانسان ؟ !

ثم نبدأ من شأن الحيوان برز زور ، لا يعرف حقاً من زور ، مشهور
 في الطير بالضرع ، كثير العاديّة قليل الورع ، كأنما رهطه عبيد للبلابل ،
 ولغطه وقع الحصى المتقابل ، وفي غيره من ذوات الريش ، النازحة بكل
 ضراء وعريش ، أنجب منه على اللّغن ^٥ ، وأحسن تصريف لسان وذقن ،
 كببغا لا تلثم في عويص اللّغى ، وشقنين ، يثير اللوعة بالرنين ،
 كأنما عامرته عند التلقين الرّاء ، وداخلته بعد الظّفير بها امتراء ، فاستظهرها
 بالنكير ، استظهار قيسن بكبير ، وبهجمة في المصاع بكريير ، ووُرق
 كالقيان ، خضبت أرجلها بالعقيان ، فوارت لآلئ في الأجياد ، وزبرجداً
 أنعلت به حوافر الأجياد ، تستر بورق الغصون ، وتشهر بحرق الوجدي

١ الضمير هنا يعود - على الأرجح - إلى ابن عبد الغفور لا إلى ابن الجد صاحب الرسالة السابقة
 وعلى ذلك تعد الرسائل التالية حتى آخر الترجمة لابن عبد الغفور .

٢ د م ط س : وخطره .

٣ القطع : انقطاع ماء البئر في القيقظ ، وأقطعت السماء إذا انقطع مطرها .

٤ الشنان : البارد ؛ ط م د س : شان .

٥ ط م د س : عمر .

٦ اللغن : أن يتكلم المرء بكلام خاص .

المصون، ويَصْقَعُ مشتاقها كالخطيب، ويقعُ على قاسٍ من الأيكِ ورطيب،
 فيلينُ لشجوه ويميد، ويكاد يَنُوبُ^١ له العميد؛ وربَّ عصفورٍ، صَقَرَ
 لذاتِ سفور، فحكّتْ نَقَرَ الزير، وبعثتْ العينَ على الدمع الغزير، وبلبلِ
 حرَّكَ بلابلِ واقداثٍ، وشكَّ القلوبَ بمعايلِ نافذاتٍ^٢، وكاننُ من غَرَدٍ،
 حرَّانَ قلبٍ أو صرَدٍ، يفوت مدى العدِّ، ويملأُ ديار معدٍّ، ولوتقصيننا لما أحصيننا،
 ونضب^٣ عِدُّ الكلام على ثرارته، وعَصَب ريقُ الأقلام على غزارته،
 فلتسهب بما تشهدُ لفضله رجاحُ الألباب، ولتغربُ من مُدرك ثمره بلبابِ
 اللباب، حتى تُبِيرَ على الغريض، يَنَسَقِ كالأغريض، وتَدُلَّ بِسِرِّ
 التعريض، على سرِّ الأضرِب والأعارِض، على أني قد تُحُوميتُ وما
 نُوغيتُ، أي كَأني من الحَقارة أُلغيت، ولا نعيم لعين الوهم^٤ وقد وضحتُ
 شاكلةً اليقين للمتوهم، وسأطَفَلُ^٥ على السمع، وأبذلُ مَذْخُورَ الدمع،
 فأبثُ شجوناً، وأبذلُ نَبْذَ النِواءِ مجوناً، فلا أرقُ البهارة، ولا أخفيضُ
 الجهارة^٦، ولا أصفُ أزاهر، ولا أنعتُ القمر الزاهر، بل أندبُ ربوعاً،
 وأحرزُ العمر أسبوعاً :

١ ط: يدب .

٢ نافذات : سقطت في م س .

٣ ونضب : سقطت من ط س .

٤ ط م د س : والمزب .

٥ نعيم عين : كرامتها وقرتها ؛ س ط : نقيم ؛ م د : نقيم .

٦ م د : شاغلة ؛ ط : شاغلت .

٧ يعني « وسأطفال » .

٨ البهارة : عظم الجسم ، وأرق البهارة نسبها إلى الرقة (أو إلى الدقة) ، والجهارة : ارتفاع الصوت أو حسن المنظر .

وأبكي على فقد الدراهم إذ لها أبا قاسم غيري من الناس يُكْرَمُ

وما سَلَفَ للأدب مع الذهب إخاء ، ولا هاله منه انتخاء ، هذا خالد
موجود ، لا يلحقُ جوهره بِيُود ، وذلك قد راب منه الشحوب ، وأخلق
ذيلُ عُمُرِهِ المسحوب ، فيا لمياه أسجاع هذا النَقَاب تَطْرُدُ لغير حاتم ،
ولأجناء ثمرٍ منها مع ذوات الثقباب تَتَهَدَّلُ على غير طاعم ، ولعراس
نَوْرَها تضاحكُ ثغراً عابساً ، وتستدرُّ جليداً يابساً ، تَبْرَجُ وليس من فِعْلٍ
النَّوَار ، وتأرجُ لأنفٍ لا يعرف فَضْلَ الصَّوَار^١ ، وتعاضمُ على أكفائها ،
وتسرعُ إلى ما دون الحضيض لانكفائها ، وحسبك من نهودها ليهودها ،
وشرودها تعثرُ في أذيال برودها ، فَعَلَّةٌ والله يُنْكِرُهَا الشرف ، وَيَنْبُلُ^٢
عنها المُنْصَرَفُ ، فلتحدث العلياء منها مَتَاباً ، ولتكتفِ بِقَرَعِ هذه
العصا^٣ عتاباً . فشدَّ ما منحت البرَّ عقوقاً ، ومنعت الشيع لها حقوقاً .

طالعت - أعزك الله - بهذه الشكاية مستريحاً ، ومثلتُ لها قلباً قريحاً ، وهو
بحكم جلالها يودعها من الكتمان ضريحاً ، ويُرْضِعُهَا من أخلاف التجاوز
محضاً صريحاً ، فَيَسِّرُهُ اللهُ لبرِّ حرِّ ، وجعله بنجوةٍ من كلِّ ضرِّ .

وله من رقعة شفاعاة للزريزير^٢ المذكور : لله قُطْرٌ باهى بك على الأقطار ،
واستغنى بِخَضِيلِ ظِلِّكَ عن صوب القطار ، أذكرُ نعيم الجنان بِنَضْرَتِهِ ،
وسكَّنَ نافر الجنان بلألاء زهرته ، أي مُحَسَّبَ أنيسٍ وطير ، ومائعٍ

١ في الأصول : السوار ، والصوار : وعاء المسك .

٢ في النسخ : هذا المعنى .

٣ م ط : للزريزر .

من النعم زخارٍ من الخير ، وأدماً لقاطعٍ ، قُطِعَ به معَ الفجر الساطع ،
 وبجى^١ خلص من بحرٍ لُجِّي ، فاهتاج طربَ الجذل النجى ، لهُفاً^٢ يُعْثِرُ
 في البيت على الجنى ، سَبَحَ فقَبَّحَ للشرب الصُّبح ، وَصَدَحَ فقدح لهم من
 نار النوى^٣ ما قَدَحَ ، ولربما نطقَ بالتوحيد ، ويمجدُ عن سَجْدَةِ الشكر
 كلَّ^٤ محيد ، ويهزج ويسنح^٥ ، وإلى رهطين من الطير ينجح^٦ ، مَرَّهوب الصَّقع
 في الديار ، ومحبوبُ السَّجَعِ بأعالي الأشجار ، يُمْتَنِعُ^٧ بشتى أفانين ،
 ويُخْجِلُ^٨ البلابل والشفانين .

وفي فصل منها : حتى اشتد منه الفقار ، واسودَّ فرعُه والمنقار ، ولم
 يكن^٩ به إلى العولِ افتقار ، فنهضَ وكسب ، وأعربَ عن نجرته وانتسب ،
 وأخذَ بالطباع في التوليد ، وصدحَ غرداً بيتَ الوليد^{١٠} ، إلا ما غيَّرَ منه وأحال ،
 ولا يعرف الممكنَ ولا المحال :

لك الله عُشّاً غصَّ^{١١} ليلاً بأفرخٍ بعلبَاءِ فرعِ الأثلةِ المتهدِّلِ
 فيا للعجب العجيب ، ولسانِ هذا الزرور النجيب ، أنطقَه^{١٢} فضلُ
 الوزير بلسانٍ ، نقلَه^{١٣} من نوعِ الزراير إلى نوعِ الانسان ، فشكرو شعر^{١٤} ،

١ م : ربحي ؛ ط : ربحا .

٢ م ط د س : لهفي .

٣ ويسنح : يياض في م ط س .

٤ ينجح : يياض في م ط س ، وفي د : ينجح .

٥ يعني البحري ، ولكن البيت التالي لم يرد في ديوانه ، لأن الكاتب ربما غير فيه ، حسب قوله .

٦ م ط د س : غير .

٧ م ط د س : وسعر .

حتى غلا مِرْجَلُ أَشْرِهِ واستعر ، وأخذ عن وكنيه في الرحيل ، وباع
مُبْرَمًا من العيش بسحيل ، فرشقَ السّماح من جسمه بسهم ، وسبق الرياحَ
عن عزمه بمثل الوهم ، فما احتلّ من الجانب الغربي شرفاً ، حتى اعتقدَ
إلى الجانب^١ المرضي مُنْصَرَفًا ، وشُغِلَ عن النظر في عطفه ، بالنظر في
أسرارِ كَفْيِهِ ، يا له من عازمٍ ، خوافي عادتْ باللائمةِ على القوادم ،
يتمنّى لغرغته بالندم ، أن يُخْضَبَ من أوداجه بدم ، لأنه سَقَطَ من شَجَرِ
زيتونه ، بعقم بطونه ، في هذا العام ومنونه ، على خالياتٍ من الميثر ،
موحشاتٍ مثل جَوْفِ العَيْرِ . ولما نشر جناحاً للإياب ونفت ، وتنفسَ
الصعداءَ والتفت ، أشفقتُ منه لغريبٍ غريب ، وصعدتُ فيه وصوبتُ
نَظَرَ المستثيب ، فشفت له بهذا الكتاب ، يقيه^٢ من السيّد الأوحده حرّاً
العتاب ، وقد تقلّدهُ تيمّةً تكفيه اختطافَ الجوارح في الهواء ، وتثنيه عن
إطاعة البوارح في الالتواء ، وهو بمجده الصميم ، وبرّه العميم ، يشفع ويرفع
ويسوّغه قراحاً وقرواحاً^٣ ، ليمرح في هذه مِراحاً ، وينال من هذه الرّبي
مغدّىً ومِراحاً ، ولو اقتصر من مذنبٍ على مُقْتَضَى المتاب ، لَغْنِيَّ عند
سيده عن شفاعَةِ الكتاب .

وفي فصل منها: ولو صَرَفْتُ فيها الأنفاسَ كلاماً ، والأشجارَ أقلاماً ،

١ ط د : الجانب .

٢ م ط س : لقيه (اقرأ : ليقه) .

٣ القراح : الأرض المخلصة لزراع أو لغرس ، والقرواح : الفضاء من الأرض التي ليس بها شجرة .

٤ ط : مغراً ؛ م س : صفراً ؛ د : ممزاً (اقرأ : مقراً) ولفظه « الربى » زائدة إذ الإشارة بقوله « هذه . . . » وهذه « إلى القراح والقرواح .

والبسيطة قرطاساً ، والدجنّة أنقاساً ، لرأيتني مقصراً لم أبلغ ما أريد ، وكنت أسألُ عوناً واستزید ، وبودّني لتناهي المحبة والولاء ، واعتراني بالأيادي الحسيمة والآلاء ، لو أضحي مكانَ كتابي ، فأسعدَ بالفود عليه ، وأخترمَ من حَيْفِ الزمن الغشومَ بالمثلِ بين يديه ، ولكنه قد حيل بين عبْدِهِ البائسِ وبين مُرادِهِ ، وشُغِلَ بقوتِ يومِهِ لنفسه الشقيّة وأولادِهِ ، فتأخّرَ عن حضرته السنيّة تأخّرَ الكبيرِ ، ونظر إلى سنا حوزته البهيّة نظراً الأسير .

وله من أخرى : مثلك مَنْ لم يَعْدِلْ [به] شُحُّ التجارة ، عن كَرَمِ الوزارة ، ولا شَرَّه المكسب ، عن شَرَفِ المنتسبِ ، فرأى الخطيرَ بعينِ نزاهة نفسه حقيراً ، والجليلَ [٦٩ أ] بحكم جلاله منتسباً فتيلاً ، ولم أوقظك بهذا التنبيه من سِنَةٍ ، ولا نفسي عن إباءِ المنية بالعاجِزة الزمينة ، وقد أوفيتُ رسولك الميزانَ حتى رضي ، وإنه لمحضُ النصيحة فليحظْ عندك فيمن حظي ، بصّرنا الله الرشد فيمن بصّره ^٣ ، وحسبَ إلينا تجنّبَ ما مَقْتَنَهُ من الشحِّ وحَظَرَهُ .

وفي فصل من أخرى : وردَ لسَيدي أيُّ كتابٍ ، بل أيُّ قِطْفٍ من ثمراتِ الألباب ، حيّاً به على البعاد ، وبرّدَ غُلّةَ قلوبِ صواد ، فهجرنا له الزُّلالَ ، وحسبناه السلسيلَ الحلال ، ودرّدره من كاتبٍ أقسمَ بالطور ، لقيّدَ عينيّ بشطور ، تشوّفاً إلى بهجة تلك السطور ^٤ ، وفيها من شغفٍ بها أقول :

١ م : نظير .

٢ م س : نفسه ؛ ط د : نفسه .

٣ في النسخ : أبصرنا ... أبصره .

٤ انظر هذه العبارة ص : ٣٣٠ س : ١٠ .

سطوراً أفادت كلَّ خالٍ بوجنةٍ ، كما خَطَفَتْ منها لماها المباسمُ

سَحَبَتْ ذِيلاً على بلاغةٍ سَحْبَانٍ ، وسرتُ ليلاً فيا فَوْحَ ما بين قرطبة
وبغدان ، ولولا ودَّ يمدُّ بتشوقي إليه النَّفْسُ ، وَوَجْدٌ يمنعُ ثرى ما بيني وبينه
أنَّ يَبْسَ ١ ، لما ناضلتُ فائزاً ٢ كَلِمِهِ بمعراض ، ولا ضاهيتُ جواهره
الحالدة بأعراض ، والله يَصِلُهُ في الأحفاد ، ويحرسُهُ في حوادثِ الآباد ،
ويعمرُ بيشره بِشَرَّةِ الحمد ٣ ، وَيَعْلَمُ به مجاهلُ الأجياد .

وفي فصل منها : شفع الله تلك الغزوة الميمونة بغزوات ، وكتب لنا
في ساحات أعدائه عدَّةَ مواطىءٍ وعدوات ، حتى يُحرِّزَ أسيراً ذا التاج ،
ويفرج عن شخصه مُغْلَقَ الرتاج ، ونثوبَ بغير رضى الكندي ٤ ، بل على
وصفِ النابغة سمي الجعدي ، راضين عن كلِّ عقيلة ، نيرةٍ أسيرةِ القسماتِ
صقيلة ، كريمة مثل الديمة ، تدرى دمعاً على الأجفان ، وتُخفي ترائب
كترائب الجفان ، صُفِّلَتْ بالنعيم ، وصافح عنهنَّ الصفيح كلُّ بطريقٍ
زعيم ، ان اضْطَفِيتْ لم تجيء بِفَسْلٍ ، وتُنَجِبُ بإذنِ الله في النسلِ ،
كعلي بن الحسين وسالم ، والمعتصم ٥ المشهور العين في المكارم ، وغيرهم

١ ييس الثرى كناية عن العداوة والجفاء ، ومنه قول جرير :

فلا تؤيسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مثرى

٢ د : قائد .

٣ م ط س : الحياء .

٤ يشير بـ رضى الكندي إلى قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

٥ م : أسير القصة ؛ ط د : أسر .

٦ ذكر هؤلاء لأنهم أبناء إمام ، وقد أنجب بولادتهم .

من أمير وخليفة ، وذو منزلة في الفضل مُنِيفَةً ، وربّ فخور مختال ،
يدفعُ في هذا بيتٍ^١ القتال^٢ :

أما الإمامُ فلا يدعوني ولَدًا إذا ترامى بنو الإِمانِ بالعارِ
وليس كما زعم ، من عارٍ ، لا بسِ ثوبِ الكِبَرِ المستعار :

لا تُزَوِّجَنَّ بفتًى من أن تكون له أمٌ من الروم أو سوداءُ دعجاءُ
فإنما أمّهاتُ الناسِ أوعيةٌ مستودعاتٌ وللأبناءِ آباء

ما كلُّ الحرائر ، بربّاتٍ^٣ من الجرائر ، ولا كلُّ الإمامِ بمخلاتٍ
في^٤ الانتماء ، وإني مع ذلك لأتوفّرُ على الرّهْطِ ، ولا أرغبُ في رقيٍّ عنه
ولا هبطٍ ، وأنشيد :

لأنّي على شغفِي بما في خُمُرِها لأعفُ عمّا في سراويلِاتها^٥
والله يصرفُ المعترِضاتِ دونَ الواجباتِ ، ويسمعُ عنّا الخيرَ في المحيا
والممات .

١ م ط : البيت .

٢ ديوان القتال : ٥٣ - ٥٥ وروايته :

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الاموان بالعار

أما الاماء فما يدعوني ولدا إذا تحدث عن نقضي وإمراري

والبيت كما ورد في الذخيرة هو رواية سيبويه ٢ : ٩٨ وشرح الفضليات : ٤١٢ واللسان

والتاج (أما) .

٣ غ بهامش ط : بسالمات من .

٤ غ بهامش ط : بقاصرات عن .

٥ ديوان المتنبي : ١٧١ .

وفي فصل : وما زلت معتزياً إلى أدبه ونسبه ، منفقاً من غَرْبٍ ١ كَلِمَةٍ
الرائقِ وذهبه ، مقرأً بفضلِهِ ، معترفاً بتبريزِ خَصْلِهِ ٢ ، مرتسماً في جريدة
من أدبِهِ ودَرْبِهِ ، وأرهفه وذَرَبِهِ ، ولقَّته وعَلَّمَهُ ، وكان له الفضلُ الأكلُ
بأنْ كَلَّمَهُ ٣ : فليصلْ مِنِّي ولداً ثانياً ، وليجبرْ كسيراً وانياً ، وليأسْ
بالكلامِ العَذْبِ ، بل اللؤلؤ الرُّطْبِ ، كلماً دامياً ، أصابَ والعدارُ مُبْقِلُ ،
وما أَجْلَبَ والشيبُ عليَّ مشتمل . وليمنَّ على وليِّهِ ، وغذيَّ وَسْمِيهِ ،
برقعةٍ يَضْمَنُهَا وَجَهَ الحيلةِ ، في مُدَاخَلَةِ تلك الدولة الجَليلةِ ، أَيْدِ الله
سلطانها ، ووطْدَ أركانها ، لينبئَ على ما أسَّسَ ، ويحتني من ثمر النجاحِ ،
ما رَشَّحَ وَغَرَسَ .

وله من أخرى : ما ظنُّهُ بعليلِ ذِلَّةٍ ٤ وقِلَّةٍ ، وهما أشدَّ مرض
وعِلَّةٍ ، عُلِمَ دَاوُهُ ودَوَاؤُهُ ، وتعذَّرَ بُرْؤُهُ وَشِفَاؤُهُ ، وقد أوجبَ النظرُ
الطبيُّ والقياسُ الصناعيُّ إذا عُلِمَ الداءُ ووُجِدَ الدواءُ ، ولم تعترضْ منيةٌ
أنْ يكونَ الشفاءُ ، فهو بحكمِ وَصِيهِ ، وتقطُّعِ أسبابِ الفرجِ به ، أنْزَقُ
من فحلٍ مخفورٍ ٥ ، أو ذئبٍ محصورٍ ، قد ثقلَ على ذويه ، وأبغضه مُحِبُّهُ

١ م ط : عرب ؛ د : عذب ؛ والغرب : الفضة ، وقيل الذهب . والغرب في بيت الأمتى
« تراموا به غرباً أو نصاراً » تعني الفضة .

٢ م ط : حصله .

٣ انظر عبارة مشابهة في ما تقدم ص : ٣٤٦ س : ٥ .

٤ م ط : الجناح .

٥ م س : دولة ؛ ط : دلة .

٦ د : من أن .

٧ م ط س : محل مخفور .

فضلاً عن مُجْتَنُوبِهِ ، ولم أُلْهِجْ بِذِكْرِ قَلْتِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا خَشِيتُ مَعَ الْقُنُوعِ مِنْ إِمْلَاقٍ ، فَأَنَا رَأْسُ الْأَغْنِيَاءِ ، وَعِنْدِي مِنْ كَيْمِيَانِهِ فَوْقَ الْكَيْمِيَاءِ ،
وَفِي ذَلِكَ قُلْتُ : [٦٩ ب]

عَيَّرَنِي بِفَقَارٍ عَاطِلٍ حَلَيْتَ جِيداً بِدَمْعٍ سَجَمًا
بِفَيْ عِزَّةٍ نَفْسٍ لُكْتُهَا مَلَأَتْ مِنْيَ بَطْنًا وَفَمَا

وَجَعَلْتُ مُدَّةَ بَابِ صَلَاحِي بِكُتُبِهِ ، ضَرْباً مِنَ النَّظَرِ لِقَلْبِهِ ، وَلِقَلْبِي
الْمُنْقَطِعِ الْقَرِينِ فِي حَبَّةٍ ، إِذْ كُنْتُ لَا أُخْلِي أَجُوبَتَهَا مِنْ صَحِيحِ الشَّكَايَةِ ،
وَلَا أَقْتَصِرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ سَقِيمِ الْحِكَايَةِ ، فَأَكُونُ قَدْ صَدَعْتُ صَمِيمَهُ
بِتَعْدِيدِ أَلْقَائِهِ ، وَبِتُ غَرِيمِهِ بِمَا عَسَى أَنْ يَتَكَلَّفَهُ مِنَ السَّعْيِ وَيَتَوَلَّاهُ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : جَائِزٌ فِي حُكْمِ الثِّقَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ أَنْ تُرْجَى الْمَمْنَعَاتُ ،
وَتُتَرَقَّبَ بِطُلُوعِهَا السَّاعَاتُ ، مَعَ اسْتِبْلَاءِ الْيَأْسِ عَلَى النَّفْسِ ، كَعَقْدِ
هَذَا الْمَبِيعِ ، الَّذِي عَقَدَ الصَّيْفَ بِالرَّبِيعِ ، فَكَأَنَّمَا وَقَفَ الزَّمَانُ فَلَا جَزْؤُهُ
الْوَاقِعُ وَقَعَ ، وَلَا مَاضِيَهُ انْقَطَعَ ، وَلَا مُتَنَظَّرُهُ أَطْلَعَ ، وَإِنَّمَا هُوَ جِزْءٌ دَائِمٌ ،
وَنَفُوسٌ عَلَى الْوَرْدِ حَوَائِمُ ، وَعَهْدِي بِعِزَّةِ الْفَقِيهِ مُطْلَعٌ بِشَائِرِ ، فَلَا
يَذْكُرُ الْمَثَلَ السَّائِرَ :

وَحَتَّى يُؤُوبَ الْقَارِظَانَ كِلَاهُمَا وَيُنْشَرَ فِي الْمَوْقِ كَلِيبٌ لَوَائِلُ^٢

١ م ط د س : بتعد يدك .

٢ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٧ ، والمثل الذي يشير إليه هو « حتى
يؤوب القارظان » ، انظر القسم الأول : ٧١٦ .

وفي فصل من أخرى : سألتُ الفقيه - أعزّه الله - حاجةً منذ عامين ،
وأخرى مذ شهرين ، ولم تكونا بكبيرتين ، وفي كليهما تَقَضَّ من ودِّي اليدين ،
فليت شعري على أيِّ ودٍّ بعد ودِّي يشدُّهُما ، أو إلى أيِّ عَقْدٍ مِثْلٍ وثيق
عقدي يمدُّهُما ، تالله لَيُدْفَعَنَّ من بني الأيام ، إلى لثامٍ غيرِ كرام ،
أغرَّ من السَّرابِ ، وأغدر من الذُّباب ، وأعقَّ من الضُّبابِ^١ ، وأوهى
حبلاً من مضمحلِّ الضُّباب ، وسأله ثلاثة^٢ والثالثة^٣ الصادقة ، فان قضاها
شكْرَتُهُ ما ذَرَّتْ شارقة ، وان أباهها فخيْلُ عتابي إليه سارية^٤ طارقة .

وفي فصل من أخرى : أنا في فرطِ برِّي بالوزير الجليل - صنع الله له
كلَّ صُنْعٍ جميل - إذا رماني ببهيٍّ شَخْصِهِ الطريقُ ، عَصَبَ من استحيائه
بفِي الرِيقِ ، فلم أكَدْ في التسليمِ عليه أَيْنُ ، وَجَعَلْتُ معرّضاتُ حاجاتي
إليه تَفَرَّقُ وتَبِينُ ، حتى كأنني ما بَتُّ لها أَرْقاً ، ولا طويتُ بها كشْحاً
مُحْتَرَقاً . وكيف لا أَسْتَحْيِيهِ - أعزّه الله - وإنما^٥ ألقاه باسِطَ راحَةٍ ،
أوسائلَ إِرَاحَةٍ ؟ ولولا بَشَرٌ له يُونِسُ ، وتَهْلِلُ من وصمة
الودِّ بَعْضُهم ويؤيسُ ، لما انبسطتُ عليه في أمر ، ولومستني مُهِمَّةٌ بالذَّعِ
من جمر ، وكنتُ قد أعددتُ لِسَعَةِ كَرَمِهِ أَرْبَعَ حَوَائِجَ ، ولعلها عند حرصه
على الفضلِ أَرْبَعُ نَتَائِجَ ، سَلاهِيبَ أو مَرَابِيعَ^٦ ، أشباهها^٧ للجري بنابيع ، وتَأَمَّنْتُ
بعدُ بهذا المنظوم وَجِعاً ، وإن كنتُ متصرفاً لا مضطجِعاً ، ولو سريتُ من

١ انظر في هذه الأمثال : الدرة الفاخرة : ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ .

٢ د : وأنا .

٣ السلاهيبة : الطوال من الخيل ؛ المربيع : جمع مربع وهي الناقة ومعها ولدها وهو ربيع .

٤ م ط : أشبايحها ، س : لشبا بجمعها ؛ د : أشبالها .

الصحة بدليل ، لاهتديتُ إلى ما يليق^١ بقدره السامي الجليل .

ومن أخرى : فما ظنّه^٢ بأمد يوم^٣ يُشيبُ الوليدَ ، ويستخفُّ الحليمَ
الجليدَ ، ولعمري لئن جعل الولدانَ من جهةٍ شيئاً ، ليردَّنَّ الشيخَ اليقَنَ
من أخرى قشياً .

ومن المنظوم الذي ذكر فيها :

يا حَبَّنَا قصدُ الوزرِ	ر وان تُكَلِّفَ في الهجيرِ
ذكرى له ظِلٌ يرفُ	وَيُشِرُهُ ماء نميرِ
نفسى القداءُ لنفسه	من كلِّ دائرةٍ تلورُ
شَهْمٌ حوى قَصَبَ العلا	دونَ الورى بيها وخيرِ
وأقامها بيرة	أَمْضَى من السيفِ الطريرِ
يَهْتِي الأميرَ حُصُولُهُ	منه على العليقِ الخطيرِ
فَعَلَيْتِهِ واقيةٌ تردُّ	قنا ^٤ اللهازمِ تستطيرِ
يا سامياً وهو الصغيرِ	ر بعزمة الرجل الكبيرِ
مهلاً فَضَحَتْ معاشرأ	خانوا الأمانة في الدهورِ
وبنيت ما هلموا فهل	خجلوا لذلك في القبورِ

١ م ط س : ملحق .

٢ م ط : نلته .

٣ زاد في م : ليله .

٤ م : قزور .

٥ م : بنهى .

٦ هذه قراءة خ بهامش ط ؛ م س : فنى .

وعليك من كَلَفَ بما يسديه رأيك أو ينير
عدد^١ النجوم تحية^٢ ولربما قل^٣ الكثير

واه من أخرى : يا سيدي الذي به أفاخرُ الشرفاء ، وأكاثرُ منهم العددَ
الجَمَّ واللِّقَاءَ ، فمن أنوفٍ تُسْعَطُ بالرَّغَامِ ، ومن ألوفٍ تسقُطُ كحروف
الإدغام ، بلغني من ثنائك عليَّ ما به أهرف ، وبالتقصير في جميعه أعرِف ،
ما يزيدُ منه [١٧٠] النَّشْرُ على مِسْكٍ دارين ، ويقلُّ عليه الشكر عددَ
رَمَلٍ يبرين . لله فضلُ نَزَّةٍ ذلك المنطقَ الشريف عن^٤ القَدَحِ ، واستعمله
فيما استولى عليه الشَّخْ ، من التقرِيط والمدح ، لقد ألبسني من السُّرور بتكرُّمِهِ
أضْفَى جلاب ، وكاد يطفئ المشيب في تضرُّمه بكر ماء الشباب ، لم تُدْنِه
الفضائلُ من الحسد ، فشهدنا له فيها بقوة المسد ، ولولا أنْ أَكُونُ مادحَ
نفسه لقلت : شَتَّانَ بين مُنْصَفٍ وَمُنْعَسِفٍ ، وطالعٍ من بين^٥ الكلام
وَمُنْكَسِفٍ ؛ وقد لعمرى كنتُ مضطراً ، وكدتُ أحكمُ لنفسي على
معاصريها طُرّاً ، وذلك بحكم معاشره قَوْمٍ ، يستعذبونَ في جَنَبِ الغضِّ^٦
من كلمي مرَّ عَضَّ اللوم ، أيقاظ هم أم رقود ؟ أم ليس بين الشبه
والذَّهَبِ نقود ؟ فيا مطلعي بِقُرَّةِ عَيْنٍ ، لا منصفٍ لتعين دين ، دَرَّ درُّ
علائك حتى تصبحَ لك الجوزاءُ داراً ، وتسحبَ بها البدرُ إزاراً ، وتعقدَ

١ ط م د س : عد .

٢ ط س م : عل .

٣ د : نير .

٤ م : ومتأسف .

٥ ط د س : بمنصفي .

٦ م : وتسحب بهذا البدر .

عليك الشمسُ أزراراً^١ ، فتفوق محلاً وتهول مقداراً .

وأنفذته من كتاب ، غبَّ قصد الخجل المرتاب ، بنفسه فاديتيه ،
لينظرَ حين مشافهته ، كيف عمَلُ آلياتها^٢ ، في شُكْر موالاتها ، فكان من
الشقاء ، ما تعذَّر من محبوب اللقاء ؛ وَحَمَلَتْهُ المتطبِّبُ أبا فلان ، كريمةَ
رَهْطِهِ ، النَّابِه الذِّكْر في أعلام سِنِّطِهِ ، زعيمَ يهود ، المسودَّ فيهم
المَسود ، بحُكْم التوقُّف عن المِلَّة الخنيفة ، والتردُّد في المذاهب
الأخبارية ، وطويتهُ على كَلِمٍ جاشَ به صدرُ مكْلوم ، وهاجس بمقارعة
أقران^٣ المهوم ، مصدوع مثلوم ، وأريدُ تحقيقَ كَيْفِيَّة حُسْنِهِ ، بالنظر
في مرآة ذهنه الصقيلة ، وتعلَّم كَيْفَةً وَزَنَهُ ، بسجِيَّة إربه الراجحة
الثقيلة ، فان كَلِفَتْ بعد هذا به العيونُ ، ولم يُشَلْ منه الجِرْمُ الموزون ،
فَبَيَّسُنِ^٤ الاقتداء به ، والاهتداء بنجم أدبه ، لا زال عِلْماً نهدي بمناره ،
ونعشو إلى ضوئه ناره ، والسلامُ عليه ما تَلَأَّت الفُورُ^٥ ، وصرَّ العصفور ،
تحيَّةً تراحمها في سَمْعِهِ تحياتُ السُّعُود ، وتملأ رَحْبَ رَبِّعِهِ بإنجاز
مودودٍ منها وموعود .

وله من أخرى : أطالَ الله بقاءَ الفقيه الحليل ما زَحَرَتْ أوديةُ الكلام ،
وانتشرت أوديةُ الغمام ، وصَرَّتْ في القراطيس الأقلام ، وَسَرَتْ إلى
النائمين الأحلام ، ولو علمتُ مزيداً له في البقاء ، ومحلاً فوقَ أرفع الكواكب

١ ط م : ازارا .

٢ ط م س : الاتهاد .

٣ د : أقدار .

٤ في النسخ : فيمن .

٥ الفور : الظباء ، يقال : لا أقبل ذلك ما لَأَت الفور ، أي بصيصت بأذناها ، أي لا أقبله أبداً .

في الارتقاء ، سألته ضارعاً إلى الخالق ، ولو قُرنَت الإجابةُ فيه بالتردّي
من حائق ، بادرتُ ذلك غيرَ رَعْدٍ ، وأقدمْتُ منه على الخطبِ الشديد ،
والله ينيرُ منارَ الأيام ، وينسخُ باثباتٍ^١ عينه آثارَ اللثام . وإن العاقلَ والمتعاقِلَ^٢
لينضحُ بِصُبابَةِ صَبْرِهِ ، حرّاً لا عَجِهمَ المعترضِ في صدره ، فربما أدنى له
ذلك نازحَ مني ، وأثمرَ أحلى من ضربِ العَسَلِ جنى ؛ وقد آثرتُ هذا
النوعَ من المعاشرة ، وانتبذتُ بحمدِ الله من كلِّ نَزَقٍ ومعاصرة^٣ ، مشبهاً
بهما وإن كنت عن توقيهما^٤ بمغزل ، كما ألفتُ الجمجمةَ البيضاءَ^٥ ثالثةً
أثافي المنزل ، فدُعِيتُ أنفيةً^٦ ، وكم باتت بطارقها المستطعم حَقِيَّةً^٧ ، فصبرتُ
عن^٨ اقتضائه موعودَه ، وَحَمَيْتُ لإرضائه كاذبَ طيفي المشفق أنْ
يعودَه ، مبالغةً في أدبٍ لا تُنصِفُهُ الأيام ، ولا تُسَعِفُهُ في أربٍ وقد
جدَّ به الهيام^٩ ؛ وإني إلى لقائه - أعزّه الله - لأشوقُ من الساجعةِ ، وَمَنْ
لِذاتِ الأرقِ براحةِ الهاجعةِ ؟ ! ولو شاء لأغنى بأيسرِ إيماء ، وأدالَ من
غِلْظَةِ^٩ الحرّةِ برقةِ الإمامِ ؛ والآن حينَ فَعَمَ الماءُ الحوضَ ،

١ د : بايات .

٢ ط : والمتعلق ، م : والمتعالي .

٣ ط م : ومعاشرة .

٤ ط د : توقيعهما

٥ ط م س : ثابتة (م : في) .

٦ ط م د س : خفية .

٧ د : حلى .

٨ م : الحمام ، س ط : الحسام .

٩ ط د م س : غلظة .

وغمر التربة وشمل الروض ، ومشيتُ على قدميَّ الأُميالَ ، ودُسْتُ^١
والله بهما ماءَ المني السَّيَّالَ ، ولِيتَ بيبي صيدح^٢ ، قَضَى عَنِّي ديناً فَدَحَ ،
ولكن شَفَعَ خُمُولَ العَطلةِ ، بِخَجَلِ الرحلةِ ، فَقَبِضَ لي إصرانَ ،
وخصِصْتُ بالشَّقْوَةِ من بين الأقرانِ ، وقد كان وعد في حالي بِجَميلِ نَظَرٍ ،
ولما طال عليَّ أمد ذلك الوعدِ المنتظر ، رأيتُ أن أذكر :

وإني لأدري^٣ كيف أَرْضَى وأَقْضِي ولكنَّ الحرمانَ يَقْضِي بَأْسَ أَلْحَى [٧٠ب]
وأَصْرَفُ عن وَرْدٍ وقد غَمَرَ الندى خفيفَ عِذارٍ والهَبْنَقَةَ الأَلْحَى
ومن عَجَبٍ أن يُقْطَعَ كلُّ نَخَةٍ^٤ وأُمنَعَ للقُرْصِ الذي فاتني المِلْحَا

وليس - أعزّه الله - قُرْصَ بُرٍّ ولا شعير ، فأنّه قد يكونُ مَرْتَعَ
بَعِيرٍ ، ومستوقدَ سَعِيرٍ ، إِنَّمَا عَنِتُّ أَرِيضَةً ضَيْقَةً السَّاحَةِ ، تَكَادُ
تُشْتَمَلُ بِظِلِّ الرَّاحَةِ ، وتُلْغَى في كُسُورِ المَسَاحَةِ ، ضَعُفْتُ عن
عِمَارَتِهَا ، وطمس الكَلَأَ عَيْنَ أَمَارَتِهَا ، فَلَوْلَا ضِدُّهَا من جَنَّةِ جَارٍ ،
خَبِثَ الطُّعْمَةُ لثِمِ النَّجَارِ ، جَرَى له بِالْجَرَاءِ قَدَرُ جَارٍ ، فَمَتَى صَدِثَتْ
له صَفْحَةُ أَرْضٍ صَقَلَهَا ، ولو اِشْتَكْتَ إِلَيْهِ نُبُوَ الْمَتَرِ لَنَقَلَهَا ، لِأَصْبَحَتْ
هَذِهِ الْيَابِسَةُ ضَالَّةً أَنْشُدُهَا فِي الْقُرَى ، وَلَوْ وَقَعَ مِنْهَا الْيَأْسُ لَانْقَطَعَ
مِنِي الْقَرَا^٥ .

١ م ط : وجست .

٢ صيدح : ناقة ذي الرمة ، وبمعها يعني التخلي عن شيء عزيز .

٣ م ط د س : لا أدري .

٤ النخه : البقر العوامل أو الحمير أو الرقيق .

٥ القرا : الظهر .

كَبْتُ وَإِنَّمَا يَكْتُبُ الْخَلِيُّ ، وَلَا يَحْسُ غَيْرَ عَوِيلِهِ الشَّجِي ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِحَدِّهِ زَمَاماً ، فَأَحْرَى بَأَنْ تَصِيرَ يَدَاهُ الْبَاطِشَتَانِ أَكْمَاماً ، وَكَأَنِّي بِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - قَدْ قَالَ : بَلْ تَنْفَعُ الْأَكْمَامُ وَتَضُرُّ ، وَيُطْرَدُ بِهَا الْحَرُّ وَالْقَرُّ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الْأَهَمَّ وَالْأَعَمَّ ، وَمَا يَنْفِي الْغَمَّ ، وَيَحْزُرُ الْمَعْنَى الْأَتَمَّ ، لَا قَرَأَ صَابِرَتُهُ حَتَّى انْضَرَمَ وَتَوَلَّى ، وَلَا حَرّاً مَا أَرِمَ عِنْدِي ذَبَابَهُ وَلَا تَغْنَى ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْلَفُ مَنَازِلَ أَهْلِ التَّرَفِ ، وَيَحُومُ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ صَنُوفٍ مَا كَلَّ وَضُرُوبٍ طُرْفَ ، وَإِمَّا لَأَنَّكَ بِسَبَّاسٍ وَحَشِيشٍ ، مُؤْتَدِمٌ بِزَيْتٍ مَبَارَكٍ وَمِلْحٍ جَرِيشٍ ، فَمَا ضَجَرَ مِنْهَا لَغْدَدَةً ، وَلَا جَاءَ نَطَاسِيّاً شَاكِيّاً بَرْدَةً ، فَمَنْ حَيْثُ صَحَّ اعْتِرَاضُهُ ، لَمْ يَحْلَ بِإِصَابَةِ الشَّاكِلَةِ مِقْرَاضُهُ ؛ وَكُنْتُ أَجْدَعُ ٢ هَذَا الْمَقَالَ لَوْ لَمْ أَخَفْ عَلَيْهِ تَطْوِيلًا ، وَإِنْ تَطَارَدَ لِي مَا أَمِلْتُ مِنْهُ شَيْئاً قَلِيلاً ، فَسَوْفَ أَعْدُّ فِي الْبَلْغَاءِ ، وَأُحْسِنُ سَجْعَ ذَوَاتِ الْأَطْوَاقِ بَعْدَ الرُّغَاءِ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : بَيْنِي وَبَيْنَ الْفَقِيهِ النَّبِيهِ ٣ - صَنَعَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ مَا يَشْتَهِيهِ - مَا لَا زِيَادَةَ لَتَنْمِيقِ الْبَيَانِ فِيهِ ، مِنْ وَدٍّ مَفْضَى عَلَيْهِ الْأَسْلَافُ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ فِيهِ عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا بِنُوعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّدَانِي خِلَافَ ، إِذِ السَّبَبُ فِي فُسَادِ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ دَنُوٌّ وَامْتِرَاجٌ ، وَلَمْ يَجْنِ عَلَى الصَّعْدَةِ أَنْ تَبِيَتْ طُعْمَةً لِلنَّارِ إِلَّا الزَّجَاجُ ، كَبْكِرِ الرَّاحِ ، أَمِنَتْ حَوْلًا مُجَرَّمًا مِنْ عَابِ التَّخْلِيلِ ، حَتَّى مُنِيَبَتْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ بِأَشَامِ خَلِيلٍ ، فَجَرَى لَهَا مَقْلُورُ التَّلَاقِ ، بِكَرَاهَةٍ

١ ط : لقردة ؛ م س : لغرده .

٢ م ط س : أجرج .

٣ النبیه : سقطت من ط م .

مَذَاقٌ ، وشِراسَةُ أخلاقٍ ، وإِنِهما بِلَا مَيِّنٍ ، لَمِنْ عُنُصُرَيْنِ كَرِيمَيْنِ ،
 سِلَالةُ غَمَامٍ ، وسِلَاقَةُ مُدَامٍ ، وَأَيُّ شَيْءٍ اصْطَحَبَ إِلَّا انْتَحَبَ ؟! الرَاحَةُ
 - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي الْإِنْفِرَادِ ، وَلَا بَدَأَ مِنَ الْإِصْدَارِ لِلنَّوِيِّ الْإِيرَادِ ، فَاحْمَدُ
 اللَّهُ عَلَى نَوْعٍ مِنَ الْوُدَادِ ، غَرِيبِ الْمِيلَادِ ، كَأَنَّمَا أَصْبَحَ حَبِيساً^١ عَلَى الْأَبْنَاءِ ،
 وَاسْتَمَرَّ مِنَ الْوَفَاءِ بِهِ عَلَى مِثَالِ حَالِ الْبِنَاءِ ، فَمَا تَغَيَّرَتْ لَهُ حَرَكَةُ قَطْ ،
 وَأَنْتَى ذَلِكَ وَلَا يُرْفَعُ وَلَا يُحْطَ ، بَلْ تُجَدَّدُ نَضَارَتُهُ ، وَتُؤَكَّدُ - وَقَدْ
 أَجْدَبَ ثَرَى كُلِّ وَدٍ - غَضَارَتُهُ ، فَمَا شَتَّ لِرَوْحِ ذَلِكَ الْعَلَاءِ مِنْ شَذَا
 ذِكِّي ، وَعَرَفَ مِنْ زَهْرٍ الثَّنَاءِ مَسْكِي ، تَنْدَى بِذِكْرِهِ أَلَذُّ الشَّفَاهِ ، وَتَحْتَرَمُ
 مِنْ الْخُلُوفِ الْأَفْوَاهِ^٢ .

ومنهـم ذو الوزارئين أبو بكر محمد بن عمار^٣

وكان غربي المطلع ، شلبي المقطع ، شنبوسي^٤ المصيف والمربع ، إلا أن

١ ط م : حميساً .

٢ ط م د : زهو ، وسقطت من س .

٣ عند نهاية هذا الفصل في ط بخط مختلف ، ما يفيد سقوط ترجمة الوزير أبي أيوب سليمان ابن أبي مدينة وأبي الحسين القرشي العامري ؛ ولا وجود لهاتين الترجمتين في فهرس الذخيرة .

٤ ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٥ والخريدة ٢ : ٧١ وبغية الملتبس رقم : ٢٢٧ والمغرب

١ : ٣٨٩ والقلائد ٨٣ : ١ والحلة السيرة ٢ : ١٣١ والمطرب : ١٦٩ والمعجب : ١٦٩

ورايات المبرزين : ٢٥ وأعمال الأعلام : ١٦٠ والنفع : ١ : ٦٥٢ (نقلا عن القلائد)

وانظر صفحات أخرى متفرقة ، والوافي ٤ : ٢٢٩ وجبر الذهبى ٣ : ٢٨٨ والشذرات

٣ : ٣٥٦ وللككتور صلاح خالص مؤلف عنه جمع فيه شعره (بغداد ١٩٥٧) وللأستاذ

ثروت أباطه كتيب عنه (في سلسلة اقرأ) .

٥ ط م : شنبوسي .

شعره غرّب وشرّق ، وأشام في نغم الحداة وعلى السنة الرواة وأعرق ،
لا جرم فإنه كان شاعراً لا يجارى ، وساحراً لا يبارى ، إذا مدح استنزل
العُصم ، وإن هجا أسمع الصم ، وإن تغزّل ، ولا سيما في المَعذَرين من
الغلمان ، أسمع سحراً لا يعرفه البيان ، وكيف لا يُرغَبُ في شعره ،
ويُتَنَاقَسُ فيما ينفثُ به من سحره ، وهو يضربُ في أنواعِ الإبداعِ بأعلى
السهام ، ويأخذُ من التوليد والاختراع بأوفر الأقسام ، وقد أثبتُ منه في
هذا الديوان ، ما يشتمل على غرائب الحُسْنِ والإحسان ، وأدرجتُ في
أثناء مقطوعاتِ أشعاره ، نكتاً ولُمعاً من نواذر أخباره ، وذكرتُ آخر
أمره مع المعتمد ومباشرةَ قتله [١٧١أ] له بيده ، وأجريتُ شرحَ صفةِ
الحال ، من المبدأ إلى المال .

وكان قد نشأ والشعرُ بأفقنا أنفقُ ما عُمِدَتِ سوقُهُ ، وأعمرُ ما كانت
إلى الجاهِ والمالِ طريقه ، فاتخذهُ مُدَّةً صناعتهُ ، ثم خلعَ بعدُ طاعته ،
رغبةً عن نِحْلَةٍ سؤددها سؤال ، وأجودُها كذبٌ ومحال ، وكان أبو
بكرٍ من نقائذِ البوسِ ، ونوافضِ الجَدِّ البييس ، أحدَ من امترى أخلافَ
الحرمان ، وقاسى شذائذَ الزمان ، وبات بين الدكّة والدكان ، واستحلّس
دهليزَ فلان وأبي فلان ، جرّتُ على رأسه من ذلك أحوال ، دلّتُ على أن
الدنيا إِدْبَارٌ وإقبال ، وأنَّ عَيْشَ المرءِ فيها تهاويلٌ وأهوال .

بلغني عنه أنه لزّته إحدى ليليه التَّكِرَاتِ ، في أيامه المنكرات ، إلى
انتجاع بعضِ أعيانِ شِلْبِ ، أحدِ مَنْ طُرِفَتْ عنه أعْيُنُ النُّوبِ ،

وَسَعِدَ بِمَا كَانَ ابْنُ عِمَارٍ شَقِيًّا بِهِ مِنَ الْأَدَبِ ، فَاعْتَمَدَهُ بِأَيَّاتِ عَمَلِهَا عَلَى سَبِيلٍ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ وَتَنَكَّرَ لَهَا ، وَبَنَفَسَ لَوْلَا نَفَاسَتُهَا لَقَتَلَهَا ، وَاتَّفَقَ أَنْ قَصِدَهُ بِهَا يَوْمَئِذٍ حِينَ جَنَحَتْ ذِكَاؤُ ، وَصَبَغَتْ الْغَيْطَانُ لَوْنَهَا السَّمَاءُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا تَلْعَةُ عَلِيلٍ ، وَبُلْفَةُ ابْنِ سَبِيلٍ ، أَضْيَقُ مِنْ عُدْرِ الْجَبَانِ فِي الْفَرَارِ ، وَأَقْصَرُ مِمَّا بَيْنَ الْحَيَةِ وَالْعَذَارِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ قِطْعَةَ شَعْرِهِ ، وَهَمَّتْكَ لَهُ الْحِجَابُ سَاعَتِئذٍ عَنْ وَجْهِ عُدْرِهِ ، أَسْرَّ إِلَى غَلَامِهِ بِكَلَامٍ قَصِيرٍ ، فَنَابَ عَنْهُ غَيْرَ كَبِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ فِي يَدِهِ مِخْلَافَةٌ شَعِيرٌ^١ ، وَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا حَضَرَ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عُدْرٍ . فَجَاشَتْ نَفْسُ ابْنِ عِمَارٍ جَيْشَةً أَذْهَمَتْهُ عَنْ اسْمِهِ ، وَكَادَتْ تَسِيلُ عِرْقًا عَلَى جِسْمِهِ ، وَهُمْ بِصَرْفِ نَائِلِهِ التَّزْرِ إِلَيْهِ ، فَفَكَّرَ فِي مُهَيِّزٍ كَانَ يَرْكَبُ عَلَيْهِ ، فَاحْتَمَلَ الْغَضَاضَةَ فِي قَبُولِ ذَلِكَ النَّبِيلِ ، رَاجِعًا بِالْمَلَامَةِ عَلَى هُجُومِ اللَّيْلِ ، مُحْتَجًّا بِكُلِّ بَيْتٍ كَانَ حَقِيقَتُهُ^٢ فِي إِيثَارِ الْحَيْلِ ، وَقَامَ بِخَدِّ الْأَرْضِ بِرَجْلَيْهِ ، وَيُدْنِي بِالْعَضِّ يَدَيْهِ . فَلَمَّا صَارَ ابْنُ عِمَارٍ إِلَى الْحَالِ الَّتِي وَسَّوَسَتْ لِلْعَصْفُورِ بِصِيدِ الْعُقَابِ ، وَسَوَّلَتْ لِلْكَبِيرِ ارْتِجَاعَ الشَّبَابِ ، هَجَمَ عَلَى مَتَرٍ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَقَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الدُّوَلِ ، وَغَصَّتِ الْأَرْضُ حَوَالِيَهُ بِالْحَيْلِ وَالْخَوَلِ ، فَقَامَ يَفْدِيهِ بِمَالِهِ ، وَيَحْسِبُهُ يَوْمَئِذٍ خَطَرَةً بِبَالِهِ ، أَوْ خُلُوعًا بِطَيْفِ خِيَالِهِ ، فَذَكَرَهُ ذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَقَرَّرَهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَالرَّجُلُ يُتَلَاثِي بَيْنَ الْوَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَيَتَمَنَّى لَوْ ابْتَنَى نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ، وَلَمْ يَرْمِهِ أَبُو بَكْرٍ ، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِ قِطْعَةَ الشَّعْرِ ، فَبَرِئَ إِلَيْهِ ابْنُ عِمَارٍ مِنْ تِلْكَ الدَّنِيَّةِ ، وَأَعْطَاهُ مِخْلَافَةً مَمْلُوءَةً بِدِرَاهِمٍ قَاسِمِيَّةٍ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْلَا حُرْمَتُكَ

١ د : من شعير .

٢ د : يحفظه .

لَأَوْجَعْتُكَ أَدْبًا ، ولو ملأت تلكَ أَمْسِ بُرًّا ، لملأت لك اليومَ هذه تبرا .
فسبحان من لا مُنَارِعَ له في خَلْقِهِ ، ولا اعْتِرَاضَ عليه في قِسْمَةِ رِزْقِهِ ، له
النعمة السابغة ، والحجة البالغة .

ثم لحظ ابنَ عَمَّارٍ الاقبال ، وحالتُ به الحال ، وقُلِّدَ الأعمالَ
السلطانية فأنهزمَ فيها وأنجَدَ ، وقام بأعبائها وقعد ، ثم لحق آخرَ عمره ،
وبين يَدَيَّ إِدْبَارِ أَمْرِهِ ، بشغل سرِّ قُسْطَةٍ بعد خروجه من مرسية - في
خبر سياقي ذكره - ولم يزل بذلك الثغر يتردد ، وفسادُ حالِهِ عند المعتمد
يتريّد ، إلى أن كان من خبره ما كان ، حسبما يأتي به الشرح والتبيان .

وأوّلُ تعلُّقِهِ بالمعتمد كان حينَ وجَّهه لحربِ شِلْبِ أبوه المعتضد ،
فترع ابنُ عَمَّارٍ إليه ، وبلغ من المنزلة لديه ، أنْ غَلَبَ عليه ؛ وبعد انتبازه
شلب ، وفراغِهِ من تلك الحرب ، صَحِبَـهُ بحضرة إشبيلية ،
وأحضره معه مجالسَ أنسِهِ ، إلى أن أَوْجَسَ خيفةً في نفسه من أبيه المعتضد ،
ففرَّ عن البلد ، ولحق بشرق الأندلس ، وتمكَّنَ بها من المؤتمن يوسف بن
أحمد بن هود ، فخطب المعتمدَ بهذا القصيد الفريد^١ ، وقد أثبت أكثرُهُ
لاشتماله على البدائع ، فإنه من كلامه الرائقِ الرائع^٢ ، وأوله^٣ :

١ علق ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٤٨) حل هذا بقوله : « ومن فاحش الغلط قول ابن بسام
ان ابن عمار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لغلبته حل ابنه المعتمد » ، لأن هذا كان
قبل ٤٦٠ أو ٤٥٠ بينما تولى المؤتمن في جمادى الأولى سنة ٤٧٤ .

٢ الرائع : سقطت من ط م س .

٣ انظر ابن خلكان ٤ : ٤٣٦ والخريدة ٢ : ٧٣ والروافي ٤ : ٥٤ والمعجب : ١٧٠ والنفع
١ : ١٩ وصلاح خالص : ٢٠٩ - ٢١٩ ومعاهد التنصيص ٣ : ٧٥ والثريشي ٣ : ١٧٥ .

عليّ وإلا ما نباح الحمامِ
وعني أثار الرعد صرخة طالب
وما لبست زهر النجوم حدادها
وهل شقت هوج الرياح جيوبها
خفوا بي إن لم تهدأوا كلّ سابع
من العاصات الدّهم إلا التفاتة
طوى بي عرض البید فوق قوائم
وخاض بي الظلماء حتى حسبته
ألا قاتل الله الجياد فانّها
أشلب ولا تنساب عبّرة مشفق
كساها الحيا بُرد الشباب فانها
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما
ليالي لا ألوي على رشد لائم
أنال سهادي عن جفون^٣ نواعس
وليل^٤ لنا بالسُد بين معاطف

وفي وإلا ما بكاء الغمام^١
لثاري وهز البرق صفحة صارم
لغيري ولا قامت له في مآتم [٧١ ب]
لغيري أو حنت حنين الروائم
لريح الصبا في إثره أنف راغم
إلى غرة أهدت له ثغر باسم
توهمتني^٢ منهن فوق قوائم
له مربوط بين النجوم العوام
نأت بي عن أرض العلا والمكارم
وحمص^٣ ولا تعتاد زفرة نادم
« بلاد^٤ بها عى الشباب تلامي »
قدحت بنار الشوق بين الحيازم
عناني ، ولا أثنيه عن غي هائم
وأجني عذاب من غصون نواعم
من النهر ينساب انسياب الأرقام

١ الوفيات والحريدة والمعاهد :

علي وإلا ما بكاء الغمام وفي وإلا فيم نوح الحمام

٢ الحريدة : توهمتني .

٣ الوفيات والحريدة : من عيون .

٤ الحريدة : وقوم (اقرأ : ويوم) .

بجثُ اتخذنا الروضَ جاراً تزورنا
 يَلْتَفُنَا أنفاسُهُ فردُهُمَا
 تسير إلينا ثمَّ عنَّا كأنَّها
 سقنتنا بها الشمسُ النجومَ وَمَنْ بدت
 وبتنا بلا واشٍ يُحسُّ كأنَّما
 هو العيشُ لا ما أشتكيه من السرى
 وصحبة قومٍ لم يَهْدُبْ طباعهم
 صعالبكُ هاموا بالفلا فتدرَّعُوا
 ندامتى وما غيرُ السيوفِ أزاهري

هداياه في أيدي الرياح النوام
 بأعطرِ أنفاسٍ وأذكى لناشم
 حواسدُ تمشي بيننا بالنَّمام
 له الشمسُ في قِطْعٍ من الليل فاحم
 حَلَلْنَا مكانَ السرِّ من صدرِ كاتم
 إلى كلِّ ثغرٍ أهلٍ مثل طاسم
 لقاء أديبٍ أو نواذرُ عالم
 جلودَ الأفاعي تحت بيضِ النعائم
 لديهم وما غير الغمودِ كئاشمي

يجري ابنُ عمَّارٍ في أكثر ما له من الأشعار جرِّي الجموح ، ولا يقنع
 بالكتابة عن مذهبه إلاَّ بالتصريح ، لأنه كان — سمح الله له — مع ما
 مكنَّ في^١ دهره من تدبير الاقليم ، او انبسطت بنائه في التأخير والتقديم ،
 واجترأ على الأيام ، واقتاد من الجماهير العظام ، زيرَ قيانٍ وغللمان ، وصريع^٢
 راحٍ وريحان ، أمكهُ — زعموا — كان بين شُرْبِ كأس ، وشمِّ آس ،
 وجَدَّكُهُ في نصب حباله ، لغزالٍ أو غزالة ، ترى ذلك كثيراً في أشعاره ،
 وتسمعه أثناء أخباره ، حتى ثلَّ ذلك عَرَشَهُ ، وأوهنَ بطشه ، وطأطأ من
 سموه ، وساقه صاغراً إلى يد عدوه ، ألا تراه كلما نظم أو نثر ، <تغنى> بالنَّاي^٣

١ خالص : مناسم .

٢ ط م : من .

٣ م ط س : وصريع .

٤ م ط س : بالثاني .

والوتر ، وتحلّى بالحسن والخور^١ ، وعاب على أهل سرقسطة وأنكر^٢ ، من
هيات الثغور ما عرف^٣ ، ووصفهم بما وصف ، كأنه لم يسمع قول الأول :
ومن تكن الحضارة^٤ أعجبته فأني رجال^٥ بادية^٦ ترانا^٧

ولا قول أبي العلاء^٨ :

من كل^٩ أروع^{١٠} لم تأثر ضمائر^{١١}ه^{١٢} للثم^{١٣} خد^{١٤} ولا تقبل^{١٥} ذي^{١٦} أشتر^{١٧} [١٧٢]
لكن يقبل^{١٨} فوه^{١٩} مسمعي^{٢٠} قرس^{٢١} مقابل^{٢٢} الخلق^{٢٣} بين الشمس^{٢٤} والقمر^{٢٥}

إلى غير ذلك مما هو أوضح^{٢٦} ، من أن يشرح^{٢٧} ، في أكثر الأشعار ؛ وما
ينقضي عجي من ابن عمار أن ينكر^{٢٨} تلك الهيئة^{٢٩} ، على أهل ثغر^{٣٠} ، أبناء^{٣١} قتل^{٣٢}
وبقايأ^{٣٣} أسر^{٣٤} ، قلما خلوا^{٣٥} من هبة^{٣٦} من النصارى^{٣٧} ، إذ مسافة^{٣٨} ما بينهم أقصر^{٣٩}
من إبهام^{٤٠} الجباري^{٤١} ، ولدهم^{٤٢} مجر^{٤٣} عواليهم^{٤٤} ، وموقد^{٤٥} صاليهم^{٤٦} ، ومخفت^{٤٧}
أعلامهم^{٤٨} ، ودريئة^{٤٩} سهامهم^{٥٠} .

وفي هذه القصيدة يقول :

وما حال^{٥١} من^{٥٢} خلّى بلاد^{٥٣} أعارب^{٥٤} وألقت^{٥٥} به^{٥٦} الأقدار^{٥٧} أرض^{٥٨} أعاجم^{٥٩}

١ م ط س : بالجن والخور .

٢ ط : وأكثر .

٣ بحاشية ط هنا تعليق بخط مختلف منقول من القلائد .

٤ هو القطامي ، انظر ديوانه : ٧٦ .

٥ شروح السقط : ١٤٤ .

٦ خالص : وما حال من ربه أرض أعارب .

يَقْبَحُ لِي قَوْمٌ مَقَامِي عِنْدَهُمْ^١
 يَقُولُونَ لِي دَعْ أَيْدِيَ الْعِيسَى لَهَا
 فَدِينْتَهُمْ لَمْ يَبْعَثُوا حِرْصَ عَاجِزٍ
 وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ غَيْرُ حَوَافِلٍ
 وَإِنِّي لَأَدْعُو لَوْ دَعَوْتُ لَسَامِعٍ
 أُرِيدُ حَيَاةَ الْبَيْنِ ، وَالْبَيْنُ قَاتِلِي
 وَتَبُّثْتُ إِخْوَانَ الصِّفَاءِ تَغَيَّرُوا
 لَقَدْ عَتَبُوا ظُلْمًا عَلَى غَيْرِ عَانِبٍ^٢
 وَلَوْ أَنَّ عَفْوًا مِنْ هُنَالِكَ زَارَنِي
 أَجْرُ ذِيُولِ اللَّيْلِ سَابِغَةَ الدَّجَى
 فَأُورِدُ وَدِّي صَافِيًا كُلَّ شَامِتٍ^٣
 وَأَغْضِي لِمَنْ يَلْقَى بِوَجْهِ مُكَارِهِ
 وَمَا هُوَ إِلَّا لَثْمُ كَفِّ مُحَمَّدٍ
 إِنْ انْفَقْتُ لِي فَالْعَلُو مُسَاعِدِي
 وَأَيُّ حَيَاءٍ طَيْبُهُ أَيُّ سَوْرَةٍ
 وَفِيهَا يَقُولُ :

وَقَدْ رَسَفْتُ رِجْلُ السَّرَى فِي الْأَدَاهِمِ
 تُوْدِي إِلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ الْخَضَارِمِ
 وَلَا نَبَّهُوا إِذْ نَبَّهُوا طَرْفَ نَائِمٍ
 بِإِرْبِ أَرِيبٍ أَوْ حَزَامَةِ حَازِمٍ
 مَجِيبٍ وَأَشْكُو^٤ لَوْ شَكَوْتُ لِرَاحِمٍ
 وَأَرْجُو انتِصَارَ الدَّهْرِ ، وَالدَّهْرُ ظَالِمِي
 وَذَمُّوا الرِّضَى مِنْ عَهْدِي الْمُتَقَادِمِ
 عَلَيْهِمْ وَلَا مَوَا ضَلَّةً غَيْرَ لَائِمٍ
 لَزَرْتُ وَمَا عَدَّوُ الزَّمَانِ بِدَائِمٍ
 وَأَرْكَبُ ظَهَرَ الْعِزْمِ صَعْبَ الشَّكَايِمِ
 وَأَلْبَسُ حَمْدِي ضَافِيًا كُلَّ شَائِمٍ
 حَيَاءً فَأَلْقَاهُ بِوَجْهِ مَكَارِمِ
 وَتَمَكِّنُ كَفِّي مِنْ نَوَاصِي الْمَظَالِمِ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ وَالزَّمَانُ مُسَالِمِي
 كَمَا كَمَنْتُ فِي الرُّوضِ دُهُمُ الْأَرَاقِمِ

١ خالص : بينهم .

٢ خالص : وإني لأشكو .

٣ خالص : سخطوا . . . سخط .

٤ خالص : شارب .

٥ خالص : موافقي .

له هزة في الجود معتضدية
 إذا نشرت لحم بذكرها فخرها
 أبي أن يراه الله غير مقلد
 ومن مثل عباده ومن مثل قومه
 الكني بالتسليم منهم إلى فتي
 إذا ركبوا فانظروا أول طاعن
 أغر^٣ مكين في القلوب محبب
 تبوا من لحم وناهيك مقعداً
 أبا القاسم أقبلها إليك فلأما
 محملة عذراً فإنك جملة
 أنا العبد في ثوب الخضوع لو أنني
 وما عز في الدنيا مراد لمجدب^٤
 ولكن ذاك الظل أندى غضارة
 وإني إذا أنصفت بعدك خادم
 لعمرى لقد أفحمت كل مفاخر
 أنازعه فيك الشاء فينثني
 تراك تنسمت الذي قد أذعته

تهز إلى التشتيت شمل الدراهم
 طوت طي من خجلة ذكر حاتم
 حمالة سيف أو حمالة غارم
 ليوث حروب أو بلور مواسم
 تهادى به جرد العتاق الصلادم
 وإن نزلوا فارصده آخر طاعم
 إليها عظيم في نفوس الأعظم
 مكان رسول الله من آل هاشم
 ثناؤك مسكي والقواني لطائمي
 من الفضل لم أستوفها بتراجم [٧٢ب]
 أرى البدر تاجي والنجوم خواتمي
 ولا اعتاص في الآفاق ورد لحاتم
 لصاح وذاك البرق أشفى لشائم
 لدهرى وكان الدهر عندك خادمي
 لما فيك من تلك السجايا الكرائم
 كأني نازعت الكؤوس منادمي
 فأرضاك أم غابت عليك مقادمي

١ خالص : منهم بالسلام .

٢ ورد في الواقي للرندي : ١٠٢ .

٣ م ط : أغر .

٤ خالص : طلاب لما جد .

٥ م : الأيام .

٦ د : مغارمي .

ولا غرو أن حيثك بالطيب روضة^١ سَمَحَتْ لها بالعارض المراكم

قال ابن بسّام : أما معاني هذه^١ القصيدة فمحجة مسلوكة ، ومُضَغَّة^٢ مَلُوكَة ، قد كثر تجاذبُ الشعراء أهدابها ، وقرعوا بابها ، حتى صارت كالجمل المذلّل ، والمتهنّع من السُّبُل . فمن سلك مِنْ أَهْلِ أَفْقنا هذا السَّنَنَ^٣ ، أبو الأصينغ عيسى بن الحسن^٣ ، من شعر كتب به من سجن ابن أبي عامر ، يقول فيه :

وإن سَمِعْتَ أذناكَ للورقِ رنةً^٤ فحزنيَ يبيكيها وفرطُ تفجُّعي
وإن هَطَلَتْ يوماً على الأرض مِزَنَةً^٤ فلي سَمَحَتْ بالدمعِ في كلِّ مِربِيع

وهو شعر ضعيف ، بيّن التكليف .

وقال يوسف بن هارون الرمادي^٤ :

على كعدي تهيم السحابُ وتذرفُ ومن شجني تبكي الحمامُ وتهتفُ

١ د : أول هذه .

٢ د : السبيل .

٣ أحد شعراء الدولة العامرية ، باطن عبد الله بن المنصور ، فلمّا ضرب أبوه عنقه سجن أبا الأصينغ هذا ، وهو يشكو في شعره طول سجنه بقوله :

ليت شعري كيف البلاد وكيف الناس والوحش والسما والماء

طال عهدي عن كل ذلك وليس لي ونهاري في مقلتي سواء

انظر المغرب ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٤ المطمح : ٧٣ .

وما أحسن قول أبي الوليد بن زيدون من قصيدة قد تقدمت ، أولها ^١ :

ألم يأن أن تبكي الغمامُ على مثلي ويطلب ثأري البرقُ مُنْصَلَّتَ النصل
ولما قتل الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ^٢ بمدينة الأشبونة ،
رفع الله منازلَه ، وقَتَلَ قَاتِلَه ، قال بعضُ أهلِ العصرِ فيه يرثيه :

عَلَيْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ تَبْكِي الْغَمَامُ وفيك إذا فاحتْ تنوحُ الحمامُ
فلا يأمِنوا رَعْدَ السَّمَاءِ وبرقَه فما هيَ إلاَّ أنْصَلُ وغماغمُ
وقلْ لنعشٍ سارِ سِلْوُكَ فيه أنْ يرى لبني نعشٍ عليك مآتمُ
وأن تلبس الزَّهْرُ النجومُ حِدادَها عليكَ وتبكيكِ العلا والمكارمُ
وتنتثرَ الجوزاءُ من نَظْمِ عَقْدِها وتسقط من كفِّ الثريا الخواتمُ

وقول ابن عمار : « لريح الصَّبَا في إثره أنفُ راغم » هو أيضاً من
متداولات المعاني ، منها قولُ محمد بن هاني ^٣ :

وأجلُ عِلْمِ البرقِ فيها أنها مرَّتْ بحاشيتيه وهيَ ظنونُ
وقال المعري ^٤ :

ولما لم يسابقهنَّ شيءٌ من الأشياءِ سابَقنَ الظلالا

١ ديوان ابن زيدون : ٢٦١ ، والذخيرة ١ : ٣٥١ .

٢ ذكره ابن بسام في القسم الثالث : ٨٦٣ ، وذكر أن الذين قتلوه هم آل أخطل ، وأورد
لأبي عامر الأصيل قصيدة في رثائه : ٨٦٦ .

٣ ديوان ابن هاني : ١٧٥ .

٤ شروح السقط : ٤٦ .

٥ شروح السقط : من الحيوان .

وقوله : « من العاسات الدهنم . . . » كقول ابن نباتة يصفُ فرساً
أغرَّ عجَّلَ الأربع^١ :

وكأنما لطمَ الصباحُ جبينه فاقصص^٢ منه فخاصَّ في أحشائه

على أن ابن الرومي قرَّبَ له مَرَمَاه ، وإن كان في غير معناه ، حيث
يقول في صفة الشُّمُول^٣ : [١٧٣]

أخذت من رؤوس قوم كرام ثارها عند أرجل الأعلاج

وقوله : « تسيرُ إلينا ثم عنا » . . . البيت ، ينظر من طرف خفي^٤ ، إلى
قول الرضي^٥ :

وأمسَّ الريحُ كالغبري تجاذبنا على الكتيب فضولَ الرنيطِ واللمم

والذي عوَّل عليه الرضي قولُ ابن المعتز^٦ :

والريحُ تجذبُ أطرافَ الردامِ كما أفضى الشفيقُ إلى تنسيبهِ وسنانِ

وبهذا ألمَّ ابنُ نباتة في قوله^٧ :

إذا ما الصبحُ أسفرَ نبهتني جنوبٌ مسها مسُ الشفيقِ

١ البيتة ٣ : ٣٩٢ وابن خلكان ٣ : ١٩٠ ورض الحجب ١ : ٨٦ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٤٩٠ ورض الحجب : ١٥٠ .

٣ ديوان الرضي : ٢٧٤ والذخيرة ١ : ٣٦٥ .

٤ الذخيرة ١ : ٣٦٥ .

٥ البيتة ٣ : ٣٩٤ .

وقوله : « وتمكينُ كفتي من نواصي المظالم » مقتضبٌ من قول أبي الطيب^١ :

كَانَ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفٍّ طَاهِرٍ فَأَثَبْتَ كُورِي فِي ظَهْوِرِ^٢ الْمَوَاهِبِ

وقوله : « وَأَيُّ حَيَاءٍ طَيْبُهُ أَيُّ سَوْرَةٍ » كقول الآخر :

لَا تَفَرِّتْكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُّ فَيَا رَبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

وقوله : « إِذَا رَكِبُوا فَاَنْظُرْهُ أَوَّلَ طَاعِنٍ » ... البيت ، معنى قديم ، وأول من أثاره ، ورفع مناره ، عنبرةٌ بقوله^٣ :

يُخْبِرُكَ مِنْ^٤ شَهِيدِ الْوَقَائِعِ أَنْتَنِي أَغْشَى الْوُغَى وَأَعْفُ^٥ عِنْدَ الْمَغْمِ

ولما قتلَ عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، عمرو بن ود^٦ يوم الأحزاب وسقط وانكشف ، قال^٧ :

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ الْمُقْطَرَّةَ^٨ بِزِّي أَثْوَابِي

وقال أبو تمام^٩ :

١ ديوان المتنبي : ٢١٠ .

٢ ط م : أكف .

٣ ديوان عنبرة : ٢٠٩ .

٤ م ط : أد .

٥ عيون الأثر ٢ : ٦١ .

٦ د : المقنطر .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧١ .

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همتها يومَ الكريهةِ في المِسلوبِ لا السَّلْبِ

وقال المعري^١ :

أدنى الفوارسِ من يُغيِّرُ لمغمٍ فاجعلْ مُغَارَكَ للمكارمِ تُكْرَمِ

والتناسبُ في الألفاظِ والمعاني حيلٌ يتصل ولا ينفصل ، وإنما نلّمعُ منها باليسير اللطيف ، وقد اندرج منها جملةٌ وافرة في تضاعيف هذا التصنيف .

وقال ابن عمار من قصيدة في المعتضدِ عبّادٍ أولها^٢ :

أشاقك برقٌ أم جفاك حبيبٌ فليلك فضفاضُ الرّدامِ رحيبُ

يقول فيها :

إلى الله أشكو أنَّ مالكٍ في دمي	شريكٌ وما لي في هواك نصيبُ
أتدرين من كلَّفت عينيكَ قتلهُ	وقلت : فتي لا يستقيدُ غريبُ
ستنصره من مهرة الخيل ترتمي	بأعلام نصرٍ في الوغى وتؤوبُ
تساموا بلخمٍ فاستهلّت سماؤهم	بغيمين منها ذائبٌ ومذيبُ
بدورٌ ولكنَّ السَّماءَ محاربٌ	وأسندٌ ولكنَّ العرين حروبُ
مزحتُ فأنّي يا ابنة القيل لم أكن	لأفشي سرّاً صُمُتتهُ قلوبُ
سأشهد ^٣ قومي أن طرفك من دمي	بريءٌ وإن كان الفتور يريبُ

١ شروح السقط : ٣٢٧ .

٢ خالص : ٢٠٥ ورفع الحجب ١ : ٦١ .

٣ د : فأشهد .

وكيف أرى في القدر نهجاً لسالك
فتى نسخ العذر اقتضاء وفاته
أغر ينير الملك منه بكوكب
وعهدي بالسلك الوفي قريب
فلا تحكي أن الوفاء غريب
له في سماء المشكلات ثوب [٧٣ب]

وله فيه من أخرى^١ :

أدير الزجاجة فالنسيم قد انبرى
والصبح قد أهدى لنا كافورة
والروض كالخسنا كساه زهره
أو كالغلام زها بوردي رياضه
روض كان النهر فيه معصم
وتهزه ريح الصبا فتظنه
عباد المخضر نائل كفه
قد أح زندي المجد لا ينفك من
يختال إذ يهب الخريدة كاعبا
أيقنت أني من ذراه بجنة
وعلمت حقاً^٢ أن ربي مخصب
من لا توازنه الجبال إذا احتبي
والنجم قد صرّف العنان عن السرى
لما استردّ الليل منّا العنبرا
وشياً وقلّده نداءً جوهر
خجلاً وتاه بأسهن معذرا
صافٍ أطلّ على رداء أخضرا
سيف ابن عباد يبدد عسكرا
والجو قد لبس الرداء الأغبرا
نار الوغى إلّا إلى نار القرى
والطرف أجرد والحسام بجوهر
لما سقاني من نداء الكوثر
لما سألت به الغمام المطرا
من لا تسابقه الرياح إذا جرى

١ م : وقال أيضاً ، وانظر هذه القصيدة في القلائد : ٩٦ والمعجب : ١٧٣ والنفع : ١ : ٦٥٥

٣ : ١٩٤ والخريدة ٢ : ٧٢ والوافي ٤ : ٢٣٠ والوفيات ٤ : ٤٢٦ وخالص : ١٨٩

ورايات المبرزين : ٥٥ (٢٦ غ) والزيجان ١ : ١٥٦ ب ورفع الحجب ١ : ١٧٣ .

٢ ط م د : منها .

٣ ط د س : جداً .

ماضٍ وصدرُ الرمح يكنهمُ والظبا
لا خلق أقرأ^١ من شفارِ حسامِهِ
السيفُ أصدق^٢ من زيادِ خطبةٍ
وإليكها كالروضِ زارته الصبا
تممَّتْها وشياً بذكرك مُذهَّباً
من ذا ينافحني وذكركَ مندَلٌ
فلئن وجدتَ نسيمَ حمديَ عاطراً
فلقد وجدتُ نسيمَ بركَ أعطرا
تنبو، وأيدي الخيل تعرُّ في البرى
إن كنتَ شبَّهتَ المواكبَ أسطرا
في الحربِ إن كانتَ يمينكَ منبرا
وحنا عليها الطلُّ حتى نوراً
وفتقنُها مسكاً بحمدك أذفرا
أوردتُهُ من نارِ فكري مجمرا
فلقد وجدتُ نسيمَ بركَ أعطرا

قوله : « لا خلق أقرأ من شفار حسامه » . . . البيت ، كأنه من قول
محمد بن هاني^٣ :

ولم أرَ أنقذَ من كُتْبِهِ إِذَا جُعِلَ السيفُ حيثَ القلمُ

وذكر أن المعتمد^٤ أقام برهةً بقرطبة يرفعُ بعضَ الأمور السلطانية فسنم
طلَّقَهُ ، وتذكَّرَ على عادته خلُقَهُ ، ودعته دواعي نفسه ، إلى قينته وكأسه ،
فاستشار يومئذٍ ابنَ عمار ، وكان خاطبه في ذلك بشعره ، وظنَّ عنده أهبةً ،

١ الخريدة : أفرى (والعلاقة واضحة بين « أقرأ » والأسطر) .

٢ القلائد : أفصح .

٣ ديوان ابن هاني : ٢٨١ .

٤ بعض هذا النص في الحلقة ٢ : ١٣٢ .

٥ قال ابن الأبار (الحلقة ٢ : ١٣٢) : وسرى إلى ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبة
إلى بعض كرائمه شعراً يعتذر فيه من اللحاق بها ، آخره : إن شاء ربي أو شاء ابن عمار ؛
فأجابه ابن عمار بهذه الأبيات : « مولاي عندي لما تهوى ... » ، وذلك ما حكاه أبو الطاهر
التميمي السرقسطي في ديوان شعر ابن عمار من جمعه ؛ وانظر خالص : ٢٣٦ .

إذ كانت عليه منه بعضُ الرقبة ، فوجده أهتك سراً ، وأقلّ عن اللذات صبراً ، وأشار عليه بتعطيل الثغر ، وإضاعة الأمر ، وجاوبه على ذلك بهذا الشعر :

مولاي عندي لما تهوى مساعدةٌ كما تتابعَ خَطْفُ البارِقِ الساري
إن شئتَ في البحرِ فاركبْ ظهرَ ساجدةٍ أو شئتَ في البرِّ فاركبْ ظهرَ طيارِ
حتى تحلَّ وحفظُ الله يكلِّونا رحابَ قصرِكَ واتركني إلى داري
وقبل خلعِ نجادِ السيفِ فاسعَ إلى ذاتِ الوشاحِ وخذْ للحبِّ بالثارِ
ضمّاً ولئماً يغنيَ الحليُّ بينكما كما تجاوبُ أطيَّارُ بأسحارِ [٧٤ أ]

ومعنى البيت الرابع من هذه القطعة ينظر إلى قول عبد المحسن الصوري وأنشد الأبيات لحسنها :

أفدي الذي زارني بالسيف مشتملاً ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له حتى كساني نجاداً من ذوائبه
وكان أسعدنا في نبلِ بُغيتِه من كان في الحبِّ أشقانا بصاحبه

وقال ابن عمَّار للمعتضد^١ :

الكأسُ ظامئةٌ إلى يَمناكا والروضُ مرتاحٌ إلى لقيَكا
والدهرُ جارٍ في عنانِكَ لم تقلْ هاتِ المنى إلا أجابَ بهاكا
فأديرْ بآفاقِ الزجاجِ^٢ كواكباً تخذتْ أكفَّ سقاتها أفلاكاً

١ خ بهامش ط : للمعتد : وانظر الحريدة ٢ : ٧٧ وخالص : ٢٠١ .

٢ الحريدة : بآفاق السرور .

راحاً إذا هبَّ النسيم حَسَبَتْهَا مسروقةً الأنفاس من رِيَاكَ
 في مجلسٍ بسطَ الربيع بساطه زهراً ورقرقه عليك أَرَاكَ
 سقطَ الندى فيه سُقُوطَ ندا كما وَجَلَّتْ عليه الشمس مثل سَنَاكَ
 يسري على ریحانه نَفْسَ الصَّبَا سَحَرَا فيوهم أنه ذَكَرَاكَ
 رَدُّ مُورَدِ اللذاتِ عَذْباً صَافِياً فلقد وردت المجدَّ قبل كَذَاكَ

قال ابن بسّام وأخبرني الحكيم النديم أبو بكر ابن الاشيلي ، قال :
 حضرت مجلس أنسٍ مع أبي بكر بن عمار بقصر الرشيد بن المعتمد ، فلما
 دارت الكأس ، وتمكّن الأنس ، وغنّيته أصواتاً ، وذهب به الطرب كلَّ
 مَذْهَبٍ ، قال ابن عمار ارتجالاً^٢ :

ما ضرَّ أن قيل إسحاق ومُوصِلُهُ ها أنتَ أنتَ وذِي حمصٍ وإسحاقُ
 أنت الرشيد ودَعٍ من قد سمعتَ به وإن تشابهَ أخلاقُ وأعرافُ
 لله دركٌ دَارِكُنْهَا مشعشةٌ واحفزُ بِسَاقِيكَ ما قامت بنا ساقُ

وقال في المعتمد في حين نزوله بعض الحصون^٣ :

على اليُمنِ والطائرِ السَّانِحِ نَزَلْتُ وَغَيْرُكَ للبارحِ
 وما اهتجتُ إلاَّ وقد هَبَّ جَتُّكَ دَوَاعٍ إِلَى البلدِ النَّازِحِ
 وإلاَّ فكم خفَّ من خفٍّ جهلاً^٤ فما هزَّ من حلمك الراجحِ

١ نداكا : لا وجه للتثنية هنا ، ولعل الصواب « نداكا » .

٢ خالص : ٢٣٣ .

٣ خالص : ٢٢٥ .

٤ اضطرَب هذا الشعر في م فجاء : « وإلا فكم خف جهلا من خف » .

نطلبُ حقوقَكَ لا لائمٌ فقد بينَ الصبحُ للامح
ومن يعترضُكَ بأوداجِهِ فكِلُهُ إلى سَعْدِكَ الذابح
وكم يزجرونَ وكم ينصحونَ فما يقبلونَ منَ الناصح
وما كان أنصفَهُمْ لو رموا زنادَ الوغى ليدِ القادح
ولا عَجَبٌ لثبوتِ القلاعِ على بأسِكَ الهادمِ الناطع
فلولا امتناعُ الفتاةِ الكعابِ لما كملتْ لذَّةُ الناكحِ [٧٤ب]
خلعتَ الكرى في طلابِ العلا على نائمٍ دونها طافح
هنيئاً فأنْتَ مليكُ الملوكِ فقد صرَّحَ الجدُّ للمازح
وما أخترتني عنكَ النجومُ يا غرَّةَ القمرِ اللانح
ولا النهرُ لم يثنني عن ورودِ ندى بحركِ الزَّأخِرِ الطافح

وهذا البيت الأخير ، كأنه إلى بيت المتنبي يشير^٢ :

قواصدُ كافورٍ توارِكُ غيره ومن قصدُ البحرِ استقلَّ السواقيا

وقوله : « ومن يعترضُكَ بأوداجِهِ » من قول الآخر في سعدٍ ، حاجبِ
ابن خاقان^٤ :

يا حاجبَ الوزراءِ إنك عندهم سعدٌ ولكن أنت سعدُ الذابحِ*

١ ط د م س : فيا .

٢ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٣ د : ركب .

٤ هو البحري ، انظر ديوانه : ٤٦٢ .

٥ بعد هذا البيت يبدأ خرم في م س .

وفيه أيضاً يقول البحري^١ :

سمّاه سعداً للتفاؤل باسمه حقاً^٢ لقد ألفاه سعدَ الذابحِ

والمعريّ القائل ما هو شبيه به ، وإن كان في غير مذهبه^٣ :

يا سعدَ أخبيةِ الذين تحمّلوا لما ركبتِ دعيتِ سعدَ المركبِ

وقوله : « زناد الوغى ليد القادح ، وقد بيّن الصبح للآمع ، من
المثلين المضروبين وهو قولهم : « قد بيّن الصبح لذي عينين »^٤ و « أعطِ القوس
باريها »^٥ .

وقوله : « فلولاً امتناع الفتاة الكعاب » . . . البيت ، كقول كشاجم :

لولا اطرادُ الصَّيْدِ لم تك لذّة فتطاردني لي بالوصالِ قليلاً^٦

وأصلُ هذا المعنى المثلُ السائرُ : « تمنّئي أشهى لك »^٧ .

١ ديوان البحري : ٤٧٦٣ .

٢ الديوان : ظن أن يحيا به ، عمري .

٣ شروح السقط : ١١٢٦ .

٤ المثل في فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١ والمسكري ٢ : ١٢٥ .

٥ فصل المقال : ٢٩٨ والميداني ١ : ٣١٣ والمسكري ١ : ٥٠ والفاخر : ٢٤٦ .

٦ انظر جمع الجواهر : ٦٥ وزهر الآداب : ١١ وتمام المتون : ٣٩٩ .

٧ الميداني ١ : ٧٤ .

ما وُجد له من شعره في النسب وما يناسبه

قال في غلام من عبيد ابن هود^١ :

وأحور^٢ من ظباء الروم عاط بسالفته من دمعي فريد
نبيل الخلق جاني الخلق عبد هو المولى ونحن له عبيد
بكيت وقد دنا ونأى رضاه وقد يبكي من الطرب الجليد^٣
قسا قلباً وسناً عليه درعاً فباطنه وظاهره حديد
وإن فتي تملكه بنقد وأحرز رقه لفي سعيد

وسَجَنَ المؤمنُ يوماً هذا الغلامَ لبعض الأمر فتخلف ابنُ جمار عن
الركوب للقصر ، وكتب إليه :

أنا المطبقُ المسجونُ لا مَنْ سَجَنَتْهُ وأطبقتَه فانظر لعبدك أودع
حرامٌ حرامٌ أن تراني عينُ مَنْ تراه فان شئت ارتجاعي فارجع
ويا حُسْنَ حالِ الودِّ إن سمحت يدٌ ولقبتُ فيها بالشفيع المشفع

فضحك المؤمنُ وأخرج ذلك الغلام .

١ انظر قلائد المقيان : ٩٤ والمطرب : ١٧٢ وخالص : ٢٩٩ والنفع : ٣ : ٣٢٨ والروائي

للرندي : ٧٦ والمسلك السهل : ٤٣٦ .

٢ خ بهامش ط : وأغيد .

٣ مضمن وصدره : « فقالوا قد جرعت فقلت كلا » (أمالي القاضي ١ : ٤٩ وروايته :

وهل يبكي) وانظر النخيرة ١ : ٣٢٥ .

٤ النفع : وأحرز حسنه .

٥ خالص : ٣٠٠ .

وساير ابنُ عمَّار في بعض الأسفار غلامين من بني جهور ، أحدهما أشقر والآخر عذاره أخضر ، فكان يميلُ بحديثه من ظهر دابته إلى الذي وصف منهما في هذه القطعة ، وهي من ملحہ النادرة ، وغرائب السائرة^١ :

تعلَّقَتْهُ جَهْوَريُّ^٢ النَجَّارِ حُلُوَ اللَّمى جوهريُّ الثَّنايا
من النَّقْرِ البيضِ جَرُّوا الزَّمانَ رفاقَ الحواشي كرام السجايا [١٧٥]
ولا غرو أن تغربَ الشارقاتُ وتبقى محاسنُها بالعشايا
ولا وصلَ إلا جُمانُ الحديثِ نُسَاقِطُهُ من ظهورِ المطايا
شئتُ المثلثَ للزعفرانِ ومِلْتُ إلى خُضرةٍ في التفايا^٣

ومعنى البيت الثالث منها من مشهور المعاني ، ومنها قول الطليق المرواني^٤ :

وإذا ما غَرَبَتْ في فيه تركتُ في الخلدُ منه شفقا

ومعنى البيت الرابع يشبه قول البحري ، ويتعلق به خبر حكاة الصولي

١ نفع الطيب ٣ : ٣٢٦ وغالض : ٢٥٤ ، والقصة والأبيات في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٤٠) .

٢ ط د : جوهري .

٣ المثلث : عند الاندلسيين أنواع من الأطعمة يطلق عليها هذا الاسم منها المجينة المثلثة ، والمثلث من رؤوس الخس (كتاب الطبخ : ٢٠١ ، ٢٢٢ ومعجم دوزي) وألوانها تضرب للصفرة لأن الزعفران يدخل في تركيبها ؛ والتفايا : من بسائط الأطعمة ، تنحصر من لحم الضأن الفتي مضافاً إليه ملح وقلقل وكزبرة يابسة . . . (كتاب الطبخ : ٨٥ - ٨٨) والخضراء منها يضاف إليها ماء الكزبرة الرطبة .

٤ انظر نفع الطيب ٣ : ١٩٧ وقد وردت أبيات الطليق في القسم الأول من الذخيرة : ٥٦٥ .

عن يحيى ابنه ، قال ^١ : لما ابتدأ أبي بعمل قصيدته في أبي الصقر ويهجو أحمد
ابن صالح ، التي أولها :

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ أَقْوَى الْغُيُورُ فَوَاسِطُهُ

قلتُ له : لم ركبت هذه القافية الصعبة مع رجلٍ لا حظاً لك معه ؟ اركب
قافيةً سهلة ، فقال : لعمرى إن الكلام في القوافي السهلة أمكنُ ، إلا أن
الحاذق لا يعملُ إلا جيّداً في أي شيءٍ أخذ ، ثم رأيتُه قال في نسيبها :
ولمّا التقينا واللّوى موعدٌ لنا تعجّبَ رائِي الدرّ حسناً ولاقطه
فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه
فطابت نفسي وقلت : ليقُلْ بعد هذا ما أراد ، فقد أجاد وزاد .

وشبيه بهذا قول بعضهم ^٢ :

كَأَلَمَتْنِي فَقُلْتُ : دُرٌّ سَقِيطٌ فَتَأَمَّلْتُ عَقْدَهَا هَلْ تَنَازَرُ
وَازْدَهَا تَبَسَّمَ فَأَرْتَنِي نَظَّمْ دُرٌّ مِنْ التَّبَسُّمِ آخِرُ

وقال ابن عمّار في مثل ما تقدّم من صفته لأهل العذار ^٣ :

١ أخبار البحري : ١٢١ - ١٢٢ وديوان البحري : ١٢٢٩ .

٢ ورد البيتان في الحلة السراء : ٢٦٠ وكتاب التشبيهات : ١٤٤ والمساك ١١ : ١٧٤
والمرقص والمطرب : ١٦ والدرّة المضيئة ٦ : ٥٧٦ ورفع الحجب ١ : ١٢٤ . وينسبان
للمصنفين أو لابن فرج ، وقال المقرئ في النفع ١ : ٦٤ إن صاحب المطمح نسبهما للمصنفين ،
ولكنهما لم يردا في المطمح .

٣ قلائد العقيان : ٩٦ والنفع ١ : ٦٥٣ ، ٣ : ٣٢٨ وخالص : ٢٩٧ وبدائع البدائع : ٢٧٢
والريحان ١ : ١٥٦ ب .

وَهَوَيْتُهُ يَسْقِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ
 متأرجحُ الحركات تندى ريحُهُ^١
 يسقي بكأسٍ في أناملِ سوسنٍ
 عناءُ بكأسك قد كفتنا مقلّةً
 يا حاملَ السيف الطويل المرتدى^٢
 إِيَّاكَ إِيَّاكَ الوغى^٣ من فارسٍ
 جهنمٍ وإن حَسَرَ اللثامَ فإنما
 سلمتمْ فقد قَصَفَ القنا غُصْنُ النقا
 قمرٌ يدور بكوكبٍ في مجلس
 كالغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا بتنفُسٍ
 ويديرُ أخرى من محاجرِ نرجسٍ
 حوراءُ قائمةٌ بسكر المجلس
 ومصرفُ الفرسِ القصيرِ المحبسِ
 خشنِ القناعِ على عذارِ أُمّلسٍ
 رفع الظلامَ عن النهارِ الشمسِ
 وسطا بليثِ الغابِ ظيُّ المكنسِ

ومعنى البيت الرابع منها كقول ذي الوزارتين ابن الحضرمي^٤، في رثاء غلام
 وسيم وكان اسمه فعال ، كان المتوكل يهواه ، ومات الغلام فرثاه ، فقال :

أَوْدَى فَعَالَ فلهفي له ولهفي عليه^٥
 غَالَتْنَهُ أَيْدِي المنايا وكنّ في مقلتيه
 وكان يسقي الندامى بطرفه ويديه
 غصنٌ ذوى وهلالٌ جارَ الكسوفِ عليه

١ النفع : متناوح . . . يندى عطفه .

٢ خ بهامش ط : نجاده (بخط مغاير لخط الأصل) .

٣ النفع : إِيَّاكَ بادرة الوغى .

٤ هو أبو الوليد ابن الحضرمي ، وزر للمتوكل بن الأفلح صاحب بطليوس ، فداخله تيه
 وعجب وتجبّر ، كرهه من أجلها أصحاب الدولة فمزله المتوكل (المغرب ١ : ٣٦٥ والنفع

٣ : ٤٥٠ والشريشي ٤ : ١٢٤ . وفيه ثلاثة من الأبيات التي وردت هنا) .

٥ خ بهامش ط : وشوقي إليه .

وقال ابن عمار :

غزا القلوبَ غزالٌ حجَّتْ إليه العيونُ
قد خُطَّتْ في الخلدِ نونٌ وآخرُ الحسنِ نونٌ

وكان له غلام وسيم يميل إليه ، فعتب في بعض الأمر عليه ، وزال عنه
إلى دار الوزير أبي المطرف ابن الدبّاغ^١ ، فشفع له أبوالمطرف برقعة وصلها
ذلك الغلام ، فكتب ابن عمار إلى الوزير المذكور^٢ : [٧٥ ب]

قرأتُ كتابك مستشفِعاً لوجه أبي الحسن من رده^١
ومن قبل فضي ختم الكتاب قرأتُ الشفاعة في خده^٢

وقال من قصيدة^٣ :

قالوا : أضرب بك الهوى فأجبتهم
قلبي مو اختار السقامَ لجسمه
من قدَّ قلبي إذ تشنى قدُّه
أم مَنْ طوى الصبحَ المنيرَ نقابه^٤
يا حبيّذاً وحبيّذاً لإضراره^١
زياً فخلّوه وما يختاره
وأقام عندي إذ أطلَّ عذاره
وأحاط بالليل البهيم خماره

منها :

١ وردت ترجمته في القسم الثالث : ٢٥١ .

٢ النفع ٤ : ٧٣ ، ٣٠٦ وخالص : ٢٤٤ .

٣ هنا ينتهي السقط في م نس .

٤ المعجب : ١٧١ والقلائد : ٨٦ وخالص : ٢٢٠ .

عَبَّرْتُمُونِي بِالنُّحُولِ وَإِنَّمَا شَرَفُ الْمُهَنْدِ أَنْ تَرُقَ شِفَارُهُ
فَوَحُّسْنِهِ لَقَدْ ابْتَدَيْتُ لَوْصِفُهُ بِالْبُخْلِ لَوْلَا أَنْ حَمَصَا دَارُهُ
بِلَدِّ مَنَى أَذْكَرُهُ نَهَجٌ^٢ لَوْعَتِي وَإِذَا قَدَحْتَ الزُّنْدَ طَارَ شِرَارُهُ

ومن مقطوعاته الاخوانيات

اجتاز على بني عبد العزيز بيلنسية ، وكانوا يضمرون عداوته ، فأخرجوا
إليه ضيافات ، وتخلّفوا عن لقائه ، وناب في ذلك عنهم أقوامٌ عوامٌ ، فكتب
إليهم^٣ :

تناهيتُمُ في برِّنا لو سمحتمُ بوجهٍ صديقٍ في اللقاء وسيمٍ
وسلستُمُ راحَ الباشاةِ بيتنا فما ضَرَّ لو ساعدتمُ بنديمٍ
سألتمُسُ العذرَ الجميلَ عن العلا وأحتالُ للمجدِ^٤ احتيالَ كريمٍ
وأثني على روضِ الطلاقةِ بالجنى وان لم أفزُ من طيبه^٥ بنسيمٍ
ضننتُمُ بأعلاقِ^٦ الرجالِ على النوى فلم^٧ تصلونا منهمُ بزعيمٍ

١ القلائد : انتدبت .

٢ القلائد : هيج .

٣ القلائد : ٩٠ والخريدة ٢ : ٨١ والحلة ٢ : ١٤٥ وخالص : ٢٧٨ .

٤ القلائد والخريدة والحلة : لفضل .

٥ م : بالحيا . . . القلائد والخريدة والحلة : من نشره .

٦ الحلة : بخلم بأعيان .

٧ ط م : ولم .

واستهدى منه بعضُ إخوانه خمرًا، فبعث بها مع تفاحتين ورماتين
وكتب مع ذلك^١ :

خُذُوهَا مِثْلَ مَا اسْتَهْدَيْتُمُوهَا عُرُوسًا لَا تُزْفُ إِلَى الثَّامِ
وَدُونَكُمْ بِهَا ثِيَابِي فَتَاةٍ أَضْفْتُ إِلَيْهِمَا خُذْنِي غَلَامٍ

وأهدى إلى ذي الوزارتين ابن لبون تفاحًا وإجاصًا ، وكتب معهما^٢ :

خُذْهَا كَمَا سَفَرْتُ إِلَيْكَ خُدُودُ أَوْ أَوْجَسْتُ فِي رَاحَتِكَ نُهُودُ
حَذَرًا مِنَ التَّفَاحِ نَشْرًا^٣ بَيْنَهَا وَلَهَا بِأَغْصَانِ الْجَنَانِ عَقُودُ
وَشَفَعْتُ بِالْإِجَاصِ قَصْدًا إِنَّهُ شَكْلُ الْجَمَالِ وَحُدَّةُ الْمَحْدُودِ
عَذْرًا إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ أَوْجُهُ بِيضٌ تَقَابُلَهَا عَيُونٌ سَوْدُ
إِيهِ وَعِنْدِي مِنْ فِرَاقِكَ لَوْعَةٌ يَعْزَى إِلَيْهَا ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
أَفْطَرْتُ مِنْ صُومِي بَغْرَتَكَ الَّتِي كَانَتْ هَلَالًا كَانَ عَنْهُ الْعِيدُ
لِللَّهِ لَيْلَتُنَا الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا هَذَا الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ مُحْسُودُ

وكتب إليه ابن لبون بهذه الأبيات^٤ :

خُتِمَتْ بِعَصْرِكَ أَغْصُرُ الْأَجْوَادِ وَعَنَتْ لَذِكْرِكَ أَلْسُنُ الْوَرَادِ
وَسَبَقَتْ أَمْلَاكَ الزَّمَانِ إِلَى مَدَى ضَلُّوهُ حَتَّى كُنْتَ أَنْتَ الْهَادِي

١ خالص : ٢٦٤ .

٢ خالص : ٢٦٣ .

٣ م ط س : نثرًا .

٤ وقع البيت في م س وهامش ط .

٥ القلائد : ٩٣ .

وغدت أكثرهم حسوداً في العلا
 وبدا بفضلك نقص كل معاند
 وقفت بمغناك العيون فقابلت^١
 وأنتك وافدة الركاب فقابلت
 وصدرن قد حملن عنك عوارفاً
 فضل أرانا جود حاتم طي^٢
 إيه أبا بكر أتظلم ساحتني
 عجباً لوعدك كيف تمسكه يد^٣
 ولست جودك كيف لم تسمح به
 إني لمعتد إخاءك موثلي
 وأصول منك على الزمان بمنصل^٤
 فسقى ديارك نائياً أو دانياً^٥
 ولئن رحلت لقد حلت بمنزل

إن الكريم طليبة الحساد [١٧٦]
 تتبين الأشياء بالاضداد
 أسد العرين به وبدر^٢ النادي
 أمل الحريص ومنية^٣ المرتاد
 أصبح كالأطواق في الأجياد
 وفخار كعب في قبيل إباد
 ظلماً وصنح العدل عندك بادي
 موصولة الأفعال بالأوعاد
 لصحيح ظني أو صريح ودادي
 وأرى وفاءك معقلي وسنادي
 جعل الطل بدلاً من الأغمد
 صوب الغمام المستهل الغادي
 من نور عيني أو سواد فوادي

فأجابه ابن عمار بهذه القصيدة الفريدة التي برز فيها، وأحسن ما شاء
 في ألفاظها ومعانيها ، وأولها :

عطلت من حاتي السروج جيادي
 وثبت عزمي عن مسير هزني
 وسلبت أعناق الرجال صعادي
 سعدي إليه وحشي إسعادي

١ القلائد : فلاحظت .

٢ خ بهامش ط : ولا ح بدر .

٣ القلائد وخ بهامش ط : ونجمة .

٤ القلائد : دانياً أو نائياً .

٥ القلائد : ٩٣ وخالص : ٢٧٢ .

وَسَلَّكْتُ مِنْ ثَوْبِ المَرُوءَةِ والوفا ثَوْبِي^١ وَحُلَّتْ^٢ عَلَى بَنِي عِبَادِ
 إِن^٣ لَمْ أَحِلِّكَ مِنْ فَوَادِي مَتَزَلًا^٤ يُنْبِيكَ أَنْكَ مَالِكٌ لِقِيَادِي
 وَأَخْصَ جَانِبَكَ الرَفِيعَ بِخِدْمَةٍ أَسْقِيكَ صَفْوَ أَجَةٍ وَأَعَادِ^٥
 وَأَرِدْ^٦ بِذِكْرِكَ مِنْ ثَنَائِي رَوْضَةً غَنَاءَ حَالِيَةِ بِنُورِ وَدَادِي
 حَتَّى تَبَيَّنَ أَنْ غَرَسَكَ قَدْ دَنَا بِحَنَى وَزَرَعَكَ قَدْ أَنَى لِحَصَادِ

قال ابن بسام : وكان هذه الأقسام التي جرت على لسانه وحلف بها
 أجيبته عنه ، فإنه لم يرجع إلى إشبيلية بعد من سفرته تلك لشيء صفا له ،
 ولا رفا^٤ لابن عباد ولا وفي له .

وذكرت بهذه الأقسام - إذ الشيء بالشيء يُذَكَّر ، إذا كان من واديه
 أو تعلق بالفاظه ومعانيه - خبراً نقلته من خط الوزير أبي عامر ابن مسلمة ،
 في كتابه المترجم بـ « الحديقة » قال : كنا يوماً في مجلس أنس مع أبي جعفر
 ابن الأبار ، فغنتي بشعر الأشتر في التحريض على معاوية ، حيث يقول :

بَقِيْتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ عَنْ الْعَلَا وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عُبُوسِ
 إِن^٣ لَمْ أَشُنْ عَلَى ابْنِ هَنْدٍ غَارَةً لَمْ تَخْلُ^٤ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ

١ القلائد : نفسي .

٢ د : وصلت .

٣ هذا البيت والذان بعده من هامش ط .

٤ رفا : تخفف من رفاً بمعنى حباه ورفق به ؛ ط م د س : وفا .

٥ انظر البيتين في الإصابة ٦ : ١٦٢ والحماسية رقم : ٢٥ (شرح المزدوقي : ١٤٩) .

٦ الحماسة : ابن حرب .

قال أبو عامر: فسألت ابن الأبار الردَّ عليه، والانضمام على السلامة من ذكر أحدٍ ، حميةً للأُموية وولاءٌ^١ إلى الحربية ، فقال على الارتجال، وقد أخذت منه الجريال :

خادرتُ عرضي عُرْضةً وأبجتهُ وثُركتُ نهب نفائسٍ ونفوسٍ
وقذفتُ أمَّ المؤمنين تمرّداً وكفرتُ من حربٍ بكلِّ رئيسٍ
إن لم نصبّحكم بكلِّ مصمّمٍ وبكلِّ ذِمٍّ في اللبوس عبوسٍ
خيلٍ كأمثالِ الأجادلِ فوقها ليس غطارفُ عامدون لليس^٢ [٧٦ب]
فإذا كسوناكم حِداد مآتمٍ أبنا بصافيةٍ الأديم عروسٍ
نسقيكم خمر الردى بصوارمٍ ونُعَلُّ من خمر المتى بكؤوسٍ

قال أبو عامر : وقد سلّم ابنُ الأبار لتلك الطائفة المردود عليها ، وتخلّص الطفّ تخلص ، على أن الاشتَر ما سلم ولا كرم .

قال ابن بسّام : والذي وصف الوزيرُ أبو عامر من الحميّة للأُموية ، وولائه لآل الحربية صحيح ، لأن جدّهم الأول أبان بن عبيد المعروف بالشرح^٣ مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، أهدى إليه من سبي البربر^٤ ، وأبان بن عبيد هو الداخل مع عبد الرحمن بن معاوية ، فأنزله بربض الرصافة من حضرة قرطبة ، وتلك التزل دورٌ يتوارثها بنو مسلمة من تاريخ دخول عبد الرحمن إلى وقتنا هذا ، فلها بأيديهم نيْفٌ على أربعمئة سنة .

١ ط د م : ولواء .

٢ اللبس : جمع ألبس وهو الشجاع الذي لا يبالي الحرب .

٣ د : بالشرح ؛ م : بالشرح .

٤ نقل ابن سعيد هذا في المغرب ١ : ٩٧ .

وفي هذه القصيدة يقول ابن عمار :

يا سيدي وأنا الذي ناديتُهُ
أعطاك فضلَ الإبتداء ولو جرى
لله درُّ عقيلةٍ أبرزتها
فرعاءُ عاطرةُ النواشب واللمى
وصلتُ^١ إليّ مع المساءِ فعارضتُ
خطُّ من النظمِ البديعِ أفادني
يفندي الصحيفةَ ناظريَ فيباضها
أهدى تحيتك الزكية طيبها
وشيَّ سَخَتْ يَدُكَ الصَّنَاعُ برقمه
ولقد تعيَّنَ لو أعانتُ قدرةً
لكن عجزتُ فما استقلَّ بنشائي
عُذْرًا ففبك لكلِّ طالبِ حُجَّةٍ
بك فاخر القلمُ القصيرُ فطاوُلَ^٢ الـ
فَلَكَ الفصاحةُ أو لسيفك كلُّما
ثنيتُ عليك حلَى الوزارة مثلما
وتتوجت منك القيادة بالذي
أنت الحلال الحلو رقَّ طبيعة^٣

لرضيَّ قلبى منك خير منادي
ظلمُ لأنكر أن تكونَ البادي
من خِدرِ فكرك في حلَى الإنشاد
غَيْدَاءُ حَالِيهِ الطلى والهادي
صلةَ الحبيبِ أتى بلا ميعاد
حظَّ الكرامِ وخُطَّةَ الأجماد
ببياضه وسوادها بسواد^٤
كافور قرطاس ومسك مداد^٥
فكسوتنيه مُذْهَبًا بأيادي
حَسُنَ الجزاء بها وهزَّ النادي
ماءُ الفراتِ ولا ثرى بغداد
خَصَمُ ألدُّ ووجهُ عُذْرِ بادي
رُمَحَ الطويلِ كتابةً بطراد
استمطيتَ متنيَّ منبرٍ وجواد
حملَ الحسامِ عليه نبيَّ نجاد
تركَ الرياسة مهنة القواد
وصفا مزاجاً كالسحاب الغادي

١ غ بهامش ط : خلصت .

٢ ورد في الرايات : ٥٦ .

٣ هذا البيت والذي قبله من هامش ط .

٤ هذا البيت وخمسة أبيات بعده من هامش ط .

امن معشر تشرف الأذوا بهم
 جلوا فحلوا في الأنام مكانة^١
 أفديك من حر^٢ تعبده به
 ولقد ظفرت من اقتبالك بالني
 وأرحت من تعبي بعهلك في ندى
 وشدت^٣ منك يدي بعلق مضنة
 يتعللون^٤ من الوفاء بعلته
 جمحوا إلى ظلمي فسست^٥ جماحهم
 واستبطنوا حقدأ^٦ وبين جوانحي
 ولكم دعي^٧ في الإخاء أعرته^٨
 حتى إذا رفض الوفاء رفضته^٩
 لا ذنب لي في طرد سائمة الهوى
 أنا قد رضيتك فارضتي وأعدتي
 إني لممن إن دعوت^{١٠} لنصرة
 أذكيت^{١١} دونك للعدا حدق^{١٢} القنا
 صلي أصلك وصل^{١٣} فديتك^{١٤} بي أصل^{١٥}
 ولئن بدرت إلى رضاي فربما
 وعلى تظاهرها الضمان^{١٦} بقلته^{١٧} ال

كتشرف الأيام بالأعياد
 كمكانة الآلاف في الأعداد
 شكري وقل^١ له القدا والقادي
 وبلغت أقصى غايي ومرادي
 ظل^٢ ونمت على وثير مهاد^٣
 ونفضتها بزعانف أنكاد^٤
 ضحك^٥ الطيب لها مع العواد
 ولقيت^٦ شدته^٧ بلين قياد^٨
 طبع يسل^٩ سخائم الأحقاد
 جذب^{١٠} ابن سفيان بضبع زياد
 واعتضت^{١١} منه بطيب الميلاد
 منه على السرح^{١٢} الويل الصادي
 إن كنت محتاجاً إلى الإعداد
 يوماً بساطي حجة وجلاد^{١٣} [٧٧]
 وخصمت^{١٤} عنك بالسُن^{١٥} الأغمار
 بك واعتمدني اتخذك^{١٦} عمادي
 وافيتني لرضاك بالمرصاد
 أعداء ثم بكثرة الحساد^{١٧}

١ هذا البيت من هامش ط .

٢ خالص : متعللين .

٣ م س : شدتهم (وكذلك عند خالص) .

٤ م ط س : دحالك .

إليه . وقلت إلى الوفاء محرّكاً
 وزعمت تُظلم ساحة ما بيننا
 كلاً فما التسوية من خلقي ولا
 وهل التوت بهواك إلا لقية
 أخطرتها وأكرُّ بعد إلى التي
 لا بدّ من ذاك السفارِ وإن عدتْ
 سقرٌ إذا استبعدته فسأمتطي
 خذها نتيجة منكرٍ لودادها
 حذراً من الردّ المخلّ فلنّها
 إليه . فما خطرتُ بعطف جمادُ
 ظلماً وصُبْحُ العدلِ عنديّ بادي
 ليّ الحميلِ بعادةٍ من عادي
 أحلى لعيني من لذيدِ رقاد
 يدعو المطيّ لها ويشدو الحادي
 عنه الليالي لأنهنّ عوادي
 حرصي ، وأجعلُ من ثنائك زادي
 برّيم بها قالٍ لها متفادي
 بعثُ^٢ الزيوف إلى بدّي نقاد

وكان بينه وبين حسام الدولة أبي مروان بن رزين تمكّنٌ أنسٍ ، فاتفق
 أن اجتاز على مقربة من بلده ، ولم يلتقيا ، فغضب ابن رزين عليه ، فكتب
 ابن عمار إليه^٣ :

لقاؤك النّجحُ لو أعقبته^٤ سفري
 وقصرك^٥ البيتُ لو أنّي قصدتُ به
 لم ثنّ عنك عِنائي سلوةٌ خَطَرَتْ
 ووجهك الصّبحُ لو أقبلتُهُ نظري
 حجّتي ويمتاك منه موضعُ الحجرِ
 على فؤادي ولا سمعي ولا بصري

١ هذا البيت مقدم عن موضعه عند خالص .

٢ خالص : فإنما أهدي .

٣ خالص : ٢٦٢ .

٤ ط د س م : أعفيته .

٥ س : وقصدك .

لكن عَدَّتْني عَنْكُمْ حَجَلَةٌ عَرَضَتْ كفايَ العذرَ فيها بيتُ معتذر
« لو اختصرتم من الإحسانِ زُرْركمُ والعذبُ يُهْجَرُ للإفراطِ في الخصر »^١

وما قيل في العجزِ عن الشكر ، بكثرة البرِّ ، أحسنُ من بيت المعري
هذا ، وقد تضمنه ابنُ عَمَّارٍ أحسنَ تضمين .

ونزل ابنُ عَمَّارٍ في بعضِ حركاته بحصنِ شقورة ، وانقبضوا عن
لِقائه استيحاشاً منه ، فكتب إليهم^٢ :

إخواننا هل حالَ من دوننا أمرُ تراءى لكم أم وحشةٌ جرَّها الدهرُ
بِخَلِّنا بَلْقِيانا وكان نزولنا على جَفْوَةٍ منكم وإن عَظُمَ البرُّ
وما هو إلا مقطعُ كهوائكم عَصِيبٌ وخلقٌ مثلُ منزلكم وعر
ثَقُوا بي إذا عنَّ اللقاءُ فما اعتزى إلى شيمتي غدرٌ ولا بيدي سحر

وكتب منه إلى أبي الفضل بن حسداي^٣ يصفُ حصنَ شقورة وحصانته^٤ :

أدركَ أخاكَ ولو بقافيةٍ كالطَّلِّ يوقظُ نائمَ الزَّهرِ
فلقد تقاذفتِ الركابُ به في غيرِ مَوَامةٍ ولا بحر
طفحتُ صحابتهُ بلا سِنَّةٍ وتمايلتُ سُكراً بلا خمر [٧٧ ب]

١ انظر شروح السقط : ١٢٠ .

٢ خالص : ٢٩٥ .

٣ ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٩ .

٤ القلائد : ٩٢ وخالص : ٣٠٢ .

٥ م ط س : طفقت .

ومنها في صفة الحصن :

وحشٌ تناكرت الوجوهُ به حتى استربتُ بصفحةِ البدر
متجبرٌ سال الوقارُ على عطفه من كِبَرٍ ومن كِبَرٍ
عالٍ كأن الجنَّ إذ مرَدَتْ جعلتهُ مرَقاةً إلى السرِّ

وكتب في ذلك إلى ابن المطرزي^١ :

تراءَ لعيني إن أردت مبرِّتي وسبَّبَ إلى الحُسْنَى ولو بقسيمٍ
فما شَمَّ عَرَفُ المسكِ دون تنشُّقٍ ولا اهترَّ عطفُ الغصنِ دون نسيمٍ

وكان في ضيافة المعتصم صاحب المرية ، بالمنية الصمادحية ، فلما أزمع
على الرحيل استسرحه^٢ بهذه الأبيات :

يا واثقاً وصلَ السَّماحَ الجَوْدَ^٣ في فضلِ السَّماحِ
ومطابقاً يأتي وجوهَ الجِدِّ من طُرُقِ المِزاجِ
أُسْرَفْتُ في برِّ الضيافِ فجدُّ قليلاً بالسَّراحِ

فأجابه المعتصم^٤ :

يا فاضلاً في شكرِهِ أَصِلْ المساءَ مع الصِّباحِ
هلا رفقتَ بمهجتي عند التكلُّمِ بالسَّراحِ
إنَّ السَّماحَ بمثلِكُم والله ليس من السَّماحِ

١ ط م س : إلى المطرزي ؛ وسيرد « ابن المطرزي » ص : ٤١١ ؛ وانظر خالص : ٣٠٤ .

٢ القلائد : ٥٠ وخالص : ٢٦٥ والحلة ٢ : ٨٥ والمغرب ٢ : ١٩٨ .

٣ المغرب والحلة : فضح السحاب ؛ المغرب : الجون .

٤ القلائد : ٥١ والحلة ٢ : ٨٥ والمغرب ٢ : ١٩٨ .

فلما أُرِيعَ على الرحيل ، وشرع في سلوك السبيل ، وحضر المعتصم
لوداعه ، أنشده ابن عمار جواباً على أبياته الثلاثة ^١ :

وخطُّكَ أم روضُ الربيعِ المنمقِ	ألفظُكَ أم كأسُ الرحيقِ المعتقِ
يروقُ على جيدِ العروسِ المطوقِ	ونظْمُكَ أم سلكُ من الدرِّ ناصعِ
شممتُ ^٢ بها عَرَفَ النسيمِ المخلِّقِ	بعثتُ بها يا قطعةَ الزوضِ قطعةَ
بعثتُ بها الجوزاءَ في صفحِ مُهرَقِ	ثلاثةَ أبياتٍ وهيهاتِ إنما
وكيف يكونُ السَّحرُ في لفظِ متَّقِ ^٣	هي السَّحرُ أسرى في النفوسِ من الهوى
بأبطالها والخيلُ بالخيلِ تلتقي	أمتعصماً بالله والحربُ ترتجي
لأفرقُ من ذكرِ النوى والتفرقِ	دعني المطايا للرحيلِ وإنني
جيينكُ شمسي والمريّة مشرقِ	وإني إذا غربتُ عنك فلأنما

وكتب إليه المعتصم يوماً بنثر وشعر يقول فيه ^٤ :

وطولُ اختباري صاحباً بعد صاحبِ	وزهدني في الناسِ معرفتي بهم
مباديه إلا ساعني في العواقبِ	فلم تُرني الأيامُ خيلاً تُسرني
من الدهرِ إلا كان إحدى المصائبِ	ولا قلتُ أرجوهُ لدفعِ ملمةٍ

فأجابه ابن عمار بقوله ^٥ :

١ القلائد : ٨٦ والمطرب : ١٧٣ وخالص : ٢٩٧ .

٢ م ط : بعثت .

٣ ط والقلائد : منطق .

٤ القلائد : وإن .

٥ القلائد : ٤٩ والخريدة : ٨٣ وابن خلكان : ٥ : ٤٠ والحلة : ٢ : ٨٤ والمغرب : ٢ : ١٩٧ .

٦ القلائد : ٥٠ والخريدة : ٢ : ٨٤ وخالص : ٢٦٩ .

فديتك لا ترهد^١ وثم^٢ بقية^٣
وأبقى على الخُلصان^٤ إن^٥ لديهم^٦
تكنفتني بالنثر والنظم عاتياً^١
وقد كان لي لو شئت رد^٢ وإنما
ولا بد^٣ من شكوى ولو بتنفس^٤
كبت^٥ على رسمي وبعد نسيئة^٦
ثلاثة^١ أبيات^٢ وهيهات^٣ إنما
وكيف يلد العيش^٤ من^٥ عتب^٦ سيد^١
وقبل^٢ جرت^٣ عن بعض^٤ كتي^٥ جفوة^٦
سلكت^١ سبيل^٢ للزيارة^٣ إثرها^٤
وما كبت^٥ مراتداً ولكن لنفحة^٦
ولو لمعت^١ لي من سمائك^٢ برقة^٣
فقبلت^٤ من يملك^٥ أعذب^٦ مورد^١
وأبت^٢ خفيف^٣ الظهر^٤ إلا^٥ من النوى^٦
سواك^١ يعني قول^٢ الوشاة^٣ من العدا

سترغب فيها عنلوقع^١ التجارب^٢ [١٧٨]
على البدء^٣ كرات^٤ بحسن^٥ العواقب^٦
وسقت^١ علي^٢ القول^٣ من كل^٤ جانب^٥
أجر^٦ لساني ذكر^١ تلك المواهب^٢
يسكن^٣ من حر^٤ الحشا^٥ والثرائب^٦
قرأت^١ جوابي من سطور^٢ المواكب^٣
بعثت^٤ إلى حربي ثلاث^٥ كتاب^٦
وما لذتي يوماً على عتب^١ صاحب^٢
ألحت^٣ على وجهي بغمز^٤ الحواجب^٥
فقابلت^٦ دفعا^١ في صدور^٢ الركائب^٣
تعودت^٤ من ريحان^٥ تلك الضرائب^٦
ركبت^١ إلى مغناك^٢ هوج^٣ الجنايب^٤
وقضيت^٥ من لقاءك^٦ أوكد^١ واجب^٢
وخليت^٣ للعاني ثقال^٤ الحقايب^٥
وغيرك^٦ يقضي بالظنون^١ الكواذب^٢

١ القلائد وخ بهامش ط : جاهداً (بغير خط الأصل) .

٢ القلائد وخ بهامش ط : بعض (بخط مختلف) .

٣ الحريرة : يخفف ؛ القلائد : يبرد .

٤ ط م س : لغمز .

٥ القلائد : قبلها .

٦ الحريرة : فصادفت .

تلخيص التعريف بآخر أمره وكيفية مقتله

كان حب الرياسة في رأسه يدور، وأما انتراؤه بمرسية فمشهور، وأفضت الحال بالرشيد هنالك إلى الاعتقال، بأيدي نصارى الافرنجة، في جملة من المال كانوا أكثروا بها، فحبسوا الرشيد بسببها، إلى أن افتكته أبوه المعتمد في خبر طويل، وابن عمار صاحب ذلك الرعيل^٢، والمعلوم في المعلوم من أمره والمجهول، وفساد حاله عند المعتمد يتزايد، وتدابره يتساند. وفي أثناء ما وقع من تدبير تلك الأمور، ونجوم ذلك الاستيحاش والتغيير، خاطبه المعتمد عاتباً متمثلاً بهذين البيتين^٣، وكان قد خرج عنه :

تغيّر لي في من بغيّر حارثُ وكلُّ خليلٍ غيّرته الحوادثُ
أحارثُ إن شوركُ فيك فطالما نعمنا وما بيني وبينك ثالث
فأجابه ابن عمار بقوله^٤ :

١ نقله ابن الأبار في الحلقة ٢ : ١٤٤ .

٢ الحلقة (٢ : ١٤٤) : الرحيل ، وذلك تغيير من المحقق ، ليطابق ما اقترحه ابن عمار من خروج إلى شرق الأندلس مع الرشيد بجيش اشبيلي للاستيلاء على مرسية (وفي أصل الحلقة : الرعيل) .

٣ هما لبراهيم بن العباس الصولي قالهما لما انحرف عنه ابن الزيات ، وكان الحارث بن بسخر صديقاً له ، فهجره فيمن هجره من إخوانه (الأغاني ١٠ : ٤٥ وديوان العباس : ١٨٢) وقيل إن البيتين لإسحاق بن إبراهيم الموصل .

٤ الحلقة ٢ : ١٤٣ وخالص : ٢٨٤ وتمام المتون : ٣٠٨ .

لك المثلُ الأعلى وما أنا حارثُ
ولا شاركتك الشمسُ فيَّ وإنه
فديتك ما للبشر لم يسر برقه
أظنُّ الذي بيني وبينك أذهبتُ
تنكَّرت لا أني لفضلك ناكراً
ولكن ظنونٌ ساعدتها نمامٌ
أبعد مَضَّتْ خمسٌ وعشرون حجةً
مضت لم ترَبْ مني أمورٌ شوائبٌ
حللت يداً بي هكذا وتركتني
وهل أنا إلا عبدٌ طاعتك التي
أعبدُ نظراً لا توهن الرأي إنه
ستذكرني إن بان جبلي وأصبحت
وتطلبني إن غاب للرأي حاضرٌ
أعوذ بعهدٍ نطنته بك أن ترى

ولا أنا ممن غيَّرتَه الحوادثُ
لينأى بحظي منك ثانٍ وثالث
ولا نفحت تلك السجايا إلهامات
حلاوته عني الرجالُ الأخابث
لديَّ ولا أني لعهدك ناكث
كما شاعدتُ مثنى المثنى الثالث
تجافت بنا تلك الخطوب الكوارث [٧٨ب]
ولا تلييت مني مساعٍ خباث
نهاباً وللأيام أيدٍ عوابث
إذا متُّ عنها قام بعدي وارث
قديماً نبا^١ هافٍ وأدرك راث
تثن^٢ بكفَيْكَ الجبالُ الرثاث
وقد غاب مني للخواطر باعث
تحلُّ عراه العاقداتُ النوافث

قوله : « قديماً نبا هافٍ وأدرك راث » معنى مشهور ، القول فيه كثير ،
ومن أشهره قول عبيد * :

١ الخلة : صوت .

٢ الخلة : أبعد انقضا خمس وعشرين .

٣ الخلة : كبا ؛ ط م د س : بنا .

٤ د : تمر .

٥ ليس لعبيد ، وإنما هو لعدي بن زيد ، ديوانه : ٧٠ .

قد يدركُ المبطلُ من خطئه والخير قد يسبقُ جهنمَ الحريصُ

وقال القطامي^١ :

قد يدركُ المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ

ولما سمعه أعرابي قال : هذا ضَبَطَ الناس . هلاً قال بعد هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناس بطشُهُمُ وكان خيراً لهم لو أنَّهم عجلوا

وفي أثناء تلك الحال ، التي أفضت بالرشد إلى الاعتقال ، كتب إلى المعتمد بهذه الأبيات^٢ :

أصدقُ ظنِّي أم أصبحُ إلى صحي	وأمضي عزيمي أم أعوجُ مع الركبِ
إذا انقدتُ في رأيي مشيتُ مع الهوى	وإنَّ اتَّعَقَّبْتُهُ نكصتُ على عقبي
ولأنِّي لتُشِينِي إليك مودَّةُ	يغيرها ما قد تعرَّضَ من ذنب
فما أعجَبَ ^٣ الأيام في ما قضت به	تُرِينِي بُعْدِي عنك آنسَ من قربي
أخافُك للحقِّ الذي لك في دمي	وأرجوك للحبِّ الذي لك في قلبي

وهذا^٤ البيت على سهولة مبناه^٥ ، من أحسن ما قيل في معناه ، ويمثله

١ ديوان القطامي : ٢٥ وتمام المتن : ٥٦ .

٢ الحلة : ٢ : ١٣٥ وديوان المعتمد : ٥١ ؛ وعند الفتح في القلائد : ٩٠ - ٩١ أبيات اختلطت بها بعض هذه ، كتبها ابن عمار إلى المعتمد ، وانظر خالص : ٢٧٩ .

٣ الحلة : أغرب .

٤ نقل التمليق في الحلة : ٢ : ١٣٦ .

٥ د : مبتناه ؛ ط : معناه .

فلتنخدع الألباب^١ ، وتستعطف الأعداء^٢ للأجباب^٣ ، إلا أن^٤ الصراع الأول كأنه شيء تكهنه^٥ من شانه ، وطيرة^٦ ألقاها الله تعالى على لسانه ، وصدق كان له في عنقه ربتى^٧ ، وفي دمه حق^٨ ، احتال له فئاله ، والمرء^٩ يعجز^{١٠} لا المحالة . وفيها يقول :

وكم قد فترت^{١١} بيمالك^{١٢} بي من ضريبة^{١٣} ولا بد^{١٤} يوماً أن يُقتل^{١٥} من غربي يطبقها^{١٦} ما بين شرق^{١٧} إلى غرب^{١٨} وأعلم^{١٩} أن العفو منك سجيّة^{٢٠} فلي حسنات^{٢١} لو أمت^{٢٢} ببعضها إلى الدهر^{٢٣} لم يرتع^{٢٤} لنائبة^{٢٥} سربي فأجابه المعتمد بقوله^{٢٦} :

تقدم^{٢٧} إلى ما اعتدت^{٢٨} عندي من الرحب متى تلقني تلق الذي قد بَلَوْتَهُ^{٢٩} وأوليك^{٣٠} مني ما عهدت^{٣١} من الرضى فما أشعر^{٣٢} الرحمن^{٣٣} قلبي^{٣٤} قسوة^{٣٥} تكلّفته^{٣٦} أبغي^{٣٧} به لك سلوة^{٣٨} ورد^{٣٩} تلقك^{٤٠} العُتْبَى^{٤١} حجاباً عن العتبِ صفوحاً^{٤٢} عن الجاني رؤوفاً على الصحب وأصفح^{٤٣} عما كان إن كان من ذنب ولا صار نسيان^{٤٤} الأذمة^{٤٥} من شعبي^{٤٦} [١٧٩] فليس يجيد^{٤٧} الشعر^{٤٨} مشترك^{٤٩} اللب^{٥٠}

١ د : للأصحاب .

٢ الحلقة : ولا غرو .

٣ هذا البيت ورد في ط م س ، وذكر ابن الأبار (الحلقة ٢ : ١٣٧) أن أبا الطاهر التميمي أورد هذا البيت زيادة على ما أورده ابن بسام في روايته .

٤ الحلقة ٢ : ١٣٦ وديوان المعتمد : ٥٢ ؛ والرد الذي أورده الفتح في القلائد يتضمن أبياتاً على الروي نفسه ، لكنها غير هذه .

فلم يزدده جواب المعتمد هذا إلاَّ توحَّشاً ونفاراً، وتوقفاً عن اللحاق به
وازوراراً ، والله درّ أبني الطيّب في قوله ١ :

إذا ساء فعلُ المرمِ ساءتْ ظنُونُهُ وصدق ما يعتادهُ من توهمِ
وعادى محبِّه لقولِ عداته وأصبح في ليلٍ من الشكِّ مظلمِ

ونقله المتنبي من قول أعرابي :

أسأت إليَّ فاستوحشتَ مني ولو أحسنتَ ما استبعدت عني
أسأت فساء ظنُّك بي بلحاجاً وما أولى المسمي بسوءِ ظنِّ

وقول المعتمد : « تكلفته أبغي به لك سلوة » ، صدق فيما وصف ،
وزاد على التكلف .

وقول ابن عمار : « فلي حسنات لو أمتُ ببعضها ، إلى الدهر » مما
ردّد لفظه ومعناه ، وأصله فيما أراه من قول الفيلسوف : « قد تكلمتُ
بكلامٍ لو مدّح به الدهرُ لما دارت عليّ صروفه » ، وأخذه الناجم ٢ فقال ٣ :
ولي في أحمدٍ أملٌ بعيدٌ ومعنى حين أنشدهُ ظريفُ
مدائحُ لو مدحتُ بها الليالي لما دارت عليَّ لها صروف

وقال المتنبي ٤ :

١ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٢ م ط س : الناظم .

٣ زهر الآداب : ٦٣٣ وذهب المصري إلى أن الناجم أخذه من قول بشاري المهدي : « لقد مدحته
بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حر » .

٤ ديوان المتنبي : ٣٧ .

في فيلقٍ من حديدٍ لو رميت به^١ صرف الزمان لما دارت دوائرُهُ

وكانت حالُ ابنِ عمار ، حين تردّد بتلك الأقطار من بلد بني هود ،
قد تمكنَ منهم بالمؤمن ، إلاّ أن بني عبد العزيز كانوا يُشْرِقُونَهُ بِريقه ،
ويوعّرون عليه السَّهْل من طريقه ، ويبلغُهُ عنهم ما تتوقّد له ضلوعه ،
وتنسكبُ منه دموعُهُ . بلغه عنه^٢ وعن ابن طاهر أنهما ندّرا فيه بسبب
خاتمين كان المؤمن ختمه بأحدهما ، والآخر اذفونش بن فرذلند ، فكتب
ابن عمار إلى ابن عبد العزيز^٣ :

قلْ للوزير وليس رأيَ وزير أن يُتَّبَعَ التَّنْذِيرَ بالتَّنْذِيرِ^٤
إنَّ الوزارةَ مذ لبستَ رداءها^٥ وقفْ على التَّغْيِيرِ والتَّزْوِيرِ^٦
وأرى الفكاكَةَ جُلْ ما تأتي به رحماك في التَّعْجِيزِ والتَّصْديرِ^٧
بلغتْ دُعَابُكَ التي أهدَيْتَها في خاتم التَّأْمِينِ والتَّأْمِيرِ^٨
وأظنّها للطاهريّ^٩ فإن تكنْ فجديرةُ التَّقْدِيسِ والتَّطْهِيرِ^{١٠}

١ الديوان : لو قذفت به .

٢ يعني ابن عبد العزيز ، ولم يصرح بذكره فيما سبق .

٣ الحلة ٢ : ١٤١ والقلائد : ٦٤ وخالص : ٢٩٣ .

٤ القلائد : التّزوير بالتّزوير .

٥ الحلة : لو سلكت سبيلها .

٦ د : والتدوير ؛ الحلة والقلائد : التميز والتوقيع .

٧ يعني أبا عبد الرحمن ابن طاهر ، وكان مشهوراً بنوادره ، كما وضع ابن بسام في ترجمته
في القسم الثالث : ٢٦ - ٢٧ .

فرسا رهان أنتما فتجاريا بالقول في التقديم والتأخير^١
 وإذا سلكت سبيله فحقيقة^٢ كمي تتبع التصغير بالتصغير
 وأرى بلنسية^٣ وأنت قدارها^٤ سيناها التدمير من تدمير

وفي بني عبد العزيز أيضاً يقول مغرباً بهم ، خاطباً لنفسه ، ونحلها ابن
 المطرز الشاعر^٥ :

بَشْرُ^٦ بلنسية^٣ وكانت جنة^٧ أن^٨ قد تدلّت في سواء النار^٩
 جازوا^{١٠} بني عبد العزيز فلأنهم جرّوا إليكم أسوأ الأقدار
 ثوروا بهم متأولين وقتلوا ملكاً يقوم على العدو بثار
 هذا محمد^{١١} أو فهذا أحمد^{١٢} وكلاهما أهل لتلك الدار [٧٩ب]
 جاء الوزير بها يكشف ذيله^{١٣} عن سوءة^{١٤} سوى عار عار
 وأوى لينصر من نبا المثنوى به ودهاه خذلان^{١٥} من الأنصار^{١٦}

١ في الحلة :

ولعل يوماً أن يصير نعته في طينة التقديم والتأخير
 وفي القلائد : أن يصير نقشه .

٢ قدار : عاقر الناقة ؛ وفي د : مدارها .

٣ كان ابن عمار شديد التنقص للوزير أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ويقال إنه نظم
 هذه الأبيات حين غدره ابن عبد العزيز في حصن جملة (Jumilla) من أعمال مرسية
 (انظر الحلة ٢ : ١٥٥ وديوان المعتمد : ٧١) .

٤ الحلة : خبر .

٥ د : سواد القار .

٦ ط د س : جاروا .

٧ ط م د س : ذيلها .

٨ البيت من هامش ط ، وهو والأبيات المزيدة هنا من تقييد معلق آخر عدا الناسخ .

نكت اليمين وحاد عن سنن التقى
 ما كنتم إلا كأمة صالح
 هذا وخصكم بأشأم طائر
 برّ اليمين ولم يعرض نفسه
 لا بدّ من مسح الحيين فلنّما
 هيهات يطعمع بالنجاة لطالب
 كيف التفّلت بالخديعة من يدَي
 رجل تطعمته الزمان فجاءه
 سلس القياد إلى الجميل وإن يهيج
 طين بأعراض الأمور مجرب
 ماض إذا برزت إليه مصمم
 ما زال مذ عقدت بداه إزاره
 كشاف مظلمة وسائس أمة
 عجباً لأشمط راضع ثدي الوغى
 شراب أكواس المدام وتارة
 جرّار أذبال القنا ، ظنّوا به
 وكانتكم بنجومه ورُجومه
 وأنا النصيح فإن قبلتم فاتركوا
 قوموا إلى الدار الخبيثة فانهبوا

وقضى على الإقبال بالادبار
 فرماكم من طاهر بقُدّار
 ورمى دياركم بالأم جاراً
 ونفوسكم بمصارع الفجار
 لطمته غدرأ غير ذات سوار
 ساع إذا ونت الكواكب سار
 رجل الحقيقة من بني عمار
 طرقتين في الإحلاء والامرار
 فدع العنان لهبة التبار
 فطن لأسرار المكابد دار
 حول إذا التفت عليه مدار
 فما فأدرك خمسة الأشبار
 نقاع أهل زمانه ضرار
 منه ، وطود في القنا الخطار
 شراب أكواس الدّم الموار
 قد زاركم في الجحفل الجرار
 تهوي إليكم من سماء غبار
 آثارها خبراً من الأخبار
 تلك الذخائر من خبايا الدار

١ هذا البيت والذي يليه من هامش ط .

٢ هذا البيت والذي بعده من هامش ط .

٣ زيادة من هامش ط .

وتعوضوا من صفرة خبيثة بأغرّ وهّاحِ الجبين نضار

ولما سمع المعتمد هذا القصيد ، وقرع سمّعه فخارُ ابنِ عمار ، قال
هذه الأبيات ، وهي من ملبح التعريض ، ومقلوبِ التقريض^١ ، وأضافها
إلى بيت ابنِ عمار حيث قال عن نفسه :

كيف التفلّت بالخديعة من يدَي رجلِ الحقيقة من بني عمارِ

فقال المعتمد^٢ :

الأكثرين مسوداً ومملكاً	ومتوجّجاً في سالفِ الأعصار
المكثرين من الكباء لنارهم	لا يوقدون بغيره للساري
والمؤثرين على العيال بزادهم	والضارين لهامة الجبار
الناهضين من المهود إلى العلا	والمنهضين الغارَ بعد الغار
إن كوثروا كانوا الحصى أوفوخروا	فمَن الأكاسر من بني الأحرار
يضحي مؤملهم يؤمل سببه	ويبيت جارهم عزيزَ الجار
تبكي عليهم شنبوس بعبرة	كأتيها المتدافع إلتبار
يبكي بها القصر المنيف ثلاث	شرفاته في خضرة الأشجار
ما ضاحكته الشمس إلا خلته	نضحت جوانبه بماء نضار
يا شمس ذاك القصر كيف تخلّصت	فيه إليك طوارق الأقدار [١٨٠]
لما تنلّك شعوب حتى جاوزت	غلب الرجال وسامي الأسوار
كم كان من أسدٍ هنالك خادرٍ	لك حارس بأسنة وشفار

١ ط د : التقريض .

٢ الحلقة ٢ : ١٥٦ وديوان المعتمد : ٧٢ .

من قومك الزهر الوجوه إذا الوغى كست الوجوه الغر ثوب القار
من كل أشوس خائض في لجة نحو الكُماة بشعلة من نار
لما نماهم للعلا عمارهم تركوا العلاء قصيرة الأعمار

وشنبوس^١ التي ذكر هي اسم قرية ببادية شلب ، كانت مقر سلف
ابن عمار .

وقوله : « يا شمس ذاك القصر » كانت والددة ابن عمار — زعموا —
تدعى بشمس مصغرة .

فلما بلغ ابن عمار شعر المعتمد هذا ، وقد بلغ من التدبير^٢ فيه الغاية ،
وتجاوز من الطَّنَز عليه النهاية ، قلَّ حدُّ صبره ، ولم يشك أنه من
شعره ، فشاعت في الناس أشعار ، عزيت إلى ابن عمار ، في القدح في
المعتمد وآله وذويه وعياله ، منها قصيدة^٣ أولها :

ألا حي بالغرب حيًّا حلالا أناخوا جِمالًا وحازوا جِمالًا
وعرج بيومين أم القرى ونم فغسى أن تراها خيالًا
لتسأل عن ساكنيها الرماد ولم تر للنار فيها اشتعالًا
وبعدَه ما أضربت^٤ عنه ، رغبة بكتابي عن الشين ، وبنفسي أن

١ ط م د : وشنبوش .

٢ ط م س : التدبير .

٣ الحلة ٢ : ١٥٧٦ والخريدة ٢ : ٧١ والريحان ١ : ١٥٦ ب والوفيات ٤ : ٤٢٨

والوافي ٤ : ٢٣٠ .

٤ د : أضرب .

أكون أحدَ الهاجيينِ ، فقد قالوا : الراوية أحدُ الشائمين .

وقوله : « وعرجُ يومين » هي أيضاً اسمُ قريةٍ بقطر لإشبيلية كانت أوليةً بني عبّاد منها .

فلما قرّعتِ الأسماعَ تلكَ الأشعارُ^١ ، ونُسِيتْ لابنَ عمّار ، اشتدَّ حَتَقُ المعتمد عليه ، ونفوذُ المقلوبِ يتسبَّبُ لموته على يديه ، فلم يزل المعتمد يرتصدُّ فيه الغوائل ، وينصبُّ له الحياثل ، إلى أن لاح لابنَ عمّار عند ساحبِ شقورة برقٍ خلَّب ، وكان قد تجاوز بطمعه في الرئاسة طمعَ أشعب ، فسوّل للمؤمن ابن هود امتطاءً صهوتها ، وسهّلَ له تسنُّمَ ذروتها ، وإنما أراد أن يخلدعه كما خلدع ابنَ عبّاد ، فدُفِعَ في صدره ، وحقَّ به سيءٌ مُكْرِهٌ ، فلما طرق إليه ولحق بحصنه ، لم يلبث أن حصل في سجنه ، غدرًا به ، فجعل ابنُ عمّار يلاطفه ويسترحم ، وينشدهُ اللهَ في حقنِ الدم ، ووعدَه في نفسه وضمينَ له أموالاً ، فلم يُصْغِرْ إليه وشدَّ صفاده اعتقالاً ، وطبَّرَ إلى المعتمد بالخبر . واتفق أن اجتاز الوزير أبو جعفر ابن جرج^٢ بذلك الأفق ، وابنُ عمّار في المطبق ، فخطابه بهذه الأبيات^٣ :

كأنِّي أراكَ أبا جعفرٍ تقولُ وتبسمُ نحوي مشيراً
سفرتُ ليرجعَ هذا معي وزيراً فلم أرَ إلا أسيراً

١ ذكر ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٥٧) أن ابن عبد العزيز دس إلى مرسية نبيلًا من يهود الشرق ليلايس ابن عمار ويروي ما يقوله من أشعار ، وأن هذا اليهودي هو الذي حصل على هذه القصيدة وطار بها إلى ابن عبد العزيز ، فطيرها هذا مدرجة طي كتابه إلى المعتمد .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٤٤٨ .

٣ خالص : ٣٠١ .

وهل يملكُ المرءُ من أمره قبلاً فينفذه أم دبيراً
هو القدر الحتمُ يُعْمي الفتى وإن كان بالدهرِ طبّاً بصيراً

وانفق أيضاً وقتَ القبضِ عليه يومئذٍ دخولُ المعتمدِ حصنَ بيّاسةٍ ،
وتطارحُ أهلِها عليه ، وحصولُ تلك الجهةِ في يديه ، ورأيتُ رقعةً صدرت
عنه في ذلك إلى أحدِ بنيه ، وذكر الخائن^١ ابنِ عمّارٍ في فصلٍ منها قال فيه :

كتابي يومَ كذا ، وفي أمسه ورد كتابُ المأمون أخيك من داخلِ حصنِ
بيّاسةٍ ، وأنَّ أهلها لما بلغهم تأهّبوا لمحاصرتهِم ، واحتفالي لِمنازلتهم ، وعلموا
أنَّ تدبيرهم قد اضمحلَّ في أيديهم ، وأنَّ صريحهم قد خرسَ عن إجابةِ
داعيهم ، وتيقنوا أنَّني إذا نويتُ مضيتُ ، وإذا لُحِجْتُ حَجَجْتُ ، خامرهم
الفرعُ ، وضاقَ بهم المتسعُ ، ومشى بعضهم إلى بعضٍ يتشاورون كيف
المصنعُ ، وأين المنزعُ ، فلم يروا لأنفسهم طريقاً أنجى ، ولا مهرباً أجدى [٨٠ب]
بالخلاصِ وأحجى ، من الترامي عليَّ ، والاستسلام إليَّ ، فبادروا
نحوي رجالاً وركباناً ، وتسربُّوا قبلي زرافاتٍ ووحداناً ، ولم أَرِدْ حضرةَ
قرطبةَ إلّا وقد لحقَ بها منهم أفواجٌ ، وسالتُ بمن وراءهم أباطحُ وفجاج ،
كلُّ يستعطفُ ويستترِلُ ، ويسألُ لمن وراءه عفواً يعمّ ويشملُ ، فأقبلتُ
وقبلتُ ، وعذرتُ واغتفرتُ ، وبالغتُ في تأنيسهم ، وتطيبب نفوسهم ،
والحمدُ لله على ما مَنَّ وتطوَّلَ ، وأنعم وأفضل .

ووافي هذا الصنعَ الجميلَ ، والفتحَ الجليلَ ، آخرُ تقدّمه خطّاً ،

١ ط : الخيان .

٢ د : الصنع .

وكان له - ونعم ما كان - فَرَطًا ، وذلك بقبضِ عتادِ الدولة أبي محمد ابن سهيل^١ على الغادر الملقب ابنِ عمار ، قطع الله به وبمن أوى^٢ إليه وآل بكلِّ مَنْ سعى سَعْيُهُ أو نزع مترعه مآله ، بجائل نصبناها له هنالك حتى عَلِقَتْهُ ، وغوائل أرصدناها حتى أوبَقَتْهُ ، وتلك عادةُ الله الحسنى عندنا ، في من غمطَ نعمتنا ونكثَ عهدنا ، فله الحمد دائماً والشكر واصباً .

قال ابن بسام : وكان القبض على ابن عمار بشقورة يوم الجمعة لست بقين لربيع الآخر سنة سبع وسبعين ، وورد على المعتمد غيرُ ما خطاب في معناه وَوَجْهٍ الشفاعة فيه ، وَجَبَرِ صَدْعُهُ وتلافيه ، فسدَّ بابَ الشفاعة في ذلك ، وشدَّ صفادَه هنالك . وممن كان شفع له يومئذ ذو الوزارتين ابن محفور صاحبُ شاطبة ، بخطابٍ مشهورٍ معروف ، ورأيت عليه الجواب من إنشاء أبي الوليد ابن طريف^٣ ، قال فيه :

وقفتُ على الإشارةِ الموضوعة من قِبَلِكَ على أخلصِ وجوه
السَّلامة ، المستنام فيها إلى شَرَفٍ محتدِكٍ وصفاءٍ مُعْتَقَدِكِ أَكْرَمِ

١ لم أجد تعريفاً به ، ولكن يبدو من سياق الأحداث أنه كان صاحب حصن شقورة ، حيث تم القبض على ابن عمار . وقد قص لسان الدين كيف احتال صاحب هذا الحصن على ابن عمار وجعل البلد بيده بالسان ، وطلب منه الصعود بنفسه لمباشرة قصبته ، فأسرع لذلك في طائفة يسيرة من الرجال فلما تحصل في القصبة وثب به صاحب الحصن وكبله وأودعه المطبق (أعمال الأعلام : ١٦٠) .

٢ د : أووا .

٣ ذكره في النفع ٣ : ٢٩٩ وأورد له أبياتاً في زوال دولة المعتمد ، وانظر الذخيرة ١ :

٨١٨ - ٨٢١ .

استنامة ، في الشفاعة في من أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها سبب النكبة والعثار ، يغمطه لعظيم النعمة ، وقطعه للعلاق العيصمة ، وتخبطه في سنن غيه واستهدافه ، وتجاوزه في ارتكاب الجرائم وإسرافه ، حتى لم يدع للصالح موضعاً ، وخرق ستر الإبقاء بينه وبين مولى النعمة عنده فلم يترك فيه مرقعاً ، وقد كان قبل استشهاده ، وكشفه لصفحة المعاندة وإبدائه ، عذره في جميع جنائياته مقبول ، وجانب الصفح له معرض مبذول ، لكن غيرته الغواية ، عن طريق الهداية ، فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن سنن اعتداله ، وأظهر المناقضة ، وتعرض - بزعمه - إلى المساورة والمعارضة ، فلم يزل يرغب الغوائل ، وينصب الجائل ، ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه في أوعر المذاهب ، حتى عاقبته تلك الأشرار التي نصبها ، وتشبثت به مساوى المقدمات التي جرأ وسببها ، فذاق وبال فعله ﴿ ولا يحق المكر السيء إلا بأهله ﴾ (فاطر : ٤٣) ولم يحصل في الأنسوة التي تورطها ، والمنحسة التي اشتملت عليه وتوسطها ، إلا وجه العفو له قد أظلم ، وباب الشفاعة فيه قد أبهم ، ومن تأمل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه اللثيمة ، رأى أن الصفح عنه بعيد ، والإبقاء عليه داء حاضر عتيد ، ومثلك في رجاحة ميزانه ، ومعرفته بأبناء زمانه ، لم يجهل بداية حاله من القل والضعة ، وارتقاءه منها إلى الرفعة والسعة ، وإنشاله من ذل الخمول ، إلى العز العريض الطويل ، وتسويغه عقائل الأموال ، وجلال الأحوال .

وفي فصل منها : فوق المناضلة الدولة نباله ، وأعمل في مكابدها

جَهْدَهُ واحْتِيَالَهُ ، ثم لم يقتصر على ذلك ، بل تجاوزَه إلى إطلاقِ لسانِهِ
بالذمِّ الذي صدر عن لُومِ نَجَارِهِ ، والطَّعنِ الشاهدِ بِنَجْثِ طَوَيْتِهِ
وإضماره ، ومن جهلَ مقدارَ تلك النعمةِ التي كان سَوَّغَهَا أَوَّلًا ، أخلِيقُ
به أن لا يعرفَ مقدارَ العفوِ عنه آخرًا ، ومن فسدَ هذا الفسادَ كيف
يُرجى استصلاحُهُ ؟ ومن استبطنَ مثلَ غلِّهِ كيف يؤمِّلُ فلاحَهُ ،
ومن لكَ بسلامةِ الأديمِ النَّغِيلِ ، وصفاءِ القلبِ الدَّغْلِ ؟ ! وعلى ذلك
فلا أعتقدُ عليك [٨١ أ] فيما عرضتَ به مِن وجهِ الشفاعةِ غيرَ الحميلِ ،
ولا أتعُدِّي فيه حُسْنَ التَّأْوِيلِ ، ولو ١ وَقَدَّتْ شفاعتك في غير هذا الأمرِ
الذي سبق فيه السيفُ العذلَ ، وأبطلَ غافلُ الأقدارِ فيه الألفاظَ والحيلَ ،
لَتَلَقَّيْتِ بالإجمالِ ، وقوبِلْتِ ببالغِ المبرَّةِ والاهتيالِ .

ما أخرجته من سري نظمه وجزل مقاله مدة اعتقاله

من ذلك أبيات خاطب بها صاحب المرية يقول فيها ٢ :

أصبحت في السوقِ ينادى على رأسي بأنواعٍ من المالِ
فهل فتىً يبتاعني ماجدٌ أخدمه مدَّةً إمهالي
تالله لا جار على نَقْدِهِ مَنْ ضمَّني بالثمنِ الغالي

١ ط د م س : ولقد .

٢ القلائد : ٩٢ والموجب : ١٨٣ وخالص : ٣٠٥ .

أَرْبَحُ بِهَا مَوْلَايَ مِنْ صَفْقَةٍ فِي سِلْعَةٍ مِنْ بَرَكَ الْعَالِي^١

وَكُتِبَ أَيْضاً إِلَى الْمُعْتَمَدِ^٢ :

نَفْسِي تَحْنُ إِلَى فُسْدَاءِ	تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنْ شَرَاءِ
فَاسْبِقْ بِنَقْدِكَ وَعَدَهُمْ	مَسْتَرِخْصاً لِي بِالْغَلَاءِ
ثُمَّ امْضِ فِيَّ عَلَى اخْتِيَا	رِكَ مِنْ فَنَاءٍ أَوْ بَقَاءِ
وَاللَّهِ مَا أَهْدِي إِذَا	قَالُوا : غَدَاً يَوْمَ اللِّقَاءِ
مَا أَقْتُلُ الْحَالِينَ لِي	إِنْ كَانَ خَوْفِي أَوْ حِيَاثِي

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضاً^٣ :

سَجَايَاكَ إِنْ عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ	وَعَذْرَكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِئَتَيْنِ مَزِيَّةٌ	فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطِيعُ	عِدَايَ ° وَلَوْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا
فَلِإِنَّ رَجَائِي أَنَّ عِنْدَكَ غَيْرَ مَا	يَخْوَضُ عِدْوِي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ
وَلَمْ لَا وَقَدْ أَسْلَفْتُ وَدَّآ وَخِدْمَةً	يَكْرَهُنَّ فِي لَيْلِ الْخَطَايَا فَيُضْهِجُ
وَهَبْنِي قَدْ أَعْقَبْتَ أَعْمَالَ مُفْسِدٍ	أَمَّا تَفْسُدُ الْأَعْمَالَ ثُمَّتْ تَصْلَحُ

١ ط د م س : ترك ؛ د : المال .

٢ الحلقة ٢ : ١٥٤ وخالص : ٣٠٦ .

٣ الحلقة ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ والقلائد : ٩٨ والمعجب : ١٨٥ وأعمال الاعلام : ١٦١

والنفع : ٥ : ١٨٢ وخالص : ٣١٩ والريحان : ١ : ١٥٧ أ وتمام المتن : ٩٢ .

٤ المعجب : وأسجح .

٥ القلائد : عدائي ؛ الحلقة : وشلي .

أَقْلِنِي لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رَضَى
وَعَفٌّ عَلَى آثَارِ جُرْمٍ سَلَكَتُهُ
وَلَا تَلْتَفْتُ رَأْيِ الْوَشَاةِ وَقَوْلِهِمْ
سَيِّئَتِكَ فِي أَمْرِي حَدِيثٌ وَقَدْ أَقَى
تَخَيَّلَتْهُمْ لَا دَرَءَ لَهِ دَرُّهُمْ
وَقَالُوا : سَيَجْزِيهِ فَلَانٌ بِذَنْبِهِ
أَلَا إِنَّ بَطْشاً لِلْمُؤَيَّدِ يَرْتَمِي
وَمَاذَا عَمَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَزِيلُوا
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ غَيْرُ أَنْ لَحْلَمَهُ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَوَى
وَيَهْنِيهِ إِنْ مَتَّ السَّلْوُ فَلِإِنِّي
وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ

لَهُ نَحْوُ رُوحِ اللَّهِ بَابٌ مُفْتَحٌ
بِهَيْئَةِ رَحْمِي مِنْكَ تَمْحُو وَتَصْفَحُ
فَكُلُّ لِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ
بِرَأْيِ^٢ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ مُوَشَحُ
أَشَارُوا تَجَاهِي بِالشَّمَاتِ وَصَرَحُوا
فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فَلَانٌ وَيَصْفَحُ
وَلَكِنْ حَلَمًا لِلْمُؤَيَّدِ يَرْجِعُ
سِوَى أَنْ ذَنْبِي ثَابِتٌ^٣ مُتَصَحِّحُ
صِفَاةٌ يَزِلُّ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيَصْفَحُ^٤
لِي^٥ فَيَدْنُو أَوْ عَلِيٌّ فَيَتَرَحُّ
أَمُوتُ وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مَبْرَحُ
سَتَنْفَعُ^٦ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ يُجَلِّحُ^٧

١ س و الحلة : وتمصح .

٢ الحلة والقلائد والمعجب : بزور .

٣ القلائد والمعجب : بفعله .

٤ القلائد : يتقى .

٥ ط : أرجح .

٦ المعجب وخ بهامش ط : واضح .

٧ الحلة : فيفصح ؛ م ط س : فيمرح .

٨ م ط س : علي .

٩ النفع : ستشفع .

١٠ القلائد : مجلح .

قال ابن بسام^١ : بلغني أنه لما وصلت هذه القصيدة إلى المعتمد جعل من بحضرتة [٨١ ب] من أعداء ابن عمّار ينتقدونه ، ويطلبون به عيباً لو يجدونه ، فجعلوا يقولون : أيّ معنى أراد ، ما قال شيئاً ولا كاد ، فقال لهم المعتمد : مهما سلّبه الله من المروة والوفاء ، فلم يسلبه الشعر ، إنّما قلب بيت الهذلي^٢ فأحسن ، وهو قوله :

وإذا المنيّة أنشبت أظفارها ألفت كلّ تيممة لا تنفع

فسكت القوم في ناديبهم ، وسقط في أيديهم . غير أنّ أبا سالم العراقي جعل يتمضّع بقوله : « يكرآن في ليل الخطايا » وقال : ما معناه ؟ وهلاًّ بدّل هذا اللفظ بسواه ؟ فقال له المعتمد ، وأراه طنّز عليه ، وأشار بالتقصير إليه : أبا سالم ، أنزله^٣ ، وإن استطعت بفضلك فأبدله ! فأحجم وتلعثم ، ولم يتأخر ولا تقدّم . وكذلك قوله : « فماذا عسى الواشون أن يتزيّدوا » ، وهو لفظ المجنون^٤ :

وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إنني لك عاشق

وإن كان المعنى مختلفاً فحذو اللفظ واحد .

ولحق بشقورة بعد القبض على ابن عمّار يزيد بن المعتمد الملقّب بالراضي ،

١ انظر المعجب : ١٨٦ .

٢ يعني أبا ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٨ .

٣ ط س : أزله .

٤ ديوان المجنون : ٢٠٣ .

فكتب إليه ابن عمار^١ :

قالوا أتى الراضي فقلتُ لعلها
فألّ جري فعسى المؤيدُ واهب^٢
قالوا نعم ، فوضعتُ خدي في الثرى
شكراً له وتيمناً ببنيه
يا أيها الراضي وإن لم يلقي
من صفحة الراضي بما أدره
هَبَكَ احتجبت لوجه عذريين
بذلُ الشفاعة أيُّ عذري فيه
خفف على يدك الكريمة أسطراً^٣
في مَنْ أسرت فتشني تقديه

ثم صدر^٤ عن شقورة ، وجاء به إلى قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب من العام ، وقد برز الناس لدخول الراضي ، وابنُ عمار في ذلك الحفل ، في قيوده ، على دابة هجينة ، حاسراً في ثوبٍ خلقت بين عِدلي تبيين ، عظة لمن اعتبر مجاري الليالي والأيام ، ولعبتها بالأنام ، فكم دخل قرطبة قبل في أبهة الرؤساء ، يسحب ذيل الكبرياء ، فسبحان من يتبسّط للمحسن والمسيء عدله ، ولا تدوم العزة إلا له .

حدثني الوزير أبو عمر الفرضي كاتبُ حشَم المتوكل أنه شهد دخول ابنِ عمار يومئذ قرطبة ، فلم يرَ زعيماً من زعماء البلد ، ولا عظيماً من أهل دولة المعتمد ، إلا وهو يمسحُ عطفه ، ويمشي بين يديه أو خلفه ، توقّعاً

١ القلائد : ٨٦ والحلة ٢ : ١٥١ وخالص : ٣٠٨ والريحان ١ : ١٥٧ .

٢ القلائد والحلة : واهباً .

٣ القلائد والحلة : سهل . . . أحرفاً .

٤ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ وأعمال الاعلام : ١٦١ .

لكرته ، واستدفاعاً لمضرته ، فقد كان أكثرهم لا يشك أن غضب المعتمد عليه ، نارٌ بطنها نظره إليه ، وتيارٌ يكفه مثله بين يديه ، فقد كان من قلبه بمكان ، ومن إثارٍ قربه في شان .

وأخبرني الوزير المذكور أن ابن عمّار كان يباهي يومئذ بذلته وقلته ، عدد آسره الراضي وعدته ، ويقاوم بهوانيه وامتهانه بأسه وشدته ، حتى كأنه أحدُ خدّمه ، أو بعضُ حشمه . قال : وكتب في أثناء ذلك إلى المأمون بهذه القصيدة الفريدة ، وهي من حرّ النظام ، وجزل الكلام ، وأولها :

هلا سالت شفاعَةَ المأمونِ	أو قُلتَ ما في نَفْسِهِ يكفيني
ما ضرَّ لو نبّهتُهُ بتحيّةٍ	يسري النسيمُ بها على دارين
وهزّزتَ منه فقد يقلبُ سيفُهُ	يومَ الجلالِ الحينَ بعدَ الحينِ [١٨٢]
مالي أنبّهُ ناظراً لم يغفُ عن	حفظِهِ من دنيا ولا من دين
وأهزّ من عطفِ ثنائه عطفُهُ	حتى خشيتُ عليه قرطَ الالين
بيدي من المأمون أوثقُ عصمةٍ	لو أن أمري في يد المأمون
أمري إلى مولى ^٢ إليه أمرُهُ	وكفالك من فوقِ كفالك ^٣ ودون
حيث استوى الخصمان حقاً والتقى	عزّ الغني بذلّةِ المسكين
ملك طوى سرّاً المهابةِ شخصُهُ	لولا أسرةٌ وجهه الميمون

١ الحلة ٢ : ١٥١ وتمام المتن : ٣٦٣ وخالص : ٣١٣ .

٢ الحلة : ملك .

٣ الحلة : وكفاه . . . كفاه .

٤ د : التقى .

جَبَلٌ سَمَا بِذَوَاتِيهِ إِلَى الْعَلَا
 مَتَوَقَّدُ الْجَنَابَاتِ كُلُّلٌ دَوَّحُهُ
 ذَلَّتْ لِأَيْدِي الْمَجْتَنِينَ قَطُوفُهُ
 وَنَأَى لِأَبْصَارِ الْعُصَاةِ فَإِنَّمَا
 بَحْرٌ إِذَا رَكِبَ الْعَفَاةُ سَكُونُهُ
 وَإِذَا طَمَى لِلذَّنْبِ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ
 كَمْ أَسْكَبَ الْعَذَبَ الْفَرَاتُ عَلَى فَمِي
 وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ فِي غَمَرَاتِهِ
 بَعْدَتْ سَوَاحِلُهُ عَلَيَّ وَأَدْرَكْتُ
 لَا شَكَّ فِي أَنِّي غَرِيقُ عُبَابِهِ
 يَا فَتْحُ جَرَّدَهَا عَنَايَةَ فَارَسٍ
 مُتَقَدِّمٌ مِنْ جَدَّةٍ^٤ بِكَتِّيَّةٍ
 وَاقْرَنْ شِفَاعَتَكَ الْكَرِيمَةَ عِنْدَهُ
 فِي شِكَاةٍ مِنْ هَيْبَةٍ وَسَكِينَةٍ
 فَأَبُوكَ مَنْ تَغْشَى الْمُلُوكُ بِسَاطَهُ
 مَا يَعْزُضُ الْجَبَّارُ مِنْهُ لِحَاجَةٍ
 يَا فَتْحُ إِنْ نَازَلْتَهُ مُسْتَنْزِلًا^٥

وَرَسَا بِهِضْبَتَهُ عَلَى التَّمَكِينِ
 بَحْنِيَّ وَفُجِّرَ صَفْحُهُ^١ بَعْيُونِ
 وَدَنَا إِلَيْهِمْ مِنْ ظِلَالِ غَصُونِ
 يَتَوَهَّمُونَ نَعِيمَهُ بَظُنُونِ
 وَهَبَ الْغَنَى فِي عَزَّةٍ^٢ وَسَكُونِ
 إِلَّا الدَّعَاءُ يُعَانِ بِالتَّأْمِينِ
 وَرَمَى يَدِي بِاللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ
 إِنْ لَمْ تُغِيثْنِي رَحْمَةً^٣ تَنْجِينِي
 أُمُوجُهُ فِتْلَاعِبَتْ بِسَفِينِي
 إِنْ لَمْ يَمْدَّ الْفَتْحُ لِي يَمِينِ
 بَطَلَ عَلَى حَرْبِ الْوَلِيِّ^٣ أَمِينِ
 مُسْتَظْهِرٍ مِنْ لَفْظِهِ بِمَكِينِ
 بِتَوَاضُعٍ عَنْ عَزَّةٍ لَا هُونِ
 وَبِضَجَّةٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَحْنِينِ
 شَوْسًا فَمَا يَرْمُونَهُ بَعْيُونِ
 إِلَّا بِرَفْعِ يَدٍ وَوَضْعِ جَبِينِ
 فَاهْتَأَّ بِفَتْحٍ مِنْ رِضَاهِ مَبِينِ

١ د : صفحه .

٢ م ط : غرة .

٣ الحلة : درب على نصر الولي .

٤ د : حده .

٥ ط م : لدفع .

وليخلصنَّ إليك من أعلاقه^١ عِلْقٌ يَشُدُّ عَلَيْكَ^٢ كَفَّضَيْنِ

وكان قد كتب أيضاً يومئذ^٣ إلى الرشيد بهذا القصيد، وهو من قصائده
الحرّة وقلائده المبرّرة^٤ :

قل لبرقِ الغمامِ مِطْوٍ ^٥ البريد	قاصداً بالسلام قصرَ الرشيدِ
فتقلَّبْ في جَوْهٍ كفوادي	وتناثَرُ في صَحْنِهِ كالفردي
وانجذبْ ^٦ في صلاصِلِ الرعدِ تحكي	ضَجَّتِي في سلاسلِ وقودي
فجزاك الإله من ملكٍ حرٍّ	بقاءَ التمكينِ والتمهيد ^٧
من مطيعٍ عهد ^٨ الوفاءِ مطاعٍ	وودودٍ على التَّوَى مودود ^[٨٢ب]
كنت أشدو عليك يا دوحةَ المج	دِ ويا روضةَ النَّدَى والجود
إذ جناحي نَدٍ بظلكَ طَلَّقَ	ولساني رطبٍ على التغريد
وأنا اليوم تحتَ ظلِّ عُنُقَابٍ	لِقَوَّةٍ مُخَوِّتٍ ^٩ الجناحِ صيود

١ الخلة : أنفاله .

٢ الخلة : عليه .

٣ يومئذ : سقطت في م .

٤ د : المنيرة ؛ ط س : المنيرة ؛ م : المنيرة ؛ وانظر أبياتاً من القصيدة في الخلة ٢ : ١٥٢
وهي عند خالص : ٣٠٩ .

٥ مطو البريد : صاحبه ؛ وفي م ط : مظهر البريد ؛ الخلة : ظاهر بريدي .

٦ الخلة : وانتخب ، وفوق اللفظة في م : كذا ؛ ولعل الصواب : وانحدر .

٧ بعده في الخلة بيتان متصلان به وهما :

فإذا ما اجتلائك أو قال ماذا قلت إني رسول بعض العبيد
بعض من أبعده عنك الليالي فاجتنى طاعة المحب البعيد

٨ ط : عبد .

٩ في النسخ : محو ؛ والمخوت التي إذا خاتمت أي انقضت سمع لجناحها دوي .

أُنْقِيهَا بِنَظَرٍ خَافِقٍ لِّلْهِ
 غَيْرِ أَنِّي سَاصِطُفِي لَكَ جَهْدِي
 فِي قَلِيلٍ مِنْ الْقَوَافِي كَثِيرٍ
 كَلِمَاتٍ كَانَهَا الدَّرُّ نَظْمًا
 أَنْتَ بَدْرُ النُّجُومِ تَحْتَ سَنَا الشَّمْسِ
 أَنْتَ رِيحَانَةُ الْعِلَاقِ لَبْنِي عَبَا
 أَنْتَ لِمَا عَاثَرْتُمْ دُرَّةَ النَّارِ
 وَإِذَا مَا مُدِحْتُمْ نُكْتَةُ الْخَطِّ
 وَإِذَا مَا رَكِبْتُمُ الْخَيْلَ صَدَّرَ الْجِيءِ
 أَنْتَ فِيهِمْ إِنْ يُعْتَمُوا لَيْلَةَ الْقَدَرِ
 فَهَنِيئًا أَبَا الْحُسَيْنِ خِلَالُ
 وَشَفُوفٌ عَلَى الْجَمِيعِ بَسْنُ
 وَهَنِيئًا مِنَ الْمُؤَيَّدِ حَظُّ
 لَكَ فِي نَفْسِهِ الْعَزِيزَةِ حُبُّ
 وَعَلَى لَحْظِهِ التَّزْيِيهِ طُلُوعُ
 وَإِذَا مَا شَدَا بِذِكْرِكَ شَادٍ
 فَعَلَامَ السُّرَى بِصَبْحِ رِضَاهِ
 وَإِلَى أَيْنَ فِي الشَّفِيعِ إِذَا مَا
 بَقِيَ نَازِحِ الْمَكَانِ مُطِيلِ

ظِ مَرُوعٍ وَخَاطِرٍ مَرْوُودٍ
 مِنْ ثَنَا طَيْبٍ وَذِكْرِ حَمِيدٍ
 وَذَلُولٍ مِنَ الْمَعَانِي شُرُودٍ
 طَوَّقَتْ مِنْكَ أَيَّ طَوْقٍ وَجِيدٍ
 سِ اتَّكَمَ عَلَى سَمَاءِ السَّعُودِ
 دِ السَّادَةِ الْكِرَامِ الصَّيْدِ
 جِ فَرَنْدُ الْحَسَامِ وَسَطَى الْفَرِيدِ
 بَةِ فَصُّ الْحَدِيثِ بَيْتُ الْقَصِيدِ
 شِ عَيْنُ اللَّوَاءِ قَلْبُ الْحَدِيدِ
 وَإِذَا يُصْبِحُونَ يَوْمَ الْعِيدِ
 وَصِفَاتُ جَدَّتْ عَنْ التَّحْدِيدِ
 وَسَاءَ إِلَى سَنَا مَمْدُودِ
 لَا مَزِيدٌ عَلَيْهِ لِلْمُسْتَرِيدِ
 شَابَ فِيهِ حِلَاوَةُ التَّوْحِيدِ
 كَطُلُوعِ الْبَشِيرِ بِالتَّأْيِيدِ
 قَالَ أَحْسَنْتَ هَزَّةَ الْمُسْتَعِيدِ
 مَعَ سَنَا وَجْهِكَ الْأَغْرَّ السَّعِيدِ
 لَمْ أَلْذُ مِنْكَ عِنْدَهُ بِالرَّشِيدِ
 غَائِبِ الشَّخْصِ ذِي اعْتِنَاءٍ عَتِيدِ

١ مَرْوُود : مَذْعُور .

٢ د : بَيْن .

مشفقٍ يستجيب لي من قريبٍ وأنا أستغيثُهُ من بعيدٍ
لو أطلّنتُ عليَّ رحمة عينيه ه انجَلّتْ شدّتي وذابَ حديدي

قال ابن بسام : فصلدت هذه الأشعار ، يومئذٍ عن ابن عمار ، وهو في قيود الحديد ، وقالها على البديهة والارتجال ، في تلك الحال ، من شدّة الاعتقال ، وبالٍ يناجيه البلبال ، قد تيقّن أنه لا يُفْلِت ، ولا ينظر إلّا إلى عدوّ يشمّت ، والموت يلاحظه من حيث لا يتلفّت^١ ، إذ كان المعتمد قد أحضره في تلك الحال غير ما مرّة بين يديه ، ويعدد ذنوبه عليه ، ولو قال كلّ قصيد ورواه حولاً كاملاً ، في أمنٍ ودعة ، وفرط شهوة أو شدّة حميّة وعصبية ، لما زاد على ما أجاد ، فكانت هذه القصائد القلائد ، مع ما تشتمل من البدائع الروائع ، رقيّ لم تنفع ، ووسائل لم تنجع ، وإذا سبق القدر ، فلا ورْد ولا صدَر . [٨٣ أ] .

أخبرْتُ عمّن صحب الراضي في وجهته يومئذٍ من شقورة وكان ممن رقّب على ابن عمار ، فجعل يكلّاه في طريقه ، خوفاً على نفسه ومراعاةً أيضاً لسالف حقوقه ، فلما انتهى^٢ إلى قرطبة وسلّم للقصر ، دعيّ ذلك الرجل مع أصحابه بعد العصر ، في سلاح شاكٍ وتعبئة ظاهرة ليصحبوه إلى اشبيلية ، فبينما هم عند باب السدّة ينتظرون إلى أن يسلم إليهم ابن عمار ، وقد انسلخ النهار . إذ أوجسوا نبأه ، فإذا المعتمد قد خرج والشمع بين يديه

١ في النسخ : يلفت ، وإنما نثر قول تميم بن جميل السدوسي (الوافي للرندي : ٢٠) :

أرى الموت بين السيف والنطم كامناً يلاحظني من حيث ما أتلفت

٢ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ .

وخدمه^١ حواليه ، وابن عمار بينهما^٢ على بغل يزأن به ويتضحكن ، فأعربت حاله يومئذ بمباديها ، على^٣ سوء العاقبة فيها .

وحدثني أبو بكر الخولاني المنجم قال^٤ : لما وصل المعتمد إلى اشبيلية من وجهته تلك ، سجن ابن عمار داخل القصر على قُرب منه ، وأحضره مراراً بين يديه ، يعدّد ذنوبه عليه ، فبقي مدّةً كذلك ، في سجنه هنالك ، لا يتنفّس ولا يتحرك إلا تحت سَمْعٍ وعَيْنٍ ، فاستدعى يوماً سحاةً ودواةً فبُعِثَ إليه بِزَوْجٍ كاغِدٍ ، فكتب إلى المعتمد شعراً استرحمه فيه ، فعطف عليه ، وأحضره ليلته تلك ، ووعدّه بالعفو عنه ، فخاطب ابن عمار من حينه الرشيد بذلك ، فلمح تلك المخاطبة عيسى بن الأَعلم^٥ وزيره يومئذٍ ، فتحدّث بالأمر ، وذاع السرّ ، وانتهى الخبر إلى الوزير أبي بكر بن زيدون صاحب الدولة وقتّه^٥ ، وعداوتُه لابن عمار أوضح من أن تُشرَحَ ، فدَمَغَتْهُ من ذلك دامغة ، وبات بليلة النابغة ، وتخلّف عن الركوب إلى القصر صبيحة الغد ، حتى ورده رسول المعتمد ، وحَدَسَ^٦ أن مجلسَ سيرة مع ابن عمار وَصَلَ إليه ، واستفهمه فوجد نصّ المجلس عنده ،

١ الحلة : وحرره .

٢ الحلة : عن .

٣ انظر الحلة ٢ : ١٥٩ .

٤ هو عيسى بن يوسف بن سليمان الشنتمري ، ولد أبي الحجاج الأَعلم اللغوي المشهور ، روى عن أبيه واختص بعبيد الله بن المعتمد حتى استوزره ونال معه دنيا عريضة (الذيل والتكملة ٥ : ٥١٥ والتكملة : ٤٠٩) .

٥ د : في وقته .

٦ ط : وحَدَسَ إليه .

فازداد حنقاً على ابن عمّار الحائنِ ، وحرّك ضِغْنَه الساكن ، فقال لأحدِ الصقالب : سل ابنَ عمّار كيف وَجَدَ السبيلَ ، مع عظيم التّريبِ ، إلى إفشاءِ ما أخذت معه فيه ^١ ، فلما سأله أنكر ، قال المعتمد : فما أراد بالكاغدِ الذي طلب ؟ قال : إنه أخبر انه كتب إليك فيه بشعر ، قال : هو في ورقة مفردة ، فما فعل بالأخرى من الزّوجِ الكاغد المبعوث به إليه ؟ قال : كتب فيه مسوّدَة ذلك الشعر ، قال المعتمد : خذْها منه لأقيفَ على ذلك ؛ فلما لم يجد بُدّاً من النطقِ بالصدق ، رجع إلى الحقّ ، وقال : إني خاطبت الرشيد بما وعدني به مولانا من العفو ، فاتقد ^٢ المعتمد ، وقام من قوّره كما كان ، وأخذ طبرزيّاً ^٣ ، وجاء إلى موضع ابن عمار الذي كان فيه مسجوناً ، ودخل إليه ، ففرغ - كما كان في قيوده - إلى تقبيل رجله ، فضربه به ، ثم أمر بأن يتمّ عليه ، وأخرجَ ووري في قيوده ، خارجاً باب القصر المبارك المعروف في اشبيلية بباب النخيل ، فمضى رحمه الله على هذا السبيل . واتفق بأن وقع حقّراً بموضع رمسه من ذلك المكان ، لبنيانٍ عَرَضَ فيه بعد نيّف على عشرين سنة من مقتله ، فأخبرني مَنْ شهد لإخراج جمجمته وأعظم ساقيه بكبّلهِ وهي رميم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » ^٤ . وما وقفت في

١ الحلة : معه البارحة فيه .

٢ ط : فالتقد ؛ د : فاتفق .

٣ اضطربت كتابة اللفظة في ط م س (ط : طبر بزيراً ، وفوقها : كذا) .

٤ بحاشية ط شعر بخط الأصل وهو :

أما والله إن الظلم لوم وما زال المي هو الظلوم
إلى ديان رب العرش نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قلت : والبيتان لأبي العتاهية وقد مر تخريج الثاني منهما :

تأين ابن عمار على شعرٍ لأحدٍ من أهل العصر ، غير بيت مُفَرَّدٍ شهد أن^١
المعتمدَ باشر قتله بيده ، وهو لعبد الجليل حيث يقول^٢ :

عجباً لمن أبكيه ملءَ مدامعي وأقول لاشأتَ يمين القاتلِ

وكان عبد الجليل متعصباً لابن عمار ، مائلاً إليه بطبعه ، إذ كان الذي
جَدَّبَ بِضَبْعِهِ ، ونوّهَ بذكره ، ونفّقَ من شعره ، وعرفّه بالمعتمد حتى
استخلصه لنفسه ، وأحضَرَهُ يجالسَ أنسيه .

ويتعلّقُ بهذا القتلِ الشنيع ، خبرٌ غريب المسموع ، في ذلك الأوانِ ،
وحديثٌ ظريفٌ من الحدّثان^٣ ، أخبِرْتُ به عن غير واحد من وزراء المعتمد ،
وذلك أنه لما مَضَتْ لقتلِ ابنِ عمار أيام ، حضروا مع المعتمد في مجلسِ
أنسي ، فلما طابتِ الأنفُسُ ، وأخذت [٨٣ ب] منهم حُمِيّاً الأكْثُوسَ ،
وارتاح المعتمدُ وهزَّ عِطْفَهُ ، وبدأ على قسماته عطفه ، سُئِلَ عن هذا
الخبرِ المستظرف ، الذي كانوا سمعوه من بعضِ السَّلَفِ ، وأقسموا عليه
بتخليدِ ملكه في أنْ يحدثهم بحديثٍ كان إليه ينسبُ ، وقالوا : هو من فمِ
مولانا أطيّبُ ، فقال لهم كلاماً معناه لعلَّ هذا الاستخبار عن شأنِ ابنِ عمار ،
قالوا : أجل ، وطفقوا يقدُّونه بالأنفُسِ ، وأكثرُوا في وداده من شربِ
الأكْثُوسِ ، فأخبرهم أنه كان أيامَ مقامِهِ بشلب ، قد غلب ابنُ عمار على
نفسِهِ ، وأخذ بمجامع أنسيه ، فأمره وأخذَ عليه — إذا دعا أصحابه — أن
يكونَ أوَّلَ داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ليأنسَ به ويتمتّعَ بأدبه ، فيجده ينفرُ

١ الخلة ٢ : ١٦٠ .

٢ انظر الخلة ٢ : ١٦١ .

نِفَارَ الشَّارِدِ ، وَتَسَلَّلُ مِنْ مَجْلِسِهِ تَسَلَّلَ الطَّرِيدَةُ مِنْ يَدِ الصَّائِدِ ؛ فَلَمَّا أَبَى إِلَّا اطْرَاداً عَنْ أَصْلِهِ ، وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ فَعْلِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِ سُدَّتِهِ لِيَلَةَ فِي تَرْقُبِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنْ مَذْهَبِهِ ، وَأَنْذَرُ وَتَهَدَّدَ ، وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ وَأَقْعَدَ ، وَقَامَ ابْنُ عِمَارٍ كَعَادَتِهِ ، فَلَمْ يَحْفَلِ الْمُعْتَمِدُ لَيْلَتَهُ بِمَكَانِهِ ، لَمَّا كَانَ قَدَّمَ فِي شَانِهِ ؛ فَلَمَّا انْقَضَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، التَّمَسَّهُ فَفَقَدَهُ ، وَطَلَبَهُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ فَمَا وَجَدَهُ ، وَأَحْضَرَ مَنْ كَانَ أَوْصَى فِيهِ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ تَقَعْ لَهُ عَيْنٌ عَلَيْهِ ، فَرَابَهُ أَمْرُهُ ، وَخَفِيَ عَنْهُ سِرُّهُ ، فَشَهَرَ فِيمَا بَلَغَنِي سَيْفُهُ وَأَخَذَ الشَّمْعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ يَحْسِبُهُ وَلَا يَحْسِبُهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَعْضِ الدَّهَالِيزِ إِذَا بِحَصِيرٍ مَطْوِيٍّ ، وَابْنُ عِمَارٍ فِيهِ أَغْمَضُ مِنْ سِرِّ خَفِيِّ ، عَرِيَانٌ كَالْأَفْعَوَانِ ، فَأَمَرَ بِحَمَلِهِ ، وَهُوَ قَدْ تَعَجَّبَ مِنْ فَعْلِهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمُعْتَمِدِ الْمَجْلِسَ ، جَعَلَ يَبْسُطُ جَانِبَ ابْنِ عِمَارٍ وَيُؤْتِسُ ، وَابْنُ عِمَارٍ يَبْكِي فَيُضْحِكُ ، وَيَشْكُو فَيُشْكِكُ ، فَلَمَّا سَكَنَ قَلِيلاً ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ ، وَرَقَأَ دَمْعُهُ ، سَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَّمَا كَانَتْ تَأْخُذُ مِنْهُ الشُّمُولُ سَمِعَ ١ كَأَنَّ قَائِلاً يَقُولُ : يَا مَسْكِينُ ، هَذَا يَقْتُلُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ ، فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ الْآنَسَ بَوْسَعِهِ فَيَبْعُدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعُ ، حَتَّى يَصْنَعَ مَا يَصْنَعُ ، إِلَى أَنْ كَانَ لَهُ مَعَهُ الَّذِي قُدِّرَ .

وَمِنْ مَقَالِهِ فِي أَثْنَاءِ اعْتِقَالِهِ هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْبَدِيعَةُ ٢ :

يَقُولُ قَوْمٌ " إِنَّ الْمُوَيَّدَ قَدْ أَحَالَ فِي فِدَيْتِي عَلَى نَقْدِهِ "

١ د : يسمع .

٢ ذَكَرَ ابْنُ قَاسِمٍ الشُّلْبِيّ الَّذِي أَخَذَتْ عَنْهُ أَكْثَرُ أَخْبَارِ ابْنِ عِمَارٍ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَجَدَتْ فِي قِرَابِ ابْنِ عِمَارٍ بَعْدَ قَتْلِهِ (الْحُلَّةُ ٣ : ١٦٠) ؛ وَانْظُرِ الْأَبْيَاتَ عِنْدَ خَالِصٍ : ٣١٧ .

يا قوم^١ ماذا الشراءُ ثانيةً
أوحشني والسَّماحُ عادتهُ
الحمد لله إن يكن حرجاً
وحيلة إن وصلتُ حَضْرتهُ
لو ساءحوا في الفردنِ أَرْمُقُهُ
يا ربَّ بَشِّرْ بِرَحمةٍ وحيأ
تري لمعني يَريبُ من عنده ؟^٢
سماحهُ بالغلاءِ في عبده
فليس في مثله^٣ سوى حمده
جعلتها رغبةً إلى جنده
من طَرَفِهِ لم أخفهُ من غمده
يؤنسُ من بَرَقِهِ ومن رعدِهِ

ومنهم الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي^٤

وهو أيضاً من شِلْب ، ومن ذلك الأفقِ طلعتْ نجومُ الكلام ، فأضاءت
البلاد ، ونشأتْ غيومُ الثَّارِ والنظام ، فطبَّقتْ الهضابَ والوهاد ؛ إلا أن
حساناً^٥ هذا وصاحبيه أبوي بكر : ابن عمار وابن الملح كانوا هنالك رؤساء
الأمّة ، ورؤوس إجماع الأئمة ، ونجمتْ دولةُ المعتمد ابن عباد بتلك البلاد
وهم أغصانُ دَوْحَةٍ ، وأخذانُ غَدْوَةٍ إلى طلبِ العلمِ وَرَوْحَةٍ ، يتدارسون

١ الحلة : فقلت .

٢ الحلة : مثلها .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٨٥ والمسالك ١١ : ٢٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) ورايات المبرزين :
٢٧ (غ) والخريدة ٢ : ١٩١ ، ٣ : ٥٨٨ (ط . تونس) والنفع ٤ : ٣٠٧ ؛ ولقطة
« حسان » سقطت من م س ط .

٤ في الأصول : حسان ؛ وقد اضطرب الاسم فجاء حيناً مصروفاً وحيناً ممنوعاً من الصرف ،
وهذا جائز فيه ، لأنه ان كان من « حسن » كان مصروفاً لأصالة النون فيه ، وإن كان من
« حس » كان ممنوعاً من الصرف لأن النون فيه زائدة ؛ ولكني أجريت ما جاء في هذا النص على
سياق واحد ، أي اعتبرته مصروفاً .

آيَاتِهِ ، ويتبارون^١ إلى أبعد غاياته ، ولكل دليل^٢ في السنن مشتهر ، وسبيل^٣ إلى العلياء مختصر . ونهض تصريف المقدار منهم بآبن عمار ، فشب^٤ عن طرّقه ، بالحمل وأوقه^٥ ، وبلغ المبلغ الذي استغنى باشتهاره عن تكراره ، وتبعه هذان في الانقطاع إلى الدولة ، بحسبان كل^٦ بيضاء شحمة^٧ ، ويتخيّلان كل^٨ ضوء نجمة^٩ ، والله في بريته أقدار^{١٠} يُحْضِيها ، ومن مشيته أسرار^{١١} يتفرّد بها فيخفيها ؛ فلم يحصل إلا^{١٢} على لبس ما خلع [١٨٤] والارتسام حيث أشار ووضع ؛ فأما ابن الملح فإنه نفّر نفرة الأنيف ، وفرّ فرار الحنق الأسيف ، مؤثراً للأنزواء ، على الاستخذاء ، مكثفياً بالدُّون ، من التصرف على الهون ، وكانت له خلال ذلك مدائح^{١٣} يُهنّديها ، ورحل^{١٤} إلى الحضرة يحمل^{١٥} على نفسه الأبيّة فيها ، فيطراً جديداً ، ويصادف عهداً بها بعيداً ، فيؤوب^{١٦} ضخم العياب ، محمود المقام والإياب . وأما حسّان هذا فصّدق^{١٧} الحملة ، ولزم الحملة ، مغتبطاً^{١٨} بما خوّل^{١٩} ، جاعلاً نفسه حيث جُعِل^{٢٠} ، ورضي من ابن عمار^{٢١} بوطم عقيب^{٢٢} ، ولزوم مركبه ، وابن^{٢٣} عمار يرعاه لمكانه ، ويخاف انتباه المعتمد^{٢٤} لشانه ، حتى زاحمه أخيراً بالأديب أبي محمد عبد الجليل ، فأقرأ له بالفرق ، وأخذ منهما جميعاً قصبات^{٢٥} السبق . وكان ابن^{٢٦} عمار بعد ذلك كله

١ م : ويتبادرون .

٢ الأرق : الثقل .

٣ ناظر إلى قول الشاعر :

وكنا حسباناً كل بيضاء شحمة عشية لاقينا جذام وحمر

وهو من المثل : ما كل بيضاء شحمة (الميداني ٢ : ١٦٩ والمسكري ٢ : ٢٨٧ تحقيق أبو

الفضل ، وانظر ما تقدم ص : ١١٤) .

٤ مغتبطاً : سقطت من م .

كلّما مرّ ذكرُ عبد الجليل ألقى بيديه ^١ ، وشهد له بالفضل عليه ، وليست
الخطوطُ بالأقدار ، ولا الأمورُ على الاختيار . ولما أنشأ المعتمدُ لابنه الفتح ،
دولته بقرطبة المتقدّمة الشرح ، أصبح به حسّاناً هذا كاتب سرّه ، وصاحب
أكبر أمره . وقد أخذتُ من شعره أعدلَ شاهدٍ على ما أُجريتُ من ذكره .

جملة من شعره في المدح وما يتصل به

له من قصيدة في المعتمد أولها :

أضاء بك الأفقُ الذي كان أظلماً	وقد لحّت في الإكليل بدرأ متمماً
على أيّ وجهٍ لم يُشعّشعْ طلاقه	وفي أيّ ثغرٍ لم ينورْ تبسماً
وقد صغت من ذاك المحيّا وحُسنه	صباحاً ومن تلك الخلائق أنجماً
إذا غبت عن أرضٍ تمثّل أهلها	« عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما » ^٢

ومنها :

ألا قلّ لأرباب المخاض أهملوا	فظلّ ابن عبّادٍ عليهنّ أينما
فهل تقتدي الأعلامُ فيك بحارها	لتحظى بعقْدِ السّلم منك فتسلما
مع الله يمضو ^٣ إن مضوا مع غيره	ولله أخرى أن يقلّ ويغنا
وليدت مع الإقدام في ساعة معاً	فقدّاك في الهيجاء كَوْنُك توأما

١ م : بيده .

٢ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) وعجزه : وأن تمثب الأيام فيهم فربما .

٣ يقال في مضارع مضى : يمضي ويمضو .

ولله عاداتٌ لديك جميلةٌ يُفِيدُكَ أرباً حيثَ تحسبُ علقماً
ولو جَبَلِيّ طيِّ رَمِيَتْ بفرقةٍ بلحاءِ أجا سلمى إلَيْكَ مسلماً
لذاك ابنُ عَمَّارٍ نثي أذفونش طائِعاً بِسَعْدِكَ حتَّى لو أَمَرْتُ لأسلماً
ولم يُبَقِّ روميّاً بفضلِكَ مشركاً وإنْ أشركوا بالله عيسى بن مريمَا
تفاءلتَ باسمِ الفتحِ^١ لما لقيتهُ لتفتحَ أمراً خاله^٢ الناسُ مبهما
تلاقيتما للسَّعدِ بدرأ وكوكباً أباً لا يُبَارَى في المكارمِ وابنما
ومنها :

أراهُ وأرجوه وأنشرُ فضلهُ فيملاً مني العينَ والكفَّ والقما

ومعنى هذا البيت الأخير كقول ابن شَرَف^٣ :

سلْ عنه وانطقْ به وانظرْ إليه تجدْ ملءَ المسامعِ والأفواهِ والمقلِ

وإلى هذا المعنى أيضاً ينظر قولُ الحسنِ^٤ على رأي بعض من فسَّر وهو :

• ألا فاسقني خمراً وقلْ لي هيَ الخمرُ •

وقوله : « ولم يبق روميّاً بفضلِكَ مشركاً » كقول محمد بن هانيء^٥ :

١ ط م د س : تفاءلت بالفتح اسم الفتح .

٢ ط د : داله ؛ م س : دله .

٣ يرد مع أبيات أخرى له في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٩٠) .

٤ يعني أباً نواس ، ديوانه : ٢٧٣ ، وعجز البيت : « ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر » .

٥ ديوان ابن هانيء : ١٧ .

لم يشركوا في أنه خيرُ الورى ولذي البريةِ عندهمُ شركاءُ [٨٤ ب]

وله من أخرى فيه ، أولها ١ :

من استطال بغير السيفِ لم يَطلِ	ولم يخبُ من نجاحِ سائلِ الأسَلِ
أعدتْكَ ^٢ صَحْبَتُكَ الأرماحَ شيمتها	فانفذَ نفوذَ القنا في الأمرِ واعتدل
وإنْ أتتْكَ أمورٌ لم تُعِدْ لها	فانهضْ برأيكِ بين الرَيْثِ والعجل
أقدمْ على عَجَلٍ وارغبْ على زهد	واغلظْ على رقةِ واسفرْ على خجل ^٣
حاز المؤيدُ ممّا قلتُ أفضلَه	وزاد للفرقِ بين القولِ والعمل

وهذا البيت الأخير مما بعدَ شأوهُ ، وفات سرّوهُ ، وتجاوز أكثر
الحدِّ عقّوهُ .

ملكٌ توأصلُهُ الدنيا ويهجّرها	سرّاً ويلبسُ تقوى الله في الحلل
لا تحمدنْ زُهدَ مَنْ لم يُعطَرْ غبتهُ ^٤	لعلّةٍ غَضَّ من جفنيه ذو الحول
وكم له سُنّةٌ ضاءَ الزمانُ بها	ضوءاً بلا لبٍ كالشمس في الطّفّل
تعطي الهواءَ ومَتْنِ الأرضِ غرتهُ	نوراً ونوراً عطاءَ الشمسِ في الحمل

وهذا البيت لحسان من حسناتِ شعره ، وأبين آياتِ ذكره ، فيه توليدٌ ،
شَهِدَ أنه شاعرٌ مجيد :

١ منها أبيات في المغرب والممالك والرايات .

٢ ط م د : أغرتك ؛ س : أعزتك .

٣ في الأصول : واغلظ على رقة وارغب على زهد ، والتصويب من المغرب .

٤ الرايات : قدرته .

تَنَاهُ عِفَّتُهُ عَنْ أَمْرِ بَطْشَتِهِ . فَاَلْمَشْتَرِي عِنْدَهُ قَاضٍ عَلَى زَحَلِ
وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً مِنْ مَلِيحِ الْمَنْظُومِ ، وَلَهُ اخْتِصَاصٌ "حَسَنٌ" بِأَحْكَامِ
النَّجُومِ ؛ وَمِنْهَا :

يَطْنُوِي عَلَى نُورِ إِيْمَانٍ جَوَانِحَهُ فَالْنَفْسُ مِنْ كَوَكَبٍ وَالجَسْمُ مِنْ رَجُلٍ
لَمْ يَعْقَ يَوْمًا وَلَا أَحْلُولَ لِمُسْتَرْطٍ وَإِنَّمَا هُوَ بَيْنَ الصَّابِ وَالْعَسَلِ
جَرٌّ الذِّيُولَ وَلَكِنْ مِنْ جَحَافِلِهِ عَلَى الْقِتَادِ وَلَكِنْ مِنْ شَبَا الْأَسَلِ

وَهَذَا الْبَيْتُ أَيْضاً مِمَّا بَرَزَ فِي لَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ ، وَأَرَادَهُ كَثِيرٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ
فَأَعْيَاهُ :

فَلَمْ يَطَّأْ غَيْرَ مَا تَحْكِي شِمَائِلُهُ مَعَ الْجَزَالَةِ مِنْ سَهْلٍ وَمِنْ جَبَلٍ
جَلَالَةُ أَدْخَلَتْ أَمْلَاكَ أَنْدَلَسٍ تَحْتَ الْخَنَاعَةِ وَالْإِحْجَامِ وَالْفُشْلِ
كَأَنَّ مُلْكَكَ أَسْنَى مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَنَّ دَوْلَتَكَ الْعُلْيَا عَلَى الدُّوَلِ
لَمَّا دَعَا الْغَادِرُ الْمَضْعُوفُ قَالَ لَهُ أَخُوهُ عَنْكَ : أَخِي لَا تَبْكُ فِي طَلْلِ
صَفَحَتْ عَنْهُ لَأَمَالٍ لَهُ سَلَفَتْ وَرَبَّمَا كُرْهُ التَّفْصِيلُ لِلْجَمَلِ
قَدْ يَدْخُلُ الْمُسْلِمُ الْمَخْطِي الْجَنَانَ غَدًا بَنِيَّتِي أُرْتَجِي الْغَفْرَانَ لَا عَمَلِي

وَهَذَا الْبَيْتُ مِمَّا خَلَصَ فِيهِ بِقِيْنُهُ ، وَحَسُنَتْ بِخَالِقِهِ ظَنُونُهُ ، وَعَسَى
اللَّهُ أَنْ يُلْقِيَهُ مَأْلَاهُ ، فَرَبَّ مَرْحُومٍ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا .

وَمَا أَحْسَنَ أَيْضاً مَا أَنْشَدَتْهُ لِلْحَسَنِ بْنِ رَشِيْقٍ ١ ، وَقَدْ مُنِّحَ مِنَ التَّوْفِيقِ

لسلوك هذه الطريق :

إذا أتى الله يومَ الحشرِ في ظللٍ
وحاسبَ الخلقَ مَنْ أَحصى بقدرته
ولم أجدُ في كتابي غيرَ سَيِّئَةٍ
رجوتُ رحمةَ رَبِّي وهي واسعةٌ

وجيء بالأمم الماضية والرسل
أنفاسَهُمْ وتوفاهُمْ إلى أجل
تسوعي وعسى الاسلامُ يسلمُ لي
ورحمةُ الله لي أرجى من العمل [١٨٥]

وفي هذه القصيدة يقول^١ حسان :

لولا الكتابُ لم تنظم مواكبها
من كلِّ مُعْتَقِلٍ بالبأسِ مخترِطٍ
يقودهم من بني قحطانَ ذو بدعٍ
ينبيك سؤددهُ عن صيْدٍ معشره
لا تعجبَنَّكِ علياً لا قديمَ لها
بيضٌ يمانون إن سلَّوا يمانيةً
وكم جَلَّوْا بالندى من ليلٍ مفتقرٍ
إذ كلُّ نابتةٍ شوكٌ بلا ثَمَرٍ
طلبتُ مثلَهُمْ في غيرِ حيثهمُ
ما زال يندى على كَفِّي بنائيلهِ
مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ أَنِي نظمتُ لها
شكراً ذكرتُ به من جودِهِ سرفاً

نَظَّمَ العقودَ لكان^٢ الدهرُ ذا عطلٍ
للغزم ، مدَّرعٍ للحمزِ مشتملٍ
من الندى والمعالى لا من النحلِ
فليس يُزري أخيرُ المجدِ بالأولِ
ولا تخلُ غُرَّةٌ ما ابيضُ بالكفلِ
لم يُعرفِ السيفُ في الهيجا من الرجلِ
كانَّه دَمْعَةٌ في جَفْنٍ مكتحلٍ
وكلُّ طائفةٍ شَوْرٌ بلا عسلِ
فلم أجدُ غُرَرَ الأفراسِ في الأبلِ
حتى مسحتُ على عينيَّ من بللِ
شكراً جعلتُ قوافيه من القبلِ
كانه مُفَرَّغٌ في قالبِ العذلِ

١ م : يقول فيها .

٢ س : وكان .

لعلّ عذري في ذا الغزو قد عُرِفَتْ أسرارهُ بلسانِ صادقٍ مَدَلِ
وما الحروبُ ومثلي أنْ يشاهدَها وإنما أنا حَسَّانٌ وأنتَ علي

قال ابن بسّام : وأظنّ حَسَّاناً هذا لم يكنْ له علمٌ بالسير ، ولا
تصرفٌ بعلمِ الخبر ، وقد رأيتُ جماعةً من أهلِ الأدبِ ينسبون حَسَّانَ
ابن ثابت رحمه الله إلى الجبن ، ويخرجونه من أهلِ الضربِ والطعن ، يحتجّون
في ذلك بعوده عن رسول الله . صلى الله عليه وسلم ، في مغازيه وسراياه ،
وينشدون له في ذلك شعراً أظنهم نخلوه إياه ، وهي هذه الأبيات على رواية
بعض الرواة ^١ :

أيها الفارسُ المشيخُ المَطيْرُ إنَّ قلبي من السلاحِ يطيرُ
ليس لي قوّةٌ على رَهَجِ الجيِّ ل إذا ثَوَّرَ الغُبَّارَ مثيرُ
أنا في ذا وعند ذاك بليدٌ وليبٌ في غيره نحريرُ

ولا أمتري أنها منحولةٌ إليه ، ومفتعلةٌ عليه ؛ وبلغ من حججهم على
ذلك حديثه في شأن اليهوديِّ يوم الأحزاب ^٢ المطيفِ بالأطم الذي كان النبي
صلى الله عليه وسلم ، أحرز فيه النساء والأبناء ، وإن حساناً حضَّ صفةً
بنت عبد المطلب على قتله وأخذ سلاحه ، ويقولون لم تَكُنْ به قوّةٌ
على سلبه ، فضلاً عن حربه ، وذهب عليهم أن حساناً ، رحمه الله ، كان

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوان حسان .

٢ انظر هذا الخبر في السيرة ٢ : ٢٢٨ والإصابة ٢ : ٨ وفيه قول حسان عندما حضت صفة
على قتل اليهودي : « يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا »
وقوله بعد أن قتله وحرضته على سلبه : « ما لي بسلبه من حاجة . . . » .

قد أصيب في بعض حروبهم في الجاهلية ، فقطع أكحله ، وفي ذلك يقول ^١ :

• وخان قراع يدي الأكحل •

ومن أدل شيء على ذلك أنه هاجى في الجاهلية والإسلام أكثر من ثمانين شاعراً ، لم يَصِفْهُ أحدٌ بالخب ولا عيَّره به ، ولم يكن شيء يتعابرون به أشد . ولحسن أيام مشهورة ، ومواطن في الحروب المذكورة ، وكان ممن له كنيتان في السلم والحرب ، كما كان الأبطال تفعل على عهده ، كان يكنى في السلم بأبي الوليد ، وفي الحرب بأبي نعام ^٢ .

وقد أولع ابن المصيصي [٨٥ ب] بهذا المعنى فأعاده وأبداه ، وألحمه وأسده ، وأعجبه ما اتفق له منه ، حتى أخرجه إلى ما كان في مندوحة عنه ، والشعر ميدانٌ ربما دعا الأرن إلى المراح ، وأخرج السابق إلى الخماح ، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد ، وذكر نفسه وابن عمَّار :

كأن أبا بكرٍ أبو بكر الرضى وحسانٌ حسانٌ وأنتَ محمد ^٣

فأراد أن يُعرب فأعجم ، وأحب أن يضيء فأظلم ، ونعوذ بالله من الخطل في القول ، ونبرأ إليه من القوة والحول .

١ ديوانه ١ : ٤٣٢ وصدر البيت : « أضر بجسمي مر الدهور » .

٢ كان حسان يكنى أبا الوليد - وهي الأشهر - وأبا المضرب وأبا الحسام وأبا عبد الرحمن ؛ ولم أجد أحداً ذكر له كنية في الحرب ؛ وأبو نعام كنية قطري بن الفجاءة ، ولا مانع من أن يتكنى بها غير واحد من الناس .

٣ إزاء البيت بهامش ط تعليق بخط الأصل ، وهو : يا مصيصي لقد أفرطت ، وفي قبيح القول تورطت ، وفي التأدب فرطت .

وقول ابن المصيصي : « مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ » ... البيت كقول ابن عبدون :
 بَلَّغَ سَلامَ فَمِي يَدَيَّ مَلِكٍ غاب الملوكة عن العلا وشهد
 وكوره ابن عبدون في موضع آخر ، فقال :
 وبلغ عن فمي يدهُ سلاماً كما أدنى الأزهيرَ الربابُ
 وقول حسان : « ويلبسُ تقوى الله في الحلل » لفظ أبي الطيب^١ :
 • وكساني الدرعَ في الحللِ •

وقوله : « لا تحمدن زهدَ مَنْ لم يُعْطَ رغبته » ... البيت ، معنى
 قد أكثر الناس فيه ، وإن كان لحسان فضلٌ بزيادة التشبيه ؛ ومن مشهوره
 قول حبيب^٢ :
 إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صُبِغَتْ له بِعُصْفُرِهَا الدنيا فليس بزاهدٍ
 وقد أحسن فيه أبو الطيب بقوله^٣ :
 والظلمُ في خُلُقِ النفوسِ فإن تجد ذا عَفَّةٍ فلعلَّةٍ لا يظلمُ
 وقال بعضُ أهلِ عصري :
 تورَّعُوا بين لا عزٍ ولا ظفرٍ وأكثُرُ الضَّعْفِ محسوبٌ على الورعِ

١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ وأول البيت : جاد الأمير به لي في مواهبه ، فزاتها ...

٢ ديوان أبي تمام : ٢ : ٧٣ .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٩ .

٤ د : لا عزوا ولا ظفروا ؛ م س ط : ولا ظفروا .

وقوله : « كالشمس في الطَّفَلِ » معنى بَيِّنُ النقصانِ ، قصيرُ الباعِ
في مدى الإحسانِ . وفيه نقدٌ أعربَ عنه بعضُ أهلِ زماننا ، وَمَنْ في
طبقةِ ديواننا . وهو أبو حاتم الحجاري^١ ، وزاد فيه بقوله :

فكفى من الدينار صُفْرَةً وجهه الشمسُ صفرتها من أجل زوالها
وقد نقله بعضُ أهلِ عصري إلى النسيب ، فقال :

يَعْيُونَهَا عندي لصفرة وجهها فقلتُ المرقلياتُ^٢ أوجهها صفرُ

وقوله للمعتمد : « فلم يظاً غير ما تحكي شمائله » . . . البيت ، أرى
حساناً مما بلّغ فيه سبْرُهُ ، وَوَقَعَ طيرُهُ . هذا يظاً المعتمد فليت شعري
ما يظاً غيره ؟ !

وقوله : « من كل معتقل بالباس مخترط » . . . البيت من التقسيم^٣
الملّيح في القريض : الذي كثيراً ما يتَّفِقُ في هذه العَرُوضِ ، وهو شبيهُ
بقولِ أبي سعد المخزومي^٤ :

وما يريدون لولا الحين^٥ من رجلٍ بالليلِ مدرّعٍ بالجرمِ مكتحلٍ
وشبيهه أيضاً بقول أبي تمام^٦ :

١ ترجمته في القسم الثالث : ٦٥٢ .

٢ المرقليات : الدنانير .

٣ المعتمد . . . التقسيم : سقط من م .

٤ السمت : ٧٦٦ وزهر الآداب : ٣٣٠ والمختار : ٨٠ ، وديوان أبي سعد : ٥٢ .

٥ في النسخ : الحين . وهو ما في زهر الآداب أيضاً .

٦ ديوان أبي تمام ١ : ٦٣ .

تدبيرٌ معتمٍمٌ ، بالله منتقمٌ في الله مرتقبٌ ، لله مرتقبٌ^١

إلى غير ذلك ممَّا لا يُحصى ، والإحاطة لله تعالى .

وقال حسَّان من قصيدةٍ أوَّلها^٢ :

وياضَ أباديكَ تحكي الصَّفاحُ	ومثلَ نفاذكَ تحنو الرِّماحُ [١٨٦]
وأُنبتَ ^٣ الحربُ شوْكَ القَتَادِ	وفتَحَتِ الوردَ فيها الجِراحُ
وكم لكَ في السَّلم وجهٌ حيٌّ	وكم لكَ في الحرب وجهٌ وقاحُ
فما غيرُ أصلكَ عودٌ نضارٌ	ولا غيرُ لَحْظِكَ حيٌّ لقاحُ
فجودكُ صِرْفٌ عداهُ المزاجُ	وطبعكُ جدٌّ عداهُ المزاحُ
فلو كان خَيْمُكَ من ماءٍ كرمٍ	لما شابهُ فيك ماءٌ قراحُ
ألم تَرَ غادرَ أسطبةٍ ^٤	حوَى الخُسْرَ صَفْقَتُهُ لا الرباحُ
سِدى براقشَ أصحابِهِ ^٥	فقد دلَّ منه عليهم نُباحُ
فداسوا على قِصْدِ الذابلاتِ	تبكي دماءٌ عليها الصَّفاحُ
وغشى الحمامُ برقَصِ الرؤوسِ	ولذَّ اغتباقُ وطابَ اصطباحُ
أبْخَفَى عَلاكَ على ذي جفونٍ	ويطمعُ يبدو إليه الصِّباحُ
ولما زَجَرْتُ بذكركَ شعري	تبيَّنَ يَنْشالُ فيها المراحُ

١ الديوان : لله مرتقب في الله مرتقب .

٢ منها أبيات في المسالك وبيتان في تمام المتون : ٢٩٠ .

٣ م س ط : فأنبتت .

٤ اسطبة أو اسطبة (Estepa) على بعد ٢٣ كم إلى الشرق من أشونة (Osuna) وتقع

ضمن ولاية اشبيلية (الروض رقم : ١٨) .

٥ فيه إشارة إلى المثل : « على أهلها دلت براقش » .

ولولا أياديك خابت يدي
برقة معناه يسري كلامي
وجدتُ معاليك أصلاً لشعري
لك الفضل أن طاب شكري ونشري
ولم يور من زند فكري اقتداح
إذا الخصر رقَّ يجول الوشاح
وهل نُظِمَ الدر لولا النصاح^١
بطيب الرياض تفوح الرياح

وله فيه^٢ أيضاً من قصيدة^٣ :

ليس العلا إلاً على كرم
من لحم أصلك يا مملكتُ أم
كأسُ المسرة^٤ قد سكرتُ بها
شيد في الوغى لك منزلاً خشناً^٥
ودع الرياض لمن يلدُّ بها
أذكي من الآسِ النصير قنأ
إنَّ النطاح من الورى خلق
أيقوم خطُّ ما له سَطَحُ
في الخطِّ نبئتُك أيها الرمح
والحدُّ يلزمني متى أصحو
لا يهلك الديباج والصرح
ما إن لغير مكارم نفح
وأنم من وردِ الربى جرح
حتى الكواكب بينها النطح

قال أبو الحسن : وهذه المقطوعة له من التحريض الحسن ، لولا اعتراض
المقادير أن تمر^٦ بأذن .

١ النصاح : السلك يخاط به .

٢ فيه : سقطت من م س .

٣ وردت الأبيات في المسالك ، وانظر الغيث ٢ : ٦٠ .

٤ م : المضرة .

٥ المسالك : حسناً .

٦ م ط : ثم .

وقال فيه من أخرى^١ :

غنّي الحمامُ ولو رآني ناحا وأعارني نحوَ الحبيبِ جناحا
ونعم كلانا فاقدُ محبوبه^٢ قلّيق^٣ ، ولكنتي كتمتُ وباحا

ومنها :

ثم انفتى ليعلّني ريقاً ومَن^٤ قد مات سكرأ كيف يشربُ راحا
فعفتُ عن رشفي مُدامَ رضابه وجنيتُ من وجنّاته التفاحا
وثلاثة خالطتُها بثلاثة^٥ ما ينتشقُ منه المتيمُّ فاحا
المسك^٦ والشعرَ المملُخَ والدُّجى والوجهَ والكافورَ والإصباحا [٨٦ب]
ليس الملاحه^٧ في الوجوه تروفي يوماً إذا الأخلاقُ كُنَّ قباحا
سبحانَ مَنْ خَصَّ المؤيدَ بالعلا كلاً وعمَّ بحبه الأرواحا
ملأتُ بطاعته القلوبَ أناته^٨ أضعافَ ما ملأتُ لهاهُ الراحا
يا أهلَ قرطبة اغرفوا من بحره فلطالما خضخضتم الضحَضاحا
هل لي إلى الشعراءِ من ذنبٍ سوى سبقي إلى عليائك المدّاحا
ومنابدِ ناءٍ حذرتُ أناته^٩ ما غرّني أمّا أتى وانزاحا
لا تأمنن^{١٠} مكرَ العدوِّ لبعده إنَّ امرأَ القيسِ اشتكى الطمّاحا^{١١}

قال ابن بسّام : وخبر الطمّاحِ على ما ذكره الرواة : رجلٌ من بني

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٠ .

٢ المسالك : نحو الديار .

٣ ورد هذا البيت في النفع ٤ : ٣٠٧ .

٤ م س : ذكره .

أسد كان امرؤ القيس قتل أخاه ، فلماً توجه إلى أرض الروم مع صاحبه عمرو بن قميئة الذي يقول فيه ^١ :

• بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ •

ووصل إلى قيصر وأكرمه ، ووجه معه جيشاً فيه أبناء الملوك ، فلما فصل أتى الطمّاحُ فوشى ^٢ به إلى قيصر ، وقال : إنه أعرابيٌّ عاهر يشبُّ بابتك في شعره ، ويشهرها عند العرب ، فبعث إليه قيصرُ بحلّةٍ منسوجةٍ بالذهب مسمومة ، وقال : إني أرسلتُ إليك بحلّتي تكرمةً ، فالبسها باليمنِ والبركة ، فسَرَّ بذلك ولبسها ، فأسرع إليه السمّ ، وسقط جلده ، ولذلك سُمِّيَ ذا القروح ، وقال في ذلك ^٣ :

لقد طمح الطمّاحُ من بُعدِ أرضه ليُلْبِسني من دائه ما تلبّسا
ولو أنها نفسي تموتُ جميعاً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا

وقد كرّر معنى هذا البيت وأوجزه بقوله ^٤ :

• وإن كنتِ قد أزمعتِ قتلي فأجملي •

أي اقتليني جملةً ولا تنوعيه . وإلى هذا المعنى ينظر من طرف مريب ،

١ ديوان امرئ القيس : ٦٥ ، وعجز البيت « وأيقن أنا لاحقان بقيصرا » .

٢ في النسخ : يوشى .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٠٨ ، ١٠٧ .

٤ ديوانه : ١٢ وصدر البيت : « أفاطم مهلا بعض هذا التدلل » .

قولُ عبدة بن الطيب^١ :

فما كان قيسٌ هُلُكُهُ هُلُكٌ واحدٍ ولكنَّهُ بنيانُ قومٍ تهتما

هذا على تفسير مَنْ جَعَلَ هُلُكُهُ هُلُكٌ جميعٍ من اتبعه وعاش
في رِفْدِهِ ، كما قال الآخر :

ولكنَّ الرزيةَ فَقْدُ قِرمٍ يموتُ لموته خلقٌ كثيرٌ^٢

وأينُ منه وأولى بقولِ امرئ القيس قولُ المجنون^٣ :

وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ميّتٌ في كلِّ يومٍ

لا بلْ أَشْبَهُهُمْ عِنْدِي بقولِ امرئ القيس ذي القروح ، قولُ قيس
ابن الذريح^٤ :

تساقطُ نفسي حينَ ألقاكِ أنفساً يَرِدُنَ فما يَصْدُرُنَ إلا صواديا

وتمام الحديث عن امرئ القيس أنه رأى هنالك حين احتضِرَ قبرَ امرأة
من بناتِ الملوك ، في سَفْحِ جبلٍ يقال له عسيب ، وأخبر بقصتها فقال^٥ :

١ انظر البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣ ، ٣ : ١٨٨ وعيون الأخبار ١ : ٢٨٧ والحماسية رقم :
٢٦٣ والأغاني ١٠ : ٢٠٢ .

٢ ورد البيت للمليل بن الدهقانة التغلبي في الحماسة البصرية ١ : ٢١٢ ومعجم المرزباني : ٤٤٥
ونسب في الأمالي ١ : ٢٧٢ لأعرابية ، وفي البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣ ورد البيت التالي دون نسبة :

إذا ما مات مثلي مات شيء يموت بموته بشر كثير

٣ ديوان المجنون : ٢٥٦ .

٤ الأغاني ٩ : ٢٠٠ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٣٥٧ ومادة « عسيب » في معجم ياقوت .

أجارتنا إنا غريانِ ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيب
 ومات فدفن إلى جنب^١ تلك المرأة . وروي^٢ أن امرأ القيس دفن بأنقرة
 الروم ، وأنهم اتخذوا صورته كما يفعلون بمن يعظمونه . وحدث المأمون أنه
 مرَّ بأنقرة ورأى صورةَ امرئ القيس قال : فإذا رجلٌ مُكَلِّثٌ الوجه ،
 يريد مستديره ؛ وقيل المدفون بعسيب صخر أخو الخنساء^٣ ، وهو القائل :
 • ولاني مقيمٌ ما أقام عسيب •

رجع :

وقال حسان بن المصيصي^٤ :

روضُ الشبابِ تناوبت أزهارُهُ وليّ بنفسجِهْ وجاءَ بهارُهُ [٨٧ أ]
 ودَّ المها^٥ لو أنَّ أسودَ لحظه^٦ أضحى خضاباً حين شابَ عذاره
 قد كان يعجبهنَّ خِفَّةُ حلْمِهْ فالآن ساءَ الغانياتِ وقاره
 تركَ الذي اشتملَ الكئيبَ لزارها منه الذي اشتملَ العفافَ لزاره

ومنها :

إنني على هذا لأسمعُ بالصبا فيسرتني ممن صَبَا^٧ أخباره

١ م : جانب .

٢ انظر هذا الخبر في معجم ما استمع ١ : ٢٠٤ (مادة : أنقرة) .

٣ معجم ما استمع ٣ : ٩٤٣ وابن خلكان ٦ : ٣٤ .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٥ د : امرؤ .

٦ ط م : لحظه .

٧ المسالك : فيسرتني متعللاً .

وأَمِيلُ نحوَ الرُّوضِ فارَقَهُ الحَيَا
وَكأَنَّمَا خَدُّ الحَبِيبِ شَقِيقُهُ
فكَأَنَّنِي مِمَّا ظَمْتُ وشَاحُهُ
حِينَ فَدَمَعُ إِثْرَهُ نُوَّارُهُ
خَجَلَانٍ أَوْ وَجْهَ المَحَبِّ عَرَارُهُ
وَكأَنَّنِي مِمَّا شَرَفْتُ سَوَارُهُ

ومنها في المدح :

هُوَ أَعْرَفُ الكَرَمَاءِ ، إِنْ سَمَّيْتَهُمْ
لَا تَعْدِلْنَهُ عَلَى إِهَالَتِهِ اللّٰهِي
لَا تَفْتَرِ بِالْبَشْرِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
يَأْبَى لِمَوْلَايَ الهَوَانَ وظَلَمَهُ
لَا يَسْتَطِيعُ النِّكَسُ يَنْطِقُ بِاسْمِهِ
قُلْ لِلْمُؤَيَّدِ إِذْ تَقِيلُهُ ابْنَهُ
يَحْكِيكَ فِي شَأْوِ الْعَلَاءِ وَإِنَّمَا
إِنْ تُمْضِهِ رَحْمًا فَأَنْتَ وَشَيْجُهُ

وقال يداعبُ ابنَ جمهور^٢ :

شَكُوتٌ إِلَيْهِ بِفَرْطِ الدَّنْفِ
وَقَالَ الشُّهُودُ عَلَى المَدَّعِي
فَأَنْكَرَ مِنْ عَلَّتِي مَا عَرَفَ
وَأَمَّا أَنَا فَعَلِيَّ الحَلْفِ

١ لم يرد البيت في م ط س ، وقصة عرار الذي أرادت زوج أبيه إهالته فامتعض أبوه لذلك ،
تتحدث عنها الحماسية :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم
٢ انظر الخريدة ٣ : ٥٨٨ والمسلط السهل : ٤٣٥ ووردت الأبيات في زاد المسافر : ١٤١
والروافي للرندي : ٣٠ والنفع ٣ : ٣٨٢ منسوبة لأبي عبد الله محمد بن الفراء الأحمسي ، وفيها
زيادة على ما هنا ، واختلاف في الختام .

فجئنا ابنَ جمهورٍ المرتضى فقيهَ الملاحِ وقاضيَ الكتِّف^١
وكان بصيراً بنكم الملاحِ ويعلم^٢ من أين أكلَ الكتف
فأومى إلى الخلد أن يجتنى وأومى إلى الرقيق أن يرتشف
وقال له جاهداً في انتصافي دعوا يا مخانيثُ هذا الصلف
كلنا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف ؟ !

وأرى حسناً أراد أن يسلكَ من هذه السبيل ، مَسْلَكَ ابنِ معمرٍ
جميل ، في قصيدته حيث يقول^٣ :

وقلتُ لها : اعتديتِ^٤ بغيرِ جُرْمٍ وغبُّ الظلمِ مرتعهُ^٥ وبيلُ

فجاء بين الشعرين ما بين الشاعرين ، وبين القطعتين ما بين الزمانين ؛
على أنَّ محاسنَ حسانٍ كثيرة ، وحسناته مشهورة ، وإنَّما ألفتُ منها بقليل ،
لزهدى في التطويل .

١ روايته في زاد المسافر والوافي والنفع : فجئنا إلى الحكم الألمي شيخ المجون وقاضي الظرف .

٢ م س : يعلم .

٣ ديوان جميل : ١٦٤ .

٤ الديوان : فقلت له قتلت .

٥ د : وخيم .

ومنهم الوزير انفيقه أبو بكر بن الملح^١

قال ابن بسّام : وأبو بكر ، -فرد من أفرادِ العصر ، وهو من بيت أصالة ، وبجوحة جلاله ، وفارسُ ميداني الزهد والبطالة ، وشاعرُ ناد ، وخطيبُ أعواد ، غبّر صدرأ من زمانه لا يحفلُ بعاذل ، ولا يُصغي في الفتوةِ إلى قولِ قائل ، وكان في ذلك أحسنَ من التوريد في الخدّ ، وبمكان الحلمة من النهد ، والدينُ في أثناء [٨٧ ب] تلك الوهلة ، وبين خصاصات تلك الغفلة ، يستطيلُ غَيْبَتَهُ ، وينتظرُ أَوْبَتَهُ ، فلما أقصرَ باطله ، وأسمعه عذّاله وعواذله ، تلقّاه باليمين ، واشتراه بالثمنِ الثمين ، فأصبح سجيرةً عَنزرةً ومنبر ، وأمسى سميرَ مصحفٍ ودقتر ؛ وفي ذلك يقول من أبيات :

وكنْتُ في الكاسِ عهدَ الشبابِ فصيّرنِي الشيبُ شيخَ الدعاء

ومُدَّ لأبي بكر هذا في العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا المجموع سنة خمسماية ، وتوفي رحمه الله في شهر رمضان منها ؛ وقد أثبتُ من شعره ما يملأ الأسماع بياناً . ويهر الطباعَ حسناً وإحساناً .

١ هو أبو بكر محمد بن اسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح وابن الملاح ، كان له ابنان هما أبو القاسم أحمد وأبو محمد عبد الملك وقد رويَا عنه . (انظر ترجمته في الذيل والتكملة ١١٨ : ٦ والتكملة : ٤١٤ والمغرب ١ : ٣٨٣ والرايات : ٢٧ (غ) والقلائد : ١٨٧ والنفع ٤ : ٧٠ ، ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣ : ٤٦٦) ؛ وفي ترجمة ابنه عبد الملك انظر الذيل والتكملة ٥ : ٣٢ والتكملة رقم : ١٧٠٥ وأما في ترجمة ابنه أحمد فانظر الذيل والتكملة ١ : ٤٠٠ والتكملة : ٥١ ، وكان أحمد هذا ريان من الأدب شاعراً ، ولي الصلاة والخطبة بجامع بلده زماناً ، وعن أحمد وعبد الملك يروي أبو بكر ابن خير ، وقد مر لأحمد هذا شعر في النفع ٤ : ٧١ والمغرب ١ : ٣٨٤ وفي أخباره ما يشير إلى أنه انقلب بعد العفة إلى الانحلال وتزوج امرأة كانت ترقص في الأعراس باشبيلية .

ما أخرجته من شعره في النسيب وما يناسبه

قال ^١ :

حَسِبَ القومُ أني عنكَ سالي	أنت تدري سريري ^٢ ما أبالي
قمري أنت كلَّ حين ^٣ وبدري	فمتى كنتَ قبلَ هذا هلامي
أنت كالشمسِ لم تَغَيَّرْ ^٤ ولكن	حُجِيتَ ليلها حِذارَ الملل
ما مللنا فكان ذا غَيْرَ أنا	قد حسبناه من صروف الليالي

وقال ^٥ :

ظبي يمجُّ الهوى بناظره	حتى إذا ما رنا ^٦ به انبعثا
مبتدع البخل ^٧ لا كفاءَ له	يعدُّ شكوى صبابتي رفثا
أنكرَ سُتُحي وما قصدتُ له	وما تعرَّضتُ للهوى عبثا
أقسمَ في الحبِّ أن أموتَ به	فما قضى بيرة ^٨ ولا حتثا

وقال :

حبيب إلينا أن نراك على طيب	حراماً بشربِ الراح من كل تأنيب
تُكسِّبُكَ الصهباءُ فضلَ خلّاتقٍ	وعندك فضلٌ آخر غير مكسوب

١ منها ثلاثة أبيات في الحريدة ٣ : ٤٦٧ والقلائد : ١٨٨. (وبيتان في المغرب ١ : ٣٨٤) .

٢ أصل ط والقلائد : صبابتي؛ الحريدة والمغرب : قضيتي .

٣ المغرب : كل يوم .

٤ القلائد : لم تغب لي .

٥ انظر القلائد والحريدة .

٦ القلائد والحريدة : رمى .

٧ القلائد والحريدة : الخلق .

ومن قصائد ابن الملح المطولات^١ في المدح

قال من قصيدة في المعتمد أولها^٢ :

سَكَنَ اشْتِياقُكَ ما عدا عما بدا
لم يُطْفِئَ وَجْدُكَ إِنَّمَا هِيَ شَعْلَةٌ
والعَضْبُ يَسْتَرُهُ الْقِرَابُ وربما
والروضُ يبعثُ بالنسيم كأنما
سكرانُ من ماءِ النِّعِيمِ وكلَّما
يأوي إلى زَهْرٍ كَانَ عِيونُهُ
زَهْرٌ يَفُوحُ به اخضرارُ نباتِهِ^٣
وبيت في فتنٍ توهَّم ظِلَّهُ
قد خَفَّ^٤ موقعُهُ لديه وربما
أعلى محلَّ الشعر أن قصائدي
خَطَبْتَهُ تَرْكَبُ بطنَ كَفِّي منبراً
أثقلتُ أعناقَ المأربِ لؤلؤاً

أرَوَيْتَ أم خَمَتِ الخُطوبُ الوردا
كالسيفِ جَرَدَهُ المقام وأغمدنا
خَشْنَتُ مضاربه الرقاقُ من الصدا
أهداه يضربُ لاصطباحتك موعدا
غَنَاهُ طائِرُهُ وأطربَ ردُّدا
رُقَبَاءُ تقعدُ للأحبة مَرَصدا
كالزُّهْرِ أسرجها الظلام وأوقدا
بالصُّبحِ في عَيْنِ القَرارةِ^٥ مرودا
سمح النسيم بعطفه فتأودا
جَعَلْتَ مَدِيحَكَ بالمعاني مقصدا [١٨٨]
وَدَعَتِكَ تعمُرُ ظَهْرَ كَفِّكَ مسجدا
وملأتَ آفاقَ البصائرِ إثمدا

١ د ط : المطولة .

٢ منها ستة أبيات في كل من الحريرة والقلائد والريحان ١ : ١٥٧ / أ وأربعة في المغرب .

٣ المغرب : بناته .

٤ ط د : فتن .

٥ القلائد والحريرة : يسمي ويصبح في القَرارة .

٦ ط د س : حف .

كم قد ركبْتُ إليكَ كاهلَ همةٍ كادتُ تغالطُ في أخيهَ الفرقدا
أبغى لديكَ العيشَ أخضرَ يانعاً فأجوبُ جنحَ الليلِ أسْفَعَ أسودا
يقظانَ تحسبني الكواكبُ ناظراً فيها يراقبُ للغزاةِ مولدا
وإذا تكتنَّفني النهارُ لبستهُ وهجاً لفوحاً أو سراباً مزبدا
رطب الجوانح في اليبابِ كأنما اسـ تهديتُ في الماء الخفي الهدهدا

قال ابن بسام : لو قطع المفازة التي اهتدى فيها أصحابُ رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، بيت الضِّلِيل حيث يقول :

تيمَّمتِ العينَ التي عند ضارجٍ يفيءُ عليها الظلُّ عَرَمَضُها طامي^١

ما زاد على ما وصَفَ ، فكيف في رُقعةٍ من الأرض مساحتها يومان ،
لراكبٍ أتان ، أكثر بلادِ الله ماءً ، وأرطبها هواء ، إلاَّ أَنَّهُ والله قال
فأجاد ، وخيَّلَ فسحر وزاد . وليس هذا البيت في شعر امرئ القيس في
أكثر الروايات . وفي العرب عشرة رجال يسمون كلهم بامرئ القيس .

وروى ابن الكلبي قال : جاء قوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فضلوا
في طريقهم ووقفوا على غير ماء ، فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، فجعل
رجلٌ منهم يستدري^٢ فروعَ السَّمَرِ والطلح ، فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل
راكبٌ على بغير ، فأنشد بعضُ القوم بيتَ امرئ القيس المتقدمَ الذكر ،
فقال الراكب : ما كذب ، هذا والله ضارجٌ عندكم ، وأشار إليه ، فأتوه ،

١ انظر مادة « ضارج » في معجم ما استعجم والروض المعطار .

٢ م : يستدر ؛ ط : يستدير ؛ د : يستدر .

فإذا ماء غَدَقٌ قد غَطَّاهُ العَرَمَضُ ، والظلُّ يفيءُ عليه ، فشربوا منه
وارتووا . فلمَّا بلغوا النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم ، وأخبروه القصة ، قال
لهم : ذلك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا شريفٌ فيها . خاملٌ في الأخرى منسيٌّ
فيها ، يجيء يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار .

وقال ابنُ الملاح من أخرى في المعتضد بالله :

نشرتُ للحمدِ طيباً عن شَذَا نَفَسٍ	بعثتُهُ عن ضميرٍ غيرِ مُتَهَمٍ
فتَوَّرتُ بالقوافي روضةً أنْفُ	في تربةِ العقلِ تُسْقَى وابلَ النعم
ليَ الثوابُ فلم أرجعْ لمشكلةٍ	عن اليقين ولم أعكُفْ على صنم
لي همّةٌ ما يزالُ الدهرُ يطلبها	وما تزالُ من التأملِ في حرَم
وما تحمَّلتُها في ظهرٍ فاحشةٍ	ولا وقفتُ بها في برزخِ التهم
ما لي وللناس عَمَّتْ لي منابثهم	تباينَ اللبسِ بين الآسِ والسَّلم
تمزَّقتْ بردةُ الإنصافِ بينهم	في منكبي ولم تُضغَطْ بمزدحم
ليُقصِرَ الدهرُ خصمي لستُ مكترثاً	من الحصوم وفي بيت الندى حكى

وله فيه من أخرى :

قد صيرتُ في أخرى المقاصدِ فأنصرف	وشرعت في شتى المواردِ فاصدرُ [٨٨ب]
واخترتُ لهذا الدرَّ أجيادِ العلا	يزدُنْ قَحْسُنُ الجيدِ زينُ الجوهرِ
واشهدُ صروفَ الدهرِ تظفرُ عندها	بالظافرِ ابنُ أبي الكرامِ وتنصرِ
فصغيرُ مرآى العينِ عن بُعدِ المدى	كالنجمِ أصغرُهُ تنائي المنظرِ

١ د : حروب ؛ ط م س : ضروب .

٢ م ط د س : يظفر .

وهذا كقول المعري^١ :

والنجم تستصغرُ الأبصارُ صورته^٢ والذنبُ للطَّرفِ لا للنجمِ في الصُّغرِ

وقال منها :

حازَ السَّاءُ^٣ وما أَسْنُ^٤ وإنَّما
من معشرٍ يُنْسِي ويصبحُ طفلهم
أَلِفُوا مُضَاجَعَةَ الظُّبَا بمهودهم
فلتحفظِ الأيامُ منهمُ عَصَبَةٌ
ثَبَتُوا عَلَى الْأَصْلِ الْقَدِيمِ فَأَثَبُوا
وَبَنَوْا عَلَى السَّعْيِ الْجَمِيلِ فَبَيَّنُوا
ولتحفظِ الأيامُ سَالَفَ أُمَّةٍ
بَقِيَ الثَّناءُ عَلَيْهِمْ فَكَانَتْما

نَمَتْ الْفُرُوعُ بِطَيْبِ مَاءِ الْعَنْصَرِ
من حَبٍّ [...] ^٥ الْعَلَا فِي مَعْشَرِ
وَوَلُّوا مَطَاوِلَةَ الْوَشِيحِ الْأَسْمَرِ
سَكَنْتُ بِأَرْجَاءِ الْوَغَى وَالْمَنْبَرِ
نَسَبَ الْكَوَاكِبِ فِي قِبَالِ حَمِيرٍ
أَنَّ الْمَكَارِمَ فِي تَرَاثِ الْمُنَزَّرِ
مَلَأَتْ مَفَاخِرُهُمْ فُرُوجَ الْأَعْصَرِ
رَكَبُوا الْمُنَابِرَ فِي بَطُونِ الْمَقْبَرِ

ومنها :

أَهْدَى إِلَيْكَ الْوَدَّ عَبْدٌ يَدْعِي
طَابَتْ مَوَارِدُهُ لَدَيْكَ كَأَنَّمَا
وَسَمَا يَبْلُغُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا

شَرْفًا بِصَهْرٍ فِي بَنَاتِ الْمَجْبَرِ
وَقَفَتْ رَكَائِبُهُ بِرَيْفِ الْكُوْثَرِ
قَطَعَ الْمَرَاحِلَ فِي بَرُوجِ الْمَشْتَرِ

١ شروح السقط : ١٦٣ .

٢ د : رؤيته ، وهي رواية البطليوسي .

٣ م ط س : حان النساء ؛ د : حاق .

٤ بياض في ط م س ؛ وفي د : أنهار ، ولا معنى له .

نقل الوداد على قطار قصائد
يحملن طيب الحمد فيك كأنما
رتعت زماناً في جناب الدفر
ينشرن بالفلوات طيب العنبر
وله فيه من أخرى :

ضمانك ملء الأرض كالأخذ باليد
لذلك يبدو الموت نارا ولجة
لذلك مادت بالرماح صعادها
بهز بها أعطافه كل بأسل
على شزب لو سايرتها خطوبها
يصلن السرى والماء غور^٢ كأنما
لذلك هو الأمر بالغد في الغد
على صفحتي صمصاميك الواقد الندي
وليس ليوهني في الكعوب بمبيد
رحيب ذراع أو طويل مقلد
عرّضن عليها من وجوه التجلد
حمتن عصا موسى على كل جلمد

ومنها :

له جدول من صارم متسلسل
هناك ربيع للسيوف مرجس^١
إلى غصن من ذابل متأود
قريب أوان من ربيع مورد

وهذا كقول أبي العلاء^٣ :

روض المتايا على أن الدماء بها وإن تخالفن أبدال من الزهر

وقال ابن شهيد من شعر قد تقدم^٤ : [٨٩ أ] :

١ د م : الوافر .

٢ ط : غرو ؛ س : غرق .

٣ شروح السقط : ١٥٨ .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٠٨ والذخيرة ١ : ٢٨٩ .

فذا جدولٌ في الغمدِ تسقى به المنى وذا غصنٌ في الكفِ يُجتنى فيثمرُ

وقال المتنبي ^١ :

أأخلعُ ^٢ المجدَ عن كِثْفي وأطلبه وأتركُ الغيثَ في غمدي وأنتجعُ

وقال ابن الملح من أخرى :

أوطأنَ في ظُبَّةِ الحسامِ توسدي وألبكَ من نارِ الحياءِ بوجنتي
ولكم لقيتُ لهمَّ يملأُ أرضه وتركتُ ذاك الجيشَ نهبا للظبا
حتى إذا رمتِ الليالي جانبي خَطَمَتْ بِجبلِ الشيبِ أنفَ شبيبةٍ
لو كنتُ أقدرَ قادرٍ لم أجزها إني لأقبضُ في مراجعها يدي
وأردُ ^٣ عزمي والحقيقةَ مطلبي أناضاحكُ للدهرِ ضحكةَ شامتٍ
قصِدَ الزمانُ الآملينَ بحربه وعلمتُ أني إن أصِلَ بمحمدٍ
اللهُ أكبرُ لو قضى لخليفةٍ ومزَجْنُ كأسِي في لُهاةِ الأرقمِ
وهجاً تحفٌ به عيونُ المرزمِ بأحمَ طامي اللجنتينِ عرمرمِ
مُتخاذلِ الأنصارِ مطلولِ الدمِ من كلِّ ناحيةٍ بكلِّ الأسهمِ
قد كان قبلَ صروفها لم يحظمِ إني لأزهدُ في عقابِ المجرمِ
ولو احتديتُ بها فروعَ الأنجمِ وأبيعُ حظي والكريمةَ مغنمي
إن كان يعبسُ للندى المتبسمِ وأتيتُ في الغمراتِ أوَّلَ مقدمِ
أنفُذْ على ضيقِ المكرِّ وأسلمِ بمزيةِ العِلْمِ الذي لم يُعلمِ

١ ديوان المتنبي : ٣٠٢ والخيرة ١ : ٢٨٨ .

٢ الديوان : أطرَح .

٣ ط : وأرود (اقرأ : وأدود) .

لرَوَا حَدِيثَ النَّفْسِ غَيْرَ مَرْجَمٍ
يَا أَيُّهَا الْبَشَرُ الْمَتْرَهَ جُمْلَةً
خَذْ بِالْنَدَى وَالْبَاسِ أَعْدَلَ وَجْهَةً
وَاحْطُمْ عِدَاكَ مُكَابِدًا وَمُكَابِدًا
وَاقْنَعْ بِعَذْرِ مَنْ قَنَّاكَ^١ فَإِنَّهُ
بِيَدَيْكَ صَعَدَتْهُ ، وَكُلُّ قَبِيلَةٍ

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي الْمَعْتَصِدِ بِاللَّهِ :

وَتَقْنُوا التَّزْيِيلَ غَيْرَ مَرْجَمٍ
لِلْمَجْدِ قَبْلَ إِشَارَةِ التَّكْلُمِ
وَافْرَضْ لِيَوْمِكَ بِالْمَآثِرِ وَاقْسَمْ
وَإِنَّا بِسَيْفِكَ لَقْنَا الْمُتَحَطِّمَ
نَبَأُ لِرَمَحٍ رُبَيْعَةٍ بَنِ مَكْدَمٍ
جُسْمْ وَكُلُّ الْأَرْضِ وَادِي الْأَخْرَمِ^٢

سَرَوْا نَحْتَ لَيْلٍ فِي الظَّلَامِ بِهِمْ
تَوَاصَوْا بِأَعْمَالِ الشَّقَاوَةِ بَيْنَهُمْ
مَقَامَةٌ شَرَبَ مَا قَضَوْا حَقَّ مَجْلَسٍ
وَلَا وَجَدُوا بَرْدَ السَّرُورِ كَأَنَّمَا
مَذَاهِبُ سُوءٍ غَيَّرَتْ مِنْ مَعَاشِرٍ
تَحَامَوْا بِلَادًا مَرَّقَتْهُمْ كَأَنَّمَا
سَرَوْا نَحْتَ أَطْرَافِ الرِّمَاحِ كَأَنَّمَا
وَمَالُوا عَلَى حَدِّ السِّيُوفِ كَأَنَّمَا
كَأَنَّ الْمَنَآيَا الْحَمَرَ دَانَتْ نَفُوسَهُمْ

مَكَلَّلَ آفَاقٍ كَلِيلِ نَجُومٍ
وَعَاذُوا بِشَيْطَانٍ هُنَاكَ رَجِيمٍ
وَلَا فَرَحُوا فِي سَكْرِهِمْ بِنَدِيمٍ
أَدِيرَتْ عَلَى الْأَقْوَامِ كَأْسُ حَمِيمٍ
نَفُوسًا فَلَمْ تَسْلَمْ لَهَا بِجُوسٍ
مَضَتْ فِي رِبَاهَا عَاصِفٌ بِهَشِيمٍ [٨٩ب]
شَيْطَانٍ ضَلَّتْ نَحْتَ رَصْدِ نَجُومٍ
تَمِيلُ إِلَى آذَانِهِمْ بِنَمِيمٍ
فَحَلَّتْ عَلَى عُسْرِ حُلُولٍ غَرِيمٍ

١ ط د : فتاك .

٢ في يوم الكديد بارز ربيعة بن مكرم عدداً من الفرسان تواتروا لمبارزته ، وحسب الظمينة ،
فلما ذهب دريد بن الصمة ليرى ما حدث ووجد ربيعة حديث السن ، أعطاه ربحاً وعاد عنه
دريد وادعى لأصحابه أن ربيعة انتزع منه الرمح ؛ وفي ذلك اليوم يقول ربيعة :
إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظمينة يوم وادي الأخرم
(انظر المقد ٥ : ١٧١) .

ومنها :

ألا فاحطبوها للعقول فلإنها
ولا تبخسوها في المهور فلإنها

وقال من أخرى أيضاً :

كم قَصُرَ أنسٍ لهُونا في مطالعِهِ
فمن مُعَنَّ بِالْحانِ المني غَرِدِ
وغافلٍ بالصَّبَا عن قَطْعِ مُدَّتِهِ
حتى إذا جئتُ آمالي تحرَّفَ لي
إذا الهوى فاضَ طوفاناً ركبْتُ له
لولا الحياءُ وقد شَبَّتْ معاركُهُ

قد عاد والعهدُ دانٍ موحشِ الطَّلَلِ
وشاربٍ بين طاساتِ الهوى ثَمَلِ
قد راش أجنحةَ الأيامِ بالجلذلِ
خَطَبُ دَفَعْتُ به في غُرَّةِ الأملِ
فُلُكَ العزائمِ ولم آوي إلى جبلِ
لقد كشفتُ لثامَ الصبرِ عن بطلِ

ومنها :

ضاق الزمانُ بما حطَّمتَ من قُضْبٍ
لا تُعْمدُ البيضُ إلّا في ضرائبها
رواقُ مُلْكِكَ بالأسيافِ ذو طنبِ
وبابِ حربك مفتوحٌ لقارعهِ
كأنَّهُ بكمُ واللهُ يَكْلؤُكم
لو كانت الشمسُ من خدامِ دولتكم

في رَعِيهِنَّ وما قصَدَتْ من أسَلِ
حتى لقد عادتِ الأعمادُ للقللِ
وبَرَدَ مجدك بالأرماحِ ذو خَمَلِ
عن قَسُورِ أهرتِ الشدقينِ ذي عَصَلِ
يقضي على الدهرِ أو يختارُ للدولِ
والعدلُ ما العدلُ لم تبرحُ من الحملِ

١ ط : نبات .

قال ابن بسّام : ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق ، فإن كان اتباعاً فما أحسن ما أرق ، وإن يكن اختراعاً فما أولى وأخلق .

وفي هذه القصيدة يقول :

كم حُطِنْتُ من ضياع في الأنام وكم وصلتُم من شتيتٍ غيرٍ متّصلٍ
بِسُنَّةٍ كسنانِ الرمحِ ماضيةٍ ومَذْهَبِ كقناةِ الرمحِ معتدلٍ
مَدَحْتَكُمْ حيثُ لا فخرٌ أزيدكمُ فقد كحلتُ عيوناً جَمَّةَ الكحلِ

كما أن هذا البيت أشار فيه أبو بكر إلى التقصير ، فلعله أراد أن يجعله في شعره تيمناً من الفتور ، وأحسنُ مما انتحاه ، قولُ بعضهم في معناه :

لم أفدِكَ المديحَ إلا لنفسي ليس للسيفِ إربةٌ في الصّقالِ

وقال ابن الملح :

لا حدّاً للوجدِ إلاّ أنت عارفُهُ كأنّ قلبك للأشواقِ ميزانُ
ولا صبايةٍ إلاّ أنت واسِعُها كأنّ صدرك للأشجانِ ميدانُ [١٩٠]

ومنها ١ :

سِرْنَا نراقبُ إعلانَ الصباحِ بنا كأنّنا في ضميرِ الليلِ كتمانُ

وهذا كقول صاحب بن عباد :

• كأنّي سِرّ والظلامُ ضميرُ •

١ ومنها : سقطت من م س .

وقال أبو الطيّب^١ :

• سرّيت وكنت السرّ والليل كاتمه •

وقال أبو الوليد بن زيدون^٢ :

سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يَفْشِينَا

وفيهما يقول ابن الملح في المدح :

هُوَ الْمُقَرَّرُ الْعَلَا وَالْخَيْلُ سَارِحَةٌ وَالْمَبْصَرُ الرُّشْدَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهِ
تَاهَتْ بِمَجْدِكَ قَحْطَانٌ وَعَدْنَانٌ وَسَارَ ذِكْرُكَ وَالْأَفْوَاهُ تَنْقُلُهُ
وَشَكٌّ فِي الْعَصْرِ أَقْوَامٌ فَقُلْتُ لَهُمْ ذَكَّيْتُ جُودَكَ حَرْبًا وَالْعَدَا جَزْرًا
هَمِي عَلَيْهَا مِنَ الْمَوْتِ الزُّعَافُ حَيًّا وَمَا جَ فِيهِ وَرِيحُ الْبَاسِ تَنْسِجُهُ
وَلِلدَّمَاءِ غَدِيرٌ فَوْقَ ضَفَّتَيْهِ وَفِيهِ حَلْبَةُ الْخَيْلِ

وله من أخرى يصف حلبة الخيل :

خَوَافِقُ قَدْ رِيشتُ بِأَجْنَحَةِ الْهُدَى فَطَارَتْ بِبَحْرِ الرُّومِ كُلِّ مَطَارِ
فَهْنٌ بِشَدِّ الْجُرِيِّ عِقْبَانُ شَاهِقٍ وَهْنٌ بِالْحَانَ الصَّهِيلِ قِمَارِ

١ ديوان المتنبي : ٢٤٨ وصدر البيت : « وكنت إذا يمت أرضاً بعيدة » .

٢ ديوان ابن زيدون : ١٤٦ والذخيرة ١ : ٣٦١ .

بكل مباهٍ بالسَّلاحِ كأنَّما
 مهينٌ لدنياه يظنُّ^١ حياته
 تسنمَ جدرانَ المكاره فانتهى
 سقى من قلبِ الحربِ أشجارَ مفخر
 يجرُّ من الخطيِّ فضلَ إزار
 إذا لم يمتَ في الله دارَ بوار
 مآثرَ لم تُحجبَ له بجدار
 تدلَّتْ له من ساعةٍ بشمار

ومنها :

فمن سابعٍ ورَدٍ تجلبَّبَ خلقه
 وأبلى كالريم المدمى مُفضَضٍ
 وأشهبَ تجلوه المعاني كأنَّما
 وأشقرَ نوري يهبُّ كأنه
 وأدهم كالليل البهيم تعلَّقَتْ
 إذا ما علاه راكبٌ فكأنه
 بلبته خيَّطُ المجرة فصلت
 سفينةُ برٍّ سُخِرَتْ غيرَ أنها
 تُطَّاطأ من عونِ الطباعِ بحاذفٍ
 له خلُقٌ لولا تواردُ غيره
 بنسجٍ^٢ دمٍ قبل التناج ممار
 تحالُ بشقيه مسالَ نُضار
 تزيّنُ منه زندَها بسوار
 وقد قدَحَتْهُ الحربُ مِقْبَسُ نار
 به تحت كمَّ الفجر كفُّ نهار
 بفرته تحت المطالب سار
 له موهناً أوساطه بدراري
 تجوبُ من الإلهاب لُجَّ غبار [٩٠ب]
 وتُهَنَّا من لَوْنِ الأديمِ بقار
 على عتقه لم ينحرف لنفار

ومن الحسن في تشبيه الخيل بالبحر ، قولُ بعضِ أهلِ العصر ، وهو
 الأديب أبو بكر ابن العطار اليابسي^٣ ، من شعرٍ أنشدنيه لنفسه بيتانِ يونسَ

١ م د ط س : يظل .

٢ بنسج : سقطت من م س .

٣ هو محمد بن العطار اليابسي نسبة إلى جزيرة يابسة ، انظر المغرب ، ٢ : ٧٠ والمسالك

١١ : ٤٥٨ والنفح ٤ : ١٠ وله ترجمة في القسم الرابع من الذخيرة .

سنة ست وثمانين^١ :

والجيشُ قد جعلتْ أبطالهُ مرحاً تختالُ عن خيلاءِ السَّبْقِ العتقِ
إذا تسعَّرتِ الهيجاءُ أحمدها ما في معاطفها من نُدْوَةِ العرقِ
هيَ البحورُ ولكنْ في كواثبها^٢ عند الكربةِ منجاةٌ من الغرقِ

والشيء يذكر بالشيء إذا ناسبه أو قاربه ؛ كان للمتوكل فرسٌ أخضر
أغرَّ محجلٌ^٣ ، وعلى كفله ستُّ نقطٍ بيض ، فتناغَتْ لمةٌ من الشعراء يومئذ
ببطليوس في صفته ، فكلُّ جهد جهده ، وبذل ما عنده ، فما سبق إلى
الغاية ، ولا أخذ الراية إلا النحلي^٤ ، على أنه كان مُزجى البضاعة ، في هذه
الصناعة ، فقال^٥ :

حمل البدرَ جوادٌ سابحٌ تقفُ الريحُ لأدنى مهلهِ
لبسَ الليلَ قميصاً سابغاً فالثريا نُقْطٌ في كفلهِ
وكانَ الصبحُ قد خاضَ به فبدا تحجيلة من بللهِ
كلُّ مطلوبٍ وإن طالتْ به رِجلُهُ ، من أجله في أجله

بيته الثاني أراه أخذَ^٦ من قول ابن صاحب الاسفيري^٧ معناه :

١ منها بيتان في المغرب ٢ : ٤٧٠ .

٢ ط : كواثبها ؛ د : كواثبها .

٣ بدائع البدائ : ٢٦٩ والنفع ٣ : ٣٣٣ والشريشي ٣ : ١٥٤ .

٤ البدائع والنفع : ركب البدر جواداً سابحاً .

٥ البدائع والنفع : خيض .

٦ ط د م س : أخذه .

٧ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح ، وقد وردت ترجمته في القسم الأول : ٧٧٠ .

لبسَ الظلامَ أديمُهُ فبدا لنا من بين عينيه سنا جَوَزَائِهِ

والثالث نبّه عليه ابن نباتة بيته^١ :

وكانتما لطمَ الصبحُ جبينَهُ فافتصرَ منه فخاضَ في أحشائه

وما أراه نقل إلا لفظ ابن شهيد ومعناه ، من جملة قصيد له قد أنشدناه ،
وهو قوله^٢ :

• وكانتما خاضَ الصبحَ فجاءَ مبيضَ القوائم^٣ •

وقال فيه أبو بكر الداني^٤ :

لله طيرُفٌ جال بابرٍ محمدُ فحوتُ به حَوَباؤُهُ التأميلا
لما رأى أنَّ الظلامَ أديمُهُ أهدى لأربعةِ الهدى تحجيلا
وكانتما في الردف منه مباسمٌ تبغي هناكَ لوجهه تقيلا

ولأبي عبد الله بن عبد البرّ الشنتريني فيه جملة أبيات^٥ :

فعلى المحيّا كوكبٌ متلألئٌ وعلى القطاةِ بناتٌ نَعَشٍ تسطعُ
وكانتما عُمَرُ على صَهَوَاتِهِ قمرٌ تسيرُ به الرياحُ الأربع

١ قد مر البيت ص : ٣٧٩ من هذا القسم .

٢ مر في القسم الأول : ٢٠١ وانظر ديوانه : ١٥٧ .

٣ بدائع البدائع : ٢٧٠ والنفع ٣ : ٢٣٣ .

٤ البدائع والنفع : يا ابن محمد .

٥ ورد البيت الثاني في البدائع والنفع .

ولم يحضرني من شعر أهل العصر في وصف هذا الطُرف إلا ما أثبتُّ،
وكانت لهم عندي في صِفَتِهِ عِدَّةُ مقطوعات وجملةُ أبياتٍ ، سقطت من
ذكرِي ، وطارت من شَرَكِ صدرِي ، وتعلّقَ بحفظي أشعارُ لمن تقدّمهم
من أهلِ هذا الأفق، ممن تقدّم زمانه ، وشهّرَ إحسانهُ بالقول ، في صفة
الخيّل ، رأيت إثباتها ، إذ لها موقع بهذا الموضع

قال يوسف بن هارون الرمادي^١ : [١٩١] .

وأبْلَقَ من شرطِ الطُّرامِ^٢ لَزِينَةً وإِخْوَانِ^٣ مِيدَانِ وَيَوْمِ قِتَالِ
فَخَضِرَتْهُ ثَلْثٌ وَثَلَاثُ شُهْبَةٍ فَأَخْضَرُ قُدَّامِ وَأَشْهَبُ تَالِ
لَهُ لَهَبٌ مِنْ دُهْمَةٍ فِيهِ شُهْبَةٌ^٤ كَعَامِ صُدُودِ فِيهِ يَوْمٌ وَصَلِ
تَدَرَّعَ بَدْرَ التِّيمِّ حُسْنًا وَبَهْجَةً^٥ فَالْزِمَ^٦ فِي حِيزَوْمِهِ بَهْلَالِ

وقال أبو عامر بن عبدوس في صفة أشهب ، حاشا عرفه كان أحمر :

يَا حُسْنَ هَذَا الْجَوَادِ حِينَ بَدَا فِي شَيْءٍ لَمْ تَكُنْ لَدِي بَلَقِ
قَامَ عَلَيْهِ النَّهَارُ مَدْعِيًّا فَاعْتَرَفَتْ عَرْفُهُ يَدُ الشَّفَقِ

١ كتاب التشبيهات : ١٩٣ .

٢ التشبيهات : الكمي .

٣ التشبيهات : وإحراز .

٤ التشبيهات : لبب من شهبة بين دهمة .

٥ التشبيهات : نوراً وظلمة .

٦ التشبيهات : ولبيب .

وقال أبو بكر بن حجاج^١ :

وأشهب صافي بياض الأديم له شية زانها عرفه
كبدري سماء بدا زاهراً وقد مس في شفق طرفه

وقال ابن فتوح :

طريف يفوت الطرف شأواً عدوه ويضيق وسع الأرض عند مجاله
يبدي سواد الليل في إدباره ويريك وجه الصبح في إقباله
متبخرأ تيهأ كأن للجامة لكسرى لاح فوق قذاله
عقد الحيادة بشأوه وجرى على عرق نماء علا إلى عقاله
ذرعت متن الأرض منه بذارع^٢ كادت تكون الأرض من أمياله
تعا الرياح وراءه في لأيه ويكل شأو الدهر دون كلاله

وقال الرمادي :

ومعارض للريح في حركاته لولا اللجام لجال كل مجال
ذو منظر حسن تضمن مخبراً حسناً وكان لزيئة و قتال
حسننت به الحركات والمعشوق لا يصبي لغير براعة ودلال
حطمت حوافيره السلام صلابه فكانه من أوجه البخال

١ هو أبو بكر عبد الله بن حجاج الغافقي، من شعراء المعتضد، هجر إلى شيبيلية إلى الجزيرة الخضراء و مدح صاحبها محمد بن القاسم بن حمود ، وقد لقيه الحميدي في حدود ٤٣٠ (انظر الجذوة : ٢٤٣ والبقية رقم : ٩١٩ والمغرب ١ : ٢٦٠ والنفع ٣ : ٣٨٥).
٢ د : بأذرع .

وهذا كقول حبيب^١ :

أَيَقَنْتَ^٢ إِنْ لَمْ تَشَبَّتْ أَنْ حَافِرَهُ من صغُرِ تلمرٍ أَوْ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانِ^٣

وأخذه البحرِيّ فقال^٤ :

مَا إِنْ يَعَافُ قَذَى وَلَوْ أوردتهُ يوماً خلّاتقَ حمدويه الأحولِ

وقال القسطلي^٥ :

سامي التليلِ كأنَّ عِقْدَ عذاره في رأسِ غَصْنِ البانةِ الميَّادِ
يُهْدَى بمثلِ الفرقدِينِ ونابٍ عن رَعِي السَّمَاكِ بقلبه الرِّقَادِ
فكأنَّما أَطَأُ الأباطِحَ والرَّبِي بعقابِ شاهقةٍ وحبّةِ وادي [٩١ب]
وكانه من تحتِ سوطي خارجاً في الرُّوعِ شعلَةُ قَادِحِ بزنادِ

وقال يحيى بن هذيل^٦ :

في خُضْرَةٍ مَفْتَرَةٍ في غُرَّةٍ كالضَّيْحِ كَشَفَ عنه ليلُ النِّيلِ
يمشي العِرضُنةَ فهو يحكي بالطلّ كيف الصدودُ عن الحبيبِ فيقبلِ

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٣٤ وأخبار أبي تمام : ٦٨ .

٢ الديوان : حلفت .

٣ هو عثمان بن إدريس الشامي (أو السامي) .

٤ ديوان البحرِيّ : ١٧٤٥ وأخبار أبي تمام : ٧٠ .

٥ من ملحقات الديوان : ٥٤٣ عن الذخيرة ، وانظر الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٦ عن يحيى بن هذيل (- ٣٨٩) انظر كتاب التشبيهات ص ٣٣٦ - ٣٣٨ حيث ورد ذكر القطع

الكثيرة التي ضمها ذلك الكتاب من شعره مع نبذة عن حياته وذكر لمصادر ترجمته .

وقال أبو تمام بن رباح^١ من أهل عصرنا :

وأقْبَ تنقَدُ البروقُ إذا جرى من غبظها حسداً بأن لم تَلْحَقِ
مَلَكَ الرياحَ قوائماً فجرى بها فيكادُ يأخذُ مغرباً في مشرق

وقال فيه^٢ :

ونحَى رِيحٌ سَبَقُ الرِّيحِ إنْ جَرَتْ وما خَلَتْ أن الرِّيحَ ذاتُ قوائِمِ
لها في المدى سَبَقٌ إلى كلِّ غَايَةٍ كأنَّ لها فيه نفوذَ عزائمِ
وهمةَ نفسٍ نَزَّهَتْها عن الوجى فيا عجباً حتى العلا في البهائمِ

رجع :

بقية ملح ابن الملح

له من قصيدة عتاب قال فيها :

لقد ظلمتني أمةٌ ما خَمَسَتْها بلحظ وقد عَمَّتْ حشايَ ندوبا
توهَّمْتهمُ سلماً فسَوَّلْتُ ظاهراً وشبُّوا على ظهر المغيبِ حروبا
وثقتُ بهم في النَّائباتِ فأخلفوا وكانوا إلى جَنْبِ الخطوبِ خطوبا
فكم صاحب منهم يبيتُ بقلبه بعيداً ويغدو باللسانِ قريبا
إذا لاح خيرٌ ذادني عن حياضه كما ذادتِ الزَّجَرُ العرامسَ نيبا
وإنْ عنَّ شرٌّ قادني نحو ضنكةٍ جنياً وأنَّى لي أقادُ جنيا

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ والبيتان في الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٢ انظر الشريشي أيضاً .

وآخر قد فاجأته الودَّ أولاً
سريتُ له من حُسْنِ ظنِّي بطالعٍ
وكنْتُ إذا بَلَّ الودادَ بلفظةٍ
جفاني ولكنتي أَهْبُ بعشرتي
وآخر لم أسأل به مَنْ ولا ابنُ مَنْ
نشرتُ له بُرْدَ الإخاءِ كأنما
وكنْتُ إذا رثْتُ من الودِّ بُرْدَةً
سقى كأسَ حِقْدٍ فوق لحقِ نِيمةٍ
فماذا يرى العبدان في ذَنْبِ أمةٍ
ومن ينكرُ الشكوى إلى الله منهم
سأغفرُ لا عجزاً ولكن سَجِيَّةً

بديهة ساعٍ ماجدٍ وأديبا
أَمِنْتُ له حتى المماتِ غروباً
أدرْتُ عليه بالمحبة كوباً
شمالاً إذا هبَّ الصديقُ جنوباً
فلستُ لما يُرتابُ منه طلبوا
خضبتُ بها في العارضين مشياً
عليه صرفتُ الإهتبالَ قشياً
تشقُّ قلوباً لا تشق جيوباً
رأتُ حسناتي في الوفاء ذنوباً
وقد ملأوا الصدرَ الرحيبَ وجيباً
نمتني نجياً أو ورثتُ نجيباً

ومن شعره في الأوصاف

قال يصف سوار فضة مذهباً ، وأخبر عنه :

أنا من الفضة البيضاء خالصة
لكن دهنني خطوطٌ غيَّرتُ جسدي [٩٢أ]
علَّمتُ عضي بما أحوي فأحسدني
جرَّيُ الوشاحِ فهذي صفرةُ الحسد

وقال في شَمَامَةِ فضة مُنَيَّلَةٍ ١ :

١ م : مثيلة ؛ أما المنيلة فقد شرحت في القسم الثالث : ٤٣٢ (حاشية : ٢) ومعتها مرصع
أو مزخرف .

أنا المدارة^١ بين الكأس والطبق
أكون للورد والخيري آونة^٢
لولا صيانة^٣ جسمي عن مجاذبة
خفت الزمان على تغيير عهدتها
كأنني نقطة في الصحو صافية^٤
قد غيرت بعض لوني خضرة الورق^٥
المستعارة^٦ للأناف والحدق
ونارة لغصون الآس والحبق
لثارت الحرب بين النور والورق
ففي إهابي آثار من الحرق
قد غيرت بعض لوني خضرة الورق^٦

وكان^٢ في بعض قصور المعتمد باشيلية في من جملة التصاوير صورة^٢
من خالص اللجين على صورة الفيل ، وهو الذي يقول فيه عبد الجليل :

ويُفْرِغُ فيه مثل النصل بدع^٣ من الأفيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلداً وقاحاً قلماً يخشى هزالا

فجلس المعتمد يوماً على البحيرة والماء يسيل^٤ ، من فم ذلك الفيل .
وقد أوقدت شمعتان من جانبيه . ومعه ابن الملح ، فقال في ذلك عدة مقطوعات
منها قوله :

كأنما النار عند الشمعتين سنا والماء من نَفَدِ الأنبوب ينسكب^٥
غمامة^٦ نحت جنح الليل هامة^٦ في جانبيها جناح^٦ البرق يضطرب

١ ط م د س : صباية .

٢ الورق : موضعها بياض في ط م س .

٣ انظر نفع الطيب ٤ : ٢٦٣ وبدائع البدائع : ٣٧٣ .

٤ النفع والبدائع : يجري .

٥ النفع والبدائع : منسكب .

٦ النفع والبدائع : حفاف .

وقال في ذلك :

ومِشْعَلَيْنِ من الأضواء قد قرنا بالماء والماءُ بالدولابِ متروفاً
لاحاً لعينيَّ كالنجمين بينهما خَطُّ المجرَّةِ ممدودٌ ومعطوف

وقال فيه :

وأنبوبِ ماءٍ بينَ نارين ضُمْنَا هوىً لكؤوسِ الراحِ تحت الغياهِبِ
كأنَّ اندفاعَ الماءِ بالماءِ حَيَّةٌ يحركُها بالليلِ ١ لمعُ الحياهِبِ

وقال فيه :

كان سراجيَّ شربهم في التظاهما وأنبوبَ ماءٍ الحوضِ ٢ في سيلانهِ
كريمٌ تولَّى كِبَرَهُ من كليهما لثيمانِ في إنفاقهِ يعذلانهِ
إذا هزَّهُ للجود بُردُ سماحةٍ أصراً على تربيهِ يحرقانهِ

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي ٣

شمس الزمان وبلدره، وسرُّ الإحسانِ وجهره، ومستودعُ البيانِ ومستقرُّه،

١ النفع والبدائع: في الماء .

٢ النفع والبدائع: الفيل .

٣ ترجمته في بنية الملتبس رقم : ١١٠١ والمطرب : ١١٨ والقلائد : ٢٤٢ والخريدة : ٢ :

٩٥ والمعجب : ١٥٩ والنفع : ١ : ٦٥٧ (نقلا عن القلائد) ومواطن أخرى متفرقة .

والمساك : ١١ : ٢١٩ والسلفي : ١٩ ومواطن مختلفة في بدائع البدائع، ورايات المبرزين

٧٧ (غ) .

آخرُ مَنْ أفرغ في وقتنا فنونَ المقال^١ ، في قوالبِ السحرِ الحلال ، وقيدِ شواردِ الألباب ، بأرقٍّ من ملحِ العتاب ، وأروق من غفلاتِ الشباب ، وكورة تُدْمِرُ أفقه الذي منه طلع ، وعارضُهُ الذي فيه لمع ، ولما ذكرته في هذا القسم الغربي مع أهلِ إشبيلية لأنها بيتُ شرفه المشهور ، ومسقط عيشه المشكور . طرأ عليها منتحلاً للطلب ، وقد شدا طرفاً من الأدب ، وكان الاستاذ أبو الحجاج الأعلام^٢ يومئذٍ زعيم البلد ، وأستاذَ وَلَدِ المعتمد ، فعول عليه من رحلته . وانقطع إليه بتفصيله وجملته ، وكانت له في أثناء ذلك همّةٌ ترامي به إلى العلا ، ترامي السَّيْلَ من أعالي الزُّبى ، وكان بين الاستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج^٣ ما يكون بين فحلين في هَجْمَةٍ . وزعيمين [٩٢ ب] من أُمَّة ، فاتفق أن كتب ابنُ سراجٍ إلى المعتمد بشعرٍ بائي من شطر الوافر يمدحه فيه ، وكأنه - زعموا - عَرَّضَ بِقُرْنَيْهِ ومُباريه ، وأعلِّمَ بذلك الأعلام ، فصمت عن جوابه وأحجم ، وولَّاهَا عبدَ الجليل فأطلَّعَهُ في أفقها قمرأ . ونَبَهَ منه لحربها عمرأ^٤ ، فقال قصيدته البائية التي أولَّها :

١ م د س : المال .

٢ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلام الشتمري (٤١٠ - ٤٧٦) كان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، وكف بصراء آخر عمره (انظر ابن خلكان ٧ : ٨١ والصلة : ٦٤٣ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ ونكت الحميان : ٣١٣) .

٣ أبو مروان ابن سراج : له ترجمة في القسم الأول من الذخيرة : ٨٠٨ وفيه فصل من أشعار رثي بها ، وانظر صورة من هذه الخصومة بينه وبين الأعلام حول الرسالة الرشيدية في إحكام صناعة الكلام : ٦٨ .

٤ فيه إشارة إلى قول بشار (ديوانه : ٢١٧ جمع الملوي) :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرأ ثم ثم ثم

• هوى بين النجوم له قباب •

ومع أنها ليست لاحقةً بعيون شعره ، لما سمعها ابنُ عمارٍ خادمُ الدولة يومئذٍ طار بذكره ، وأجنأه ثمارها ، وباهى به أقمارها ، وخلع عليه أصائلها وأسحارها ، ووافق من المعتمد ناقدًا بصيرًا ، وعاشقًا قديرًا ، فأغلى بتلك الأعلاق ، وأقام له الدنيا على ساق ، وقصر عبد الجليل على هواه ، فلم يرحل إلى ملكٍ سواه .

وكانت له كلَّ عامٍ رحلة ، يتعهّد فيها بلده وأهله ، فحدثني غيرُ واحد أنه اجتاز بالمرية ، في بعض رحلته الشريفة ، وملكها يومئذٍ قبله الأمال ، وقطب رحي الأمال ، ومرمى جمار المدائح ، أبو يحيى ابن صمادح ، فاهترَّ لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بجملة وافرة من عرضِ دنياه ، فلم يعرج على صفده ، وبادر العيد — وكان قريباً — بالارتحال عن بلده ، وقال في ارتجال^١ :

دنا العيدُ لو تدنو لنا كعبةُ المنى وركنُ المعالي من ذؤابة يعربِ
فيا أسفا^٢ للشعر تُرُمتي جماره ويا بُعد ما بيني وبين المحصبِ

ولما ابتدأت الفتنة بالمعتمد ، بادر الخروج عن البلد ، فلم يغن عنه نفاره وأدركه مقداره ، على قربٍ من مرسية ، لقي قطعةً من خيل النصارى فتورط فيهم ، وقضى الله له بالشهادة على أيديهم .

١ القلائد : ٢٤٤ والمطرب : ١٢١ والخريدة ٢ : ١٠٢ .

٢ الخريدة : فيا ويلنا .

وذكرت بمقتل عبدالجليل - رحمه الله - ومقره أعجوبة من الزمان ،
وحديثاً ظريفاً من الحدثان : كان بحضرة إشبيلية أيام ماجت بها على المعتمد
الفتنة ، ودارت عليه^١ رحي المحنة . أبو القاسم ابن مرزقان^٢ ، من شعراء
الدولة ، ونبهاء أهل الحضرة ، ميمّن^٣ متّ إليها بقديم جوار ، لا يبارع
أشعار ، وأدلّ عليها باسم مرزقانيه ، لا بفضل بيانه ، وكان في بني عبّاد
عُجْبٌ بكثرة عددهم ، وعصبية لأهل بلدهم ، وكان أبو القاسم هذا حلّو
الحوار ، نادر الأخبار ، وكان به على ذلك توهّم يُخْرِجُهُ إلى جين الفرار
السلمي^٤ ، وغفلة تشهد عليه بلوثة أبي حية النعمري^٥ ، وكان هو وعبد
الجليل من بين سائر أهل القريظ ، في طرفي نقيض ، هذا يتعصّب لسلطان
بهواه . وعبد الجليل يقفو الصواب^٥ بزعمه ويتحرّاه ، فكانا ربّما اجتماعاً
فيكون بينهما بؤن بعيد ، وشقاق شديد : فأما عبد الجليل فقد ذكرت
الخبر عمّا فعّل ، وشرحت كيف قُتِل . وأما أبو القاسم هذا فإنه غرّة
القتال فأقدم عليه ، وهبّت له القتل فبرز إليه ، على حال لو تخيل بها
المجد لحده ، وفي يوم لو رآه دون الماء لما وردّه ، فأدركه سرعان الرجال

١ م : عليهم .

٢ تردد ترجمته في ما يلي من هذا القسم ص : ٥٢٠ .

٣ هو حيان بن الحكم السلمي (انظر حماسة البحري : ٦٥ وحماسة الخالدين ١ : ١٤٢
والعيون ١ : ١٦٤ والحيوان ٤ : ١٨٥) .

٤ اسمه الهيثم بن الربيع (ترجمته في الشعر والشعراء : ٦٥٨ والأغاني ١٦ : ٢٣٦ وطبقات
ابن المعتز : ١٤٣ والخزانة ٤ : ٢٨٣ والسمط : ٢٤٤ وقد جمع شعره رحيم صخي
التوليبي - مجلة المورد (١٩٧٥) المجلد الرابع - العدد الأول : ١٣١ - ١٥٢) .

٥ م : على الصواب (اقرأ : يقف على الصواب) .

فهبروه بالسيوف ، وجرّعه^١ أكثره ما كان له من الختوف ، فصار حديثهما عجباً من الخبر عجباً ، ومثلاً في تصرفِ القدر مضروباً ، كلاهما أنهب نفسه^٢ الأقتال ، وذاق منيته^٣ على يدي من خال .

ولابن مرزقان هذا أخبار طريفة ، ونوادر في الشعر معروفة ، وتأخذ فيما بعد بطرف مستطرف منها ، ان شاء الله .

وقد أثبت هنا من شعر عبد الجليل في مدحِه الفائقة ، وأوصافه الرائقة ، ما يشهد أنه سابقُ الحلبة^١ ، وصدْرُ الرتبة ، وضاق ذرعُ هذا المجموع ، عن تضمين ما له من البديع ، فجمعت شعره على حروف المعجم في تصنيف ترجمته بـ « كتاب الاكليل المشتمل على شعر^٢ عبد الجليل » وكذلك فعلتُ في سائر أعيان الوزراء الكتاب ، لم يتسع لاستيفاء محاسنهم هذا الكتاب ، فجمعت في تأليفِ ترجمته^٣ بـ « سلك الجواهر [٩٣ أ] من نوادر تروسيل ابن طاهر » وفي تصنيف رابع^٤ وسمّيته^٥ بـ « كتاب الاعتماد على ما صحَّ من أشعار المعتمد بن عباد » وفي كتاب خامس ترجمته بـ « نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار » . ولبعض الناس إلى كلام بعض صغور^٦ ، وذلك الكلام عند آخرين — على جودته — لغو ، وإنما كان ذلك لتباين النحائر ، واختلاف الغرائز . فاستوفيت في هذه التواليف لكل^٧ فرقةٍ مرادها ، وخلصت لها موادّها ، إن شاء الله .

١ م : وجرّوه .

٢ على حروف . . . شعر : سقط من م .

٣ كذا ، وهو ثالث بحسب ما عده في هذه الفقرة ، إلا أن يكون قد عد الذخيرة ضمناً .

ما أخرجته من شعر عبد الجليل في شتى الفنون
من ذلك ما له في الرثاء والتأبين

من ذلك قصيدته^١ في الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن عيسى المعروف
بالأعلم ، أولها :

سَبَقَ الفناءُ فما يدومُ بقاءُ تنفى النجومُ وتسقطُ البيضاءُ

يقول فيها^٢ :

نَفْسِي وَحَسِّي إِنِّ وَصَفْتُهُمَا مَعاً	آلٌ يَذُوبُ وَصَخْرَةٌ خُلِقَتْ ^٣
لَوْ تَعْلَمُ الْأَجْبَالُ كَيْفَ مَآلَهَا	عَلِمِي لَمَّا امْتَسَكْتُ ^٤ لَهَا أَرْجَاءُ
إِنَّا لَنَعْلَمُ مَا يَرَادُ بِنَا فَلَمْ	تَعْيَا الْقُلُوبُ وَتُغْلِبِ الْأَهْوَاءُ
طِيفُ الْمَنَايَا فِي أَسَالِيبِ الْمَنَى	وَعَلَى طَرِيقِ الصَّحَةِ الْأَدْوَاءُ
بِتَعَاقِبِ الْأَضْدَادِ مِمَّا قَدْ تَرَى	جُلِبَتْ عَلَيْكَ الْحِكْمَةُ الشُّعَاءُ
مَاذَا عَلَى ابْنِ الْمَوْتِ مِنْ إِبْصَارِهِ	وَلِقَائِهِ هَلْ عَقَّتِ الْأَبْنَاءُ ^٥
أَيَغُرُّنِي أَنْ يَسْتَطِيلَ بِيَ الْمَدَى	وَأَبْنِي بِحَيْثُ تَوَاصَتِ الْغُبَرَاءُ

١ م : قصيدة .

٢ يقول فيها : سقط من م .

٣ خلقاء : مصتة ملساء .

٤ م : لما أمت .

٥ د : عفت الأنبياء .

لم ينكرُ الإنسانُ ما هو ثابتٌ في طَبَعِهِ لو صحَّتِ الآراءُ
ونظيرُ موتِ المرءِ بعدَ حياته أن تستوي مِن جنسه الأعضاء
دَنِيفٌ يبيكُنِي للصحيحِ وإنما أمواتُنَا لو تشعُرُ الأحياءُ
وسواءٌ أن تجلِ اللحاطُ من القذى أو تتنصّي من شَخَصِها الحَوْبَاءُ
ما النفسُ إلا شعلةٌ سقطتْ إلى حيثُ استقلَّ بها الثرى والماءُ
حتى إذا خلصتْ تعودُ كما بدت ومن الخلاصِ مشقَّةٌ وعناءُ

قال ابن بسّام : لعلَّ عبد الجليل اكتسب في هذا البيت والذي قبله من العمل^١ بحقيقة النفس ما جهله في وصفه لها قبل أنها « آلٌ يذوب » وما أعجب أيضاً قوله عن جسمه بأنّه صخرةٌ خلقاء ، اللهم إلاّ إن كان عني بذلك رأسه لأنه كان يلقَّبُ بالدَّمْعَةُ^٢ . وذهب هنا من صفة النفس إلى مذهب كلامي^٣ ، كقول بعض أهل بلدنا ، وهو أبو عامر ابن سوار^٤ الشنتريني ، من جملة أبيات :

يا لقومي دفنوني ومَصَّوًّا وَبَنَوْا في الطينِ فوقِ ما بَنَوْا
ليت شعري إذ رأوني ميتاً وبكوني أيَّ جزأيَّ بكوا
أنعوا جسمي فقد صار إلى مركزِ التعفينِ أم نفسي نَعَوْا
كَيْفَ يَنْعَوْنَ نفوساً لم تزلْ قائماتٍ بحضيضٍ وبحجْرٍ
ما أراهم ندبوا فيَّ سوى فُرْقَةٍ التَّأْلِيفِ إن كانوا^٥ دروا

١ كذا في النسخ ، وأظن صوابه : « العلم » .

٢ لعل لهذا اللقب صلة بقولهم : « الدامغة » وهي الشجة التي تبلغ الدماغ ، وإن كنت أرجح أن اللقب يشير إلى ضخامة رأس عبد الجليل وأنه لذلك نَبَزَ عامي .

٣ ط د : نوار .

٤ د : التعيين .

٥ ط م س : كان .

وهذا معنى فلسفيّ ، قلّما عرّج عليه عربيّ ، وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء ، حين [٩٣ ب] ضاق عنهم منهج الصواب ، وعدموا رونقَ كلامِ الأعراب ، فاستراحوا إلى هذا الهذيان استراح الجبان إلى تنقّص أقرانه ، واستجادة سيفه ولسانه ؛ وقد قال بعضُ أهلِ النقد إنه عيبٌ في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمةٍ من كلامِ الأطباء ، أو بالفاظ الفلاسفة القدماء ؛ وإنّي لأعجبُ من أبي الطيب ، على سعةِ نقسه ، وذكاء قَبَسِهِ ، فإنه أطال قرعَ هذا الباب ، والتمرّسَ بهذه الأسباب ، وكذلك المعريّ : كثرَ به انتزاعه ، وطال إليه إيضاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشياعه ، وحسبك من شرِّ سماعه ، وإلى الله مآله ، وعليه سؤاله .

وإنما سلك عبد الجليل في هذا المعنى سبيل القائل حيث يقول :

يا سالكاً موثلاً ^١ يكلمنا	عرّجُ أخْبَرَكْ خالصَ الفائدة
جِسْمُكَ وَالنَفْسُ خُلَّتَا عَرْضِ	وكل خلُّ خلّته قائد ^٢
وَالنَفْسُ تَلْقَى الْخُلُودَ إِنْ خَلَصَتْ	وَالْجِسْمُ لَا بَاقِيًا وَلَا خَالِد

وقال المتنبي^٣ :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ	إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرءِ سَالِمَةً	وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرءِ فِي الْعَطَبِ

وقال :

١ ط م : منزلاً (دون اعجام) .

٢ ط د م س : فائد .

٣ هذه القطع في ديوان المتنبي : ٤٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٧٨ ، ٥٧٣ - ٥٧٤ .

إلفُ هذا الهواءِ أوقع في الأذْ فُسِرَ أنَّ الحِمامَ مرُّ المذاقِ
والأسى قبل فرقةِ الروحِ عجزٌ والأسى لا يكونُ بعدَ الفراقِ

وقال :

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأملُ كرمى تحتَ الرجامِ
فلنِ لثالثِ الحالينِ معنىً سوى معنى انتباهكِ والمنامِ

وقال :

تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنَّ من كَسْبِه
فهذه الأرواحُ من جَوِّه وهذه الأجسامُ من تربِه
يموتُ راعي الضأن في جهله ميتةَ جالينوسَ في طبه
وربما زاد على عُمره وزادَ في الأمنِ على سُرْبِه

ولنما نقل أبو الطيب هذا المعنى من قول أبي غسان المتطرب^١ :

حُكِّمُ كأسِ المنونِ أن يتساوى في حماها الغبيُّ والألمعيُّ
ويحلُّ البليدُ تحت ثرى الأر ضرٍ كما حلَّ تحتها اللوذعيُّ
أصبحت رمةً ترايل^٢ عنها فضلها الجوهرى والعرضيُّ

١ لعل الصواب ابن غسان ؛ وقد سماه الثعالبي (اليتيمة ٣ : ٤٢٨) أبا الحسن ابن غسان البصري الشاعر الطبيب، وذكر أنه ورد الأهواز مع الشعراء ومدح عاملها، وذكره التوحيدي باسم «ابن غسان» في الامتاع ٢ : ١٦٩ وحكى أنه غرق نفسه لأسباب تجمعت عليه من فقر وجرب وعشق ؛ وترجم له القفطي (تاريخ الحكماء : ٤٠٢) وذكر أنه كان يخدم بصناعته ملوك بني بويه .

٢ م ط : أصحا . . . يزایل .

وتلاشي كيانها الحيواني^١ وأودى^٢ تقويمها المنطقي

وهذا كلام^٣ من الإلحاد ، على غاية الاضمحلال والقساد ، فليس تساوي
الناس في الموت والفناء ، حجة^٤ في عدم البقاء ، والمراتب في دار الجزاء .

ومن شعر أبي العلاء ، في هذه الأنحاء ، التي ولع بها أيضاً وشغف ،
وصرف كلامه فيها فتصرف ، قوله^٥ :

والنفسُ أرضيئةٌ في قول^٦ طائفةٍ وعند قومٍ ترقى في السمواتِ
وكونها في طريقِ الجسمِ أحوجها إلى ملابسٍ عنثها وأقوات

وقال^٧ :

وأوصالُ جسمٍ للترابِ مآلها ولم يدرِ دارِ أين تذهبُ روحها

وقال^٨ :

والروحُ تنأى ولا يدرى بموضعها وفي الترابِ لعمرى يرفت الجسدُ

[وقال^٩ :

١ ط م د س : وأردى .

٢ اللزوميات : ٥٥ ب (نسخة ليدن رقم : ٩٠٦) ١٤ : ١٤٨ - ١٤٩ (ط . هندية) .

٣ اللزوميات : والروح . . . في رأي .

٤ اللزوميات : ٦٦ ب ، ١ : ١٧٨ .

٥ اللزوميات : ٨٧ أ ، ١ : ١٩٧ .

٦ اللزوميات : ٩٠ أ ، ١ : ٢٠٠ .

والعيشُ كالماءِ يغشاهُ حوائثنا
ومدُّ وقِيٍّ مثلُ القَصْرِ غايته
فصادرون وقومٌ لآثرهم وردوا [١٩٤]
وفي الهلاكِ تساوى الدَّر والبرد

وقال ١ :

أما الصحابُ فقد مرّوا وما عادوا
سيران ٢ ضدَّ أن من روح ومن جسد
وبيننا في لقاءِ الموتِ ميعادُ
هذا هبوطٌ وهذا فيه إصعاد

وقال ٢ :

وفكري سلَّ حبَّ المالِ مني
ستمضربني الحوادثُ في نظيري
ووجدني بالحياةِ أطالَ شعفي
فتمحقني ولا يزدادُ شعفي

رجعت إلى ما قطعت من قصيدة عبد الجليل .

وفيها يقول :

كذبتُ حياةَ المرءِ عند وجودها
لله أيُّ غنيمةٍ غنيمَ الردى
ومن الفجائعِ غارةٌ شعواء
فإذا البريةُ كلُّها دهماء
لتواصتِ الغبراءُ والخضراءُ
أن لا يدومَ بحاله الدأماء
وجَدَ الحمامُ ومنه كان الداءُ
من كان غُرَّةَ جنسه حتى احمُ
جبلٌ تقوَّضَ لو تشخَّصَ عظمه
ومغْبِضٌ ما قد غاضَ منه شاهدُ

١ اللزوميات : ٩١ ، أ ، ٢٠٣ - ٢٠٤ .

٢ ط م د س : شيطان .

٣ اللزوميات : ١٨٩ ب ، ٢ : ٩٧ .

٤ اللزوميات : ولا أزداد .

أكبرتُ نَعْيَ جلالِهِ فنَفَيْتُهُ
مات ابنُ عيسى مَنْ يَقُولُ به عسى

وهو الجليّةُ ما عليه خفاء
شفقاً وليس مع الحمام رجاء

ومنها :

أفلا حَمَمَتُهُ فضائلُ موفورةٌ
وأذمّةٌ في سرٍّ لحمٍ طالما
شهرُوا سلاحَ الدَمِّ مع خَلْفِ سريره
رُحْنَا به بل بالسيادةِ والعلا
نطأ القلوبَ على سواءِ سبيله
أخذَ الأسي في البرودِ بشاره^١
حتى إذا بلغوا به ملحودةٌ
ضرب الهدى في لحدِهِ يمينه
وأظْلَهُ التزليلُ يتلو نفسه
مستصحباً أعمالَهُ متأنساً
ولربما استخلصتَ منا أنفساً
وهناك لو كُشِفَ الغطاءُ لناظِرٍ
في الحبِّ إذ يحوي سميكَ أسوةٌ
يا تَرْبَةَ استبقي سناه ، ويا فلا
اللهَ فيّ وفي جوانحِ رطبةٍ
أبنيه نحنُ وأنتمُ شرعٌ به

وجلالةٌ تغنو لها العظماء
خَدَمَتِ رعايةَ حقّها الأمراء
إذ لم يكنُ للباترات غناء
والشمسُ نجمٌ والنهارُ مساء
فالسيرُ مهلٌ والعتارُ ولاء
مما جناهُ الزَّهْوُ والخيلاء
قمنا به لو أنّه الجوزاء
فتناولتُهُ عَرَصَةً فيحاء
بتلاوةٍ لم يؤتِها القراء
بزواهيرٍ هي والنجومُ سواء
ملأتْ ضريحَكَ والصدورُ جلاء
حول القلبِ حديقةٌ غناء
لو حُمَّ منك وقد حُجِيتَ لقاء
لا تَلَحَّظَنَّكَ^٢ جريمةٌ شنعاء
لم تخلُ من شفقاتها الأعداء
وعلى المصابِ بفقدِهِ شركاء

١ بشاره : سقطت من م س .

٢ ط م س : مناه (دون اعجام في ط وفوقها كذا) ويا قل ؛ د : لا تخلقنك .

هزّوا قوادمكم إلى عليائه
أماً وقد شبهتُ مائلَ رَسمِهِ
واعجبْ لذاك الخطَّ في صفحِ الثرى
أننى وسعتَ وأنت مضجعُ واحدٍ
يا زائريه تكحلوا بصعيدِهِ
فغرّرتَ له فاها الجدالة^٢ فانطوى
قسمَ الأنامُ تراثَ علمك فاستوى
كنّا عبيدَكَ في اعتقادِ نفوسنا
يا مُلبّسَ النعمى يجرّ ذيوها
وبكتَ عليك الشمسُ حقّ بكانها
خُذْها علالةَ خاطرٍ دلّهتَهُ
قامتُ تناوحُ فيك كلّ قصيدة
قد رَشَحَتْ أبناءُها الفتخاء [٩٤ ب]

أنشدتها على توالي الانتخاب ، حسبما صنّعه في أكثر أشعار هذا الكتاب .

قوله : « أغيرني أن يستطيلَ بي المدى » . . . البيت ، يلّمح من بعض
الوجوه ، وإن لم يشبهه كلّ التشبيه ، قول أبي العلاء^٤ :

وقبيحُ بنا وإن قدّمَ العمى دُ هوانُ الآباء والأجدادِ

١ البوغاء : التراب عامة ، أو التراب الهابي في الهواء .

٢ الجدالة : الأرض .

٣ د : القرناء .

٤ شروح السقط : ٩٧٥ .

وأبو العلاء إنما ذهب إلى قول أبي الطيب ^١ :

يدفنُ بعضنا بعضاً ويمشي أواخرنا على هامِ الأولي

وقوله : « وسواء أن تجلي اللحاظ » ... البيت ، كقول التهامي ^٢ :

واستلَّ من أترابه ولِداته كالمقلة استلَّت من الأشفار

إلا أنَّ عبد الجليل قد نفخ فيه روحاً ، وسلك به مسلكاً مليحاً ، وولَّد له إحساناً صريحاً .

وأما قوله : « أكبرتُ نَعْيَ جلاله » ... البيت ، فقلَّ أحدٌ من الشعراء ال بيتاً في الرثاء ، إلا ولهذا المعنى أشار ، وحواليه دار ، لأنَّه من متداولات المعاني ، قال صريع الغواني ^٣ :

تأملُ أيها الناعي المشيد أحقَّ أنه أودى يزيدُ
أتدري من نعتٍ وكيفَ فاهتُ به شفتاك كان بها الصعيد

وقال أبو الطيب ^٤ :

طوى الجزيرةَ حتى جامعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

١ ديوان المتنبي : ٢٥٧ .

٢ ديوان التهامي : ٥٣ .

٣ ديوان مسلم بن الوليد : ١٤٧ ورجع ابن خلكان ٦ : ٣٣٨ أن الشعر لعبد الله بن

أيوب التيمي .

٤ الديوان : تأمل .

٥ ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وقال أبو إسحاق بن معلّى من أهل عصرنا^١ :

وتلجج الناعي به فسألتُهُ عن ذا الحديث لعلهُ يرتابُ

وقال أبو الحسن ابن الجلد^٢ :

نصامتُ عنها مستريحاً إلى المني وقلتُ عساها في الأحاديثِ بهتانُ

وقال أيضاً بعض أهل عصرنا^٣ :

ونبّهني ناعٍ مع الصبح كلّما تشاغت عنه عنّ لي وعنائي [٩٥ أ]
أغمضُ أجفاني كأنّي نائمٌ وقد بلّجتُ الأحشاءُ في الخفقان

ولبعضهم أيضاً في قريب منه وإن لم يكن به :

أبجي وما أدعوك إلاّ تلعّة^٤ نغالط فيك بالنفس حيناً من الدهرِ
وإنّا لندري أنّه لا يميننا ولكن تخلّينا الجواب فما ندري

وقوله : « شهرُوا سلاحَ الدمع » . . . البيت ، كقول أبي الطيب^٥ :

• يبكي^٦ ومن شرّ السلاحِ الأدمعُ •

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٤٠ وانظر البيت : ٨٤٤ .

٢ سيرد البيت في هذا القسم : وانظر الثالث : ٨٤٩ .

٣ هو الأعمى التطيلي ، انظر ديوانه : ٢٢٨ وستأتي ترجمته في هذا القسم : ٧٢٨

٤ ط م : لعة .

٥ ديوان المتنبي : ٥٠٨ وصدّره : بأبي الوحيد وجيشه متكاثّر .

٦ ط د م س : أبكي .

وقوله^١ : « والشمس نجم » ... البيت ، معنى أحسن فيه وإن لم يكن
اخترع ، فقد أحسن وأبدع حيث اتبع .

وقوله : « نطأ القلوب » ... البيت ، من قول التهامي^٢ :

كَأَنَّ وَخَذَ مَطَايَاهُمْ إِذَا وَخَذَتْ يَطْأَنَّ فِي حُرٍّ وَجْهِي أَوْ عَلَى بَصْرِي

وقوله : « أخذ الأسى فيه البرود » ... البيت ، نبّهه عليه ابن الرومي
بقوله^٣ :

أَخَذْتُ مِنْ رُؤُوسِ قَوْمٍ كَرَامٍ ثَارَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الْأَعْلَاجِ

وقوله : « يا تربة استبقي » ... البيت ، من قول المعري^٤ :

فِيَا قَبْرُ وَاهٍ مِنْ تَرَابِكَ لَيْسَ عَلَيْهِ وَآهٍ مِنْ جَنَادِكَ الْخُسْنِ
لَأُطَبِّقَتْ لِطَبَاقِ الْمَحَارَةِ فَاحْتَفِظْ بِلَوْلُؤَةِ الْمَجْدِ الْحَقِيقَةِ بِالْحَزَنِ

وقوله : « أنى وسعت وأنت مضجعٌ واحد » ... البيت ، كقول
أشجع السلمي^٥ :

١ وقوله : سقطت من ط م .

٢ لم يرد في ديوانه .

٣ مر قبلا ص : ٣٧٩ مع تحريجه .

٤ شروح السقط : ٩٣٨ - ٩٣٩ .

٥ ط د م : واهاً ... وآهاً .

٦ أمالي القاضي ٢ : ١١٥ والحماسية رقم : ٢٨٠ (شرح المزدوقي) وزهر الآداب : ٧٩٤

والسمط : ٧٤٥ ووقيات الأعيان ٤ : ٨٩ .

فأصبح في لحدٍ من الأرض ميتاً وكان به حياً^١ تضيقُ الصحاحُ

وأجمع أئمة الأدباء^٢ ، أنه لا فرق بين المدح والثناء ، إلا أن يقال :
أودى وعُدِمَ به كيت وكيت وشبهه ، مما يُعْلِمُ أن المدوح ميت ،
هذا إذا كان المؤبّن ملكاً أو ذا صيت وقدر ، كقول النابغة في حصن بن
حذيفة بن بدر^٣ :

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم فكيف بحصنٍ والجبالُ جنوحُ
والفاظُ النساءُ ، أشجى في بابِ الرثاء ، من كثير من الشعراء ، لما
ركبَ في طباعهن من الخور والهلع ، والفاظ الناس مبنية على كثرة التفجع
كما قال حبيب^٤ :

لولا التفجعُ لادّعى هَضْبُ^٥ الحمى وصَفَا المشقرُ أنه محزونُ
ولذلك عرّوا المراثي من ألفاظ النسب ، وجرت بذلك سُنّةُ البعيدِ
والقريب ، على قديم الزمان ، إلا ابن مقبل فإنه قال في رثائه لعثمان بن عفّان
رضي الله عنه^٦ :

١ الأما لي : وكانت له حياً .

٢ متابع للعمدة ٢ : ١٤٧ .

٣ ديوان النابغة : ٢١٣ والعمدة ٤ ط د : حصن بن بدر ٤ م : حصن والفاظه بدر .

٤ قارن بالعمدة ٢ : ١٥٣ .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٤ والعمدة .

٦ ط د م : حسب .

٧ ديوان تميم بن أبي بن مقبل : ١١ ومطلع القصيدة :

عفا بطحان من قریش فيثرب فملقى الرجال من منى فالحصب
وهذا الذي أورده ابن بسام هو ما جاء به ابن رشيق في العمدة ٢ : ٢٥٢ .

ولم تنسني قتلى قريش ظمائناً تحملن حتى كادت الشمس تغرب
ودريد في تأين أخيه ، تنزّل أيضاً فيه^١ ، والشاذ لا يلتفت إليه ، ولا
يعوّل عليه .

ومن أشد^٢ الرثاء صعوبة على الشعراء ، تأين الأطفال والنساء ، ألا
تري أبا الطيب - وهو الذي قال ، فأصاحت الأيام والليال ، قد عابوا قوله
في رثائه أمّ سيف الدولة :

سلامُ الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

وقالوا : ما له ولهذه العجوز يصف جمالها ؟؟ وتعصّب له بعضهم وقال :
إنها استعارة ، فقيل : إنها استعارة حداد في عرس^٣ ، وكذلك قوله في أخته :

ولا ذكرتُ جميلاً من فعائلها^٤ إلا بكيتُ ولا ودّ بلا سبب [٩٥ب]

ولولا الإطالة ، وأنها تُفضي إلى الملالة ، لزدنا ، فلنرجع إلى ما وعدنا

١ مطلع قصيدة دريد في رثاء أخيه :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل موعد

٢ العمدة ٢ : ١٥٤ .

٣ هو قول صاحب بن عباد في رسالته : ٢٢٣ .

٤ الديوان : صنائعها .

ومن شعر عبد الجليل في المدح ، وهو فيه فائز القدح

قال من قصيدة في المعتمد بالله ، أولها ١ :

بيني وبين الليالي همة جَلَلُ
سرابُ كلِّ يَبَابٍ عندها شَنَبُ
من أين أبْخَسُ لا في ساعدي قصر
ذَنبي إلى الدهر إن أبدى تَعْنَتُهُ ٢
يا طالبَ الوفْرِ إني قمت أطلبها
لا كان للعيش فضل لا يجود به
لكن بخلتُ بأنفاسٍ مَهْدَبَةٍ
إذا مدحتُ فقي نَحْمٍ وسيدَها
وإن وصفتُ فكالْيَوْمِ الذي عرفت
وقد دلفتُ إليهم تحتَ خافقةٍ
فراعهم منكَ وَصَّاحُ الجيِّينِ وعن
وحيثُ أَسَمِعْتَ ما أَسَمِعْتَ من كَلَمٍ
وكلما نفحت ريحُ الهدي خَمَدَتْ

لوناها البدرُ لاستخذي له زُحَلُ
وَهَوَلُ ٣ كلِّ ظلامٍ عندها كحل
عن المساعي ولا في مقولي خَطَلُ
ذنبُ الحسام إذا ما أحجمَ البطل
علياءَ تَغْنَى بها الأسماعُ والمقل
يكفي المهندَ من أسلابه الخلل
تروي العقولَ وهنُ الجمرُ والشَّعْلُ
عن الأنامِ وعمّا زخرفوا شُغْلُ
بكَ الفرنجةُ فيه كُنْهَ ما جهلوا
قلبُ الضلالةِ منها خائفٌ وجل
نشر الحسام يكونُ الرعبَ والوهل
تمثَّلْتُ لهمُ الأعرابُ والرُّعْلُ ٤
ذَماؤهم ٥ وسيوفَ الهند تشتعَلُ

١ بعض أبياتها في القلائد والحريدة والبنية والمسالك والرايات .

٢ الرايات : ودجن .

٣ الرايات : والحريدة فتكره سجيته .

٤ م ط د : والوهل .

٥ م ط س : ذماؤهم .

جيش فوارسه^١ بيض كأنصله وخيله كالقنا عسالة^٢ ذُبُل
يمشي على الأرض منهم كل ذي مرح^٣ كأنما التيه في أعطافه كسل

ومنها :

أشباه^١ ما اعتقلوه من ذوابلهم فالحرب جاهلة^٢ مَنْ منهم^٣ الأسَلُ
لولا اعتراضك سداً بين أعينهم^٤ لكان يَغرقُ فيها السهل والجبل
أنسيتهما النظرَ الشَّرَرَ الذي عهدتُ فكلُّ عينٍ بها من دهشة قبلُ
ترسلوا آلَ عبادٍ فربّتما لم يُدركِ الوصفُ ما تأتون والمثل
إذا أسرتم^٥ فما في أسركم قنطُ وإن عفوتم فما في عفوكم خللُ
يقبلُ الغلّ مرتاحاً أسيركم^٦ فهو البشيرُ له أن تُسحبَ الحللُ

قوله : « ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل » ، أشار إلى قول حبيب^٢ :

وقد يكهم^١ السيفُ المسمّى منيةً وقد يرجعُ المرءُ المظفرُ خائباً
فأفة^٢ ذا أن لا يصادفَ مضرباً وآفة^٣ ذا أن لا يصادفَ ضارباً

وأخذه البحري فقال^٣ :

وعذرتُ سيفي في نبوّ غِياره إني ضَرَبْتُ فلم أقعْ بالمضربِ
ونعم ما نقله بعضُ أهل عصرنا ، وهو أبو الفضل ابن شرف ، وزاد

١ جيش فوارسه : موضعها بياض في ط س .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٨ .

٣ ديوان البحري : ٢٨٣ .

فيه حسن النقل وبراعة التشبيه فقال ^١ :

تقلدني الليالي وهي مدبرةٌ كأنني صارمٌ في كفٍّ منهزمٍ

وقال ابن عبد الصمد السرقسطي ^٢ : [١٩٦]

ذلٌّ في ذا الزمانِ نظمي ونثري ذلَّةَ السيفِ في يمينِ الجبانِ

وإن كان أبو الطيب سلك سبيلها ، وكان في حسن مذهبه دليلها ، حيث يقول ^٣ :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرَّهمُ وأتيناهُ على الهرمِ

وقال أبو تمام ^٤ :

نظرتُ في السَّيرِ اللَّائِي مَضَتْ فإذا وجدتها • أكلتُ باكورةَ الأممِ

فجمع ابنُ شرفِ المعنيين ، واتخذ طريقاً معلماً بين الطريقين ، وأجاد المعري في هذا المعنى ما أراد وزاد ، حيث يقول ^٥ :

تمتَّعَ أبكارُ الزمانِ بأيديهِ وجثنا بوهنٍ بعدما خَرِفَ الدهرُ

١ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٢ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٣ ديوان المتنبي : ٥١٣ .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٢ .

٥ الديوان : أيامه .

٦ اللزوميات : ١٠٩ / أ ؛ ١ : ٢٤٧ .

فليت الفتي كالبدر^١ جُدُّد عمره يعودُ هلالاً كلما فيَّ الشهر

وقال^٢ :

كأنما الخيرُ ماءٌ كان واردهُ أهلُ العصورِ وما أبْقَوْا سوى العَكرِ

وقال ابن شِماخ^٣ من أهل عصرنا :

صفا للأُلى قبلي أتَوْا دَرَّ دَهْرِهِمْ فلم يصفُ لي مذ جئتُ بعدهم عمرُ
فجاءوا إلى الدنيا وعصرُهُمْ ضَحَى وجئتُ وعصري من تأخره عصر

وقال أبو جعفر المحدث من أهل عصرنا^٤ :

أقي الناس قبلنا غُرَّةَ الدهرِ ولم نلقَ منه إلا الذُّنابِ

وقال عبد الجليل من قصيدة في ابن عمار :

قتلتُ بني الأيامِ خُبْراً فباطني مشيبٌ وما يبدو غليَّ شبابُ
ولما رأيتُ الزورَ في الناس فاشياً تخيَّلَ لي أن الشبابَ خضابُ
وآليتُ لولا مَلِكُ نَحْمٍ محمد لما كان ملك في الأنامِ لبابُ
ولولا ابنُ عَمَّارٍ وفاضلٌ سعيه لأصبح رُبْعُ المجدِ وهو خرابُ
وما كان يؤتى المجد من حيث يبتغي ولا كان يُدْرَى للحوادث بابُ

١ ط م د س : كالغجر .

٢ الزروميات ١٣٧ / ١٤١ : ٣١٥ .

٣ أبو مروان عبد الملك بن شِماخ ، وردت ترجمته في القم الأول : ٨٢٧ .

٤ ترجمة أبي جعفر المحدث في القم الأول ص : ٩٠٥ وقد ورد البيت هناك .

ولا أحرقت أرض العدو صواعق
وما كان هارون أصح وزارة
بعيد الرضى في النصيح ما كان راضياً
نهوض ولو أن الأسنة مركب
مضى مثلما يمضي القضاء وهزه
كما اقترنت بالبدري شمس منيرة
فكأيلته صاع المودة وافيأ
ومن كأبي بكرٍ لبكرٍ مكارم
أنافت به فوق السماكين همة
فلفظته يوم المهابة خطبة
له سنة في الجدد والهزل مثلما

ومنها في وصف كلامه ١ :

رفيقٌ كما غنّت حمامة أيكه

وله من أخرى :

أطلت في الدهر تصعيدي وتصويبي
ورب أخرج لا يهدى إلى فيه
وأفني أدب باد فضيلته
كفى من اللحظ أني لا أنافس في
وقد أرى صوراً في الناس ماثلة

ولا مطرت أرض العفاة سحاب
لموسى ، وهل دون السحاب حجاب
لو أن له السبع الشداد قباب
ورود ولو أن الحمام شراب
همام يهز الجيش وهو هضاب
له عن سناها في الخطوب مناب
وكل مثيب بالوفاء مثاب
لها من ثنائي حلية وملاب
أناف عليها عنصر ونصاب
ولحظته يوم اللقاء ضراب [٩٦ب]
تدار كؤوس أو تدق حراب

وجزل كما شق الهواء عقاب

ودهر ذي اللب مضمار التجارب
أصاب غرة مأمول ومرغوب
من حيث يشفع لي قد صار يغري بي
حظي ومخبرتي تكفي وتجريبي
أشيمها بين تحقيق وتكذيب

١ انظر الذخيرة ، القسم الأول : ١٤ .

لما ملأتُ يدي منهم لأخبرهم نفضتُ كفتي بأشباهِ اليعاسيب
بيضٌ وجوهمٌ، سودٌ ضمائرهم فما حصَلْتُ على عُرْبٍ ولا نوب
الصدقُ أولى بمن يُبدي ضغينتهُ لا تجعلِ الصدقَ في نعتِ الأصاحيب

ومن المدح :

في حسن رأي عبيد الله لي عيوض^١ وفضلُهُ بَدَلٌ من كلِّ مطلوب
وإن صحبتُ فتاميلي لغرتهِ وذِكْرُهُ خَيْرُ مألوفٍ ومصحوب
بذلك الوجه تُجلى كلُّ غاشيةِ عن ناظرٍ بوجوه اللوم محسوب
عاد المصلئ بوضاحٍ أسيرتهُ تنبيك عن خلدٍ بالفهم مشوب
فاستقبلت قبلةُ الإسلام بدرَ علأ يُمنِّي له البدر نجماً غير محسوب
وغرةً تطلبُ الآمال قبلتها بين المحارب طراً والمحارب
أدنى المؤيد إذ شطَّت منازلهُ فضلاً بفضلٍ وتهذيباً بتهذيب
كالطُرفِ والقلبِ فيما بين ذاك وذا مسرى الضمير وتبعيدٌ كتقريب

يتطرف هذا ، وإن لم يكن به ، قول ابن الرومي^٢ :
كضميرِ الفؤاد يلتهمُ الدنيا ونحوه دفناً^٣ حيزوم.

ومنها :

فبتُّ من وصفه في غايةِ قَدَفٍ والطبعُ ينجدني والفكرُ يسري بي
كأنني واجدٌ من عَرَفٍ سودده ريحَ القميصِ سَرَتْ في نفس يعقوب

١ م : عرض ؛ وسقطت « لي » منها ومن ط .

٢ زهر الآداب : ٣٩٢ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٤٧ .

٣ م ط د : دفناً .

واه من أخرى^١ :

يعزُّ على العلياء أني خاملٌ وإن أبصرتُ مني خمودَ شهابٍ
وحيثُ يرى زَندُ النجاةِ واريأ فثمَّ يرى زَندُ السعادةِ كابي

ألمَّ في هذا بقول أبي الطيب^٢ :

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمع الوفَرَ^٣ والفهما

بل إلى قول الآخر أشار ، وحواليه دار ، وهو :

إذا جمعت بين امرأين صناعةً فأحييتَ أن تدري الذي هو أحقُّ
فحيثُ يكونُ الجهلُ فالرزقُ واسعٌ وحيثُ يكونُ النبيلُ فالرزقُ ضيق

وفي هذه القصيدة يقول عبد الجليل : [١٩٧]

وإني لفني دهرٍ فرائسُ أسنَدِهِ سدى عبثُ فيه نيوبُ كلابٍ
أتخفى على الأيامِ غرُّ مناقبي وقد بذتُ شأوي شأوَ كلِّ نَقَّابٍ
ويركبنِي رسمُ الخمولِ وقد غدت خصالُ العلا والمجدِ طوعَ ركابي

١ انظر الغيث ٢ : ٧٤ والشريشي ٢ : ١٣٩ .

٢ ديوان المتنبي : ١٦٢ .

٣ الديوان : الجد .

٤ الشعر لأبي إسحاق الصابي ، انظر اليتيمة ٢ : ٢٩٣ ومعجم الأدباء ٢ : ٨٥ - ٨٦ وبهجة

المجالس ١ : ١٩٤ .

٥ اليتيمة والمعجم : النقص ؛ بهجة المجالس : النول .

٦ اليتيمة والمعجم : الفضل ؛ بهجة المجالس : الخلق .

سأرقى بهمَّاني قُصَّارِي مراتي
لتعلم أطرافُ الأسنَّةِ أني
وتشهد أطرافُ اليراعاتِ أني
وليس نديمي غيرَ أبيضٍ صارمٍ
مُصنَّعةٌ لا بالخلوقِ أنا ملي
ولكن بنفعٍ يُخجِّلُ الروضَ زاهراً

ومنها ٢ :

ومن لم يخضِبْ رُمُحَهُ في عداته
ومن لم يُحِلَّ السيفَ من بهمِّ العدا
إذا ورقُ القولاذ^٣ هزَّ تساقطتْ
ومن يتخذُ غيرَ الحسامِ محالِباً
ومن غرَّةُ من ذا الأنامِ تبسمُ

وله من أخرى أولها :

لولا تبسمُ ذاك الظِّلِّمِ والبرَدِ
بل لا أطيعك في غُصْنِ أهيم به
وَأين بي وبصبري عن جفونِ رشا
بعدي على اللومِ قلبي وهي تؤلمه

وإن كان أدناها يُطيلُ طلاي
كفيلٌ بها عند الصدا بشراب
بهنٍ مصيبٌ فصلٌ كلُّ خطاب
وليس سميري غيرَ شخصٍ كتاب^١
مزعفرةٌ لا بالعيرِ حراي
ولكن بدعسٍ في كُلِّ ورقاب

تساوتُ به في الحيّ ذاتُ خضاب
تحلّى بخزي في الحياةِ وعاب
ثمارُ ختوفٍ أو ثمارُ رغب
فما هو إلّا واردٌ بسراب
فبالعقل قد أضحى أحقَّ مصاب

قبلتُ نُصْحَكَ إلّا في هوى الغيْدِ
كأنه نابت في طيٍّ معتقدي
غوامضِ السحرِ لا ينفثن في العقد
كما تضرُّ كميّاً شِكَّةُ الزرد

١ د : كتابي .

٢ ومنها : سقطت من م .

٣ م د : الفلاذ .

وهذا من قول أبي الطيب^١ :

بنو كعب وما أثمرت فيها^٢ يدٌ لم يُدْمِها إلاَّ السَّوارُ
لها^٣ من قَطْعِهِ أَلْمٌ ونَقْصٌ وفيها من جلالته افتخار

ومن قصيدة عبد الجليل حيث يقول :

قل للرشيد وقد هبَّتْ نوافحها أسرفت يا ديمةَ المعروف فاقْتَصِدِ
أشكو إليك الندى من حيث أحمدُه كَو فاضَ فيضاً عليَّ البحرُ لم يزد

قال ابن بسّام : وأخبرني من لا أَرُدُّ خبره أنه دخل على عبد الجليل يوماً
وقد تطاول حتى كاد يمسُّ رأسُهُ السماءَ ، فقال له : قد أتيت [ببيت] فلم
أَرِدْ ، وما أحسب حُسْنَهُ لأحد ، وأنشد هذا البيت ؛ قال الحاكمي ،
فقلت له : فأين أنت من قول أبي عبادة^٤ :

تنصَّبَ البرقُ مختالاً فقلتُ له لو جُدَّتْ جودَ بني يزجَاد لم تزدِ

قال : فبدا عبوسه ، وتضاءل حتى كدتُ أدوسه ، وقال : كسرتني
والله ، لو خطر هذا على بالي ما قلت [٩٧ ب] ذلك .

وفيها يقول :

١ ديوان المتنبي : ٣٩٧ .

٢ الديوان : فيهم .

٣ الديوان : بها .

٤ م س : هل أتيت فلم يزد .

٥ ديوان البحتراني : ٦٥٩ .

يا قاتلَ الشكرِ بالإحسانِ يعمره
عجبتُ من كَرَمٍ في راحتِكَ بدا
جادتُ سحابُكَ إذ جادت على أُملي
أثريتُ عندَكَ^١ من جاهٍ ومن نسبٍ
يا واحداً تقتضي آلاؤه جملاً
للناسِ بعدَكَ في العَلْيَا منازلُهُمْ
يُدْعَى^٢ الرشيدَ ولم تعدم به صفة
لك الرشادةُ أخلاقاً وتسميةً
أيُّ الفضائلِ تستوفيهِ مكتهِلاً
بادهنتي بأَيَادٍ لا يقومُ بها
عاد الزمانُ بما أوليتني غُصْناً
ما عذر طبعي أنْ ينبو وما تركتُ

مهلاً أما لقتيلِ الجودِ من قودِ
إشراقه كيف لم يُعزَّزَ إلى الفند
فقال أشباعها جادتُ على بلد
حتى وجدتُ الغنى في همتي ويدي
برَّحتَ بي وبنظم الشكلِ فاثتد
والواحدُ الفردُ يحوي مبدأ العدد
يا مَنْ هو الفصلُ بين الغيِّ والرشد
مثل البسالة إذ تُعزَّى إلى الأسد
وذا شبابُكَ قد أربى على الأمد
ما في لساني من قصدٍ ومن لدد
غضاً فقامتُ مقام الطائرِ الفرد
به أياديك من أمتٍ ومن أودِ

وله من أخرى في المعتمد أولها :

قالوا صحا وأدال الغيَّ بالرَّشَدِ
لئن صحوتُ فغن كَرِهٍ وقد علموا
لم يقصد الدهرُ إصلاحِي ولي مثلُ

من لي بذاك الصِّبَا في ذلك الفَنَدِ
بأيّ علقٍ من الدنيا فتحتُ يدي
في الفصن تذهبُ عنه صورةُ^٣ الغيدِ

١ س : يغمره .

٢ ط د : عبدك .

٣ م س : تدعو .

٤ د : فقامت فيه .

٥ وقمت لفظة « ومنها » في ط بعد هذا البيت .

٦ م س : سورة .

ومنها :

طوى الزمانُ ليلياتٍ نعمتُ بها
وقاتل الله أدوارَ السنين فكم
لم يرسم الشيبُ في فوديَّ خطَّته^١
ضيفُ الوقارِ أفدنا منه تكرمةً
وأسمُرُ الخطَّ لا تبدو فضيلته
للدهرِ عندي بناتٌ^٢ من تجاربه
الحرُّ يرزأُ إلَّا فضلَ شيمته
وما الغنى في يدٍ مملوءةٍ عَرْضاً
أو في رجاءِ ابنِ عبادٍ وقد رغب
استوثق الناسُ مما في أكفهمُ
ولا يرى العقْدُ إلَّا في أذمتِه
بقيةُ الفضلِ في دنيا قد ارتضعت
مستجمعُ الفكرِ لا ينحوهُ معاندُه
إذا استخفت حلومُ القومِ وقَرها
يكفي المؤيدَ في الأعداء أنَّ له

رنا بعينِ الرضى منها ولم يكد
مزجن بالسِّمِّ ما احلولى من الشهدِ
إلَّا ترحلتِ اللذاتُ من خلدي
بما تثقفُ^٣ من أمتٍ ومن أود
بغيرِ أزرقِ كالنبراسِ - متقد
أولى وأجدرُ بي من بيضها الخرد
وإن تقلَّب بين البؤسِ والنكد
لكنه في وفورِ العزمِ والجلد
أيدي الملوكِ عن الإفضالِ والصَّفد
وربما نفثوا بخلاً على العقْد
وما حوته يداه غيرُ منعقدٍ
ورحمة الله في سلطانه النكد
على بوائدَ من آرائه بدَدِ [٩٨ أ]
يقظانُ يَسْنَى إليهم سعيَ متد
عيناً من الله لا تَغْنَى^٤ من الرصد

١ م : قطعته .

٢ ط د : فما تثقف .

٣ ط د : نبات .

٤ سقط هذا البيت واثنان بعده من م .

٥ ط س : ينجو .

٦ م : لا تخفى .

تلقى به صيلٌ أصلالٍ وآيتهُ
وما تمرُّ بأدهى من لبوثٍ وغى
يجرُّ من شجر الخطي غابته
أن تستبين عليه قشرةُ الزرد
يتبعن منه أباناً وافر اللبد
وذاك ما لم تَسَعهُ عزمةُ الأمد

ومنها :

جاريتمُ الدهرَ في مضمار حلتبها
لكن تحيتها قدماً وقد شهدت
لحمُ ابن يعربٍ أولى أن يضاف إلى
أنت الجميع وأنت الفرد قد علموا
جرباً سواءً إلى أقصى من الأمد
« يا دار ميةً بالعلياء فالسند »^١
سواء معتضد فيكم ومعتمد
سريرة لم تكن في واحد العدد

ومنها :

يا أشبه الناسِ آداباً بما لك من
من أين لي قدَمٌ في الفضلِ سابقةً
هذا الأنيُّ لذاك المزنِ منتسبٌ
أرسلتها في سماءِ المجد طائفةً
تُصنحي النهى أبداً من حيث تسكرها
لو أن لقمان يُعْطَى عمرها بك لم
طبعها ولك التبرُّ الذي طُبِعَتْ
جمال وجهٍ تحدنني وفضل يد
لو أنَّ طبعي في واديك لم يرد^٢
عاري الأديم من الأقداء والزبد
عن غير جهدٍ وفيها متعةُ الأبد
وتسمع^٣ اللحظَ صوتَ البلبل الفرد
يُخْضِنُ عليها الذي أخنى على لبد
منه فأسلّمتها في كفٍ منتقد

وله وقد توقف مرتبه عند العامل :

١ لم يرد هذا البيت في م س .

٢ ط د : يزد .

٣ م س : وتشيع .

السمُ معشرَ الأملاكِ طائفةُ
فان نقصتمْ أناساً من نوالكمْ
لكمْ خَلِقْنَا ولم نُخْلَقْ لأنفسنا
يا صاحبَ المجدِ إن المجدَ سائمةٌ
خُدَّتِي بما شئتَ من غراءَ شاردةٍ
واعذرْ بتقصيره مَنْ لا يزالُ له
لا يُدْرِكُ القوتَ مما أنتَ واهبهُ
وليسَ للشعرِ إلاَّ خاطرٌ يقظٌ
وما المدائحُ إلاَّ بالملوكِ وهل
تقضي بتخليدها هذي الأناشيدُ
فحقٌ منكمْ لأهلِ الشعرِ تزويدُ
فإنما نحنُ نحميدُ وتمجيدُ
تضلُّ إن لم يكنْ^١ بالشعرِ تقييدُ
يصغي الأصمُ إليها وهو مفلودُ
في ساقِ الرزقِ إرقالُ وتوخيدُ
حتى يطولَ من العمالِ تنكيدُ
يهزُّه منك ترفيه وتأييدُ
بيدي سنا العقدِ إلاَّ النحرَ والجيدُ

وهذا كقول أبي الطيب^٢ :

• وفي عتقِ الحسناءِ يُسْتَحْسَنُ العقدُ •

وله من أخرى إذ جاز المعتمدُ البحرَ إلى أميرِ المسلمين وناصر الدين ،
أولها^٣ :

عزمٌ تجرَّد^٤ فيه النصرُ والظفرُ وفكرةٌ خمدتُ من تحتها الفكرُ
وقال فيها^٥ :

١ م : يحق .

٢ ديوانه : ١٩٤ ، وصدر البيت : وأصبح شعري منهما في مكانه .

٣ منها سبعة أبيات في المطرب : ١١٩ ، وبيت في الخريدة : ٢ : ٩٥ وسبعة في الخريدة : ٢ :

١٠١ وثلاثة عشر بيتاً في المساك ١١ : ٢٢١ .

٤ م : تجدد .

٥ وقال فيها : لم يرد في م .

ركبت في الله حتى البحر حين^١ طما
 طريف^٢ يزل^٣ عليه سرج^٤ فارسه
 كأن^٥ راكبه في متن^٦ ذي لبد^٧
 حملت نفسك فيه فوق^٨ داهية^٩
 عذرت^{١٠} لو أنه ميدان^{١١} معركة^{١٢}
 في حيث^{١٣} للكر^{١٤} والإقدام^{١٥} مضطرب^{١٦}
 عساك خلت^{١٧} حجاب^{١٨} الماء^{١٩} من زرد^{٢٠}
 أو قلت^{٢١} في الموج^{٢٢} خرصان^{٢٣} معرضة^{٢٤}
 هي البسالة^{٢٥} إلا^{٢٦} أنها سرف^{٢٧}
 لا تحمل^{٢٨} الدين^{٢٩} والدنيا^{٣٠} على خطر^{٣١}
 إن كان^{٣٢} ثوبك^{٣٣} مختصاً^{٣٤} بلبسه^{٣٥}
 هلاً^{٣٦} رحمت^{٣٧} نفوساً^{٣٨} حام^{٣٩} حائمها^{٤٠}
 وعاد^{٤١} أجبنها^{٤٢} من كان^{٤٣} أشجعها^{٤٤}
 إنا لفي^{٤٥} حمص^{٤٦} نستقري^{٤٧} محاضرها^{٤٨}
 لا نحسن^{٤٩} الظن^{٥٠} إشفاقاً^{٥١} وقد ضمنت^{٥٢}
 كأنما^{٥٣} النهر^{٥٤} لما سرت^{٥٥} سار^{٥٦} إلى
 كأنما^{٥٧} قمت^{٥٨} بالحدوى^{٥٩} تساجله^{٦٠}

أذبه^١ وبسوط^٢ الريح^٣ ينحصر^٤ [٩٨ب]
 وليس^٥ مما تضم^٦ الحزم^٧ والعذر^٨
 غضبان^٩ تقدح^{١٠} من أنفاسه^{١١} الشرر^{١٢}
 دهباء^{١٣} لا ملجأ^{١٤} منها^{١٥} ولا وزر^{١٦}
 يسموله^{١٧} رهج^{١٨} في الجو^{١٩} منتشر^{٢٠}
 وحيث^{٢١} تملك^{٢٢} ما تأتي^{٢٣} وما تذر^{٢٤}
 تعود^{٢٥} الخوض^{٢٦} فيه طريفك^{٢٧} الأثير^{٢٨}
 تحارب^{٢٩} الجيش^{٣٠} أو مصقولة^{٣١} بئر^{٣٢}
 تنفي^{٣٣} الحذار^{٣٤} ، ومما^{٣٥} يؤثر^{٣٦} الحذر^{٣٧}
 وليس^{٣٨} يحمّد^{٣٩} في أمثالك^{٤٠} الغرر^{٤١}
 فقد تعلق^{٤٢} من أذياله^{٤٣} البشر^{٤٤}
 عليك^{٤٥} واستولت^{٤٦} الأشواق^{٤٧} والذكر^{٤٨}
 شحاً^{٤٩} عليك^{٥٠} وأحيا^{٥١} ليله^{٥٢} السهر^{٥٣}
 وللقلوب^{٥٤} بذاك^{٥٥} اللج^{٥٦} مُحْتَضَر^{٥٧}
 لنا^{٥٨} مساعيك^{٥٩} أن^{٦٠} يعنو^{٦١} لك^{٦٢} القدر^{٦٣}
 ذاك^{٦٤} المجاز^{٦٥} فأجرى^{٦٦} فلكك^{٦٧} النهر^{٦٨}
 فناله^{٦٩} دهش^{٧٠} أو نابه^{٧١} حصر^{٧٢}

١ م : حيث .

٢ لعلها : ينحصر .

٣ ط د : الملح . . . معوضة ؛ م : قرصان .

٤ ط : محاطرنا .

٥ ط : الدهر .

٦ ط د : وارتابه (اقرأ : وانتابه) .

أحاط جودك بالدنيا فليس له
وما حسبت بأن الكلَّ يحملُهُ
لم تثنِ عنكَ يداً أرجاءُ ضفتِهِ
تواصلُ اللحظَ حسرى من هنا وهنا
فصرتَ فوق دفاعِ الله تَهْصُرُهُ
كأنما كان عيناً^٣ أنتَ ناظرها
إلا المحيطَ مثالٌ حين يُعْتَبَرُ
بعضٌ ، ولا كاملاً يحويه مختصر
إلاً وَمَدَّتْ يداً^١ أرجاؤه الآخر
وليس غيرَ الدعاءِ الجِصُّ والحجر
براحةِ البرِّ والتقوى فينهصر^٢
وكلُّ شطِّ بأشخاصِ الورى شفرُ

وهذا قول أبي الحسن السلامي ، وقد دخل مع بعض إخوانه دجلة ، فقال^٤ :

وميدانٍ تجولُ به خيولُ تقودُ الدارعين وما تقادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طِرفاً له جسمٌ وليس له فؤاد
جرى فظننتُ أن الأرضَ وجهُ ودجلة ناظرٌ وهو السَّواد

وعبد الجليل أيضاً الذي يقول في صفة الأسطول^٦ :

يا حُسْنَهُ يوماً شهدتُ زفافها بنتَ الفضاءِ إلى الخليجِ الأزرقِ
ورقاءُ كانتُ أَيْكَةً فتصوّرتُ لك كيف شئتَ من الحمامِ الأورقِ

١ م : وجدت بها ؛ س : وهدت بها ؛ ط د و المسالك : ومدت به ، والتصويب عن المطرب والحريدة .

٢ هذا البيت والذي يليه في الفئث ٢ : ١٦٠ ، والآخر في مختارات ابن الصيرفي : ١٢٤ .

٣ المطرب والحريدة والصيرفي : كأنما البحر عين .

٤ اليتيمة ٢ : ٦ قال : وركب في صباه سمارية ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك ؛ وابن خلكان ٤ : ٤٠٤ .

٥ الذي : زيادة من م س .

٦ نفع الطيب ٤ : ٥٩ - ٦٠ والمسالك ١١ : ٢٢ .

حيثُ الغرابُ يجرُ شملةً عَجَبِيهِ وكأَنَّهُ من عِزَّةٍ لم يَنْتَقِ¹ [١٩٩]
من كلِّ لابسَةِ الشبابِ ملاءةً حَسَبَ اقْتِدَارِ الصَّانِعِ المُنَانِقِ
شهدتُ لهنَّ العَيْنُ² أَنْ شَوَاهِنًا أَسْمَاؤُهَا فَتَصَحَّفَت³ في المَنْطِقِ
من كلِّ نَاشِرَةٍ قَوَادِمَ أَفْتَحِ وعلى مَعَاظِهَا فِرَاحَةٌ شَوَذَقِ⁴
زَأَرَتِ زَيْثَرَ الأَسَدِ وهي صَوَامِتُ وَزَحْفَنَ زَحْفَ مَرَكَبٍ في مَأْزِق⁵
وَمَجَادِفٍ تَحْكِي أَرَاقِمَ رَبْوَةٍ نَزَلَتْ لَتَكْرِعَ في غَدِيرٍ مُتَأَقِ
والماءُ في شَكْلِ الهَوَاءِ فلا تَرَى في شَكْلِهَا إِلَّا جَوَارِحَ تَلْتَقِي

ومن البديع في وصف الأسطول قول محمد بن هانيء الأندلسي من جملة قصيدته ، قال فيه ٦ :

قَبَابٌ كَمَا تُرْخَى القَبَابُ على المَهَا وَلَكِنْ من ضُمَّتْ عليه أُسُودُ
أَنَافَتْ بِهَا أَطَامُهَا⁷ وَسَمَا بِهَا بِنَاءٌ على غَيْرِ العَرَامِ مَشِيدُ
مِنَ الطَّيْرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحُ وَلَيْسَ لَهَا إِلَّا النُّفُوسَ مَصِيدُ
إِذَا زَفَرَتْ غِيظًا تَرَامَتْ بِمَارِجِ كَمَا شَبَّ من نَارِ الجَحِيمِ وَقُودُ

١ ط د : يمتق .

٢ النفع : لها الأعيان .

٣ ط د : فتصحفت .

٤ الشوذق والسوذق - بالشين والسين - الشاهين ، و«فراحة» في النسخ قد وردت «وهابة» ، وتصحيحها على التقدير ، لا أنها قراءة دقيقة .

٥ لم يرد البيت في م س .

٦ م س : قصيدة قال فيها ؛ وانظر ديوان ابن هانيء : ٥٢ وزهر الآداب : ١٠٠١ .

٧ الديوان : أعلامها ، وما هنا موافق لزهر الآداب .

وقال عليّ بن محمد الإيادي يصف أسطولَ القائم من كلمة يقول فيها ^١:

لو رام يركبها القطا لم يركب	يتنزّلُ الملاحُ منه ذؤابةً
للسّمعِ إلاّ أنّه لم يشهب	وكانتما رام استراقةً متّعدٍ
ركبوا جوانبها بأعنفِ مركب	وكانتما جنّ ابنِ داودِ همُ
من سجنه انصلت انصلات الكوكب	من كلّ مسجورٍ الحريقِ إذا انبرى
صُبْحُ يكرّ على ظلامِ غيبٍ ^٢	عريان يقدمه الدُّخانُ كأنّه
لُحِقَ المطالبِ فائتاتِ المهرب	ولو احقّ مثل الأهلّةِ جُنحِ
ويجئن فِعْلَ الطائرِ المتقلبِ	يذهبن فيما بينهنّ لطفةً
حتى نقعن ببردِ ماءِ المشرب ^٣	كنضاضِ الحياتِ رُحْنِ لواعبٍ ^٤
شأوَ الرياحِ لها ولما تعب	شرعوا جوانبها ^٥ مجادفَ أتعب
طَوَّراً وتجمّعُ اجتماعَ الربرب	تنضاعُ من كَثَبٍ كما نفرَ القطا
ليلٌ يقربُ عقرباً من عقرب	والبحرُ يجمعُ بينها فكأنّه

رجع :

١ من هذه القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً في زهر الآداب: ١٠٠٣ ورفع الحجب ١: ١٤١ .

وثمانية عشر بيتاً في النفع ٤: ٥٧ - ٥٨ وبعضها في المقتضب من تحفة القادم: ١٢٢

ومنها بيتان في الحلة ١: ٢٨٥ .

٢ النفع: مسجون ٩ م س: مزجور .

٣ زهر: الظلام الغيب .

٤ زهر: لواعباً .

٥ زهر: ببرك ماء الميزب .

٦ ط: نوابها .

وقال عبد الجليل من قصيدة أولها^١ :

محلُّ ألبس الدنيا جمالاً وإنْ فَضَحَ المقاصِرَ والحلّالا
بناه كما بنى العلياء بانٍ يَشِيدُ مآثراً وَيُبِيدُ مالا

ومنها في وصف القصر :

وللزاهي الكمالُ سناً وحسناً كما وَسِيعَ الجلالةَ والكمالا
يحاطُ بشكليه عرضاً وطولاً ولكنْ لا يُحاطُ^٢ به جمالا
تواصلتِ المحاسنُ فيه شتى فوفدُ اللحظِ ينتقلُ انتقالاً [٩٩ ب]
وقورٌ مثلُ ركنِ الطودِ ثَبَتٌ ومختالٌ من الحُسْنِ^٣ اختيالا
تدافعُ منْ جَوَانِبِهِ اتِّلافاً فكادَ المستينُ يقولُ مالا
فلو أدتوا حرامَ السَّحْرِ منه لأضحى يعبدُ السَّحَرَ الحلّالا
سماً ترتمي بعُبابٍ بحرٍ كأنَّ بها إكاماً أو تلالا
فقد كادَ اللَّيْبُ يُهالُ^٤ منه ويحسبُ أنْ بحرَ الجوّ سالا
فما أبقي شهاباً لم يصوبَ ولا شمساً تنيرُ ولا هلالا
وللبهو البهيّ سماً نورٍ تمثلُ شكلها حلقاً دِخالا^٥
مزخرقةٌ كأنَّ الوشي ألقى عليها من طرائقه خيالاً

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ والنفع ٤ : ٢٦٣ وانظر ما مر منها في القمم

الثالث ٧٦٦ - ٧٦٧ .

٢ م : يحيط .

٣ المسالك : من الأنس .

٤ م س والمسالك : تبر .

٥ م : يهاب .

٦ م س : خلقاً دبالاً ؛ المسالك : خلقاً وحالا .

وما خلتُ الهواءَ يكونُ روضاً
بلى حققتُ أنَّ النارَ كانتُ
فلم أعدِلْ بِجامده مذاباً
وكلَّ مصوِّرٍ حيَّ جمادٍ
له عملٌ وليس له حراكٌ
ولا سقفاً يكونُ كذلكُ ألا
له ظئراً وعصره زلالاً
ولم أنكرُ لِنَدْوَتِهِ^١ اشتعلاً
تبيّنَ فيه زهواً أو دلالاً
وافهامٌ وما^٢ أدنى مقالا

ومنها :

ويُفرغُ فيه مثلَ النصلِ بدعٌ
رعى رطبَ اللجين فجاء صلدأ
كأنَّ به على الحيوانِ عتَباً
وأوصى بالرياحينِ اغتراساً
وكان الغرسُ والأثمارُ وقفاً
وقامتْ يومَ قمنا منشداتٍ
من الأفيالِ لا يشكو ملالاً^٣
وقاحاً قلتما يخشى هزالاً
فلم يرفعْ لرؤيتها قذالاً
همامٌ طالما اغترس الرجالا
لمن جعل الندى والوعدَ حالاً
فغضتْ من رويتنا^٤ ارتجالاً

ومنها :

براعةُ مصنعٍ جُلِبَتْ فاضحت
فكم طلب العويصرَ فما تأبى
ولكنَّ المؤيدَ عزّاً وصفاً
براعةُ منطقي منها مثالا
وكم قلبَ العيانَ فما استحالاً
وأعيتني حقيقتهُ منالاً

١ م : لذوبته ؛ س : لدويته .

٢ ط د : فما .

٣ انظر ما تقدم ص : ٤٧٢ .

٤ المسالك : فلم ترفع لرؤيته .

٥ ط د س : رويتها .

إذا استوضحته أبصرت دهرأ
 أقام لها معاليها^٢ شمساً
 وآراء^٣ يُنتجها رزاناً
 وفيه أناة^٤ مقتدر^٥ حلیم
 ويبطش^٦ بطشة^٧ تُنبي الأعداء
 من البيض الذين إذا تولوا
 وبيننا نجتل منهم بدورأ
 تألق وجهه وزكت^٨ نهاه^٩
 وما يوم^{١٠} العروبة يوم سر
 عجزنا أن نحقق منه وصفاً
 يعارضه بكل^{١١} سبيل مجد
 ولما لم يُطق^{١٢} يثني صباه
 وكاد يكونه^{١٣} حتى تراه
 وأبتهجنا طلوعهما بدست^{١٤}
 فلم أر^{١٥} قبله بدرأ كساه

لو أن^{١٦} الدهر لم يُنسَخ^{١٧} فعلا
 ومد^{١٨} لنا مساعيه^{١٩} ظللاً
 فيرسلهن^{٢٠} أقداراً عجلاً
 تكاد تفر^{٢١} بالأُسْدِ^{٢٢} النملأ
 أكفهم^{٢٣} وما حملوا اعتقلاً
 صنيعاً لم تجد^{٢٤} فيهم شمالاً
 إذا بهم^{٢٥} قد اعترضوا جبلاً
 فقلت مثاله^{٢٦} محق^{٢٧} الضلالا [١٠٠ أ]
 لقد نطق الزمان^{٢٨} به^{٢٩} فقالا
 وما عجز^{٣٠} الرشيد^{٣١} له امثالاً
 فتحسبه^{٣٢} ينافس^{٣٣} خللاً
 أحال^{٣٤} على شمائله^{٣٥} اكتهالا
 يجاذبه^{٣٦} ولا يقوى^{٣٧} انفصالاً
 طلوع^{٣٨} الأصل^{٣٩} والفرع^{٤٠} اتصالاً
 جوار^{٤١} الشمس^{٤٢} تماً^{٤٣} واكتمالاً^{٤٤}

١ المسالك : مقالا .

٢ م س : لنا معاليه .

٣ م : تغرب الأسد .

٤ م س : وذكت بها .

٥ د : عز ، ط : عن ؛ م : عن ، والتصويب عن المسالك .

٦ م س : بها .

٧ م س : واكتمالاً .

وفيهما يقول :

أتتك على خلائقها جيادي ^١	وإن كان الضياعُ لها شكالا ^٢
وما يبيلك ذهنٌ أحودي ^٣	إذا أصبحتَ جدّاً تفالي ^٣
تراحمتِ الهمومُ خلالَ صدري	فما تركتُ لأنفاسي مجالا
وما خلّتِ النسيمَ يكونُ ثِقلاً ^٤	ولا نَفحاتِهِ تأتي وبالا
كأنّي كلما استنشقتُ منه	أردُّ به إلى كبدي نصالا ^٤
وكيف يصحُّ ذو قلبٍ أبي ^٥	إذا كان الإباءُ له نكالا
مضى ماءُ الشبيةِ في الأمانِي	ومن ولّى فما يرجو اقتبالا
وكنتم خيرَ مَنْ يَرْجى فما لي	وجدتُ يقينَ آمالي محالا
ولم أحملْ ودادكمُ ادِّعاءً	ولا أظهرتُ مدحكمُ انتحالا

احتذى عبد الجليل فيما وصف به الرشيد من تقيّله^٥ لمذهب^٦ أبيه قول
الخنساء^٧ ، وقد قيل لها مدحتُ أخاكِ حتى هجوتِ^٨ أباكِ ، فقالت :

١ م س : خلائقها جياد .

٢ مر البيت في الذخيرة ١ : ٨٢ .

٣ م : حدّاً نفلاً ؛ س : حدّاً ثقالاً .

٤ المسالك : أردد منه للكبد النصلا .

٥ س م د : تقبله .

٦ س م : لمذاهب .

٧ أبيات الخنساء في زهر الآداب : ٩٢٥ وأمالِي المرتضى ١ : ٩٨ وحسانة ابن الشجري :

١٠٤ والأول في الخزاة ٣ : ٢٧٧ وأنيس الجلساء : ٤٣ .

٨ أمالي المرتضى : هجنت .

جاری أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضرِ
حتى إذا جدَّ الجراءُ وقد ساوى^١ هناك العذرَ بالعذرِ
وعلا هتافُ الناسُ أيهما قال المجيبُ هناك لا أدري
برقتُ^٢ صحيفةُ وجهِ والدِهِ ومضى على غلوائه يجري
أولى فأولى أنْ يساويهُ لولا جلالُ السنِّ والكبر
وهما كأنتهما وقد برزا صقرانِ قد حطَّا إلى وكر

وقيل لأبي عبيدة^٣ : ليس هذا في مجموع شعر الخنساء ، فقال : العامةُ
أسقطُ من أن يجادَ عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحري حيث يقول^٤ :

جدُّ كجدِّ أبي سعيد إنَّه تركَ السماك كأنه لم يشرفِ
قاسمتهُ أخلاقهُ وهي الردى للمعتدي ، وهي الندى للمعتفي
فإذا جرى في غايةٍ وجريتَ في أخرى التقى شأوا كما في المنصف

وقول الخنساء : « يتعاوران ملاءة الحضر » أبدع استعارة ، وأنصح
عبارة . وقال عدي بن الرقاع^٥ : [١٠٠ ب] .

١ ط د : سارت ؛ م س : صارت ؛ أمالي المرتضى : لزت هناك .

٢ أمالي المرتضى : برزت .

٣ س م : لأبي عبيد الله .

٤ متابع لزهر الآداب : ٩٢٦ وانظر ديوان البحري : ١٤٢١ وأنيس الحلساء : ٤٣ .

٥ زهر الآداب : ٩٢٦ والمختار : ٢٦٣ والطرائف الأدبية : ٩٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

يتعاونان من الغبار ملاءةً غرباء محكمةً هما نسجاها
تُطوى إذا وردا مكاناً جاسياً وإذا السنايكُ أسهلتُ نشرها

وإلى هذا أشار حبيب بقوله ^١ :

يثيرُ عجاجةً في كلِّ ثغرٍ بهيمُ بها عديُّ بن الرقاعِ

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر من بني عقيل فقال من جملة أبيات ^٢ :

قفارٌ مَرَوْرَاتٌ يحارُ بها القطا ويمشي بها الجأبان يقتربان ^٣
يثيران من نسجِ الغبار عليهما قميصين أسمالاً ويرتديان

وقد عبد الجليل : « يثير مأثراً ويبيد مالا » ، سمّاه بعضُ أهلِ
النقد معاقدة ، وهو أن يشترط الشاعرُ شروطاً في معان يريد التوفيق بينها ،
فيعقد لكلِّ صنف منها ما يشاكله ويمثله . ومن عجيب ذلك قول جنوب
أخت عمرو ذي الكلب ^٤ :

فأقسمتُ يا عمرو لو نبّهاك إذا نبّها منك داءٌ عضّالاً

١ زهر الآداب : ٩٢٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

٢ زهر الآداب : ٩٢٦ - ٩٢٧ وأنيس الجلساء : ٤٣ .

٣ زهر الآداب : يقتربان .

٤ ديوان الهذليين ٢ : ٥٨٣ وحسانة ابن الشجري : ٨٣ والحسانة البصرية ١ : ٢٢٥
وزهر الآداب : ٧٩٥ والخزانة ٤ : ٣٥٣ وبلاغات النساء : ١٧٣ وحسانة البحري :
٢٧٣ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٤٣ وكتاب الصناعتين : ١٤٢ ؛ وقد أورد ابن رشيق هذا
الشعر في المدة ٢ : ٣١ (تحقيق محي الدين عبد الحميد) في باب التسهيم أو ما يسميه
قدامة « التوشيح » ويسميه ابن وكيع « المطمع » ولم أثر حل من سواه « معاقدة » .

إذا نَبَّها لَيْثَ عَرِيْسَةٍ مُفَيْتًا مُفِيداً^١ نفوساً ومالا

فعاقدت بين مفيت ومفيد^٢ .

وقال المجنون^٣ :

وأدْنيتني حتى إذا ما سبيتني بقولٍ يُحِلُّ العَصَمَ سَهْلَ الْإِبَاطِحِ
تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَيْتَ مَا خَلَيْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ

فعاقد بين قوله : « أدْنيتني » و « تجافيت عني » حيث تشابها رسماً
وشكلاً ، وعاقد أيضاً بقوله : « وخلصت ما خليت » وبقوله : « يحل العصم
سهل الإباطح » .

وإلى هذا أشار العباس بن الأحنف بقوله^٤ :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا

ومن ملبح هذا لبعض أهل أفقنا قول يحيى بن هذيل القرطبي^٥ :

لما وضعتُ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلة الظلماء واكبدي
ضجّت كواكبُ ليلي في مطالعها وذابت الصخرةُ الصماء من جلدي

١ م : عريئة . . . مبيدأ .

٢ م : وميد .

٣ ديوان المجنون : ٩٤ والزهرة : ٤٧ والمقد : ٣٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٨٤ والمقد : ٣٧٨ .

٥ الذخيرة : ٣ : ٣٤٧ .

فعاقد بين قوله : « يدي بيدي » و « ذابت الصخرة الصماء من جلدي » ،
وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس ، حتى أنشد هذين البيتين ،
فقال : هذا أشعر القوم .

ولما سمع المعتمد بن عباد قصيدة عبد الجليل هذه ووعاها ، سرت في
نفسه حميّاها ، وكانت سبباً لصلّة من كان ببابه من الشعراء ، غير أنّه وفي
لعبد الجليل في الحباء .

وكنت يوماً بدار أبي بكر الخولاني المنجم ، فاتفق أن دخل علينا
عبد الجليل وفي كفه صلة المعتمد من ضرب السكة لديه ، قيمتها ثلاثة آلاف
درهم ، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها^١ :

ما الشعر مرتجلاً أو غير مرتجل	ببالغ كنه ذاك السؤدد الجلل
بأي لفظ أحلّي ^٢ منك ذا شيم	لولا حلاها لكان الدهر ذا عطل
لا حلة الشمس مما قد أحاوله ^٣	ولا نظام النجوم الزهر من عملي
وسائلين أجداً في مباحثي	خذا حديثي عن الأملاك والدول [١٠١]
جيش المؤبد يقضي من خلائقه	أنّ الملوك له ضرب من الخول
فالفرق ^٤ بينهما في كل معلّوة	كالفرق يوجد بين النقص والكمال
سل المكارم عنه كيف تعلّمه	أو لا فسّل شفرات البيض والأسل

١ انظر المسالك ١١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ ط : أحيي .

٣ م س : والفرق .

٤ ط د : المكاره .

أحد من ذهنه في كل معضلة
 واري البصيرة لا تزي الأناة به
 لذلك الحلم في الاعداء قد علموا
 صاحي النهى عربدت فيهم مكايده
 يجيزنا^١ كلما حكنا مدائح
 لله آذار من شهر سموت به
 ما بين نور جبين منك^٢ مؤتلق
 ونائل أسدي النوم طوع يدي
 فدبت موسومة^٣ باليمن مد بها
 لثمتها فرشفت الغز ممتزجا

إذا تعثر في المسالة الذبل
 ولا تعود عليه آفة العجل
 فتك يسد طريق الأمن بالوجل
 فطار عنهم خمار السكر والثمل
 والصبح عريان مستغن عن الحلل
 حتى لقيت عليه الشمس في الحمل
 وبين فضل طباع منه معتدل
 يسطو على القرن أو يسطو على البخل
 فكان تقييلها أسنى النهى قبلى
 فيه الغنى وأخذت الري في النهل^٤

وقال عبد الجليل أيضاً من قصيدة في المعتمد ، أولها ٥ :

أربع [الندى] تهمني [به]^٦ وتصوب
 ومغنى العلا نأوي له ونثوب
 بحيث استقل المجد فوق سرير
 وقام لسان المجد وهو خطيب
 سفاك غمام مثل ودّي ضاحك^٧
 كأن سماء^٨ الصبح منه تذوب

١ ط م : يجيزنا ؛ د : فخيرنا ؛ المسالك : يجيزنا .

٢ ط م د س : منه .

٣ ط م د س : مرسومة .

٤ إلى هنا تنتهي الترجمة في ط د ؛ وما تبقى تنفرد به م س ؛ ولهذا سيجد القارئ أن النص قد يجيء قلقاً في بعض المواضع .

٥ منها أبيات في المسالك : ٢٢٤ .

٦ ما بين معقنين زيادة من المسالك .

٧ هذه هي قراءة س والمسالك ؛ وفي م : سمي .

ولا فاءَ ظلُّ العيشِ وهو مقلّصٌ^١
ولا آلَ مزوراً عليك غُدَيَّةٌ^٢
ولا انفكَّ للخطيِّ حولك هزَّةٌ^٣
لقد رُقَّتْ حتى قيل إنَّكَ رحمةٌ^٤
كأنَّكَ بيتٌ نادرٌ وأكفَّهم
طلعتَ كريهانَ الشيبة روقة

عليكَ ولا صافيه^١ وهو مشوب
زمانٌ يُمسِّي الصفحتين طروب
وللأعوجيَّاتِ الجيادِ ديب
وإنَّ أكفَّ الضارعينَ قلوب
خواطر أورى زندهنَّ حبيب
فكذبَ في دعوى البياض مشيب

ومنها يخاطب الريع :

أراق على عطفيه منه طلاوة
إذا رُسبت يوماً حلاه فإنتما

مدى الدهر ملتاحُ الجبين مهيب
سيماكُ العلا في متداك رسوب

ومنها :

فيا أيها القصر المبارك لا تزل
ويا أيها الملك المؤيد دُمْ به
أسمٍ فيه سرحَ اللحظ من طَرْفِ باسل
ستظَّاه أمْ النجوم تحلُّه^٥

وأنت جديدُ الحلتين قشيب
ليُترَع كُوبٌ أو يثارَ عكُوبُ^٦
مراد الوغى في ناظره عشب
لها كوكبٌ لا حان منه غروب

١ س : ضافيه .

٢ صورة اللفظة في م : مويه ، وسقطت من س .

٣ س : حكمة .

٤ يريد بحبيب الشاعر أبا تمام .

٥ العكوب : الغبار .

٦ س : تحاله .

محيطٌ بما أحبت من كل صورة
 ومن حبك دون السموك كأنها
 إلى طررٍ تحكي أصائل ملكه^٢
 ومن مرمرٍ أخذاه رونقه المها
 وبحرٍ عليه للرياحين فينة
 لئن كان مكظوماً كغيطك إنه
 أرى حورَ الأحداقِ أروونقِ الطلى
 أجلٌ إنما يجتابُ منك بشاشة^٣
 وإلا فمن آدابك الزهرِ يجتلي
 كما ضاع من أهدابِ ثوبك نشره^٤
 وكلُّ هواءٍ تحت ظلك سَجَسَجَ
 إليك أشارت أعين وأنامل^٤
 كأنك من طبع الحياة مركَّب^٤
 ملك كما تهواه أمّا دِلاصُه^٤
 موفرٌ أعطافِ السيادة لم يزل^٤
 إذا ضاق في الهيجا مَجَرَّ سنانِه

تروقك حتى شكلهن قريب^١
 أفايد روض الحزن وهو مضيب
 تكادُ بأنداء النضار تصوب
 فأخطأ فيه اللحظ وهو مصيب
 كيمناك مخضر البرود لحوب
 كمرضك مصقول الأديم خشيب^٢
 طلاه ففيه للعقول خلوب
 لها جيئة من فوقه وذوب
 فرنداً له درٌ عليه رطيب
 وكلٌ صعيد مسٌ وطوك طيب
 وكلٌ مكان في ذراك خصيب
 وفيك أجيلت السن وقلوب
 فأت إلى كل النفوس حبيب
 فغاوٍ ، وأمّا برده فمنيّب
 بأفئدة الأعداء منه وجيب
 فان مناط السيف منه رحيب

ومنها :

١ المساك : مريب .

٢ المساك : سلكه .

٣ خشيب : صقيل كالسيف .

٤ المساك : من كل القلوب .

لهم حارك^١ للملك ثم حنيفه^١ سما كاهل^٢ منه وسال^٣ سيب^٢
 وكانوا عليه في الزمان فوارساً
 وسنة^٣ مجد^٢ من نعيم^٣ وشدة
 ليخضب^٣ منها اليوم^٢ والأفق^٣ أشيب^٢
 وينصل^٣ ثوب^٢ الليل^٣ وهو خضيب^٢

ومنها في صفة بنية :

ثغور^١ على المجد^٢ التليد^٣ ضواحك^٢ وأيد^١ إلى المجد^٢ التليد^٣ تصوب^٢
 تفرق عنه الملك واهتر^٢ عطفه^٣ كما اهتر^٢ مخشوب^٢ الغرار^٣ قضيب^٢
 مشابه لا تخطي^٢ علاك^٣ سهامها^٢ فتتهوي^٢ إلى أغراضها^٣ فتصيب^٢
 تملأ^٢ أثناء^٣ النداء^٢ مهابة^٣ وتبسم^٢ عنها الحرب^٣ وهو قَطُوب^٢
 ويهنيك^٢ عيد^٣ للصيام^٢ ذخرت^٣ وعيد^٢ عليه منك^٣ رسم^٢ طلاقة^٣
 خلعت^٢ عليه من بهائك^٣ حلة^٢ كما عصفرت^٢ فوق العروس^٣ جيوب^٢
 ونمت^٢ عليه من مديحك^٣ فوحة^٢ كما مسحت^٢ فوق الرياض^٣ جنوب^٢

١ يعني أصلح مائله ؛ وهذه قراءة محتملة لهذا الشطر لا نقطع بصحتها .

٢ فليخطب ؛ س : فليخضب .

٣ م : مصيب .

الوزير الأديب أبو القاسم بن مرزقان^١

هو أكثر القوم قولاً وإصابة ، فأنه يوفقُ في إصابة الأغراض ، وكلامه سهلٌ قريب. فمما أخرجتُ من شعره في أصنافٍ شتى قوله في وصف شمعة ، بحكمة الصنعة ، على صورة مدينة ، أهديت إلى المعتمد على الله بالمحددة^٢ :

مدينة ^٣ في شمعة صوّرت	قامت حُماة فوق أسوارها
وما رأينا قبلها روضة ^٤	تتقدُّ النارُ بنوارها ^٥
تُصَيِّرُ الليلَ نهاراً إذا	ما أقبلتُ ترفلُ في نارها
كانتها بعضُ الأيادي التي	نحت الدجى تسري بأنوارها
من ملكٍ معتمدٍ ماجد ^٦	بلادُهُ أوطانُ زوارها
أكفُ ذات الشعر تَغْنِي به	وشعره حلِيٌّ لأشعارها

وأصبح^٧ المعتمد على الله على حال راحته في القصر المبارك ، ودخل إليه

١ ذكره في المغرب ١ : ٢٦١ والنفع ٣ : ٢٦٤ ، ٦١٤ ، ٤ : ١٢٤ وبدائع البدائنه : ١١٤ ،

٢٦٦ وانظر قصة له فيما تقدم ص : ٤٧٦ - ٤٧٧ وهذه الترجمة لا تبقى بما وعد به ابن بسام من نواتره ، ولعلها زيدت من بعده ، وقد سقطت من ط د .

٢ الأبيات في المغرب والنفع ٤ : ١٢٤ ما عدا الأخير .

٣ هذه هي القراءة في المغرب والنفع ؛ وأما في م فقد تقرأ « بفؤادها » وفي س : بموادها ، وهو غير منسجم مع القافية .

٤ المغرب : تضحك .

٥ المغرب : أصبحت .

٦ انظر النفع ٣ : ٦١٤ وبدائع البدائنه : ١١٤ .

الرشيد ابنه ، فتبادل الأتس معه ، ثم أمر بإحضار من جرت عادته بمشاهدة المجلس الكريم من الأصحاب ، فحضرُوا ، فقال لهم المعتمد بعد كلام حذفناه للاختصار طلباً للمعنى : قلت البارحة بيتَ شعر وهو :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ وبالشمسِ المنيرة للهِلالِ^١

وذلك أنَّ المعتمد على الله قد أمر بصناعة غزالين من ذهب، فصنعا معاً من سبعمائة مثقال خالصة ، فأهدى أحدهما إلى الرشيد ابنه ، والآخر إلى السيدة العروس بنت ابن مجاهد ، فقال في ذلك البيت المذكور ، وأحب أن يُذَيَّلَ ، فذيل هذا البيت ممن حضر هذا المجلس ذلك اليوم وممن لم يحضره ، منهم أبو القاسم ابن مرزقان ، وأصاب الغرض ، فقال :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ	وبالشمسِ المنيرة للهِلالِ
فذا سَكَنِي أَسَكَّنُهُ فُوَادِي	وذا نَجَلِي أَقَلَّدَهُ الْمَعَالِي
شَغَلْتُ بذا وذا خَلَدِي وَنَفْسِي	ولكني بذاك رَخِيُّ بِالِ
زَفَقْتُ إلى يديه زَمَامَ مَلِكٍ	مَحَلَّتِي بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
فَقَامَ يَقْرِ عَيْنِي فِي مَضَاءٍ	وَيَسْلُكُ مَسْلَكِي فِي كُلِّ حَالِ
فَدَمُنَا لِلْعَلَاءِ وَدَامَ فِينَا	فَانَا لِلْكَفَاحِ ^٢ وَلِلتَّزَالِ

ورفع أبو القاسم ابن مرزقان قطعة شعر في ذلك أيضاً وهي :

عاطني القهوةَ مثلَ الجَلْتَارِ حَمَلَتْهَا أَكْثُوسُ^٣ مثلَ البَهَارِ

١ النفع والبدائع : وللشمس ... بالهِلال .

٢ النفع والبدائع : للسَّاح .

وأدرها بين زمر عبيق	واسقي ود ^١ كبير بكار
ملك إن قلت من رب العلا	فإليه كل مخلوق أشار
نحني ماجد معتمد	كل عسر حين تلقاه ^١ يسار
ما دجا ليل على أمليه	كل ليل بأباده نهار
بين كفيه وفي ناديه	ظبية ريقنها صرْفُ العقار
عجبي منها وهذا أسد	كيف لا تبعد عنه بنفار
أنست من أنها مرسلّة	باتصال الوصل من أشرف دار
ولها عدّ إلى غرتها	أنهم قد صوروها من نضار
في قدود ^٢ تنهادى وبها	سرى في حرّم ذات الفقار
لا عدت موضع لوي وددي	فلقد تنهض في خير سفار ^٣

١ م س : تلقاهم .

٢ م س : خدود .

٣ س : سفار .

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
١١	فصل في ذكر الأعيان المشاهير بحضرة إشبيلية
١٣	فصل في ذكر أبي القاسم محمد بن عباد
٢٣	فصل في ذكر المعتضد بالله عباد بن أبي القاسم
٢٩	جملة من أشعاره
٣٣	جملة من حروبه مع المظفر وغيره
٤١	فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد
٤٣	جملة من شعره في النسب
٤٦	مقطوعاته السلطانية
٤٩	ذكر الخبر عن حديثه بمالقه وانصرافه مغلولاً
٥١	[شعره في الدفاع عن ابن زيدون]
٥٢	[شعره بعد تضعيع بنيانه]
٥٤	[استطراد بذكر أبي دلالة]
٥٦	رجع إلى شعر المعتمد
٦١	[نقل المؤلف عن نظم السلوك لابن اللبابة]
٦٧	عود إلى شعر المعتمد
٧٧	مما قيل فيه بعد خلعه
٨١	باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان بدولة بني عباد
٨١	فصل في ذكر الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني

٨٩	من شعره يحض على الجهاد
٩٤	فصل في ذكر القاضي أبي الوليد الباجي
٩٨	أشعاره في أوصاف شتى
١٠٥	الوزير أبو عامر بن مسلمة
١٠٦	جملة من شعره
١١٢	الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم
١١٣	فصول له من مقامه
١١٨	[رقعة له عن المعتضد]
١٢٠	جملة من شعره
١٢٤	الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب
١٢٥	فصل من نثره
١٢٧	[رسالة ابن برد في تفضيل الورد]
١٣٠	رسالة حبيب في مناقضتها
١٣٢	من شعر أبي الوليد
١٣٥	الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار
١٣٥	شعره في أوصاف شتى
١٣٦	[استطراد بأشعار الحب العفيف]
١٤١	[أشعار في العفاف للأندلسيين]
١٤٤	[أشعار في الحب الماخن]
١٥٠	ومن مجون ابن الأبار
١٥١	[استطراد متفرع عنه]
١٥٥	سائر أشعار ابن الأبار
١٥٧	من قصائده الطويلة في المدح

- ١٥٨ الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي
١٦٠ جملة من أشعاره
١٦٦ من قصائده المطولة في المدح
١٦٨ [استطرد بالأشعار في الحرباء]
١٧٠ [عود إلى شعر ابن حصن]
١٨٦ الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي
١٨٧ جملة من رسائله
١٩٧ جملة من شعره
٢٠٠ في ذكر الأديب أبي الحسن ابن الاستنجي
٢٠٢ [أشعار له ولعاصريه في المعتضد]
فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة كانوا بعصر المعتضد
٢٠٦ مأخوذة من كتاب الحديقة لابن مساحمة
٢٠٦ أبو الأصبغ ابن عبد العزيز
٢٠٩ أبو الأصبغ ابن سعيد
٢١٠ أبو إسحاق ابن خيرة الصباغ
٢١٢ أبو بكر ابن نصر الإشبيلي
٢١٢ محمد بن ديسم الإشبيلي
٢١٣ أحمد بن محمد البلعي الإشبيلي
٢١٥ أبو بكر ابن القوطية
٢١٨ الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الأيادي
٢١٩ محمد بن مروان بن زهر
٢١٩ عبد الملك بن محمد بن مروان
٢٢٠ أبو العلاء بن زهر

- ٢٢١ جملة من مقطوعاته الاخوانيات
- ٢٢٣ [استطراد في الالتفات]
- ٢٢٧ [بين ابن زهر والمعتمد]
- ٢٢٨ [بين ابن زهر وابن عبدون]
- ٢٢٩ شعره في النسب
- ٢٣٢ الوزير الفقيه أبو عبيد البكري
- ٢٣٣ فصل في أخبار البكرين
- ٢٣٥ [فصل في نثر أبي عبيد]
- ٢٣٧ [جملة من شعره]
- ٢٣٩ في ذكر ذي الوزارتين أبي بكر ابن القصيرة
- ٢٤١ جملة من إنشاءاته السلطانيات
- ٢٤٤ [أشعار في يوم الزلافة]
- ٢٤٨ [شيء عن ملوك الطوائف واستخذائهم لاذفونش]
- ٢٥٠ [التخييل والإيهام في الشعر]
- ٢٥٢ [رقاع تصور مدى استخذاء ملوك الطوائف]
- ٢٥٧ فصول من ترسيل ابن القصيرة
- ٢٦٨ ذكر الخبر عن قرطبة بين ابن ذي النون والمعتمد
- ٢٧٣ [عود إلى رسائل ابن القصيرة]
- ٢٨٥ الوزير الفقيه أبو القاسم ابن الجحد
- ٢٨٦ جملة من رسائله
- ٣١٤ من رسائله في التعزيات
- ٣١٨ جملة من شعره
- ٣٢٣ فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي القاسم ابن عبد الغفور

- ٣٢٥ في ذكر الكاتب أبي محمد عبد الغفور
 ٣٢٦ فصول من كلامه
 ٣٤٧ [رسالة أبي الحسين ابن سراج في الزرير]
 ٣٤٧ [رسالة أبي القاسم ابن الجلد في الموضوع نفسه]
 ٣٥١ [رسائل أبي محمد عبد الغفور]
 ٣٦٨ ذو الوزارتين أبو بكر ابن عمار
 ٣٨٨ شعره في النسب
 ٣٩٣ من مقطوعاته الاخوانيات
 ٤٠٥ تلخيص التعريف بآخر أمره
 ٤١٩ نظمه مدة اعتقاله
 ٤٢٨ [قصة الاعتقال والقتل]
 ٤٣٢ [ومن مقاله أثناء اعتقاله]
 ٤٣٣ الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي
 ٤٣٥ جملة من شعره في المدح
 ٤٤٠ [استطراد بذكر حسان بن ثابت]
 ٤٤٦ [خبر الطماح وامرئ القيس]
 ٤٤٩ [رجع إلى شعر حسان]
 ٤٥٢ الوزير الفقيه أبو بكر ابن الملح
 ٤٥٤ من قصائد ابن الملح المطولات
 ٤٦٥ [استطراد في أوصاف الخيل]
 ٤٧٠ بقية ملح ابن الملح
 ٤٧١ من شعره في الأوصاف
 ٤٧٣ الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى

٤٧٨	شعره في الرثاء والتأبين
٤٨٠	[أشعار فلسفية]
٤٨٣	عود إلى قصيدة عبد الجليل
٤٨٩	[استطراد في الرثاء]
٤٩١	من شعر عبد الجليل في المدح
٥٠٦	[استطراد في وصف الأسطول]
٥٠٨	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥١٣	[استطراد بذكر المعاقدة]
٥١٥	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥٢٠	الوزير الأديب أبو القاسم ابن مرزقان

الذخيرة في عجائب أهل الجبيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشبنتري (١٥٤٢)

تحقيق
الدكتور احسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٢٠

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن ذي الوزارتين المشرف أبي مروان بن عبد العزيز^١ وإثبات جملة من نظمته ونثره

وبنو عبد العزيز يعرفون ببني المرخي^٢ . نسبهم في لحم . وهم جملة
فضل . وبيتة^٣ نبل . وعلم وفهم . وفيهم يقول الوزير أبو محمد بن عبدون

١ هو محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن كليل اللخمي الاشبيلي المعروف بابن
المرخي أخذ عن أبي الوليد العتيبي وأبي عبيد البكري وأبي الحسين ابن سراج وأبي علي الفسائي
وسكن قرطبة . واختص بأمرها المرابطي محمد بن الحاج داود اللمتوني . فلما توفي يوسف
ابن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ رفض ابن الحاج أن يبايع علي بن يوسف وانحاز له الملا من أهل قرطبة ،
ثم إن ابن الحاج نكب وفسد تدبيره . فهرب أبو بكر ابن المرخي إلى شرق الأندلس ، حتى إذا
رضي أمير المسلمين علي ابن الحاج عاد ابن المرخي إلى صحبته عندما ولي فاس وغيرها من
أعمال المغرب ثم سرقسطة وبلنسية عندما وليهما . وظل في صحبته حتى قتل سنة ٥٠٨ هـ
بمعركة البورت (ومعناها الباب) . وبأخرة من عمره ، جلس يقرئ الناس الكتب الأدبية ،
وكان مقرباً إلى اللمتونيين . ينتفع به الناس لحسن وساطته لديهم . وكان محدثاً متقناً ضابطاً
حسن الخط . واستكتبه علي بن يوسف مع أبي عبد الله بن أبي الحवाल . وروى عنه ابنه الوزير
أبو الحكم وغيره . وتوفي سنة ٥٣٦ هـ وقال العماد سنة ٥٤٠ هـ ودفن بمقبرة أم سلمة وشهد جنازته
والي قرطبة الزبير بن عمر اللمتوني . (انظر المغرب ١ : ٣٠٧ والصلة : ٥٥٥ والذيل والتكملة
٦ : ٥٠٤ ومعجم الصدي : ١٣٢ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والبيغة رقم : ٢٠١ والمطرب :
٢٠٨ والقلائد : ١٦٣ والنفح ٣ : ٤٥٨ : ٥٧٠ : ولا بد من التفرقة بين بني عبد العزيز
هؤلاء وبني عبد العزيز الذي كانوا ببلنسية وكانوا خصوصاً لابن عمار ومنهم أيضاً أبو بكر ابن
عبد العزيز وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثالث : ٤٠ : وكانت وفاته سنة ٤٥٦ هـ) .
٢ قال ابن دحية (المطرب : ٢٠٨) صوابه عند أهل النحر بفتح الحاء . وقواه هذا يومئذ
إلى أنه كان ينطق بكسرهما « المرخي » عند العامة .
٣ د : ومنبت ؛ ط : وثبة (اقرأ : وبيتة) .

من جملة أبيات خاطبهم بها بقرطبة^١ :

بني عبد العزيز لئن سلوتم^٢ فما أنا عن علائكم^٣ بسال^٤
وما عهدي بناسٍ أيّ ناسٍ توأصوا بالمكارم والمعالي
وإيثار الغريب على سواه وإن لم يُشر^٥ من جاهٍ ومال
بحور بلاغة ونجوم عز^٦ وأطواد^٧ رواسٍ من جلال
سلام^٨ يملأ المدّوين طيباً على تلك السجايا والكمال
فكم كافور أيام خلطنا . ولم تُظلم^٩ بمسكٍ من ليال

ومن جواب أبي بكر له :

أمالك رِقْ أبكاري المعاني وربّ السَّبَقِ في يوم الرهان^{١٠}
وفائتَ كلَّ منطقٍ ببلغٍ بطولِ الباع واليد واللسان
بدأتَ وكان منك الفضلُ عوداً^{١١} فمن عذراء تُردّفُ بالعَوَانِ
فجاء الشعرُ متسقاً حُداهُ^{١٢} كما اتسقت حلّى السيفِ اليماني
تقاصرَ دونك البلغاءُ حظاً^{١٣} كما قصرَ السماعُ عن العيان
لئن أهدتُ بدائع كلِّ حسنٍ فمهديها غريبٌ في الزمان
غريب سيادة غربي أفقٍ^{١٤} وقد عرّضتُ إليه المشرقان^{١٥} [١٠١ب]

١ م س : من قرطبة .

٢ م س : علائكم : ط : علائكم .

٣ م س : يوشر .

٤ م س : على .

٥ د : له بالمشرقان : ط : له المشرقان .

وأبو بكر في وقتنا هذا مهبط صَبَا البراعة وجَنُوبِهَا . ومنتهى بعيدِ
هذه الصناعة وقريبها . وكان جدُّه^١ صَدَرَ الفتنه الناشئة في آخر دولة بني
عامر قد انزوى بضبعة له بمدينة شذونة^٢ أحدِ أقاليم القطر الغربي من الأندلس
حيث ظنَّ أنه يخفى على الدليل مناره^٣ . وتلفَّع برمادِ الحمول ناره ، وتأبى
الزَّهْرَةَ إلا مروفاً من الكمامة . والشمسُ إلا شروقاً تحت الغمامة . فاهتدى
له أحدُ أمراء البرابرة^٤ المتغلبِ - كان يومئذٍ - على مدينة قرمونة وذواتها
من أقطار الجزيرة . فاستخلصه لنفسه . وغلب عليه أهلَ جنسه . فلم يزل
يقتدحُ بزنده . ويلقي إليه بمقاليد حَلَّة وعَقْدِه^٥ . ونشأ ابنه أبو مروان
المذكور في حِجْرِ دولتهم . فحمى حماها . ودارت عليه رحاها . إلى أن
انتحاه من قَدَرِ الله تعالى على يدي عبَّاد^٦ ما انتحاه . فلم يجدْ أبو مروان
بُدْأً من لزوم طاعته . والدخول في جماعته . فأقام باشيلية بقيَّة أيامِ المعتضد
وصدراً من دولة المعتمد . يتبرَّضُ جميعها . ويتزوَّدُ نسيمها . إلى أن أنشأ
المعتمد لابنه الفتح دولته بقرطبة - حسبما نوميء^٧ إلى خبرها بالشرح -

١ يعني عبد العزيز بن محمد .

٢ تذكر المصادر أن أبا بكر بن عبد العزيز شراني الأصل أي من قرية شرانة إحدى قرى شريش
بولاية شذونة .

٣ م س : أحد من البرابر .

٤ فلم يزل . . . وعقده : سقط من م س .

٥ أبو : سقطت من م .

٦ استولى عباد على قرمونة سنة ٤٥٩ من يد المستظهر عزيز بن محمد البرزالي (ابن عذاري ٣ :

٣١٢) وفي م : على يد ابن عباد .

٧ م س : سنوميء .

فانتقى لها^١ من حَمَلَةِ السِوْفِ والأَقْلَامِ ، مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ ظَنُّهُ من الأَعْيَانِ والأَعْلَامِ ، فكان أبو مروان عَلِمَ بُرْدَهَا ، ووسطى عَقْدَهَا ، ومالكَ زَمَامَتِي عَقَوِيهَا وجَهْدَهَا .

ونشأ ابنه أبو بكر هذا في حجرها . وبين سِمَاكها ونَسَرها ، طِفْلٌ دَقَعَ في صَدْرِ الكَهُولِ . وَغِيْرُ بَهَرِ البابِ ذَوِي التَّجَرِبَةِ والتَّحْصِيلِ . وبخل المَأْمُونُ به بِخُلِّ الحَازِمِ بِسِرِهِ . وشَدَّ عليه شَدَّ يَدِ الضَّئِنِ^٢ على وَقَرِهِ ؛ فلما انقَضَت تلك الدَّوْلَةُ . أَخْلَدَ إلى العُطْلَةِ . وَتَمَيَّزَ من الجُمْلَةِ . متلفِعاً بالحِياءِ . مستَحْلِماً للوفاء . وقد لحظته اليومَ هذه الدَّوْلَةُ^٣ في وقتنا . فأخذ من حَبْلِهَا بِطَرَفٍ . وتولَّى من ظِلِّهَا إلى كَتَفٍ . ولم يحْضُرْني وقتُ تَحْرِيرِ هذه النسخة من نظمه الفائقة دُرَرُهُ . ولا من نثره الرائقة أَحْجَالِهِ وغَرَرِهِ . لما أُجْرِيت من ذكره ، إلا ما لا يكاد يفي بقدره ، وفيما أثبتُ من ذلك دليلٌ وبرهان يريك الفرق بينه وبين سواه ، إن شاء الله .

جملة ما وقع إلي من نثره

مع ما ينخرط في سلك ذلك من شعره

كنت بحضرة قرطبة أوَّلَ سفري إليها سنة أربع وتسعين . فدخل عندي هلال بن الأديب . وقرع سمعي من شعر أبي بكر هذا بكلِّ حَسَنِ غريب .

١ م س : فانتقله .

٢ م س : البطش .

٣ تلك الدولة . . . الدولة : سقط من م س .

٤ م س : إلى وقت .

فكُتبت معه رقعةٌ أخطبُ فيها ودّه . وأستجلبُ ما عنده . أقول في فصل منها :

كلّ يبلغُ^١ - أعزّك الله - من حسناتِ نبلك وفضلك . ومعلّواتِ
حسبك ونسبك . ما يُحدّثُ إليك طرباً في الموتان . فضلاً عن الحيوان .
وما زلتُ أسمعُ فأتطلّع . وأستشعرُ فأستبصرُ . وأحنُّ إلى مفاتحةِ الخطاب .
وقلّما يقعُ إلاّ بأسباب . إذ الدخولُ لا يكونُ إلا على باب . وعندهم -
على علمك - أنّ الهجومَ عليه . دون سبب يدعوا إليه . نوعٌ من الجفاء . وضربٌ
من مفارقةِ الحياء . ولا يستجيزُهُ إلا مَنْ كان عن الأدب بمعزل . وللأموهِ
غيرَ محصّل . ومع هذا فإن الزمانَ شأنُهُ البخلُ إذا استعطي . والمطلُّ إذا
اقتضي . وربّ مرغوب فيه لا يَنفُقُ . ومجروصٍ عليه^٢ قد سُدتْ
دونه الطرق . ومذ^٣ دخلتُ الحضرة . في هذه السفرة . تحدّثُ بلقائك .
لأكتبَ اسمي في ديوان أوليائك . فارتقتُ ذلك ارتقابَ الصائمِ للهِلال .
إلى أن كتبتُ هذه الأحرفَ مع صديقنا أبي الحسن الفاضل دلال . فلك الفضلُ
بمالك من شرفٍ خيم . ومحتدٍ كريم . في الغضِّ على ما تراه من زيوف .
والمراجعة إن تأتتْ^٤ عنها ولو بقليل حروف . فهذا الخطاب . الذي قرعت
به هذا الباب من مواصلتك . وجعلته سلباً إلى مخاطبتك . أس^٥ يقومُ عليه

١ م : يبلغه .

٢ عليه دون سبب ومجروص عليه : سقط من م س .

٣ م س : وقد .

٤ تأتت : سقطت من م .

٥ م س : أمر سيقوم .

بنیان. و غرس^۱ ستلتف^۲ فوقه أفنان. وهمس^۳ سيكون بعده إعلان. ثم ختمت
الرقعة بهذه الأبيات^۴ :

أبا بكر ^۱ المجتبي للأدب	رفيع ^۲ العماد قريع ^۳ الحسب
أيلحن ^۴ فيك الزمان ^۵ الخؤون	ويُعرب ^۶ عنك لسان ^۷ العرب [أ١٠٢]
وتعدل في الفهم ^۸ بالحاضرين	لديهم وما النبع ^۹ مثل الغرب
أراك بعين ^{۱۰} أراهم بها	إذا فأرى الدر ^{۱۱} كالمخشب
لقد كان جيل ^{۱۲} الوري ^{۱۳} أدهماً	بقرطبة ^{۱۴} عجمها ^{۱۵} والعرب ^{۱۶}
إلى أن تبسم ^{۱۷} عنك الزمان ^{۱۸}	فأسفر ^{۱۹} عن واضح ^{۲۰} ذي شب
فجئت ^{۲۱} كما شئت ^{۲۲} ذا ميقول ^{۲۳}	يفلل ^{۲۴} حداه ^{۲۵} بيض ^{۲۶} القصب
فوا حزنًا ^{۲۷} لزناد ^{۲۸} كبا ^{۲۹}	وروض ^{۳۰} ذوى وزلال ^{۳۱} نضب
وما كان جيلك ^{۳۲} هذا الأنام ^{۳۳}	ولا لك ^{۳۴} في أفقيهم ^{۳۵} من أرب
وطبعت ^{۳۶} عنك ^{۳۷} ينث ^{۳۸} عن لؤلؤ ^{۳۹}	تنظمه ^{۴۰} في نحر ^{۴۱} الكتب
فأين ^{۴۲} العميد ^{۴۳} وعبد ^{۴۴} الحميد ^{۴۵}	وما حويا ^{۴۶} من خطير ^{۴۷} الخطب
وأي ^{۴۸} البديع ^{۴۹} وشمس ^{۵۰} المعالي ^{۵۱}	بديعك ^{۵۲} مد ^{۵۳} عليهم ^{۵۴} طنب
ولما سمعت ^{۵۵} هلالاً ^{۵۶} يعيد ^{۵۷}	قوافي ^{۵۸} لؤلؤك ^{۵۹} المنتخب ^{۶۰}

١ انظر نفح الطيب ٣ : ٥٨ .

٢ د ط : وتقدم ربهم .

٣ م س : حبل .

٤ ط : أعجم لا عرب . م س : عجم لا عرب .

٥ ط : كتب ؛ س : كبت .

٦ م س : فطيمك .

٧ ط د : الحميد .

شَقَعْتُ بِهَا لَوْ وَقَّتْ ذِمَّتِي بَوَاجِبِهَا إِذَا عَلِيهَا وَجَبَ
 وَخَامَرَنِي حُبُّ سَمْعِي لَهَا كَأَنِّي خَلَلْتُ بَيْنَ الْعُنبِ
 فَقُلْتُ جَرِيرٌ يَجِدُ الْقَرِيضَ وَالْآنَ جَادَ بِحُوكِ الْخُطْبِ
 وَقَرْطَبَةٌ بُدِّلَتْ بِالْعِرَاقِ أُمِّ الْأَرْضِ تَحْمِلُنَا مِنْ كُثْبِ
 فَجِئْتُكَ خَاطِبٌ وَدٌّ فَلَا تَرَدُّ أَبَا بَكْرٍ مِنْ قَدْ خُطْبِ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَفْضَلُنَا وَاحِدًا فَيَنْظِمُنَا شَمْلُ هَذَا الْأَدْبِ

فراجعني أبو بكر برقة^١ قال فيها^٢ : وقفت - أعزك الله - من كتابك
 الكريم . المضمن^٣ من البرِّ العميم . ما أيسره يُثْقِلُ الظَّهْرَ . ويستنفدُ
 الشُّكْرَ . ويستعبدُ الحرَّ . ورأيتك - رأيتَ أملك - تخطبُ من مودتي ما ليس
 بكفو لخطبتك . ولا بازاء جلاله ربتك^٤ . لكنه فضلٌ ملكتَ زمامه .
 وأعطيتَ مِقْوَدَهُ وَخُطَامَهُ . ولا شك أن صديقنا أبا الحسن - أعزَّ كما
 الله - أنطقه هواه . ونامت عن الخبرة^٥ عينُ رضاه . فسماعٍ بالمعيدي لا
 أن تراه . ولعمري لقد أخترتُ الجوابَ فَرَقًا من كشفِ السرِّ ، وإرادة
 التصادي^٦ في تدليس الأمر . ثم علمتُ أن فضلًا وُضِعَ في يدك^٧ ، وقُصِرَ

١ د : برقة . وسمعت اللفظة من م : وفي س : رقعة .

٢ ورد بمضه في المغرب ١ : ٣٠٨ .

٣ المغرب : المهدي .

٤ المغرب : ولا بازاء ربتك .

٥ م : عن الخير .

عليك ، يوسعي في النقد طَوَلًا ، كما شرفني^١ في البدء قَوْلًا . وعند
اللقاء أنهي عذري ، وأعرِّفك حقيقة قدري . إن شاء الله .

ثم أتبع النثر بهذا النظم :

أُحْيِي معاهدَ رَسْمِ الأدبِ	ومبقي مشاهدَ فخرِ العربِ
ومن نَظَمِ الفضلِ نَظَمَ الجمانِ	ومن سَبَكَ الشعرَ سَبَكَ الذهبِ
بدأتُ فليكنَ مني خاطِبُ	وأين الكفَى له إن خطب
أَتَحَلُّ يا بدرُ في أفقنا	ولما تحيَّيك ^٢ زهرُ الشهب
ويَهترُ نصلك في غمدهم	ولما تُحَجِّبُكَ بيضُ القضب
فَمِنْ تلكَ جلاَّسِكَ الواصلون	وَمِنْ هذه لك غيلُ أشب
تَناءَتْ عَلَيْنَا مساعي العلا	وَرَقَّيْتُ منها قصيَّ الرتب
لك الفضلُ حرَّكتني للنهوضِ	نحوك ^٣ وهو بعيدُ الطلب
وَحَدَّثَتْ عَنِّي وهذا الحديثُ	يدخلُهُ صدقُهُ والكذب
فمَعذرةٌ إنَّ بعضَ المقالِ	محضٌ وأكثَرُهُ مُؤْتَشَب
برئتُ إليك من الزائِفَيْنِ	نظمِ القريضِ ونثرِ الخطبِ
وعمدًا تأخَّرَ عنك الجوابُ	أنَّ لم يكنِ قاضيًا ما يجب
تعرضتُ شأوك يومَ الجزاءِ	فإذ لم أَجِبْ تَهَنَّجَهُ ^٤ لم أَجِبْ
وأقدمني العذرُ والإعترافُ	فجاءتكَ تسجد أو تقترِب

١ م : شرفني .

٢ كذا وصوابه « تحيك » .

٣ م : بحوك .

٤ ط د : المآل .

٥ ط : بهجة .

ولولا الحياءُ لقد كنتُ قبلُ
لأبقيتَ ذكرِي بما صُغَّتْهُ
قوافٍ تعطلُ في وزنها
وإن تكُ أحمدَ هذا الزمانِ
أرغبُ من سيدي ما رغب [١٠٢ب]
بخطُ على صفحات الكتب
« قرأتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ »^١
فأين عليُّ لنا أو حلب

وقال يخاطب الوزير^٢ أبا محمد بن عبدون معذراً من تخلفه عن تشييعه^٣ :

في ذمَّةِ الفضلِ^٤ والعلياء مرتحلُ
ضاءتْ به برهةً أرجاءُ قرطبةِ
يا قاطعاً أملاً قد كان واصلهُ
عذراً إلى المجد عني حينَ فارقي
قد كنتُ أصحبْتُهُ قلبي فأفعدني
صُبُ أيها القطرُ موروداً شرائعه
إني لأحسدُ هذا الطرسَ تلمسه
والشمسُ تحسدُ والخضراءُ موضعها
لا زعزعتك الليالي النكدُ يا جبلا
فارقتَ صبري إذ فارقتُ موضعه
ثم استقلَّ فسدَّ البينُ مطلعهُ
ونائراً جدلاً قد كان جمعه
ذاك الجلالُ وأعيا أنُ أشيعهُ
ما كان أودعه عن أنُ أودعه
فقد ظمئتُ وعمَّ الريُّ موقعهُ
كفاه أو تجتلي عينا مودعه
للفضلِ تعرفُ في الغبراءِ موضعه
لم ترجُ غيرُ الليالي أن تزعزعه

وله فصل^٥ من رقعة شفاعة : أحسنُ الصلوة - أعزُّك الله - بين الأخوان

١ صدر بيت للمتنبي ، ديوانه : ٤٣١ وعجزه : « فسمعاً لأمر أمير العرب » .

٢ الوزير : سقطت من م س .

٣ القلائد : ١٦٤ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والمطرب : ٢٠٨

٤ في المصادر : المجد .

٥ ط د : في فصل .

٦ ط م : حسن الصلوة . . . بين .

ما كان الفضل موجبها . والمجدُ مسببها . وطيبُ الخبرِ منشيها . وحُسْنُ
 الثناءِ ممهدُها وممطيها^١ : والوزيرُ أبو فلان - أبقاه الله - ممن يفتنُ في
 شكرك فيسحرُ المسامعَ . ويوقعُ ذكركَ في القلوبِ أكرمَ المواقعَ . حتى
 يستميل إلى مودَّتِكَ النفوسَ فتتقادُ سمحةَ القيادِ . ويهتفُ بالثناءِ عليك في
 المحافلِ فلا يخافُ المعارضةَ والعنادَ . وكان له من رأيك الجميلِ في سالفِ
 المدَّةِ^٢ . أشرفُ ذخيرةٍ وعدَّةٍ . فلما ملَّكَكَ الفضلُ أزيمةَ النقصِ والإمرارِ .
 ورتَّبَكَ في ديوانِ الإيرادِ والإصدارِ . علم^٣ أنه لا يسقطُ نجمهُ مع علوِّ نجمك .
 ولا تلدغهُ عقاربُ الدهرِ وهو يرقبها باسمك . وأنت - دام عزُّكَ - تسمه
 بميسمِ إيجابك^٤ . وتقيدُه بالإحسانِ في جنابك . وتطيعُ الكرمَ^٥ في رعاية
 نزاعه . ومحافظه تأمليه وانقطاعه . ومهما تعتمدهُ به من مَبَرَّةٍ . وتُسديهِ
 إليه من عادةٍ مستمرة . فلنما تسقي غرسك . وتبني أسك .

وله من أخرى : أما الودَّ - أعزك الله - فمقيم . والعهدُ كريم . والإخاءُ
 نعيمٌ لا يريم : لكنني أخبرك عن حالٍ مختلَّةٍ . ونفسٍ معتلَّةٍ . وشغلٍ
 بك قد ضيَّقَ الصدرَ . وأظلمَ منيرَ الفكرِ . بما وقفتُ عليه من كتابك .
 واستطلعتُه من خطابك . فتجرعتُ الكمدَ - علم الله - مرَّ المذاق^٦ ،
 وشربتُ من كأسه المترعِ الدَّهاق . وعلمتُ أنه جنسٌ ذليل . ورهطٌ مخذول

١ م : منشأها . . . ومطبوها .

٢ م س : المودة .

٣ م : علم لنا .

٤ م : إلخافك ؛ س : إلخاف ؛ ط د : إلخافك .

٥ م : الدر (لعلها : الود) .

٦ م : من المراق .

وحزبٌ مفلولٌ^١ بل مقتول : حيث لا ناصرَ فيُستَصْرَخ . ولا فحْمَ
لِقَيْنٍ فيُنفَخ . ولا وَزَرَ إلا العَبْرَاتُ تُسْتَنَجِد ، والزفراتُ^٢ تستحثُ
فتوقد . وقلْ غناءً عنك دمعٌ تجريه ، أو حزنٌ تبديه ، أو صديقٌ^٣ لا يملكُ
إلا التفجُّع . ولا يستطيع إلا التلهُّف والتوجُّع ، لكنه في الشرِّ خيار ، وفي
الأرض قرار ، وفي الناس منتجعٌ ومزْدَار . وإلى الله انقطاعٌ وفرار :
وصاحبُ الشرع عليه السلام قال^٤ : « لا تُلِثُوا بدارِ معجزة »^٥ ؛ وقال
الأول : « وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّل^٦ »^٧ . وأنت - ولا عتب - تقيم بذلك^٨
الإقليم : مقامَ عَيسِرِ الحَيِّ والوَتِيدِ^٩ . ولا تتعوَّضُ منه بيلد ، ولا من أهله^{١٠}
بأخذ ، حتى كأنك إنما تُشْفِقُ من خرابِ عامِرٍ ضَبَعِكَ . ودروسِ جديدِ
أرْبُعِكَ : ومعدرةٍ إليك من هذا الخفاء . فما يبعثُ إليه إلا حَنَقٌ يقوده
شَفَقٌ . وقلقٌ تذكىه حُرْق . [١٠٣ أ] وقد عرضتُ على عِدَّةٍ من إخواننا
- أعزَّهم الله - شَخْصَ كتابك . فكلَّهم تألَّم بمصائبك^{١١} . وتوجَّعَ

١ م س : وزفرات .

٢ م : صديق ؛ س : صديق .

٣ م س : يقول .

٤ في النسخ : تليثوا . . . م : المعجزة ؛ وفي اللسان (عجز) أنه من حديث عمر ، ومعناه
لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش . (والمعجزة بفتح الجيم وكسرهما) .

٥ التمثيل والمحاضرة : . . .

٦ ط د : ذلك .

٧ يريد مقام ذل . مشيراً إلى قول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يواد به إلا الأذلان عير الحي والوتد
٨ ط د : أجله .

٩ م : لمصائبك .

لأوصابك . وارتمض لعمرة الأحرار التي لا تقال . ودولة الذل التي لا تذال^١ ،
جبر الله الكسر . وحكم على الدهر . وكشف الضر^٢ . ورزق فيما بقي
حُسْنِ التسليم والصبر .

قال ابن بسّام : وإنما امتنع أبو بكر في هذا الجواب على خطاب كان
شرح له فيه الأديب أبو جعفر الكفيف^٣ محنته مع مقاتل . غلام كان لابن
مطري أولاً^٤ . ثم لابن^٥ الأفطس . لتنازع وقع بينهما على بيت شعر ظهر
عليه فيه أبو جعفر . فحمد ذلك له . فبينما هو ماشياً فارغ القلب . آمن
السَّرب . إذ اعترضه مقاتل في الطريق ، على مقربة من السوق . على هملاجه .
بين طوقه وتاجه . فجرى شوطه^٦ . وأخرج سوطه^٦ ، الذي كان يحث به
فرسه . وأمر سائسه^٦ بحبس يديه . وانحنى به عليه . قائلاً : لم تعرضت
بَطْشَتِي . ولم تخف سطوتي^٦ ! فلا النعمان بن بشير يوم الأخطل . ولا
الزبرقان بن بدر في مسألة جرّول . ولا المأمون يسطو بدعبل . وتالله لو كان
مقاتل^٦ كليب وائل . أو قيس بن عاصم . أو مُعَرِّقاً في بني هاشم ، لثنى
من عنانه . وقصر من يده ولسانه . فكيف وهو مقسوم^٦ الولاء . معدوم
الآباء ! ! وإنما أقدره يومئذ الكبير . وأبطره الوفر . بعد الكُدَيْة في
الرفاق^٦ . والقَصَص في الأسواق . ونَقْل اللحم بالأسبونة من الدور

١ ط : تزال ، س : لا زال .

٢ انظر مقدمة ديوان الأعمى التطيلي : ح - ي .

٣ م : لبني .

٤ س : فيينما .

٥ ط : سيه ؛ س : منيه .

٦ س : في الرياق .

إلى^١ الوضم ، فكيف لا^٢ يُتَرَبَّصُ خروجُ الدجال ، أو ينزل المطرُ على هذه الحال ، أو تتأخر القيامة ، ومقاتلٌ قد صار^٣ قدامه ، يقتلُ الأحرار ، ولا قوَدَ ولا ثار !! ألا مُغيثاً ، ألا مَشِيئاً إلى الموتِ حثيثاً ، ألا دعوةَ نوحٍ ، من قلب قريح !!

ولأبي بكر أيضاً فصولٌ من جوابٍ عن أهلِ قرطبة على خطابٍ ورد من قِبَلِ المستعينِ بن هود قال فيه : وصل كتابك ، فوقفنا على جميع معانيه ، وأحطنا علماً بما فيه ، ورأينا ما تضمنته من المقال الذي لم يوفه أعزّه الله - حقّ النظر ، ولا تدبره أحسن التدبر ، بل أطاع فيه سلطان هواه ، ودعاه الحرجُ^٤ إليه فاستهواه ، ولو حكّم عادل النصفة ، وعصى أمرَ الأتفة ، لخاصم نفسه قبل أن يخاصم عنها ، وكان قبل أن يأخذ لها آخذاً منها ، ولعلم أن الحقّ ليس بأقوال تُسَطَّرُ ، ولا حُجَجٍ^٥ تُصَرَفُ عن طريقها وتغيّر ، والشيطانُ قد ينصبُ للعاقلِ أشراك الخدع ، ويروم أن يستنزلَ الحليمَ بأصناف الطَّمَع ، فمن صرَفَتْهُ عصمةُ الله انصرف^٦ ، ومن وقَفَتْهُ خَشْيَتُهُ أحجمَ ووقف .

وفي فصل منها : وقد كنت^٨ خاطبتُنا المرّة بعد المرّة ، وكاتبنا الكرّة بعد

١ م س : إلى الضرور من .

٢ لا : سقطت من م س ط .

٣ قد صار : سقط من م س .

٤ م : للمنية .

٥ م : الخروج .

٦ م : بحجج .

٧ ط : أنصف .

٨ وقد كنت : سقطت من م .

الكفرة ، تذكرُ أنك^١ قد حلتَ عن تلك البلاد يدك ، وأُصِفْتَ^٢ في طاعة
 أمير المسلمين وناصر الدين - أيده الله - مُعْتَقِدَكَ ، ورأيتَ أنها^٣ أمانةٌ
 تؤدِّيها ، إلى حافظها وراعيها ، وتسلمها إلى من يقومُ بحقِّ الله - عزَّ اسمه -
 فيها ، إلا مواضعَ يسيرةٍ استثنيتها ، وأماكنَ قليلةٍ سمَّيتها ، فما الذي
 نقلك عن هذا الرأي الحميد ، والمذهب السديد ، إلى التمسك بما قد بانَ لك وجهُ
 الخيرةِ في تركه . وإرادة التملك بما لا قدرةَ لك على ملكه ؟ ! ولو كنتَ
 - أحسنَ الله توفيقك - ملياً بالدفاع . قديراً على التحصن من أعداء [الله]
 الكفرة^٤ والامتناع ، لكنتَ معذوراً فيما ترغبهُ ، وجديراً أن يُخلَّيَ بينك
 وبين ما تطلبه ، لكنَّ العجبَ كلَّ العجب أن يكونَ سعيك للكفَّار ،
 وتوفيرك للدمار . وكيف يسوِّغُ لك أن تحذَّرَ من الله وأنت لا تحذَرُهُ^٥ ،
 وتذكَّرَ به تعالى ثم لا تذكرُهُ ؟ ! ألسْتَ تعلم أن النصارى - لعنهم الله -
 قد استولوا على ثغور المسلمين التي كانت بنظرِكَ مَنْوطةً ، وبمستقرِّ
 قَدَمَيْكَ^٦ مخلوطة ؟ فهل كانت لك طاقةٌ بمحاربتهم ، أو قوةٌ على مقارعتهم ،
 أو لإصراخٍ لمن استصرخك من قتيلٍ مستشهد ، أو أسيرٍ مضطهد ؟ !

وفي فصل منها : فحين وصلتْ دعوتهم لسامعها ، واتصلتْ مَظْلَمَتهم

١ تذكر أنك : سقطت من م .

٢ م : وأُصِفْتَ .

٣ م : لنا .

٤ ملياً : سقطت من ط .

٥ د : الأعداء والكفرة : ط : الفكرة .

٦ زاد في م : العجب أن يكون .

٧ م : تحمدك ؛ ط : قدمك .

برافعها ، وتعلّقوا من أمير المسلمين وناصر الدين - أيّده الله^١ - بالسبب المتين ، وأوّأ منه إلى الحصن الحصين ، أردت - والله يقيدك^٢ - أن تقطع منه^٣ حبالهم^٤ ، [١٠٣ ب] وتفرّق اتّصّالهم ، وتذرهم بين أيدي^٥ الأسر والقتل نهاباً ، لا ترجو فيهم ثواباً ، ولا تخاف^٥ عقاباً . وهو - أيّده الله - لم يبلغ بلادك ولا غيرها لمال^٦ يبتزّه^٦ ، ولا لتملك يستفزّه^٦ ، وإنما بغيتّه^٧ أن يقع شيطان الشرك ، ويستنقذ المسلمين من الهلك^٨ ؛ ولما^٨ نرجوه من حسن إنابتك ، وإسراعك إلى داعي الحق وإجابتك ، خاطبنا أمير المسلمين - أيّده الله - محيلين على ما تضمّنه خطابك ، ووعاه كتابك ، ممهدين عنده عذرك فيما تضمّنه من القول الذي لا تصحّ شواهد ، ولا ترتبط^٩ لتأمل معاقده ، وإنّا لنخشى أن ينقض^{١٠} عن ذلك الثغر يدّه^٩ ، ويحلّ من عزّمه^{١١} فيه ما كان عقده^٩ ، فحيث لا ينفع النادم قرع^٩ سنّه ولو هتمّها ، والعاض يدّه ولو كلّمها ، وقد كان لك مندوحة^٩

١ م س : أدام الله تأييده .

٢ ط : يعيدك .

٣ منه : سقطت من م .

٤ أيدي : سقطت من م .

٥ م : يرجو . . . يخاف .

٦ م س : الملك ؛ وسقطت من ط .

٧ م : بغية .

٨ ط : وإنما .

٩ م : ترتبطه .

١٠ م س : لينقض .

١١ م : العزم .

في القول اللين ، والاحتجاج المبين ، عن ^١ الموافقة والمخالفة ، والمدافعة
بغير الحق والمكاشفة ، حتى انتهيت ^٢ إلى أن تقول إنه لك في من سلف
واعظ يزَعك ، أو زاجر يردعك ، والله يعصمك من أن تختار اختيارهم ،
وتؤثر لئثارهم .

وفي فصل منها : وقبيح بمن عليم بما ^٣ عند الله عليمك ، وفهم بما
لديه فهمك ، أن يزهد في الدنيا وهو يطعم منها في غير حاصل ، أو
يذم العاجلة وهو يعتد بعرض من أعراضها غير طائل ، ونرجو أن يكون
وراء هذا من ركوبك المثلى ، ورجوعك إلى التي هي أولى ، وتكذيب
ما تلقى الوسوس ، وتمنيه خادعات الهواجر ، ما يبقى به دينك نقياً
لا يتدنس ^٤ إزاره ، وذكرك جميلاً لا تقبح آثاره ، وهو الذي يشبه
مذهبك الكريم ، وآراء سلفك القديم ، الذي أنت متقبل حميد آثارهم ،
مستضيء بأنوارهم ، مشيد على ^٥ ما أسسوه من الأثر الصالح ، والعمل
الراجح . وما كان في هذا الكتاب من ^٦ مراجعة ، فيها موافقة ومنازعة ،
فإنما دعا إليها ما ننوي من النصيحة ، والموالات الصحيحة ، وقد يعاتب

١ م : عل ؛ س : الهين عل .

٢ م : انشيت .

٣ م س : ما .

٤ ط د : تلقته .

٥ د : وتمته ؛ م س : وتلقه .

٦ م : يدنس .

٧ عل : سقطت من ط د .

٨ الكتاب من : سقط من م س .

الشفيقُ فلا يُحْجَم ، ويقولُ الصديقُ فلا يَكْتَم ، وأنتَ تحملُ ذلكَ على سبيلهِ^١ الواضحة ، وطرائقهِ اللائحة ، وتعلمُ أنْ أخاك من أرضاك باطنهُ ، وإن عصاك ظاهره وعالته^٢ .

وله من قصيدة^٣ في القاضي^٤ :

وكيف أجزتِ الحميَّ جَيْبُكَ عاطرٌ
تجاوَبُ أفرادُ الحليِّ وساوساً
وكيف شقتِ الليلَ خَدُّكَ زاهرٌ
وكيف استطعتِ السيرَ حِجْلُكَ مفعماً
وَمُسْتَعْرِجُ الوادي ظباً وأسنةً
وقد نصَّتِ^٥ الجوزاءُ جيداً^٦ كأنه
تأرَّجَتِ المومة أنْ سرتِ وسطها
أقبلُ تَرَبَّ الأرضِ حتى كأنما
فما سجدَ الرهبانُ^٨ في كلِّ بيعةٍ

وَرَدْتُكَ ففضفاضٌ وعِقدُكَ صائحٌ
عليك كما غنى الحمامُ النوائح
وجيدُكَ برّاقٌ وثغرُكَ واضحٌ
وَرَدْتُكَ رجراجٌ وحلْيُكَ قادحٌ
ومنقطعُ البيداءِ خَبٌّ وكاشحٌ
عيونٌ إلى تلكِ الطروقِ لوايحٌ
فكلُّ سبيلٍ جُزْتُ بالطيبِ فائحٌ
تضمُّ ثنايكِ العذابِ^٧ الأباطحُ
كما أسجدتني أرضها والصحاصحُ

١ م : سبيله .

٢ م : وغالبه .

٣ م : ومن قصيدة له .

٤ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٩٠ ، ٤٨٣ وقصيدة فائية لأبي المفيرة ابن حزم في القسم الأول :

١٧٦ فهذا كله نسق واحد من المعارضات ؛ ولم يتضح أي القضية يمدح ، ولعل هنا نقصاً

في النسخ .

٥ م : نصب .

٦ م ط : جيد .

٧ م : العراب .

٨ ط : البرهان .

ومنها في المدح :

فان ألك في سيدك راکضاً فاني للقاضي الأجلّ لمادح
هو السبب المدني لسلوة وكفارة الآثام وهي فوادح
به تنهض الأيام في عواثر وتُسندركُ الآمال وهي نوازع [١٠٤]

قال ابن بسّام^١ : قول أبي بكر : « أقبل تُربّ الأرض » ... البيت
مع الذي بعده ، من الوصف الغريب ، في توفية لإكرام ربع الحبيب : وأول
من بكى بالربع ووقف واستوقف ، الملك الضليل ، حيث يقول :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل *

ثم جاء أبو الطيب فترل وترجل ومشى في آثار الديار وقال^٢ :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلسم بها ركبا
ثم جاء المعري فلم يقنع بهذه التوفية من الكرامة حتى خنع وسجد ،
وقال^٣ :

نحمة كسرى في السناء وتبع لربّك لا أرضي نحمة أربع
وأبو بكر إنما ألم بهذا المعنى .

ومحاسنه أكثر من أن تحصى ، ولم أحاضر وقي هذا إلاّ بقليلها ، ولا

١ نقل الصفدي جانباً كبيراً من هذا النص في الغيث ١ : ٦٧ وصرح أنه ينقل عن الذخيرة .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٨ .

٣ شروح السقط : ١٥٢٧ .

٤ ط د : بأقلها .

بأس من الزيادة - إن شاء الله - عند حصولها .

ومما سمحت^١ به الأيام ، وفازت به الأزلام ، من نثر أبي بكر المتدفق
عن بحر^٢ ، المزري بدرّ انتظم في لبّات الزهر ، رقعة يقول فيها :

مولاي وسيدي الأجل لا يزال بمعونة الله تخدمه الأوطار ، وتطيعه
الأنصار ، وتتنافس فيه الأقطار ، وتستأذنه في صوبها القطار ، فدعاؤه
متقبّلٌ مستجاب ، والغيمُ عند استصحابه منجاب ، وقد كان الغمام أسفً
ودَقَه^٣ ، ورجيَّ صدقه ، فصعد وتعلّى ، ثم دنا فتدلى ، فكاد من قام
بالراح^٤ يدفعه ، وانتظرت شأبيبه ودَفَعُهُ ، إلا أن تلك الدعوة رَدَّتْ
مَخيلته جهاماً ، وفرقت جمعه وكان لماماً ، وعاد المحلُّ يلتهمُ النهاماً ؛
فرققاً - رفق الله بك - فإنَّ الناس مُسْنِتُونَ . ولما لا يُرْضَى
من القولِ بسوء الظنِّ مُبَيَّنَتُونَ ، وماذا عليه - أعزّه الله - في أن يُخْصِبَ
محله ، سقى الغيثُ بلداً يحلّه ، وتشيعه حيث ارتحل ديمةً مدرار^٥ .
حيث ينزل النوار ، وننالُ من بركة دعائه نصيباً ، ولا نلقى منه يوماً عصيباً .
وإن دام دعاؤه في استصحاب الشمس ، فسيتركها خاوية كأن لم تغرب
بالأمس .

١ هذا مما زيد من بعد وقد انفردت به النسختان م س حتى آخر الترجمة .

٢ م س : بحره .

٣ م س : بالراجي ؛ وفيه إشارة إلى قول الشاعر يصف السحاب :

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

٤ من قول المتنبي (ديوانه : ٢٦٨) :

وإذا ارتحلت فشيمتك سلامة حيث اتجهت وديمة مدرار

وأخرى يقول فيها :

سقى بلداً أمتت سليماً تخلُّهُ من المزن ما تَرَوِي به وتسيم^١

كيف لا أستسقي لثواه - أدام الله نعماءه - عزالي^٢ الغمام ، وأنتقي
لعلياه حرَّ الكلام ، وأعيذ^٣ النفس بمقدار سعده ، وأنفي الأنسَ جملةً
من بعده ، وهو - أعزه الله - سرُّ الضمير ونجواه ، وذكر اللسان ودعواه ،
وشغلُّ القلب والصدر ، والصديقُ الوفيُّ الذي بَعُدَتْ أخلاقه عن
الغدر ، والواحدُ الذي يَعْدِلُ أُلُوفاً في جلالة القدر ، ويزيد على الأ[نام]
كما زادت على الليالي ليلةُ القدر ؛ ما هذا الاطراء ، والقول بالآراء^٤ ؟ !
تكفي شهادة الضمائر ، وتتناجي السرائر . ما أولاني بالنَّجْهِ ، وحثو التراب
< في > الوجه !! كيف وجد - أعزه الله - تلك البلاد الكريمة ؟
أظنه أكرم فاربط ، وانتاب^٥ فاغبط ، وحطَّ الرحلَ عند الملك الظاهر ،
المكني بأبي الطاهر ، فأنشد قول أبي تمام في عبد الله بن طاهر^٦ :

إذا ما امرؤ ألقى إليك برحله^٧ فقد طالَبَتْهُ بالنجاحِ مطالبُهُ

١ انظر الأغاني ٢ : ١٩٨ وأما القالي ١ : ٣٦

٢ م : عز ؛ س : عن (اقرأ : عين) .

٣ س : واعتد ؛ م : واعتد .

٤ م : بعدت عن الضمير الغدر .

٥ م س : الاراء (لملها : الهراء) .

٦ م س : وارتاب .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٢٣٩ .

٨ الديوان : بربك رحله .

وفي فصل منها : وماذا عليه لو عرف من شأنه بقضه^١ ، من عدة
النسيم اجتاز على أرضه ، فتنشق عرقه^٢ ، وتقبل عرقه :

يقبلُ الريح من صبايته ما قبل الريح ثبله أحدُ

ومنها : ولما علم أن تلك الحضرة مجرة العوالي^٣ ، بل مُستَقَرُّ المعالي ،
وَمُجَرِّى السوايق ، بل مَسْرَى البواشق ، أمَلَّها فأمَّها ، وقدم أرجاءها
فجاءها ، وغرضه أن يكون هنالك خادمَ قائد ، أو جامعَ قائد ، وإذا
ظفرت يدها بجواد ، يحمله على جواد ، فقد أخصب مراده . وأكثب
مراده .

ومنها : وإن خفَّت بالمراجعة بالحالِ الغلية وصلَّةُ الإجمالِ ، وخُنِمَتِ
بالحسنة الأعمال ، أسمعني الله عنك أنباء طيبة ، وأمطرك من المعروف
ديمةً صبيبةً ، برحمته .

وأخرى يقول فيها :

ولاني واسماعيلَ يومَ وداعِهِ لكالغمدِ يومَ الرُّوعِ فارقه النَّصْلُ^٤

لا بل كالجفنِ فارقه السَّواد ، والصدرِ بان عنه الفؤاد ، هذا تعدادُ
يطول ، ودهرٌ بأحداثه يصول ، وعلى ما جرَّ من خطوبه ، وأعقبتنا من

١ صورتها في م : يقضه .

٢ م : بحر العزالي .

٣ البيت لصريع الغواني ، ذيل ديوانه : ٣٣٢ والشعر والشعراء : ٧١٣ .

عبوسه وقطوبه ، لنقرينته صبراً يردّه ، وجلدأ يهده^١ ، وتحملأ يردّعه^٢
ويصدّه^٣ ، فلا يجد لسهامه منفذاً ، ولا يعرف للقذح فيها مأخذاً ، وإنّا
لنرضى بالقدر ، ونشربُ على القداة^٤ الكدر . ولا تؤثر فينا لأواء^٥ ، ولا
تبلغُ منا عزاء^٦ : أمّا وقد ذقنا طعميه ، وحلبنا شطريه ، وخطرنا قُطُريه .
وتجربنا حاله ، فما يُحدثُ جديداً ، ولا ينشئُ شديداً . وإن الله سبحانه
ليختار للعبد . ويهديه إذا استهداه للرشد^٧ ، إذا انتهى به العسر ، طالعه
اليسر . ووافاه النصر .

ومنها : فذكرنا^٨ - أعزك الله - وطالعنا بأنبائك - أطابها الله - فانا
نرتقبُ أخبارك . ونستوضحُ آثارك . ونلحظُ على البعدِ ديارك :
كما نظرَ الأسيرُ إلى طليقٍ يومُ بلادهُ لشهودِ عيدٍ

ومن الحقّ أن تشدّ يدَ اغتباطك . وحبلَ ارتباطك ، بفلان ، فهو للصحة
ذاكرٌ . وبعهدك مكائر . ومن أعبائك في تلك الرحلة معتذرٌ متّصل ،
وودّه وكيدٌ متّصل . وستفرح معه أياماً . وترى الفضل إماماً ، والزمان
غلاماً ، إن شاء الله .

وأخرى افتتحها بهذين البيتين :

أخاطبَ ودّ من أخٍ لكّ عنده إنابةٌ مخلوع العنان إذا لبّي
تفياً إذا ما شئتَ ظلّ ضلوعه ظليلاً ورّد من ودّه شبماً عذبا

١ م : يردده . . . يهده .

٢ م س : القدار .

٣ اهل الصواب : « ناذكرنا » .

٤ م س : طلوعه . . . أشتبأ .

وصلَ لسَيدي - وصله الله - تحيةً أهداها ، مقترنةً ببغيةٍ اهتداها ،
فلولا أنَّ تموجَ الهواء . لا ينقلُ الأهواء ، لوافاه يحملُ من رَجْعِ السَّلام
أحفاه ، ولو صف ما نشأ له من الولوع ، < و > انتهى < حتى > هدَّ
الضُّلوع . فما غريبٌ أوحَّشهُ سلطانُهُ ، وجَّفتْ أوطانهُ ، فباتَ يستهدي
البوارحَ نسيما . شوقاً إلى وسيمها ، ويستكشفُ الرِّكَبَ عن أنبائها ، كلفاً
بأحبائها :

بأشوقَ مني إلى حضرةٍ تخذتُ بساحتها موطننا

وأتمثلُ بما بين يديَّ من الأشواق ، إلى تلك الأخلاق ، فأقول : ما
غريب . نأى عنه هوَّى قريب . فكلَّما أمَّ بابه قطع < أسبابه > ،
أو همَّ أن يثني إليه عنانه . شغلت الأيامُ بنانه . فبات مُراقَ كأسِ الوَسَن ،
فضفاضَ رداءَ الحَزَن ، بأشوقَ مني إلى ذلك الخلقِ الكريم . فهل يسمح
به صرف الزمان اللثيم . وله الذم : ما وهبَ إلّا خلالَ ما انتهب . ولا
أباح إلّا ريشما استباح . وإن تكنِ الأيَّامُ أتتْ دونَ لقائك . فانا أسأل
الله طولَ بقائك . عسى أن يدنو بك داراً ، أو يدور بنا عليك مزاراً .

وله ٢ :

قد هزَّزناكَ في المكارم غُصْنا واستلمناكَ في النوائب ركنا
فوجدنا الزمانَ قد مالَ ٣ عطفاً ونأتى علاً وأشرقَ حسنا

١ م س : لا يتفعل .

٢ وردت الأبيات في القلائد والخريدة والمطرب .

٣ في المصادر : لان .

فإذا ما سأله كان سمحاً وإذا ما هزرتَه كان لدنًا
 مؤثراً أحسنَ الخلائقِ لا يَغُرُّ رِفُّ ضنَّا ولا يكذِبُ ظنَّا
 أنت ماءُ الزمانِ أخصبَ واديهِ ٤ ورفَّتْ رياضُهُ وانتجعنا
 نزعَت بي^١ إلى ودادِكَ نفسٌ قلَّما استصحبَت سوى الفضلِ <خدنا>

في ذكر الوزير الكاتب أبي الحسين يوسف بن محمد بن الجلد^٢
 واجتلاب قطعة من نظمه ونثره^٣

قد قدَّمت ذكر بني الجلد^٤ ، وذكرتُ أنهم كانوا صدورَ رُتبٍ ،
 وبحورَ أدبٍ ، توارثوه نجيباً عن نجيبٍ ، كالرمح أنبوباً على أنبوبٍ ، مع
 اشتهارهم بصحبة السلطان ، وشرفهم على وجه الزمان . وأبو الحسين هذا
 كان من أسنى نجوم سَعْدِهِمْ ، وأسمى هضابِ مجدهم ، ولولا ما خلا به
 من معاقرة العقارِ ، وتمسكَ بأسبابه من قضاء الأوطارِ ، لملا ذكره البلاد ،
 وطبَّقَ نظمه ونثره الهضاب والوهاد . وقد استكتبه ذو الوزارتين أبو بكر
 ابن عمار أيام حربه بمرسية ، وله معه أخبار مذكورة ، وعنه رسائل مشهورة ،

١ بي : سقطت من م .

٢ كنيته في المغرب (١ : ٣٤٠) أبو الحسن ، وورد في مواضع أخرى من الذخيرة مرة أبو
 الحسين ومرة أبو الحسن ؛ وفي هذا الموضع من النسخة ط « أبو الحسن » ، وانظر مسالك
 الأبصار ١١ : ٤٣١ ؛ وسقطت لفظة « يوسف » من م س .

٣ م : نثره ونظمه .

٤ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٣٤٠) أن بيت بني الجلد بيت جليل ، وهم فهريون سكنوا بلدة
 وسادوا أيضاً بأشيبيلة . ثم ترجم لأربعة منهم ، ولكن ليس من السهل تبين صلة القرى
 بينهم . وقد مرت ترجمة أبي القاسم منهم في هذا القسم من الذخيرة : ٢٨٥ .

ولم أقع من كلامه وقت تحريري هذا التصنيف ، إلا على السير الطفيف ،
وفيما أثبت منه ما يقر له بالفضل ، ويرفع لواءه في النبيل .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

له من رقعة خاطب بها من استنهضه إلى معارضة الحصري في قصائده
المعشرات^١ قال فيها :

يا سيدي^٢ - أبقاك الله شاحداً فكري ، نافذاً ذكري ، من حقّ ذمتك ،
الذهاب مع وفقٍ همتك ، ولما أكلتُ رغبتك من كتبٍ مُعشرات^٣
الحصري . هب من خاطري النائم البكي ، فنظمتُ في معناها ، ما لا يُغني
من الصناعة مغناها ، فالدرُّ لا يُعارضُ بالمخشَلَب . والبحرُ لا يناهضُ
بالمذنب ، وإنما ذلك لما في طباعِ الإنسان ، من اتباع الإحسان ؛ مع أني
أردت أن أملأ سَمْعَكَ . بصورة حالي معك . واثت تعلم أني حين
تعرّضتُ ، وأوان ترَبّصتُ ، غريبٌ حبيب ، قليلٌ قليلٌ ، مريضٌ
الحنان ، مقروض اللسان ؛ فالشعرُ انما يحِكه قلبُ فارغ ، ولم يسبكه

١ المعشرات : قصائد تبدأ كل قصيدة منها من عشرة أبيات ، في موضوع من الموضوعات كالنسيب
أو مدح الن . و الزهد ، ومعشرات الحصري في النسيب ، وقد نشرت مع دراسة عن الحصري
قام الاستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى : ٢١٢ - ٢٤٠ (تونس ١٩٦٣)
وفي م : المعشرات .

٢ يا سيدي : سقطت من ط .

٣ م : معشر .

٤ م : ترصنت (اقرأ : تبرضت) .

لبّ من ظلماء الشغلِ بازغ ، لم يكملْ خلقه ، ولم يروِ الصدورَ ودقّه ،
وجاءَ خِداجَ التّاج ، أجاجَ المزاج . فإنْ نظر في هذي إليك ناظر ، وعطف
من عنانِ المناظرة بينها وبين تلك - على تباعدها - مناظرٍ ، فأطلّعهُ على
غَيْبِ حالي . قبل أنْ تُطلّعهُ على عيبِ مقالي ، ليعلمَ أنها زبدةُ
الماءِ . وعُصارةُ الصخرة الصماء . والله المرجوُ للإدالة . والمدعوُ في الإقالة .

وله من أخرى خاطب بها عمّه من ميورقة . عند تناثر عقد^١ رؤساء
الجزيرة :

يا مولاي وسيدي الذي أفترض برّه^٢ ، وألتزم شكره^٣ . ومَنْ لا زال
في أمان من الزمان . وسلامٍ من الليالي والأيام :

طوى الجزيرةَ حتّى جامعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذب^٤ [١٠٤ب]
حتّى إذا لم يدع لي صدقه أملأ شرفت بالدمع حتّى كاد يشرقُ بي

وإن عينا لم تصب بدمٍ بعد دمٍ لبخيلة . وإن نفساً لم تدب على تلك
النازلة العظمى لتجلّدة حمرلة . لله تعالى التسليم فيما حلّ وجلّ . وفجع
وأوجع . وإن تكن تجافت عن التعرّس . ورتعت في العرّض الحسيس .
فخطبها حقير . وكسّرها مجبور . عى أنها كيف نصرفت مشكلة ،

١ عقد : زيادة من م س .

٢ س : ذكره .

٣ لأبي الطيب : ديوانه : ٤٢٣ والخبرة ٢ : ٤٨٦ .

٤ م س : تصب دماً .

٥ م : وولعت .

٦ م : المجبور .

وعلى ما تُخِيلُ^١ مُذْهِلَةً، وَصَفَاتُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ^٢ - أَصْلَبُ مِنْ أَنْ
تُؤَثِّرَ فِيهَا النَّوَازِلُ، وَأُثْبِتُ مِنْ أَنْ تُضَعِّضَ فِيهَا الرُّوَاجِفُ وَالزَّلَازِلُ؛
وَأَنَا حِينَ خَطَطْتُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ عَلَى جَمْرِ الْأَسَى مُتَقَلِّبٌ، وَبَارِتْقَابُ مَا
خَصَّكُمْ^٣ - لَا زَالَ خَيْرًا - مُعَدِّبٌ، وَقَدْ أَوْدَعْتُ مُنَاوِلَهَا مِنْ خُبْرِي،
وَحَمَلْتُهُ مِنْ عُجْرِي وَبُجْرِي، مَا لَكَ الطَّوْلُ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ. وَاسْتِيفَاءِ
مَا لَدَيْهِ، ثُمَّ فِي مَرَاجِعِي بِمَا تَقَرَّرَتْ الْحَالُ عَلَيْهِ.

وختمها بهذه الأبيات^٤ :

كُتِبْتُ وَقَدْ غَالَتْ عَزَائِي ^٥ أَشْجَانُ	وَقَدْ شَرِقَتْ بِالْدمْعِ وَالدمِ أَجْفَانُ
وَقَدْ وَقَدْتَنِي نَبَأُ الْخُطْبِ لَمْ تَصْخُ	إِلَى مِثْلِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ آذَانُ ^٦
تَصَامَمْتُ عَنْهَا مَسْتَرِيحًا إِلَى الْمَنَى	وَقَلْتُ عَسَاهَا فِي الْأَحَادِيثِ بَهْتَانُ ^٧
إِلَى أَنْ جَلَاهَا الصَّدْقُ عِنْدِي فَهَدَّنِي	وَإِنْ قَلِيلًا أَنْ تُضَعِّضَ أَرْكَانُ
كَذَا فَارَقْبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَغْتَةً	فِيهِلِكَ شَيْطَانٌ وَيُهْتَكُ سُلْطَانُ
عِزَاءً وَأَنْى بِالْعِزَاءِ وَقَدْ هَوَتْ	كَمَا قَدْ ذَوَتْ فِيكُمْ نَجْمٌ وَأَغْصَانُ
وِغَاضَتْ بِحُورٍ ^٨ لِلنَّدَى وَتَقَلُّصَتْ	ظِلَالُ الْعَلَا وَانْهَدَّ لِلْمَجْدِ بَنِيَانُ

١ م : خيلت .

٢ م س : دام عزك .

٣ د : يخصكم .

٤ منها بيتان في كل من المغرب والمسالك .

٥ د : غرامي .

٦ سقط هذا البيت والذي بعده من م س .

٧ ورد البيت في القسم الثالث ٣ : ٨٤٩ وفي هذا القسم الثاني أيضاً : ٤٨٧ .

٨ م س : بحار .

لبانَ بما قد بانَ آمنٌ^١ وإيمانٌ
همُ حَسَنُوا بالدهرِ ظناً فخانهم
ولولا الأُسى لم يبدُ في العيشِ عذره
وكم قبلها من مثلها ثم بعدها
وبين ضلوعي والجفونِ تنازعٌ
ولا شكَّ أني بين هاتين طائِعٌ
تقسّم صبري والحوادثُ جمّةً
لعلّ الليالي ، والليالي لواعبُ
وفي الغمِ ماءٌ مانعٌ من زيادةٍ^٢
فطَوَّلَكَ في إرعاءِ سَمْعِكَ ساعةً
وراجعْ ولو في صفحةِ الماءِ راقماً

وفضلٌ وإفضالٌ وحُسْنٌ وإحسانٌ
وما الدهرُ إلا ناقصٌ^٣ العهدِ خوّانٌ
وحسبي ولم أبعُدْ عليّ وعثمانٌ
وليس على دهرِ جنى^٤ ذلك عدوانٌ
على الرّسمِ من جسمي فسُحِبْتُ ونيرانٌ
فَيَغْرِقُ طوفانٌ ويحرقُ بركانٌ
ملوكٌ وجيرانٌ وقومٌ وأوطانٌ
ستأتي التي فيها عن الغمِ سلوانٌ
وعند الذي يُهدي كتابي تبيانٌ
لتسمعَ ما شطّطَ به عنك أزمانٌ
وطالعٌ فيكفيني من الطُّرسِ عنوانٌ

وله من أخرى : يا سيدي الأجلّ ، وغمامي المستهلّ ، وكوكبي النير
المطلّ ، ومن أبقاهُ الله في الشملِ الأجمعِ . والأملِ الأمتعِ . أودِنتُ
بِمَقْدَمِكَ الميمونِ . المُقِرِّ للنفوسِ والعيونِ ، فارتحتُ ارتياحَ من أنشدتُ
ضالّتهُ ، وأعيدتُ عليه بعد السَّقَمِ صِحّتهُ . وقد كان من وِرْدِ اشتياقي
إليك ، أن أقع بين يديك ، غيرَ أنّ الوجلَ^٥ قيّدَ القدمَ ، فلم أجِدْ بُدّاً
من أن أستنيبَ القلمَ ، ومثلك - دام عزُّك - شرَحَ لِعُذْرٍ وليه صدرّاً ،

١ م س : يمين .

٢ م س : ناكث .

٣ م ط : حتى (حنا) ؛ د س : حتى .

٤ م ط : زيارة .

٥ م : الوجد .

ولم يظنَّ بصفيةٍ فيما يقعُ من إخلالِهِ بِخلالِهِ وجلالِهِ ١ غدرًا . ومع هذا فلو كنتُ على ثقةٍ من وجدانك بمكانك ، لمشيتُ ولو على شوكٍ [١٠٥ أ] القتاد ، مجتنيًا من تلك الخلائقِ الناضرة ٢ العاطرة زَهْرَ الربى والوهاد ، وناقعًا من تلك السجايا الباهرة حرارةَ الجوانحِ والأكباد - لا زلت لأودائك أملا ، ولأوليائك فضلًا من الزمان كلاً ٣ .

ومن شعره ٤

أهدى الزمرد مورقاً ٥ ومنوراً	عجباً تطلّع كلُّ لحظٍ أبصراً
فحسبته من قلبه ومودتي	حجراً وريحاناً يرفُّ معطراً
وزَجَرْتُ منه بأنَّ قسوته انثنت	ليناً كخدِّ منه رقٍّ وعدراً
قد كان سري فيه ممنوع الحمى	فاليوم هُتِكَ كلُّ سرٍّ سُتِرا
فلأخلعن ثوبَ الوقارِ عن الصبا	ولألبسن ثوبَ الهوى متبخترا
ولأشرين كأسَ الصبابة علقماً	حتى أغاطى كأسَ وصلٍ سكرًا
ولئن كتمتُ الحبَّ فيه صيانةً	وضنّانةً فكفى بجسمي مخبرًا
وإذا سما بسمائه بدرُ الدجى	فعليه من قلبي السلامُ مكرّرا

١ ط : من إخلاله بجلاله .

٢ س : الباصرة (اقرأ : الباهرة) .

٣ س : وكلاً

٤ انظر المسالك ١١ : ٤٣١ .

٥ المسالك : موقفاً .

٦ م : على .

واستكتبه العامل ابن القروي^١ الإسلامي ، فغاب عنه أياماً يشرب النبيذ
فلامه على خلع عذاره ، في استهتاره ، وترك خدمته ، فكتب إليه أبو الحسين :
أَمْسِكْ عَنَّاكَ^٢ إِنْ رَكِبْتَ قَلِيلاً وَاسْمَعْ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ طَوِيلاً
إِعْزَلْ وَوَلْ فِي حَدِيثِكَ آيَةٌ لَوْ أَنَّ قَوْمَكَ أَحْسَنُوا التَّأْوِيلاً
هَلَّا عَذَرْتَ عَلَى الْبَطَالَةِ أَهْلَهَا وَرَأَيْتَ رَأْيًا فِي الْمَدَامِ أَصِيلاً
هِيَ مَا عَلِمْتَ فَإِنْ عَرَّتْكَ^٣ جِهَالَةٌ فَاسْتَفْسِرْنِ مِنْ سَرِّهَا الْإِنْجِيلاً
وقال^٤ :

تَحَكَّمَتِ الْيَهُودُ عَلَى الْفُرُوجِ وَتَاهَتْ بِالْبَغَالِ وَبِالسُّرُوجِ
وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْأَنْدَالِ فِينَا وَصَارَ الْحُكْمُ فِينَا لِلْعُلُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدِّجَالُ هَذَا زَمَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

وله يخاطب بعض مَنْ نهضَ به زمانه لا إحسانه ، وكانت لداره بابان
إذا انتُظِرَ من الواحدِ طلوعه ، خرَّجَ به من الثاني عدوله عن الفضل
ونزوعه ، وفي ذلك يقول أبو الحسين وقد اختلف إليه فلم يلقه ، ولا شام
يوماً برقه :

يَا مَاجِداً وَالزَّمَانَ عَدَلْ طَالَ اخْتِلَافِي لِسَاحَتِكَ
لَقَدْ رَأَيْتَ الْغَرِيبَ حَتَّى رَأَيْتَ شَعْرًا بِرَاحَتِكَ

١ ط : ابن القدوي .

٢ م س : عتابك .

٣ م ط د س : عدتك .

٤ المسالك ١١ : ٤٣١ - ٤٣٢

٥ م : شعري .

في ذكر الأديب أبي الحسن [غلام] البكري^١ وإثبات جملة من محاسن شعره

وأبو الحسن في وقتنا بحرٌ من بحورِ الكلام ، قذفَ بدرُ النظام ، فقلَّده
أعناقَ الأيام^٢ ، أسحرَ من أطواقِ الحمام ، وأبهرَ من النجومِ العوالم ؛ من
شعراءِ الدولة العبادية ، لم تكن له رحلةٌ لسواها^٣ ، ولا قدَّمَ في غير
ذراها ، وكان أخيراً هو وعبد الجليل وأبو بكر الداني هقعةَ جوازها .
ونَسَرَ سماءها ، وطبقتها التي قال بتفضيلها الإجماع ، وشهد لها [١٠٥ ب]
العيانُ والسماع . ولما انجابت غيومُها ، وامَّحتْ نجومُها ، بخلعِ صاحبها .
خلَعَ أبو الحسنِ صنعةَ الشعرِ خلَعَ النجاد ، وتبرأ منها تبرؤ العبادية ؛
من دعوة زياد ، إلا إمامَ الطَّيْفِ بِعَيْنِ الفَرَقِ . والتفاتَ الدليلَ بِنِيَّاتِ
الطرق ، واشتمل عليه البكريون لِكَوْنِهِ إحدى ذُرَى بنيانهم . وأحدَ^٥
دعائم أركانهم . ولتعويله عليهم . وانقطاعه بالولاء اليهم ، فألحفوه نعماهم ،
وأغْنَوْهُ عن سواهم .

وقد أثبت من شعره ما يقضي له بالفوق^٦ . ويخصه بِقَصَبَاتِ السَّبْقِ .

١ اسمه حكيم بن محمد : وله ترجمة في القلائد : ٢٩٠ (وانظر ص : ٢٤٢ وعنه النفع ١ :
٦٥٧) والمغرب ١ : ٣٤٨ وبغية الملتبس رقم : ٦٩٢ والمساك ١١ : ٣٨١ ولقطة
« غلام » موجودة في فهرسة الذخيرة ، وفي المصادر .

٢ ط د : الأنام .

٣ ط : سواها .

٤ م س : العباسية .

٥ م س : وإحدى .

٦ د م س : بالفرق .

جملة من شعره

له من نصيدة أولها ^١ :

ألاحت ولا ظلماء من دونها سيدلُ عقيقة برقٍ مثلما انتضي النَّصلُ

يقول فيها ^٢ :

نَكِرْتُ الدُّنَا والأهل ^٣ فيها فليس لي
وأفردني صرفُ الزمان كأنني
فيا ليت شعري هل مُقامي لنيةٍ
وسير يخلّي المرءَ منه قرينه ^٤
فكم من حبيبٍ كان روضةً ناظري ^٥
ضحى ظِلُّهُ إِذْ كُوِّرَتْ لي شمسهُ
غبرتُ وبادوا غيرَ أنْ تلبّثي
إذا كان عيش المرءِ أدهى من الردى

بها عَقَوَةٌ آوي إليها ولا أهلُ
طيريرٌ من الهندي أخلَصَهُ الصقلُ
تصيخُ لنجواها المطية والرحلُ
فريداً كما خلّى تريكته الرألُ
يرفُ ويندى بين أفنانها الوصلُ
فشخصُ نعيمٍ لا يقومُ له ظلُ
وراءَهُمُ عيش يلدُ له القتلُ
فعائدة الأيامِ داهية خبل ^٦

١ انظر القلائد والمسالك وبغية الملتزم .

٢ يقول فيها : سقطت من م س .

٣ د والقلائد : والأرض .

٤ ط : يصيح ؛ والقلائد : تصيح بنجواها .

٥ القلائد : والرجل .

٦ القلائد : قريبه .

٧ القلائد : خاطري .

٨ القلائد : ختل .

وللناسِ هَمَّاتٌ تَبَحَّحُ بالغى^١
 اذا قنع المضطرُّ كانت بكفه^٢
 ومن راد^٣ لم يعدم من الله نجمة^٤
 رأيتُ النهى في المرءِ فضلاً يشفه^٥
 ومن ميزَ الدنيا بتمييزِ أهلها
 فيا ليت علمي^٦ فيهم أنه عَمى
 وطئتُ من الأيام أحسنَ جانبِ
 ولكت من الأعداءِ شرِّي ضغينة^٧
 وقارعتهم حتى فلتتُ شبَّاتهم^٨
 ولكنَّ صرفَ الدهرِ قرْنٌ إذ سطا

ومنها^٩ :

وان كان جمعاً ضمته اللؤمُ والبخلُ
 مقاليد^١ لم يَبْهَمَ لها أبداً قُفْلُ
 ففي كلِّ محلٍّ من غمامته وبَلُّ
 ولكنَّ مَنْ يحويه ليس له فضلُ
 تبيَّنَ أنَّ العقلَ مثلُ اسمِهِ عقلُ
 وحلمي الذي أشقى به أنه جهلُ
 فهل لي منها حانب دَمِثٌ سهْلُ
 لبستُ بها ماذيةً بجها النحلُ
 بِسُورَةٍ عَزُّ لا يكفكفها الذلُ
 يخرُّ حفافيه^٢ الفوارسُ والرجُلُ

حُبِسْتُ كما ضَمَّ المهنَّدَ غِمْدُهُ
 وَعَرَيْتُ من مالي وما ملكْتُ يدي

وقُبِدْتُ مثلَ القَرَمِ يَضْغُطُه العَقْلُ
 كَأَنِّي مِنْهُ مُحْرِمٌ ما له حلّ

١ م د : تبجح ب : م : بالقنا د س : فالقت .

٢ القلائد : مفاتيح .

٣ ط : داك ب د : ذاك ب م : أراد .

٤ م س : تحفة ب ط : نعمة .

٥ د : يشفه ب ط : يشيفه .

٦ م : شعري .

٧ م : ولو كنت من . . . أسرى صغينة ب ط : طعينة د س : ظمينة .

٨ د : يجر حفافيه ب ط : يجد حفافيه .

٩ ومنها : سقطت من م س .

أري أعين الأعداء بِشْرَ طَلاَقَةٍ
فمن لي بأنّي في جناح غمامةٍ
وأوجهُ آمالي مُقَطَّبَةٌ طُحْلُ
لها بارق نحو الأَجَبَةِ مُنْهَلُ

وله من قصيدة^١ في المعتمد^٢ :

مضيتَ كما يمضي الحسام المصمّم
وأُسْفَرَ من مرآك صبحُ مَسْرَةٍ
تحفُّ به الأجنادُ؛ تخطرُ بالقنا
لك العزّاماتُ النافذاتُ التي بها
سيعلمُ من ناواك أنتك لا الذي
دعِ السيفَ يُوْهي ما بناه فإنما
لكيما يُقرَّ الشاغون أنوفهم
أحلّك ربعَ الملكِ^٣ مجدّ مؤثّل
لِتَرْبَأَ^٤ بك الأيام عن حدثانها
لربّك يتخذي كلّ نِضْوٍ كأنها
ويومِ كريغانِ الشبابِ شَهِدَتْهُ

وأبنتَ كما آب الحيا المتبسّم^٥ [١٠٦]
تجلّى به قِطْع من الليل مظلم
فخلناك بدرَ التيم حَقَّتْهُ أنجم
رأينا قناةَ الدين كيف تقوم
يتخيمُ عن الحرب العوانِ ويُحجم
على السيف أن يبني بما هو يهدم
بأنّ علاكم للمعاطسِ مرغم
وسرو على مرّ الحديدِ قشع
فلنك في يَهْماءِ دهرِكَ مَعْلَمُ
قسيّ عليها من عُفَاتِكَ أسْهُمُ^٦
يقيناً ولم يطمعْ إليه التوهم

١ س م : قصيد .

٢ المسالك ١١ : ٣٨٢

٣ ط د : المنسم .

٤ م : الأحياد .

٥ وقع هذا البيت رابعاً في م س .

٦ ط د : المجد .

٧ ط : لنقرأ (اقرأ : لتقرأ) .

٨ اقترن الشطر الثاني من هذا البيت بالشطر الأول من البيت السابق في م .

فما خلتُ أن البحر يحويه مجلسُ
لقد طَرَزْتَ نِعَمًاكَ يَمَنَةً منطقي
لك الخيرُ إنَّ القلبَ واعٍ وإنما
ولولا الأسي ما رقَّ شعْرُ مهلهلٍ

وله من أخرى^٢ :

ولا يحتمي وَسَطَ البدي يلملم
فراق بها وشيُ القريضِ المسهم
يبوحُ بما فيه اللسان المترجم
ولا حاز سبقاً في الرثاء متمم

إذا أنت عاينتَ الأنامَ ودهرهم
تأهلَ قلبي وحشة حَشَتِ الحشا
فلا جَبْرَةٌ^٣ إلا إراقةُ عبرةٍ
هما نصرتَا من لم تؤيده قدرةُ
تدرَّعتُ قلبي جرأةً وحزامةً
فإن خدعتُ دنياي مني مُنْجداً
وإن أفتقِدَ عزمي فقد أظأ العدا
هبتُ عليهم بالردي فاطرُهم
علَّوْا وهووا من غير نفعٍ كأنهم
أرى النقص عازاً في الجوارح والنهي

تري نَقْدًا يَأدُو لِغِيَرَتِهَا سِمْعُ
وأقفر من أنسٍ كما أقفرَ الربع
وزفرةٌ منجودٍ يقومُ لها الضلع
وبش النصيران التنفسُ والدمع
ومن يدَرِّعُ قلباً يَهْنُ عنده الدرع
فإنَّ سرابَ القاعِ شيمتهُ الخدَعُ
بأخمَصِ ضيمي مثلما يوطأ الفَقْعُ
كما نفحتُ عَصْفًا مؤوِّبةً مِسْعُ^٤
سماء ولا رجَعُ وأرض ولا صدع
فما لقمي أخذ ولا ليدي منع

١ م س : فلولا .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ م س : خبرة .

٤ من قول الهذلي : « قد حال بين دريسيه مؤوبة ، مسع . . . » والمؤوبة : ريح تجمي مع الليل والمسع : ريح الشمال .

أصونُ بِيذلِ الجهدِ عِرْضي وإني
وأفتِشُ أعضائي مخافة أن يرى
وأصميتُ أفواه الرواةِ بمقولِ
وله من أخرى في المعتمد :

فرعت الصبّاصي بِشُعْثِ النواصي
خميس يضاها الحيا المكفهر^١
ودانيت حتى تغور الظبا
وخلقت قتلك لما عتا
تجاجزُ عنه^٢ العلا فُرْكا^٣
يراعيك مرتقباً مثل ما^٤
فخفّضت من طَرَفِهِ إذ سما
وعاودت قمرطبةً عند ما
ومنها^٥ :

فلو أن جدّي كودتي لكم
أليس ثنائي وسط الندي
لبوّاني الجدُّ أعلى الرتب
يجرُّ الما قول أن تختطب

١ ط د : ملح .

٢ في النسخ : قليل .

٣ د : بادي .

٤ م س : تحاد عنه ؛ ط د : تحاجر .

٥ ط د : بركا .

٦ ط د : كلما .

٧ ومنها : زيادة من م س .

أَلْطَّ الرِّوَاةُ بِهِ فَازْدَهَتْ فَلَانْدُهُ فِي نَحْوِ الْكُتُبِ

وله في القاضي أبي عبد الله بن حمد بن يشفعُ لبني البكري :

بعدلك رِشْتِ جَنَاحِ الْقَضَاءِ	وَسَرَبَلْتِ حُكْمَكَ ثَوْبَ الضِّيَاءِ
وصارتُ خطاك على منهجٍ	من القصدِ بين السَّنَا والسَّاءِ
ومدَّتْ ظلالُك نارَ الهجيرِ	ودرَّتْ سَماؤُك بالجرِيبِ
وقد كنتُ فيك سيما التقى	كما كمن العودُ تحت اللحاءِ
وما يُحَمَّدُ الرَّعْيُ في كلِّ وادٍ	ولا يوجدُ الرِّيُّ في كلِّ ماءٍ
ختمت القضاء بحكم الإله	كختمَةِ أَحْمَدٍ لِلْأَنْبِيَاءِ
دُعِيتَ بِكُنْيَتِهِ واسمِهِ	فَنورُ الْهَدْيِ طَيِّ ذَاكَ الدِّعَاءِ
أَهْنَيْكَ لَا بَلْ أَهْنَيْ الْوَرَى	بَأَنْ فَازَ نَقَبُهُمُ بِالْهِنَاءِ
طلعت لهمُ وَسْطَ عَدِيَاءٍ لَا	تَرَى الْعَيْنُ فِيهَا سَبِيلَ اهْتِدَاءِ
ولحت منار هدى نارهُ	يُؤرِّثُهَا مَلَكُوتُ السَّمَاءِ
فَهَدَيْكَ شَمْسُ يَطِيرُ الضَّلَالُ	شَعَاعاً بِأَرْجَائِهَا كَالْهَبَاءِ
وسَعَيْكَ فِي ذَاتِهِ لَمْ يَزَلْ	يَبِيعُ الْجَنَى فِي جَذْوَعِ الْأَشْءِ
فَحُطُّ أَفْرُخاً ضَمَّهُمْ فِي يَدِكَ	حَمِيمِ ثَوَى فِي رُبُوعِ الْفَنَاءِ
أَغَاضُ الرَّدَى مِنْهُ مَاءُ النَّدَى	وَأَخْمَدُ مِنْهُ شَهَابُ الذِّكَا
يُضْمِكُمَا مُنْتَمَى وَائِلٍ	وَقُرْبُ النُّفُوسِ أَجَلُ انْتِمَاءِ
وأكرمُ حَيٍّ وَفِي رَعْيٍ	أَذْمَةُ مَيِّتٍ كَرِيمِ الْإِخَاءِ

١ في هامش ط بخط الأصل : انظر هذا التمثيل البشيع ، فليته لم يمثل به .

همُ كبنيك فان تَحْمِيهِمْ^١ تَلْ من إهلك حُسْنُ الجزاءِ^١
 وتبدو مساميك وضاحاً^٢ تُعِيرُ الدجنة بِشَرِّ الضحاءِ^٢
 وليست ببيدعٍ فكم مثلها صنعت وأوليت في الأولياءِ [١٠٧]
 وذلك أنك من أسرة^٣ مهذبة كقلاح السراءِ^٣
 نصت^٤ منك تغلب مشحودة^٤ مصمتة في المجنّ السواءِ
 فمن شام برقك لم يعتمد^٥ ترك يبذر بطيء النماءِ
 بعثت إليك بها راية^٦ تقود لواديك سرح الثناءِ
 ولم يأتك الشعر من بابه ولكنه واثق بالوفاءِ

وله من أخرى يصف بعض المصانع^٦ السلطانية المعتمدية^٧ :

أقرن الغزالة أم معقل^٨ يكاد الحمادُ به يعقل^٨
 قرارة أنس تين^٨ الطباء به والضراغة البسل
 تجرد أفواهها في الصفا سيوفاً بشمس الضحى تُصقل
 وليست سيوفاً ولكنها لظامي الثرى منهل سلسل

١ ط : العزاء .

٢ د : نشر الضياء .

٣ السراء : ضرب من شجر القسي ، الواحدة سراءة .

٤ ط د : قضت .

٥ سقط البيت من م س .

٦ م س : المصانع .

٧ انظر المسالك ١١ : ٣٨٣ .

٨ تين : تقيم .

٩ ط د : بصافي ؛ د : النلى .

تشق^١ المياهَ بهنَّ المياهُ
محاسنُ للروضِ فيأضة^٢
ترضعُ أطفالَ أشجارها
يلي الحوضَ مذبذبهُ مثلما
تلفُ الثرى في برود الربيع
وفي صحنٍ ساحتها^٣ مجلسُ
كأن تماثيلَ جذرانهِ
تُبينُ بفصلِ الخطابِ الفصيح
وترنو وما راقها منظرُ
تودُّ الكواكبُ لو أتتهُ
ولو ظفرتُ بالمنى لم تزلُ
كأنَّ أعاليه روضة^٤
ينمُّ سناهُ بأسرارهِ
ويجري عليه فرند^٥ الحبورِ
وتكرعُ في ماء لآلئهِ
فلو أنَّ زهرته للهجير

كما شقَّ في الأثمة المنصل
بها تضعُ الأرضُ ما تحمل
ضروعُ مثاعبها الحفل
جنا^٦ الردفِ واندمجَ الأيطل
إذا عزَّت الروضة الشمال
شروءُ اللحاظِ به يُعقلُ^٧
على مَنْ يقابلها تُقبِلُ
لديك وإن أخرسَ القول
وتُصغي وما رابها أزمَلُ
لها يعتلي^٨ أو له تنزل
خفافيه تطلعُ أو تأفلُ
ومرمرُ أسفله جدول
فتعلم عينك ما تجهل
فكلُّ كتيبٍ به يَجندَلُ
ظماءُ العيونِ ولا تنهل
بدا^٩ ورْدُهُ وشدا البلبل

١ تشق : بياض في ط .

٢ جنا : مخفف جنا أي احدودب ومال ؛ وفي الأصل : جنى ؛ المسالك : جنا .

٣ المسالك : صفحته ؛ م س : صاحتها ؛ ط : ساجته .

٤ ط د : تعقل .

٥ ط د : له تمتلي .

٦ ط : فريده .

٧ ط د : للنجوم ؛ م س : بقى .

وله من أخرى ، أولها :

شكري لنعمائك شكرُ الروضِ للديمِ
أبتُ خِلَالُكَ إِلَّا كُلَّ مَكْرُمَةٍ
سَجِيَّةٍ فِي الْعَلَا شَابَتْ ذَوَائِبُهَا
جَيْشُ أَيْادِيكَ الْحَسَنَى تَقْدُ لِحَبَا
تَهْزَمُ أَعْمَادِيكَ اللَّاتِي إِذَا فَحَصَتْ
وَالْقَوَا انْعَاشَكَ عِنْدَ الْعَثْرِ^٢ مِنْفَرْدًا
وَالْفُظْ جَنَادُ^٣ وَإِنْ لَذَّتْ مَذَاقَتُهُ
كَمْ مِنْ سَرِيرَةٍ عَلَيَا بَثَّ أَثَرُهَا^٤
وَمِنْ أَفَانِينَ صُنْعٍ كُلُّهَا نَعَمْ
مِنْ أَيِّ قَطْرٍ يَكْرُ الْخَطْبُ تَصَدَّمُهُ^٥

فاقطفُ بأيدي الأيادي روضةَ الكلمِ
بَثَّ^١ لَكَ الْحَمْدَ فِي عَرْبٍ وَفِي عَجَمِ
وَهَمَّةٌ نَشَأَتْ فِي تَرْبَةِ الْكَرَمِ [١٠٧ب]
وَاجْعَلْ سِلَاحَكَ مَا تُسَدِّدُهُ مِنْ نَعَمْ
عَنْهَا الْمَكَارِمُ لَمْ تَوْجَدْ مِنْ الْأُمَمِ
بَلَا أَخٍ كَانْفَرَادٍ الصَّارِمِ الْخِذَمِ
فَرَبَّمَا شَرِيقَ الْغَصَّانِ^٦ بِالْشِّمِ^٧
لَكَ الْمُهَيْمَنُ^٨ بَيْنَ الْوُجْهِ وَالْقَلَمِ
لَدَيْكَ تَرْمِي الْقَذَى فِي أَعْيُنِ النِّقَمِ
وَإِنْ عَمَرَتْكَ^٩ الْمَنَابِيا الْحَمْرُ لَمْ تَحْمِ

ومنها^٩ :

لولاك لم تتنظم في السلكِ لؤلؤة ولا غدا الشعب منه جدًا ملتئم

١ ط د : بَثَّ .

٢ د : الْوَفْرِ ؛ ط : الْوَرِ .

٣ م س : جَفَاد .

٤ ط د م : بِالْشِّمِ ؛ س : بِالْشِّمِ .

٥ د : بَثَّ أَثَرُهَا ؛ س : بَثَّ لِشَرِّهَا .

٦ د : فَكَّرَ ؛ س : قَصَرَ .

٧ م : تَصَرَّفَهُ .

٨ د : عَتَلَتْكَ .

٩ ومنها : تَبَرَّدَ فِي م س .

واليت^١ سعيك بالتقوى فشافه^٢
 فمجتنيك كمرتاج^٣ رمى نظراً
 ومجتويك كمغرورٍ أجالَ يداً
 دلائلُ الفضلِ في الساداتِ واضحة
 تبلى الليالي ولا تبلى عرائيكها
 همى حياك فأحيا ميت كل ثرى
 من لي بتأدية^٤ الشكر التي كتبت
 حملتني منه ما لو حلّ في جبلٍ
 ما لي سوى العجز^٥ والتقصير من وزر

بين الملماتِ نُجْحُ الله من أمم
 في ناضرٍ من رياض الحزن مبتسم
 في مُزْبِدٍ من عُبَاب البحر ملتطم
 منها الوفاءُ ومنها الرعي للذمم
 وربما جدّدَتْها لبسةُ الكرم
 ولاح بَرَقُكَ وضاحاً لكل عم
 جدواك أسطره في صفحتي عدي
 لرضاءٍ رضوى وآدَ الركن من إضم
 فاعذرْ شكوركَ بعضَ العذر أو فلم

١ ط د س : وانيت .

٢ م س : فشافه .

٣ ط د : فمجتنيك : كمرتاج : بياض في ط ؛ د : كثرثار .

٤ م س : الدهر .

٥ د : بتأدية ؛ م ط : ببأدية .

٦ في النسخ : الفخر .

في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشتمري^١ وإببات جملة من نظمته ونثره^٢

وأبو الحسن غربي^٣ النشأة ، شتمري الأفق ، شاعر^٤ نائر ، وله من المعرفة بلسان العرب حظ وافر ، وكلامه^٥ في المماثلة والسجع^٦ : جارٍ على الطبع . ذاهب^٧ بين الجزالة والحلاوة ؛ من رجل شديد الحياء : كثير الانقباض والانزواء . يرى الكتابة^٨ عليه من أشق^٩ الأشياء . لا لبو^{١٠} طبع^{١١} وقلّة^{١٢} أدب . بل لضعف^{١٣} عصب ، فكان لا يكتب^{١٤} الرقعة^{١٥} إلا في مدّة . وكثير^{١٦} من الكتاب يشق^{١٧} عليه الكتاب : لزمانة^{١٨} تكون في يده . أو إفراط^{١٩} ضعف^{٢٠} في خطه . وبما^{٢١} أثبت^{٢٢} هنا من نوعي^{٢٣} كلامه ، في نثره ونظامه : شاهد^{٢٤} على ما وصفته به : ومنبه^{٢٥} على فهمه وأدبه .

١ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٩٧ ورايات المبرزين : ٣٥ (غ) وذكر محقق المغرب أن له ترجمة في المسالك ٨ ، الورقة ٣٣٤ .

٢ م س : نثره ونظمه .

٣ م س : عربي .

٤ ط د : ومما .

جملة من نثره

له من رفعة في استدعاء خلطة : المحاسن - أعزك الله - على رُتب وأحوال ، وصُورٍ وأشكال . فأحقها بالإعظام والإجلال ، ما كان منها في الخصال والخلال ، وما يتلى من آيات براعتك ونبلك . ومعلّواتِ حَسَبِكَ ونسبك . بَعَثَ على التطارح عليك ، والحنين إليك ، وكم حننتُ إلى المخاطبة فملكني عنها ارتيادي لها سبباً^١ يوطئ^٢ لها كَنَفَ [١٠٨ أ] القبول والارتضاء . إذ الهجوم عليها عندهم ضربٌ من الجفاء^٣ ، والحنين في خلال ذلك يتزايد ويتصاعد^٤ . إلى أن بلغ بي غاية ملكتي عن التمالك ، وأمسكتني عن التماسك .

وفي فصل من أخرى : لو كان البدارُ ، إلى المخاطبة بحكم الاعتقاد ، وعلى حسب المحبة والوداد . لكنتُ أوَّلَ مَنْ أَعْمَلَ كَلِمَةً في مكاتبتك ، وأرسلَ قلمه لمخاطبتك^٥ . لكنَّ المخاطباتِ بين الناس قلما تقعُ إلاَّ بعِللٍ وأسبابٍ : كالدخولِ قلما يكون إلاَّ على باب^٦ .

١ م : سنى ؛ س : سنا .

٢ انظر ص : ٥٢٧ س ٦ - ٧ حيث كرر ابن بسام نفسه هذه العبارة .

٣ س : يتصاعد ويتزايد .

٤ م : البدر .

٥ م : بمخاطبتك .

٦ انظر أيضاً ص : ٥٢٧ س : ٦ .

ومن أخرى له^١ إلى الوزير الفقيه أبي الحسين ابن سراج : مثلك - أعزك الله - لا يُغَرَّبُ عليه بمقال^٢ . ولا يُقَعَّقَعُ له باحتفال^٣ ، فإن العلوم الشريفة بأصلها . والآداب الرفيعة بجملتها ، مشهورة بروايتك ، محصورة بدرايتك ، محظوظة بحِفْظِكَ لها^٤ . مَحْوَطةٌ بإحاطتك بها . والبلاغة التي هي أفضل ثمراتها . وأطيب طبيباتها ، لا تعزى حقائقها إلا إليك ، ولا تُلْفَى^٥ معجزاتها إلاَّ لديك ، ولا يُقْتَدَى في سُنَنِها إلاَّ بك ، ولا يُعْتَرَفُ فيها بالعجزِ والتقصيرِ إلاَّ لك ، ولذلك^٦ أوجزتُ في كتابي هذا ، وتركتُ طريق^٧ السجع حياءً من التعرض لصناعةٍ قد انفردت أنت بفضلها ، وسبقت أهل الزمان في ميدانها ، وأخذت عليهم مسالكها ، وأحرزت شرف الدلالة^٨ في مجاهلها .

وله من أخرى : كلُّ فَعَالٍ يَقْصِرُ عن فَعَالِكَ . وكلُّ إجمالٍ يَنْزُرُ عند^٩ إجمالِكَ ، وإنك فاضلُ أَهْلِ زَمَانِكَ . ومقلةُ عَيْنِ أَوَانِكَ ، فلو خاطبتُكَ بلسانِ الوائليِّ والإياديِّ^{١٠} مخاطبةً جريتُ معها طَلَقَ الجُمُوحِ ،

١ له : زيادة من م س .

٢ ط د : يعزب عليه مقال .

٣ م س : باحتمال .

٤ لها : سقطت من م س .

٥ ط د س : تلقى .

٦ ولا يقتدي . . . ولذلك : سقطت من س م .

٧ م س : طريقة .

٨ س م : الأدلة ؛ د : الدالة .

٩ ط : عن ؛ د : عنه .

١٠ الوائلي : سحبان وائل ، والإيادي : قس بن ساعدة .

وهبّت لها هُبُوبَ اليمانيةِ النفوح^١ ، وشحنتها بفصولِ الإِعظامِ والإِجلالِ ،
وبلغتُ بها غايةَ^٢ الاحتفالِ ، سعايةً في الوصولِ إلى قضاءِ حقِّكَ ، وعنايةً
بأداءِ الواجبِ المتعيّنِ لك ، لكنّني في ذلك كمن جال في مناكِبِ الأرضِ
يرومُ الإِحاطةَ بساحتها ، والوقوفَ على حقيقةِ مساحتها .

وإذا كان التّطويلُ ، لا يُبلِّغُ معهُ المأمولُ ، فالإِضرابُ^٣ أَجملُ ،
والخطابُ دونهُ أَسهلُ ؛ بهذه العينِ نظرتُ ، بعد ما صدرتُ ، ولذلك ما
قَصَّرتُ واختصرتُ ، فحبستُ العنانَ في أولِ الطَّلَقِ ، وصرفتُ العنايةَ
لها إلى الأحقّ بها والأخْلَقِ ، وصرفتها إلى أن جمعتُ بين الاختصارِ والاعتذارِ ،
وتشفّعتُ بالاقرارِ إلى الاغتفارِ^٤ . وإنّ ذلك لما يجعلُ المَعذرةَ في حيزِ
الاعتذارِ . لا سيّما عند مَنْ أصله أَصلُكَ ، وفضلهُ فضلكَ ، ممّن إذا
تُشَفِّعَ إليه ، ورُغِبَ فيما لديه ، جاءتِ الشفاعةُ بين قريبتين : من شرفٍ
قديمٍ^٥ ، وسلفٍ كريمٍ ، ومعونتين : من سريرةٍ جميلةٍ ، ونخيزةٍ نبيلةٍ .

وفي فصلٍ له من أخرى : ومن الحقائقِ التي بَرَحَ فيها^٦ الخفاءُ ، واستوى
في علمها العلماءُ والجهلاءُ ، وأقرَّ لها الأعداءُ والأولياءُ^٧ ، أني متى أهَبْتُ
بك إلى الإِخاءِ . وهزّزْتُكَ بِوَصْفٍ ما أنا عليه في الخُلوصِ والصفاءِ ، فإنّما

١ النفوح : سقطت من س م .

٢ م س : أبعد غاية .

٣ ط : فالاضطراب .

٤ س : الاعتذار

٥ قديم : زيادة من س م .

٦ س : معها .

٧ س م : وأقر بها الأعداء كما أقر بها الأولياء .

أهبتُ بمن له في الكرم ، شهرةُ العَلَمِ ، وفي السؤدد ، منزلةُ الصَرْقَدِ ،
ويأبى - لا محالة ١ - ذلك الكرمُ الراسخُ ، والشرفُ المنيفُ الباذخُ ، إلاَّ
أن يبلّغاني من ودك أُملي ، ويعطيني من جميلِ اعتقادك حتى أقولَ :
بِجَلِّي ، وينقلاني من الوقوف على فضلك بالأخبار ، إلى الوقوف عليه
بالاختبار ، فيصيرَ علمي بكَ علمين ، ويقيني بكَ يقينين ، لا زال الزمانُ
يُبْدي من أسرارِ فضائلك ، ويُهدي من أزهارِ شمائلك ، ما يَصُورُ
القلوبَ ٢ إليك ، ويطالبُ الألسنةَ بالدعاءِ لك والثناءِ عليك .

وله من رقعة عتاب : إِنَّا لله ، لقد غرقتُ من غِشِّكَ في بحرٍ عميقٍ ٤ ،
وامتَحِنتُ منكَ بعدوً في ثيابِ صديقٍ ٥ :

ومن تَكَدَّرَ الدنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بُدْ ٦

وقد كنت خاطبتك - لا مَسَّكَ خَطْبٌ ، ولا فُلَّ لكَ غَرْبٌ ، جارياً
- علم الله - إلى التحقيق ، آخذاً بما يلتزمهُ الصديقُ للصديق ، [١٠٨ ب]
غيرَ ملتفتٍ إلى تلك البوادرِ التي كانت الدعاةُ تجربها ، وإدلالُ الودادِ السببَ
فيها ، وما كان في كتابي شيءٌ يَتَّهمُهُ مَنْ أخلَصَ نيةً ، وأوى إلى حُسْنِ

١ ط د : ويأبى ذلك لا محالة .

٢ ط س : يصون .

٣ م : القلب .

٤ ط م س : غميق .

٥ من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف له عن عدو في ثياب صديق

٦ للمتنبى ، انظر دهبانه : ١٨٤ .

طويّة ، اللهم إلا إن كان ما ضَمَّنْتُهُ من التبجيل ، قد حَرَفْتُهُ عن الوجه الحميل ، وتأوَّلْتُهُ أقبح التأويل .

قال ابنُ بسّام : ومما لوَّح فيه بالعتاب ، وزخرفَ بالتصنّع ظاهر الخطاب ، رقعةٌ خاطب بها مَنْ أَحوجته الأيامُ إلى مصانعته ، وقد بدّت منه بَوادٍ صوّبَ فيها وصعد ، وقام وقعد ، قال ٢ فيها :

معلومٌ — أعزّك الله — أن لكلِّ مقامٍ مقالاً ، ولكلِّ ٣ حالٍ تناولاً وحوالاً ، وكما لا يصلحُ الإكثار في كلِّ خطاب ، فكذلك الاختصارُ لا يسوغُ في كلِّ كتاب ، وفي النفسِ كوامنٌ لا يمكنُ تبينها عليك ، وتقريرها لديك ، إلا بالتطويل ، وإن أصرّ إلى التثقيب ، وأنت بعُلاكَ تصرفُ إليها بالك . لما وهبَ لنا أيها العمادُ من عرفانِكَ ما وهبَ ، وسبَّبَ من التعلّقِ بك ما سبَّبَ ، رأيتني قد رقيتُ إلى جوار الأفلاك ، وجعلتُ الأخمصَ على ذروة السّمك ، لما رجوتُ من الاعتزاز بجانبك العزيز .

وفي فصل منها : ولاني بحمدِ الله لمَنْ إذا عَلِمَ أَكْرَمَ ، وإذا جُرَّبَ قُرَّبَ ، وإذا خَبِرَ ادَّخِرَ ، أما الإكرام فلما أحملهُ من الأدب ، الذي به يُرتقى إلى عليّاتِ الرُّتبِ ، وأما الادّخار فلا اعتدالي في أحوالي ، وثقةٌ جعلها الله من خلالي ، وعندِي من الآلات التي تبعثُ على اتخاذي واستعمالي :

١ ط م س : بوداد (واقراً : بوداد) .

٢ موضع قال : بياض في ط .

٣ م س : وان لكل .

٤ م : وحذالا ، س : وخلالا .

٥ ط د : أخبر .

أني أقولُ من الشعر أبدعهُ ، ومن النثر أرفعه ^١ ، وأنقدُ النقدَ الذي قلُّ من يجاريني فيه ، ويباريني ^٢ في التكلّم على معانيه ، وإن كان خطي لا يلحقُ بالخطوطِ القوية الكتابية فإن ضعفهُ لتميمةً على جيدٍ لفظي ، ونميمةً على ذكاءٍ فهمي واتساعٍ حفظي ؛ فمن المعلوم المعروف ، أن العلماء مخصوصون بضؤولة الخطوطِ ولطافة الحروف ، فكلُّ ^٣ يشهدُ أنني أنهضُ إلى المطولات ، وأقندرُ على المخاطبات السلطانيات ، وما أنا ممّن يفتخر بخدمة الزمام ، ويجعلها ذريعةً ^٤ إلى الإكرام :

معاذٍ إلهي إنني وعشيرتي بنفسي^٥ عن ذاك المقامِ لراغبُ

ولكنني أفتخرُ - عند الاضطرار إلى الافتخار - أني حاملُ روايات ، وحافظُ لغات ، وذو شمائلٍ تُنسبُ إلى مكرمات ، وما تطارحتُ قطُّ على زاهدٍ فيّ ، ولا أظهرتُ حرصاً على غيرِ حريصٍ عليّ ، بل كنتُ أقابلُ الإباءَ بنظيره ، وأظهر الاستغناء بظهيره ، وأنشد :

ولستُ بساقطٍ في قِدرِ قومٍ وإن كرموا ، كما يقعُ الذبابُ ورائي مذهبٌ عن كلِّ ناءٍ بجانبه إذا عزَّ الذهابُ

ولست أضربَ المثلَ في سقوطي عليك ، وانجذابي إليك ، ولكنني أقول :

١ د : أسمعهُ ؛ ط : أبد (ثم بياض) .

٢ ط : ويماريني ؛ د : ويماريني .

٣ م س : وكل .

٤ ذريعة : سقطت من ط : وفي م : خريعة .

٥ م : ونفسي .

لإني أسقط^١ سقوطَ الطلّ على الرياض ، وأتزيّن^٢ بخدمتك تزيّنَ الجمالِ
بالبياض .

وله فصل في صفة القلم : بخطّ البراعة ، يُنالُ حظّ البراعة ، وأفضلُ
أقلامِ الكتاب ، المنتخبة للكتاب ، ما لم يكن في طوله تعوّج ، ولا في صلابته
ترجّج^٣ ، وكانت خصوصيةُ العنصرِ الذي نماه ، وسجيّةُ المنبتِ الذي إليه
متماه ، قد أخذت به ما بين الدقّة المتناهية التي لا تُستَحسَن^٤ ، والغِلَظِ
المفرطِ الذي يُستَحسَن^٥ ، وأقرّنه^٦ على المقدارِ الذي لا يقعُ اختيارُ الكاتبِ
على سواه ، ولا يتعدّاهُ اقتراحهُ ولا يتخطّاهُ ، ثم انتحى برّيه ذو يمينٍ
رفيقة ، وسكتين رقيقة ، فأجاد الشق وأحكم القطّ ، وجاء به غير شاقّ
ولا عاق^٧ ، سَلَسَ الحريان إذا أرسل ، موافقاً للبنان إذا أعْمِلَ ، مُعْطِياً
لقيامه ، غيرَ بخيلٍ بمداده . تبناه الأناملُ فترأّمهُ ، [١٠٩ أ] وتواصلُ
العمل به فلا تسأّمهُ .

قال ابن بسّام : ومن البديع في وصف القلم ما حكاه العتّابي عن نفسه
قال : سألتني الأصمعي فقال : أيُّ الأنابيب أصلحُ للكتابة وعليها أصبر ؟
قلت : ما نَشِفَ بالهجير^٦ ماؤه ، وسرّ^٧ عن تلويحه غشاؤه ، من التبريّةِ

١ إني أسقط : زيادة من م س .

٢ م س : وأقربه .

٣ ط : شان ولا عان .

٤ ط د : معط .

٥ زهر الآداب : ٦١٩ .

٦ م س : في الهجير .

٧ زهر : وسيره .

القشور ، الدرية الظهور ، الفضية الكسور ؛ قال : فأني نوع من البري
أكتب وأصوب ؟ قلت : البرية المستوية القط ، عن يمين سنّها برية تأمن
معها المجّة عند المطّ ، الهواء في مشقّها فتيق ، والريح في جوفها خريق ،
والمداد في خرطومها رقيق . قال : فبقي الأصمعي شاخصاً إلي ضاحكاً لا يبحر
مسألة ولا جواباً^١ :

وهذه أيضاً^٢ قطعة من شعره

قال يتغزل^٣ :

أملّي من الدنيا تيسّرُ خَلْوَةٌ أبكي بها وأبثُ سرّاً هواكِ
حولي وحولك أعين ومسامعٌ أخفي الهوى عنهنّ عند لقاكِ^٤
حذراً عليكِ فديتِ بي ومخافةٌ أن يقصروكِ^٥ ويحبجوا مرآكِ^٦
لولا الحياءُ وأنّ تشيع سريري لنثرتُ^٧ شمل الدمعِ حين أراكِ

ومن شعره الطيار الملبح ، المتناهي في خفة الروح . قوله^٨ :

١ لا يبحر . . . جواباً : سقط من م س .

٢ أيضاً : سقطت من م س .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٩٧ .

٤ المغرب : إذ ألقاك .

٥ س : يبصروك .

٦ ط د : مأواك .

٧ المغرب : بددت .

٨ البيتان في المغرب ، وقد وردا في الذخيرة ٣ : ٩٠ ؛ ونسبهما صاحب الذخيرة له هناك أيضاً ،
وصرح ابن سعيد بأنهما قد ينسبان أيضاً لأبي محمد ابن سادة .

أَسْنَى لِيَالِي الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ لَمْ أَخْلُ فِيهَا الْكَأْسَ مِنْ إِعْمَالٍ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جَفْنِي وَالْكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخَلْخَالِ

وقوله :

لِلْحَسَنِ فِي خَلْقٍ مِنْ أَهْوَى خِلَاقِهِ رَوْضَ بَيْتٍ بِسَيْفِ اللَّحْظِ مَحْمِيٍّ
فَالْجِدُّ سَوْسَنَةٌ وَالْعَيْنُ نَرْجَسَةٌ وَالْخَلْدُ وَرْدٌ وَذَاكَ الْخَالُ خَيْرِيٍّ

وقال :

لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْحَيَاءُ بِصَفْحَةٍ لَمْ تُبْقِ عِنْدِي لِلتَّجَلُّدِ مَذْهَبًا
كَانَ الْبَيَاضُ بِهَا بَلِينًا خَالِصًا فَأَحَالَهُ فَعْدًا^١ بَلِينًا مَذْهَبًا

وقال :

أَبْدَى الْحَبِيبُ تَعْجِبًا مِنْ طَوْلِ مَكٍّ ثَ الْوَرْدِ عِنْدِي عِنْدَمَا أَهْدَاهُ^٢
لَمْ يَدِرْ أَنَّ دَوَامَهُ فِي مَتَرِي مِنْ أَجْلِ أَنْ^٣ مَدَامَعِي سَقِيَاهُ

وقال :

وَصَافِيَةٍ كَمَعْتَقَدِ الصَّدِيقِ لَهَا فِي الْكَأْسِ إِيْمَاضُ الْبُرُوقِ
كَأَنَّ بَكَاسَهَا مَا تَشْتَكِيهِ^٤ قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ مِنَ الْحَرِيقِ
إِذَا قَبَضَتْ يَدُ السَّاقِي عَلَيْهَا رَأَيْتَ لَهُ أَنْامِلَ^٥ مِنْ عَقِيقِ^٦
شَرِبْتُ وَصَاحِبِي عَذَبُ الثَّنَايَا يَعْطَلُنِي لَمَاهُ^٧ عَلَى الرَّحِيقِ

١ د : ففدي .

٢ م س : تشتهيه .

٣ ط : عقوق .

وقال :

وصهباء لم تُمسَسْ بنارٍ ولم تُذَلْ بعَصْرِ ولم^١ توهَن^٢ قواها^٣ بماءٍ
لخاني عليها مَنْ لَخَا فزجرتهُ وقلت له : مَهْ لستَ من قُرْنائي
سأشربها ما سَوَّغَ الدهرُ شُرْبَها وعفُو إلهِ العالمين ورائي

ومما أبهم فيه ، وإنما يكني عن قَدَحٍ فخَّارٍ مزفت^٣ قد اتخذ للمشروب :

وخلُّ^٤ إذا قلَّ المَجِيون لم يزلْ إلى كلِّ ما أَدْعُو إليه مجيبي
غدوتُ أخا التوفيقِ لما اتخذتهُ أديبَ السَّجَايا وفقَ كلِّ أديب
تخيرتهُ من نجيرِ آدمَ خالصاً فكان أخِي في نَجْرِهِ ونَسِيبِي [١٠٩ب]

وله يمازحُ بعضُ إخوانه :

خُذْ ما أتاكَ من الزمانِ ولا تُطِلْ في إثرٍ ما قد فاتكَ البُرَحَاءُ
ماذا ترى في فلذة^٤ شراشة ورُقاقة ورقيقة^٥ صفراءُ
إن كان عندكَ ما ذكرنا كلُّهُ وبعثتُ فينا لم تَخَفْ إبطاءُ

وقال :

ألا يا خيرَ مَنْ يُبْغَى نداءه وَيُسْعَى نحو منزله وَيُمشَى
تحنُّ إلى بناتِ البحرِ نفسي وأكرهُ أن تموتَ لديَّ عطشى

١ ط د : ولا .

٢ اقرأ الألف الأخيرة من « قواها » بالقصر .

٣ مزفت : زيادة من م س .

٤ س م : بلدة .

٥ م : ورقيقة ؛ س : ورقيقة .

وله يفتخر من كلمة طويلة^١ :

خليليّ ليس المجدُّ إلّا للعالمِ
أحوالعلم حيثُ احتلَّ أضحى مكرّماً
وذوالجهل معدود^٢، وإن كان سيّداً
وإني لمن فاز بالعلم قدحهُ
ولي قلّمٌ قد شَرَّفَ الله شأنهُ
خليليّ ليس الخطُّ ما قد عَنَيْتُهُ
ولكنه لفظٌ إذا ما وشيتُهُ
بلى إنَّ خطي فيه ضَعْفٌ وإنّما
إذا شئتُ نثراً كنتُ أنثرَ ناثراً

ومنها :

تكلّفني الحَوْبَاءُ لا درَّ درّهما^٤
تقولُ أحبُّ ذا قربي وصيلُ ذا وسيلة
أما إنّي لو نلتُ أيسرَ نَزْرَةٍ^٥
فأهٍ^٦ لعصرٍ مثلِ أهليه جاهلٍ

سمّاحَ البهاليلِ الكرامِ الخضارمِ
وقم بالحقوقِ الواجباتِ اللوازمِ
لكانت لكفّي بسطةً في المكارمِ
ودهرٍ لأبناءِ المروءةِ^٧ ظالمِ

١ منها أبيات ثلاثة في الغيث المسجّم ١ : ١٣٧ .

٢ هامش ط : معدوم .

٣ به : م تردد في ط ؛ د : عل .

٤ م س : لله درها .

٥ الغيث : يسرة .

٦ الغيث : قائماً .

٧ م : المودة .

وله من أخرى يصف شروط المروءة ومكارم الأخلاق^١ :

أحب من الأقوام كل نجيب^٢ شريف زكي الوالدين حبيب
ولاني لنو علم صحيح يقينه بأن صديق الصدق غير غريب
ومن خلقتني أني إذا ما وجدته شدت عليه منه كف رغب
وإن نصيب الجار عند احتياجه إلى العون في مالي لمثل^٣ نصيبي
وإن بعد القوم يزل ساحتي ويأوي إلى ركني لمثل قريب
أهين له مالي وأحفظ ماله وآتبه من برّي بكل عجب
وألقى الخطوب السود في الذب دونه لقاء أخي صدر لمن رحب
وجدك لو كان الزمان مساعدني وكان الذي في راحتي يفي بي
لألفيتني جم الفضائل منعماً كثير إلى الفعل الجميل هبوني [١١٠ أ]
تجود يدي قبل السؤال وتمتري طلب الندى جدواي غير طلب
لما الله وهاباً بطيئاً حباؤه يحيء الذي يعطيه بعد لغوب
ولكن وهاباً يهب إلى الندى كما هب غضب في يمين ضروب
يحاذر أحداث الليالي وقلما خلا من توقيهن قلب ليب
ويرتاب^٤ بالأيام عند سكونها وما ارتاب بالأيام غير أريب
وما الدهر في حال السكون ساكن ولكنه مستجمع لو ثوب
لقد عاين الأيام من خوف غدرها بعيني بصير بالأمور طيب

١ منها ثلاثة أبيات في الفيت المسم ٢ : ١٩٨ .

٢ ط د : محب .

٣ ط د : بمثل .

٤ م : مالي .

٥ الفيت : تحاذر : م : يحدث .

٦ الفيت : وترتاب .

وقال في مثل ذلك :

حبيبٌ إليَّ الدهرَ إعطاءُ سائلي	ولا كرامُ قُصَّادي وعونُ خليلي
أهزُّ طباعي بل طباعي تهزني	إلى الجودِ لا أرضى طباعَ بخيل
وراحَ كما افترَّ الصباحُ سباتها	لطارقِ ليلٍ ما عليَّ جليل
نضوتُ بها عنه جلايبَ ليلِهِ	فَعَوَّضَ من تعريسه بمقيل
وما زلتُ أسقيه وأشربُ فضلهُ	وكأسُ الكريمِ الفضلِ ذاتُ فضول
إلى أن تنهى طيبهُ ونعيمهُ	ومالتُ به الصهباءُ كلَّ مميل
فوطأتُ مثوى جنبيه وكنتنتهُ	بضافٍ لصنبرِ الشتاءِ قتول
وقلتُ له لما تعاطمَ عندهُ	صنيعي به ، هذا أقلُّ قليل
حللتُ بنا ليلاً وقد قُسمَ القرى	فلم يبقَ منه مَقْنَعٌ لأكيل
أقيمُ عندنا تستوفِ ما أنتَ أهلهُ	فأنتَ لدينا أهلُ كلِّ جميل
ولمي لمننُ تعريه كآبةُ	إذا آذنتُ أضيافهُ برحيل

وهذا من حُرِّ الكلام ، وجَزَلِ النظام ، وسجِّية حاتمية ، وشنْشِنَةٍ
أعرابية ، وإنَّما احتذى أبو الحسن في هذا قول أبي عامر بن شهيد القرطبي
في أبيات ، وقد تقدَّم إنشادها ، أوَّلُها :

ولما رأيتُ الليلَ عَسْكَرَ قَرَّهُ وهبَتْ له ريحانٍ تلتطمانِ

١ الذخيرة ، القسم الأول : ٣١١ وديوان ابن شهيد : ١٦٣ وجواب « لما » قوله :
ونعت الساري الليلَ نارينَ فارتأى شعاعين تحت النجم يلتقيان
وسائر القصيدة في الخطوة بالضيف على نسق شبهه بما أتى به الشنمري .

فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج وأبي الوليد ابن عمه ، أبي حزم ، وإيراد بعض ما لهما من ملح النظم

وأبو الحكم^١ منهما في وقتنا شقيق الوفاء ، وخاتمة^٢ مَنْ حَمَلَ هذا الاسم من النجباء ، وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الإحسان قبلةً ، وَحُجَّةً على من جعل النقصان جبلةً ، إذ عن كل قوسٍ من الفخر نزع^٣ ، وفي كل أفقٍ من علو القدر طلع ، أول ما نشأ بدر فلك ، ومسحة ملك ، ولا كليلًا على جبين ملك ، قلما عن نظر إلا راقه ، ولا اختلج ذكره في قلب بشرٍ إلا شاقه ؛ وإياه يعني الوزير أبو الحسن بن سعيد البطلبوسي [١١٠ ب] وقد غلب على لبته ، وأخذ بمجامع قلبه ، عجباً منه أو عجباً به^٤ :

رأى صاحبي عمراً فكلفَ وَصَفَهُ وحمَلني من ذاك ما ليس في الطوقِ
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي صدقت ولكن ذاك شبَّ عن الطوقِ

وفيه أيضاً يقول الوزير أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات^٤ :

١ ترجمة أبي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم الاشبيلي في المغرب ١ : ٢٣٨ والمساك ١١ : ٤٣٢

وله شعر في النفع ٣ : ٤٧١ .

٢ نزع : سقطت من ط د .

٣ انظر نفع الطيب ١ : ٦٣٦ ، ٣ : ٤٧٠ والمغرب والمساك ؛ وفي س م أنه أبو الحسن

ابن السيد ، وهو خطأ ، لأن ابن السيد كنيته أبو محمد ، وأما ابن سعيد هذا فترجمته تجيء

في هذا القسم من الذخيرة .

٤ نفع الطيب ٣ : ٤٧٠ .

يا عمرو رُدَّ على الصدورِ قلوبَها من غير تقطيعٍ ولا تحريقٍ
 وزُرِ الثريا وهي نحن بكوكبٍ لولا العفوقُ لقلتُ بالعيوقِ
 وأدرُ علينا من خلالِكَ أكُوساً لم تألُ تسكرنا بغيرِ رحيقِ
 رفيه أيضاً يقول أحدهما^١ :

قل لعمرو بن مذحج خاب ما كنتُ أرتجي
 شاربٌ من زبرجد ولمي من بنفسج

فلما همَّ ليلُهُ بنهاره ، ودبَّ على سيفِ وجنته فرندُ عذاره ، راع المجدَّ
 بحزمٍ وكرمٍ^٢ ، ونبوة^٣ سيفٍ وقلمٍ ، ممَّنْ سارى نجومَ الليلِ : واحتلَّ^٤ صهوات
 الخليل ، وعلى ذلك كلُّه فلم ينسَ مكارمَ الأخلاقِ ، ولا خلا ذِكرُهُ من
 قلوبِ العشاقِ ؛ وله في الأدبِ سَبَقُ سَلَفٍ ، ومنه بيتُ شرفٍ ، وله شعرٌ
 مطروحٌ قلَّما يغبته البديع ، وقد أتيتُ منه بفصول ، تشهد له بالتفضيل^٥ .

١ نفع الطيب ٣ : ٧٠ والمساك ونسبهما العمري لابن عبدون .

٢ س ط د والمساك : بحر كرم ، وأثبت ما في المغرب .

٣ ط س : وأسوة ؛ والمساك : وأسرة .

٤ ط د : وأصل ، وبهامش ط : لعله : وأسهل ؛ المغرب : وتقلب في ؛ س
 والمساك : وأمل .

٥ وفيه أيضاً يقول الوزير . . . بالتفضيل : سقط من م وحدها .

جملة من شعره في أوصاف شتى

كتب إليه الوزير أبو محمد عبدون بأبيات قال فيها ^١ :

سلامٌ كما هبت من الحزنِ نفحةٌ تنفسَ قبل ^٢ الفجر في وجهها الزهرُ
من الوارف ^٣ الفينان وشت برودهُ ذراعٌ من الليث ، الثريا له شبرُ
وإلاَّ يدٌ حزيمة مذحجيةٌ تقشع عنها مذحجٌ فانهمى عمرو
فجاد على تلك الأجارعِ والرَبى رواعدهُ وعدٌ وبارقهُ بشر
أبا حكمٍ أبلغ سلامٍ فمي يدَيَّ أبي حسنٍ وارفٌ وفكلتاهما بحر
ولا تنسَ يمينك التي ^٤ هي والندى رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فراجعهُ أبو الحكم بأبيات منها ^٥ :

أنى النظمُ كالنظم الذي تردمي به عروسٌ من الجوزاء لأكليها لبدرُ
تجلت ^٦ لنا منه بخطك رقعةٌ هي الروضة الغناء كللها الزهر

١ النفع ٣ : ٤٧٠ - ٤٧١ .

٢ النفع : عند .

٣ ط : الوارف .

٤ م : الميث ؛ ط : ستر .

٥ ط د : وارقني .

٦ م : ولا تنس لي تلك التي .

٧ انظر النفع ٣ : ٤٧١ والمساك ١١ : ٤٣٢ - ٤٣٣ والمغرب ١ : ٢٣٨ .

٨ ط م : تجلت .

تَحَيَّرَ ذَهْنِي فِي مَجَارِي صِفَاتِهِ فَلَمْ أَدْرِ شَعْرٌ مَا بِهِ فَهَتَ أَمْ سَحَرُ
فَانْ قَلْتُ شَعْرٌ فَالْقُلُوبُ شَعَارُهُ وَإِنْ قَلْتُ سَحْرٌ فَهُوَ سَحْرٌ وَلَا كُفْرُ
أَرَى الدَّهْرَ أَعْطَاكَ التَّقَدُّمَ فِي الْعَلَا وَإِنْ كَانَ قَدْ أَوْفَى أَخِيرًا بِكَ الدَّهْرُ
لَنْ حَازَتْ الدُّنْيَا بِكَ الْفَضْلَ آخِرًا فَمَيَّ أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ يَنْبَلِجُ الْفَجْرُ
قَوْلُ أَبِي مُحَمَّدٍ: «... أبلغ سلام فمي يدي» ... ، معنى قد كرره في
مواضع من شعره كقوله في المتوكل :

إِنْ كُنْتُ مِنْ أَصْلِي وَمِنْ عَصَبِي أَوْ كُنْتُ مِنْ فَرْعٍ نَائٍ وَمَسْجُدُ
بَلِّغْ سَلَامَ فَمِي يَدَيَّ مَلِكٍ غَابَ الْمَلُوكُ عَنِ الْعَلَا وَشَهِدُ

وحسان بن المصيصي القائل من شعر قد تقدم إنشاده^٢ : [١١١]

مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ أَنِّي نَظَّمْتُ لَهَا شُكْرًا جَعَلْتُ قَوَافِيهِ مِنَ الْقُبُلِ
وَقَالَ أَبُو الْحَكَمِ فِي صَدِيقٍ كَانَ لَهُ بِهِ هَوًى يَسْمَى بِاسْمِهِ :

يَا مَنْ شُكَا فَشُكَا جَسْمِي بِشُكْوَاهِ اللَّهُ يَكْلَأُنِي فِيهِ وَيُرْعَاهُ
رَبَا ضَنِي جَسْدِي بِاللَّهِ صِلْ جَسْدِي وَخَلِّ عَنْهُ وَلَا تُلْمِمْ بِمُثْوَاهِ
عَمُرُو بِعَمُرٍ وَلَكِنْ فِي مُحْتَمَلِ لَمَّا تَجَشَّمَهُ مِنْ بَرَحٍ بِلُؤَاهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ حَتَّى السَّقَمُ نَافْسِي فِيهِ فَأَضْحَى كَمَا أَهْوَاهِ يَهْوَاهِ
عَيْنُ الْكَمَالِ أَصَابَتْنِي وَلِي كَبَدِ مَصْدُوعَةٍ فِيهِ إِنْ لَمْ يُلْفَعْ اللَّهُ

١ ورد البيت في هذا القسم : ٤٤٢ .

٢ انظر ما تقدم ص : ٤٣٩ .

وله فيه وقد سقط عن دابته ووُثِيتَ رجله ^١ :

لقد أسرعَ فيكَ العيونُ وإنما جميلُ دفاعِ الله عنكَ التائبُ
وما أنت إلا البدرُ طارتُ بسرجه عقابُ لها الريحُ ^٢ الخريق قوادم
ولا غرواً أن طافتُ برجلِكَ وثأةٌ لها المجدُ خفّاقَ الجناحين حائم ^٣
فقد ترجفُ الأفلاكُ في دورانها وتنقضُ أعلامُ النجوم العوام

وكتب إلى الوزير أبي محمد بن عبدون ^٤ :

زُرْنِي فديتُكَ يا زعيمَ الناسِ ترى بدوراً من كبارِ أناسِ
أنت الهزبرُ وهم جاذرُ جاسمِ قد خيموا من منزلي بكناسِ
من كلِّ مَنْ أثوابُهُ مَزْرُورةٌ منه بغصنِ البانةِ الميَّاسِ
يا راضعاً درّاً المكارمِ قفُ بنا « ما في وقوفك ساعةٌ من باسٍ »

وله في عمرو المتقدم الذكر :

يا عمروُ إنك لعبةٌ من سكرٍ فإذا مررت بسكرٍ فتذكرِ
ما شان وجْهَكَ نَمْشةٌ في صفحةٍ فبذاك يوصفُ كلُّ بدرٍ أزهري
يحمُرُ أحياناً فأحسبُ أنه ورد ينقطُ صَفْحُهُ بالعنبرِ

١ انظر المغرب ١ : ٢٣٨

٢ ط د : الجو .

٣ ط د : قائم .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٥ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٢ : ٢٤٢) وعجزه : نقضي دمام الأربع الأدراس .

٦ ط : في .

أضمرتُ فيك صبايَ فوشى بها دمع فككتُ به صحيفةً مضمر
من ذا يفرِّقُ بيننا وجلالنا متكافئ في المتسمى والعنصر

وكتب إلى الوزير أبي العلاء بن زهر :

يا من نضا العزمُ منه صارماً خَدَمَا توشحَ المرهفين السيفَ والقلمَا
أفرش^١ بمغدىٍّ ومَسْرَى حُرّاً أوجهنا وبعدها فانتعلُ أبصارنا أَدَمَا
وما بأنفسنا بخل عليك فقد سارتُ أمامك تعدو البعدَ والأَمَا
أبا العلاء ابنِ للعليا تشيد ما أضاع منه بنو التضييع فأنهدما^٢
لا زال شَمْلُكَ في وِرْدٍ وفي صدرٍ على اقتراحِ المعالي فيك منتظما

وله فيه ^٣ :

ضَعِ الرحلَ في حمصٍ بأيمنِ طائر ووالِ اصطناعَ الخير فيها وظاهر
فما هو إلا السَرَوُ بين موارد تصاحبه طولُ المدى ومصادر [١١١ب]
لعمركُ العلا لولا أبوها، وذكره^٤ لما شاقني برقُ بِيْرُقَةٍ صادر
ولا بتُّ والظلماءُ لئمدُ مقلتي يؤرقها بيضُ النجومِ الزواهر
وهبتُ فَوادي للبشيرِ بأوبِهِ سليماً ولم أبخلُ عليه بناظري
وأصغرُ بموهوبٍ وإنْ جلَّ قدره يقضي به الأحرارُ حقَّ الأكابر
ولاني وإعظامي لسؤدده الذي يعظمه أهلُ النهى والبصائر
لألحى اللبالي إنهنَّ قعدنَ بي وألحقنَ جدتي بالحدودِ العوائر

١ د : اسرف .

٢ لم يرد البيت في ط د .

٣ منها ثلاثة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٤ م : أبوه .

فلو نهضتُ بي قدرة لَهزرتُ في
وما ليَ مركوب سوى رجليَ التي
غمام عدائي عن غمامٍ كلاهما
وله فيه :

متى تجتلي منك ابنَ زُهريَ نواظري
فقد دَويتُ شوقاً إليك جوانحي
وأعجبُني كيف أصبحتُ جارَ من
وله ٢ :

قدمتَ علينا والزمانُ جديداً
وعيشُ^٣ العلالوا مراتبك العلى
فيا ناهضاً والجِدُّ والجَدُّ صحبهُ
لقيتَ أميرَ المسلمين وظلُّهُ
فقمَ بالمعالي واستقلَّ بملكها
ولوحوا بني زهر فأنَّ وجوهكم
وما زلتُ تُبدي في الندى وتعيدُ
لما اخضرَّ في أفقِ المكارمِ عود
بحيثُ كبا للمنخرين حُسود
عليك بما تهوى لديه يزيد
فأنتَ بملك العالمين قعيد
نجوم بأفلاكِ العلا وسعود
وله فيه ٤ :

١ ط د : وحباء .

٢ منها ثلاثة أبيات في النسخ ٣ : ٤٧١ .

٣ النسخ : وحق .

٤ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٣٩ .

يا جالياً وجه السعادة^١ واضحا
صير مجنك صفحتي قمر الدجى
الله يعلم أن بين جوانحي
دم للعلاء أبا العلاء مصاحباً
ومقلّباً طرف النباهة طامحا
وسنان رايتك السماك^٢ الراحا
قلبا إليك مدى الليالي جانحا
واقنت زمانك ساحاً لا جامحا

وله فيه وقد جاز البحر معه ، فقال^٣ :

يا ابن زهر طأ الثريا عبيراً
وتلق الهواء وهو طليق
ما ترى الريح كيف هبت رخاء
وضحى البحر هبة لك لما
غمرت غمرته من راحتك بحار
فرق اللجج منك حتى استطارت
جزه يا ابن الكرام أرضاً ذلولاً
وانتصر الحزم حيث كنت حساماً
وتفياً علالك ظلاً ظليلاً
وحصى اليد لؤلؤاً وعقيقاً
كمحياتك حين تلقى الصديقاً
لك بعد الهبوب ريحاً خريقاً
جسته سالكاً عليه طريقاً
صاح من موجها^٤ الغريق الغريقاً
منه أحشاؤه فريقاً فريقاً
أوقدته إن شئت طرفاً عتيقاً [١١٢أ]
واصحب النجج حيث كنت رفيقاً
وتنشق ذكراك مسكاً فتيقاً

وكتب إلى أبي الوليد ابن عمه ، فقال^٤ :

لاني لأعجب أن يدنو بنا وطن ولا يقضى من اللقيا لنا وطر

١ م : السيادة .

٢ فقال : زيادة من م س ؛ وانظر المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٣ المسالك ؛ من بعدها ؛ م : وجهها .

٤ فقال : زيادة من م س ؛ ومنها بيتان في المسالك وثلاثة في النفع .

لا غرو أن بَعُدَتْ دارٌ مصابغةٌ
فمحجَرُ العينِ لا يلقاهُ ناظرها
صبراً جميلاً وإن أبدى الزمانُ لنا
وبيننا فِقْرٌ يجري المزاحُ بها
نثراً ونظماً من الآدابِ بينهما
سحرُ البلاغةِ منظومٌ وممتثرُ

بيته الثالث من هذه يتطرق قول الآخر :

كم والدٍ يَحْرِمُ أولادهُ وخيرهُ يحظى به الأبعدُ
كالعينِ لا تُبْصِرُ ما حولها ولحظُها يدركُ ما يبعدُ

وكقول الآخر أيضاً :

كسجاورِ العَيْنينِ لا يتلاقيا أبداً وبينهما قصيرُ جدارٍ^١

ومن جواب أبي الوليد له^٢ :

لَبَيْتِكَ لَبَيْكَ أَنْتَ السَّمْعُ والبَصَرُ
إِيَّاهُ أَبَا حَكَمٍ فالودُّ مقربُ
لَا عَتَبَ فالودُّ يَمْحو ما أَتَيْتَ به
يَنْبُو لِسَانِي عَنْ عَتَبِ الصَّدِيقِ وما
وإن أَتَتْ دُونَكَ الأَحْدَاثُ والغَيْرُ
وإنْ تَبَاعَدَتْ الأَشْخَاصُ والصورُ
حَسْبِي مِنَ الذَّنْبِ تَجْنِيهِ وَأَعْتَذِرُ
أُزْرِي بِغَرْبِيهِ لَا عِيَّ وَلَا حَصْرُ

١ النفع : الحضرة .

٢ م : قصيد حداد .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٣ - ٤٣٤ .

ضنّانةٌ بخليلٍ^١ أنْ أفارقهُ
أراعَ سربكَ يا ابنَ العم أنْ درستَ
إنْ يرفعَ الدهرُ يوماً من خسيستهم
فالدهرُ كالبحرِ تطفو فوقه جيْفُ
ما القوسُ إنْ لم يكنْ يوماً لها وتر
سُبُلُ الوفاءِ فلا عينٌ ولا أثر
وحطَّ منا ونحنُ الأنجمُ الزهر
وتستقرُّ بأقصى قعره الدرر

وقدم أبو الحكم من بعض أسفاره ، فكتبت إليه أنا بأبيات منها^٢ :

يهي قدمك كلاً يا أبا الحكم
مذ غبت ما رتقت عيني إلى سنة
إن كنت من تغلب في بيت سوددها
فلم يضرنا تنائي النسبتين وقد
والعذر في زمن أن جثت في أمم
يا دوحة العلم والآداب والحكم
يا عمرو إلا لكي ألقاك في الحلم
وكنت من مذحج في السؤدد العمم
رحنا نسيين في علم وفي فهم
لا الجليل جيلك فاعذرهم ولا تلم

في أبيات غير هذه ، وعاتبْتُ فيها بعض إخوانه ، فراجعني بأبيات منها
قوله^٣ : [١١٢ ب]

يا مَنْ تناول حرَّ اللفظ من أمم
لو أن لفظك تُهديه إلى حَجَرٍ
هذي جوارحُ جسمي كلّها أذنُ
حاشا لنبلك أنْ تخفى معالمه
بذي غرارين مثل الصارم الخدم
لما استجيز عليه الوصف بالصمم
مذ جاء منك بأذني لؤلؤ الكلم
وهنَّ أشهر من نارٍ على علم

١ م س والمساك : بخليل .

٢ المساك ١١ : ٤٣٤ .

٣ المصدر نفسه .

٤ المساك : جاز .

إنْ كان للنبل عرنينٌ تُدِلُّ به
 ارددُ أنوفَ الليالي وهي راغمةٌ
 من تغلبِ أنت في علياءِ مركزها
 قومٌ أراد ابنُ هندٍ أن يضيئهمُ
 مآثرٌ قُسمتْ بين الورى وغدا
 رأيتُ نفثةَ مصدورٍ بعثتَ بها
 لم تفضِ مني بالشكوى إلى طلالِ
 سافر بطرفٍ أو انظر هل ترى يقظاً
 حوادثٌ لم تزل بالحرِّ لاعةً
 وبيننا قربةٌ ليست أواصرها
 حُسناً فأنت به أبهى من الشمم
 ما لم تكن لك في الإذعانِ كالخدم
 فمن يباريك في مجدٍ وفي كرم
 فأوطأوا الرأسَ منه أخصَّ القدم
 للتغلبين منها أوفرُ القِسمِ
 مني إلى متلطي الصدرِ محتدم
 ولم تبتِ عاكفاً مني على صنم
 يحلُّ من طَلَبِ الأيام في حرم
 كما تلاعبتِ الأيسارُ بالزلم
 ما بين آدابنا مجفوةَ الرحم

ومن أبناء هذه القبيلة ، وشعراء هذه البيتة الأصيلة ،

ابن عمه أبو الوليد محمد بن يحيى بن حزم^٢

أحدُ أعيانِ أهلِ^٣ الأدب ، وأجلى الناس شعراً لا سيما إذا عاتبُ
 أو عتب ، جعل هذا الغرض هجيراً ، فقلتما يتجاوزنه إلى سواه ، وكلما
 أبدأ فيه وأعاد ، أحسن ما شاء وأجاد ، وفي كل معنى يُحسنُ ،

١ م س : بالمره .

٢ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٣٩ والمسالك ١١ : ٤٣٤ ونفع الطيب ٣ : ٤٧٢ .

٣ أهل : سقطت من م .

٤ م : عابث .

أكثر مما يمكن ، ولكن رأيت في باب العتاب يعلن بأمره ، ويُعَرَّبُ عن ذات صدره ، وقد أجريت من شعره في هذا المعنى وسواه ، ما يصرح عن مغزاه ، ويشهد على بعد مداه .

جملة من شعره في أوصاف شتى في النسب وما يناسبه

قال ٢ :

أتَجَزَّعُ من دمي وأنت أسَلْتَهُ ومن نارِ أحشائي ومنك ٣ لهيها
وتزعم أن النفسَ غيرَكَ عَلَقْتَ وأنت ولا من ٤ عليك حبيها
إذا طلعت شمس عليّ بسلوةٍ أثار الهوى بين الضلوعِ غروبها

وهذا البيت الأخير ينظر إلى قول مجنون بني عامر ٥ :

نهاري نهار الناسِ حتى إذا دنا ليَ الليلَ هزَّتني إليك المضاجعُ

وقال أبو الوليد ٥ : [١١٣] .

وطارحك الواشون عني سلوةٌ مغالطةٌ هيهات ذاك بعيدُ

١ م : جواب .

٢ الأبيات في النفخ ومنها اثنان في المسالك وفي معاهد التنصيص ١ : ٣٧٢ .

٣ النفخ : وأنت .

٤ ديوان المجنون : ١٨٥ .

٥ فيها ثلاثة أبيات في المسالك .

وكيف سلوي عن هواك وإنه
إذا ما ثناه الناسُ عنكِ لوتُ به
لَيْبَلَى فؤادي وهو فيك^١ جديد
علائقُ حبٍّ فيكِ ليس تبيد
بلى إن عزني^٢ فترةُ الصبرِ هزني
تذكرُ أيامي بكم فأعود

وقال وهي من حسنات شعره ، وآيات ذكره^٣ :

وكم ليلةٍ ألطفتُ بالني	فصمتُ أبادرُ إطفافها
بشمس ^٤ إذا ما تأملتُها	رددتُ على الشمسِ أوصافها
بفترةٍ ^٥ لحظٍ كأنَّ الكرى	أعانَ عليها وإنْ خافها
وإني وإنْ عفتها مُعلنًا	لأعدلُ في السرِّ مَنْ عافها
وهبتُ علينا صبا رطبةً	وقد عابثَ الطلُّ أعطافها
وقد بشها الروضُ هجر الحيا	فجرتُ على النورِ أطرافها ^٦
وحَيْلُ الظلامِ أمامَ الصباح	والركضُ قد ضمَّ أجوافها
وقد فضضَ الفجرُ أذيالها	وزادَ فذهبَ أعرافها
وكاثرتُ البدرَ شمسَ بدت	فمدتُ على الأرضِ أكتافها
وغاضبتُ السَّحْبَ ^٧ فيها الرياح	فصرتُ من الغيظِ أخلافها
وذكرني بإداراتِ الحمام	جمائمَ تنذبُ ألأفها

١ م : فيه .

٢ المسالك : علني .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٥ ومنها بيتان في المغرب .

٤ م : وشمس .

٥ ط : لعة ؛ د : لغرة .

٦ سقط البيت من س م .

٧ ط د : الصبح .

وقال من أخرى^١ :

كم قلتُ فيكَ معرّضاً ومصرّحاً
ومنيّت من خلطائه بعصاةٍ
هيهات لولا غنّج^٢ لحظ محمد
ولقد بعثت على السلو لو أنّ لي
فجعلت ثوب الصبر فيه بصيرةً
ونبتت حلمي والتفت إلى الصبا
لله أيام على وادي القرى
إذ نجتني في ظلّه ثمّ رمّ المني
والشمس ترمق من محاجر أرمد
والراح تأخذ من معاطف أغيد
حتى إذا ضرب الظلام رواقه
ملنا نؤمل غير ذلك منزلاً
ويروم قول أبي الوليد وربّما
ثمّ احتللنا والوشاة بمعزل
والبدر يرميني بمقلة حاسد
حتى إذا نشر السرور بساطه
أهوى يقبل راحتي توددًا

أكذا علفت ضلالةً بفلان
خلطت بها شُبّهًا من البهتان
ما كنت نُهْزَرةً أعين الغرلان
قلباً يطاوعني على السلوان
وثبت عن علمٍ إليه عنائي
وبد العفاف تضم من أرادني
سلفت لنا والدهر ذو ألوان
والطير ساجعة على الأغصان
والظل يركض في النسيم الواني
أخذ الصبا من عطف غصن البان
وخشيت فيه طوارق الحدّثان
والراح تقصر خطوه^٣ فيُداني
كبت مكانة لامه الواوان^٤ [١١٣ب]
وقد التقت في جفنه سينتان
لو يستطيع لكان حيث يراني
وطوى بساط شكيّتي لأوان
ويشدّ عقد بنانه بيناني

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : غنّج فاتر لحظه .

٣ المسالك : خطونا .

٤ ورد البيت في القسم الأول : ٣٠٩ وروايته « كبت » .

ويقول إشفافاً عليّ ورحمةً
هاك^١ اغتنمها من زمانك خلصة
تشفى غليلَ فؤادِكَ الهيمان
فلثمتُ فاه والتزمتُ عناقه
وبدُ الوصالِ على قفا المهجران
ومرقتُ من ظنِّ الأعادي عفةً
والليلُ مشتملٌ على الكتمان

وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر فقال^٢ :

فاطلعْ طلوعَ الشمسِ أو معها
فبَدُ^٣ السرورِ على قفا الحزنِ
في ساعةٍ سمحَ الزمانُ بها
فكأنما هي الذَّةُ^٤ الوسنِ

وقال^٥ :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني
وفي ساعدي بدرٌ على غُصْنِ بانهٍ
وفي لحظهٍ كالسكرٍ لا مِينَ مدامةٍ
وقد سلبته الراحُ سَوْرَةَ كِبَرِهِ
وبين ضلوعي يعلمُ الله حاجةً
فلم يك إلا ما أباح لي التقى
ولا رقبةً دون الأمانِي ولا سِتْرُ
يودُ مكاني بين لبّاتِهِ البدرِ
ولولا اعتراضُ الشكِّ قلتُ هو السكرُ
ومال على عطفه وانقطع العذرُ
طواها عفافي لا كما زعم الغدرُ
ولم يبق إلا أن تحلَّ لي الخمرُ

١ م : هات .

٢ هما في المسالك ١١ : ٤٣٦

٣ م : بيد .

٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

٥ سقط البيت من س .

وله في مثله ^١ :

وكم ليلة ظافرت ^٢ في ظلّها المنى وقد طرّفت ^٣ من أعين الرقباء
وفي ساعدي حلّو الشائل مرف ^٤ لعوبٌ بيأسي تارةً ورجائي
أطارحه حلّو العتاب وربّما تغاضب فاسترضيته بيكائي
وفي لفظه من سورة الكأس فترة ^٥ تمت إلى الحافظه بولاء
وقد عابثته الراح حتى رمت به لقى بين ثنني بردتي وردائي
على حاجة في النفس لو شئت نلتها ولكن حمّتي عفتي وحيائي

قوله : « وفي لفظه من سورة الكأس » . . . البيت ، مما فتن فيه أبو
الوليد فتنة لا يحسنها السامري ، بل سحر سحرًا لا تتمعّطاه الجبال ولا العصي .

وقال من أخرى :

لاح العذارُ فلاح عذري فيه وسقى ومن عينيه ما يسقيه ^٥
وقضى عليّ ومرّ يسحب ذيله أكذا سفكت دمي ولست تديه
وفجعت سادة مذحج بزعيمها وأمنت من أشباعه وذويه
هيهات لو ملك القضاء سبيلها لثنى عنان جماحه ^٦ ثانيه
لكن حمّاك الحسن من سطواتهم ومن الذي ترنو فلا نصبيه [١١٤]

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : ضافرت .

٣ م : وكم طرفت .

٤ س والمسالك : لحظه .

٥ سقط هذا البيت والذي يليه من س .

٦ ط د : حمامه .

ولقد أتاح لك الهوى من معشري
وهويته عذبَ الشمائل مرفأ^١
كالغصن غازلت الصبا أعطافه
أطوي الهوى شحاً عليه ورقة
يجني فأضمرُ هجره لا عن قلى
ولكم صدّدتُ فعارضتني سورة
كم ليلة ضممتُ عليه ساعدي
والبدردُ من حسدٍ يجمعُ قوله

وقال أبو الوليد من أخرى :

وشتَ بهواه مقلتي ولساني
فلمّا تناهى الشوقُ واستحكم الهوى
نأى عن مكاني حين لا لي حياة
وصدّ على عمّدٍ لبشرك في دمي
ومن عجبٍ أني إذا رُمْتُ سلوة
أبا قاسمٍ خذّهما شكاية واجدٍ

وقال^٢ :

أساكنَ قلبي والمقامُ كما ترى^٣

ما لا يكادُ الدهرُ يطمعُ فيه
نشوانَ يعثرُ في فضُولِ التيه
فتكادُ لمحةُ ناظري تنبيه
والدهرُ ينشرُ منه ما أطويه
والحبُّ يغفرُ كلَّ ما يجنيه
من وَرْدٍ وجته وخسرة فيه
والمسكُ يأخذُ منه ما يعطيه
ما ضرَّ مَجْدُكَ لو شركتُكَ فيه

وأثلفتُ فيه مهجتي وجناني
وقيل فلانُ طاعةُ فلان
وقد حلَّ من قلبي بكل مكان
ولو ظفر الأعداءُ بي لبكاني
وجدتُ هواه أخذاً بعناني
كما وجد المقصوص للطيران

لعلك تصفي ساعة فأقول^٤

١ ط د م س : مترف .

٢ المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ المغرب : والحوار حفيظة .

٤ سقط البيت من ط

أعَيْدُكَ من أقوالِ قومٍ وربِّما^١ فكم فمرٍ غطى عليه أفولُ
 وكم أملّوا لا بُلّغُوا^٢ فيك خطّةً وحاشاك منها والحديثُ يطولُ
 ومستكشفٍ لم يدْرِ ما بين أضلعي يعرّضُ^٣ بي واللومُ فيك ثَقِيلُ
 فصكّتْ^٤ لساني يعلمُ الله سكتةً لها في جَنّاني زفرةٌ وعويلُ
 وسدَّ طريقَ اللحظِ دمعٌ كأنما تشحّطَ من جفنيّ فيه قتيلُ

وهذا البيت مما أحسن فيه ، ولكن ابن الرومي زاد عليه بحسن الاستعارة
 والتشبيه ، وهو قوله^٥ :

رسمُ الكرى بين الجفون محيلُ عَفَى عليه بكأ عليكَ طويلُ
 يا نظرةً ما أَقْشَعَتْ لحظاتها حتى تَشَحَّطَ بينهنَّ قتيلُ

ونسب هذين البيتين صاحبُ « العمدة »^٦ لأبي نواس .

وقوله : « فصكّت لساني » البيت . . . يشبه قول حبيب^٧ :

ولّى وقد أفحَمَ الخطيَّ منطقَهُ بسكتةٍ تحتها الأحشاءُ في صخبِ

وقال أبو الوليد من أخرى :

١ المغرب : مريبة .

٢ ط د : يبلغوا .

٣ المغرب : تعرض .

٤ المغرب : فشدت .

٥ البيتان لأبي نواس في ديوانه : ٣٨٨ ، وكذلك نسبهما له صاحب زهر الآداب : ٢٤١ .

٦ العمدة ٢ : ١٢٠ .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧٢ .

وكم معشرٍ لاموا عليك رددتهم
ومالوا إلى رَجْمِ الظنُونِ وبيننا
ولمّا بدتْ أشياءُ منكَ تَربيني
وشاركني فيكَ الذينَ علمتُهُمْ
تجافيتُ عن حظّي لهم فيكَ عَنوةً
إذا عَرَضُوا أوليتُهُمْ فيكَ سَكَنَةً

وأكبادهمُ غيظاً عليّ تذوبُ
إذا ما خَلَوْنَا للعَفَافِ رقيب
وأكثرَ فيها مَخطيءُ ومصيب
ولم يكُ لي إلّا السلوُ طيب
وقد يتجافى الشيءُ وهو حبيب [١١٤ب]
ويَعْرِضُ دمعِي دونهم فيجيب

وقال ١ :

لما استمالك مَعَشَرٌ لم أرضَهُمْ
داريتُ دونَكَ مُهَجِّي فتَما سَكَنُ
فأذهبُ فغيرُ جوانحي لكَ مَزلُ
والقولُ فيكَ كما علمتَ كثيرُ
من بعدِ ما كادتُ إِلَيْكَ تَطِيرُ
واسمِعْ فغيرُ وفائِكَ المشكورُ

وقال ٢ :

يقول وقد لمتُهُ في هوى
أتحسّني ؟ قلتُ : لا والذي
فكيف وقد حُلَّ ذاك الحمى^٢
فلان وعَرَضْتُ شيئاً قليلاً
أحَلَّكَ في الحبِّ مرعىً وبيلاً
وقد سلكَ الناسُ تلكَ السبيلَ

وقال :

١ الأبيات في المغرب ١ : ٢٤٠ والنفع ٣ : ٤٧٢ .

٢ الأبيات في النفع ٣ : ٤٧٢ .

٣ النفع : ذاك الجَناب .

٤ م س والنفع : ذاك .

أبلغ فلاناً وإن كنتُ الضنينَ به
 أنتي تركتُ الحمى عن غير مقليةٍ
 وصنتُ وجهَ عفاي عن تبدُّله
 يا أملح الناسِ إلا ريبةٌ عرضتُ
 ما الذنبُ عندك إلا عفةٌ صرفتُ
 وباحثٍ عن غرامي فيك قلتُ له
 ويلى عليه وويحي من تبدُّله
 قولاً تطاير من أرجائه الشررُ
 لمعشرٍ وردوا قبلي وما صدروا
 حتى سلا القلبُ عنه وارعوى البصرُ
 تكادُ من ذكرها الأحشاء تنفطر
 يدُ الهوى عنك إلا ما جنى النظر
 عني إليك فلا عينٌ ولا أثر
 وطالما صُنَّته لو ساعدَ القدرُ

ومن شعره في العتاب

قال من كلمة ٢ :

مقالٌ يطيرُ الجمرُ من جنباته
 أحينَ نبذتُ الناسَ إلا علالةً
 ودنتُ بما تهوى هدىً وضلالةً
 سرتُ لك في أفياءِ ظليّ قولةً
 فهلاً على حالٍ وفيتَ لمن وقَّتْ ٣
 وحاشاك أنْ تُعزّي إلى المجد خطه
 ولكن أباي إلا إليك التفاته
 ومن تحته قلب عليك يذوبُ
 من الحسن يدعو ناظري فيجيب
 وما الناسُ إلا مخطئٌ ومصيب
 لها بين أحناءِ الضلوعِ ديب
 سجيتهُ حيثُ الوفاءُ غريب
 تجشّمه داءٌ وأنت طيب
 فؤاد عليه من هواك رقيب

١ م س : وويلي .

٢ بعض أبياتها في المسالك ١١ : ٤٣٤ : ٤٣٧ ومنها بيت في المغرب .

٣ وفيت : سقطت من م .

وود^١ وإن أخرتموه مقدّم
 وكم بيننا إن كنت تحفظ^٢ ما مضى
 وقد قام في وجه النسيم غزّيل
 وسدّ طريقَ الشمسِ بدر إذا بدا
 يديرُ علينا السّحرَ ملءَ جفونه
 وتحت جناحِ الغيم أحشاءُ روضة
 وللزّهرِ في ضمن الرياضِ تبسم^٣
 وقد شملتنا يعلمُ الله عفة^٤
 أمّا والذي أعطاك شاحخة العلا
 لقد علقتُ كفاك مني كوكباً
 حتّانِيك لا تحمده^٥ بعد توقّد
 وخذها وإن صدّت قليلاً بوجهها
 وصدّر وإن أخرجتموه رحيب
 إذ العيش غصّ والزمان قشيب
 تغازلُ عطفيه صَباً وجنوب
 أهانتُ عيون^٦ بالهوى وقلوب
 فكلُّ بريءٍ عند ذاك مريب
 بها لخفوقِ العاصفاتِ ضروب
 والطيّر من فوق الغصونِ نجيب
 على ماترى والعاشقون ضروب [١١٥]
 فزلّ شبابٌ عن مداك وشيب
 له في سماءِ المكرباتِ ثقب
 فربّما علّ الطلوع^٧ غروب
 ففي صدّرها شوقاً إليك طيب

قوله : « وقد قام في وجه النسيم غزّيل » من براعة الشعراء الحلوة ؛
 وأنشدت لأبي بكر بن سعيد البطليوسي^٢ :

عندي قُطيع^٣ قهوةٍ ومودّتي وأبو الحسين

وقال أبو الوليد من أخرى^٤ :

١ س م وأصل ط : عل ؛ ط : الضلوع .
 ٢ هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد أحد بني القبطورة ، وسترّد ترجمته في هذا القسم : ٧٥٣ .
 ٣ القطيع : الزجاجة الصغيرة .
 ٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

ولقد منحتك مهجتي لبصرة
فلو اطلعت على فؤادي لم تجد
وهوى لطيف الكشح ذا جبرية
كالغصن غازلت الصبا أعطافه
وكأنما غمرا الكرى أجفانه
فكأنما^٢ لبس الملاحه حلة
يروى ترابك من مدامة ريقه
فلئن هممت فغير مشدود الحبي^٣
ولقد قنعت فلا قنعت بزورة^٤
فأبحت سرح اللهو مرتاد الهوى
لاحت لقلبي في إخائك أو عمي
إلاك فيه ما أجل وأعظما
إلا عليك فما أحن وأرحما
نشوان يعبث بالنفوس وربما
فتضرجت وجناته منها دما
ولقد خجلت لقولي فكأنما^٥
وسواك يهلك لا سواي من الظما
ولئن عفت فغير ممنوع المي
ولقد نجوت فما نجوت مسلما
ومنعت طير الوجد أن يترنما

قوله : « يروى ترابك » ... البيت ، ذهب إلى قول الآخر :

أتمنح ريقك المعسول عني وأنت على التراب به تجود

إلا أن هذا زاد عليه ، لبعض حاجته إليه ، ولكنه والله دعا الإحسان
فأسمع ، وجادت نفسه فأقنع ، حيث يقول بعده :

وأنت لو اقتصرت عليه جدنا^٥ ولكن قد علمنا ما تريد

١ المسالك : غمز ؛ م س ط : عمر .

٢ م س : وكأنما ... وكأنما .

٣ م ط د س : الحيا .

٤ د : ولقد قنعت بزورة من طيفه .

٥ م : حرنا .

وقوله : « ومنعت طيرَ الوجد أن يترنما » ، من لطيف الإشارة ، ومليح الاستعارة ، أوماً به إلى الكتمان ، إيماءً يأخذ بمجامع البيان .

وقال من أخرى^١ :

خذها أبا العباسِ قولَةَ مُخْلِصٍ	إنْ وافقتْ من مِسْمَعَيْنِكَ قبولاً
تطغى ويمنعها ^٢ الحياءُ وربَّما ^٣	مالَ العتابُ بها عليك قليلاً
واضيعتا للودَّ عند معاشرٍ	لا يهتدون إلى الوفاءِ سبيلاً
فارغبْ بنفسك عن معارِضِ العدا	لا زال دونك حدُّهم مفلولاً
وانظرْ فربَّما ضللتَ وكم فتى ^٤	لعبَ السَّرابُ بناظريه طويلاً
وأصيخُ فغيري من يسوعك غيبه ^٥	وسوايَ من رضيَ الودادَ عليلاً
وارفقْ فثمَّ وإن صدرتَ ^٦ بقيَّةُ	تأبى على رغم السُّلُو رحيلاً [١١٥ب]
فلطالما أجريتَ أجفاني دماً	وملأتَ أضلاعي جوى وغليلاً

وله من أخرى إلى أبي الحكم ابن عمه^٧ :

أعمرو^١ كم أطامنُها حياءَ فتتطنَّغيها معاتبهُ الأمانى
وإن وقفَ الغرامُ بها قليلاً فعذرُ أخيك في جفَّتني فلان

١ منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٧ .

٢ م س : تصني ويحفظها ؛ المسالك : ويحفظها .

٣ ط د : وإنما .

٤ ط د : فانظر .

٥ ط د : طولاً .

٦ م س : صدرت .

٧ منها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

أَتَنِي قَوْلُهُ هَجَمَتَ فَكَادَتْ
وَلَمْ أَرْتَبْ وَمَجْدِكَ غَيْرَ أَنِّي
أُأْرَحِلُ وَالنَّوَى قَذَفَ وَرَحَلِي
أَمَّا رَأْيِي الْأَمِيرَ وَلَمْ أَرْجَمْ
يُعِينُ عَلَى الْمَكَارِمِ عَاشِقِيهَا
وَيَتَنِي الدَّهْرَ طَوْعَ يَدَيَّ حَتَّى
وَلِنْ سَدَّ الْقَضَاءُ سَبِيلَ سَعْيِي

تَغْلُ يَدَيَّ وَتَعْقِدُ مِنْ لِسَانِي
كَلِيمٌ مِنْ مَقَارِعَةِ الزَّمَانِ
كَمَا تَدْرِي مَظَاهِرَةُ الْحِرَانِ
ظَنُونِي فِي التَّبَاعُدِ وَالتَّدَانِي
وَلِنْ عَزَّتْ مَصَافَاةُ الْحَسَانِ
كَأَنَّ الدَّهْرَ كَفَيْتُ أَوْ بَنَانِي
فَلَيْسَ جَمِيلٌ سَعْيِكَ لِي بَدَانِ

فأجابه أبو الحكم بأبيات منها :

أَمَّا وَعَقِيلَةُ لَكَ غَاظَلْتَنِي
لَقَدْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْهَا عَرُوسًا
جَلَّتْ مِنْ رَقَّةِ التَّعْرِیْضِ صَحْفًا
وَأَخْشَى أَنْ أَكُونَ لَهَا ظَلُومًا
بِنَفْسِي أَنْتَ قَوْلُ النَّاسِ رِيحٌ
أَنَا لَكَ حَيْثُ كُنْتَ أَخٌ أَمِينٌ
الْأَلَيْتَ الْقَبُولَ غَدَّتْ بِسَرَجِي
فَأَلْمَحْ مِنْكَ أَرُوعَ أَرِيحِيًا

بَغُنْجِ السَّحَرِ مِنْ جَفَنِي فَلَانِ
مُعَرَّسَهَا سَوِيدَاءُ الْجَنَانِ
أَرَقَّ مِنْ الْحَسَامِ الْهِنْدَوَانِي
إِذَا سَمِيتُهَا سَحَرَ الْبَيَانِ
يُوَافِقُ مِنْكَ رَكْنًا مِنْ أَبَانِ
إِذَا مَا خَانَ إِخْوَانُ الْعِيَانِ
إِلَى لَقِيَاكَ مَطْلَقَةَ الْعِنَانِ
تَبَوَّأَ ذُرُوءَ الْحَسَبِ الْهَبَّانِ

ولأبي الوليد إلى أبي بكر ابن عمه ١ :

١ أبو بكر محمد بن مذجج : أخو أبي الحكم عمرو ، انظر المغرب ١ : ٢٣٩ ونفع الطيب ٣ : ٤٧١ ؛ ومنها بيتان في المسالك ٤٣٧ .

إليكَ وإن أصبحت عني بمزل
عتاباً كحدّ السيف إلا بقيّة^١
وأعدّته للدهر جنةً واثق^٢
وأرسلته سهماً سديداً على العدا
أريش^٣ ويبري أعظمي غير مُقصر^٤
وأخفقَ ظنّي في هواك ولا أدري
عليك ولولاها لساءك ما يفري
فألفيتهُ سيفاً عليّ مع الدهر
فأخطأهم عمداً وعاج^٥ إلى نخري
فيا ليت شعري كم أريش^٦ وكم يبري

ومن جواب أبي بكر له^٧ :

ولمّا رأى حمصَ استخفّت بقدره
نحملُ عنها والبلادُ عريضة^٨
فيا أيها المهدي إليّ صوارماً
أني الحقّ أن يحظى بقربك معشر^٩
على أنها كانت به ليلة القدر
كما سلّ من غمد الدجى صارمُ الفجر
من العتبِ يفري حدّاً جئن الصبر^{١٠} [أ١١٦]
قليلو الحجى ليسوا بخل^{١١} ولا خمر؟

ومنها^{١٢} :

ألسنا من القوم الذين سمّوا^{١٣} بنا
فكم جعلوا عبساً يطولُ عبوسها
إلى حيث لا تسري النجوم التي تسري
وكم صبحوا بكراً براغية^{١٤} البكر

وقال أبو الوليد من قصيدة^{١٥} :

١ المساك : إلى .

٢ س والمساك : وعاد .

٣ منها بيتان في المساك والتفح .

٤ ومنها : زيادة من م س .

٥ م : ملوا .

٦ البيتان في المساك ١١ : ٤٣٧ - ٤٣٨

وإذا الزمانُ رمى إليك مسالماً وأمينتهُ فاحذرُ من الإخوانِ
وسجيتي ما قد علمتَ وربّما صدىءَ الحسامُ من النجيعِ القاني

ومعنى البيت الأول كأنه يشير إلى ما قال الفقيه منصور^١ :

لو قيلَ لي خذْ أماناً من حادثِ الأزمانِ
لما أخذتُ أماناً إلاّ من الإخوانِ

والبيت الثاني كقول ابن الملح من شعر وقد تقدّم^٢ :

والغضبُ يسره القرابُ وربّما خَشُنَتْ مضاربُهُ الرقاقُ من الصدا

ولأبي الوليد^٣ من قصيدة^٤ :

حيبٌ إليه الوردُ ، والمنهلُ الردى يسيرٌ عليه الخطبُ ، أهونهُ القتلُ
إذا نال غاياتِ المكارمِ والعلا فلا أسعدتْ سَعْدَى ولا أجملتْ جملُ

ومنها^٥ :

١ هو أبو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمي المصري الضرير (- ٣٠٦) ،
وقد ذكرت ترجمته في القسم الأول : ٨٨٣ والمصادر ، ويمكن أن يضاف إليها معجم
الأدباء ١٩ : ١٨٥ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٢ والمتنظم ٦ : ١٥٢ وحسن
المحاضرة ١ : ١٦٨ ومعجم المرزباني : ٢٨٠ وجمع الجواهر : ١٢٠ - ١٢٢ ولم يرد
البيتان في المصادر المذكورة هنا أو في القسم الأول .

٢ انظر ص : ٤٥٤ فيما تقدم .

٣ م س : ولأبي بكر .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ومنها : لم ترد في م س .

نَبَذْتُ^١ إِلَيْكَ النَّاسَ لَا غَادِرَ لَهُمْ وَلَا طَالِبًا جَدُوكَ إِنَّ خَيْمَ الْمُحَلِّ
وَنَكَبْتُ عَنْ قَوْمٍ مَضَوْا وَبُودَهُمْ لَوْ أَنَّ ثَرَى رَجُلِي لِأَجْفَانِهِمْ كُحْلُ

وهذا كقول بعض أهل عصري :

وَكَمْ رَافِعٍ لِي بِالْعِدَاوَةِ صَوْتُهُ يُوَدُّ لَوْ أَنَّي بَيْنَ أَضْلَاعِهِ قَلْبُ

ولأبي الوليد من مرثية^٢ :

بِأَيِّ مَقَالٍ مِنْ لِسَانِي أُرْثِيهِ وَأَيِّ دَمُوعٍ مِنْ جَفُونِي أَبْكِيهِ
وَقَدْ جَلَّ رُزْنِي فِيهِ حَتَّى كَانَمَا رَزَايَا جَمِيعِ النَّاسِ مَجْمُوعَةً فِيهِ

ومنها :

فَرَوْضُ سُرُورِي بَعْدِيَوْمِكَ قَدْ ذَوَى وَعَارِضُ حُزْنِي فِيكَ حُلَّتْ عِزَالِيهِ
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ ثَارِي نَلْتُهُ وَلَوْ حَلَّ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ جَانِيهِ

ومنها :

وَلِنْ كُنْتُ أَوْتَيْتَ السِّيَادَةَ نَاشِئًا فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ مِنْ شَاءِ يُؤْتِيهِ
وَمَا بَاخْتِيَارِي عَشْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً فَلِي أَجَلٌ يَفْقَنِي سَوَادِي وَأَفْنِيهِ^٣
فِيَا قَبْرَهُ مَاذَا تُجِنُّ مِنَ الْعَلَا وَيَا يَوْمَهُ مَاذَا نَعِي فِيكَ نَاعِيهِ

وله مما كَتَبَ عَلَى قَوْسٍ وَأَخْبَرَ عَنْهَا :

١ ط د : تَبَذْتُ .

٢ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ الشطر الثاني من هذا البيت اقترن مع الشطر الأول من البيت السابق في ط د .

إنّا إذا رُفِعَتْ سماءُ عجاجةٍ والحربُ تقعدُ بالردى وتقومُ
وتمرّدُ الأبطالُ في جَنَبَاتِها والموتُ من فوق النفوسِ يحومُ
مرَقَّتْ لهم منا الختوفُ كأنّما نحن الأهلَةُ والسَّهامُ رجومُ
ولكم دمٍ عزّ القضاء ورودُهُ فَرَوَيْنَ منه والعوالي هيَمُ

في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي^١ والبات جملة من سري نظامه ، وحُرّ كلامه

[١١٦ ب] وأبو بكر في وقتنا هذا على صغر سنّه شهابُ فهم ونُبل
قلماً يخلو شعره من بديع ، وأخرجته فتنةٌ طليطلة - جبرها الله - الآتي خبرها
في القسم الرابع من هذا المجموع ، ولمّا يسطعُ بعدُ ضوءُهُ ، ولا نشأ نوعه ،
فاحتلَّ اشبيلية ، فمن ثمَّ شرّقَ وغرّبَ ، وأحزن ذكره في البلاد وأسهب ،
ولذلك نسقته في دررها ، وأثبتته أثناء حجولها وغررها ؛ وقد أخرجت من شعره
ما يشهد بما أجريت من ذكره ، ويبرأ من الإطراء ، ويُرِي أنّي ربما قصّرتُ
في الثناء .

١ أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي (وعند السلفي يحيى بن حكيم بن بقي وعند ابن
الأبار يحيى بن أحمد) الشاعر الوشاح ، سرقطي النسب (وقيل طليطلي) اشبيلي الأدب ، سلوي النسب ،
وادياشي المطب ، أي أن أصله من سرقطة (أو طليطلة) وتادب باشبيلية ، واكتسب المال
بمدينة سلا ، وتوفي بوادي آتش سنة ٥٤٠ هـ (أو ٥٤٥ هـ) ؛ قيل إن له ما ينيف على ثلاثة آلاف
موشحة ومثلها قصائد ومقطعات ، وله مدائح كثيرة في بني عشرة أعيان سلا (انظر ترجمته
في القلائد : ٢٧٩ وعنه وعن المطمح ترجمة منقولة في نفح الطيب ٤ : ٢٣٦ - ٢٤٠ ؛
وفيات الأعيان ٦ : ٢٠٢ والسلفي : ٥٠ - ٥١ ومجمع الأدباء ٢٠ : ٢١ والمساك ١١ :
٢٨٠ والخريدة ٢ : ٣٠٨ ونفح الطيب ٣ : ٢٠٩ ، ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ ،
٤ : ١٣ ، ١٥٥ ، والمطرب : ١٩٨ وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح .)

جملة من شعره في أوصاف شتى

استهدى من بعض إخوانه أقلاماً ، فبعث إليه منها بثلاثٍ من القصب ،
وكتب معها إليه :

خُذْهَا إِلَيْكَ أبا بكرٍ العلا قصباً كأنما صاغها الصوّاغُ من ورَقه^١
يُزْهِى بها الطرسُ حسناً ما نثرتَ بها مسك المدادِ على الكافور من ورقه^٢

فأجابه أبو بكر بأبيات منها قوله :

أرسلتُ نحوي ثلاثاً من قنأ سُلْبٍ منادة تطعنُ القرطاسَ في درَقه^١
فالحِظْ ينكرها والخطَ يعرفها والرقُّ يُخدمها بالرقِّ في عنقه

فكانَ بعضَ من حضر سماعَ شعره حسده عليه ، ونسب الانتحال
إليه ، فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول من جملة أبيات :

وجاهلٍ نَسَبَ الدعوى إلى كلمي لمأ رماهُ بنبلِ النبلِ في حدَقِه^١
فقلتُ من حَنَقٍ لمأ تعرَّض لي من ذا الذي أخرج اليربوعَ من نفقِه^٢
ما ذمَّ شعري وأيمُ الله لي قسمٌ إلا امرؤٌ ليستِ الأشعارُ من طرقِه^٣
الشعرُ يشهدُ أني من كواكبه بل الصباحُ الذي يستنُّ في أفقِه^٤

وله من كلمة في الوزير أبي العلاء^٥ :

١ لم يرد هذا البيت في ط د .

٢ يعني أبا العلاء ابن زهر ، الذي تقدمت ترجمته ص : ٢١٨ .

عُلِقَتْهَا مِنْ رَبِّ رَبِّ الْعَفْرِ لَكُنْهَا عَرَبِيَّةٌ النَّجْرِ^١
 لَا تَلْتَمِحُهَا رُبَّمَا سَلَبَتْ مِنْكَ الْفَوَادَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
 وَادْهَبْ بِشَأْنِكَ إِنْ مَقَلَتْهَا سَقَيْتَ^٢ بِيَابِلَ قَهْوَةَ السَّحَرِ
 سَلْ بِالْعَيُونِ فَقَى أَصِيبَ بِهَا مِثْلِي لَتَعْلَمَ صَحَّةَ الْأَمْرِ
 هُنَّ السُّيُوفُ مِنَ الرَّدَى طَبَعَتْ تَبْرِي الْقُلُوبَ وَقَلَمًا تَبْرِي

ومن المدح :

مَنْ جَدُّهُ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ قَدْ حَازَ النَّدَى بِالطُّيِّ وَالنَّشْرِ
 هُوَ آثَرُ النَّسَمِيِّ صَاحِبُهُ بِالْمَاءِ فِي دَوِيَّةِ الْقَفْرِ
 وَاسَاهُ حَتَّى مَاتَ مِنْ ظَمًا ثُمَّ انْطَوَى وَالْجُودَ فِي قَبْرِ
 وَأَرَاكَ يَا زُهْرُ اقْتَدَيْتَ بِهِ فِي صَبْرِهِ وَنَوَالِهِ الْغَمْرِ
 زُهْرُ الْكَوَاكِبِ كُلُّهَا شَهِدَتْ أَنَّ السِّيَادَةَ فِي بَنِي زَهْرٍ
 ذَرَّ حَاتِمًا يَشْجَى بِكَعْبِكُمْ وَافْخَرْ بِدَعْمِي^٣ عَلَى عَمْرٍو
 وَافْخَرْ بِنَفْسِكَ لَسْتَ دُونَهُمْ وَلَتَنْ سَكْتَ^٤ فَخِيفَةَ الْكَبْرِ

وله من أخرى < فيه > :

افْخَرْ عَلَى النَّاسِ مِلءَ الْأَرْضِ مِنْ شَمَمٍ الْعِزُّ أَقْعَسُ وَالْآبَاءُ أَنْجَادُ^[١١٧]
 هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كُلَّنَا بَشَرٌ فَالْمُنْدَلُ الرُّطْبُ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

١ بعد هذا البيت في م س : ومنها .

٢ سقيت : سقطت من ط د .

٣ دعمي الذي يعنيه هنا من إِيَاد قبيلة كعب بن مامة وهو أخو زهر القديم (انظر كاسكل ١ : ١٧٤) .

٤ ط م س : سكت .

وهذا يشبه قول أبي الطيب^١ :

فان تفق الأنام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وقال الحصري :

أبا بكر أن أصبحت بعض ملوكهم فان الليالي بعضها ليلة القدر

ومنها :

يا زهر زهر زهر إياي لا كما زعمت زهر النجوم فما للصيد أنداد
حقاً سلكت إلينا كل موحشة تيهاء ساكنها ظبي وفياد
يجب فيها الصدى من ليس يسأله ويقتل الجوع فيها من له زاد
وينضب الماء وهو اللحم مورده [...] الرمل رملاً وهو أعقاد
والمرؤ في الحرّة الرجاء قد حميت كأنهن من العشاق أكباد
من شر ما طرّق الأقوام من نوب وخير ما ارتاده للنجع مرتاد
يخرجن من جنتبات النع طائفة كأنهن سقوط وهي أرناد

ومنها :

ولتوا جميعاً بما في الدهر من حسن لاعيب في القوم إلا أنهم بادوا

وهذا كقول أبي تمام حيث يقول^٢ :

١ ديوان المتنبي : ٢٥٨ .

٢ بياض في ط د س وموضعه كلمة غير واضحة في م ، ولعلها « ويحشد » .

٣ م س : كقول أبي حاتم من قصيدة : وانظر ديوان أبي تمام ١ : ١٩١ .

وما كان بين الهَضْبِ فرقٌ وبينهم سوى أنهم زالوا ولم يَزُلِ الهَضْبُ

ولأبي بكر من قصيدة :

لم أعلمِ الشوقَ إلاّ من مطوّقةٍ
لا مثلها وسقيطُ الطلّ يضرّ بها
تذكرتُ ساقَ حرٍّ وهي تندبُهُ
كأنهنّ بأعلى الدوحِ إذ سجعتُ
والنجمُ منهزمٌ أولى كتائبِهِ
والروضُ يرشفُ ريقَ الطلّ عن ترفِ
دعِ المنى ربما نيلتُ بلا طلبِ
فهمتُ عنها الذي قالت ولم تُبْنِ
في عاتقِي حلّةٌ من سندسِ اليمنِ
بالأخضرين من الظلماءِ والفننِ
رومٌ ترأطنُ بالألفاظِ من قدنِ
والصبحُ يغسلُ ثوبَ الليل من درنِ
وليت لي مثله ممّن يعذبني
وربّما وقع الحرمان في المهنِ

ومنها في وصف طيرف :

لكن على سابعِ نهدٍ مراكيلُهُ
أقام في الحيّ أحوالاً وآونةً
فجاء إذ صنّعه وهو مضطمرٌ
يهوي من الأرض أنّى شاء راكبُهُ
مؤلّل الجيد والأرساغ والأذنِ
يُسقَى الخليطين من ماءٍ ومن لبنِ
سامي التليل مُمرّاً الخلق كالشّطنِ
وتركُ الريحَ في الآريّ والرسنِ

قوله : « والصبح يغسل ما في الليل من درن » . يشبه قول بعض أهل
العصر : [١١٧ ب] .

شهمٌ له نظرةٌ في كلِّ مشكلةٍ يكادُ يغسلُ ما في الطين من درنِ

وقلبه من قول المعري^١ :

فإن كان يكتبه كاتبٌ فقد سودَّ الصبحَ مما كتبُ

وقال أبو بكر من قصيدة :

أقبلتَ بالخيـشِ مـلـمـومـاً كـتـابـهُ كأنَّكَ البدرُ تحتَ العارضِ المـطـيـلِ
في قتيـةٍ كـسـيـوفِ الـهـنـدِ أنـحـلـكـهـمُ حُبُّ الصـوـارمِ والخـطـيـةِ الذبـلِ
وتُـيـمـوا بـعيـونٍ غـيـرِ فـاتـرةٍ من الأسنـةِ لم تـهـجـعْ مـعِ المـقـلِ
إنْ لا تـكـنْ أـعـيـناً نـجـلاً فـانْ لـها في أضـلـعِ القـومِ مـثـلَ الأـعـيـنِ النـجـلِ

وما أحسن ما أتى بهذا المعنى ، وإنما ذهب إلى قول^٢ أبي الطيب^٣ :

أثبتْ عـيـنـكُ في حـشـايَ جـراـحـةً فتشـابـها كلـتـاهـما نـجـلاءُ

وقال :

« عليهنَّ من وقعِ السيوفِ حواجبٌ » .

ومن قصيدة أبي بكر :

تـرى السـمـاءَ دـخـانـاً مـثـلـما خـلـقـتْ والأرضَ قـدِ شـرقتْ بالـخـيـلِ والإبـلِ

١ الزروميات ٤٧ / أ : ١ : ١٢٦ .

٢ م س : ذهب بقول .

٣ ديوان المتنبي : ١١٥ .

٤ الديوان : مثلت .

٥ وقال . . . حواجب : لم يرد في م س ؛ ولا يعرف إلى من يعود الضمير في « وقال » .

تمشي بها الخيل لا جُرْدٌ مطهَّمةٌ
من كلِّ مضطمرٍ الكشحين حافرهُ
يا معشرَ الروم قد شالتْ نعامتكمُ
لم يَكْسُكُمُ من ثياب الخزي أسبعها
يا ويلكم معشراً بل ويل أمكمُ
مشي الكواعب في جَلْبِي وفي حُلل
أحقُّ من مبسم الحساء بالقبل
إمّا من الحَيْنِ أو من شدّةِ الفشل
إلاّ اتقاؤكمُ للصّدْرِ بالكفل
فإنها وَلَدَتْ للثكلِ والهَبَلِ

وهذا المعنى كثير ، ومنه قول أبي تمام ^١ :

لم تبقَ مشرّكةٌ إلاّ وقد علمتْ
إن لم تُنَبَّ أنه لل سيف ما تَلِدُ
وأخذه أبو الطيب فقال ^٢ :

السبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا
والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا
وقال محمد بن هانيء ^٣ :

لو تعلم الرومُ ما لاقَتْ بطارقها
ما هُنْتُتْ أم بطريقٍ بمولودِ
وقال أبو بكر من قصيدة :

مَنْ لي به والوغى شهباءُ من أسلِ
يُرْذِي ويصرع أقواماً ، عيونُهُمُ
بكلِّ غُصْنٍ من الخطي معطفِ
في صهوةٍ من أقبِ البطن منجردِ
حُمُرٌ من الرّوعِ لا حمر من الرمدِ
بطائرٍ من سنانٍ ليس بالغردِ

١ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٠ وروايته « إن لم تنب » .

٢ ديوان المتنبي : ٣٠٣ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٤٦ .

٤ الديوان : لو كان للروم علم بالذي لقيت .

ومنها :

الدهرُ أخونُ من أن يستقيمَ لكم وإنما جاد عن كَرِهٍ ولم يكد
ومن تصنع يرجع بعد آونةٍ إلى الطباع رجوعَ العَبْرِ للوتد

وهذا المعنى مشهور ومنه قول الآخر^١ :

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيئته وإن تمتعَ أخلاقاً إلى حين

وقال آخر^٢ :

يا أيها المتحلِّي غيرَ شيئته إن التخلُّقَ يأتي دونه الخلقُ [١١٨]

وقال آخر^٣ :

ومن يتكلّف غيرَ ما في طباعه يدعُه ويغلبُه على النفسِ خيمُها

وقال الرضي^٤ :

١ م س : الأول ، والبيت الذي أصبح العدواني ، المفضليات : ٣٢٣ وهجة المجالس : ٢ :

. ١١٣

٢ هجة المجالس : ٢ : ١١٣ وروايته :

ما أن تخلقت إلا شيمتي خلقاً إن الخلائق يأتي دونه الخلق
وسقط البيت من م .

٣ هو كثير غزاة ، انظر ديوانه : ١٤٨ وعيون الأخبار : ٢ : ٥ والشعر والشعراء : ٤٢٠
واللسان (خيم) وروايته :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه (من خيم نفسه) .

٤ الرضي : سقطت من م س ، وانظر ديوان الرضي : ١ : ٦٥٢

لَا تُبْدِينَ^١ لِي التَّكْلُفَ فِي الْهَوَىٰ فَضَحَ التَّطَبُّعَ شِيمَةً الْمَطْبُوعِ

ولكن^٢ أبا بكر استولى على الأمد ، ونفت بالسكر في العقد ، بقوله :
« رجوع العبير للوند » .

وله من قصيدة :

لم أنسَ إذ ودَّعْتُهُ وقد التقت مني هناك بالبكا عينان
يرنو بزرجه إليَّ وربما قرعَ الأحاحَ يباسمين بنان

وهذا كقول الآخر^٣ ، ولكن^٤ أبا بكر نقص عنه^٥ :

وَأَسْبَلْتُ^٦ لَوْلُؤًا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَّتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبُرْدِ

وقال من أخرى^٧ :

وقالوا ألا تبكي وتلك مطبئهم^٨ على الشَّهْبِ يَحْمِلُنَ الْأَوَانِسَ^٩ كَالْدُمَى
لئن نفدت^{١٠} مني اللموع تغامزوا وقالوا : سلا أو لم يكن قبل مغرما
فهلاً أقاموا كالبكاء تنهدي إذا ما بكى القمري قالوا ترنما

١ الديوان : هيهات لا تتكلفن لي الهوى .

٢ هو الواواء الدهشي ، ديوانه : ٨٤ .

٣ ط : تقصر منه .

٤ الديوان : وأمطرت .

٥ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد والخريدة وبيتان في الرايات : ٤٩ (غ) وبيت واحد في المغرب .

٦ القلائد : الخرائد .

٧ ط م د س والقلائد : بعدت ، الرايات : إن بعدت .

وهذا من حجول الكلام وغرره ، وإن لا يكن اخترع ، فما أتقنَ ما
اتبع ! !

ومنها :

نأوا بِصَموتِ الحجلِ عاطرةِ الشَّدَا مبتلّة الأعطافِ معسولةِ اللمى
ألا نظرةٌ منها فتتفعَّ غُلّةٌ على كبدي ما أشبه الشوق بالظما

وله من قصيدة :

ولاني من الورقِ السواجعِ بالضحي ولكتني من بينها لم أطوّقِ

وهذا كقول ابن حمديس الصقلي ، وهو أبرع وأجمع وأصنع ، إلا أن
أبا بكر قلبه على ما أراد ، ونقص منه فما أخلَّ به ولا كاد^١ :

جناحيّ مبلولٌ وجبدي مطوّقٌ وروضيّ مطلولٌ^٢ فما لي لا أشدو

وله من قصيدة أيضاً^٣ :

أتى به الدهرُ فرداً في فضائله وفي الفرائد ما يُربي على الجملِ
يباضُ عرضي تحامى الذمُّ جانبُهُ ليس السّوادُ بأبهى منه في المقلِ

والبيت الأول منها كقول بعض أهل عصرنا :

١ ديوان ابن حمديس : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٢ د : مبلول ؛ ط : مطلول .

٣ أيضاً : سقطت من م س .

وقد تقتضي هذه المفردات معانٍ تقصّرُ عنها الجملُ

وله من قصيدة :

عندي حُشاشةٌ نفسٍ في سبيل ردى^١ إن شتّها اليومَ لم أمطَلْ بها لِيغدِ
وكيف أقوى على السلوانِ عنك^٢ وقد ربّيتُ حبّكَ حتى شب في خلدي^٣
خُذْها وهاتِ ولا تمزجْ ففسدها الماءُ في النار أصلٌ غيرُ مطرّد

وهذا كلام بديع ، ونظم سنيع^٤ .

وقال :

جرّبْ ولا تَغْتَرِرْ بمحمدةٍ قد يقتلُ [النّورُ]^٥ وهو نفّاحُ

وقال :

ولقد وصفتُ لعاذلي من حسنه طرّفاً فودّ^٦ بأنّه لم يَحْدُلِ
وعصيتهُ فيما مضى من عهدنا وأنا الذي أعصيه في المستقبل

وله من قصيدة^٦ : [١١٨ ب]

١ أصل ط : هوى .

٢ عنك : سقطت من ط د .

٣ م س : كبد (ي) .

٤ ونظم سنيع : سقط من م س ، كما سقط البيت التالي أيضاً من م وحدها ؛ ط : سنيع .

٥ ما بين مقفين لم يرد إلا في س .

٦ منها أربعة أبيات في كل من المغرب والقلائد، وبيتان في الخريدة .

إذا ما غراب الليل مدَّ جناحا
تقلَّبتُ في طيِّ الجناحِ لعلَّني
إلى الله أشكوها نوىً أجنبيَّةً
سلا كلُّ مشتاقٍ برؤيةٍ إليه
إذا جاش صدرُ الأرضِ بي كنتُ منجداً
أكلُّ بني الآدابِ مثلي ضائعٌ
أمَّ الظلمُ محمولٌ عليَّ لأنَّني
لعمري أليك الخير ما أمل الغنى
ولكنَّما أملتُه لصنيعةٍ
ستبكي قوافي الشعرِ ملءَ جفونها
ولا ذنبَ لي عند الزمانِ علمتُه
توهَّمتُه عمرو بنَ هندٍ وخلتني

عليَّ وغطَّاني بربيش قوادمٍ^١
أرى الصبحَ يبدو من خلالِ القوادمِ
لها من أبيها الدهرِ شيمةٌ ظالم
وكان عليَّ الشوقُ ضربةً لازم
وإن لم يجش بي كنتُ بين التهاشم
فأجعلَ ظلمي أسوَّةً في المظالم
طلبتُ العلا من قبل حلِّ التماشم
للين لبُّوسٍ واحتفالٍ مطاعم
أسرُّ بها نفسَ الصديقِ الملائم
على عربيٍّ ضاع بين أعاجمٍ^٢
سوى أني للشعرِ آخرُ ذاظم
شقياً أتاهُ من وفودِ البراجمِ^٣

ومنها :

إليك ترامتُ بي قلوصلُ كنبعةٍ
لعوبٍ إذا رقصُ السرابِ استفزَّها
تباري الصِّبا في سيرها فكأنَّها
وما راعها إلاَّ الزمام تظنُّه

معطَّفة في دَفِّها والحيازم
بييضِ الأداحي في النقا المتراكم
جبانٌ تولى في غبارِ الهزائم
إذا ما تلى حيةً في المخاطم

١ سقط هذا البيت من ط د .

٢ المغرب : الأعاجم .

٣ يشير إلى المثل : « إن الشقي وافد البراجم » . (فصل المقال : ٥٤) والمسكري ١ :

(٨١) وكان عمرو بن هند قد آلى أن يحرق مائة من بني تميم ، ، فحرق تسعة وتسعين ووفى

العدد برجل من البراجم أقبل على النار يظن أنه يجد عندها طعاماً .

وهذا كقول المعري^١ :

يحاذرنَ من وقعِ^٢ الأزمَةِ لا اهتدى مُخَبَّرُهَا أَنَّ الأزمَةَ أصلُ

وهذا كقول بعض أهل العصر^٣ :

تخشى الزمامَ فتثني جيدها فَرَقًا كَأَنَّهُ بَيْنَ ثَنِي حِيَةٍ ذَكْرِ

ومن قصيدة أبي بكر :

كَأَنِّي مِنَ الْبِيْدَاءِ أَطْوِي صَحِيفَةً
لِنَفْسِكَ أَكْرِمَتِي وَلَا لِمُعَاشِرِي
وَمَيِّزُكَ بِي مَيِّزُ الْكَمِيِّ بِسِفِهِ
أَحْبَبُكَ لِلْعَلِيَا غَضَبْتُكَ بَعْضَهَا
وَأِنْ كَانَ مِنْكَ الْوَدُّ فَيَتَأْخُذْتُهُ
وَأِنْ تَصْطَنِعْنِي تَصْطَنِعْ ذَا حَفِظَةٍ
لَهُ كَلِمَاتٌ كَالْقَلَائِدِ فِي الطَّلَى
يَشْقُ عَلَيْهِمَا تَرَكُ مَدْحِكَ ضَلَّةً
يَصُولُونَ مِنِّي بِالْمَهْنَدِ مَاضِيًا

ومنها في المدح :

حَمَدْتُ السُّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ بِمَاجِدٍ
هُوَ الْمَاءُ يُعْطِي رِيَّةَ كُلِّ حَائِمٍ [١١٩أ]

١ شروح السقط : ١٢٥٧ .

٢ شروح السقط : من لدغ .

٣ هو الأعشى التتيلي . انظر ديوانه : ٥١ .

رَحَسْبُكَ من قاضي الجماعة أنه
 به ثَبَتَ الإسلامُ في مستقرّه
 إذا مشقتْ بمناه في بطنٍ مُهْرَقٍ
 ولاحتْ سُلُورٌ كالشبابِ حَكِينٍ لي
 ومن لي بتقبيلِ الحروفِ فإنّها
 أَقْلُ أَيْادي كُتُبِهِ رَدُّ عَسْكَرٍ
 ورثتِ العلا من تغلبِ ابنةِ وائلٍ
 وأنّى يجاريكم إلى المجدِ حاسدٌ
 وهذا بُجَيْرٌ وهو خيرٌ لداته
 ويا عجباً يُعزّى إلى الجودِ حاتمٌ
 بل المثلُ المضروبُ في الجودِ للذي
 أمانٌ لمدعورٍ ومالٌ لعادمٍ
 وشُلٌّ لفريقٍ الكفرِ شَلٌّ للنعائمِ
 تحجبُ نُوارُ الرّبي في الكرائمِ
 سلاسلُ أصداعِ الحدودِ النّواعمِ
 ثغورُ الدّمي إلّا أبيضاضَ المباسمِ
 وتأليفُ أشناتٍ وِسلٌ سخائمِ
 تلاحداً لها من عهدِها المتقدّمِ
 جهولٌ بأسرارِ العلا غيرُ عالمٍ
 سوى شِسْعٍ نَعْلٍ منكمُ لم يقاومُ
 وما هو منه في اللهى واللّهازمِ
 يعودُ على أبناءِ كعبٍ وحاتمِ

وله من أخرى في الوزير أبي الحسين بن سراج :

تَشِفُّ وراءَ فطنتِهِ المعاني
 وما طلب الكلامَ الحرَّ إلّا
 أقام العلمُ دهرأ ليس يبدو
 وكان الناس في ظُلُماتٍ جهلٍ
 شفيفَ الراح من خَلَفِ الزجاجِ
 أتى بين انفرادٍ وازدواجٍ
 لها منه سوى نَتَفِ خِداجٍ
 فما جَلِيتُ بغيرِ بني سراجِ

١ ط د : أنوار .

٢ يشير إلى قول مهلهل التغلبي، وقد قتل بجير بن الحارث بن عباد: « بؤبشع نمل كليب » .

٣ ط د : المجد .

٤ ط : إلى .

٥ هذا البيت والذي يليه سقطا من م س .

وقال من قصيدة :

وبناتُ أعوج قد برِمنَ بصحبتِي ممّا قطعنَ من اليبابِ المقفرِ
بيداءُ كالمحرومِ في أحواله لا ذا أنيلَ وهذه لم تعمر

أراه كأنَّ له في هذا بعضَ إلام ، بقول أبي تمام ^١ :

وإذا تأملتَ البلادَ وجدتها ^٢ تُشْري كما تُشْري الرجالُ وتعْدُمُ

ولمّا هذا أشار بعضُ أهلِ العصرِ بقوله :

حظٌّ من الدين والدنيا أصبتَ به كلُّ يرزأُ حتى هذه البُقْعُ

ولأبي بكر من قصيد ^٣ :

من لم يعانقْ غزالاً في مغازلةٍ ما بين ممتنعٍ طوراً ومنفعلٍ
فما قضى من لباناتِ الصُّبا وطراً ولا تنزّه في روضٍ من الجذَلِ
وعاذلين رأوا أني على خطأ كما رأيتُ بأنَّ القومَ في خطلِ
هل أنكروا غير تهيامي بغانيةٍ سكرى من الدلِّ أو الحاظها النجلِ
ما زال يحجبها الغيرانُ مذ نشأتُ لو غيرَها حجب الغيران لم أبِلِ [١١٩ب]
في كلّةٍ سيراءٍ تتقي نظري يا أيّها الناسُ حتى الظلمُ في الكللِ
من لي به حيثُ لا نخشى مراقبةً ولا نسيّتُ من الواشي على وجلِ
في ليلةٍ لا يلي المريخُ مدتها ولا نقيمُ بها إلا على زحلِ

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٥ .

٢ الديوان : رأيها .

٣ م س : قصيدة .

أما الرياض^١ فقد أمهرتها قدحاً من المدام نكاحاً ليس فيه ولي
عقيقة في يدي سالت وأشربها لو شعثت بسجايا الدهر لم تسيل
وله من أخرى :

كيف صبري على الكؤوس إذا ما عثر الروض في ذيول النسيم
وهذا من المقلوب : إنما يعثر النسيم في ذيول الروض . فإن ذهب به
أبو بكر مذهب الأخطل في قوله^٢ :

• أو بلغت سواتهم هجر •

وشبهه فأبو بكر ممن لا يتهم أدبه . ولا يُعْجَمُ نبعه ولا غربه^٣ .

رجع :

وقال :

ورنا نرجس^٤ الربى بعيون وبدا معصم^١ الخليج فخطت
وجلا الورد عن محيّا وسيم فوقه^٢ الريح أسطراً من وشوم
أخذت من أرواحنا والجسوم سوف تدري الموم^٣ آية راح
فهي تعدو به كعدو الظليم بنت دن رعت^٤ ببيداء نفسي
لكرام فسميت بالكروم كرمت^٥ في حدائق غرسوها

١ م س : الليالي .

٢ ديوان الأخطل : ١١٠ وأول البيت : « على العيارات هداجون قد بلغت : نجران أو ... الخ

٣ م س : ريقت .

٤ م س : كرامة .

طُفْتُ بِالْأَبِكِ فَاسْتَهَلَّتْ دُمُوعِي لِحَمَامٍ تَبْكِي فِرَاقَ حَمِيمٍ
تَتَغَنَّى الثَّقِيلَ حَتَّى كَانَ قَدْ نَشَرَ اللَّهُ مَعْبَدًا مِنْ رَمِيمٍ
عَجْمَةٌ أَعْرَبْتُ بَوَاجِدٍ دَقِيقٍ وَكَلَامٌ مُقَطَّعٌ مِنْ كَلُومٍ

قال ابن بسّام : لو لم يتجاوز معبد الثقل إلى سواه ، لكان لأبي بكر ما
ادّعاه ، وقرب منه ما تكلفه وتعاطاه ، وأسحّر منه وأولى بالحكمة وفصل
الخطاب ، أبو العلاء حيث يقول ، يصف الأبل^١ :

كَانَ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَتَ بِالضُّحَى تَجَاوَبُ فِي غَيْدٍ رُفِيعِنَ طَوَالِ^٢
كَانَ ثَقِيلًا أَوَّلًا تَزْدَهَى بِهِ ضُمَائِرُ قَوْمٍ فِي الْخُطُوبِ ثَقَالِ

ولعمري لو شبه سَجَّعَ الحمام ، بخفاف الغريض وأهزاج حكم الوادي
لكان أحسن عبارة وأفتق إشارة .

وأما قوله : « كَلَامٌ مُقَطَّعٌ مِنْ كَلُومٍ » فأشفى للقلوب من اعتلال النسيم ،
وأحلى على الأكباد من محاورة الطرف السقيم .

وفي هذه القصيدة يقول أبو بكر :

أَوْضَعْتُ بِي إِلَيْهِ وَجَنَاءُ حَرْفٍ أَكَلَتْهَا السَّفَارُ أَكَلَ الْقُضِيمِ
تَرَكْتُ الرِّيحَ خَلْفَهَا وَهِيَ حَيْرَى بَيْنَ إِيْضَاعِهَا وَبَيْنَ الرَّسِيمِ
ظَلْتُ أَطْوِي الْقَفَارَ مِنْهَا بِلَامٍ طَبَعَتْهَا بِالْمِيمِ بَعْدَ^٣ الْمِيمِ

١ شروح السقط : ١١٨٨

٢ الفيد : العلوال الأعناق من الأبل .

٣ م : إثر .

فَاتَتْهُ^١ وَالْمَرُوءُ^١ قَدْ نَالَ مِنْهَا فِيهِ تَخْطُو عَلَى وَظِيفٍ رَثِيمٍ
وَقَلِيلًا تَمْتَعَتْ فِي الْفِيَا فِي بَسْنَامٍ كَالْعَارِضِ الْمَرْكُومِ
فَانْخَنَّا إِلَى فِنَاءٍ جَوَادٍ مَالُهُ نَهْبَةٌ لِكُلِّ عَدِيمٍ^٢
فَاكَلْنَا لُهَا^٣ أَكْلَ الضَّوَارِي وَشَرَبْنَا [...] شَرَبَ الْمِيمِ

أما تشبيههم الخليج بالمعصم ، فطريق لم يبق له ستر محرم إلا هتك ، ولا فيه موضع قدم [١٢٠ أ] إلا سلك ، فمن أشهره مناراً ، وأبهره أنواراً ، قول ابن عمار :

روضٌ كأنَّ النهرَ فيه معصمٌ صافٍ أطلَّ على رداءٍ أخضر

وقوله : « فسميت بالكروم » يشبه لفظه لفظ بيت المعري ، وبينهما من البعد ، ما بين الدرة والحجر الصلد ، المعري أثبت فيه قدماً ، وأمس رحماً ، حيث يقول :

وأنت أبوها إن غدت كرميةً وإن سكنت راءً فوالدها الكرم^٤

وذكرت بقوله : « بلام » ، طبعتها بالميم بعد الميم ، قول ابن الرومي في جهة أخرى :

١ ط د : والمرء، والمرؤ : الحجارة .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م س .

٣ سقطت في ط ، وموضعها في د : « لاء » .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٨٢ .

٥ شروح السقط : ١١٥٠ .

٦ شروح السقط : كرم .

يا أخا النحرِ والمقدّمَ فيه لِمَ تَرَى اللامَ أدْغِمْتَ في الميمِ

وكتب خلف الأحمر إلى بعض المؤدّين :

أتركُ في الحلالِ مَشَقَّ صادٍ وتأتي في الحرامِ مشقَّ ميمِ

وذكر الثعالبي^٢ أنه كان للقاضي عليّ التنوخي غلامٌ وسيمٌ ، اسمه نسيم ، وكان يؤثّره على سائر غلمانِه ، ويخصّه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعض إخوانه يداعبه :

هل عليّ لامُه مُدْغَمٌ لا اضطرارِ الشعرِ في ميمِ نسيمِ

فوقع تحته : نعم وكِمْ لا ؟ !

وقال أبو بكر من قصيدة :

واحرّ قلبي من خليطِ زائلٍ	صبري على آثاره سيزولُ
زُمْتُ له قُلُوصٌ يبارين الصّبا	ولربّما سبقَ الهبوبَ ذميلُ
همُ فارقوكَ وحملوكَ من الأسي	ما ليس يحملُ شامةً وطفيلُ
زرّعُوا بقلبك حَبّةً ، ونباتُه	برحُ الجوى ، لا لإذخرٍ وجليلُ ^٣

١ ط : لم تر ؛ م س : لن ترى .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٣٦

٣ في هذا البيت والذي قبله إشارة إلى قول بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص) :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بوادٍ وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه بحنة وهل يبدون لي شامة وطفيل
وشامة وطفيل : جبلان قرب مكة .

شيعتُهُمْ متوجَّهينَ وأدعني حدَرَ الفراقِ سوافحٌ وهمول
ونظرتُ في تلك الحدوجِ وطيبها غزلانُ وجرةٌ أهيفٌ وكحيل

وقال من أخرى :

لا تحملني على التسويف في هبة فبيلتقي فرحي فيها مع الأسفِ
ليس اعتذارك بالأشغالِ أقبلهُ فان شغلَكَ بي أدنى إلى الشرفِ

وهذا كقول الأول^١ :

ولا تعتذرُ بالشغلِ يوماً فإنما تُنَاطُ بك الآمالُ ما اتصل الشغلُ

وقال أبو حاتم الحجاري^٢ :

إني لأعلم أن شغلَكَ بالعلأ والمجد فاجعلني من الأشغالِ

وقال أبو بكر من قصيدة^٣ :

عليك أبا عبد الإله خلعتُها لها البدرُ طوقٌ والنجومُ دلائلُ
وما هي إلاَّ الدهرُ في طولِ عمرها وإن لم يكن فيها الضحى والأصائلُ

قال ابن بسام^٤ : ويا لهذا البيت ما أحسنَ مَذْهَبَهُ، وأبدعَ منتواه^٥.

١ انظر الإمتاع والمؤانسة ٣ : ٢٢٩ والبصائر ١/٢ : ١٥٩ وزهر الآداب : ٢٨٦ وريح

الأبرار : ٢٥٨ ب (نسخة برنتون) .

٢ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٣ ؛ وسقط قول الحجاري من ط د .

٣ البيتان في تمام المتن : ٢٨٩ .

٤ قال ابن بسام : سقطت من ط د .

٥ ط د : مشواه .

وَمُنْقَلَبَهُ ، إلا أنه أتى بالدهر مسلوب الضحى والأصائل ، فلم يزدْ على أن جلّاه في أيّ عاطل ، لا بل أبرزه في مُسوحِ شوهاء تاكل ، وليت شعري أيّ شيء أبقى للدهر المظلوم ، بعد ضحاه الناصعة الأديم ، وآصاله المعتلة النسيم ؟ هل بقي إلا ليله الأسود الجلباب [١٢٠ب] وهجير السائل اللعاب؟! ولو قال لممدوحه : « وتلك العلا فيها الضحى والأصائل »^١ لأبرز قصيدته رفاة البرود ، شفاة العقود ، ولأفاد ممدوحه بهذه الكلمة مدحاً لا يسهه المقال ، ولا تفي به القصائد الطوال .

وله من أخرى :

وما أكثرُ الأقوامِ إلّا ثعالبٌ تروغُ ولا يُحُلّي لديها بطائلِ
يردّونَ ذهني حائراً في طباعهمْ كأنهمْ من مُشكلاتِ المسائلِ
وأصغي إلى أقوالهمْ فتَربّني صدورٌ لهمْ أقوينَ مثلَ المنازلِ

وقال :

خُذْها على وجهِ الربيعِ المُخصِبِ لم يقضِ حقَّ الروضِ من لم يشربِ
هممي سماءُ علاٍّ وهمّي ماردٌ فارجمهُ من تلكِ الكؤوسِ بكوكبِ
والله ما أدري وإني واقفٌ للراحِ بين تحيرٍ وتعجبِ
أفضضت دناء أم فككت الخدرَ عن بكرٍ تجولُ مع المنى في ملعبِ
أخت الزمانِ تَكسّبتُ^٢ من خلقه جهلَ المراهقِ واحتاكِ الأشيبِ

وله من أخرى :

١ قارن هذا بما اقترحه الصفي من تغيير (تمام المتون : ٢٨٩ - ٢٩٠) .

٢ ط د : تكشفت .

مسومة تحكي سنايكيها الصفا
نمتها إلى حرٍ كريم^١ صفاتها
ومتنفض^٢ منها بالضراغم عقبان^٣
فللتبع أضلاع^٤ وللأس آذان
ومنها :

دخلت عليها خيمة^٥ شرفاتها
فقلت : ألص^٦ قلت : بل ذو صرامة
إليك شفت^٧ الليل كالسيل يرتقي
فقلت : أقم^٨ عندي لك الوصل كاملاً
ومن قوله * :

عاطيته^٩ والليل^{١٠} يسحب ذيله^{١١}
حتى إذا مالت به سنة^{١٢} الكري
زحزحته^{١٣} عن أضلع^{١٤} تشاقه
صهباء^{١٥} كالمسك^{١٦} الذكي^{١٧} لناشق^{١٨}
باعده^{١٩} شيئاً ، وكان معانقي
كي لا ينام على وساد خافق^{٢٠}

١ س م : النجار .

٢ ط د : وأغادها ؛ م س : وأعدها .

٣ م س : والخطب .

٤ س م : أفق .

٥ انفردت س م بهذه المقطوعة ، وهي من قصيدة اشتهرت عند المشاركة ، ووجدت استحساناً
ومعارضات ، ومنها بيت في القسم الأول من الذخيرة : ٨٢٣ وقد ذكرت بعض مصادرها
هناك ويضاف إليها : الرايات : ٤٨ (غ) والمساك : ٢٨٠ ورفع الحجب : ١ : ٥٩
ومعاهد التنصيص : ٣ : ٨٠ والقلائد : ٢٧٩ ومظلمها في المقتضب من تحفة القادم : ٨٤ .
وانظر أيضاً نفح الطيب : ٣ : ٢٠٩ والفيت : ١ : ١٨٦ والمسلح السهل : ٣٢٩ .

٦ في أكثر المصادر : الفتيق .

٧ في رواية : باعده .

في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشتمري^١

قال ابن بسّام : وأبو الحسن هذا سهل الكلام ، بارع النظام ، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه ، وجذب ثوبَ البيان من كلا طرفيه ، جدّه^٢ لأمه أبو الحسن بن الاستجي المتقدّم الذكر^٣ ، فأما سلفه من قبل أبيه فقد انخدع لهم الزمانُ برّيته^٤ ، وهينمَ بأسمائهم هنية ، بشتمية الغرب إلى أن نبتَ الدهرُ الغافلُ على^٥ أمرهم ، وأسكت من ذكرهم ، على يدي المعتضد عباد بن محمد مُخلي الأوطان ، وملحق الأقران بالأقران ، وقد ذكر ابن حيان ذلك ، وألعت أنا بطرف مما وقع لهم معه هنالك .

ومن شعرا أبي الحسن المعرب عن أدبه ، والشاهد لما وصفته به ، قوله :
يصف صدودَ غلامٍ كان له به كلفٌ ؛

عادتُ إلى أديانها هيفُ^٥ واطرد الإسرافُ والحيفُ

١ هو علي بن محمد بن سعيد بن هارون ، وقد كان أهله يحكمون في شتمرية الغرب حتى انتزعها منهم المعتضد بن عباد سنة ٤٤٤ (انظر الحلة السيرة ٢ : ١٧ - ٢٠ والمغرب ١ : ٣٩٥ والمسالك ١١ : ٤٣٨) .

٢ انظر ص : ٢٠٠ من هذا القسم .

٣ ط د : عن .

٤ الحلة ٢ : ١٩ .

٥ من المثل : « ذهب هيف لأديانها » (المسكري ١ : ٦٠ تحقيق أبو الفضل ، وفصل المقال : ٣١٣ والميداني ١ : ١٨٧) يضرب مثلا لركوب الرجل رأسه ، والحيف : الريح الحارة ؛ الأديان : العادات .

وامتنع الأصْبغُ من وصلنا
 شتْمريُّ الأفقِ^١ غريبه
 ذو لحظةٍ إن لم تكنْ في الحشا
 وزاد حتى امتنع الطيف
 وربما حَنَّ له الخيف
 ربحاً وإلا ففهي السيف
 وأنشدت له^٢ :

يا ليلةَ العيدِ عُدْتُ ثانيةً
 إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى
 وفيهمُ من أحبَّه وأنا
 فقلتُ لا مؤمناً بقولي بل
 أثّرَ شهرُ الصيامِ فيك أبا
 بل أثّرَ اليومَ في هلالكمُ
 وعاد إحسانك الذي أذكُرُ [١٢١]
 هلاك النَّصْرِ ناحلاً^٣ أصفر
 أنظره في السماءِ إذ ينظرُ
 مُعرَّضاً للكلامِ لا أكثر
 محمدٍ قال لي وما أثر
 هذا الذي لا يكادُ أن يظهر
 وقال^٤ :

وحديقةٍ شَرِقَتْ بغمرٍ^٥ نيرها
 تُجْزِي المياهَ بها أسودٌ أحنِكتَ
 وكأنها أسندُ الشرى في شكلها
 يحكي صفاءَ الجَوْ صَفْوُ غديرها
 من خالصِ العقيانِ في تصويرها
 وكأنَّ وقع الماءِ صوتُ زثيرها

١ س م والحلة : القطر .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٩

٣ في النسخ : ناحل .

٤ س م : انظر وهو في السماء ينظر .

٥ الحلة ٢ : ٢٠ والمسالك والمغرب .

٦ ط د : بنير ؛ الحلة : بعد ؛ وما أثبتته رواية م والمغرب ؛ وفي س : شربت بغمر .

وقال ^١ :

انظر إلى ثابتٍ على طِرفِهِ قد سلَّ سيفَ المنونِ من طِرفِهِ
وهزَّ من قدَّهِ لواءَ ردَى يُدْثِي الصحيحَ السليمَ من حَتَفِهِ
يطوفُ بالحجِّ ^٢ مِنْهُ بدر دجى على جوادِ كالبرقِ في خَطَفِهِ
يكادُ من لينِهِ ونعمَتِهِ يُعَقِّدُ عَقَدَ العنانِ في نصفِهِ
فلا ترى غيرَ باهتٍ فَرَق بين يديه منّا ومن خلفِهِ
ومن مشيرٍ له باصْبَعِهِ ومعلنٍ بالسَّلامِ من كَفِّهِ

فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء ،

ممن نشأ في المدة ^٣ المؤرخة بحضرة بطليوس ،

وسائر بلاد البحر المحيط الرومي ^٤ ،

والأخذ بطرف من نوادر أخبارهم ، وشوارد أشعارهم .

قال ابن بسام : قد قدّمت في صدر هذا القسم أنّ هذا الجانب الغربي من الجزيرة : لأوّل تلك الفتنة المبيدة ^٥ ، الواقعة بقرطبة في آخر دولة بني ^٦ عامر : اشتمل على بيتي حسب : وجمهوري أدب : مملكتان من لحم وتجب ،

١ منها أربعة أبيات في المسالك

٢ كذا في الأصول .

٣ المدة : سقطت من ط د .

٤ زاد في م س : والأندلس .

٥ م س : المبيدة .

٦ ط د س : ابن أبي .

فَوَقَدَ عَلَيْهِ لَدَٰك كُلُّ أَدِيبٍ ، وَاسْتَوَظَنَهُ كُلُّ أَعْرَاجِيْبٍ . وَقد جُثُّ بِجُمْلَةٍ مَوْفُورَةٍ ، لَطَوَائِفَ كَثِيرَةٍ ، وَجَمَاعَةَ أَعْدَادٍ ، كَانُوا بِدَوْلَةِ بَنِي عَبَادٍ ، مِنْ أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ ، فَلَنَذْكُرَ الْآنَ مِنْ نَشْأٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمُنْثَوْرِ وَالْمَنْظُومِ ، بِعَقْرِ هَذَا الْإِقْلِيمِ ، وَلِنَقْدِّمَ مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الزَّمَانِ .

وقاعدة بلاد هذا الساحل من الجانب الغربي بطليوس ، ورئيسها في أكثر المدة المؤرخة — كان — .

المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الألفطس^١

أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق ، المترجم بـ «التذكرة» والمشتهر اسمه أيضاً بـ «كتاب المظفر»^٢ ، في خمسين مجلدة ، يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسيير ، وممثل وخبر ، وجميع

١ جد بني الألفطس عبد الله بن محمد بن مسلمة — فيما يقول ابن حيان — من فحوص البلوط وكان من أهل المعرفة والدعاء والسياسة ، استطاع أن يملك بلاد غرب الأندلس : بطليوس وشترين والأشبونة وتوفي سنة ٤٣٧ هـ فخلفه ابنه محمد الملقب بالمظفر وكان أديباً عالماً ، وأقام ملكاً عظيماً بالشر الجوفي ضامى فيه ابن عباد وابن ذي النون ، وكانت بين هؤلاء حروب وغارات ، وقد كان محمد المظفر يدفع الاتاوة للأذفونش ، وبقي في حكمه حتى سنة ٤٥٦ هـ (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ والحلة ٢ : ٩٦ والمغرب ١ : ٣٦٤ والتكملة ٣٩٣ (وفيه نقل عن الذخيرة) وأعمال الاعلام : ٢١٢ وصفحات متفرقة من فتح الطيب وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥٩ وابن الأثير ٩ : ٢٨٨ والمعجب : ١٢٧ وشرح البسامة ودوزي Spanish Islam : ٦٣٤ وابن خلكان ٧ : ١٢٣) .

٢ المشهور فيه : «المظفري» وكذلك هو في التكملة ويقال إنه لم يستمن فيه بأحد من العلماء إلا بكتابيه أبي عثمان سعيد بن خيرة (البيان المغرب ٣ : ٢٣٦) وفي م س : بكتاب ابن المظفر .

ما يختصُّ به علم الأدب ، أبقاه^١ في الناس خالداً . وليس بمعدود في الشعراء والكتّاب ، فأفرد له فصلاً من هذا الكتاب ، ولو كان مجموعنا هذا في طبقات العلماء ، لكان قطبَ أفقه ، وغايةَ طَلِّقه . وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه ، ويفيّلُ رأيَ مَنْ ارتسمَ في ديوانه ؛ حدثني من سمعه يقول : من لم يكن شعره [١٢١ب] مثل شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكتُ ، لا يرضى بدون ذلك .

وقد ذكر أبو مروان بن حيان خبره في جملة ما شرح من قصص ملوك الطوائف في ذلك الأوان ، وشرح كيف غرَّ سراًبهُمُ ، وطنَّ ذبابهم ، فقال^٢ : كان عبد الله بن مسلمة رجلاً من مكناسة ، وكان سابور العامري أحدُ صبيانِ فائقِ الخادم ، فقي الحكم ، قد انترى ببطليوس وثغرِ الغرب من عمل الحاجب ابن ميتويه^٣ ، فصحبه عبد الله وظاهره^٤ ، ورمى إليه بأمره ، فدبرَ أعماله وتزَيَّد في الغلبة عليه ، حتى صار كالمستبدِّ به ، فلما هلك سابور ورث سلطانهُ بعده ، فاستولى على الأمور وتلقب بالمنصور ، ثم أفضى الأمرُ لابنه محمد وتلقب بالمظفر .

قال ابن حيان : ومن النادر الغريب انتماؤه في تجيب ، وبهذه النسبة مدحته الشعراءُ إلى آخرِ وقتهِ ، منهم ابن شرف القيرواني حيث يقول^٥ :

١ م س : أبقاه الله .

٢ النص في الحلة ٢ : ٩٦ وانظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٧ .

٣ ط م د س : مينويه .

٤ م س : وصاهره .

٥ انظر أبياتاً منها في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

يا ملكاً أُمِسْتُ تَجِيبُ به تحسد قحطانَ عليه نزارُ
لولاك لم تشرفُ معدٌ بها جلَّ أبو ذرٌّ فجَلَّتْ غفارُ

انتهى كلام ابن حيان .

قال ابنُ بسَّام : وأوَّلُ قصيدة ابنِ شرف هذه في المظفر قوله ^١ :

زار وقد شمَّرَ فَضْلَ الإزارِ	جُنَحَ ظلامٍ جانحٍ للفرارِ
وروضةُ الأنجمِ قد صَوَّحَتْ	والفجرُ قد فَجَّرَ نَهْرَ النهارِ
قلت له : أهلاً بطيف دنا	من نازحِ الدارِ بعيدِ المزارِ ^٢
كيف خطوتَ الشرَّ ثم الشرى	وابنى هلالٍ والقنا والشفارِ
أصهوة الغبراء أم داحساً	ركبتَ حتى خُضَّتْ ذاك الغمارِ
وجئتَ بالخطارِ أم أعوجِ	جنيبةً معتدَّةً ^٣ للخطارِ
وهل تقلدتَ لدفعِ الردى	حمائلَ الصمصامِ أم ذي الفقارِ
وأنت زيدُ الخيلِ أم عامرٌ	ومالك بن الريبِ أم ذو الخمارِ
فقال لا هذا ولا ذا ولا	بل كنتُ عنهم قمرأ في سرارِ

ومنها :

١ قوله : سقطت من م س .

٢ قبل هذا البيت في م ط : ومنها .

٣ م س : معدة .

٤ المسالك : الأذى .

٥ عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأسة أو عامر بن الطفيل .

٦ ذو الخمار : لقب عوف بن الربيع ذي الرمحين (التاج : خمر) ، وانظر فيما يلي (ص :

٦٤٦) تعليق ابن بسام فهو خطأ ، لأن الإشارة هنا إلى فارس لا إلى فرس .

سيري فلم نَقْدِفْكَ في مجهل
حيث عاوق^٢ العلمِ مطلوبة^٣
خذها أبا بكر غريبة^٤
ليست من الشعر القصير الخطي
قدّمتها قبل قدومي كما
ولا ضربنا بكِ ضَرْبَ القمار^١
يوافقُ السوقَ كرامُ التجار
سرى بها الودُّ إليكم وطار
ولا من المسروقِ والمستعار
قدّمتِ الحُجَّاجُ رميَ الجمار

ومنها :

أقمتَ للعلم مناراً وما
فما نداماك سوى أهله
مميزُك ميزانُ عقولِ الورى
تبدو لك الهجنةُ في لحظة
من لفظهم تعرّف ما هم وفي
فما رأئك العينُ تصغي إلى
أظنُّ في الدنيا لعلَّ منار
وكلُّهم بين ندامى العقار
وفهمك العدلُ لكلِّ عيار
وتعرفُ الأسنانَ قبل الفِرار
جحفلة العائرِ يبدو العثار
مُحال^٣ عجلِ سامري الخوار^[١٢٢]

وكان ابن شرف كتب بهذه القصيدة من طليطلة إليه . فوصله بمائه مثقال
من ضرب السكة لديه .

قوله : « زار وقد شمر فضل الإزار ، جنح ظلام » أشار إلى أنه زار
آخر الليل كما قال أبو تمام^٤ :

١ من قول أبي الطيب :

ضربنا بها التيه ضرب القمار فإما هذا وإما لذا

٢ ط د : علوم .

٣ في النسخ : مجال .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٥

زار الخيال له^١ لا بل أزاركه^٢ فكر^٣ إذا نام فكر^٤ الخلو لم ينم^٥
طبي^٦ تقنصته^٧ لما نصبت^٨ له في آخر الليل أشراكاً من الحلم

وقد عاب الآمدي هذا عليه فقال^٩ : وإذا زاره بالفكر فقد زار ، فلا
معنى للاستدراك ؛ ثم اعتذر له فقال : الاستدراك صحيح لأنه إذا قال زار
الخيال احتمل زيارة الاختيار ، من غير بعث باعث ، واحتمل وقوع الزيارة
عن حمل حامل ، فأزال هو^{١٠} الإبهام بقوله : « لا بل أزاركه فكر » ؛
وقوله : « لم ينم » لم يرد حقيقة النوم بل كما يقال : لم ينم فلان عن هذا
الأمر . وقال : « آخر الليل » ولم يقل أوله ، لأنه أنبأ أنه يسهر ، وإنما يهوى
في آخره تهوياً فيطرقة الخيال في ذلك الوقت ؛ وقيل وجه آخر ، وهو أن
الخيال لا يطرق في العادة إلا مع وفود النوم ، وهذا إنما يكون في آخر الليل
مع استمرار النوم وطول زمانه .

وقال أبو الطيب :

لا الحلم جاد به ولا بمثاله لولا ادكار وداعه وزرياله
إن المعيد لنا المنام خياله كانت إعادته خيال خياله

يقول : التمثيل والتخييل له في اليقظة إعادة خياله في المنام ، فكان الخيال
الذي في النوم خيال الخيال الذي تصور في اليقظة ؛ وأظهر من هذا قول أبي

١ الديوان : لها .

٢ الموازنة ٢ : ١٦٧ وفي النص اختلاف كثير .

٣ م س : هذا .

٤ ديوان المتنبي : ٢٧٤ .

تمام المتقدم^١ ، وإنما أخذه من قول جران العود^٢ :

حيثُ طيفك من زورٍ ألم^٣ به حديثُ نفسك عنه وهو مشغولُ

فقوله : « وهو مشغول » أي لم يزر على الحقيقة : فبنى حبيب من هذا
قوله : « وما زارك الخيال »^٤ ، وبنى من قوله : « حديث نفسك » قوله :
« ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال »^٥ .

وقال الكمي^٦ :

ولما انتبهتُ وجدتُ الخيالَ أمانِيَّ نفسٍ وأفكارَها

وقد أعاد حبيب لفظ جران العود فقال^٧ :

استراته فكري في المنام فأتاني في خفية واكتام
يا لها لذة تنزّهت الأر واح فيها سرّاً من الأجسام
محاسن لم يكن لنا فيه عيب غير أننا في دعوة الأحلام

١ المتقدم : سقطت من م س .

٢ - الموازنة ٢ : ١٦٨ وديوانه : ٥٥ وحماسة ابن الشجري : ١٧٧ .

٣ الموازنة : أهلاً بطيفك . . . أتاك به ؛ الديوان : سقياً لطيفك .

٤ ط م س : طيف الخيال ، وهو خطأ ، انظر التعليق التالي .

٥ الإشارة هنا إلى بيتين لأبي تمام حذفهما ابن بسام أو سقطا من النسخ ، وأوردهما الأملدي ،
وهما :

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي

ثم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

٦ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوانه ١ : ٣٢٢

٧ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوان أبي تمام ٤ : ٢٦٢

وعيب عليه « دعوة الأحلام » ، لأنها من ألفاظ العوام ، وصفة طيف الخيال باب ممتد الأطناب ، لا يتسع له عرض هذا الكتاب .

وقول ابن شرف : « وأنت زيد الخيل أم عامر » ... البيت ، أراه مما وهم فيه ، وذو الحمار فرس مالك بن نويرة ، حكاه المبرد^١ وأنشد قول جرير^٢ :
عتيبة والأحيمر وابن عمرو وعتاب وفارس ذي الحمار

جملة من نثر المتوكل وشعره^٣

من ذلك رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد بن الحضرمي^٤ وقد صرفه عن خدمته قال فيها : ولما رأيت الأمر قد ضاع والإدبار قد انتشر وذاع ، أشفقت من التلف ، وعدلت إلى ما يعقبيننا - إن شاء الله - بالخلف ، وأقبلت أستدفعُ مواقع أنسي ، وأشهد ما ضيعته بنفسي . فلم [١٢٢ ب] أر إلاً لحجاً قد تورطتها ، وغمرات قد توسطتها^٥ ، فثمرت عن الساق

١ انظر الكامل ٣ : ٤٠٠ وفرس مالك يعرف حقاً بذئ الحمار ، ولكن ابن شرف لم يقع في

الوهم ، كما ظن ابن بسام ، إذ أن « ذو الحمار » أيضاً لقب عوف بن الربيع ، كما تقدم ص :

٦٤٢ وكان يحارب في خمار امرأته ، فإذا سئل المطعون : من طعنك ؟ قال : ذو الحمار .

٢ ديوان جرير : ٨٥٥ .

٣ هو عمر بن المظفر محمد الذي حاصره المرابطون في بطليوس وقتل هو وابناه ذبحاً سنة ٤٨٧ .

(انظر الحلقة ٢ : ٩٦ والمعجب : ١٢٧ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والقلائد : ٣٦ والمغرب

١ : ٣٦٤ والفوات ٣ : ١٥٥ والخريدة ٣ : ٣٥٦ والنفع ١ : ٦٦٣ « نقلا عن القلائد » .

٤ انظر التعريف به فيما تقدم ص : ٣٩١

٥ م س : غرقتها .

للتجتها ، وخدمت النفس بمهجتها^١ ، حتى خُضْتُ البحر الذي أدخلني رأيك^٢ ،
 ووطئت^٣ الساحل الذي كاد يحولُ بيني وبينه فعلك ، فَنَفَسَكَ لَمْ ،
 وبسوء صنيعها أَلِمِمَ^٤ واعتصم^٥ ، وإن مَتَّ بِجَمِيلِ اعتقاد ، ومحضِ وداد ،
 فأنا مَقَرُّ بذكره^٦ ، معترف بقله وكُثْرِهِ^٧ ، لكنك كنت كالمثل السائر :
 « شوى أخوك حتى إذا أنضَجَ رَمَدَ »^٨ حتى أطمعت في العدو^٩ ، ولبست
 لأهلِ حضرتي الاستكبار والعنوّ ، واستهنتَ بجيرانك ، وتوهَّمتَ أنَّ
 المروءة الترامُ زَهْوِكَ وتعظيمُ شانك ، حتى أخرجتَ النفوسَ عليَّ^{١٠} وعليك^{١١} ،
 فانجذب مكروهُ ذلك إليك ، ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظُ الحاشية ،
 وإكرامُ الغاشية .

واتصل بالمتوكل أيامَ سلطانه بيابرة^{١٢} أنه قد حَ فيه ، بمجلس المنصور
 يحيي أخيه^{١٣} ، فكتب إليه : كلُّ صديقٍ - أيدك الله - إذا خاطب صديقه ،

١ ط د : مهجتها .

٢ م : وواطيت ؛ س : وواطأت .

٣ م س : ألم .

٤ ط د : بغره ؛ وفي م س : مغر بذكره .

٥ د : بقلك وكثرك ؛ ط : بقله وكثرك .

٦ فصل المقال ١ : ٢٤٣ يضرب لمن يفسد اصطناعه بالمن .

٧ وعليك : سقطت من ط .

٨ ط د : ببيانورة (اقرأ : بيابرة) ؛ وبيابرة (Evora) بلدة في جنوب البرتغال (الروض
 المطار ، الترجمة الفرنسية : ٢٣٩) .

٩ تولى يحيي الملك في بطليوس بعد أبيه المظفر سنة ٥٦٤ وتلقب بالمنصور ، أما المتوكل فأعطي
 بيابرة .

فأغربُ ما يُطَنَّبُ به عليه، ويسهبُ فيه لديه ^١ ، أن يقول: أنا كأخيك ،
 محبةً فيك ، فإذا كتبت إليك : فأني غريبة أوردُ عليك ؟ ونحن منتهى كُتُبِ
 المخاطبين ^٢ ، وغاية آمال المتحابين ؟ ! غير أنه جرى في ناديك — لا زال
 معموراً بمعاليك — أنني أبيع ^٣ الأحرارَ والحرائرَ، وأستصغر المعاصي ^٤ والكبائرَ،
 واللهُ نَزَّهني عن هذا وأبعدني عنه، فلا قدرةَ لبشرٍ أن ينطه ^٥ بي ويدنيني منه.

ثم ختم الرقعة إليه بشعر أثبتناه : على ما ذكرناه : من رواية أشعارِ الجلَّةِ
 والأعيان : على قدم الزمان ، وهو ^٦ :

فما بالهُم ^٧ لا أنعمَ اللهُ بالهم	يُنيطون ^٨ بي ذمّاً وقد علموا فضلي
يسيئون في القولَ جهلاً وضلّةً	وإني لأرجو أن يسوءهم ^٩ فعلي
طعامٌ لثامٌ أو ^{١٠} كرامٌ بزعمهم	سواسية ما أشبه الحولَ بالقُبلَ
لئن كان حقاً ما أذاعوا فلاخطت ^{١١}	إلى غايةِ العلياءِ من بعدها رجلي

١ م س : عليك . . . لديك .

٢ ط د س : المخاطبين .

٣ م : أني أسمع .

٤ ط د : الصغائر .

٥ ط : يلطه (اقرأ : يلطه) .

٦ الحلقة ٢ : ١٠٤ والفوات ٣ : ١٥٦ والقلائد : ٤٠ والخريدة ٣ : ٣٥٧

٧ م س : فما لهم .

٨ الحلقة : ينوطون .

٩ ط د : يسيئهم .

١٠ م س : طعام ليال أم .

١١ القلائد والخريدة والفوات : فلا مشت .

ولم ألقُ أضيائي بوجهٍ طلاقه
وكيف وراحي درسُ كلِّ غريبةٍ
ولي خلُقٌ في السُّخْطِ كالشَّري طعمه
« وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانهٗ »
وما أنا إلا البدرُ تنبجُ نورَه
فيا أيُّها السَّاقِ أخاهَ على النوى
لنظفِي^٢ ناراً أضرمَت في نفوسنا
ألسنُ الذي أصفاك قديماً وداده
وصيرك الذُّخَرَ الغيظَ لدهره
وقد كنت تُشْكيني إذا جثت شاكياً

ولم أُمْنَحِ العافين^١ في زمن المحل
وَوَرَدُ التَّقَى شَمِيَّ وحرب العدا ثقلي
وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل
لآتٍ بما أعيَا الصناديدَ من قبلي
كلابُ عِدَى تأوي اضطراباً إلى ظلي
كثُوسَ القلي مهلاً رويدك بالعل^٣
فمثلي^٤ لا يُقْلِي ومثلك لا يقلي
وألقى إليك الأمرَ في الكُثْرِ والقُل^٥
ومن لي ذخرٌ غيرك اليوم لا مَنْ لي
فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قل لي^٦

نفثتُ - أيدك الله - نفثةَ مصدر انتهى الجفاء به^٧ متناه ، وبلغ به
أقصى مداه ، فان ظهر زللٌ ففضلك في ستره على المعهود منك قديم الزمان ،
لا على المنفصل عنك الآن ، والله يقلِّبُ القلوب ، ويصلح العيوب ، ويبلِّغنا
الأمَلَ والمرغوبَ .

وقد ذكر ابن حيان بعضَ ما كان شجر بين المتوكل وأخيه في ذلك الأوان

١ الفوات : ولم أسخ العافين .

٢ م س : تلمح .

٣ م س : لتطفئ .

٤ ط د : فمثلك .

٥ م س : يغلى . . . يغلي .

٦ انفردت م س بإيراد هذا البيت .

٧ م س : به الجفاء .

فقال : وفي صَدْرِ سنة إحدى وستين ، نشأ من تلقاءِ ثغر غربيِّ الأندلس
 المتغور عارضٌ هم ضاعفُ الإشفاق ، وأكدهُ التوقعُ بانكشافِ خبر الاختلاف
 الواقع بين أميريه : يحيى وعمر ابني المظفر بن الأفطس ، [١٢٣ أ] واهتدى
 الطاغيةُ اذفونش بن فردلند المتمرس^١ بجماعة ملوك الطوائف بالأندلس ، إلى
 شبِّ نارِ الفتنة بينهما كياداً للمسلمين^٢ ، فبدأ بالاعتلال على يحيى صاحب
 بطليوس منهما ، يسومه الزيادة في مال جزيرته التي كان فارق أباه الهالك
 عليها بوساطة^٣ المأمون بن ذي النون بينهما ، فانتقض على هذا الغلام لوهي
 في جبلته ، وطماعية في إتيانه من قبل أخيه ، فأظهر له يحيى العجز عن الزيادة
 في الجزية ، فجرت بينه وبين الطاغية في ذلك خطوبٌ اغتدى^٤ بها بلد بطليوس
 وثره تغوراً ، فأقام يحيى منهما على ولاية المأمون بن ذي النون وحليفه
 ورائته^٥ عن أبيه المظفر ، ومال أخوه عمرُ إلى المعتضد ، وتأثت بين هذين
 الأخوين في أثناء ذلك هدنةٌ على دَحْن ، لم يتمَّ معها أنسٌ ولا تمكَّنت لهما
 طمأنينة ، وما زالت السعايةُ تقدحُ بينهما نارَ العداوة . حتى أورت نارَ فتنةٍ
 ضَرَمَتِ^٦ البلادَ ، وأجاحتِ الرعية ، وثلمتُ ثغرها وضاعفتِ البلية ؛
 انتهى كلام بن حيان .

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمرُ للمتوكل بموت يحيى أخيه^٧ ، وحصلتُ

١ ط د : المتورس

٢ م س : للإسلام

٣ م س : بوساطة .

٤ م س : اعتدى .

٥ م س : وارثه .

٦ س : أضرمت .

٧ ط د : أخيه يحيى .

له جميع بلاد أبيه ، واحتل حاضرة بطليوس ، وجعل ابنه العباس في يابورة^١ واتفق أن خرج طلحة بن عبيد الله^٢ مستوحشاً عنه لأمر بلغه عنه . ولحق ببلد المعتمد . فكتب العباس إلى أبيه معتذراً عن فراره ، ويقسم أنه ما خرج إلا باختياره . فأخبرني الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدباغ قال : إني لمسائر المتوكل خارج حضرته ، بطليوس ، حين ورود تلك الرقعة من ابنه العباس عليه . فبلغ منه الضجر متناه . وتجاوز مداه ، واستدعى وهو على ظهر دابته دواة^٣ ، ووقع في ظهر الرقعة يومئذ فصلاً قال فيه — دون عنوان ولا دعاء ولا سلام ، وأنا أتعجب في كتبه تلك الفقار ، مع فرط الضجر^٤ — : قبولي لتصلك من ذنوبك موجب لجراءك عليها ، وعودتك إليها ، واتصل بي ما كان من قبلك في خروج طلحة بن عبيد الله عنك ، ولم تثبت في أمره . ولا تحققت صحيح خبره ، حتى فررت بنفسه عن أهله ووطنه . والعجلة من الشيطان . ولا يحمد قبل النضح بحران . وهو الذي أوجه إعجابك بأمرك . وانفرادك برأيك ، ومتى لم ترجع إلى ما وعدت به من نفسك ، وصدرت به كتبك فأنا المريح والله نفسي من شغبك . وإن تكن الأخرى فهو لك الخط الأوفى . فاختر لنفسك أي الأمرين ترى .

وأخبرني الوزير أبو طالب بن غانم قال : لا أنسى والله خط المتوكل بهذين

١ م س : يابورة .

٢ م س : عبيد الله (حيشما وقع)

٣ فصلاً قال . . . الضجر : سقط من م س .

٤ ط : عودت به نفسك .

البيتين في ورقة^١ بَقْلَةَ الكَرَبِ^٢ وقد كتب إليَّ بهما من بعض البساتين^٣ :

انهضُ أبا طالبٍ إلينا واسقطْ سقوطَ الندى علينا
فنحن عقدٌ بغيرِ وسطَى ما لم تكنْ حاضراً لدينا

في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن^٤ ،

واجتلاب جملة مما بلغني من ترسيله

وكان أبو عبد الله محمد بن أيمن بأفقتنا أعجوبة الدهر ، وفريد العصر ،
وفارسَ ميدان النظم والنثر ، اشتهر في حَمَلَةِ الأقلام ، اشتهارَ البدرِ في
السماء ، وتلاعبَ بغرائب الكلام ، تلاعبَ الأفعالِ [١٢٣ ب] بالأسماء .
ولما صرف المتوكلُ ذا الوزارتين أبا الوليد بن الحضرمي عن خدمته ، وقبض
يَدَهُ عما كان يتصرف فيه من تدبير دولته ، لم يفوضْ بعده إلى وزيرٍ ،
ولا ألقى إلى أحدٍ بأزمة ذلك التدبير ، غير أن أبا عبد الله بن أيمن هذا كان
من وزرائه ، وصَحْبَتُهُ بمنزلة الرقيب من الحبيب ، لا يحظى بِشَرِّ بنوالة ،

١ في ورقة : سقطت من م س .

٢ ط : يقلب الكرب ؛ د : بقلة الكرب ؛ وانظر الحلة ٢ : ١٠٧ .

٣ القلائد : ٦ ؛ والمغرب ١ : ٣٦٥ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والحلة ٢ : ١٠٧ والنفع ١ :
٣٦٦ ، ٣ : ٣٢٩ ؛ ٤ : ١٥٥ ونسبهما في الموضع الثاني إلى المعتصم بن صمادح ، وانظر
بدائع البدائه : ٣٧٤ والمقتطف : ٣٢ والفوات ٣ : ١٥٦ وفيه أن الوزير هو أبو غانم وهو
يخاطبه بقوله : انهض أبا غانم الخ .

٤ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٦٦ وذكر المحقق هناك أن له ترجمة في مسالك
الأبصار ٨ : ٣٣٢ .

ولا يطعمُ أحدٌ معه في وصاله ؛ ولما احتلَّ الوزير الكاتب أبو المطرف^١ ابن الدبَّاغ حضرة بطليوس - جسبما سنشرحه^٢ - خاف ابنُ أيمن أن يحوَّ سناه ، ويستولي على مداه ، فاشتعلتُ بينهما نارٌ ملأ الآفاقَ شعاعُها ، وأخذ بعنانِ السماء ارتفاعُها ، وأحسبُ ذلك كان سببَ ارتحال أبي المطرف عن حضرتهم ، وخروجه من جملتهم ، وسنأتي بذكره في القسم الثالث من هذا المجموع ، إن شاء الله .

وقد أخرجت من كلام ابن أيمن ما يأخذ من البلاغة باليمين ، ويشهد له بالمكان المكين .

فصل من ترسيله

لما اشتدَّ يومئذ كَلَبُ الروم ، بهذا الإقليم ، على ما تقتضيه شهادةُ المنشور والمنظوم ، بلسان من اندرج ذكرُهُ في هذا الديوان من كلِّ زعيم ، استصرخَ ملوكُ الطوائف بأقننا أميرَ المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، وقد أَلْقَوْا بأيديهم ، فكتب أبو عبد الله بهذه الرسالة عن صاحبه ، وأراها كانت ثالثة المفاخرة ، أو ثانية المداخلة^٣ ، وهي :

لما كان نورُ الهدى - أيدك الله - دليلك ، وسبيلُ الخير سبيلك ،

١ م س : أبو المطفر .

٢ ورد مشروحاً في القسم الثالث : ٢٥١ .

٣ عن صاحبه . . . المداخلة : سقط من م س .

ووضحت في الصّلاح معاليك ، ووقفت^١ على الجهاد عزائمك ، وصحّ العلم بأنّك لدعوة الإسلام أعزُّ ناصر ، وعلى غزو الشّرك أقدر قادر ، وجب أن تستدعي لما أعضل من الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ، فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها — أهلكهم الله — عند إفراط تسلطها واعتدائها^٢ ، وشدة كلبها واستشرائها ، تُلَاطَفُ بالاحتياي ، وتُستنزَلُ بالأموال ، ويُخرجُ لها عن كلّ ذخيرة ، وتسترضي بكلّ نفيسة خطيرة ، ولم يزل دأبها التشطّط والعناد ، ودأبنا الإذعان والانقياد ، حتى استُصفي الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وأيقنوا الآن بضعف المنيّن ، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن ، واضطربت في كلّ جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشقارهم ، ومن أخطأه القتل منهم فلأنما هم بأيديهم أسرى وسبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد همّوا بما أرادوه من التوثّب ، وأشرفوا على ما أمّلوه من التغلب^٣ ، فيا لله ويا للمُسلمين ! ! أيسطو هكذا بالحقّ الافك ، ويغلب التوحيد الشّرك ، ويظهر على الإيمان الكفر ، ولا يكتنف هذه الملة النصر ؟ ! ألا ناصر لهذا الدين المهتمّصم : ولا حامي لما استبيح من حِمَى الحرم ! ! وإنا لله على ما لحق عرشه من ثلّ ، وعزه من ذلّ ، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء ، والبليّة التي ليس مثلها بلاء .

١ م س : ووقف .

٢ م : واغترابها

٣ قوله : ولم يزل دأبها . . . من التغلب : انظر ما تقدم ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ حيث

اقتبس ابن بسام كأنما هو من إنشائه .

٤ عرشه : يعني عرش الدين .

ومن قبل هذا ما كنتُ خاطبتك - أيّدك الله - بالنازلة في مدينة قورية - أعادها الله - وأنها مؤذنةٌ الجزيرةَ بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالخلاء، ثم ما زال ذلك التخاذُلُ يتزايدُ، والتدابُرُ يتساندُ، حتى تخلصت القضية، وتُعجّلت البليّةُ، وحصلت في يد العدو - قصمه الله - مدينةٌ سرّته^١ وعليها قلعةٌ تجاوزت حدَّ القلاع، في الحصانة والامتناع، وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة، يَدْرِكها من جميع نواحيها، ويستوي [في]^٢ الاستضرار بها قاصيها وذانيها^٣؛ وما هو إلا نفَسٌ خافت، ورمقٌ زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً، وتداركوها رُكباناً ورجالاً، وتنفروا نحوها^٤ خفافاً وثقالاً. وما أحضركم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أثلّ، ولا أحرّضكم على [١٢٤ أ] التسرّع إليه بما في حديث رسوله عليه السلام، فإنكم إلى معرفته أهدى.

وكتابي هذا جُمْلَةٌ^٥ : الشيخُ الفقيه الواعظُ يفصلها، ومشتملٌ على نكتةٍ هو يوضحها ويبينها، فإنه لما توجه نحوك احتساباً، وتكلّف المشقةَ إليك طالباً ثواباً، عوّلتُ على بيانه، ووثقتُ في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه؛ وأنت بفضلِكَ تستوعب ما يؤدّيه استيعاب المستوفي، وتصني

١ ذكرها الادريسي (نزهة المشتاق - قسم الأندلس والمغرب : ١٧٥ ، ١٩٦ تحقيق دوزي) وذكر أن بينها وبين شقورة مرحلتين كبيرتين، وأنها مدينة متوسطة القدر حسنة البقعة كثيرة الخصب.

٢ ط : ويستوفي.

٣ قارن بما ورد ص : ٢٤٩.

٤ نحوها : زيادة من م س.

٥ ط د : يحمله ؛ م س : حملة.

إلى ما يُنْهيه إصغاءَ الوعي ، وتجد منه مضضَ المرتض ، وتتحركُ له تحركَ
المتعض .

ثم لم يزل يستشري الداء، ويعمُّ أقطارَ الجزيرة البلاء، وأميرُ المسلمين وناصر
الدين - رحمه الله - مشغولٌ ببقيةِ حرب طوائف البرابرة المتغلين - كانوا -
على أقطار العدو ، فلم يزل يَـمِيطُ أذاها ، ويضرحُ قذاها ، حتى سُلِكَ
سبيلُها ، وطاب مُسْتَقَرُّها وَمَقِيلُها . وكان من أشدِّ تلك الطوائف أَيْدًى ،
وأمتنَّها كَيْدًى ، العزّ بن سقوت^٢ ، المتغلب - كان - على مدينة سبتة وما والاها ،
فإنه جاهرَ بالخلاف سَمَاعاً وِعْيَاناً ، وشغل أميرَ المسلمين - رحمه الله - عن
تلافي هذه الجزيرة زماناً ، إلى أن بلغ الكتابُ أَجَلَهُ ووقته ، وفُتِحَتْ على
يديهِ سبتة ، حسبما نلخص الخبر عنها .

١ م س : سلكت .

٢ د م : سكات ، وهذا وجه من وجوه كتابة هذا الاسم (انظر الجذوة : ٣٣) وهو أيضاً
سكوت ، وسواجات ، وفي أخباره راجع البيان المغرب : ٢٥٠ وأعمال الاعلام : ١٤١
وروض القرطاس : ١٠٤ وابن خلدون ٦ : ١٨٤ ؛ وقد كان الحموديون استخلفوا على
سبتة شخصاً اسمه رزق الله (أبو الطاف) فقتله سقوت سنة ٤٥٣ وحكم سبتة وتسمى
« المنصور » وهو والد الحاجب العز ، الذي دخل المرابطون سبتة في أيامه .

إيجاز الخبر عن فتح مدينة سبتة وتلخيص التعريف بأولية أمرها^١

كان سقوت بن محمد المتغلب عليها قد جرى عليه سباء ، واستبد^٢ به
ولاء ، ففاز به^٣ قِدْحُ علي^٤ بن حمود أَيْسَامَ امترى أخلاقها ،
واعرورى شقاقها^٥ وخلافها ، ومن^٦ هالته طلع هلالاً وبدراً ، وبين باطله
وبطالته عتق خلاً وخمراً ، وعليه^٧ جبيت رحاها ، وإليه كان مَجْرَاهَا
ومُرْسَاهَا ، حتى عُدَّتْ^٨ أيامه ، واشتهر مقامه^٩ ، وملأ أجزاء الزمان
وصدر الأوان بأسه وإقدامه^{١٠} . ولما أفنضت الدولة الحمودية إلى سِقْط
زندها ، ومنتهى جهدها ، يحيى بن علي - المتقدم الذكر - ألقى بمقاليد
سبتة إلى هذه الأفعى الجارية ، والشعلة الوارية ، سقوت المذكور ، فأقام
به عمودها ، وأطعمه قائمها وحصيداًها ، وطقق لأول حينه يخلق ويفري ،
ويجر لأبعد شئونه ليسير ويسري^{١١} ، وقد كان يحيى بن علي^{١٢} أشرك معه في عمالتها
مولى^{١٣} آخر من مواليه يكنى أبا العطف ، أخذ أجندال الطعان ، وكُفَاة
الأقران ، فأقاما بقبّة أيام يحيى بن علي^{١٤} يتجاذبان أهدابها ، ويتعاطيان

١ م س : أميرها .

٢ به : سقطت من ط د .

٣ م س : ثقاتها .

٤ م س : وعنه .

٥ ط : غدت .

٦ وطقق . . . ويسري : سقط من ط د .

أقداحها وأكوابها ، إلى أن وقع من مقتله ^١ سنة سبع وعشرين ما فرغنا من ذكره ، ونبّهنا على مستودع مستقره ؛ ولما أفضت دولة آل حمود إلى ابنه لإدريس بن يحيى بن علي سما سقوت بن محمد فأخذ بِلَقَم الطريق ، وطلع لمغبونه إدريس من ثنايا العقوق ، وأول ما بدأ به من ذلك الفتك بشريكه الخاسر ، بحيلة خفية ، تمخّضت له بميتة ^٢ وحية ، في خبر طويل ، تركته تخفيفاً للتفصيل ، فأصبح بعده سقوت بن محمد قد حلت شمسُ سُلْطَانِهِ بالحمل ، وقام وزنُ زمانِهِ فاعتدل ^٣ ، وتسمى لأوّل وقته يومئذٍ من الأسماء السلطانية بالمنصور المعان ، وقد عرض له ابن حيان ببعض أوابده ، وفصل بذكره سِلْكُ مَقِيّدَاتِهِ وشوارده ، وأنا أذكر من ذلك ما وفي به وسُعي ، وكان من شَرَطِ جَمْعِي .

قال ابن حيان ^٤ : وهذه نادرة من طخيات ^٥ هذه الفتنة ^٦ المبيرة ، أن تخطّت أرضَ هذه الجزيرة ، إلى ما وراء بحرِها الزقافي الذي كان منه دخول العرب أيام فتحهم لهذا الصُّنْع ، حاجتها ^٧ أسبابُ المنافسة الفادحة ، لامتعاض حبيب الأملّك النبيه الأبوة الشاخرة ، عبّاد ، من هضم جاره الخارجي سقوت

١ يعني مقتل يحيى الحمودي .

٢ م س : بموتة .

٣ م س : واعتدل .

٤ نقل بعض هذا النص في كتاب مفاخر البربر : ٤٥ مع بعض اختصار وتغيير في الترتيب

وخلط بكلام ابن بسم نفسه ، وانظر مخطوطة الرباط (رقم : 1275) م س : ٨٣ .

٥ ط : طخيات ؛ م : ضحية ؛ س : صخياء ؛ مفاخر : هيجان (وفي المخطوطة : طخليات) والطخية : الظلمة أو السحابة .

٦ زاد في المفاخر : البربرية .

٧ م س والمفاخر : حاجها .

مولى ابن ^١ حمود - بزعمه - الناهض الجَدُّ بأنقص ^٢ الخلال : من مَعَقَّةِ
 المولى وَخَشَرَ الرقيق ^٣ واهتضام الحقوق ، والترقيَّ إلى أعلى مراتبُ السلطان ،
 حتى تسمَّى بالمنصور المعان ، لقبين في قران ، أغمضَ له عليهما [١٢٤ ب]
 الزمانُ ، فساءَ غلطُهُ في نفسه ، واضطره القدر أن تمرَّسَ بجاره ^٥ عبَّاد
 صيرفي ^٦ الفتنَةِ الذي لا ينام على دمنة ، كان سبب ذلك باعتقالِ عبَّادٍ لرجلٍ
 من تجارِ سَبَسَةِ في شيءٍ حضره بحضرته ، فاعتدى عليه سَقوت فاعتقل
 له عدَّةَ تجارٍ ^٧ ، فنشأت لذلك بينهما ^٨ وحشةٌ سنة سبع وخمسين ،
 امتطيا لها ظهر اللُّجَجِ ، على ما بينهما من التظام اللُّجَجِ ، فتهاقنا على القطيعة
 واجتمعا على عقد ^٩ البحر بينهما ، فتلفت فيه رؤوس أموالٍ ، وهلكت
 من أجلها نفوسُ رجال ، يطول في صِفَتِها المقال ، إلى أن أكمل عبَّادٌ من
 أسطولٍ أنشأه نحواً من ثمانين قطعة ، فأجراها إلى سبتة ، فخرج عليها ^{١٠} أسطولٌ
 لسقوت ، فكان الظهورُ لابن عباد ، ثم افترقت الأساطيل بعد حروبٍ وسَفَكٍ

١ م س : آل .

٢ م : بأنقص ؛ س : فانقص .

٣ م س : وخبر الرقيق .

٤ م س : لأعلى موارد (س : موازب)

٥ م س : يجاه .

٦ ط : صيفري ؛ م : صرفي .

٧ ط : رجال .

٨ م س : بينهما لذلك .

٩ ط د : عقل ؛ س : عقر .

١٠ م س : إليها .

دما ، وانقطع بحر الزقاق بينهما مدة استهما اجتاراً منافعه فيها ، انتهى
ما لخصته من كلامه .

قال ابن بسام : ثم غلظ أمر سقوت ، حتى أخاف^١ القريب والنّازح ، واقتاد
الحرون والجوامع ، وانبثت سراياه في البحر والبر^٢ ، فأدرك المطلوب والطالب ،
وتصيد الطافي والراسب ، ونجم^٣ في ملتونة أمير المسلمين وناصر الدين أبو
يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأحاطت دولته بالفرق ، إحاطة
القلادة بالعنق^٤ ، ودبت في ممالك العرب والعجم ، ديبب البرء في السقم ،
وطفق يتبع آفاق جورهم بالعدل ، تتبع الديمة آثار المحل ، ويسبق قولهم^٥
بالعمل ، سبق السيف العذل ، وتجاروا إلى مصارعهم ، حتى لحق متبوعهم^٦
بتابعهم ، وانتظم دانيهم بشاسعهم ، ودارت النوبة على سقوت بن محمد ،
فتطرف^٧ أمير المسلمين - رحمه الله - بلدة للفراغ ممن شذ عنه من ذؤبان
زناة ، وقد التفؤوا بأحد محاش الفتنة ، ووالوا إلى موضع يعرف باللمنة ،
فتزل بساحتهم أمير المسلمين ، سنة إحدى وسبعين ، على مقربة من بلاد
سقوت^٨ ، فهم بالانحياش إليه ، فقد كان آل وإيل عليه ، فنهاء حزبه
الذميم السعني ، وثناه ابنه الفائل الرأي ، فقد كان هذا الفتى على بعد

١ ط د م س : احترام .

٢ أخاف : سقطت من م س .

٣ من هنا يبدأ النقل في كتاب مفاخر البربر : ٥٤ ومخطوطة الرباط : ٨٧ .

٤ م س : بالفراق . . . بالأعناق .

٥ مفاخر والمخطوطة : فتطوف .

٦ م س : يلحق .

٧ زاد في المفاخر : فتضيفه لا من خلة ، وأراد أن يكثر به لا من قلة .

مرايمه ، ولوذعية٢ - زعموا - كانت فيه ، يذهب مذهب الجبابرة من ملوك الطوائف عندنا ، من الإعراض عن العواقب ، وأخذ الشاهد عياراً على الغائب ، أين ما هو فيه ، لا يحفل بشيء يذره ولا يأتيه ، ووضحت لأمر المسلمين - رحمه الله - السبيل إلى حربه ، لما كان من نفاره عن قُربيه ، وانتباهه لأوّل وهلة عن حربه : فلما أوقع بأهل الدمنة ، رمى سقوت ابن محمد بأقماره ونجومه ، وأحله وجوه هيمته^١ وهمومه ، والبلاد تنقاد لحكمه ، والمنابر تكاد تهل^٢ باسمه ، وسمع الرعية بمقدمه ، فاثالوا عليه انثيال الجياح على الوليمة ، وتباشروا به تباشُر البلد^٣ بالديمة . وخرج سقوت بن محمد في عديده وعدده ، للذب - زعم - عن رعيته وبلده ، وعساكر أمير المسلمين يومئذ على مقربة من مدينة طنجة ، وعليها من قبله ابنه المسمّى بضياء الدولة ، فلقى عساكر المرابطين وقد سالت بها سيولهم . وشارفها لواؤهم ورعيلهم . فأقام بإزائهم يومين والأجل يُقَحِّمه . والخليل تُسَلِّمه ، إلى أن طَحَنَتْه رحاهم . وسالت نفسه على أَسْتهم وظباهم ، يوم الكسوف الشمسي الكلي من العام المؤرخ ، ودخل المرابطون طنجة ذلك اليوم .

وأفضت الدولة البرغواطية إلى الحاجب الغزّ ابنه ، شهاب أفلاكها ،

١ م س والمفاخر : همته .

٢ م : تهذ ؛ س : تمه .

٣ زاد في المفاخر : التيهاء (وفي المخطوطة : التمية) .

٤ زاد في المفاخر : وأقسم أن لا يسمع قرع طلبه (طلبه ؟) في ملكه .

٥ يعني : وعلى طنجة من قبل سقوت . . .

٦ م : وطار بها ؛ س : وشان بها .

وخيرة أملاكها ، هبّ للأدب ربحاً ، ونفخت دولته في أهله روحاً ،
 أعرض^١ به الشعراء وأطالوا ، ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا . وممن
 خيّم في ذراه ، ونال الخطّ الجسيم من دنياه ، الحصريّ الضرير ، فإن^٢
 له فيه^٣ ما أذهل الناظر عن الرقاد ، وأغنى المسافر عن الزاد ، والحاجب
 يكحل عينيه بزينة دنياه ، ويفتق لهاته بمواهبه ولهاه ، وكان سهل الجانب
 للقصد ، طلق اليد بالمواهب الأفراد ؛ من رجل [١٢٥] استعان بالشر ،
 وتهاون بالأمر ، لا يجبي إلا من غلول ، ولا يجيش إلا إلى ابن سبيل ،
 لا سيما البحر فإنه أضرم لججّه ناراً ، ولقي ربحه إعصاراً ، أخذ كل
 سفينة غصباً ، وأضاف إلى كل رعب رعباً ، فضجت منه الأرض والسماء ،
 والتقت الشكوى عليه والدعاء ، وأذن الله لأمر المسلمين وناصر الدين
 - رحمه الله - فأناخ بعقوته ، وحكّم مداه بين سنّامه وذروته .

وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ المعتمد سفينة ضاهى بها مصانع الملوك
 القاهرين بعد العهد بمثلها : شدة أسري ، وسعة بطن وظهر ، كأنما
 بناها على الماء صرحاً ممرّداً ، وأخذ بها على الريح ميثاقاً مؤكداً ، ووجهها
 على مدينة طنجة لتمتار ، وقد أنجد أمر الله وغار . ولما رأى أمير المسلمين
 وناصر الدين - رحمه الله - تلك السفينة ، خاطب المعتمد في ذلك ، فشحت
 على سبته موتاً ذريعاً ، وأقيمت بإزاء أسوارها حصناً منيعاً . فلما كان يوم

١ مفاخر : أعوص .

٢ ط د : فبان .

٣ في النسخ : فيها .

٤ ط د : ومنعة .

٥ م س : إلى .

٦ م س : سورها .

الخميس من صفر سنة ست وسبعين ، قَدَّمَ أمير المسلمين لقتالِ سِبْتهِ
 أسطولا^١ فخمًا ، رجم به مَرْدَةَ عفاريتها رجمًا ، ولقيه العزّ بن سقوت
 ببقيةِ جمّةٍ من أسطولٍ طالما أوسعَ البلادَ شرًّا ، وملأ قلوبَ أهلها ذعرًا ،
 فكان لأوّلِ ذلك اليومَ ظهورُ^٢ على أسطولِ المرابطين حتى أخذ منه قطعةً
 جليلةَ المقدار ، ظاهرةَ الحماةِ والأنصار ، فكان من إذلالِ الله للعزّ بن
 سقوت يومئذٍ أنْ بخلَ على آخِذِها^٣ ، وتكلّمَ بكلامٍ أنكر عليه فيه ،
 وارتاعت محلةُ المرابطين لأخذِ تلك القطعة ، حتى همّوا بالإحجام ،
 وقوّضوا بعضَ الخيام . وغضب أمير المسلمين وناصر الدين - رحمه الله -
 إحدى غضبّاته فكانت إياها ، وفغرت المتايا^٤ على سِبْتهِ فإها ، وتقدّمتْ
 تلك السفينة حتى أطلّتْ على^٥ أسوارها ، ورفعت صوتها ببوارها ، وأفضتْ
 بدولة صاحب سبته إلى سوءِ قرارها ، ليلة الجمعة من صفر المؤرخ ، ولجأ
 العزّ بن سقوت في نُقْيَرٍ من أصحابه إلى البحر ، فهمّ بركوبه ، فأعوزَه
 الفرار ، ودَفَعَ في صدره المقدار ، وكرّ راجعًا ، فدخل دارًا تعرف
 بدار تنوير^٦ ، وبدر به جماعة من المرابطين ، فاقتحموا عليه بعد مرامٍ
 بعيد ، وقتال شديد ، حتى ضاق اضطرابه ، وفرّ عنه أصحابه : ولما
 أحسّ بالشرّ دفع ذخائرَ كانت عنده إلى أحد من وفى له من رؤوسِ حُمّاته .
 فبلغني أنه عثِرَ عليها ووُجِدَ فيها جوهرٌ كثير ، ونشَبَ من نشَبِ

١ م س والمفاخر : ظهر .

٢ ط : آخذها .

٣ ط د : المنيّة .

٤ م س : أطلت أسوارها ؛ ط د : طلّت على . . .

٥ مفاخر : شوير (وفي المخطوطة : تنوير) .

٦ م س : دنانير .

الملوك^١ خطير ، وَوُجِدَ في جملتها خاتم يحيى بن علي بن حمود . وخرج
العزّ بن سقوت حين وضح الفجر من ليلته تلك . فلقبه المعزّ ابن أمير
المسلمين^٢ — رحمهما الله — فجلّله الحسام ، وحكّم فيه الحمام ، تعالى من
لا يُردّ قضاؤه ، ولا تبید آلاؤه .

ومن ترسیل ابن أیمن أيضاً رقعة^٣ عن المتوكل إلى المعتمد في معنى خروج
أبي المطرف ابن الدبّاغ عنه^٤ إليه ، قال فيها : من تخيّرك — أيدك الله ° —
على سواك ، وأرادك^٥ وترك وطنه هجرة إلى ذراك ، وأسرع تلبية إلى
دواعي سرّوك وعلاك ، فمجدك يقضي له — وإن أزعجته عنك بحكم
الاضطرار ، صروف الأقدار — أن تستمرّ عليه النعمى ، وتطرّد لديه^٦ العارفة
الحسنى ، وينتظم بدء الصنيعة فيه بالعقبى ، فالفضل على علمك بتمامه ،
والطّول باختتامه ، والبرّ بمقتضاه^٨ ، والمنّ بأخراه .

وهذه — أدام الله تأييدك — حال فلان ، فإنّه هجر إليك الوری ، وركب

١ م س : الملك .

٢ كان المعز ولي عهد يوسف بن تاشفين ، لكنه توفي في حياة أبيه فقدم يوسف ابنه علياً
لولاية العهد ، وفي مفاخر البربر أن المعز طلب إلى ابن سقوت أن يعطيه المال فقال له :
« خازن أبيك كنت نجمع لك المال ؟ » فجلّله الحسام . . . الخ .

٣ ط د : ومن ذلك رقعة . . .

٤ عنه : زيادة من م س .

٥ م س : أدام الله تأييدك .

٦ وأرادك : سقطت من م س .

٧ م س : عليه .

٨ م س : بمقتضاه ؛ ط د : بمقتضاه .

نحوك أعناق الأمل والهوى ، وقد كان ظفراً بالخط^١ من دنياه ، واعتلق منها السبب الذي لا تُنتَقَضُ مِرْرُهُ ولا تتكث^٢ قواه . إلا أن الزمان من بت^٣ العِصَم : وإحالة النعم ، والقطع بذوي الآمال والهمم ، جارٍ في سنّيه الدميم ، على القديم ، وحين جدّ به^٤ الجدّ العائر — أسعد الله جدودك ، وأدام تأييدك — في الانزعاج من جنابك ، ومفارقة النعمة من ملازمة ركابك ، وتخيّد مّة بابك ، لحق بحضرتي — طاعتك — يعتقد — وحق^٥ [١٢٥ ب] ما اعتقده — أنه لم ينفصل عن جماعتك ، ولا تحوّل إلا إلى أعمالك ، ولا انتقل من يمينك إلا إلى شمالك ، وعنده تذكّر لجسّن معاهده لديك ، وطيب مشاهد بين العزيزتين يديك ، ما ليس مثله إلا عند معتقد أيام الصبا ، ومستعيد عشيّات الحمى : وأما شكره لسؤاله نعمك ، ونشره لمطاوي منازعك الحميلة وهيمك ، وإشادته بسنائك ، وإبداؤه وإعادته في حسن آثارك وأنبائك ، فبحيث لو جاز أن تُثَقِّلَ مقاومه في ذلك لعطلت الحلى ، أو تُتَوَرَّدَ لشفت من الصّدَى ، أو تُتَرَشَّفَ لأغنت عن برد اللّمي ، أو تُقَطِّفَ لكفّت من يانع الجنى . ومن فارقك — أيّدك الله — وتحرقه للبعد عنك تحرقه ، وتحرقه بالتشيع لك تحرقه . فضلك الباهر يأبى أن تنقطع عنه عوارف الإجمال على النوى ، ولا سيّما

١ م : بالخط فيه ؛ س : بالحد فيه .

٢ م س : ينتقض . . يتكث .

٣ م س : الزمن من بت .

٤ م س : جذبه .

٥ م س : تحسّن .

وقد وسّدت مع القُرْبِ جوازيءُ آماليهِ أبردَيّ ظلالهِ^١ ، وأوردتْ على
الدنوِّ ظامئةٌ ذمامهِ النَميرَ العذبَ من جِمامهِ ، وقد كان لحقهُ عند انزعاجهِ
عن حضرتك - والله حراستها ، ولك رئاستها - ما الفضلُ له متألّم ، والمجدُ
منه متدمّم ، ممّا أعلم - والله - عِلْمَ اليقين أنّ سيادتكَ تأتي مسموعةً ،
ولا ترضى وقوعه ، وإنما أتى ذلك التعديّ - لا محالة - من جهة المتولّي ،
لأنّ قَدْرَكَ - رفعه الله - مُنَزَّهٌ عن ارتجاعِ موهوبٍ ولو عظم ، ومعاملة
خادمٍ باستصفاءٍ مكسوبٍ وإن ظلم ، وعند الوزير الكاتب أبي طالب من
بَسْطِ هذه النكتة ما أنت بمعاليك تقتضيه منه وتستوفيه ، وتأتي متفضلاً من
الإيجاب فيه ، بما يليقُ بسؤدك الأثيل ، وقَعْدُكَ الجليل ، ومعتقدك
الحسن الجميل ، واضعاً بذلك عندي يداً تشفُّ على متقدّم أخواتها ، وتهتفُ
بالتعجيز عن معارضتها من جميع جهاتها .

وله^٢ : انفضل - لا زلتَ له أهلاً ، وبه أولى - عن شرف حامليه مُوضِح ،
« وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضح » : وورد كتابك - لزال المسار^٣ تَرْدُكَ ،
والأقدارُ تُسْعِدُكَ - بوصول فلان إلى حضرتك - ضاعفَ الله جلالها ،
وبسطَ ظلالها - ، وما كان مِنْ أَخْذِهِ عند مثوله ، بكرمٍ^٤ فَرَعِهِ التابع
لطيب أصوله ، في وصفي بما والله قَطَعَنِي على البعد ، وقنَّعَنِي حياءٌ من
المجد ، فإني ما رأيتُ مثله سواه ، والله يغفرُ له ما أتاه ، ذكّرَ الجودَ والبحرُ^٥

١ ط د : ظلّه ؛ وهذا من قول الشاعر :

إذا الأطلَى توسد أبرديه حدود جوازيء بالرمل عين

٢ وله : سقطت من ط د ، واتصلت هذه الرسالة بما قبلها .

٣ م س : المسرات .

٤ م س : بكرم طبعه .

٥ ط د : والمجد .

شاهد ، وأسهمَ في الفضل وربُّهُ واحد ، وإذ لا أستجيز موافقةَ جفائه ،
بالاعتراضِ على تقرُّبِهِ وثنائه ، فلا بدَّ أن أعترِدَ مما استكثر ، وأتذمَّمُ مما
استعظمَ ، وأقول : إني ما عدوتُ في تلقيهِ ببعضِ حقوقهِ ، استرسالَ الصديقِ
مع صديقه ، ولو ذهبتُ إلى معارضةِ فضله ، وتوفيةِ واجبِ مثله ، لضعُفْتُ
عن ذلك أسبابُ المقدرة^١ ، ووضحتُ بوقوعِ العجزِ وجوهُ المعذرة ، وهو
وليُّ البرِّ والإجمالِ ، فيما عرضه وحسنه من الحال ، وهكذا مَنْ شَرَّفَ
اللهُ محدَّه^٢ ، وأطاب^٣ مشهده ، ومن زكا عُنصره ، وكرَّمْ محضره .

وذكرتُ في الكتابِ الكريمِ ، عقبَ هذا الفصل ، بل سابغِ الفضل ، أنَّ
ما نقله فلان المذكور إليك ، وأورد عني عليك . مما وافق مرادك ، وطابق
غرضك واعتقادك ، ولا غرو فاتفقُ المذاهبُ والآراءُ تبعاً لتمازج^٤
النفوسِ والأهواءِ ، ونحن بحمدِ الله في الاتصالِ يدٌ وساعدٌ ، وفي الانتظامِ
جسمانِ والروحُ واحد .

وتقدِّمتُ كتبي إليك بما كان من تطرُّقِ خيلِ العدوِّ — بدِّها الله —
جهاتي^٥ ، طاعتِكَ ، حتَّى كادتُ تركها خلاءً ، وتعيدها عفاءً ، وأنباتك
أنَّ ذلك لا يثبتُ معه سلِّمٌ ، ولا يرقأُ عليه كَلِّمٌ ، ولا يطيبُ معه مُعْتَقَدٌ ،

١ ط : المقدورة .

٢ م س : من شرف محدَّه وطاب .

٣ ط د : لتنازع .

٤ جهاتي : . وضمها بياض في م س .

٥ ط د : وتوعدها .

ولا يصبرُ عليه أحدٌ ؛ والآن فقد ورد ما هو أشدُّ ، وطاع ما هو أشنعُ وأفظعُ ، وذلك ضَرْبُ الخيلِ من قبل فلان على تلك الجهات ، وبلوغها في النكايات أقصى الغايات ، فِعْلُ العدوِّ المحاربِ . وعمَلُ الضدِّ المطالب ، لا يمرُّ بحصنٍ إلاَّ أناخَ بجياله ، وجدَّ في قتاله ، وهذه حالٌ ليس وراءها إلاَّ الاستئصالُ ، فمذهبُ القومِ في حَيْزِ الجلي^١ [١٢٦ أ] الظاهر ، وقد وضع الصبحُ لذي ناظر ، وأهلُ تلك الجهاتِ مظهرِ القلَقِ ، من اتَّصلَ هذا التطرُقُ^٢ ، مُعْلِنُو الشكوى ، بتجاوزِ هذه العدوى ، فكيف يسوغُ لي - وجهاتُهُمْ مباحةً ، وأحوالهم مُجْتَاحَةً ، طَلَبُهُمْ بما تَعْرِفُهُ ، والاستعانةُ بهم على ما نكَلَّفُهُ ، أليس ذلك في حدِّ الامتناعِ ، وجانبِ الأمرِ غيرِ المستطاعِ ؟ !

فَصْلٌ في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون^٣ ، وسياقة فصول من غرائب نثره ونظمه .

وأبو محمد هذا في وقتنا سرُّ الدهرِ المكتوم ، وشرفُ فهر الحديث والقديم ،

١ م : الخلا .

٢ ط د : هذه الطرق .

٣ كان ابن بسام يعتقد أن المتميزين من كتاب عصره أربعة كلاعيان وفهريان ، فالكللاعيان هما ابن القصيرة وابن عبد الغفور ، والفهريان أبو القاسم ابن الحد وأبو محمد ابن عبدون ، (إحكام صنعة الكلام : ١١٠) وكانت صلة ابن بسام بابن عبدون وثيقة وقد صور اللقاء الأول بينهما في القسم الأول والثالث ١ : ١٤٤ : ٣٠ : ٤٩٨ (وانظر إحكام صنعة الكلام : ٢٦٠) ؛ كما أن ابن عبد الغفور صور علاقة ابن عبدون بأبيه (إحكام : ١٤٨) وكيف تصافيا بعد خصام ؛ وأبرز اعتداد ابن عبدون بنوع من النثر يقال له المبتدع (١٥٧) . ولابن عبدون ترجمة في القلائد : ١٤٥ والخريدة ٢ : ١٠٣ (وكناه مرة أبا بكر ومرة =

لسانُ صِدْقِها في الآخرين ، وقَمَرُ أفقِها الذي ملأَ الصدور والعيون ،
 وديوانُ علمِها المذال والمصون ، ومَسَرَقَ كلمِها المثور والموزون ، أعجوبةُ
 الليالي ، وذروة المعالي ، ذو لسانٍ يفري ظبةَ السيف ، وصدر يسع رحلة
 الشتاء والصيف ، أفصح من صمت ونطق ، وأجمع من صلَّى وسبق ، عوَّل
 من ملوك الطوائف على رئيسِ بلده المتوكل ، فعليه نثر درةُ الثمين ، وباسمه
 جبرَّ وشيئةُ المصون ، وقد رحل إلى المعتمد فكأنه لم يجد قبولاً ، ولا وافق
 منه رأياً جميلاً ، وأراه إنما أتى من ازورارِ جانبه ، وبُعْدِ مطالبه ، فلما
 صمتَ ذكرُ ملوكِ الطوائف بالأندلس ، طوى الشعر على غرَّة^١ ، وبرىء
 من حلوه ومره ، إلا نفثة مصدور ، أو التفاتة مذعور ، وهو اليوم يبلى يابرة
 يرتشف^٢ فضلَ ثماده ، ويأكلُ من بقية زاده ؛ وقد أثبت من نظمه الرقيقة
 حواشيه ، الرائقة أعجازه وهواديه ، ونثره الغضة مجانيه ، المبيضة مجاليه ،
 ما يشهد له بالفضل ، شهادة البرهان على الشكل .

= أبا محمد) والمغرب ١ : ٣٧٤ والرايات : ٣٢ (غ) وبغية الملتبس رقم : ١٥٦٧ (وقال
 إنه كان في حدود الأربعمئة فوهم أو عني شخصاً آخر) وصلة الصلة : ٤٢ والتكملة : ٤٠٧ ؛
 (وذكر أن وفاته كانت بعد ٥٢٠) والمعجب : ١٢٨ ، ٢٢٨ ، (وأورد له رسالتين لم
 يوردهما ابن بسام) والمطرب : ١٢٧ ، ١٨٠ والفوات : ٢ : ٣٨٨ والزرکشي : ٢٩٨ وأورد
 ابن بشكوال ترجمة في الصلة : ٣٦٩ لمن سماه عبد المجيد بن عبد الله بن عبد ربه الفهري
 وذكر أنه توفي سنة ٥٢٧ ؛ وانظر صفحات متفرقة من إحكام صناعة الكلام ومن نفع الطيب
 (وفي ج ١ : ٦٧٣ نقل لترجمة ابن عبدون عن القلائد) والريحان ١ : ٨١ - ٨٦ / أ .
 ١ الأصل في النثر أنه كسر الثوب ، يقال طويت الثوب على غره أي على كسره الأول .
 ٢ م : يرشف .

نسخة^١ له خاطب بها الوزير أبا^٢ القاسم بن الجلد يخطب فيها ودّه ،
ويستجلب ما عنده ، قال^٣ فيها : يا رايةَ مجدٍ رُفِعَتْ ، فان تلقيتها باليمين ،
وأعطيتها الثناءَ الثمين ، شددتُ عليها يدَ الضنين ، وشريرةَ فضلٍ على
مائها ؛ أحلّقُ وأحوم ، وبصفائها أجِدُهُ وأهيم ، وفي ابتغائها أقعدُ وأقوم ،
فلو وُصِّلَ رشائي ببيع ، من رَجَعَ جوابٍ واجتماع ، لبردتُ غُلَّةُ ذلك
الاشتياقِ والالتياح ، وإن تعذّرَ لقاء ، فقد انتشر ثناء ، امتلأتِ الأرضُ
منه والسّماء ، ووصفُ عزِّ الأوصافِ وغلبها ، وهزَّ الأعطافَ وجذبها ،
وذِكْرُ ملاء الآذانِ حُلِيّاً ، والآنافِ رِيّاً ، والآفواه أريّاً ، ونُبُلٌ جَلَّتْ
مطالعُهُ دياجي الأوهام ، وصقلتُ^٤ مواقعهُ صوادي الأفهام ، ومجدُّ ردِّ
الليالي الدُّهْنُ زُهْرًا ، والمساعي البُهْمُ غُرًّا ، فوددتُ أن أعار جناحي
طائرٍ ، فأكونَ لكعبةَ ذلك الجلالِ أوَّلَ زائر ، فأقرنَ هناك حَجَّةَ بَعْمُرَةٍ ،
وأفوزَ من عمادي - وصل الله علوّه - بنظرة ، توسّعُ عيني قُرّةً ، ووجهي
نَضْرَةً ، وأعشوا إلى ذلك الضياء ، وأرى محلي من تلك السماء ، والله دهرٌ
أطلعك أفقهُ ، ووقتٌ وسِعَكَ طَلَقُهُ ، ما أكرمَ طبيعتهُ ، وأضخَمَ دسيعتهُ ،
وأشرفَ في الأوقاتِ خَيْمتهُ ، وأعبقَ في الآنافِ شيمتهُ ، وأرقَّ على
الأنفاسِ نسيمه ! ! وبحقِّكَ أقسم ، وألتزمُ من ذلك ما ألتزمُ ،

١ م س : نسخة رقعة .

٢ م س : أبو .

٣ قال : زيادة من م س .

٤ ط د : ثنائها .

٥ ط د : وبصفتها أحدو .

٦ م س : وروت ؛ وعلى هذه القراءة تكون « صوادي » بمعنى « عطاش » ؛ أما على القراءة
المثبتة فإن « الصوادي » تعني التي أصبحت صدمة تحتاج إلى صقل .

لقد أظهر بك شرفه^١ وبين^٢ ، وأخذ منك زخرفه^٣ وازين^٤ ؛ وجعلك
غرة^٥ بهيمه^٦ ، وغارة^٧ [١٢٦ ب] مليمه^٨ ، والحجة على خصوصه^٩ ،
وأبدى سرّاً طالما كتمه وأخفاه ، وشرح معنى شدة ما أبهمه وعمّاه ، فلو
كنت في الأزمان السالفة لوددت أن يتقدّم دهرى فألقاك ، أو في الأوقات
المستأنفة لحمدت أن يتأخّر عمري فأراك ، فكيف وقد ضمّني معك عصر^{١٠} ،
وجمّني وإياك فيهر^{١١} ، وأنا أخطبُ إلى عمادي - أدام الله عزته - مودّته^{١٢}
عقيلة^{١٣} ، وأجعل رَحمتي الأدب والنسب وسيلة ، وأبذل من تحلية حمدي
وشكري مَهراً ، وأبني لها بين سَحري ونَحري قصرأ ، وأسُدِلُ عليها من
الإشاعة والإذاعة سترأ ، وأحليها^{١٤} من مشدودِ موائق^{١٥} ومعاهد ، بمسرود
مخانيق^{١٦} وقلائد^{١٧} ؛ والله جلّ وعلا يعيني على فرضه أوْدِيه^{١٨} ، وقرضه أفضيه^{١٩} ؛
ومن^{٢٠} جزيل تحيتي ، على سيدي الأعظم وإمامي ، ما يفعم رِيّاه الخافقين^{٢١} ،
ويُقرّ مرآه كلّ عين^{٢٢} ، ينقاد من غير قائد ، وينساق من غير سائق ، إذا
انتهت أولاه ، عادت أخراه ، وإذا صدّقت تباشيره^{٢٣} ، برّقت أساريه^{٢٤} ،
يُحيّي مغناه ، عند^{٢٥} سرّوبه وسراه .

فراجعه الفقيه^{٢٦} أبو القاسم بما نسخته : يا روضة أدب غديت برهم

١ ط : وعذرة ؛ س د : وغدرة .

٢ ط : خصوصه .

٣ م : وأحليها .

٤ ط د : يميننا .

٥ من هنا حتى آخر الرسالة ورد غير منسوب في إحكام صناعة الكلام : ٨٣

٦ عند : سقطت من ط د .

٧ الفقيه : سقطت من م س .

الفَهْمِ ، وسُقِّيتْ بِدَيْمِ حُسْنِ الشِّيمِ ، ما أَدْمَتْ رَبَّكَ ، وأَطِيبَ شَذَاكَ ،
وأَذَكِي قَرَارَكَ ، وأَذَكِي عَرَارَكَ ! لَقَدْ شَرَّقَتْ بِأَزْهَارِكَ ^١ زُهْرُ النُّجُومِ ،
ولَبَسَتْ مِنَ الْكَمَدِ وَالْحَسَدِ زِيَّ الْوُجُومِ ، وبَطَلَتْ لِنَفْحَاتِ ^٢ شَذَاكَ وَرِيَّكَ
أَرْجُ ^٣ الْعَبِيرِ ، وتَعَطَّلَ لِمَا وَشَتْ يَدَاكَ واكْتَسَى ثَرَاكَ نَسِيجُ الْحَبِيرِ ، لله
دَرْءٌ تَخْفَةٌ أَهْدَيْتَ ^٤ مِنْ تَخَفِكَ ! ما أَنْصَرَ جَنَاهَا ، وَأَزْهَرَ سَنَاهَا ، وأَبْهَرَ
لَفْظَهَا وَمَعْنَاهَا ! ! لَقَدْ ضُمِّنَتْ مِنْ بَدَائِعِ الْكَلَمِ فَقْرًا شَوَارِدَ ، وَقُلَّدَتْ مِنْ
نَوَاصِعِ الْحَكَمِ دَرَرًا فَرَائِدَ ، وَخَلَعَتْ ^٥ عَلَيَّ خَلْعَةَ نَبِيلٍ لَوْ كَسَى مِثْلَهَا
أَوَيْسٌ ^٦ لَاهْتَزَّ طَرَبًا ، أَوْ سُلِّيَ بِشَبْهَةِ قَيْسٍ ^٧ لَعَادَ نَبْعٌ وَجَدِهِ غَرَبًا ،
لَا جَرَمَ أَنَّهَا حُلَاكَ ، تَبَرَّعَتْ بِهَا عُلَاكَ ، وَصَفَاتُكَ ، تَجَافَتْ عَنْهَا مَصَافَاتُكَ ،
فِيَا لَهَا مَنَّةً لَا يَكَاغُهَا ثَمَنٌ ، وَلَا يَسْمَحُ بِمِثْلِهَا زَمَنٌ ، وَمِنْحَةً تَتَضَاءَلُ لَهَا
بِضُّ النِّعَمِ ، وَتَتَقَاصِرُ عَنْهَا حُمْرُ النِّعَمِ .

وما زلت أستشقُّ من عَرَفِ أَنْبَائِكَ ، ما يُرْغَبُ فِي اقْتِنَائِكَ ، وَأَتَحَقَّقُ
مِنْ قِلَّةِ أُنْدَادِكَ ، ما يَبْعَثُ عَلَى خِطْبَةِ وِدَادِكَ ، لَا سِيَّما وَقَدْ جَمَعْتَنَا
عِنَاصِرُ ، وَضَمَمْتَنَا مِنْ سَهْمِ الْأَدَبِ وَالنَّسَبِ أَوَاصِرُ ، لَكِنْ تَحَامَيْتِ الْمَفَاتِحَ
هَيْبَةً لِبَرَاةِ إِحْسَانِكَ ، وَبَلَاغَةِ يَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وَمَنْ ذَا يَنَازِعُكَ رَتَبَةً

١ م س : بأزهارك .

٢ م : نفحات .

٣ م س : ريج .

٤ در : سقطت من م س .

٥ م س : أهديت لي .

٦ م : وجلت .

٧ أويس القرني مضرب المثل في الزهد ، توفي في خلافة عثمان (سنة ٣٧ هـ) انظر طبقات ابن سعد

٦ : ١١١ وحلية الأولياء ٢ : ٧٩ ؛ وقرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

البيان ، ولو سَحَبَ ذِيولَ سَحبان ، أو نطق بلسان حَسَّان ؛ وإن كانت للكلام إِمارةً فَأُنتَ فارسُ منابرِها ، وطاعنُ محابرِها ، ومقلِّداً عَلمَها ولوائِها ، ومذلِّلُ صَعَرِها والتوائِها ، ولئن كنتَ - أعزَّكَ اللهُ - من غرائب المغرب ، لقد زُهِيتَ بك المشارق ، وحليتُ بجواهرِكَ ونوادرِكَ المهارقُ ، ولَسَّما صَحَّ لك فَضْلُ التقدُّمِ إلى صلةِ الأسبابِ ، ومفتاحِ هذا البابِ ، تعيينَ الجوابِ^٢ ، وإن أنبِطَ من حِسيِّ بكي ، وقلبِ غيرِ ذكي^٣ ، وناهيك من خَجَلٍ من يقيس الصُّفْرَ بالذهب ، ويعرِّضُ الحمدَ للتهب ، فتكلفتُ المراجعةَ اضطراراً ، واستشعرتُ اعترافاً بفضلِكَ^٤ وإقراراً ، وأنتَ بِسَرِّوكَ تصفحُ عن هَناتِها ، وتقيمُ أودَّ قناتِها ، ولولا حقُّ الاقتضاء ، والثقةُ بكرم الإخاء ، لأحجمتُ ذُعراً : وقدمتُ عُذراً .

وأما المودَّةُ التي خطبتَ بفضلِكَ بِكرِّها ، واستوجبتَ حَمْدَها وشكرها ، فقد زَفَقْتُها إِلَيْكَ مُسْرِقةَ الجبين ، بنور الحقِّ المبين ، ضاحكةَ الترائبِ ، على حُسْنِ الضرائبِ ، تتأوَّدُ في حُلُلِ الثناءِ^٥ ، تأوَّدُ الكاعبِ الحسناء ، وتحملُ من نُطْفِ الصِّفاءِ ، ما يُزِرِّي على الديمةِ الوطْفاءِ ، فإن وافقتَ لَدَيْكَ وجهاً خصبياً ، واستحققتَ من رضاكَ وقَبولِكَ نصيباً ، فقد فازَ قَدْحُها ، ووَرِيَ قَدْحُها ، ولم يَخِبْ سعيها وكَدْحُها . وظنَّي أنها ستسعد بارتضاءكَ ، وتهترُّ في يد انتضاءكَ ، وتأنسُ بجوارِكَ ، وتسكنُ إلى جوارِكَ ،

١ م : ومتقلد .

٢ الجواب : سقطت من م .

٣ م : لنفسك .

٤ م : بحل حسن ؛ وسقطت « حسن » من ط .

٥ في . . . الثناء سقطت من م .

[١٢٧ أ] والله تعالى يقيقك ، مرغوباً فيك ، وأقرأ على سيدي سلاماً دائماً
الاتصال ، عَطِرَ الْبُكْرِ وَالْأَصَالِ . يتكرر تكرُّرَ الأنفاس ، ويخضرُ دائماً
اخضرار الآس .

وكتب أيضاً أبو محمد^١ إليه برقة قال فيها : يا أعظمَ مَنْ لو سريتُ
بأنواره لاهتديت ، وأفخمَ مَنْ لو اقتديتُ بآثاره لا كتفيت ، ومن أبقاه الله
لفخرِ آبائه يُفضلهُ إلا من بينه ، وَلِستَرِ إغضائه يَسُدُّهُ على مستحقِّيه ،
وَلِعِذْرِ أوليائه يقبله على ما فيه . كتبتُ عن قريحةٍ خمد^٢ لهيها ،
ونخيزةٍ ركدَ هبوبها ، وذهنٍ امتَحَ أضواؤه . وطبع أخوتُ أنواؤه .
وجنانٍ فلَّ ظبتهُ^٣ الكسلُ ، ولسانٍ عقَدَ عَدَبَتَهُ الحجلُ ، نَدَبَتُهُ إلى
الاحتفال فانقطع ، وبعثتهُ على الأترسَالِ فامتنع ، وقال : في كلِّ حينٍ
تعرضني على العيون ، بوجهٍ مجدورٍ ، بكلِّ نَجْهٍ جديرٍ . فقلتُ : لا عليك .
وَلَتَشُبَّ نَفْسُكَ إِلَيْكَ ، العذرُ إن شاء الله بين يديك : حاملُ الرقةِ إلى
عمادي - وليته لم يحملها إليه ، ولم يُطْلِعْهَا عليه^٤ . ولم يضعها بين الكريمتين^٥
يديه - حفزني أشدَّ حَفْزٍ ، واختطفها^٦ من يدي اختطافَ الذئبِ دامية العنز ،
ومنعني من النظر فيها ، وتصفَّحَ ألفاظها ومعانيها . فأسقطتُ لفظتين . كانتا

١ م س : أبو محمد أيضاً .

٢ إلا من . . . خمد : سقط من م .

٣ م س : الطيبة .

٤ م س : نجد .

٥ ولم يطلعها عليه : سقطت من ط .

٦ الكريمتين : زيادة من م .

٧ م : واستخطفها .

بين سطرين ، فاتفق بذلك نوعٌ من الإغراب ، لم يقع في بابٍ من الإعراب ، ولا سُمِعَ من العرب ولا من الأعراب ، ولم يقع في حساب . فكيف في كتاب ؟ ! ولئن عَشَرَ قلبي وما أولاه بالتعثير ، وغيرَ قلبي وما أجدرَه بالتغيير ، ما بهَرَ من جلالك ، وتعيَّنَ من لإجلالك ، فمن رام الصعود إلى السماء زلَّ ، أو المكاثرة بالهباءِ قَلَّ ، أو المظاهرة على الرؤساء ذلَّ ؛ وبين يدي نجواي صدقةٌ على الكتاب أقدمُها ، وكلمةٌ من الصواب أغنمها : مَنْ طَمَعَ في مجاراتِكَ قَطَفَ^١ ، ولو ركب البرقَ ، ومن دفعَ إلى مباراتِكَ تَخَلَّفَ ، ولو سبق الخلق ؛ وإن وصلتْ تلك الرقعةُ تتعثرُ ألفاظها في معانيها ، وتبرأ هواديها من تواليها ، ووافتك ترسُفُ من مهابتك في عقل ، وتقفُ من سيادتِكَ بين انقباضٍ واسترسال ، فلك — أدام الله عزَّكَ — شرفُ الاهتبالِ وكرمُ الإجمال ، في إرخاءِ سترٍ وإسدالِ سجنفٍ ، على ما فيها^٢ من خفاءِ بشرٍ وإخلالِ حدفٍ ؛ فقبَّحَ الله العجلةَ فما أسوأ آثارها ، وأكثرَ عثارها وأكبرَ شئناها ، وأوحشَ غلطها ، وأفحشَ سقطها ! وقديماً تخامتها الحكماءُ ، وتبادرتها العقلاء ، من ركبها لم ينجُ — لو أقبلَ — من عثار ، ومن صحبها لم يخلُ — لو قبلَ — من اعتذار ، والله جلَّ وعلا يُعلي قدرَ عمادي على الأقدار ، ويجعلُ إليه وفي يديه مقاوم الليل والنهار ، ويديمُ سترَ إغضائه ، على أودائِهِ وأوليائه ، ويزيلُ وحشةَ أرضهِ بتأنيسِ سمائه .

وكتب^٣ إليه أيضاً برقة ثانية يقول فيها : يا حامل يراعي

١ قطف : مشى ببطء .

٢ عند هذا الحد تنتهي النسخة م .

٣ تنفرد س بهذه الرسالة ، ولرداءة هذه المخطوطة فإن إقامة نص صحيح تماماً منها أمر بالغ العمر .

الأعظم ، ومعوّل انقطاعي الأقوم ، ومعقل امتناعي الأعصم ، ومن لا زال جنبه للأمطار رضيعا ، وبابه للأوطار شفيعا ، ترشح فيه نعم الأيام ، وتقسم أزواق الأنام ، سلام الله وروّحُ رحمائه ، ونفح سقياه ، عليك من روضة نجد ، وزهرة حُسْنٍ لا زهرة حَزْنٍ ، ما أغدق صوبها ، وأغزر شربها ، وأرسخ وهاد مطاويها الشريفة ، وأشمخ نجاد مبادئها المنيفة ، وأشهر بغير المجد وحجوله بطونَ مجانيها ، وأغمر بدرر الرغد وسيوله ظهور روائها . وأصفق غيوم كرم تسقيها ، وأرق نسيم شيمٍ يجري فيها . وأتق تسبيح لسانها ، وأعبق رائح أنفاسها ، وأخلص شذاها إلى الأرواح ، وأعرض ربّاهَا على الأفواح . وأضحك ثغور أقحوانها ووارف نورها . على رقصِ قدود أغصانها وغناء طيرها ، لقد حيّا بها نفوسنا فشفاهَا ، وكساهَا من حرّ أزهار الكرم ما كساهَا ، وحلاها من درر نواذر الحكم بما حلاّها ، وأجرى هوامي الخير والحمد من أصولها وفروعها . وأبدى مطاوي النور من كونها وبروعها ، فهامُ رعانها محلاّةُ الأكاليل بمحاسن من المفاخر العظام ، وأجسام غيظانها موشاة السراويل بترايين من المآثر الجسام . وأبقى من أرواحها ، في رؤوس أدواحها . أُلْسُنًا تُثْنِي عليك بالجميل . ودموع أندانها تخلق في وجوه مائتها نوالك بالقبول . فلا لحقَ أزهارَ خِلَالِكَ ذبول ، ولا طَرَقَ أنوار خِصَالِكَ أفول . ما مشى بالقسيم ، يريد النسيم ، بين الأزهار والخياشيم .

يا مرادي الخفي . ومن أعلى الله أمره السني ، وصلني كتاب كريم ، طلعت عليّ منه نجوم ، أستغفر الله تعالى بل رجوم ، هوت من أساطيري على شياطين فأحرقتها بنور الحق المبين . ومحقتها مَحَقّ ضياء اليقين ظلام الشكّ الظنين . وتلقفتها تلقف عصا موسى حبال الملقين . وقبل نظري إليه وفيه . قبلتُ يدَ مَوْشِيهِ ومهديه ، وخفتُ أن أمحو سطورهِ تقبيلا .

فوضعت له رأسي لـكـليلاً ، وصرتُ به على الدهر أميراً ، وكيف لا و [قد]
 ملأ عيني نوراً وقلبي سروراً ، ويدي مسكاً وكافوراً ، وداخلت نفسي
 منه قوة لا أعرفها ، فكيف أصفها ، ولا أدريها ، فكيف أحكيها ؟ وهي
 — أظن — ما يداخل المضيل إذا أنشد فوجد ، والمقل إذا استعدى على
 الدهر فأعدي بنغمة الحيا ، فقال : يا رفاه ، فرحاً بسقياه ، وأنا أقول ذلك
 ألفاً ، وأضعُ خدّاً وأرفعُ كفّاً ، فرحاً بما أولى عمادي — أعلى الله
 قدره — من مسارٍ متناصرة ، ومبارٍ متظاهرة ، لا ينبري إليها شكر ، ولا
 يحتوي عليها حُضر ، ولولا رجائي — إن اختارني — بلقائه ، واعتراضي إلى
 ولائه ، ما حاسنت البقيع المزهر بشجرة ، ولا ماتت الربيع المخضر بقطرة ،
 وأرجو أن يسمح بالعمو ، ويصفح عن الهفو ، ويلقي عليه سترَ معروفه ،
 ويغطيه بسجفٍ من سجوفه ، والله تعالى يقيه ويبقيه ، مشكوراً أياديه
 ومساعيه ، قريرةً عيون أودائه وأوليائه فيه ؛ ومن سلامي على عمادي
 المعظم ، وإمامي المقدم ، ما لا يخلف مكانه قطر ، ولا ينوب منابه زهر ،
 ولا يقوم مقامه عنبر ، ولا يشق قتامه مسكٌ أذفر ، يلوحُ بلغة لكل رامق ،
 ويفوحُ عبقة لكل ناشق ، ما أديل غاربٌ لشارق ، وساربٌ بظارق ، والسلام .

فكان من جواب الوزير الفقيه أبي القاسم له على ذلك ما نسخته : تَمَهَّدْتُ
 لك يا عمادي أكتافُ الهمم ، وحرَّتْ عليك أخلافُ النعم ، وألقت إليك
 مكنونَ ضمايرها ومَصُونِ جواهرها أصدافُ الحكم ، فما أتمَّ فضائلك
 وشمائلك ، وألمَّ^١ بأنوارِ المحاسنِ خَمَائِلِكَ ، وأسمعَ بكلِّ جوهرةٍ
 ثمينةٍ ولؤلؤةٍ نفيسةٍ بحارك ، وأنفحَ بأنفاسِ الآدابِ بل بأرواحِ الشبابِ أصائِلِكَ

وأسحارك !! وأكرم بخطابين لك تسابقا إليّ وتلاحقا لديّ ، كما لحق المصلّي السابق ، وتطلّع الضحى غبّ الشارق ، وتدفق الحيا لآثر البارق ، أو كما شفع المولي الطوق بالسوار ، وجمع العروس بين بهنجة الحلّي ونفّح الصوار^١ ، وأنجد البطل^٢ المبارز بالفارس المغوار ، فما طويّت للمتقدّم مطارف ، حتى نُشِرت من المتأخّر رفارف ، وما انحسرت عن محاسن الأوّل معاجير ، حتى سحّرت من براقع الآخر محاجر . وقد كان في السابق منهما^٣ ما يملأ بهراً مدارج نفّسي ، ويملك دهرأ أعنة خرسى ، ويوسع لساني وجناني إفحاماً ، ويوجب لدواعي الانقطاع بين يديّ ازدحاماً ، فكم تقلّد من درّة فكر لفظها بحرك العذب الزلال ، ونفث فيها سحر كالحلوّ الحلال ، فلم تقنع لغامر [١٢٧ ب] بحره ، وباهر سحره ، حتى شدّدت عرى أواخيه ، بقوى أخيه ، وأمدّدت مذائب سربه ، بتلاع تربيّه ؛ فلئن كان الأوّل قد استعار من الجوزاء ميرطاً ، لقد استمنح الآخر من الثريا قُرطاً ، ولئن ورد السابق من موارد النّشرة نغباً ، لقد شرب اللاحق من ماء المجرة نغباً ، فهلا كففت استنان خيلك ، وأمسكت قليلاً عنان سَيْلِكَ ، وثيّت من غرّب غرائبك ، وجريت على سجّاحة ضرائبك .

وقد كان من حق الإخاء أن لا تُهيب عواصفك على نسيم عليل ، وتجهز كتابك إلى عدم قليل ، وحدث قليل ، وبدون هذا كنت أواليك مبايعاً ، وأعطيك صفقة يدي بالعجز طائعاً ، فلست ممن يعارض قوة البرهان بضعف الإقناع ، ويشتبه عليه فرق ما بين الإمكان والامتناع ، وإني لأعلم

١ الصوار : وعاء المسك .

٢ البطل : سقطت من س .

٣ في الأصول : منها .

ممرٌ سهمي فأقفُ وأنصرف ، ومتهى علمي فأنصِفُ وأعترف ؛ وأما العذرُ
الذي بَسَطْتَهُ في معنى الوهم ، فقد كنتَ غنياً عن مدٍّ أو ضاحه ، وحريراً
باطراحه لا تنصاحه ، وهيهات أن يلتبسَ عليك الغريب ، فكيف القريب ؟ !
أو يشبهَ لديك الخفي ، فكيف الجلي ؟ ! وما حسبته إلا تيممةً في صدرِ
الكتاب ، تصرفُ عنكَ أعينَ الكتاب .

وبعدُ — باعدتك الأسواءُ — فإنَّ رسمي في صناعةِ الكتابةِ قد دثر ،
ونظمي في ضبطِ معانيها قد انتثر ، ولم يبقَ عندي منها إلا أثرُ خرابٍ ، أو
لمعُ مرابٍ ، فإذا امتريتُ خلفها دَرَّ بعُسْرٍ ، وعلى قَسْرٍ ، وتحلبَ رِسلُهُ
بضَجَرٍ ، كأنما يتفجَّرُ من حَجَرٍ . وهي خطَّةٌ مدَّارُها على الإقبال ، وفراغُ
البال ، وزمامُها في يدي الشباب ، مع توكُّدِ الأسبابِ ؛ وأنا — أغزك الله — قد
عطَلْتُ صهوةَ جوادها ، ونزلتُ عن ذروةِ أعوادِها ، فلا تُرهقني فيها
عُسراً ، ولا تحمِّلني من مناهضتك إصراً ، وتوخَّ بفضلِكَ معي جانبَ الترفيه
والتخفيف ، وتقبَّلْ مني عَفْوَ اليسير اللطيف ، وأقرأ عليك من سلامي ما
يُرْبِي على القَطْرِ ، ويَزْرِي بعَنَبِ الشَّحَرِ ، ويبقى ميسمُهُ في صفحةِ
البدْرِ .

قال ابن بسام : قول أبي القاسم : « وما حسبته إلا تيممةً في صدر الكتاب »
احتذى في ذلك حذو أبي المغيرة بن حزم ، في فصل خاطب به ابن عمه الفقيه
أبا محمد بن حزم في حَرْفِ هَمَزِهِ ، مما لا يهمز ، فقال له ١ :

ومن أين نفذَ بصرك حتى هَمَزْتَهُ هَمَزَ عامر بن الطفيل ، قِرْنَهُ في

١ انظر القسم الأول من الذخيرة : ١٦٣ - ١٦٤ .

سواد الليل ، وما أظنك جعلتها إلا تيميةً ، لتلك القطعة الكريمة ، وامتنالاً
نقول القائل :

ما كن أحوجَ ذا الكمالِ إلى عَيْبٍ يوقيه منَ العَيْنِ

فصول من ترسيل أبي محمد

فصل له من رقعة عتاب : سلام على من نظر بقلبه لا بعينه ، وحكمَ
بيقيه لا بظنه ، ونطقَ بعقله لا بهواه ، وأخذ من ديناه لأخراه ، ولم يستفزهُ
قال ولا قيل ، ولم تهزهُ تلك الأباطيلُ . وبلغني قولٌ من قضى عليّ بالظنة ،
وحكمَ بالشبهة ، وللدقولات طُرُق لا يتعدّاها متعدٌّ إلاً وكان وبّالُ
ذلك راجعاً عليه ، ولا يتجاوزها متجاوز إلا نُسبَ زيفها إليه ، لا سيما في
ضربةٍ توجبُ حدّاً ، وتُضرعُ حدّاً ، وتَقُلُّ من فاضلٍ حدّاً ، لم يطلع
مُشيعهاً منّي على ريبة ، ولا وقفَ مذيعها على حقيقة ، بل افتراءٌ من
مُفتَرٍ ، وادّعاء من مدّعي ، في تلك التي لا أسميها ، فلإني طلقتها قبل
الدخول ثلاثاً ، « ونقضتُ حبْلَ وصالِها أنكاثاً » ، قبل هذا الزمانُ مساعدُ ،
والسلطانُ مهاود ، فكيف بها الآن ، وقد علّت الإنسانَ أبهةً [الكبير] ١
ووخطتته ٢ واعظتُ القنير ، وردّ ما استعار من الشباب إلى المعير ، وهجرَ
كلَّ الهجر من ذاقها شميماً ، ورفضَ كلَّ الرفض من لم يكن إلاً على

١ الكبير : زيادة من س .

٢ كذا في النسخ ، ويمكن أن تقرأ أيضاً « ووعظته » .

الحديث نديماً^١ . وأقسمُ وأعرفُ بما أقسم ، وألتزمُ من ذلك ما ألتزمُ ، لقد تركتها خوفاً للمعاد ، لا رياءً للعباد ، إذ الصيانة أذكى عتاد ، فكيف وأنا تحت نِعَم من الله ضافية ، ونوافل متوالية ، وفواضل رائحةٍ وغادية ؟ ! فلا تظنَّ أنَّ تنصلي لمعذرة أريدُ [١٢٨ أ] قبولها ، وأحب تبليغها وتوصيلها ، لا والذي صيرَ العقلَ لصاحبه خصماً ، وجعل بعضَ الظنِّ إثماً ، ولا قصدتُ مَنْ قصدتُ إلاَّ تطوعاً ، ولا زرتُ مَنْ زرتُ إلاَّ تبرُّعاً ، ولقد أذهبُ بنفسِي عن كلِّ طمع ، وأرغبُ بها عن كلِّ حرصٍ وجشع .

وله من أخرى : كُتِبَ والعهدُ يرفُّ ماؤه ، ويشف ضياؤه ، وتأتلقُ غرَّتُهُ ، وتشرقُ أسرَّتُهُ ، والودُّ كما تدريه ، لا مزيدَ على ما تعلم فيه ، وإن كانت القلوبُ تتناجى على البعاد ، بالسننِ الودادِ^٢ ، وتراءى على الفراق ، بأعين الوفاق ، فربما أحتوجَّتْ دواعي الأيام ، إلى المفاوضة^٣ بالأقلام ، لضرورةٍ لا بدَّ من الإفصاح عنها ، والخروج شفاهاً^٤ منها .

وغاب فلان — أعزَّه الله — وأنت تواليه وتناصره ، وتواخيه وتظافره ، فلك الفضلُ في إيصال أحرفي ، والعذر على^٥ تخلُّفي ، فكان يجب أن أزوره^٦

١ في إشارته إلى ترك الخمر يومئذ إلى قول أبي نواس :

أيها الرائعان بالوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما

فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما

٢ ط د : المداد .

٣ ط د : المعارضة .

٤ ط د : شفاهاً .

٥ ط د : وتواخيه ؛ س : وقواصيه (اقرأ : وتواصيه)

٦ س : عن .

ولو على قدمي ، ولا أخاطبُهُ إِلَّا بِقَمِي لا بقلمي ، لكنْ هي الأيامُ وعواديها ،
والأقدارُ ومجاريها ، ولو أعطيتُ أعنةَ الاختيار ، لطرتُ إلى جَنَابِهِ كُلَّ
مطار ، ولكنتُ في بابه أوثقَ مسمار ، وإن كانت مهلةٌ انْحَشَرَتْ في
زُمرته ، وتشرفتُ بخدمته .

وله من أخرى : لو أنَّ جهتي غضةٌ على مطاويها ، لم تؤثرْ أيدي الغيَرِ
فيها ، ولا تحيِّفَتْها الفَنُّ بحوادثها ، ولا نَظَرَتْ إليها المحنُّ بكوارثها ، لوجب
عليَّ المبادرةُ إلى الهجرة ، والتحوُّلُ إلى الحضرة ، التي الفقيهُ الأجلُّ القاضي
سيدُّ الأمة فيها ، وبيديه أزمنةُ أوامرها ونواهيها ، ولحقَّ على مثلي الانحيازُ
إلى فِئْتِهِ ، والانحسارُ في زمرته ، والانحياشُ إلى جنتِهِ ، ولكانَ تنقُّلي
لذراه ، لتقيُّلِ بعضِ سجاياه ، على حسب قدرتي ، ومَبْلَغِ مُنتي ، ومنتهى
قُوَّتِي ، ولعدتُ بعلاه من أن أرجعَ أعرايياً بعد الهجرة ، وبدوياً بعد لزوم
الحضرة ، فكيف وأنا آخذُ من اجتباؤه بأوفر قسم ، وأضربُ في ولائِهِ بأوفر
سهم ؟ ! وجهتي خاويةٌ على عروشها ، خاليةٌ من أنيسها ، فبينها وبين النصارى ،
أقصرُ من إبهامِ الحبارى ، هي مَجَرُّ عواليهم ، وَمَجَرِّ مذاكيهم ، وموردُ
ضادهم ، ومَوْفِدُ صالِيهم ، وَمَخْفَقُ أعلامهم ، ودَرِيَّةُ سهامهم ، ومسرحُ
جيادهم ، ومركزُ صِعَادِهِمْ : الخروجُ عنها غنيمةٌ ، والسلامةُ فيها هَضِيمَةٌ ،
ومن تفرَّدَ بالجلالةِ تَفَرَّدَ عمادنا ، وتوحدَ بالسيادةِ تَوَحَّدَ مَصَادِنَا ،
استجنى مؤمِّلُهُ من الليالي والأيام ، ثمرةَ بُسُوقِهِ على الأنام ، ولم يزلْ
يستنشئ هَبَّةَ تلك المخايلِ الراجعةِ البارقة ، ويقتضي عِدَّةَ تلك الشمايلِ
الصادقة . وها أنا بين يدي اختباره ، فليُجَدَّ في اختياره ٢ ، فان رأى

١ أقصر من . . . سهامهم : اقتبس ابن بسام بعضه : ٣٧٤ س : ٩ - ١١ .

٢ ط : اختاره .

موضعاً لحميل رأيه أقدم^١ ، وإن الثاني مضطلعاً بأعباءِ ولآئِهِ صَمْتَم ،
ولا رغبةً إلاّ فيما يَزْلِفُ لديه ويقرّبُ منه ، دافعَ اللهُ للمجدِ والسترو عنه :

وما أسقي إلا على فَوْتِ رتبةٍ عليها مضى قومي ولم أكُ تالياً
وأنت على رفعي ووضعِي حُجَّةً فكنْ لي على أولاهما بكَ جارياً

وله من أخرى : كتابي عن عهدٍ طال زمانُهُ ، واستطال سُلْطَانُهُ ،
ووقتٍ لا يَحْزِرُهُ حسابٌ ، ولا يَحْضُرُهُ كتابٌ ، ولا يحويه حدٌّ ولا
يجمعه ، ولا يحصيه عدٌّ^٢ ولا يسعه . وحالت بيننا في الأكثر أقاليمٌ ، لا
يقطعها الإيجافُ ولا الرسيم ، ولا تهتدي في طُرُقِها النجومُ ، لا أقولُ :
مجاهلٌ ومعالمٌ ، بل أقاليمٌ وعوالمٌ ، لا يُفْهَمُ الحداثُ فيها إلاّ التراجم^٣ ،
ولا تقطعها الجيادُ بِشَدِّها ، ولا الركابُ بِوَحْدِها ؛ فهنيئاً للحضرةِ وجميعِ
أهلِ الملةِ حضورُك ، وفي مقامٍ المجدِ مُقامُك الميمونُ ومَسِيرُك ،
ولولا آلامُ تناوبٍ ، وأسقامُ تعاقبتٍ ، لتلقيتُ أوبتكَ السعيدةَ بقدمي ،
ألا بمدادي وقلمي ، والله يملّي الاسلامَ عمركَ ، ويحملُ عنا - معشرَ
أوليائِكَ - شُكْرَكَ .

١ ط د س : أقام .

٢ ط : ولا يجمعه عدد .

٣ من قول المتنبي (ديوانه : ٣٧٦) :

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم

٤ س : سبيل .

ما أخرجته من شعره الرائع ، الكثير البدائع

له من قصيدة في المتوكّل^١ : [١٢٨ ب]

وإفاك من فلقِ الصباحِ تبسّمُ	وانجباب من غَسَقِ الظلامِ تجهّمُ
والليلُ يُنْعَى ^٢ بالأذانِ وقد شدا	بالفجرِ طيرُ البانةِ المترنّمُ
ودموعُ طلِّ الليلِ تخلقُ أعيناً	يرنو بها من ماء دجلة أرقم
يا صاحبي بين الصّراةِ ودجلة	ودعا العلاقة مُسْعِدٍ ومتيمّ
هل في لحاظك إنما هي عطفة ^٣	زهرٌ على خضرِ الرُّبى أو أنجم
بيضٌ كما ضحكتُ حواشي روضة	وشى السماكُ ملاءها والمرزم

ومنها :

خَبَطْتُ بنا وَرَقَ الظلامِ سوابحُ	ملءُ النواظرِ سيرهنَّ توهّمُ
فلإذا سَرَتْ فالليلُ منهم أبيضُ	وإذا غَدَتْ فالصبحُ منها أدهمُ
من كلِّ هفوافِ العنانِ كأنه	نَفَسُ المشوقِ تعاوَرَتَهُ اللّومُ
بيني وبين الدهرِ يومٌ مثله	والبيضُ تشهدُ والصوارمُ تحكمُ
ومن المشاهدِ كالشّهودِ سوامعُ	ومن الأسنةِ ألسُنُ تتكلّمُ

وهذا من الكلام الذي لا يجهل مناره ، ولا يشقّ غباره .

١ منها ثلاثة أبيات في الفوات ٢ : ٣٩١

٢ ط د : يبني ؛ س : تنفى ، والتصويب عن الفوات .

٣ ط : منهم .

ومنها :

سامتُ لساني فيك يا ابنَ محمدٍ
وحبّةٌ موروثةٌ مكسوبةٌ
ولإليك من بنتِ الضميرِ حديقةٌ
طبقتُ آفاقَ الكلامِ فلم أدعُ
وحلوت من غررِ البديعِ بأينقِ
وتركتُ أرضَ الغربِ وهي كأنما
ورحمتُ في الآدابِ كلَّ مُفسِّفٍ
والفهمُ قد غارتِ نجومُ سمائه
لله دركٌ هل لمجدك غايةٌ
وعلاك لي ردءٌ وجودك في يدي
هزّتكَ أرواحُ السماحةِ بانهٍ
وتعلّمتُ منك الغمامةُ شيمةً

مقّةٌ إذا كُتِّمَ الهوى لا تُكْتَمَ
بُدَى الزمانُ بها وعنّها يُخْتَمَ
غناءٌ تُنْجِدُ بالرواةِ وتتهم
زهرًا يرفُّ ولا جُمَانًا يُنْظَمَ
أنا خلفها بادي العروقِ محرمٌ
بي عالجٌ أو ضارجٌ أو زمزم
يُغَوِّ إذا هَدَرَ الفنيقُ المقرم
والعلمُ وحيٌّ والطروسُ ترجم
إلاّ وأنت بها معنًى مغرم
ماضٍ كراييك في الخطوبِ مصمّم
ومن الرجاحةِ في حماك يللم
تحي وفيها للبروقِ تبسم

قوله : « من كل هفاهف العنان » . . . البيت ، أخذه من قول بشار ،
حيث يقول ٢ :

• ثم انثنت كالنفسِ المرتدّة •

وقوله : « وإذا سرت فالليل منهم أبيض » ، من قول محمد بن هاني ٣ :

١ ط : بالدوات ؛ د : بالدواء .

٢ ديوان بشار : ٨٥ (جمع العلوي) .

٣ ديوان ابن هاني : ١٩٠ .

قد أطلعوا بالشهبِ صُبْحَهُمْ فلو^١ عقدوا نواصِيها أَعادوا الغِيها

وَألمَ بعضَ ألام ، بقولِ أبي تمام^٢ :

* كظلمة^٣ من دخانٍ في ضُحَى شحبٍ * .

ولأبي محمد من قصيدة أولها :

لمن أَيْسَقُ تَأْكُلُ الأرضَ وخدا تُريني العوالي إلى الغربِ تُحدَى

وفي قصيدته هذه بيت يُسْتَظَرَفُ فيما وصف من طعنة غلا في سعتها
حتى أدخل عليها الفيل ، [١٢٩ أ] وأراق من دمها ما يُرْبِي على النيل ، فقال :

له طعنة يدخل الفيلُ منها إذا الطعنُ مَزَقَتِ الزَّغْفَ نقدا

ومن الإفراط في وصفها قولُ قيس بن الخطيم^٥ :

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةً ثائِرٍ لها نَقْدٌ لولا الشَّعاعُ أضاءَها

وذكرتُ بخبرِ هذه الطعنة قولَ رجلٍ من شيبان^٦ :

١ الديوان : واستأنفوا بشياتها فجراً فلو .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٥٩ .

٣ الديوان ، وظلمة .

٤ ط د : سرب .

٥ ديوانه : ٧ والمعاني الكبير : ٩٧٨ والسمط : ٨٩٤ والمختار : ٩١ .

٦ هو ثعلب (أو ثعلبة) بن عمرو الشيباني ، انظر فصل المقال : ١٥٧ والسمط : ٥٣ والحمامة

شرح التبريزي ١ : ٢٢٠ والمرزوقي : ١٤٦ .

فَاتَّبَعْتُهُ طَعْنَةً ثَرَّةً يسيل على النحرِ منها صبيبٌ
فإن قتلته فلم أرَقِه¹ وإن ينبجُ منها فجرحٌ رَغِيبٌ

يقول²: إن قَتَلْتَهُ الطعنة فلم أدعْ جهداً ، وإن سلم فقد تركت به
جرحاً رَغِيباً ، أي واسعاً .

وقوله : « لم أرَقِه » ، كانوا يزعمون أن الطاعن إذا رَقِيَ المطعون
برىء ، كما قال زهير³ :

عَشِيَّةَ عَاوَدْتُ الْحُلَيْسَ كَأَنَّمَا على النحرِ منه لونٌ بُرْدٌ مَجْبَرٌ
فلم أرَقِه إن ينبجُ منها وإن يَمُتُ فطعنةٌ لا غُسٌّ ولا بمغمَرٌ
وقال حاتم الطائي⁴ :

سَلاحُكَ مَرَقِيٌّ فَلَا أَنْتَ ضَائِرٌ عَدُوًّا وَلَكِنْ وَجْهَ مَوْلَاكَ تَخْمَشُ

وقال أبو محمد بن عبدون من قصيدة⁵ :

مَضَوْا يَظْلُمُونَ اللَّيْلَ لَا يَلْبِسُونَهُ¹ وَإِنْ كَانَ مَسْكِيَّ الْجَلَابِيبِ ضَافِيَا

١ السط : فلم آله .

٢ متابع للسط : ٥٤ .

٣ هو زهير بن مسعود كما في السط : ٥٥ وفصل المقال : ١٥٧ والألفاظ : ١٤٣ والجمهرة

٩٣ : ١

٤ السط : ٥٥ ؛ ويروى : مولاك تقطف (اللسان والتاج : قطف)

٥ انظر الفوات ٢ : ٣٩١ وقد استخدم ابن عبدون بعض أبيات هذه القصيدة في رسالة ،

(انظر إحكام صنعة الكلام : ٢٤٧)

يؤمنون بيضاً في الأكنة لم تنزل
وأغربة الظلماء تنفض بينهم^٢
إذا مرقوا من بطن ليل رقت بهم
وإن زعزعتهم روعة زعزعوا الدجى
ولو أنها ضلت لكان أمامها
وصلت به الهيجا عليه وسلمت
همام أقام الحرب وهي قعيدة^٣
شريف المطاوي تحت ختم ضلوعه
إذا قرئت لا بالنواظر طبقت^٤
وهدي لو استشفى المعنى بروحه
ورقة طبع لو تحلى بها الهوى
إليه أكلت الأرض بالعيس نائراً
حوافي لا يُنعلن والبعد آذن^٥
فجاءته لم تبصر سوى البشر هاديا

قلوبهم حباً عليها أداها^١
قوادمها مبلولة والخوافيا
إلى ظهر يوم عزمة هي ما هيا^٢
إليها كمة والرياح مذاكيا
سنا عمر في فحة الليل هاديا
فما ارتضيا حاشاه ساقاً وساقيا
وروى القنا فيها وكانت صواديا
تميمة تقوى ردت الدهر صاحيا
سرى أختها ذات البروج مساعيا
لما كان بالوجد المبرح صالبا
لأعدى على عصير الشباب البواكيا
وقد أكلت منها الذرى والحواميا
على نفسه إلا الوجى^٦ والدياجيا
وسلته ولم يسمع سوى الشكر حاديا^٧

١ ط د : حنا عليها جاحيا ؛ س : جناجيا

٢ الفوات : فيهم .

٣ ورد البيت في إحكام صنعة الكلام : ١٤٧ مع تغيير في الرواية .

٤ ط د : كما تأتي الرياح .

٥ الفوات : طابقت .

٦ ط د س : سوى .

٧ ط د : الدجى .

٨ رواية البيت في إحكام صنعة الكلام :

فجاء ولم يبصر كوجهك هاديا إليه ولم يسمع كشكر حاديا

هوادٍ على أعجازها قيمُ الندى
أَلِكْنِي أَلِكْنِي والسيادةُ بيننا
إلى أمرٍ في الدهر ناهٍ ، إذا قضى
وحيثُوهُ لا راجينَ رَجَعَ تحيةُ
إليك ابن سفيّ يَعْرِبُ زَفَّ خاطري
وإني لأستحي من المجد أن أرى
وأنتى وقد أسلفتني قبلَ وقتهِ
وأيقظتَ من قدرى وما كان نائماً
ولكن نبا من حُسْنِ رأيك في يدي
ولولم يكن ما خفتُ لا خفتُ لم أجدُ
إلى من إذا لم تُشككني أنت والعلا
وأنت على رفعي ووضعِي حُجةٌ
وما أسفني إلا على فَوْتِ رتبةٍ
وكونِ مكاني من سمائك عاطلاً^١
وإنَّ كسادِي ، رأسَ ألفِ صناعةٍ

فأربحُ بنامشِريِّ حمدٍ وشارياً [٢٩١ب]
إلى مَوْلَعٍ بالحمد يشريه غالباً
على كلِّ من فيها أطاعوه قاضياً
وإن كان جوداً لا يخيبُ راجياً
عقائلَ لا تَرْضَى البروجَ مغانياً
عليَّ للممولِ سواكَ أبادياً
من البرِّ ما حازتُ^٢ خطاه الأمانيا
وأبعدتَ من ذكري وما كان دانياً
أظُنَّ حساماً لم يجذني تالياً^٣
على غير ما أخذَ متنيه اللياليا
أكونُ بما ألقى من الدهر شاكياً
فكنْ بي على أولاهما بك جارياً^٤
عهدتُكَ فيها بادياً ومبادياً
ولولا مكاني الدهرَ ما كان حالياً
ليتركُ وسماءُ في السيادةِ بادياً

قال ابن بسام : أبو محمد بن عبدون لمكانه من صنعة الكلام ، وسبقه
— زعم — في غايي النثر والنظام ، أقامها مقام ألفِ صناعةٍ ، وكفى بها واحدةً

١ كذا في الأصول ، وربما كان الأصوب « جازت » .

٢ الفوات : نابيا ؛ س : تافيا .

٣ ورد هذا البيت والذي يليه فيما تقدم ص : ٦٨٣ وقد تغير الشطر الثاني من البيت الثاني .

٤ ط د : يكون . . . عاطل .

ه ط د : رسماً .

عن جماعة ، كما قال الأول :

يا عين بكّي خالدا ألفاً ويُدْعَى واحدا

وفي هذه القصيدة يقول أبو محمد ، وهو من حرّ النظام ، وجزل الكلام :

فردّ المني خضراً ترفُّ غصونها	بمبسوطةٍ تندى ندى وعواليا
عوالٍ إذا ما الطعنُ هزَّ جذوعها	تساقطتِ الهيجا عليك معاليا
وعاوينٌ على استنجازٍ طبعٍ بهية ^١	ترقص في ألفاظهن المعانيا
وأجعلُ أرضَ الرومِ تجلو تلاعها	عليك زروداً والحمى والمطاليا ^٢
وقد نشرت من ذي القروح وخاله	وعمرؤ بن كلثومٍ عظماً بواليا
وقيل لهم من ذا لها فتخيروا ^٣	أخيراً يبذُ القائلين الأوليا
فإن نُسِقُوا على الولاء ولم يكن	بذلك فاجعل منه ظلك عاريا
وعزاً على العلياء أن يلقي العصا	مقيماً بحيثُ البدرُ ألقى المراسيا
ومن قام رأيُ ابنِ المظفرِ بينه	وبين الليالي نام ^٤ عنهنّ لاهيا

ضجر أبو محمد من سكنى وطنه يابرة ، وهو يكرر هذا في شعره ،

كقوله فيه في قصيدة أخرى :

١ د : بهمة .

٢ هذه مواطن في بلاد العرب ، والحمى والمطالي قد جمعهما الشاعر في قوله :

« ألا حي ليلى والحمى والمطاليا »

٣ ط د : فتخيروا .

٤ ط د : البدو .

٥ س د : قام .

أنا يا ابن^١ سيفي يعرب سيفك الذي إذا شِمتَه لم ينبُ واخبرَه تَعَلَّمْ
هجرتُ إليك الأقربين مهاجراً ولم أرضَ أرضاً كلُّ ساكنها عَمَ
فعارٌ على العلياءِ سكنايَ بلدةٌ كَبَلْدَة عَالِي الأفقِ من دون أنجم^٢ [١٣٠]
فلو أنَّ غيلاناً حَوَتْهُ ديارُها تَغْنَى بميَّ بينهم غيرَ مُعْجَم^٣

وقوله : « قوادِمْها مبلولة والخوافيا » ، ينظر إلى قول أبي الحسن^٤ بن
حصن في سحابة^٥ :

بَكَرَتْ سُحْرَة قَبِيلِ الذَّهَابِ تَنْفُضُ الْمَسْكَ عَنْ جَنَاحِ الْغَرَابِ
وقوله : « إِلَيْهِ أَكَلْتُ الْأَرْضَ » . . . البيت ، نَسَخَهُ من قول حبيب ،
ونقص عنه^٦ :

من القلاص اللواتي في حقائبها بضاعةٌ غير مزجاةٍ من الكلمِ
وأبو تمام إنما نظر في هذا المعنى إلى قول الأعشى^٧ :

فإن عتاقَ العيسِ سوف تزوركم ثناءً على أعجازِهِنَّ مُعَلَّقُ

١ ط د : أنا ابن .

٢ البلدة : من منازل القمر ، يقال انها لا نجوم فيها البتة .

٣ غيلان : هو ذو الرمة ، وفي البيت إشارة إلى قوله في مية :

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم

وفي ط د : وحته في موضع « حوته » .

٤ ط د : أبي الحصن ؛ س : أبي الحسين .

٥ انظر ما تقدم ص : ١٥٩ .

٦ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦

٧ ديوان الأعشى : ١٤٩ واللسان (غرب) وفيه : يزوركم ثنائي .

أراد المدح الذي تحدى به من ورائها كما أن الهادي من أمامها ، وهذا
كقول الآخر^١ :

سأرفعُ قولاً للحصين ومنذرٍ يطيرُ به الغربان شطرَ المواسمِ
وتروى به الهيمُ الظَّماءُ وتلتقي بأمثاله منهنَّ سَجَعُ الحمام^٢

ويعني بالغربان أورك الابل ؛ وقوله : « تروى به الهيم الظماء » يعني
أن الماتح يتغنى به ، فينشطُ ويقوى على سقي لبله .

وقوله : « ولولا مكاني الدهر ما كان حالياً » ، كقول القسطلي^٣ :

غريبٌ تحلّتْ بآدابهِ بلادٌ تواصتْ بتعطيلهِ

وقوله : « ترقصُ في ألفاظهنَّ المعاني » من سرقاته الغربية ، واختلاساته
العجيبة ، تدقّ عن أعدادٍ من المباني ، وأنها من خفيات المعاني ، وأراه أنا
من قول ادريس بن اليماني ، فايّاه أراد ، وإن كان ملح وزاد ، حيث يقول^٤ :

ثقلتُ زجاجاتُ أتننا فرغاً حتى إذا ملئتُ بصرفِ الراحِ
خفّتُ فكادت تستطير بما حوتُ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

وقوله : « وأيقظت من قدري » ... البيت ، هو لفظ أبي نُخَيْلَة^٥ :

١ الأول منهما في اللسان (غرب) والمعاني الكبير : ٢٥٧ وهما في الحيوان ٣ : ٤١٨ - ٤١٩

ورواية الأول في المعاني والحيوان : للحصين ومالك .

٢ روايته في الحيوان : ويطبي ، بأمثاله الغازين سجع ...

٣ ديوان القسطلي : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٤

٥ الأغاني ١ : ٢٤٤ .

ونبّهت من ذكرى^١ وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وكشف أبو تمام هذا وحسنه ، فقال^٢ :

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن بهيماً ولا أرضي من الأرض مجهلاً
ولكن أباد صادفتني جسامها أغرّ فخلتني^٣ أغرّ محجلاً

وقوله : « ولكن نبا من حسن رأيك » ... البيت ، مصراعه الأول
من قول أبي فراس^٤ :

ولكن نبا منه بكفّي صارم^٥ وأظلم في عيني منه شهاب^٦

أخذ هذا البيت بحملته ابن عمار :

أيظلم في عيني كذا قمر الدجى وتنبو بكفّي شفرة الصّارم العصب

ولأبي محمد من قصيدة أخرى في المتوكل أولها :

هل عمّروا الأفق بالآرام والعقر أم كحلّوا الشهب بالتفتير والخور
والنقع قد مدّه جنح الليل فوقهم أم عينهم لا ترى التصفير في الشعر [١٣٠ب]
يا ليل هل صاحب^٦ في اليد غيرك لي فالنجم معني عن الإدلاج والسهل

١ الأغاني : ونوهت لي بإسي .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩ .

٣ الديوان : فأوفت بي .

٤ ديوان أبي فراس : ٢٤ .

٥ ط د : صرمد ؛ س : مرمد .

٦ س : مؤنس .

أسري وأسربُ لا مستصحباً أحداً
أدورُ فيهم وعمرانُ يخاطبُهُمْ
شادٍ وليس لسانُ الرعدِ ذا لسنٍ
كأنما الليلُ زار الأرضَ ذا شَغَفٍ
كأنَّها عبلَةٌ والليلُ عنترَةٌ
والأرضُ قد لبستُ أذراعَ أبحرِها
من كلِّ درعٍ نسيمُ الريحِ غَضَّنها
ما كان في هيئةِ الأرضِ القيامُ لنا
مَنْ مَجْدُهُ خَصَّ قَحْطَاناً وأنعمهُ
أكسى من الكعبةِ الزهراءِ من نشبٍ
بسيفِهِ ١ انتاشَ سَيْفٌ جَدُّهُ يَمْنَأُ
أَنْتُمْ عَنِّي مُسْلِمٌ يَا آلَ مَسْلَمَةٍ
ولم يُردْ مَطَرًا جدُّ اليزيدِ وإِ
لولاكمُ أهلكَ الناسَ استواؤُهُمْ

والناسُ عُمَيَّانُ لولا الخبرُ عن خبر
منِّي وهم في من رَوْحٍ ومن زُفَرٍ ٢
هادٍ وما ناظرُ الإيماضِ ذا نظرٍ
فأكبرتُ وصلَ أحوى اللونِ ذاعورٍ
في جَمْعٍ أَشْتَاتِهِ لو كان ذا بَصَرٍ
وجرَّدَتِ فوقَ أيديها ظُبَا الغدرِ
وصارمٍ بالحبابِ اعتاضَ ٣ من أثرٍ
بالليلِ لولا مزيدُ ٤ من سنا عمرٍ ٥
عَمَتِ ربيعةُ والحمراءُ من مضرٍ
أعرى على لبْسِهِ العَلْيَا من الحجرِ
لا سيفٍ وهرزٍ المحدودِ بالنفَرِ
بالجودِ إذ لم يَنَازِعَهُ بنو مطرٍ
كن من نَدَى جدِّكم سماءَ بالمطرِ
ولم يكونوا سوى دُهُمٍ بلا غُرَرٍ

١ يعني عمران بن حطان ويقال إنه نزل في تنقله بروح بن زنباع وزفر بن الحارث ،
وكان إذا خاف انكشاف أمره ارتحل متنكراً وادعى لنفسه اسماً ونسبة غير اسمه ونسبته

(انظر شعر الحوارج : ١٦١ - ١٦٥)

٢ ط د : اغتاض .

٣ لم يرد هذا البيت في ط د .

٤ ط د : لسيفه .

٥ يريد مسلم بن الوليد في مدحه يزيد بن يزيد الشيباني ، ويشير إلى قوله (ديوانه : ٧) :

سل الخليفة سيفاً من بني مطر أقام قائمه من كان ذا ميل

وفي ط د : على مسلم ؛ وصوبته بحسب المعنى .

كم في سُرَادقكم^١ من ماجد عَمَمٍ
لَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا عَيْبَ يَدْرِكُهُ^٢
وَالصَبْحُ مُبْدِي رَبِّي نَجْدٍ وَإِنْ صَغُرَتْ
يُعْطِي الْجَزِيلَ وَمَأْوَى الْخَائِفِ الْحَذَرُ^٣
عَابُوهُ وَهُوَ الْكَبِيرُ الْقَدِيرُ بِالْقَصْرِ
وَاللَّيْلُ يَسْتَرُ لِبْنَانًا عَلَى الْكَبِيرِ

وقوله : « بسيفه^٤ انتاش سيفُ جدِّه^٥ يمناً » ، يريد سيف بن ذي يزن ،
حين استنقذ من أيدي الحبشة ملك اليمن ، في خبر معروف ، خارج عن غرض
هذا التصنيف . ووهرز — يقال بالراء والزاي^٦ معاً — وهو الذي أنقذه كسرى
أبرويز مع سيف بن ذي يزن ، أميراً على من كان في سجنه ، بأشارة مرازيته
فكان من أمره ما كان .

وله فيه من أخرى :

مالي إذا نَفَسُ مَعْنَى قُدِّسَتْ وَسِرَتْ
أَنْتَ الَّذِي بَاهَتْ الْأَرْضُ السَّمَاءَ بِهِ
أَحُومٌ حَوْلَ حَيَاضٍ مِنْ رِضَاكَ وَمَا
رَاعُوا قَدِيمَ وَلَايٍ يَالَ مَسْلَمَةٍ
تَفْرِي أَدِيمِي اللَّيَالِي غَيْرَ مَبْقِيَةٍ
وَلَا نِي فِي مَوَالِيكُمْ كَلِكُكُمْ^٧

وهذا كقول ابن الرومي :

تَلُوحُ فِي دُوَلِ الْأَيَّامِ دَوْلَتُكُمْ
كَأَنَّهَا مِلَّةُ الْإِسْلَامِ فِي الْمَلَلِ

١ وقمت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ ط د : لسيفه .

٣ ط د : والراء .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٢ .

وله فيه من قصيدة اندرج له بعضها في رسالة موشحة ، عارض البديع
بها في باب ، وَصَبَّ فيها على قلبه ، منها : [١٣١]

دوحة فرعها على الشَّهْبِ موضوعٌ وأصلٌ قد غاصَ تحتَ النجومِ
شُهْبٌ زَيَّنَتْ سماءَ المعالي وحمتها من ييضه برجوم
يردون الظُّبا ورودَ القطا والموتُ قد غَضَّ بالقنا المحطوم
أوقعوا بالمجوسِ ما يعلمُ اللهُ وثَنُوا من بَعْدِهَا بالرومِ
سُوددٌ حار فيه وصفي فما أَسْطِيعُهُ بالمشورِ والمنظومِ
وإذا ما هزُّوا صدورَ القنا الصمِّ فما صدرُ فيلقِ بسليم
زعزعوها فليس تدري سوى عهدهم في حديثها والقديم
كلِّما حَكِّمُوا اللَّهَ بالندى في المالِ نادى مالي وللتحكيمِ
مثلما حَكِّمُوا اللَّهَ بالندى في الأخذِ بالإختبارِ في المحكومِ
ما على البيضِ غير أن تدعَ الهامَ بهم مثلَ الهاءِ في الترخيمِ
صوتُها في أسماعِهِمْ كاللثاني والثالثِ في سماعِ النديمِ
ليس إلا الظبا لهم زَهْرٌ والدَّمُ خمرٌ لكنْ بلا تحريمِ
فثناءٌ مني أرففُ بُرْدَينِهِ ومنهم إدمانُ برِّ عَمِيمِ

قوله : « خمرٌ لكنْ بلا تحريم » من الاستدراك البديع ، والتخلص المطبوع .
وقوله : « كلِّما حَكِّمُوا اللَّهَ » . . . البيت ، يشبه قول أبي محمد بن صارة
الشتريني ٢ :

خُلِّقُ الوزيرِ أبي العلاءِ خوارجٌ لكنها ليست تَرَى التحكيما

١ ط د : متى .

٢ ط : الشتمري ؛ وترجمة ابن صارة ترد في ما يلي : ٨٣٤ .

وله أيضاً من قصيدة^١ :

سقاها الحيا من مغانٍ فِساحٍ	فكم لي بها من معانٍ فصاحٍ
وحلّتي أكاليلَ تلك الرُبى	ووشى معاطفَ تلك البطاح
فما أنسَ لا أنسَ عهدي بها	وجرّتي فيها ذبولَ المراح
فكم لي في اللهو من طيّرةٍ	عليها بأجنحة الإرتياح
ويومٍ على حَبيراتِ الرياضِ	تُجاذبُ برديَّ أيديَّ ^٢ الرياح
بحيثُ لم أعطِ النهى طاعةً	ولم ألقِ سمعاً إلى لَحْيٍ لاح
وليلٍ كرجعةٍ لحظ ^٣ المريبِ	لم أدْرِ له شَقَقاً من صباح
كعُمُرٍ عَفاتك ^٤ يومَ الندى	وعُمُرٍ عذاتك يومَ الكفاح
إليكَ رمى أُملي بي ولا	هويَّ مصفحةٍ بالجنّاح ^٥
أقول لراجي الحيا وهو دان	مدّاهُ وجلواهُ من كلِّ راح
إذا عُمُرٌ هَطَلَتْ كَفُهُ	فلا حَمَلَتْ سَحْبٌ من رياح
من النافذي الطعْنِ تحت العجاج	بين الدّلاصِ وبين الرماح
من القومِ ينزلهم خَصْدُهُم ^٦	عن الموتِ شوكَ القناني البراح [١٣١ب]
وعنهم تَكُونُ رفعُ العلا	سماءً على عمدٍ من صفاح
وقادوا الزمانَ إلى اليومِ وهو	رقيقُ الحواشي صَقيلُ النواحي

١ الفوات ٢ : ٣٩٣ والقلائد : ١٤٦ والمغرب ١ : ٣٧٥ والنفع ١ : ٦٧٤

٢ القلائد والنفع والمغرب : مر الرياح .

٣ في المصادر : طرف ، وكذلك خ بهامش ط .

٤ الفوات : عذاتك (جمع عدة) .

٥ الفوات : بالرياح .

٦ ط : بزلهم خضرهم ؛ د : بزدهم حصدهم ؛ س : ينزلهم حصدهم .

وله من أخرى ، وهي قصيدة فريدة فضح بها الأوائل ، وصرح فيها
عن كل طائل ، والمرءُ نجبوءٌ تحت لسانه ، وشرفهُ بنفسه لا بزمانه ،
أولها^١ :

ساروا ومِسْكُ الدياجي غيرُ منهوبٍ^٢ وطُرَّةُ الشرقِ غُفْلٌ دونَ تذهيبِ
على ربِّي لم يزلْ شادي الذبابِ بها يُلهي بآنقٍ ملفوظٍ ومضروبِ
كالقيد في قَبَسٍ^٣ الأزهار أذرعهُ قامتْ له بالثاني والمضاربِ
والغيمُ تنثرُ منه راحةٌ خُضِبَتْ^٤ بالبرق فوقَ درأٍ غيرِ مثقوبِ
فرحتُ أستخيرُ الأنفاسَ لا الطَّسْمَ^٥ أدراسَ عن موعدٍ في الحيِّ مكنوبِ
وأشتفي بسؤالِ الريحِ مُخْبِرَةً^٦ عنهم ولو أنها تهفو بتأنيبي^٧
هيهات لا أبتغي منكم هوًى بهوى حسبي أكونُ محباً غيرَ محبوبِ
فما أراحُ لذكرى غيرِ عالية^٦ ولا ألدَّ بحبِّ دونَ تعذيبِ
ولا أصالحُ أيتامي على دَخْنِ^٦ ليس النفاقُ إلى خلقي بمنسوبِ
يا دهرُ إنْ توسعَ الأحرارَ مَظْلَمَةً^٦ فاستثنني إنْ غَيَّبَلي غيرُ مقروبِ
مهلاً فدرعُ حويلي غيرِ مُحْتَنَةٍ^٦ عجباً وسيف عزيبي غيرُ مقروبِ^٧
ولا تخلُ أني ألقاك منفرداً إنَّ القناعةَ جيشٌ غيرُ مغلوبِ

١ منها بيتان في الفيت ٢ : ٢٣٢ والريحان : ١٥٦ / أ وثلاثة في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٢ الريحان : موهوب .

٣ س : كالقيد في قلب .

٤ س : خضلت .

٥ ط : بتأنيب .

٦ س : عالنة .

٧ سقط البيت من د س .

ما كلُّ مَنْ نَسِمْ خَسِفاً عَافَ مَورِدَهُ
 وَكَمْ تَأَزَّرَتِ الْغِيْطَانُ لِيْ كَرَمًا
 أَمْشِي الْبَرَازَ وَلَا أَعْفِي بِهِ أَثْرِي
 وَرَبَّ عَاوِي عَلَى إِثْرِي بُلَيْتُ بِهِ
 أَسْكَنْتُ عَنْهُ وَلَوْلَمْ يَزِدْ جَرْغَضِي
 سَوَيْتُ أَشْبَاحَ أَفْظَاظِي وَقَدْ سَأَرُ
 أَوَانِسُ أَذِنَتْ لِي وَالنَّوَى قَدْ فُتُّ
 سَمَا بِذِكْرِي إِلَى أَسْمَاعِهِمْ أَدْبِي
 وَطَارَ بِي إِذْنُهُ فِي أَفْتَقِ حِرْصِهِمْ
 لَا يَنْظُرُونَ إِلَى شَخْصِي كَمَا نَظَرْتُ
 مِنْ كُلِّ مُطْلِقِ قَيْدِ الْحَرْبِ عَنْ لُجْبِ
 يَمْرُومَرِّ الْغَمَامِ الْجَوْنِ يَتَّبِعُ مِنْ

إِنَّ الْإِبَاءَ لَظَهْرٌ غَيْرُ مَرْكُوبٍ
 وَاسْتَشَقَّتْنِي أَنْفَاسُ الشَّخَابِ
 حَسَبُ الْمَرْيَبِ رُكُوبُ الْقَاعِ ذِي اللَّوْبِ
 بَلَاءَ لَيْثِ الشَّرَى فِي اللَّيْلِ بِالذِّبِ
 وَشِمْتُ صَارِمَ تَأْنِيْبِي وَتَرْيِي
 وَاحَ الْمَعَانِي لَهَا نَقْدِي وَتَهْدِي
 عَلَى عَلَا كُلِّ صَعْبِ الْإِذْنِ مُحْجُوبِ
 مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْآثَافِ بِالطَّيْبِ
 عَلَى قَوَادِمِ تَأْهِيلِي وَتَرْحِي
 بِيضُ الْخُدُورِ إِلَى الْقَفْرَا مِنَ الشَّيْبِ
 قَيْدُ الْأَسْوَدِ عَلَى طَيْرِ السَّرَاحِيْبِ
 لَحْمُ أَبَارِيْقٍ تَرْغِيْبٍ وَتَرْهِيْبِ

مدح: بهذه القصيدة المعتمد بن عبّاد .

قوله : « حَسْبِي أَكُونُ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ » لفظ أبي الطيب ٣ :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحْبُوبٍ [١٣٢أ]

وقوله : « وَلَا أَصَالِحُ أَبْيَامِي عَلَى دَخْنٍ » ؛ لفظه أيضاً ٤ ، وقوله :

١ علا : سقطت من ط .

٢ ط : الفقرا ؛ د : القفرا .

٣ ديوان المتنبي : ٤٤٩ .

٤ يريد قول أبي الطيب :

فلا أحارب مدفوعاً على جدر ولا أصالح مغروراً على دخن

« إن غيلي غير مقروب » ، لفظ [بيت] الجميع ^١ .

• تسكن غيلاً غير مقروب •

وقوله : « أمشي البراز » ... البيت ، عكس قول امرئ القيس ^٢ :

• على أثرينا ذيلَ مِرْطٍ مرحلٍ •

وأخذه ابن المعتز فقال ^٣ :

فظلتُ أبسطُ خدّي في الترابِ له ذُلًّا وأسحبُ أذيالي على الأثرِ

وقوله : « لا ينظرون إلى شخصي كما نظرت » ... البيت ، كقول محمد بن هانيء الأندلسي ^٤ :

همُ لحظوكم والنبوّةُ فيكمُ كما لحظت شيبَ الكبيرِ الفواركُ

وأصله من قول امرئ القيس ^٥ :

أراهنّ لا يُحسِبُنَ من قلّ ماله ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقوساً

١ س ط د : الجميع ، والجميع لقب لشاعر اسمه منقذ بن الطماح ، وبيته هذا من قصيدة

له مفضلية ، وهي الرابعة في الترتيب : (شرح ابن الأنباري : ٢٥ - ٢٩) :

أما إذا حردت حردتي فمجرية جرداء تمنع غيلاً غير مقروب

٢ ديوان امرئ القيس : ١٤ ، وصدّره : « خرجت بها تمشي تجر وراةنا » .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ ديوان ابن هانيء : ١٠٤ .

٥ الديوان : كما لحظ الشيب النساء .

٦ ديوان امرئ القيس : ١٠٧ .

وللوزير أبي محمد عبد الغفور من أهل وقتنا فصل^١ يتعلق بهذا المعنى من رقعة ، قال فيه : كنت^١ قبيل هذا المشيب الذي علا ، والشباب الذي تولّى ، كريماً على ذوات الطلّ ، لا يتعرّضن^٢ فيّ لمكان القلّة^٢ يلوّلا ، ولما أطار غراب الشباب باز المشيب ، ورُحنت^٣ رث الجلباب بعد كل شُخْتِ قشيب ، سمعتهن^٤ حيناً يتبرّمن^٤ ، وحيناً يترنّمن^٤ ، إلاّ أنهن^٤ يُجمّجن^٤ ولا يتترجمن^٤ ، وبفضل حاستي - والله الفضل - ما فهمت^٥ الوزن ، فلما استقرّيت^٥ لتعرف^٥ حروفه السهل والحزن^٥ ، عثر^٥ لهجي في تطلّب تلك الضالة بلعل^٥ وعسى ، بقول الملك الضليل : « ألما على الرّبع القديم بعسعا » ولم أزل بعد^٥ محدّثاً مؤسّوساً ، حتى سقط بي اليقين على قوله « وقوساً » وفي صدر هذا الروي^٥ « أراهن لا يُحبّبن^٥ من قلّ ماله » ، وإذا قوس ظهر المرء فقد استحال جماله ، فلذن قاتلهن^٥ الله يُحبّبن^٥ القبيح ذا المال ، والفقير ذا الجمال .

وصفة ابن عبدون للذباب : أجاد فيه ما أراد ، وقد تناول هذا المعنى أبو بكر بن سعيد البطليوسي ، فقال من قصيدة^٣ :

كان^٣ أهازيج^٣ الذباب أساقف^٣ لها من أزاهير الرياض محاريب^٣
وأخذه ابن عبدون من قول ابن الرومي يصف روضاً^٤ :

١ ط : كتبت .

٢ ط : القلت .

٣ بيت البطليوسي في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٢ وديوان المعاني ١ : ٣٦١ والسمط : ٤٨٦ وتشبيهات ابن أبي عون

. ٣٨٩

وَعَرَّدَ رَبْعِيُ الذَّبَابِ خِلَالَهُ كَمَا حَثَّ الشَّوَانُ صُنْجَامَشْرَعَا
وَكَانَتْ أَهَازِيحُ الذَّبَابِ هُنَاكُمُ عَلَى شَدَوَاتِ الطَّيْرِ ضَرْبًا مَوْقَعَا

ولمَّا اخْتَرَعَهُ أَوَّلًا عَنَتْرَةً يَقُولُهُ ¹ :

فَتَرَى الذَّبَابَ بِهَا يُغْنِي وَحْدَهُ هَزَجًا كَفَعِلِ الشَّارِبِ الْمُرْتَمِ
غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فَعِلَ الْمَكْبُ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

وهذا من التشبيه الذي ما له شبيه ، ولم يحسر عليه أحد ، غير أن ذا الرمة
نقل معنى الصفة إلى الجندب فقال ² :

كَانَ رَجُلِيهِ رَجُلًا مُقْطِفٍ عَجِيلٍ إِذَا تَجَاوَبَ ³ مِنْ بُرْدَيْنِهِ تَرْنِيمِ

[١٣٢ ب] والمُقْطِفُ : رَاكِبُ الدَّابَّةِ الْقُطُوفِ ، فنقل صفة يدي
الذَّبَابِ إِلَى رَجُلِ الْجَنْدَبِ فَأَحْسَنَ الْأَخْذَ ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَعْزِضْ لَعَنَتْرَةٍ فِي
مَعْنَاهُ .

وقال السلمي في صفة زنبور ⁴ :

إِذَا حَكَ أَعْلَى رَأْسِهِ فَكَأَنَّمَا بِسَالْفَتِيهِ مِنْ يَدَيْهِ جَوَامِعُ
قُبَاعِدِ عَنَتْرَةٍ فِي الصَّفَةِ ، وَإِنْ قَارَبَهُ فِي الْمَوْصُوفِ ، وَتَعَلَّقَ فِي اللَّفْظِ

١ زهر الآداب : ٧٤٠ والحيوان ٥ : ٥١٣ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٨٩ وديوانه :

١٩٧ - ١٩٨ ، وابن بسام يتابع في هذه القطعة ابن رشيق في قراضة الذهب : ٦٩ - ٧٠ .

٢ ديوان ذي الرمة ١ : ٤١٩ وقراضة الذهب : ٦٩ .

٣ ط د س : تجاذب .

٤ اليتيمة ٢ : ٤٢٠ وقراضة الذهب ٦٩ .

بصريح الغواني إذ يقول في النساء ^١ :

فغطت بأيديها ثمارَ نخورها كأيدي الأسارى أثقلتَها الجوامعُ

وقد قال بعضُ أهلِ أفقنا ، وهو يوسف بن هارون الرمادي :

وكأسٍ كريقِ الإلفِ شععتها به وعيشيَ من هذا الشرابِ المشعشع
على روضةٍ قامتْ لنا بدرائكِ وقام لنا فيها الذبابُ بمسمع
إذا ما شربنا كأسنا صُبَّ فضلها على رَوْضِنَا للمسمع المتخلِّع
وهذا مما أغربَ فيه الرمادي .

وقد قال الجاحظ ^٢ : وجدنا المعاني تُقَلِّبُ ويؤخذ بعضها من بعض
إلاَّ قولَ عنترَةَ في الذباب ، وقولَ أبي نواس في تصاوير الكأسِ ، حيث
يقول ^٣ :

قرارتُها كسرى وفي جنباتها مهأ تدريها بالقسيّ الفوارسُ
فللراح ما زُرت عليه جيوبُها وللماءِ ما دارتْ عليه القلائسُ
يريد أنَّ حدَّ الخمرِ بلغَ نخورَ هذه الصور ، وزيد الماء فيه فانتهى الشراب
إلى فوق رؤوسها ، وفائدة هذا معرفةُ حدِّها صرفاً ، من حدِّها ممزوجةً .

١ ديوان مسلم : ٢٧٣ وزهر الآداب : ٩٩٦ وقراءة الذهب : ٧٠ .
٢ ورد هذا القول في زهر الآداب : ٧٣٩ - ٧٤٠ وانظر تعليق الجاحظ على شعر عنترَةَ في
وصف الذباب في كتاب الحيوان ٣ : ٣١١ - ٣١٢ .
٣ ديوان أبي نواس : ٢٩٥ وزهر الآداب : ٧٤٠ .

قال ابن بسام : وقد ذُكِرَ أَنَّ الحسن ولد هذا المعنى من قول
امرئ القيس^١ :

فلما استطابوا صُبَّ في الصحنِ نصفه وشُجَّتْ بماءٍ غير طَرَقٍ ولا كدَرٍ

فجعل الشراب والماء نصفين^٢ ، لقوة الشراب ، فتسلق الحسنُ عليه ،
وأخفاه بما شغل به الكلام ، من ذكر الصورة المنقوشة في الكأس ، إلا أنها
سرقةٌ مليحة . وكرَّرَ أبو نواس هذا المعنى عجباً به في مواضع كقوله^٣ :

بنينا على كسرى سماءَ مدامةٍ مكلَّلة حافاتُها بنجومٍ
فلوردٌ في كسرى بن ساسان روجه إذن لاصطفاني دونَ كلِّ نديمٍ

وأخذه الناشيء وولد معنى زائداً فقال^٤ :

في كأسها صُورٌ تُظَنُّ لحُسْنِها عُرْباً بَرَزْنَ من الحجال وغيدا
ولإذا المزاجُ أثارها فتقسَّمت ذهباً ودرّاً توأماً وفريدا
فكأنهنَّ لبسنَ ذاك مجاسداً وجعلنَ ذا لنحورهنَّ عقودا

وقال ابن المعتز^٥ :

وكأس^٦ من زجاجٍ فيه أسدٌ فرائسهنَّ ألبابُ الرجالِ

١ ديوان امرئ القيس : ١١ .

٢ س ط : قسmin .

٣ زهر الآداب : ٧٤٢ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٠ .

٥ زهر الآداب : ٧٣٨ وديوان ابن المعتز : ٣ : ٩٧ والأوراق : ١٩٩ .

٦ الديوان : بغاب .

وَأَلَمَ بِهِذَا الْمُتَلَمِّسُ بْنُ بَطَالِ الْبَطْلِيِّوسِي^١ فَقَالَ :

وَعَاثَ مِنْ الْأَكْوَاسِ فِيهَا ضِرَاجُ^٢ مِنْ الرَّاحِ أَلْبَابُ الرِّجَالِ فَرِيْسَهَا
قَرَعَتْ بِهَا سِنَّ^٣ الْهَمُومِ فَأَقْلَعَتْ وَقَدْ كَادَ يَسْطُو بِالْفُؤَادِ رَسِيْسَهَا
[١٣٣ أ] وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِنَا ، وَهُوَ أَبُو تَمَامِ بْنِ رَبَاحٍ^٤ :

وَكَأْسٌ بَدَا كَسَرَى بِهَا فِي قَرَارَةٍ غَرِيْقًا وَلَكِنْ^٥ فِي خَلِيْجٍ مِنْ الْخَمْرِ
وَمَا صَوْرَتُهُ^٦ فَارَسٌ^٧ عَثًّا^٨ بِهِ وَلَكِنَّهُمْ جَاءُوا بِأَخْفَى^٩ مِنَ السَّحَرِ
أَشَارُوا بِمَا دَانُوا لَهُ فِي حَيَاتِهِ فَيَوْمَى^{١٠} إِلَيْهِ بِالسُّجُودِ وَمَا يَدْرِي

ومثل هذه المعاني التي ذكروا مما انفرد به كل واحد من الشعراء ، لا يكاد يتناولها حاذق إلا قصّر ، إلا أن يزيد زيادةً تظهر ، ولذلك ما تحامى الناس أشياء كثيرة من المعاني التي أخذت حقها من اللفظ ، ولم يبق فيها فضلة تلتمس ، والقرائح تتفاضل ، ألا ترى إلى قول جميل في وصف امرأة فاجأها^{١١} :

غدا لَاعِبٌ فِي الْحَيِّ^{١٢} لَمْ يَدْرِ أَنَّنَا نَمْرُ^{١٣} وَلَا أَرْضٌ^{١٤} لَنَا بِطَرِيقِ
فَلَمَّا انْتَحَيْنَاهُ^{١٥} اتَّقَانَا بِكُحْمِهِ^{١٦} وَأَعْلَنَ^{١٧} مِنْ رَوْعَاتِنَا^{١٨} بِشَهِيقِ

١ هوسليمان بن محمد بن بطلال ، أبو أيوب : كان فقيهاً مقدماً وشاعراً محسناً قريباً من الأربعمئة (انظر ترجمته في الجذوة : ٢٠٦ وبغية الملتبس رقم : ٧٦٢ والنفع ٣ : ٢٩٢ ، ٤٥٠ وله مقطعات كثيرة في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ .

٣ لم يرد هذا الشعر في ديوان جميل ؛ ولكن ابن بسام يتابع هنا ما يقوله ابن رشيق في قراصة الذهب : ٥٧ .

٤ القراصة : افتجيناها (ولا أراه صواباً) .

كيف وَصَفَ حَقِيقَةَ الحَالِ الَّتِي صَوَّرَهَا تَصْوِيرًا ، مع حَسَنِ لَفْظٍ ،
وليس مع ذَلِكَ بِبَالِغٍ قَوْلِ النَّابِغَةِ ^١ :

سَقَطَ النِّصْفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطُهُ فِتْنَاوَلَّتْهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

رَجَع

وقال ابن عبدون من قصيدة :

لولا المؤيدُ ، مدَّ الله مدَّتَهُ ،
فلم أكنُ وسوى بغدادَ ^٢ لي أملُ^٣
وإن نبتُ حمصُ بي واللهُ يعصمها
والمؤيدُ ، مدَّ الله مدَّتَهُ^٤
لم ينتقبُ وجههُ للسُّمْرِ مشرعةً^٥
يشأى المُسَاجِلَ في بأسٍ وفي كرم
تراهُ إن تدَّعُهُ يَوْمِي^٦ ندى ووغى
إليكَ منِّي ، أعزَّ الله نَصْرَكَ ما
جاءَ تَكَ تَرْقُصُ أَرْدَانُ الكلامِ به

ما كان لي في سوى بغدادَ من أربٍ
فيها كما كنت في أهلي بمغترِبٍ
ركبتُها عزيمةً تشأى الكواكبَ بي
رأيٌ يغالطُ شُهْبَ الليل في القطبِ
ولأنه من حياءِ الوجه في نُقُبِ
ويعلاُ الدلو في العليا إلى الكَرَبِ
النارَ في عَرَفَجٍ والماءَ في صَبَبِ
أَبْقَتَهُ أَيْدِي السَّرَى واليَدِ والنَّوْبِ
سوايحُ تَأْكُلُ الغبراءَ بالخبِ

وله في المعتمد من قصيدة :

إنَّ الممالكَ والسيوفُ شهودُ لكمُ إماءُ والملوكُ عبيدُ

١ ديوان النابغة : ٣٤ وقراءة الذهب : ٥٧ .

٢ بغداد : سقطت من ط د .

٣ ط د س : يوماً .

شامتكمُ في المكرماتِ عزائمُ جارٍ على أحكامها التأييد
وعلاً نشأنَ مع النجوم وقبلها ولهنَّ من بعدِ النجوم خلود
من معشرٍ أخذوا بأطرافِ العلا والأفقُ غُفْلٌ والليالي سود
جادوا فبانتُ في البسيطةِ أنجمُ وسَطَوْا فنارتُ في السَّماءِ أسود
يا روضةً وصفَ النسيمُ أريجها رَفِيٌّ عليَّ فأنَّني غريد
ما لي أرْفُفُ حولَ دَوْحِكَ ضاحياً أصفُ الأوارِ ٢ وماؤها مورود
لا ذنبَ للآمالِ إلّا أنَّها شهبٌ لها من أن تراك سعود [١٣٣ب]
ركبتُ إليكَ جناحَ كلِّ عزيمةٍ قرب الردى من خلفها مزعود
أَكَلْتُ إليكَ الأرضَ وهي بحسبها إنْ لم تعقها من ثناكَ قيود

قوله : « وعلاً نشأن مع النجوم وقبلها » ، مأخوذ من قول المعري ،
وله فيه زيادة ، تجاوزت الغاية في الإجادة ، وخرقت في الإحسان كلَّ عادة ،
وهو قوله يصف خيلاً ٣ :

نَشَأَنَ مَعَ النِّعَامِ بِكُلِّ دَوْ فَقْدَا أَلِفَتُ نَتَائِجُهَا الرِّثَالُ ٤

ولعلَّ هذا تواردٌ من الطباع ، وبحسب القريحة يكونُ الإبداعُ والاختراع .

وقوله : « يا روضةً وصفَ النسيمُ أريجها » ، من قول اسحاق

١ ط : رقي .

٢ لعل الصواب : « الأوام » .

٣ شروح السقط : ٤٥٤ .

٤ نشأن : الضمير يرجع إلى بيت ذكر فيه السوابق ، أي وقعت الألفة بين المهار والريثال

وهي أولاد النعمان .

الموصلي^١ :

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُهُ أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْدُودِ

ولابن عبدون من قصيدة في الرشيد نقلتها من مبيضاته ، ولم يعرضها عليه ، ولا أوصلها إليه ، أولها^٢ :

عزيمٌ لا يُسَدُّ عليه بابٌ وقلبٌ لا يُفَلُّ له ذُبَابٌ

ومنها :

مضى في نائباتِ الدهرِ صِلْدًا ^٣	فلم يُثَلِّمْ وقد طال الضرابُ
وقد زَرَّوْا الضَّلُوعَ على قلوبِ	لو انتَضَيْتُ لَقُطَّ بها الرقابُ
وسرْتُ ومن كواكبه حُلِيِّ	عليَّ ومن غياهبيه قرابُ
ولو بسوى الرشيد جعلتُ هديني	لفضلَ الركبُ فيها والركابُ
من التَفَرِّ الألى طلعوا نَجُومًا	فمن أنوائهم فينا انسكابُ
إذا هَزَّتْهُمْ نَغَمُ العوالي	فليس سوى النجيعِ لهم شرابُ
وباءَ فقلتُ في الغبراءِ برجٌ	وثارَ فقلتُ في الخضراءِ غابُ
بقَدِ عَقِدْتُ حُبَاهُ على خِلالِ	ظُبَاهُ لا تهابُ كما تهابُ
وطَبَّقَ مَقْصِلَ العُلَيَّا بِنَفْسِ	مآثرها تراثُ واكتسابُ
كَأَنَّ عَدَاهُ في الهيجا ذنوبٌ	وصارمُهُ دعاءُ مستجابُ

١ الأغاني ٥ : ٣٥٠ ورفع الحجب ١ : ٤١ ونهاية الأرب ١ : ٢٧٩ والذخيرة ١ : ٨٦٣ .

٢ منها ستة أبيات في الريحان ١ : ١٥٥ ب .

٣ الريحان : فرداً .

٤ الريحان : عطفوا .

وهذا ممّا أغرب فيه ، ولم أسمع له بشييه ، ولعلّه أميرُ شعره ، ونتيجة
فكره ؛ وفيها يقول :

إليكَ أبا الحسين ركبْتُ عزمًا يضيقُ برحب مسعاه الطّلابُ
رمتُ في البحر منك ولم تعرّجُ على أرضٍ بقيعتيها سرابُ^١
وقد مرّقتُ إليك من الدجى بي أعاريبُ تحبُّ بها عراب
هفتُ بي والدجى يهفو حشاه كما كسّرتُ على خُزّزٍ عقاب

قول أبي محمد : « وسرتُ ومن كواكبه حُلِيٌّ » . . . البيت ، سلك
فيه سبيلاً من البديع لا تُسَلِّكُ ، واستولى منه على غاية من الكلام المطبوع
قلّما تُدرك .

وأما قوله : « كما كسّرتُ على خُزّزٍ عقاب » فما أولاه عليه بالعقاب ،
لإذ نسخَ لفظَ أبي الطيب كما تراه ، وقصّر أكثر مما شاء عن معناه ، وهو^٢ :

يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه كما نقّضتُ جناحيها العقابُ

على أنّ أبا الطيب إنما تطرّفَ قولَ طرفة^٣ :

بكتائبٍ تردّي كما تردّي إلى الجيفِ النَّسورُ

[١٣٤ أ] ولكن المتنبي طار في السماء مع العقاب ، وترك طرفة في
الأرض على التراب .

١ وقع هذا البيت آخرّاً في س .

٢ ديوان المتنبي : ٣٧٠ .

٣ لم يرد في ديوان طرفة .

وكان أبو محمد حين استوحش من المنصور بن المتوكل^١ ، ولحق باشيلية ،
كتب إلى الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون بهذه الأبيات :

لك الخير من مثري اليدين من العلا إذا تَرَبَّتْ أَيْدِي النَّوَى والتطوُّلِ
بما كان بين الماضيين من الذي إليه استنادي^٢ أو عليه مُعَوِّي
ولم تمسكْ بالمؤيد لي يدٌ وقد زهفت^٣ رجلي عن المتوكل
وله أيضاً يقول :

قل للوزير أدام الله عزَّتهُ والجاهُ يَفَنِّي وقولُ الدهرِ مفهومٌ
لئن نبت بي حمصٌ وهي قد فعلتْ فليس تنبو بي السَّبعُ الأقاليمِ
لي في مناكبِ أرضِ الله مُضْطَرَبٌ إن ساحتْ بي النَّوى لُحْمٌ ومغزوم
ثم انصرف إلى حضرة المتوكل ببطليوس ، ودفع إليه قصيدةً أوَّلها :

خَصَمْتُ الظُّبَا عنكم على أنَّها لدُ بقرعٍ له في كلِّ بارقة رَعْدُ
بِزُرْقٍ بما خَلَّفَ الضُّلُوعَ بصيرةً على أنَّها مما بكتْ حَدَقٌ رُمْدُ
تركتُ لمن هزَّ الأستنة رأيهُ وقلتُ لغيري الخَفَضُ والعيشةُ الرغدُ
وطار جناحُ الليلِ منِّي بأجدلٍ إذا ما الظُّبا فاضتْ ففيها له ورْدُ
منيرُ أساريرِ الرُّثاسِ إذا سَرَى وشتْ بسُراهِ اليدُ والليلُ مسودُ

١ كذا في النسخ ، والمنصور هو أخو المتوكل لا ابنه ، وقد ولي بطليوس بعد وفاة أبيه المظفر
(سنة ٤٦٠) ؛ وأما ابنا المتوكل فهما الفضل والعباس ولا أعرف إن كان أحدهما لقب
بالمنصور ، وقد قتل مع أبيهما (سنة ٤٨٧) .

٢ س : اجتهادي .

٣ ط د : زهقت ؛ س : زلقت ؛ وزهفت : خفت وعجلت .

٤ س : بالنوى .

وفيها من عتابه للمتوكل :

أَفَالآنَ لَمَّا مَلَّتِي وَمَلَلْتُهُ
وباضتُ على رأسي السنونَ وفرختُ
طمعتُ بخصمٍ أن تلينَ لمطلبي
ولي، فأسأتُ، الذنبُ في ذاك لا لها
طلابُ لوى عن نيله الزَّمنُ الوغدُ
وما لي حلٌّ في الأمورِ ولا عقد
ولا عَجَبٌ قد يرشحُ الحجرُ الصَّلْدُ
فمذ توجَدُ الجُعْلانُ لم ينفقِ الوردُ

ما أخرجته من سائر مقطوعاته الاخوانيات

من ذلك ما أنشدنيه لنفسه ، مما خاطب به الوزراء الكتاب بني سعيد
ابن القبطورنة ، حين خرج عن بطليوس مستوحشاً ، حسبما وصفته ^١ :

أَخْلَأتِي وفي قُرْبِ الصدورِ
وقد ضمتُ جوانِحُنَا^٢ قلوباً
إذا الكرماء نامت فوق ضيمٍ
فَقَبِّلُ أبا الدنية قيسُ عبسٍ
لئن عثروا وليس لعا جوابُ
ولا سمعوا بها إلا بصمُ
ظبا تقضي^٣ على قممِ الدُّهورِ
أَبَتْ غيرَ القصورِ أو القبورِ
فما فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
ولم يُصْغِي إلى قولِ المشيرِ
فلا عَلِقَتْ بطونُ من ظهورِ
ولا نظروا بها إلا بعورِ

١ منها أربعة أبيات في القلائد : ١٤٦ .

٢ القلائد : تمضي .

٣ س : جوانحها .

٤ القلائد : باتت تحت .

٥ القلائد : المشير ؛ وقيس عبس هو قيس بن زهير الذي هاجر قومه بعد حرب داحس والغبراء وأوى إلى عمان .

ومنها : [١٣٤ ب]

ودلّهي فراقُ بني سعيدٍ فما أدري قبيلًا من دَيرٍ

وبات بطريقه هنالك على وادي آتة بقرية لبّ ، فقال :

عذيري إلى المجدِّ من كَوْنٍ مثلي بآتة أو من مبيتي بلبّ
وبغدادُ لو هتفت بي هلمَّ هلمَّ لما كنتُ ممّن يلبي

وأنشدني أيضاً له مما خاطب به بعض الأعيان :

سوى ذا الحظّ من أيدي الرماح	سأطلبُ لا باللسنةِ اليراع
ووجهُ الموتِ محدورُ القناع	وأخبطُ بالسرى ورَقَ الدياجي
كما مرق الهلالُ من الشعاع	وأمرقُ من أساريرِ المواضي
خيراً فاقضِ حقَّ الإستماع	فسلني عن ملوكِ الأرضِ تسأل
لأوضحَ غبْنَهُمْ عندَ البياع	عرضتُ عليهمُ نَفْسِي ونفسي
ولا سلكوا سيلاً في اصطناعي	فما اتبعوا دليلاً في اجتنابي
على ضمّدٍ ^١ ورأسٍ في صداع	كأعضاءٍ بها ألمٌ فقلبُ
شكّتْ بسكونها نُحْلُ ^٢ النخاع	ومن عَصَبٍ إذا سلتَ حراكاً
ولا تُصْفِي المودّةَ للذراع	ويمنى لا تجودُ على شمالٍ
وأذنُ لا تألّمُ من قذاع ^٣	وعينُ لا تغمّضُ عن قبيحٍ
وتَنَقَّلُ الطبعِ ليس بمستطاع	فما أبَقُوا ولا هَمُّوا ببقيا

١ الضمد : الحقد .

٢ النحل بمعنى التحول ، وهو من النادر في الاستعمال .

٣ ط د : قراع .

فلو سَقَتِ السماءُ الشريَّ أرياً لما احلوتُ مراعيه لراع
 بدهرٍ ضاعتِ الأحسابُ فيه ضياعَ الرأيِ في السرِّ المذاع
 فبعثهمُ بتاتاً لا بِشُنَيَا ولا شرطٍ ولا دركٍ ارتجاع
 ولم أجعلْ قرايَ غيرَ بيتي فحسبي ما تقدّم من قراع^١

قوله : « كأعضاء بها ألم » . . . البيت ، مع الذي بعده ، أراه فيما انتحاه
 سلك سبيلَ أبي نصر المعافى^٢ ، من أناشيد الثعالبي^٣ ، حيث يقول :

لما رأيتُ الزمانَ نِكْساً وفيه للرفعةِ اتضاعُ
 كلُّ رئيسٍ به^٤ مَلالٌ وكلُّ رأسٍ به صداع
 لزمْتُ بيتي وصنْتُ عرضاً به عن الذلّةِ امتناع
 أشربُ ممّا ادّخرتُ راحاً لها على راحتي شعاع
 لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماع
 وأجنتي من ثمارِ قومٍ قد أقفرتُ منهم البقاع

وقول أبي محمد : « كما مَرَّقَ الهلالُ من الشعاع » ، معنى متداول
 إلاّ أنَّ قولَ أبي محمد أولى بالتقديم ، ومنه قول بشر بن أبي خازم^٥ :

-
- ١ س : نزاع
 ٢ هو أبو نصر المعافى بن هزيم الهزيمي من أبيورد ، وكان يكثر المقام ببخارى ويخدم رؤساءها
 (اليتمية ٤ : ١٢٩ - ١٣٣ وأبياته هذه ص : ١٣٢) .
 ٣ اليتمية : له .
 ٤ اليتمية : عقول .
 ٥ ط : أبي بشر بن حازم ، د : بشر بن حازم ؛ س : بشر أبي حازم ؛ وليس البيت في
 ديوان بشر ، وقد جاء في اللسان (ودق) منسوباً لزيد الخيل .

ضربنَ بغمرةٍ فخرجنَ منها خروجَ الودقِ من خللِ السحابِ

وقال المتنبي^١ : [أ١٣٥]

وضاقتْ خُطّةٌ فخلصتُ منها خلوصَ الخمرِ من نَسجِ القدمِ

وقال أبو تمام^٢ :

فخرجتَ منها كالشهابِ ولم تزلْ مذ كنتَ خراجاً من الغماءِ

وقال أبو الحسن الرضي^٣ :

مرقتُ منها مروقَ النجمِ منكدرأً وقد تلاقتْ مصارعُ الردى دوني

وقال ابن مقبل^٤ :

خروجُ من الغمى إذا صكَّ صكّةٌ بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ

إذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ غدا ربهُ قبل المقيضين يقْدَحُ

والغماء^٥ : هاهنا جماعة القداح .

١ ديوان المتنبي : ٤٧٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ١٩ .

٣ ديوان الرضي : ٢ : ٤٤٦ .

٤ ديوان ابن مقبل : ٢٩ ، ٣٠ والعمدة ٢ : ٢٨٨ والميسر والقداح : ٦٥ واللسان (هم)

وفي الأصول « الغما » حذفت همزته ، وهو عندئذ يفتح الغين ؛ وفيه يجوز القصر والمد .

٥ يصف القدح ؛ الغمى : الشدة والضيق ؛ العيون المستكفة : المحيطة به .

٦ كذا ورد أيضاً بالمد ، ورواية الديوان بالقصر وضم الغين .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله ^١ :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا تعالَوْا إلى أن يأتيَ الصيدُ نَحْطِبُ

فنقله ابن مقبل إلى صفة القدح ، وقال : إذا امتحنه ممتحنٌ غدا يقدحُ
ناراً قبل الإفاضة به ثقةً بفوزه ، ونقله ابن المعتز إلى صفة جارج فقال ^٢ :

قد وثق القوم له بما طَلَبَ . فهو إذا جَلَى لصيدٍ واضطربَ

عَرَّوْا سكاكينهمُ من القُرْبُ

وأنشدني أيضاً لنفسه ممّا خاطب به الوزير أبا القاسم ابن الجلد ^٣ :

سجيريّ من فهر لا تخمشنّ	وجه الإخاء بِطُفْرِ العَدَلِ
فأقسمُ أني أجيبُ الصُّبا	إذا ما دعني إليه المقل
وما أنس ليلتنا والعناقُ	قد مزَجَ الكلّ منا بِكُلِّ
إلى أن تقوَّسَ ظهرُ الظلامِ	واشمطَ عارضُهُ واكتهل
ومسّ رقيقَ رداءِ النسيم	على عاتقِ الفجرِ بعضُ الليل
وسبّح رعدُ المثاني بحمدِ	بني يعربٍ في سماءِ الجذل
إذ الدهرُ ميتٌ الخطى واللحاظ	عنا وأحداثُهُ في غفل
وللطير في الورقِ النضرِ شدوٌ	كشدوِ القيان عليها الكلل

١ ديوان امرؤ القيس : ٣٨٩ والعمدة ٢ : ٢٨٨ .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٧ والأوراق : ٢٠٩ .

٣ منها ثلاثة أبيات في كل من المغرب ١ : ٣٧٥ والخريدة ٢ : ١٠٦ والقلائد : ١٤٧ .

٤ د : مجيري ، والسجير : التحليل والصفي .

٥ المغرب : في عاتق الليل ؛ الخريدة والقلائد : على عاتق الليل .

فأبتُ وذنبِي أميرُ الذنوبِ ودولته فوق تلك الدول

أشار في هذا البيت الأخير إلى قول أبي الطيّب^١ :

أميرة^٢ اللحظِ في الألاحظِ مالكةٌ لمقلتيها عظيمُ المُلْكِ في المقلِ

وقال أبو نواس^٣ :

أصْبني منك يا أملي بذنبِ تتيهُ على الذنوبِ به ذنوبي

وأنشدني أيضاً لنفسه^٤ :

هل تذكرُ العهدَ الذي لم أنسهُ ومودَّتِي؟ مخدومةٌ بصفاءِ
والأنسُ قد خَلَعَ العذارَى فبيننا برُّ البنينَ ورقّةُ الآباءِ
ومبيتنا في نهرِ حمصٍ والحجى قدحُلَّ عَقْدُ جباهِ الصهباءِ [١٣٥ب]
ودموعُ طلِّ الليلِ تُخَلِّقُ أعيناً ترنو إلينا من عيونِ الماءِ

وأنشدني أيضاً لنفسه^٥ :

-
- ١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ .
 - ٢ الديوان : مطاعة ؛ ط د : أسرة .
 - ٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .
 - ٤ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد : ١٤٧ والمغرب : ١ : ٣٧٥ والخريدة : ٢ : ١٠٦ .
 - ٥ س : ومودة .
 - ٦ س : الوقار .
 - ٧ تكرر هذا الشطر من قبل ص : ٦٨٤ س : ٥ .
 - ٨ انظر القلائد والخريدة والفوات والمطرب .

وما أنسَ بين النهر والقصر وقفةً نشدتُ بها ما ضلَّ من شاردِ الحبِّ
رَميتُ بلحظي رميةً سمحت به^١ فلم أثْنِهْ إلا ومحرابُها^٢ قلبي
وأنشدني أيضاً لنفسه قصيدة أولها :

دَعَتِكَ ومن سَجِيَّتِكَ البدارُ رؤوسُ^٣ أينعتُ منها ثمارُ
ومنها في وصف السيوف :

فيوردها ظماءٌ وهي ماءٌ وَيُصْدِرُهَا رِواءٌ وهي نارُ
ويقرضها أعاديهِ بلحياً وترجعُ وهي لو سلمت نضارُ
بيته الأوسط منها نَقَلَهُ من قولِ أبي الشيص ، إلا أنه زاد عليه ،
واستلبه من يديه ، وهو^٤ :

فأوردها بيضاً ظماءٌ صلورها وأصدرها بالريِّ ألوانها حُمْرُ
وهذا المعنى كثير ؛ وبيته الثالث نسخ بيت أبي الطيب ، ونقله من الوادي
إلى السيف ، وهو^٥ :

ركض الأميرُ وكاللجينِ حَبَابُهُ وثني الأعنة وهو كالعقيانِ
وقال أيضاً أبو الطيب^٥ :

١ القلائد : بيئي رمية جمحت به ؛ الخريدة : سخت به .

٢ القلائد والخريدة : ومجروحها .

٣ لم يرد في ديوان أبي الشيص المجموع .

٤ ديوان المتنبي : ٤١٤

٥ ديوان المتنبي : ٣٩٠ .

ولا تردُّ الغدرانَ إلا وماؤها من الدم كالريحانِ تحت الشقائقِ

وقال محمد بن هانيء^١ :

لا يوردونَ الماءَ سُنْبُكَ سابِحٍ أو يكتسي بدمِ الفوارسِ طُحْلُبَا

وأشهر موضع نقله منه قول السناط^٢ :

فخذْ ذهباً وردَّ لنا لجيناً تكنُ في الناس أربَحَ صيرفي

إلاَّ أنَّ قول ابن عبدون قد^٣ سلم من الحشو الذي لا يحسنه إلاَّ من
أدمنَ محاولة مضايق المقال فاقتحمها، واعتري بفجاج السَّحرِ الحلالِ فتسنمها،
وما أشبهه في لين المهزَّ ، وإجادةِ المحزَّ ، بقول ابن المعتز^٤ :

صبينا عليها ظالمين سياطنًا فطارتُ بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

وأنشدني له من قصيدة^٥ :

مررتُ على الأيامِ من كل جانبٍ أصعدُ فيها تارةً وأصوبُ
ينمُ بي الثغرانِ : صُبْحٌ وصارمٌ ويكتمني القلبانِ : نفعٌ وغيبُ
وقد لفظتني الأرضُ إلا تنوفةً يحدثني فيها العيانُ فيكذبُ

١ ديوانه ابن هانيء : ١٨٩ .

٢ هو أبو علي الحسن بن حسان ، قرطبي عاش في زمان عبد الرحمن الناصر وأصله من وادي
الحجارة وقد عرفت به وبمصادر ترجمته في القسم الأول : ٥١٢ وبيته هذا في المغرب ٢ : ٣٧
والقسم الأول من الذخيرة : ٣١٢ ، ٥١٢ .

٣ ط د : لو .

٤ زهر الآداب : ٣١٠ ونهاية الأرب ١٠ : ٥٩ .

٥ انظر القلائد والمطرب .

وهذا كقول المتنبي^١ :

وغادر الهجرُ ما بيني وبينكم يهماءَ تكذبُ فيها العينُ والأذنُ
ومن شعر ابن عبدون في الرثاء والتأبين قوله ممّا أنشدنيه في أخيه عبد
العزيز يرثيه :

رويدكَ أيُّها الدهرُ الخثونُ	ستأكلنا وإياكَ المنونُ
تعللنا الأماني وهي زورُ	وتخدعنا الليالي وهي خُونُ [١٣٦]
وكم غرَّتْ بزبرجها قروناً	فما أبقتْ ولا بقتْ ^٢ القرون
فجِعتْ بزاهرٍ من سِرِّ فهرٍ	كبدرِ التيمِّ هالتهُ عرين
بأروعَ ملءِ عينِ الحُسْنِ قيداً ^٣	إذا أخذت مجاريها العيون
منيرِ العِرَضِ فضفاضِ المساعي	طويلِ الباعِ ناديه رزين
سمتْ فوق السماءِ به ظهورُ	وما حطَّتْهُ إذ حطَّتْ بطون
فأنضبتِ المنايا منه بجرّاً	جواريه صفونُ لا سفين
وأغمضتِ البسيطةُ منه نصلاً	طوابعهُ قيولُ لا قيون
مضى مَنْ لو سبقتْ لما تعزّى	ولا جفّتْ له بعدي جفون
وأبقتني يدُ الأيامِ فرداً	كما غدرتْ بيسراها اليمين
وהל يبقَى على غيرِ الليالي	شقيقُ أو شقيقُ أو قرين

وقال يرثي ذا الوزارتين أبا محمد بن خلدون^٤ ، وكان استشهد يوم الجمعة
المشهور :

١ ديوان المتنبي : ٤٦٨ .

٢ س : أنت .

٣ ط د : قيد .

٤ ذكره في النسخ ٣ : ٢٤٢ وأنه كان مع أبي الوليد ابن زيدون وابن عمار ، وانظر بدائع
البدائع : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ملكْت فأسْجَحْ لا أبا لك يا دهرُ أفي كلِّ عامٍ في العلا فتُكْةٌ بكرُ
رثْتُهُ فقلنا إنها لتُماضِرُ^١ وان ابنَ خلدونَ لَمَفقودها صخر
مضى لم يَرِثْ عنه الرئاسةَ وارثُ ولولا المساعي الزُّهرُ لانقطعَ الذكر
وما كان إلا الغيثُ ألقعَ جُمْلَةً فلم يكُ منه لا غديرٌ ولا زهر
فيا ليتني بين العوالي وبينه وقد مَلَكْتَنِي من أَعْنَتِها فُهرُ
لأطبقَ منه بالعشَا حَدَقَ القنا ضرابي وإن كانت لها الأعينُ الخزرُ

فيا لأبي محمد بن عبدون في الحرب الزبون ، مجنأ ليس بحصين ، ليتَه
كلما شهد وقعة كان كمجن^٢ ابن أبي ربيعة ، حسبه الكتب من الكتاب ،
وكفاه اعتناقُ القصبِ من خرط القواضب ، وأرى فُهرًا لو ملكته يومئذ
أعنتها ، وجعلت إليه سيوفها وأسنتها ، لمات ميتةٌ ضحاكية^٣ ، أو حيَّ
حياةً فُهريةً قَطَنِيَّةً^٤ ، ونحرَّ البيتُ وعموده^٥ ، وضاع الرعيلُ ومن يقوده .
وقال من قصيدة له فريدة ضمَّنها مَنْ أبادهُ الخلدان ، من أكثرِ ملوك
الزمان^٥ :

١ تماضر : الخنساء .

٢ ط : كجر ؛ د : كجد ؛ س : كحق ؛ والإشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

فبات محني دون من كنت أتقي ثلاثَ شُخوصِ كاعبان وممصر

وقيل إن يزيد بن معاوية عرض جيش أهل الحرة فمربه رجل من الجند معه ترمس خلق ،
فقال له يزيد : ويحك ، ترس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترسك (الأغاني ١ : ٩١) .

٣ أي مات كما مات الضحاك بن قيس الفهري .

٤ أي طالت حياته كما طالت حياة عبد الملك بن قطن الفهري والي الأندلس (ابن عذاري
٢ : ٣٢) .

٥ وردت مشروحة ، شرحها ابن بدرون (ونشرها دوزي ، ونشرت بمصر ١٣٤٠) وهي
في المطرب والمعجب والفوات والنفخ ونهاية الأرب ٥ : ١٩٠ وبعضها في المغرب والرايات :
٣٢ (غ) والوافي للرندي : ١١٦ وساقارون نصها في الذخيرة بالفوات .

الدهرُ يفجعُ بعدَ العينِ بالأثر
 أنْهَكَ أنْهَكَ لَا آلُوكَ مَوْعِظَةٌ^١
 فَالدهرُ حربٌ وَإِنْ أَبَدَى مَسَالَةً
 فَلَا تَغْرَنُكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا
 مَا لِلْيَالِي أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَنَا
 تَسْرُ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كِي تَغْرَ بِهِ
 كَمْ دَوْلَةٍ وَلَيْتَ بِالنَّصْرِ خِدْمَتُهَا
 هَوَتْ بَدَارًا وَفَلَتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ
 وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ
 وَاتَّبَعَتْ أَخْتَهَا طَسْمًا وَعَادَ عَلَى
 وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيْثَاتِ مِنْ يَمَنِ
 وَمَزَقَتْ سَبًّا فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ
 وَأَنْفَذَتْ فِي كُلِّ نَبِ حُكْمِهَا وَرَمَتْ
 وَدَوَّخَتْ آلَ ذِيانٍ وَجِيرَتِهِمْ
 وَمَا أَعَادَتْ عَلَى الضَّلِيلِ صِحَّتَهُ
 وَأَلْحَقَتْ بَعْدِي بِالْعِرَاقِ عَلَى

فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ
 عَنْ نَوْمَةٍ بَيْنَ نَابِ اللَّيْثِ وَالظُّفْرِ
 وَالسُّودُ وَالْبَيْضُ مِثْلُ الْبَيْضِ وَالسُّمَرِ
 فَمَا سَجِيَّةُ^٢ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهَرِ
 مِنَ اللَّيَالِي وَخَانَتَهَا يَدُ الْغَيْرِ^٣
 كَالْأَيْمِ نَارٍ إِلَى الْخَانِي مِنَ الزَّهَرِ
 لَمْ تُبْقِ مِنْهَا وَسَلْ ذَكَرَكَ مِنْ خَبَرِ
 وَكَانَ عَضْبًا عَلَى الْأَمْلاكِ ذَاثَرُ^٤ [١٣٦ب]
 وَلَمْ تَدْعُ لِبَنِي يُونَانَ مِنْ أَثَرِ
 عَادٍ وَجُرْهُمَ مِنْهَا نَاقِضُ الْمَرَرِ
 وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي الْغَايَاتِ مِنْ مَضَرِ
 فَمَا التَّقَى رَائِحٌ مِنْهُمْ بِمَبْتَكِرِ
 مَهْلَهْلًا بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَالْبَصَرِ
 نَحْمًا وَعُصَّتْ^٥ بَنِي بَدْرِ عَلَى النَّهْرِ
 وَلَا ثَنَتْ أَسْدًا عَنْ رَبِّهَا حُجْرُ
 يَدِ ابْنِهِ أَجْمَرَ الْعَيْنِينَ وَالشَّعْرَ^٦

١ د والفوات : معذرة .

٢ الفوات : صناعة .

٣ س وأصل ط : القدر .

٤ د : منها .

٥ ط : وغصت .

٦ أحمر العينين والشعر : وصف النعمان بن المنذر ؛ وقد سُمي في قتله زيد بن عدي بن زيد
 نَارًا لِأَبْيِهِ (شرح البسامة : ١٢٨ وما بعدها) .

وَبَلَّغَتْ يَزْدَجَرْدَ الصِّينِ وَاخْتَرَلَتْ
وَلَمْ تَكْفَ مواضي رستمٍ وَقَنَا
وَمَزَقَتْ جَعْفَرًا بِالْبَيْضِ وَاخْتَلَسَتْ
وَأَشْرَفَتْ بِخُبَيْبٍ فَوْقَ قَارِعَةٍ
وَحَضَبَتْ شَيْبَ عَثْمَانَ دَمًا وَخَطَّتْ
وَلَا رَعَتْ لِأَبِي الْيَقْظَانَ^١ صَحْبَتَهُ
وَأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ
وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ
وَفِي ابْنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنٍ
فَبَعْضُنَا قَاتِلٌ مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ
وَأَرَدَتْ ابْنَ زِيَادٍ بِالْحُسَيْنِ فَلَمْ
وَعَمَّمَتْ بِالْظُّبَا فُودَيَّ أَبِي أَنْسٍ
وَأَنْزَلَتْ مُصْعَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ
وَلَمْ تَرَأْبُ مَكَانَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا
وَلَمْ تَدْعُ لِأَبِي الذَّبَّانِ مَاضِيَةً^٢
وَأَظْفَرَتْ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْيَزِيدِ وَلَمْ
وَلَمْ تَعُدْ قُضْبُ السَّفَاحِ نَابِيَةً

عنه سوى الفرسِ جَمَعَ التُّركَ والخَزَرَ
ذِي حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْدًا فِي ابْنَةِ الْغَيْرِ
مِنْ غِيْلِهِ حَمْزَةُ الظَّلَامِ لِلْجُزْرِ
وَأَلْصَقَتْ طَلْحَةَ الْفَيَاضِ بِالْعَفْرِ
إِلَى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحِ مِنْ عَمْرِ
وَلَمْ تَزُودَهُ إِلَّا الضَّيْحَ فِي الْعَمْرِ
وَأَمَكْتُ مِنْ حُسَيْنٍ رَاحَتِي شَمْرٍ
فَدَتْ عَلِيًّا بِنِ شَاءَتْ مِنْ الْبُشْرَى
أَتَتْ بِمَعْضَلَةِ الْأَلْبَابِ وَالْفَكْرِ
وَبَعْضُنَا سَاكِتٌ لَمْ يَوْتِ مِنْ حَصَرٍ
يَبْؤُ بِشَيْعٍ لَهُ قَدْ طَاحَ أَوْ ظَفُرُ
وَلَمْ يَرُدَّ الرَّدَى عَنْهُ قَنَا زَفَرٍ
كَانَتْ بِهِ مَهْجَةُ الْمُخْتَارِ فِي وَزَرٍ
رَعَتْ عِيَادَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
لَيْسَ اللَّطِيمُ لَهَا عَمْرُوً بِمَنْتَصِرٍ
تُبْقِي الْخِلَافَةَ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ
عَنْ رَأْسِ مَرْوَانَ أَوْ أَشْيَاعِهِ الْفَجْرِ

١ أبو اليقظان : عمار بن ياسر (شرح البسامة : ١٥٤) .

٢ ورد في طراز المجالس : ١٣٢ .

٣ شرح البسامة : قاصية ؛ د : قائمة ، وأبو الذبان هو عبد الملك بن مروان .

٤ ط د : بمعتجر (اقرأ : بمعتجر) ؛ س : بمفتخر ؛ واللطيم هو عمرو الأشدق بن سعيد بن العاص .

وأُسبِلتْ دَمْعَةُ الرُّوحِ الْأَمِينِ عَلَى
وَأَشْرَقَتْ جَعْفَرًا ، وَالْفَضْلُ يُنْظَرُهُ
وَأَخْفَرَتْ فِي الْأَمِينِ الْعَهْدَ وَانْتَبَذَتْ
وَمَا وَفَتْ بِمَعْهُدِ الْمُسْتَعِينِ وَلَا
وَأَوْثَقَتْ فِي عِزِّهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ
وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمِنٍ
وَأَعْرَضَتْ آلَ عَبَّاسٍ لَعْلَهُمْ
بَنِي الْمَظْفَرِ وَالْأَيَّامُ مَا بَرَّحَتْ
سَحْقًا لِيَوْمِكُمْ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ
مِنَ الْأُسْرَةِ أَوْ مَنَ لِلْأَعْنَةِ أَوْ
مِنَ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ مَنَ لِلْبِرَاعَةِ أَوْ
أَوْ رَفَعَ كَارِثَةً أَوْ دَفَعَ آزِفَةً
وَبَحَّ السَّمَاحِ وَوَبَحَّ الْجُودِ لَوْ سَلِمَا
سَقَتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةً
ثَلَاثَةً مَا رَفَى النِّسْرَانِ حَيْثُ رَقُوا
[ثَلَاثَةً مَا رَأَى الْعَصْرَانَ مِثْلَهُمْ
وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ
مِنَ لِلْجَلَالِ الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ

دَمٍ بِفَخٍّ^١ لَّآلِ الْمَصْطَفَى هَدَرَ
وَالشَّيْخُ يُحْيِي ، بِرَيْقِ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
لِجَعْفَرٍ فِي ابْنِهِ وَالْأَعْبُدِ الْغُدْرُ
بِمَا تَأْكُدُ لِلْمُعْتَرِّ مِنْ مِرَرٍ
وَأَشْرَقَتْ بِقِذَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرٍ [١٣٧أ]
وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرٍ
بِذِيلِ رَبَّاءَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَمَرٍ
مَرَّاحِلًا وَالْوَرَى مِنْهَا عَلَى سَفَرٍ^٢
بِمِثْلِهِ لَيْلَةً فِي مُقْبَلِ الْعَمْرِ
مِنَ لِلْأُسْنَةِ يُهْدِيهَا إِلَى الثَّغْرِ
مِنَ لِلْسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ
أَوْ رَدَعَ حَادِثَةً تَعْيَا عَلَى الْقَدَرِ
وَحَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عَمْرِ
تُعْزِي إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطَرِ
وَكُلُّ مَا طَارَ مِنْ نَسْرِ وَلَمْ يَطْرَ
فَضْلًا وَلَوْ عَزَّوْا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^٣
حَتَّى التَّمَتَّعُ بِالْأَصَالِ وَالْبَكْرِ
قُلُوبَنَا وَعَيُونََ الْأَنْجَمِ الزَّهَرِ

١ ط د : يسح ؛ والمقتول بفخ هو الحسين بن علي بن حسن بن حسن ، واستشكل ابن بدرون هنا على الشاعر لقوله « وأسبلت دمعته الروح الأمين » إذ أن دمعته الروح الأمين لم تسبل على قتيل فخ وإنما على الحسين بن علي نفسه (انظر ص : ٢٢٠ من شرح البسامة) .

٢ من هنا حتى آخر القصيدة لم يرد إلا في س .

٣ زيادة لاتصال السياق .

أين الإباءُ الذي أرسوا قواعدهُ
 أين الوفاءُ الذي أصفوا شرائعهُ
 كانوا رواسيَ أرضِ الله منذ نأوا
 من لي - ولا من - بهم إن عطلت سنن
 من لي - ولا من - بهم إن طبقت عن
 على الفضائل - إلا الصبر - بعدهم
 يرجو عسى وله في أختها أمل
 على دعائم من عزٍ ومن ظفر
 فلم يردُّ أحدٌ منها على كدر
 عنها استطارت بمن فيها ولم تفر
 وأحفيت ألسن الأيام والبشر
 ولم يكن وردها يفضي إلى صدر
 سلامٍ مرتقبٍ للأجر متظر
 والدهر ذو عقيب شتى وذو غير

وقد سلك بعض أهل عصرنا هذه السبيل ، وهو أبو جعفر الكفيف
 التطيلي ، فقال ^١ :

خذا حدثاني عن فلٍ وفلانٍ
 وعن دولٍ جُسن الديار ، وأهلها
 وعن هَرَميٍّ مصرَ الغداة أمتعا
 وعن نخلي حُلوانٍ كيف تناءتا
 وطال ثواءُ الفرقدين لغبطة
 وزايلَ بين الشعريين تصرف ^٢
 فلن تذهب الشعري العبورُ لشانها
 وجُنَّ سهيل بالثريا جنونه
 لعلني أرى باقٍ على الحدثانِ
 فنين ، وصرفُ الدهر ليس بفان
 بشرخ الشباب أم هما هَرمان
 ولم تطويا كشحا على شأن ^٣
 أما علما أن سَوَفَ يفترقان
 من الدهر لا وانٍ ولا متوان
 فإن الغميصا في بقيةِ شان
 ولكن سلاه كيف يلتقيان

١ ديوان الأعمى التطيلي : ٢٢٤ ومر منها بيتان ض : ٤٨٧ .

٢ نخلتا حلوان اللتان ذكرهما مطيع بن اياس في شعره ، وقيل انه قطع للرشد جمار إحداهما
 فماتت ، انظر ثلاثة شعراء عباسيون : ٦٩ .

٣ الديوان : مصرف .

وهيهات من عدل القضاء وجوره
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة
وأعلن صرف الدهر لابني نويرة
وكانا كسند ماني جذيمة حقة
فهان دم بين الدكادك واللى^١
وضاعت دموع بات يبعثها الأسى
ومال على عبس وذبيان ميلة
فعوجا على جفر الهباءة^٢ فاعجبا
دماء جرت منها التلاع^٣ بملتها
وأيام حرب لا ينأدى وليدوها
قآب الربيع^٤ والبلاد^٥ تهرة
وأنحى على ابني وائل فتهاصرا
تعاطى كليب^٦ فاستمر بطعنة

١ الدبران : نجم يدبر الثريا ، بينها وبين الجوزاء .

٢ إشارة إلى قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك (المفضلية : ٦٧)

وكانا كندماني جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وندمانا جذيمة هما عقيل ومالك اللذان يقول فيهما أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل
٣ إشارة إلى قول متمم :

وقالوا أنبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

٤ جفر الهباءة : مستنقع ببلاد غطفان قتل فيه عدد من بني فزارة ، أخذوا على غرة .

٥ الاعلاق الثماني رهن من بني عبس قتلهم حذيفة بن بدر في اليعمرية قبل جفر الهباءة .

٦ هو الربيع بن زياد العبسي .

وبات عدي بالذنائب يصطلي
 فذلت رقاب من رجال أعزة
 وهبوا يلاقون الصوارم والقنا
 فلا خد إلا فيه خد مهند
 وطال على الجونين بالشعب فأنثى
 وأمضى على أبناء قبيلة حكنمه^٣
 ولو شاء عدوان الزمان ولم يشا
 وأي قبيل لم تصدع جميعهم
 خليلي أبصرت الردى وسمعت
 خذا من فمي هلاً وسوف فلاني
 ولا تعداني أن أعيش إلى غد

بنار وغى ليست بذات دخان^١
 إليهم تنامي عز كل زمان
 بكل جبين واضح ولبان
 ولا صدر إلا فيه صدر سنان
 بأسلاب مطلول وربقة عان^٢ [١٣٧ب]
 على شرس أدلوا به وليان
 لكان عذير الحي من عدوان
 بكير من الأرزاء أو بعوان
 فإن كنتما في مربة فسلاني
 أرى بهما غير الذي تريان
 لعل المنايا دون ما تعداني

وقد تقدم أيضاً إلى هذه الطريقة جماعة من المتقدمين والمتأخرين ،

١ عدي : هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب ، والذنائب : اسم موضع يذكره مهلهل في قوله :
 فإن يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكي من الليل القصير
 وفي ط : علي .

٢ الشعب : شعب جبلة ، وفيه يوم من أيامهم ، والجونان : عمرو ومعاوية ابنا شراحيل ابن
 الجون وقد أسرها بنو عامر يوم الشعب (شرح النقاظ : ٤٠٧) .

٣ ابنا قبيلة : الأوس والخزرج .

٤ عدوان : قوم ذي الأصبع ، تفانوا ، وفيهم يقول ذو الأصبع :

عذير الحي من عدوان كانوا حية الأرض
 بنى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض

وانظر ما تقدم ص : ١٢

ه والمتأخرين : سقطت ن ط .

قال أبو العلاء المعري^١ :

أصاب الأحفشين بصيرُ خطبٍ أعادَ الأعشيين بلا حوارٍ
وَعِيلَ المازنيُّ من الليالي بزندٍ من خطوبِ الدهر واري
وللجرميِّ ما اجترمتُ يداه وحَسْبُكَ من فلاحٍ أو بوارٍ
وأما فَرَحُهُ^٢ فبلا جناحٍ يطيرُ بحملِ أقلامٍ جوارٍ
وما نفعَ المبردَ من حميمٍ وصادتْ ثعلباً نُوبٌ ضَوارٍ

وقال^٣ :

أصحابُ أَيْكَةٍ^٤ أهلكوا بظهيرةٍ حَمِيَّتْ وعادُ بالرياحِ الصرصرِ
كسرى أصابَ الكسرُ جابرَ ملكه والقصرُ كَرَّ على تطاولِ قيصرِ

وقال^٥ :

أعيا سوارُ الدهرِ كلَّ مساورٍ ورمى الخليلَ بأسهمِ الأسوارِ
فاحذروا وإنْ بَعَدَتْ غَزَاتُك في العدا قَدَرَأْ أغارَ على أبي المغوارِ^٦
جرتِ القضايا في الأنامِ وأَمْضِيَتْ صدقاً بأسوارٍ ولا أسوارِ^٧

١ اللزوميات : ١٤٢ / أ : ١٤ : ٣٢٨ .

٢ فرخ الجرمي : كتابه ، كان يسمى فرخ سيويه .

٣ اللزوميات ١٤٢ ب : ١٤ : ٣٣٠ .

٤ اللزوميات : أصحاب ليكة .

٥ اللزوميات ١٤٤ / أ : ١٤ : ٣٣٤ .

٦ أبو المغوار أخو كعب بن سعد الغنوي ، وقد رثاه كعب بقصيدة مشهورة .

٧ ط د : بأسرار ولا أسرار ؛ والأسوار في القضايا المنطقية مثل « كل » و « بعض » فإذا عريت منها فهي بلا أسوار .

في ذكر الأديب أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي^١

له أدبٌ بارع ، ونظرٌ في غامضه واسع ، وفهمٌ لا يجارى ، وذهنٌ لا يبارى ، ونظمٌ كالسحر الحلال ، ونثرٌ كالماء الزلال ، جاء في ذلك بالنادر المعجز ، في الطويل منه والموجز ؛ نظم أخبار الأمم في لبّة القريض ، وأسمع فيه ما هو أطرف من نغم معبد والغريض . وكان بالأندلس سرّ الإحسان ، وفرداً في الزمان ، إلّا أنّه لم يطل زمانه ، ولا امتدّ أوانه ، واعتبطَ عندما به اغبط ، وأضحت نواظرُ الآداب لفقده رَميدةً ، ونفوسُ أهله متفجّعة كمدّة . وقد أثبت ما يشهدُ [له] بالإحسان والانطباع ، ويثني عليه أعتة السماع .

١ ذكر الصفدي (نكت الهميان : ١١٠) أنّه توفي سنة ٥٢٥ ، وترجمته في المغرب ٢ : ٤٥١ والمسالك ١١ : ٣٨٩ (وفيها نقل عن الذخيرة) والقلائد : ٢٧٣ والخريدة ٣ : ٥١١ (قم المغرب) وبغية الملتبس رقم : ٤٢٩ والسلفي : ١٦ وله ذكر في الروض المعمار : ١٣٣ ، ١٩٦ وبدائع البداهة : ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ والنفع (انظر الفهرست تحت : الأعمى التطيلي) وقد ورد اسم أبيه في نسخة حلّيم من الذيل والتكملة (الورقة : ١٦٧) « عبيد الله » وترد له كنيستان أبو جعفر وأبو العباس ؛ وقد كنت نشرت ديوانه اعتماداً على نسختين خطيتين (بيروت ١٩٦٣) وصدرته بمقدمة في دراسة حياته وشعره ، وضمت إلى الديوان موشحاته من دار الطراز وجيش التوشيح وغيرهما ، ولكن هذه الترجمة التي أوردها ابن بسام (والتي انفردت بها النسخة س) قد احتوت شعراً لم يرد في ديوانه ونثراً لم تورده المصادر الأخرى ، إلّا أن انفراد « س » يحمل بعض القراءات أحياناً غير دقيقة ، بكل أسف .

فمن ذلك رقعة كتب بها إلى بعض إخوانه يعاتب : شاكرك أو شاكيك ،
 من لا يحمد ولا يذم الأيامَ فيك : يا سيدي - كناية عن ذكره ، لا توخياً
 لبره . وإحياء رغبة في إنصافه ، لا طمعاً في استعطافه - الذي عاطيته كأس
 الوداد فأمرها . وزفتُ إليه بنت الفؤاد فأضرَّ بها وأضرَّها ، ومن أطال
 الله بقاءه ممتعاً بظلِّ السلطان . وإقبال الزمان ، فإنَّ الرجلَ بسلطانه ، لا
 بإخوانه ، وبإقبال زمانه ، لا بإحسانه ، إني - أعزَّك الله - وإن كان الدهرُ
 وضعني ورفعك ، وضاق عني ووسعك ، بين جنبيَّ نفسُ عصام ، وبين
 فكيَّ صارمٍ بسَّطام ، إذا ضيمَ الرجالُ فلستُ بالمضروب زيد ، وإذا
 تكلمَ القول فلست بسعيد بن حميد :

« الشجوشجوي والعويل عويلي »

لا أستعير عيناً للبكاء ، ولا أبتغي بكبدي كبداً سليمة من الأرزاء .

وإنك أعزَّك الله - لما تكلمتَ بلسان سهل بن هارون ، وجلست مجلس
 الفضل من المأمون . وخدمك الدهرُ ، وانتالت في يدك الأنجم الزهر ،
 قلت : أحمد وعلي . وإن لم يكن شيعٌ فري^٢ . أسوء من أعتق أو نصرت ،
 وأين من ولي حلب ممن ولي حمص : وعلى رسلك : ما كنت أنا الغلط في
 مثلك . إني أبيت ظمآن ، ولا أبيت خزيان . وأحتمل الحرمان ، ولا أحتمل
 الهوان . وليت هذا الأمرَ وقلبك لي معمر . وأنت بزعمك إلي فقير .
 وأنا أظنُّ أنني سأولِّي وأعزل . وأحدث في كنفك وأعدل : فما هو إلا

١ شطر بيت للمزاني . وقيل : « من حاكم بيبي وبين عدولي » .

٢ يشير إلى شعر لامرئ القيس جاء فيه :

فتملا بيتنا أقطاً وسماً وحسبك من غنى شيع وري

أَنْ نَبَتَ قَدَمُكَ ، وَخَفَقَ عِلْمُكَ . وَوَابِتَلْ قَرطاسك وَقلمك ، [حَتَّى]
اِختَصَرْتَ شَطْرَ السَّلامِ ، وَدَفَعْتَ فِي صَدْرِ الْقِيَامِ . وَعَزَلْتَ فَلاناً قَبْلَ
الْوَلَايَةِ ، وَاقْتَصَرْتَ بِأَبِي الْأَصْبَغِ دُونَ الْغَايَةِ ، هِنَمَةً أَنَا كُنْتُ مَعْنَاهَا ، وَكَأْسٌ
لِي شَعَشَعَتْ حُمَيَّاهَا ، وَوَلَايَتِكَ خَطَرٌ ، وَفِي عَمَلِكَ نَظَرٌ ، إِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ
غَمَامَةٌ . وَمَبْيُضُ حِمَامَةٌ ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى اسْتِحْلَاسِ الْبَيْتِ . وَأَكْثَلُ الْخَبْرِ
بِالزَّيْتِ .

وكتب إلى أبي الحسن بن بيار^١ بهذه الرسالة والشعر الذي بعدها : يا
عمادي الذي شَفَّ قدرُهُ على الأقدارِ . شَفُوفَ الضُّحَى على الإبدارِ ،
وسرى ذكره بأطيب الأخبارِ . مَسْرَى النسيم بالأزهارِ . وامتزج حَمْدُهُ
وشكره بالأسماعِ والأبصارِ . امتزاجَ المثاني بالأزيارِ .

وفي فصل منها : وَإِنْ كُنْتُ ضَيِّقَ الْبَاعِ مُزْجَى البضاعةِ . فِي غَيْرِ
وِرْدٍ وَلَا صَدَرٍ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، فَانِي أَقُولُ بِفَضْلِهَا ، وَأَعْرِفُ الْحَسَنَ
مِنْ أَهْلِهَا . وَأَعْرِضُ بِنَفْسِي — فَادَيْتَكَ — لِلْإِتِّفَافِ فِي حَبْلِهَا . وَالتَّصَرُّفِ
بَيْنَ جِدِّهَا وَهَزْلِهَا ، وَلَمْ أَزَلْ مِنْذُ تَخَيَّلَ جَنَانِي . وَتَقَوَّلَ لِسَانِي ، وَأَدْبَرَ
مَلَكِي أَوْ شَيْطَانِي ، أَلْتَمَسُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ إِمَاماً أَسْعَى بِاسْمِهِ وَأَحْفَدُ .
وَأَقِيسَ عَلَى حُكْمِهِ وَأَقْلُدْ ، وَأَحْلِلْ بَيْنَ تَهْمِهِ وَأَعْقُدْ . وَالنَّاسُ كَثِيرٌ .
وَالنَّاقِدُ بَصِيرٌ ، وَلِلْأُمُورِ أَعْجَازٌ وَصُدُورٌ . فَكَيْفَ تَرَانِي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً ،

١ ذكره ابن بسام في الذخيرة ١ : ٧٦ وأورد له بيتاً على وزن قصيدة الأعمى التالية وروها
وجاء عند السلفي ذكره عرضاً (ص ١٢٢) واسمه علي بن بيار (كما سيجيء في القصيدة)
وهو سبقي النسبة ، وقد نقل بعض شعره وشعر غيره من المغاربة أبو عمران السبقي وأنشده
للسلفي .

وَذَخَرْتُكَ عَلَى الْأَيَّامِ عَهْدًا مَسْئُولًا . وَبَايَعْتُكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ .
وَشَايَعْتُكَ سِرِّيَ الْإِسْطَاعَةِ وَالْوَسْعِ ، فَعَوَّلْتُ عَلَيْكَ كَعْبَةً أَوْلِيَّ وَجْهِي شَطْرَهَا ،
وَأَسْنَدْتُ إِلَيْكَ هَضْبَةً إِنْ خَشِيَ سِوَايَ وَعَرَهَا . لِأَكُونَ قَدْ قَدَّرْتُ
هَذِهِ الصَّنَاعَةَ قَدْرَهَا . وَأَبْلَغْتُ نَفْسِي فِي ظَلِّهَا وَالتَّعَلَّقْتُ بِسَبَبِهَا عُدْرَهَا .

وَفِي فِصْلٍ مِنْهَا : وَكَتَبْتُهَا عَنْ جَنَانٍ بِلِقَائِكَ صَبًّا . وَلِسَانٍ بِشُكْرِ آلَائِكَ
رَطْبًا ، وَشَاهِدٍ سَرِيرَةٍ وَإِعْلَانٍ لِأَوَايَاثِكَ نَهَبًا . وَعَلَى أَعْدَائِكَ إِلْبَابًا .
وَعِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِكَ . وَالْحَرَصِ عَلَى سَلَامَتِكَ . وَالشُّكْرِ لِأَيَادِيكَ .
وَمَنَافَسَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطَرِ فِيكَ . مَا لَا يَسَعُهُ نَظْمٌ وَلَا نَثْرٌ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ
عَدٌّ وَلَا حَصْرٌ .

وَفِي فِصْلٍ : وَلَمَّا حَجَبَ سَنَاكَ . وَنَظَرْتُ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمُنْهَزِمِ إِلَى السَّلَآمِ .
وَتَنَكَّبَ الْحَادِي ذِرَاكَ . وَقَرِيبُ مَنْكَ بِمَكَانِ الدَّبَرَانِ مِنَ النُّجُومِ . وَاسْتَمَرَ
الزَّمَانُ عَلَى عَادَتِهِ فِي إِمَالَةٍ حَالِي . وَظَفَرَ بِإِرَادَتِهِ مِنْ عَكْسِ أَرَاغِيٍّ وَأَمَالِي .
خَاطَبْتُ الْحَضْرَةَ الْبَهِيَّةَ الْمُرْدَانَةَ بِمِثْلِي - دَامَ عَزَّهُ - بِأَيَّاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْهَذْيَانِ .
الْحَالِي إِلَّا مِنَ الْبَيَانِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ : بَلْ لَهْثَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْبَرَسَامِ . الْمَتَوَلِّدِ
عَنْ عَمَكْسِ الْإِحْتِدَامِ . وَهِيَ عَلَى حَالِهَا نَاطِقَةٌ بِلِسَانٍ شُكْرَهَا . سَافِرَةٌ
عَنْ وَجْهِ عُدْرَهَا . وَقَدْ زَفَقَتْهُهَا إِلَيْكَ . وَاسْتَسَبَّبَتْهُا عَنِي فِي الْمَثْوَى بَيْنَ
يَدَيْكَ . غَيْرَ - وَاللَّهِ - مَبَاهٍ لَكَ . وَلَا مَتَشَبِهٍ بِكَ . وَلَا طَمَعًا فِي اقْتِفَاءِ آثَارِكَ .
فَضْلًا عَنْ شَوْءٍ غِبَارِكَ . وَلَكِنْ تَغْنَمًا لِمَسْرَتِكَ . وَاعْتِلَاقًا بِمِيزَانِكَ . وَخِدْمَةً
لِلْعَلِيَّةِ حَضْرَتِكَ . وَلَتَرَى أَيْنَ أَقَعَ . بِمَا أَصْنَعُ . وَلَوْلَا أَنْ أُتَعِدِّيَ طَوْرِي .
وَأُحَوِّرَ بَعْدَ كَوْرِي . لَقُلْتُ : إِنْ تَفَضَّلَ سَيِّدِي وَإِمَامِي بِجَوَابِ عَزِيزِ لَيْسَطِ
نَفْسِي ، وَبِرْدِ شَارِدِ أَنْسِي . فَعَلَّ .

وأول الشعر ١ :

أبا حسنٍ دعاءٌ أو حنيناً
أتأذَنُ في التظلمِ من زمانٍ
ولو أنَّ الخيالَ ينوبُ عني
ولولا أن أدلّس في التلاقي
فلم ترَ بيننا وأبيك فرقاً
ذكرتك ذكرةً جَدَبَتْكَ نحوي
وأعلمُ أنها كهواك سحر
بلى إنَّ يدنُ طيفُك من وسادي
وكيف يحسُّ طيفُك أو يراه
معنى لا يزالُ سَميرَ شوقٍ
يؤرقُه بعادُك كلَّ ليلٍ
كانَ نجومُه أقداحُ شَرَبٍ
أبا حسن وأينُ الحسنُ مما
لك الفضلُ الذي هو فيك طبعٌ
قتلتَ حقائقَ الأشياءِ علماً
نَمَتِكَ إلى المكارمِ والمعالي
صقورٌ أو بدورٌ أو بجورٌ
إذا شهدوا القتارُ فسوف تدري
بنو الهيجاء طاروا في وغاها

ولا آلوك إن كانت خبالا
عدا تلك الزبارة والوصالا
لأبلغك الكرى قصصاً طوالا
لزرثك حيثُ تعرّفُ الخيالا
سوى أني أحنُّ إذا أحالا
فهل أحسنتُ نقلاً أو نقالا
ولكن كيف تستهوي الجبالا
فقد سميتها السحرَ الحلالا
ولو نصبَ الحبالَ والحبالا
عهدتَ لبرحه ألا يزالا
توهّمَ طولَ زفرته فطالا
إذا زيدت هدىً زادت ضلالا
تشيرُ به فعلاً أو مقالا
إذا احتقبوه غضباً وانتحالا
كفاك البحثُ عنها والسؤال
إذا نجم تكارم أو تعالى
وإن لم تلقَ مثلهم رجالا
لأبنة علة شهدوا القتالا
وإن كانت حلومهم نقالا

١ انظر الديوان : ٢٤٣ .

٢ الديوان : القتال .

إِذَا زَيَّنْتَهُمْ شَنُّوا عَلَيْهَا
 وَنَعِمَ النَّازِلُونَ عَلَى الرُّوَابِي
 إِذَا اكْتَفَتْ الرِّيحُ بِحَيْثُ تَدْعُو
 وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ لَأَبْلَغْتَنِي
 قَلَانِصُ مَا رَحَلْنَاهُنَّ إِلَّا
 كَأَنْصَافِ الْبَرَى وَتَدْقُ عَنْهَا
 إِذَا انْبَعَثَ رَأَيْتَ قَسِيَّ نَبْعٍ
 تَنَاسِبُ شَدَقَمًا أَوْ أَذْكَرْتَهُ
 [تَرَاعَ مِنَ السَّقَابِ إِذَا رَأَتْهَا
 وَقَدْ أَلْفَتَ بَنَاتِ الْقَفْرِ حَتَّى
 إِذَا لَمَعَ السَّرَابُ تَبَادَرْتَهُ
 وَيَبِينُ جَفُونَهَا مِنْهُ نَطَافُ
 لَعَلَّكَ يَا عَلِيَّ لَهَا مَعَاذُ
 وَتَبْسِطُ أَوْ تَمْدُدُ لَهَا يَمِينًا
 أَبِيعْكَ يَا ابْنَ بَيْتَاعِ فُؤَادِي
 وَأَصْفِيكَ الْوَدَادَ وَغَيْرُ وَدِّي
 إِلَيْكَ هَوَايَ تَكْرَمَةً وَبِرًّا

جِياداً ضَمَرّاً وَقنّاً طَوَالاً
 إِذَا مَا الشَّمْسُ أَحْرَقَتْ الظَّلَالَ
 بِصُوبِ الْمِزْنِ خَالَقَهَا ابْتِهَالاً
 ذَرَاكَ ، وَلَوْ أَسِيءُ بِهَا فَعَالاً
 رَأَيْتَ بَيْنَ عَصَمَاءَ أَوْ رَثَالاً
 شَوَاهَا دَقَّةً تَسْعُ الْخِلَالاً^١
 وَتَحْسِبُهَا إِذَا بَرَكْتَ سَخَالاً^٢
 وَصَارَ لَهَا السُّرَى عَمّاً وَخَالاً
 وَتَشْتَاقُ الْأَزْمَةَ وَالرَّحَالَ^٣
 حَسِبْتَ الْغُولَ يَحْذُوها النَّعَالَ
 فَأَحْسِبُهَا تَرِيدُ بِهِ اشْتِمَالَ
 إِذَا سَمِعَ الْغَلِيلُ بَيْنَ خَالاً
 فَتَسْقِيهَا بِحَارّاً أَوْ سَجَالَ
 غَدَا نَدْوُ السَّمَاءِ لَهَا شِمَالَ
 وَغَيْرِي مِنْ إِذَا نَدَمَ اسْتِقَالَ
 إِذَا حَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ حَالاً
 إِذَا كَانَ الْهَوَى قِيلاً وَقَالَ

١ الديوان : التقت .

٢ ورد البيت في الذخيرة ١ : ٧٦ .

٣ الديوان : إذا بلغت محالا .

٤ الديوان : أنكرته .

٥ زيادة من الديوان لاستكمال المعنى .

٦ الديوان : غماراً .

ومعذرةً تشيرُ بناتُ صدري
عدا بي أن أزوركَ صرفُ دهرٍ
وهمٌ من همومي^١ لو توخى
إذا أغفيتُ راعَ إليّ منه
يُخَضِّضُ مدمعي وينخوضُ فيه
ودونكها وأنتَ أجلُّ قدرًا
فإن ضاعتَ لديدك فأنتَ شمس
وإن حظيتُ وأرجو أن ستحظى
على خطرٍ أو آنَ الليلُ منه
وغبٌ تعقبَ لو كان منه

إليكَ بها اختصاراً واحتفالاً
ألحَّ فما أطيقُ له احتيالاً
طريقَ الريحِ كان لها عقلاً
محبٌّ لا يُمَلُّ إذا أطلالاً^٢
فما يدع المصونَ ولا المذالاً
ولكن عادة حُذيتَ مثلاً
يشبُّ تعسُّفي فيها الذبالاً
فإنَّ الشمسَ نورَتِ الهلالاً
لعاد شبابُ راكمه اكتهالاً
فرند السيفِ ما قبِلَ الصقالاً

١ الديوان : هموم .

٢ هذا البيت والتالي له لم يردا في الديوان .

ومن شعره في النسيب وما يناسبه

قال ١ :

هو الهوى وقديماً كنت أحذرُهُ السقمُ مورده والموتُ مصدرُهُ
يا لوعةً أجلاً من نظرة أملٍ ٢ الآن أعرفُ رشداً ٣ كنتُ أنكره
جدُّ من الشوقِ كان الهزلُ أولَّهُ أقلُّ شيءٍ إذا فكرتُ أكثره
ولي حبيبٌ دنا لولا تمنُّعُهُ ٤ وقد أقولُ نأى لولا تذكره

وله في قيمة كانت تسمَّى لذيفة ٥ :

يا قلبُ ذُبْ من أسيٍّ أو لا فلا تذبِ ما من تحبٍّ وإن تحرصُ بمقترِبِ
ركبتَ هول الهوى عن غيرِ تجربةٍ وراكبُ الهولِ محمولٌ على العطبِ
قد صابَ طعمُ الهوى من بعد ما وضحتُ منه ضروبٌ مني أحلى من الضربِ
ليبتَ داعيه لما أن دعاكَ وما دعاكَ داعي الهوى إلا إلى الشَّجبِ
حتى إذا نلتَ من تلك المني جعلت تدعو عليك بطول الويل والحربِ
أيا لذيدُ ولا والله مذ حجبت غني لعيني في اللذاتِ من أربِ

١ الديوان : ٢٤٠ وانظر بغية الملتبس : ١٧٥ والقلائد : ٢٧٤ والخريدة ٢ : ٥١٩

والمسالك ١١ : ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٤٥٢ .

٢ الديوان : يا لوعة هي أحلى من جنى أمل ؛ المسالك : قربت من نظرة أجلا .

٣ الديوان : شيئاً .

٤ الديوان : وإن شط المزار به .

٥ منها أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

تفديك أُمي من صَرَفِ الردى وأبي
 والعينُ في لُجَّةٍ من دمعها السَّرب
 وقد تَخَوَّفْتُ يوماً أنْ تَوَاحَدَ بي
 حتَّى يُعَاقِبَ ذاكَ الحُسنُ من سبي
 على مَراقِبَةٍ من أَعينِ الرقب
 وغابتِ الشَّمسُ أو كادت ولم تغب
 وأدعني بين منهلٍ ومنسكب
 بمن أراكَ أُسِيرَ الوجد والطرب
 كُتِمَ سِرِّي لم أَكُتْمِكَ كيف سُبِي
 ظناً ، أيجملُ هذا من ذوي الأدب
 والمرءُ وقفَ على الأرزاءِ والثُوبِ
 ولا نصيبَ له منها سوى النَّصَبِ
 شَتَّانَ والله بين الجِدِّ واللَّعبِ
 رَمَتَهُ أُخْرَى إذْ نَ لاشكَّ لم تصب
 ترهبُ فلنْ تَبْلُغَ الآمالَ بالرهَبِ
 وقد يكونُ الهوى أَعْدَى من الحربِ
 إلا أشارَ إليَّ الموتُ من كُتِبِ
 فقد أوْلَفُ بين الماءِ واللَّهبِ
 لا زلتِ في غِبطَةٍ مُستَدَّةٍ الطنبِ
 يهفو إليك وأضحى جِدًّا مَكْتُبِ
 خيرُ من الجهدِ في جِدِّ وفي تعبِ
 منها حنانَ الرضى أو جفوةَ الغضبِ

تركتني يا حياتي للردى غَرَضاً
 يَصَلَّى فؤادي سعيّاً من صابته
 يا ربَّ قد سفكتُ أمَّ الوفاءِ دمي
 وقد وهبتُ لها قلبي ، وما خَطَرِي
 نسيتُ إلا تدانينا وموقفنا
 لما التقينا وقد قيل المساءُ دنا
 وأضلعي بين مُنْقَدِّ ومُنْقَصِفِ
 تأملتني أختُ المجدِ قائلةً
 فقلت قلبي مسبيٌّ وإنك لو
 فأعرضتُ ثم قالت قد أسأتَ بنا
 فقلت إني امرؤُ لَمَّا لقيتكمُ
 سَبَتَ فؤادي ذاتُ الحالِ قَادِرَةٌ
 أشقى بها وهي عني في بَلَهْنِيَّةِ
 أصابتِ القلبَ لما أنْ رَمَتَهُ ولو
 فقالت أشكُ إليها ما لقيتَ ولا
 عسى هواكَ سَيُعْذِبُها فَيُنْصِبُها
 فقلتُ أعِظْها بل ما أَكَلَمُها
 قالتُ أنا أتولَّى ذاكَ في لُطْفِ
 فقلتُ مِثْلُكَ مَنْ يَرْجَى لِمَعْضَلَةٍ
 قالت لها يا لذيذَ الحُسنِ صاحِبُنَا
 صَليهِ أو فاقتليه فالحمامُ له
 فلو تراني قد استسلمتُ مرتقباً

حَتَّى إِذَا مَا أَلَانَتْ تِلْكَ جَانِبَهَا
 طَفَقَتْ أَلْثَمُ كَفَّيْهَا وَقَدْ جَنَحَتْ
 ثُمَّ افْتَرَقْنَا وَمَا سَاءَتْ حَفَائِظُنَا
 لِلَّهِ مِثْلِي مَا أَدْنَى سَجِيَّتِهِ
 كَمْ مَأْتَمٍ مُسْتَلَدٍ قَدْ هَمَمْتُ بِهِ
 وَاهِ فِيهَا أَيْضًا ١ :

وَالْقَلْبُ مَهْمَا أَرُمْتُ تَسْكِينَهُ يَجِيبُ
 إِلَيَّ تَضْحَكُ بَيْنَ الْعَجَبِ وَالْعَجَبِ
 إِذْ اجْتَمَعْنَا وَلَمْ نَأْتُمْ وَلَمْ نَحْبِ
 مِنَ الْمَعَالِي وَأَنَّا هَا عَنِ الرِّيبِ
 فَلَمْ يَدْعِنِي لَهُ دِينِي وَلَا حِسِي

يَا حُبَّ لَذَّةٍ قَدْ أَدْنَقْتُ فَاتَلَدِ
 وَيَا لَذِيذَةَ لَا وَاللَّهِ مَا خَطَرَتْ
 أَتَحْسِينُ فَوَادِي عَنكَ مُنْصَرَفًا
 بِنِشْئِمْ فَخَلَّدَ عِنْدِي وَشَكُّ بَيْنَكُمْ
 هِيَهَاتِ يَسْلُو فَوَادِي عَنكُمْ أَبَدًا
 أَمْ الْوَفَاءُ لِحَيِّتِي مَا فَتَنْتُ بِكُمْ
 اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَذْ عَرَفْتَكُمْ
 وَلَا اتَّكَالَ لِعَيْنِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ
 تَرَى جَفَوْنَكَ أَرْضَاهَا الَّذِي صَنَعْتُ
 أَتَرَكُ النَّاسَ صَرَعَى لَا حَرَكَ بِهِمْ
 مَنْ كَانَ يَقْطَعُ طَعْمَ الْمَوْتِ فِي فَمِهِ
 فَلَنْ سَقَمِي أَضْحَى مَا لَهُ أَمْدٌ
 بَمَا بَلَحْظُكَ مِنْ غُنْجٍ وَمِنْ حَوَرٍ
 حِنِّي عَلَى هَاتِمٍ بِالْحُبِّ مَخْتَبِلٍ

إِنْ كُنْتُ تَجْهَدُ فِي نَقْصِي فَلَا تَرُدِ
 بِالْقَلْبِ ذِكْرَكَ إِلَّا بَتْ فِي عَضْدِ
 وَقَدْ حَلَلْتُ مَحَلَّ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِي
 شَوْقًا نَفْسِي جَلَدِي لَا بَلَّ سَبَى خَلَدِي
 أَنْتَى وَوَجَدِي بِكُمْ بَاقٍ عَلَى الْأَبَدِ
 وَالنَّاسُ قَدْ فَتَنُوا بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
 لَمْ يَخْلُ قَلْبِي مِنْ خَبَلٍ وَمَنْ كَبَدِ
 إِلَّا عَلَى مَفْنِيئِهَا : الدَّمْعُ وَالسَّهْدِ
 بِي أَنَّهَا نَقَشَتْ بِالسَّحَرِ فِي الْعَقْدِ
 وَلَا سَبِيلَ إِلَى عَقْلٍ وَلَا قَوْدِ
 فَلِإِنَّهُ فِي فَمِي أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
 وَالْمَوْتُ أَرْوَحُ مِنْ سَقَمٍ بَلَا أَمْدِ
 وَمَا بِعَظْفِكَ مِنْ عَطْفٍ وَمِنْ أَوْدِ
 بِالشَّوْقِ مَرْتَمٍ بِالْحَزَنِ مِنْفَرْدِ

١ منها أبيات في الديوان : ٢٤٨ .

أضحى أسيرَ صدودٍ بل قَتِيلَ نوى
يخشى على حُبِّكَ الحَسَادَ تفضحه
وإن بكى فبدا لعاذليه فغن
أما كفى حزناً أن قد ظمئتُ وقد
قد أرهيفتُ دونه سيفان من دعجٍ
ورُدُّ شهبي حماء الموت مُنصلتاً
وما عجوزٌ لها ابنٌ واحدٌ بصرتُ
يوماً بأجزعَ مني يومَ قولهمُ
أضحت على الأجد الأقدادِ باكيةً
لقيتُ فعلةً واللذاتُ قد زهيتُ
غنَّتْ فلو أن ميتاً كان يسمَعُها
فهل يسكنُ عذالي وإن جهدوا
يا لذئ مالِكٍ في قتلي بلا سببٍ
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنك قد
لم تنطقي قط إلا ظلتُ أفرقُ من
ولا مددتُ يداً للعودِ عامدةً

وله فيها أيضاً ١ :

رَمَتْهُ منها بسهمٍ عنه لم يحِدِ
فما يبوحُ به يوماً إلى أحدٍ
غير اختيارٍ ولكن عادةً الكمدِ
عابنتُ عَذَبَ الحيا يحري على البردِ
بلحظ أحوى رهيف القَدَ ذي غيدِ
فظلتُ حيرانَ لم أضدُرُ ولم أُرِدِ
به يخوضُ الردى في ملتقى كبدِ
أصخُ للداعي تنائينا غداة غدِ
فلم ينلُ أحدٌ ما نلتُ في الأحدِ
بنا وقد مات صرفُ الدهر من حسدِ
لعاد حياً كأن لم يردَ يوم ردي
ما حرَّكتُ حركَ الأوتار في كبدي
وأنت سؤلي في قُربٍ وفي بُعدِ
أسكنتُ حيثُ الأسى في اللَّبِّ والخلدِ
أن أسْتَطارَ فلم أبدىء ولم أعِدِ
إلا وضعتُ عليه أن يذوبَ يدي

من ذا ينأى وقلبه يتضرَّمُ
رَتَقُ ووجه الدهر جهنمٌ مظلم
والوجد يُنجدُ في الفؤاد ويتهم

النوم بعدكمُ عليَّ محرمُ
ماءُ الحياة وقد نأيتُم آسنُ
قد بانَ عني الصبرُ لما بنتمُ

١ منها أربعة أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

أَجْرَيْتُمْ دُمْعِي دُمًّا لِفِرَاقِكُمْ
مَا كَانَ أَكْتَمَنِي لِسْرِي قَبْلَ أَنْ
فَإِذَا شَهِدْتُ جَمَاعَةً وَاعْتَادَنِي
فَبَحَقَّكُمْ مِنْ ذَا يَعَايُنُ أَدْمُعِي
حَمَلْتُمُونِي ثَقْلَ بَيْنِكُمْ أَلَمْ
عَاقَبْتُمُونِي فِي الْهَوَى بِذُنُوبِكُمْ
أَتَظْلَمُونَ وَتَظْلَمُونَ مَحَبَّتَكُمْ
أُعْتَبْتُمْ فَعَتَبْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
قَدْ كَانَ لِي فِي هَجْرِكُمْ لَوْ أَنِّي
وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي قَدْ رُمْتُه
أَنْتُمْ مَنَائِي وَفَيْتُمْ أَوْ خَسَمْتُمْ
يَا حَبِذَا أُمَّ الْوَفَاءِ وَإِنْ جَفْتُ
وَهِيَ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِوَدَّيْ كُلِّهِ

ظَلَمًا وَقَلْتُمْ مَا لَهُ لَا يَكْتُمُ
تَكْثِيرَ الدَّمْعِ كَأَنَّمَا هِيَ عِنْدِي
تَذَكَّرْتُكُمْ فَاضْتُ دَمْعِي تَسْجُمُ
تَنْهَلُ إِلَّا قَالَ هَذَا مَغْرَمُ
تَتَبَّعُوا أَلَمَ الْحَيْنِ فَتَرَحَّمُوا
لَقَدْ اسْتَظَلَمْتُمْ إِذْ قَدَرْتُمْ فَاعْلَمُوا
وَمِنَ الْعَجَائِبِ ظَالِمٌ مُنْظَلَمُ
فَعَصَيْتُمْ وَوَصَلْتُمْ فَهَجَرْتُمْ
أَقْوَى عَلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ سَلَمُ
فَضَعُفْتُ عَنْهُ فَافْعَلُوا مَا شِئْتُمْ
وَلَكُمْ هَوَايَ دُنُوتُمْ أَوْ بَتُّكُمْ
وَتَغَيَّرْتُ فِيهِ الَّتِي لَا تَسَامُ
وَلَطَالَمَا قَدْ كَانَ وَهُوَ مُقَسَّمُ

ومن شعره في المديح

له في محمد بن عيسى الحضرمي :

عَتَابٌ عَلَى الدُّنْيَا وَقَلَّ عَتَابُ
وَقَالَتْ وَأَصْغَيْنَا إِلَى زَوْرِ قَوْلِهَا
وَعَمَّتْ^٢ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا
رَضِينَا بِمَا تَرْضَى وَنَحْنُ غَضَابُ
وَقَدْ يَسْتَفْزُ الْقَوْلُ وَهُوَ كَذَابُ
فَطَالَ عَلَيْهَا الْحَوْمُ وَهِيَ سَرَابُ

١ الديوان : ٨ .

٢ الديوان : وغطت .

ودانت لها أفواهنا وعقونا
وتلك لعمر الله أما ركوبها
نلذُّ ونلهو والأعزة حولنا
وتخدعنا عما يراد بنا مني
ونفتنم الأيام وهي مصائب
بكت هند من ضحك المشيب بمفرقي
وقالت غباراً ما أرى وتجاهلت
هل الشيب إلا الرشد جلّتي غوايتي
وأصبح شيطاني يعرضُ بنانه
أغفو لصرف الدهر عن هفواته
وأتركه يمضي على غلواته
برئت من العلياء إن لم أردّه
وإن لم أنهنه من شباه بعزّة
وقائلة ما بال حمص نبت به
نبت بي فكنت العرف في غير أهله
وتالله ما استوطنتها قانعا بها
أبغضب حسّادي قيامي إلى العلا
هم حسدوني لا لوفرٍ وقرّنه
وأروع لا يتأى على عزّماته

وهل عندها إلا الفناء ثواب
فهللك وأما حكمها فغلاب
رفات ونبي والديار خراب
لبحر المنايا دونهنّ عباب
لهنّ علينا جيئة وذهاب
أما علمت أن الشباب خضاب
وليس على وجه النهار نقاب
فأصبحت لا يخفّي عليّ صواب
وقد لاح دوني للقتير شهاب
على حين لا يأبى عليّ عقاب
وقد عزّ^٢ إعتاب وطال عتاب
ولي ظفر قد عاث فيه وناب
تدلّ لها الأشياء وهي صعاب
وربّ سؤال ليس عنه جواب
يعود على موليه وهو تباب
ولكنني سيف حواه قراب
وقد قعدوا عما ظفرت وخابوا
ولكن شهدت المكرمات وغابوا^٣
مرام ولا يخفي سناء حجاب

١ الديوان : يأتي .

٢ الديوان : قل .

٣ لم يرد هذا البيت في الديوان .

من الحضرميين الأولى أحرزوا العلا
من المانعين الدهر حوزة جارهم
هم عرّضوا دون المعالي فأصبحت
وهم جأجأوا^١ بالمعتفين إلى ندى
مضوا إن تسمّنه^٢م خطّة الضيم بأنفوا
سجايًا على مرّ الليالي كأنّما
تخوّفي ريب^٣ الزمان وقد حدّت
إذا الله سنّي لي لقاء محمد
فتى لم تسافر عنه آمال^٤ أمل
ولا ظمى العلم المضيع أهله
له همم في الجود والبأس لم تزل
وأقسم لولا ما له من مآثر
مآثر هنّ المجد لا كسب درهم
يغيظ العدا منه أغرّ حلال^٥
ولا عيب فيه لامرئ غير أنه
هو الأسد الورد الذي طال ذكره
تبوّأ من دار الخلافة مقعداً
وباهت به منذ استقلّ بأمرها

بستوا فأطالوا أو رمّوا فأصابوا
وأشلاؤه بين الخطوب نهاب
مطالب لا يدنو بهنّ طلاب
هو القطر لا يأتي عليه حساب
وإن يدعهم داعي السماح^٦ أنابوا^٧
هي المزن فيه رحمة وعذاب
برحلي إلى ابن الحضرمي ركاب
تفتح دوني للسماحة باب
وكان لها إلاّ إليه إياب
فساغ له إلا لديه شراب
لها فوق أثباح النجوم قباب
لأصبح ربع المجد وهو يباب
وهنّ المعالي لا حلّ وثياب
أشم طوال الساعدين لباب
تعاب له الدنيا وليس يعاب
وليس له إلا البسالة غاب
له فيه عن حكم القضاء مناب
كما تنهادى للجلاء كعاب

١ الديوان : جنحوا .

٢ لم يرد في الديوان .

٣ الديوان : صرف .

٤ الديوان : والبأس والندى .

سلّ الدينَ والدنيا هل ابتهجاً به
 فضاه أميرُ المسلمين^١ مهتداً
 له المثلُ الأعلى معاداً ومبدأً
 ألانتُ لكَ الأشياءَ وهي صليبةٌ
 إليك أبياتاً من الشعر صُغْتُها^٢
 فإن تَتَقَبَّلْها فتلك طويّتي^٣
 وهل أنا إلا الروضُ حيّاك عَرَفُهُ
 ومن يُشْنِ بالصنع الجميل فإنّه
 وهل أنا إلا عبدُ أنعمِكَ التي
 وهل شهد المجدُ الذي أنت سرُّه
 وها أنا يا رضوانُ باسمِكَ هاتِفُ
 وهل يُدْرِكُ الحسادُ غوركَ في العلا
 إذا قايسوكَ^٤ المجدَ كنتَ غضنفرأ
 وما احمرَّ إلا من صيالك معرَّك^٥

كما انجذب من ضوءِ النهارِ ضباب
 له الحلمُ متّناً والمضاءُ ذباب
 وللحاسدِ العاوي حصيٌ وتراب
 عزائمُ في ذاتِ الإله صلاب
 بودّي لو أني بهنّ كتاب
 فيا من رأى خطباً ثناه خطاب
 وقد باكرتَهُ من نذاكِ سحب
 شكورٌ ولا مثلَ المزيدِ ثواب
 هي الشهدُ إذ كلُّ المواردِ صاب
 بأنّك بحرٌ والكرامُ شعابُ
 فهل لي إلى دارِ المقامةِ باب
 وإن طال مكرٌ منهمُ وخلاب
 إذا زار لم تَشْبُتْ عليه ذئاب
 ولا اخضرَّ إلا من نذاكِ يباب

وقال أيضاً يمدح ذا الوزارتين أبا جعفر بن أبي رحمه الله^٦ :

فؤادٌ على حُكْمِ الهوى لا على حُكْمِ يهيمُ على لائرِ البخيلةِ أو يهيمِ

١ الديوان : المؤمنين .

٢ الديوان : قلتها .

٣ الديوان : وتلك مطيقي .

٤ الديوان : سراب .

٥ الديوان : نافسوك .

٦ انظر الديوان : ١٧٥ .

متى أشتفي من لوعتي أو أطيقها
هنيئاً لسلمي فرطُ شوقي وأني
غداةً وقفنا نقسمُ الشوقَ بيننا
وقد طلعتُ تلكَ الهودجُ أنجماً
فأبْتُ بدمعي لؤلؤاً فوق نحرها
خليليَّ هل بعد المشيبِ تعليةٌ
وهل راجعٌ عيشٌ لبسناه أنفاً
وهل لي حظٌ من مواتاةٍ صاحبٍ
بدت رقةُ الشكوى على غضبائه^١
كما اضطرب الخطيُّ في حومةِ الوغى
رمانى على قوتِ الشباب وإنما
ولم يدِرْ أني لو أشاءُ ختلتُهُ
ووكَّلَ عينيه باتلافٍ مهجتي
أبا جعفر هذي المكارمُ والعلا
أرى الناسَ قد باعوا المرواتِ فاشترِ
وأنتَ أحقُّ الناسِ بالخزمِ فأتِه
وأنتَ بعيدُهم مقربُ الجدا
أبى إذا لم يدفعِ الضيمَ دافعٌ
وأكرمُ مَنْ يُرجى لدفعِ ملمةٍ

إذا كان يجنيها فؤادي على جسمي
ذكرتُ اسمها يوم النوى ونسيتُ اسمي
على ما اشترطنا وارتضتُ سنةَ القسم
تركنَ جفوني في الكرى أسوةَ النجم
وآبتُ بما في مقلتيها من السقم
لذي الجهل أو في الحب شغلٌ لذي الحلم
كيوم يزيدُ في بيوت بني جرُم^١
له قدرةُ القاضي وموجدةُ الخصم
ورابتك في أعطافه قسوةُ الظلم
وصمُّ المنايا في أنايبه الصم
تعرضَ لي لما رآني لا أرمي
على رسلِهِ إن الحبالَةَ كالسهم
سيعلمُ إن لم يستجرُ بي من الغُرم
دعاء بحقٍّ وادعاء على علم
وقد ضيعوا ما كان من حسبٍ فاحم
وصونُ العلا بالمالِ أشبهُ بالخزم
كريمُ السجايا ماجدُ الحالِ والعم
بغيرِ الحديثِ الإفكِ والحليفِ الإثم
إذا الطفلُ لم يسكنْ إلى لُطفِ الأم

١ يعني يزيد بن الطرية وقد دخل حي بني جرم وانصرف من عند النساء مدهوناً مشقلاً بالهدايا

(الأغاني ٨ : ١٥٨ : ١٦١)

٢ الديوان : حركاته .

وأهفى بألباب الرجال من الهوى
وأحمى لحوزات المعالي من الردى
وذو عزّات لو تُساوى بها الرُّبى
ولم أر أحبا منك وجهاً ولا يداً
وأصبر في ظلّماء كل كربة
إذا الخيلُ عامت في النجيع وألحمت
ولم تر إلّا عاثراً بدمائه
ولا حصن إلا السيف في يد ماجد
هنالك حدثت عن أبي وأحمد
تسميت بالفضل الذي أنت أهله
وألبيست من مشى الوزارة حلة
وتنميك من سعد العشيرة أسرة
بهاليل أبطال ججاج سادة
إذا ركبوا الجرد الجياد إلى الوغى
سيأتيك شعري ذاهباً كل مذهب
جزاء بنعماك الجزيلة إنني
فكم لك عندي من يد ملأت يدي
هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُه
نأى الحجر المثلث فيه فأحظني

وأخفى وراء الحادثات من الوهم
وأسخر بآمال النفوس من الحلم
لطأها بين المذلة والرغم
إذا استأثر الحر المرمق بالطعم
بحيث يكون الصبر أفرج للغم
يسمر العوالي وهي تطنق على الاجم
يحاذر كلماً أو يدافع عن كلم
يرى الموت دون المجد غنماً من الغم
وعبد المليك الشم في الرتب الشم
ومعناه ، والمذموم أجدر بالذم
تقوم لها تلك المآثر بالرقم
هل الفخر إلا ما نمته وما تنمي
كأسد الشرى في الحرب كالمن في السلم
رأيت الأسود الضاريات على العصم
على شيهنم من خطّة أو على شههم
تكرمت عن شين الصنيعة بالكم
ومن نعمة أولى بشعري من نعم
وعيد لما حاكوا من النثر والنظم
بيمنك واجعل لي سبيلاً إلى اللثم

١ الديوان : وجعفر .

٢ س : إن الغم .

وقال أيضاً يمدح الوزير أبا العلاء بن زهر^١ :

يفديك كلُّ جبانٍ في ثياب جري
لما رأى الخُبْرُ شيئاً ليس يُنكره
ولَّ السُّهى ما تولَّى من تكذبه
وهي الشَّفَارُ إذا الإقدام جرَّدها
والناسُ كالناسِ إلا أن تجربتهمُ
كالأنيكِ مشتبهاتٌ في منابثها
ولَّى رجالٌ غضاباً حين سُدَّتْهمُ
واستشرفوا كلما أحرزت طائفةً
طولوا وإلا فكفُّوا من تطاولكم
مللتُ حمصٌ وملتني فلو نطقتُ
وسوَّكتُ ليَ نفسي أن أفارقها
هيهات بل ربما جنى الرحيلُ غنىً
كم ساهمٍ يستطيلُ الليلُ من دَنَفِ
أما اشتفتُ منِّي الأيامُ في وطني
ولا قضتُ من سواد العين حاجتها

فازعتهُ الورْدُ واستأثرت بالصدْرِ
أحال بالدين والدنيا على الأثر
إن المزيَّة عند الناس للقمر
ألثوثُ بما يدَّعيه العُشِّيُّ للشفر^٢
وللبصيرة حكمٌ ليس للبصر
ولأنما يقعُ التفضيل بالثمر
لا ذنب للخيل إذ لا عُذْرَ للحمـر
وللسنان مجالٌ ليس للابر
إن المآثر أعوانٌ على الأثر
كما نطقتُ تلاحيتنا على صدر^٣
والماء في المزن أصفى منه في الغدُر
بالمالِ أجني به رغداً من العمر
لم يدِرْ أن الردى آتٍ مع السحر
حتى تضايق في ما عنَّ من وطر
حتى تكرَّ على ما ظلَّه في الشعر

١ الديوان : ٤٨ وبعضها في المسالك والنفع والوفاي والمغرب والشرطي ١ : ١١٠ وطراز

المجالس : ١٢٤ ورفع الحجب ١ : ١٤٠ والذخيرة ١ : ٣١٢ .

٢ الديوان : العين للسهر .

٣ هذا البيت والذي يليه في الرايات : ٩٠ (غ) .

٤ الديوان : أحبي به فقراً .

٥ الديوان : كان .

كم ليلة جُبْتُ مثنى طولها بفتى
 حتى بدا ذنبُ السرحانِ لي وله
 في فتية يُنهبون الليل عزمهم
 لا يترحضون دجاء كلما اعتكرت
 لهم همومٌ تكاد العيسُ تعرفها
 باتت تخطى النجوم الزهر صاعدة
 القائلين اقدمي والأرضُ قد رجفت
 والهامُ تحت الطبأ والبيضُ قد حميت
 أثناء كلِّ ستانِ عُدَّة^١ في زرد
 والحيلُ شعَّتْ النواصي فوقها بهم
 شابت من النقعِ وارتاب الشبابُ بها
 والشيبُ مما أظنُّ الدهرُ صحفَه
 لو يعلمُ الأفقُ أنَّ الشيبَ منقصةٌ
 وليس للمرء بعد الشيب مُقتبَلُ
 أما ترى العرمس الوجناء كيف شكَّت
 تسري ولو أنَّ جَوْنَ الليلِ معركةٌ
 باتت توجى وقد لانت مواطنها
 تخشى الزمام فتثني جيدها فرقاً
 من كلِّ ناجيةِ الآصال قد فصلت

شتَّى المسالك بين النفع والضرر
 كأنما هو زندٌ بالصباح يري
 فليس بطرقهم إلا على حذر
 إلا بمالٍ ضياعٍ أو دمٍ هدر
 وربما اشتملت بالحادث النكُر
 كأنما تفتليها عن بني زهر
 إلا ربِّي من بقايا البيض والسمر
 فما تطايرُ إلاً وهي كالشرر
 كأنه جدولٌ أفضى إلى نهر
 حمسُ العزائم والأخلاقِ والمرر
 فغيرت من دم الأبطال بالشقر
 معنى من النقص عماء عن البشر
 لم تسرِ أنجحه فيه ولم تسرِ
 نهايةُ الروضِ أن يعتمَّ بالزهر
 طول السِّفارِ ولم تعجزُ ولم تخر
 ترى الردى كاشراً فيها عن الظفر
 كأنها إنما تخطو على الإبر
 كأنه بين ثني^٢ حيةٍ ذكر^٣
 من الردى فحسبناها من البكر

١ الديوان : عل .

٢ الديوان : من ثني .

٣ الديوان : الآمال .

٣ مر قبلا ص : ٦٢٧ .

بهيمة^١ لو تَوَقَّى كُنْهَ شَرِّهَا
 تجري فللماء ساقا عائم^٢ دَرَبِ
 قد قَسَمَتْهَا يَدُ التَّقْدِيرِ بَيْنَهُمَا
 أما إِيَادَ فَنَالَتْ كُلَّ مَكْرَمَةٍ
 وأوقدوا ونجوم^٣ اللَّيْلِ قَدْ خَمَدَتْ
 أَلْقَى المَرَّاسِيَّ وَالتَّجَّتْ غِيَاطِلُهُ
 وأترع الوهد^٤ من إزباد^٥ بَلْحَتِهِ
 فالأَرْضُ مِلْسَاءُ لَا أُمْتُ وَلَا عَوْجُ
 أفادني حُبُّكَ الإِبْدَاعَ مَكْتَهَلًا
 إذا رَمِيتُ القَوَافِي فِي فَرَائِصِهَا
 أين ابنُ بَابِكْ أَوْ مَهْيَارُ مِنْ مِدْحِ
 أشدو فَيُلْقِي ابْنَ حُجْرٍ بِالمَقَالِدِ
 أبا العلاء وحسي أَنْ تُصَيِّخَ لَهَا
 أنا الذي أَجْنِي الحَرَمَانَ مِنْ أَدْبِي

وله في القاضي ابن حمدين رحمهما الله يستعينه ويستعطفه :

١ س : اثرتها .

٢ الديوان : ذكر :

٣ . إشارة إلى قول امرئ القيس (ديوانه : ١٢٣) :

رب رام من بني ثعل متلج كفيه في قتره

وأتلج الكفين : أدخلهما ، والقتر : بيت الصائد الذي يكمن فيه .

٤ ابن بابك : أبو القاسم عبد الصمد بن منصور من شعراء اليتيمة ؛ ومهيار الديلمي تلميذ الشريف

الرضي (تاريخ بغداد ١٢ : ٢٧٦)

٥ الديوان : ٤ .

أَغْمَزُ جَفُونِ^١ وانكسارُ حواجِبِ
سرى وسرى طيفُ الخيالِ كلاهما
وفي مضجعي أخفى على الليلِ^٢ منهما
لقى غير نفسِ حُرَّةٍ نازعت به
مُعَوَّدَةٌ^٣ ألاَّ تطبق روعةً
إليك ابنَ حمدين وإن بَعْدَ المدى
صُبايةً ودُّ لم يكدرْ جمامه
وذكرى عساها أن تكونَ مهزةً
بآيةٍ ما كان الهوى متقارباً
أُمُخْلِفَةً^٤ تلكَ الرسائل بعدما
وكم غدوةٍ لي في رضاك وروحةٍ
ليالي لم تمشِ الأخابُ^٥ بيننا
ولم يزحفوا في نقضٍ ما كان بيننا
وأيامَ لم يحن الدلالُ على الهوى
أفألاَّن لما كنت أحكمَ قادِرٍ
ولم تبقَ إلا نزعةً ترتقي بها
أضَعْتَ حقوقي أو حقوقَ مودتي

أَمَ البرقُ في جُنْحٍ من الليل راتبِ
يودُّ لو أنَّ الليلَ ضربةٌ لازب
وأثْقَبُ في أجوازِ تلك الغياهب
نجومَ الدُّجَى ما بين سارٍ وسارب
بها مذهباً - والموتُ شَتَّى المذاهب
وإن عَزَبَتْ بي عنك إحدى العوازب^٣
مرورُ الليالي وازدحامُ الشوايب
تردُّ على أعقابِهِ كلُّ شاغب
وخطوي فيه ليس بالمتقارب
شددنا قواها بالنجومِ الثواقب
على مَنَهْجٍ من سُنَّةِ البَرِّ لاجب
بما كاد يستهوي حلومَ الأطايب
بِصُيَّابَةٍ ينموها وأشائب
هناك جنت عتياً على غير عاتب
وسرَّكَ أني جئتُ أصدقَ تائب
شياطينُ تخشى القذفَ من كلِّ جانب
فدونكها أعجوبةً في الأعاجب

١ الديوان : عيون .

٢ الديوان : على العين .

٣ الديوان : غربت . . . الغوارب .

٤ الديوان : الأخابيث .

٥ الديوان : قاصد .

وفجعت بي حياً نواذب كلما
وقال العدا ليلُ الحمول أجنهُ
وأصبحت لا يرتاعُ من خوف سطوتي
ولا تنباهي بي صدورُ مجالسٍ
وما تتلاقاني^١ العفاةُ كأنمّا
ولا أمّري أخلافَ كلِّ مشيئةٍ^٢
أعابُ إدلالاً وأعتبُ طاعةً
أبوءُ بذنبي ليس شعري بمقتضٍ
ولكنه ما أستطيعُ وعوده
ويجحدك الحسادُ أنك سدّتهم
وقد وقفوا دون المدى غيرَ خلوةٍ
غضاباً على من ناكر الدهرَ بينهم
سراعاً إلى الدينار حيث بدا لهم
إذا المرءُ لم يكسب سوى المال وحده
عجبتُ لمن لم يقدر التربّ قدره
ومن لم يوطنْ للنوائبِ نفسه
أعدّ نظرةً فيهم وفي حرّماهم
وكُنْ بهم أدنى إلى الرشْدِ منهم
لعلّهم والدهرُ شتى ضروفه
قد انصرفت تلك الهمومُ لواغباً

تذكرني أسعدنَ غيرَ نواذب
على رسلهم إني عياضُ بن ناشب
عدوّي ولا يرجو غنائي صاحبي
أسركُ فيها أو صدورُ مواكب
أهابوا بمنهلٍ من الغيث ساكب
بأيدي صبا من عزمي وجنائب
وحسبك بي من مُعتبٍ أو معاتب
علاك ولو قفّيتهُ بالكواكب
لفضلك إلاّ تمنحُ ذنبي تقارب
على شاهدٍ مما انتحيتُ وغائب
بأنفسهم أو بالظنون الكواذب
وقد عرفوه بين راضٍ وغاضب
ولو أنّه بين الظبا والضوارب
فالأمُ مكسوبٍ للأُمِ كاسب
وقد تاهَ في نقد النجوم الثواقب
وقد لجّ في تعريضها للنوائب
وإن لم يعيدوا نظرةً في العواقب
تكنْ هذه إحدى علاك العجائب
ومجدك أولى بارتقاء المراتب
إلى المقصدِ الأدنى وغيرَ لواغب

١ الديوان : ولا تتلاقاني .

٢ الديوان : مرنة .

وثابت حلوم^١ ربما زال يذبل^٢
وأيقن قوم^٣ أنها هي ترتني
وألغوا بأيدي صاغرين وأخلصوا
وأهون^٤ مغلوب^٥ على أمر نفسه
إليك ابن حمدين نصيحة مشفق^٦
برغمي ورغم المكرمات تقضبت^٧
ورغم رجال علمتهم ذنوبهم^٨
قضوا نجبهم إلا أسي غير نافع^٩
يلوذون منه بالخضوع مُردّداً^{١٠}
فإن تنتصف منهم فأعذر^{١١} آخذ^{١٢}

ومن شعره ، في التأبين . قصيد له يعزي ابن مرتين ، أوله ٢ :

على مثله فلتبك إن كنت باكيا
وقد أجمعوها آخر الدهر رحلة^١
سفار تداعوا من نواهم بطيئة^٢
أفي كل يوم أودع الأرض صاحباً^٣
وأحسب أني لو غدت مكانه^٤
ولو أنني أحبته الحب كله^٥
وقل غناء عنه إسبال^٦ عبدة^٧
وعدي له الأيام لا أنا واهم^٨

فقد عهد الأحباب^٩ ألا تلاقيا
يذم^{١٠} إليها العيس من كان ثاويا
تساقوا بكأسها الفراق تساقيا
أريق به في التراب ماء شبايا^{١١}
لعز عليه أن أكون مكانيا^{١٢}
لأنبعت^{١٣} نفسي وأهلي وماليا
إذا ابتدرت كفكفتها بردايا^{١٤}
ولا أنا ثان من عنان رجائيا^{١٥}

١ الديوان : النواثب .

٢ لم ترد هذه القصيدة في الديوان .

٣ قراءة تقديرية غير دقيقة للبيت كله .

وحفظي له بالغيب حتى كأنه
وقولي لا تبعد وقد حال دونه
خليلي قد أفنيت شهدي وأدمعي
خليلي من يطمع بشيء فإنني
ولست حيائي غير شجو مردد
صلاة ورضوان وروح ورحمة
على الجذث المحبوب خالط تربه
على جدث ما ضر إنسان مقلتي
طوى الحسن والإحسان والدين والحجى
وشخصاً لو أن الفضل أعطي حكمه
من الخفرات البيض ما انفك دونها
أت دونها الآمال مختومة فما
تخطى إلينا يومها كل شائع
على كل طاو طالما جشم الورى
من اللاني بدعون الردى أو لحينه
إذا أقبلوها الروح خلت رقابها
حصون لو أن الرزق معتصم بها
أمصغية حتي تبثك شجوها
إذا استشعرت ذكراك أنهيت الأسى
وملآن من عطف عليك ورقة
يراك بعينيني شوقي وادكاره
تهيج له ذكراك أنه ضائع

بحيث أراه أو بحيث يرانها
كثيب تهاده الرياح تهاديا
وعيني فما لي لا أرى الوجد فانيا
نفضت به لا بل نفضت فؤاديا
عهدت له ألا ألد حياتيا
وكل سحاب لا أخص الغواديا
سنا البدر تما أو شذا المسك ذاكيا
وقد بان عنها لو غدا فيه ثاويا
وبيضر الأيادي يكتفن الأياديا
لكان له مما هنالك واقيا
مرام تحاماه الخطوب تحاميا
تحدث عنها الشهب الا تتاجيا
يكفك غضباناً ويكفيك راضيا
كفيلاً بأن لا يصبح الموت طاويا
عوادي يحملن الأسود عواديا
عوالي مما يتبعن العواليا
لأعيالك إلا أن تمسنى الأمانيا
حوائم لم تعهد كواديه واديا
عيوناً رواء أو قلوباً صواديا
غدا منك مأهولاً وإن كان خاليا
فيا دانياً هلا كما كنت دانيا
فتضنيه مدعواً وتعنيه داعيا

عزاء بني مرتين ما أحسب الأسي
 أبت هذه الأيام إلا طباعها
 وقد أمكتكم وهي خون غواذر
 إليك عيّد الله والبعء بيننا
 وليك قد أسمعني وإن التوت
 ولا بد من أن أنتحيك بهذه
 أثك حالي لا لأنك جاهل
 وأدلي بعذري ثم رأيك بعدها
 صدقتك عن نفسي على القرب والنوى
 وكنت قديماً [قد] أعرض بالهوى
 وإني لأستحيك من حيث بعني
 وما كنت أخشى أن أيت بليلة
 ولكنّها لما استخفت مدائحاً
 وكنت أراني ربما اسودّ موضعي
 فان يترع الأجباب طول تمللي
 وان يطعم الأعداء فرط تذلي
 ووالله ما بي أن تضع مودتي
 وما لت الأيام ديني لعلّة
 عزاءك قد أبلغت نفسي عندها
 أرى هذه تفي ويفي متاعها

لذي اللب إلا آسياً أو مؤاسياً
 وإن هي دارتكم هوى أو تدهاها
 فإن شتم لم تركوها كما هيا
 هوى بات يرمي بي إليك المراميا
 بعزمي هموم لا تجيب المناديا
 خيلاً صفيّاً أو عدواً مداجيا
 بحالي ولكن ربما كنت ناسيا
 أميراً ومأموراً وخصماً وقاضيا
 وقلت لعلّي أو لعلّ اللياليا
 لتدنو فما ترداد إلا تنائيا
 رخيصاً على أنني اشتريتك غاليا
 من الدهر لا أهدي إليك القوافيا
 حذرت عليها أن تضع مراثيا
 يسيراً فما ظني به اليوم قانيا
 فاني سليم لم أجد لي راقيا
 فحاشاك معزولاً وعتباك واليا
 لديك ولكن أن يضع وفائيا
 ولكن لعلّي قد أسأت التقاضيا
 ودهرك غدار فما لك واقيا
 ويأبى عليها الناس إلا تغانيا

ويأبى معز الشيء إلا ارتجاعه^١ فيا أدياء السَّروِ ردّوا العواريا
تساوى الورى قبلَ الحياةِ وبعدها فما بالُ قومٍ ينكرون التساويا
وقال الفتى أهلي ومالي ضلّةً وأين به عن نسبتي^٢ وماليا

الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطلبوسي^٣

أحد فرسانِ الكلوم والكلام ، وحملةِ السيوفِ والأقلام ، من أسرةِ
أصالة ، وبيت جلالة ، أخذوا العلمَ أولاً عن آخر ، ورووه كابراً عن كابر ،
ولله درّه فانه ، وأخويه أبا محمد طلحة وأبا الحسن محمداً ، منتهى قولِ

١ س : منشي .

١ هو أحد ثلاثة أخوة يعرفون ببني القبطرنة (أو القبطورنة أو القبطورنية) والأرجح أن هذه
التسمية مركبة من كلمتين هما caput وتعني رأس و torno بمعنى مستدير ، فيكون
معناها : « ذو الرأس المستدير » (انظر وثائق تاريخية جديدة للدكتور محمود مكّي ،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ٧ : ١١٧ الحاشية رقم : ٣) . وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم
أبو بكر عبد العزيز وأبو محمد طلحة وأبو الحسن محمد .

أما أبو بكر عبد العزيز بن سعيد فقد كان من جلة الأدياء ورؤسائهم ، كاتباً مترسلاً ،
كتب للمتوكل ابن الأفلح ثم لابن تاشفين من بعده وتوفي بعد ٥٢٠ هـ وذكر مؤلف إحكام
صنعة الكلام (١٣٧) أن أبا بكر كان من رؤساء العصر في صنعة النظم والنثر ، وأنه
كانت بينهما مراسلة سنة ٥٠٧ هـ أورد ذكرها في كتابه « ثمرة الأدب » . (وانظر
التكملة رقم : ١٧٤٣ ورسالة له في الريحان ١ : ٩٢ ب) .

وأما أبو محمد طلحة بن سعيد فقد أخذ عن مشيخة بلده ، وكان أحد الأدياء الأذكياء
وكان صديقاً لأبي بكر بن العربي وتوفي في حياة أخيه أبي بكر (التكملة : ٢٣٧) وكان
لأخيهما محمد بن سعيد مكانة مشابة ، إذ كتب أيضاً للمتوكل ابن الأفلح ، ولكن
المصادر لا تعين شيئاً واضحاً عنه . (انظر تراجم الثلاثة في المغرب ١ : ٣٦٤ والإحاطة ١ :
٥٢٨ وفيه نقل عن الذخيرة) والقلائد : ١٤٨ والخريدة ٣ : ٤٢٢ والمطرب : ١٨٦

القاتل ، وأعجوبة الأواخر والأرائل ، ثلاثة كهقعة الجوزاء ، وان أربوا على الشمس في السنّ والسناء ، امثروا أخلاف الفخر فأمطرتهم شعباً ورياً ، وهزّوا بجلوع النظم والنثر فاسأقت عليهم رطباً جنيّاً ، ولم يحضرني من أشعارهم ومستظرف أخبارهم حين لإخراجي هذه النسخة من هذا المجموع إلاّ ما أثبتّه لأبي بكر منهم خاصة ، وهو علّم بُردِهم ، وواسطة عقدهم .

فمن ذلك رقعة خاطب بها الوزير أبا الحسين ابن سراج قال فيها ^١ :

لولا أنّ عوائق الزمان — أدام الله عزّك — تعوق ، وبنائق مساعدته
على الأحرار — بعلمك — تضيق ، لساعدت إليك نزاعي ، وانقذت في
جبل تشوّقي ^٢ واطّلاعي ، ولطرت بجناح ، وامتطيت أعناق الرياح ،
ولاستبطأت السلاhib ، واستهجنّت الجرد اليعابيب ، ولم أرضَ بالتي تنفخ
في البرى ، واستقصرت بريد السرى ، بالليل من خيل بربرا ^٣ ، ولارتحلت
الكوكب ، وحملت إليك قلباً كقلب العقرب ، ولاتخذت المجرّة سبيلاً ،
وسهلاً دليلاً ، ولقدتُ البدر المنير ، [١٣٨ أ] وركبتُ الشعري العبور ،
وامتطيتُ الأفلاك ، وترسّستُ بالثريا وطعنت بالسّمك ؛ هذا لو أردت
البرّ ، ومقاساة السّهل منه والوعر ، وإلاّ اتخذتُ السمكة سفينةً ، وأقمتُ
لها النعائم ألواحاً ، وعطارداً ملاحاً ، وقيرتُ بالغيوم ، وسمّرتُ بالنجوم ،

١ ورد بمض هذه الرسالة في إحكام صنعة الكلام : ١٣٦ وقد اعتمد ابن عبد الغفور فيها الحذف والإيجاز ، كما جاءت قطعة منها في تمام المتون : ٢١٨ .

٢ س والاحكام : شوقي .

٣ من قول امرئ القيس (ديوانه : ٦٦) :

على كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وجدتُ بالفرقدين ، وحملتُ من آمالي فيها من كل زوجين^١ اثنين ، واعتصمتُ بالقوةِ والحوْل ، وتخلّفتُ^٢ كلَّ مَنْ سبق عليه القول ، واستعدتُ من شيطانِ الكسلِ وهو رجيم ، وقلتُ ﴿ باسمِ الله مجراها ومرساها إنَّ ربي لغفورٌ رحيم ﴾ (هود : ٤١) حتى أخطأتُ في واديك ، وأعرض نُسْخَةً مَذهَبي في ناديك ، فأرسمَ في الجملة ، وأصلّي إلى تلك القبلة ، وأسعدَ بتلك الغرّة ، وأقضي من لقاءه الحجَّ والعمرة ، وأطوفَ بذلك المقام ، وأذكرَ الله عند المشعر الحرام ، وعسى ذلك الحين يُحِين ، وجوابُ الأيَّامِ أن تَلينَ ، فقد تأسوْا إثر ما تجرح ، والصعبُ يتقادُ^٣ بعدما يجمع ، والشوك بالمنِّ يسمَح .

وفي فصل منها : ومؤدّيه حملته من عقوق زماني ما ليس بِنُكْر ، ومن عَشْرَاتِ أَيَّامي ما لم يكنْ بِيَكْر ، وعودتي - دام عزّك - الأخذَ بيدي عند العثار ، والنهوضَ بي على رغم أنفِ الليل والنهار ، فلك الفضلُ الذي عودتُ ، والطَّوْلُ الذي أسلفت ، في التهمُّمِ بردٌ ؛ لحظةِ العناية إلى ما يُعينُ على صلاحِي ، وَيُعيدُ بعضَ الريشِ لجناحِي ، جارياً على عادتيك ، وعاملاً على شاكلتك ، والله يبقيك للمنن تتقلّدها^٤ ، والمكارم تشيّدُها ، وأقرأتُك^٥ من أثناء تلك الدولة والاشتياق ، سلامَ حبيبٍ على

١ ط : من كل زوج .

٢ تمام المتن : وخالفت .

٣ س : يمكن ، وهو أقرب إلى قول بشار :

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا

٤ ط د : بود .

٥ س د : تقلدها .

٦ س : وأقربك .

الحسن بن وهب والعراق^١ ، وإن بكيت عني مع إخواني فظالما كنت
أعير الدموع للعشاق^٢ .

وله من أخرى : لا معنى - دام عزك^٣ - لذكر ما أنا عليه من التعظيم
والتأميل ، ولا لتجميل وجه حالي معك وهو الحسن الجميل ، فضعف
هوى يبغى عليه دليل^٤ ، واعتراضي تدريه إليك ، وتويلي تعلمه عليك ،
وأنى لك أنتسب في ودادي ، وبك أتملى في النادي ، ان لمحت عيني نظرتك ،
أو خدرت رجلي ذكرتك ، لا أفخر إلا بولاتك ، ولا أقر إلا لنعمائك ،
ولا أتمنى إلا كان المنى في لقاءك . وهذا الباب لو أفنيت فيه الأيام ،
والقراطيس والأقلام ، لم أبلغ فيه بعضاً ، ولا أدبْتُ فرضاً ، فأنا أقصر
منه على ما في ضميرك ، وأقع منه بتذكرك ، والله تعالى يبقيك لي ويعليك ،
ويعين^٥ على شكر أباديك .

وموصله ناصح - مملوكك - حركة ما حركه^٦ ، وتوجه لأمر أرجو
بعزتك دركه ، وذلك أن أختاً لي ، أمتك ، لا باكية لي سواها ، كان

١ إشارة إلى قول أبي تمام (ديوانه ٢ : ٤٢٥) :

سلام ترجف الأحشاء منه على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب إلى غوراً ونجداً والفقى الحلو المذاق

٢ من قول الشريف الرضي (ديوانه ٢ : ٧٩) :

وابك عني فظالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

٣ س : ادام الله عزك .

٤ من قول المتنبي : ضعيف هوى يبغى عليه ثواب .

٥ ط د : ويعينك ؛ س : ويعيني .

٦ ما حركه : سقط من ط .

لها ابنٌ من ابن فلان ، فعرض له ^١ فاختره ، وقرَّبهُ إلى الحضرةِ
 المزدانةِ بك ، فتمثَّلَ ما شئتَ من كدها ، واحترق كبدها ، وتذكَّرَ
 قوله عليه السلام : « لا تُوكَلُ والدَةٌ على ولدها » ، وانظر سوءَ فعل هذا
 المعاند ، وتدرى وَجْدَ ثكلي أصيبت بواحد ، وهو وإن كان غير واضح
 فهو عندها عرار ^٢ ، وفي عيناها دينار ^٣ ، وإن كان كما سترى ، فكلُّ شيءٍ
 يحبُّ ولده حتى الجباري ^٤ ، والولد - كما في علمك - فتنة ، والخنفساء في
 عينِ أمها رامُشنة ، وسَتره - إن شاء الله - وترى أباه ، فتعلم الإقراء ^٥
 من حيث أناه ، وترى تلك المخايل ، وتعرفُ فيه من أبيه شمائل ^٦ ، وتحقق
 به المشابهةَ والمناسِبَ ، وتنشد :

وانّا نرى أقدامهم في نعالهم وأنفهم بين اللّحي والحواجبِ

وترى فيه من علامات الكرام ، لأنَّه شبيهٌ لأمير المؤمنين هشام ، وانه
 متخاظر ، وأنَّ اسمه عبدُ الله بن طاهر ، وهذا هزلٌ كلُّهُ جيدٌ ، ومزحٌ
 تحقيقُهُ عمْدٌ ، فهو على كلِّ حالٍ ولدٌ ، وقطعةٌ من كبدٍ ، وأنتَ [١٣٨ب]

١ ط د س : ابن من ابن فلان يعرض عليه .

٢ من قول عمرو بن شأس (الحماسية رقم : ٨٤) :

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب الممم

٣ إشارة إلى قصة أعرابي كان ينشد ابناً له ضل فلما سئل أن يصفه قال : كأنه دينير ، وكانت
 الصفة بميدة عن الواقع .

٤ انظر الميداني ٢ : ٦٢ .

٥ الاقراء من قبل الفعل أي حين يكون الأب هجيناً غير عربي .

٦ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١١٣) :

وتعرف فيه من أبيه شمائل ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

وليَّ النعمة في جبره عليها ، وردَّ نومها به إليها ^١ ، والتطول في تأنيسي بأحرف كريمة تتضمنُ حالك ومجاريها ، ومصانعَ الله الجميلة عندك فيها ، والله يُطلّعي منك المبهج ، ويُسْمِعي عنكَ الطيب الأرج ، وأقرئك سلاماً كودِّي كريماً ، وكندي ^٢ المسك شميماً ، وإن مننتَ بإبلاغه لإخواني بإخائك ، وكواكبي في سمالك ، أو وسِعتَ فيه نفسَكَ وإيتاهم ، وخصصتَ به الوزراء مفردهم ومثناهم ، وأخبرتَهم أَني عبدٌ ودَّهم ، وشاكرٌ عهدهم ، والباكي دماً من بَعْدِهِم ، أنعمتَ وتطولتَ .

وعُرِضَتْ عليه بعض تلك الرسائل التي تقدمت في صفة الزرزور فكتب في ذلك رقعة : أَمَلَّكَ أبا الحسن ^٣ الأحرارُ ، وأمَلَّك الكبار ، وانتجعت قُطْرَكَ الأقطارُ ، وشكرتكَ حتى بترجيعها الأطيَّارُ . ويصلُّ به - وصل الله سعودك ^٤ - من الطير نطَّاق ، من غير ذوات الأطواق ، يمسُّ من المسك في حبرة أو طاق ، صغَّروه على جهة التعجب والإشفاق ، كما صغَّر سُهَيْل ، وذُؤَيْب وهُدَيْل ، وقيل العُذيق والجُدَيْل ، وكما صغَّروا العُذَيْب ، وقال عمر - رضي الله عنه - أخافُ على هذا العُريب ، وكقولهم يا سُمَيْراء ، وكقولهِ عليه السلام لعائشة : يا حُمَيْراء ، مهَّدتُهُ العذارى الحَجُور ، وألحَفْتُهُ الشَّعُور ، وربَّتُهُ بين الترائب والنَّحُور ، وعلَّلْتُهُ بالرُّضَاب ، وسقته بأفواهها العذاب ، فما خلع الشَّكِير ، حتى رفض الصغير ، وهجر

١ ط د : عليها .

٢ ط : وتندى ؛ س : ويندى .

٣ اعتقد أن صوابه « أبا الحسين » أي ابن سراج ، لأنه هو الذي أثار هذه الرسائل الكثيرة

حول الزرير .

٤ س : سادتك .

الراء الدائمة التكرير ، وتحلّى في المنطق بحلية الإنسان ، ودخل في من
 عليم البيان ، وزايل عميّة البلب والورشان ، وأفصح تسييحاً وتكبيراً ،
 وخرج من جملة من قال تعالى فيه ﴿ ولكن لا تفقهون تسييحهم ﴾^١ إنّه كان
 حليماً غفوراً ﴿ (الإسراء : ٤٤) ﴾ فإن طلبت - أعزك الله - اسمه مكبراً ،
 وجدته لفظاً من الزيادة مكرراً ؛ أقام عندنا زماناً . لا يتألف إلا رنداً
 أو باناً ، ولا يلتقط إلا عتاباً أو سيسباناً^٢ ، يتدرج في البساتين ، يتطلب العنب
 المنتقى والتين ، فذكرت له يوماً والحديث ذو شجون ، مُنْتَبِهة الزيتون ،
 وأرضك الميثاء ذات الشجر والعيون . وأطيار محامدك فيها السُنَح
 الميامين ، فصفت جناحاً ، واهتز ارتياحاً ، وحنّ إلى ذلك القطر . وانتفض
 كما^٣ بلله القطر^٤ ، ورجع اطراباً ، وسألني إلى مجدك كتاباً ، فأناسته ما
 ابتغى ، وقلت : سلمت أخوا البيغا . من المنسر الأشغى . وبلّغت المدى ،
 وجنّبت من حزة^٥ المدى ، وعوفيت من كل حية صفراء . ترنو
 إلى الطائر في السماء ، بمقلة سريعة الاقضاء ، ولقيت الوفاء ، غير اللّفاء ،
 وحوّلت حتى من التبن والحلفاء^٦ ، فانه يسبد^٧ ريشك . ويبرّد عشوشك ،

١ ط د س : سبستانا .

٢ س : كأنما .

٣ من قول مجنون ليلى (ديوانه : ١٣٠) :

وإني لتعروني نذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

٤ ط : حدة .

٥ انظر الذخيرة ٣ : ٧٥ ؛ حيث ورد :

فوقبت بقرالح الطيور تطيباً إذا عالج البرسام أو أبرأ العرس
 من المنسر الأشغى ومن حزة المدى ومن يندق الرامي ومن قصص المقص

٦ س : وحوشيت حتى من الدبق وحلفاء .

٧ سبد الفرخ : إذا بدا ريشه وشوك .

فاهض^١ فقد لقيت معمر^٢ ، وما شئت منة^٣ ومصفراً^٤ ، ورعييت^٥ ريفاً ، ونزلت بجرأ وريفاً^٦ ، فأخذ الكتاب بمنقار ، وصفق من ريش الجناحين سروراً وطار ؛ ومن ركب - أعزك الله - الجناح ، وامتنطى الرياح ، طوى البراح ، وهو آتيك كالبرق في لمة^٧ ، تصفيقة الطائر المستحر^٨ ، سرعة^٩ ، فإن حل البساط فابن^{١٠} سرينج والغريض ، وإن احتفل السماء^{١١} فأبو جلدة وابن^{١٢} بيض^{١٣} . وأنت بسيادتك تبسط^{١٤} له في بساتينك ، وتفرش^{١٥} له من وردك وياسمينك ، حتى تلبس من أغاريد الخلل المنشرة ، وينشر على منابر أدواحك شيباً وابن^{١٦} لسان الحمرة^{١٧} ، وتنبت أرضك مندلاً^{١٨} ، وجوئك صندلاً^{١٩} ، وثراك خزامى وقرنفلاً^{٢٠} ، وتهب له ريحك جنوباً ، ويحق

١ المعمر : المنزل الواسع .

٢ اشارة إلى رجز ينسب لطرفة أو لكليب (الخزائن ١ : ٤١٧ وفصل المقال : ٣٦٤) :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

٣ ط : ورقا . . . وريقا .

٤ استحر الطائر : غرد بسحر .

٥ ط د : السماء .

٦ ط د : فابن جلدة ؛ وأبو جلدة البشكري شاعر من شعراء الدولة الأموية من شاكفي الكوفة خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج ، وكان معاقراً للخدر (انظر أخباره في الأغاني ١١ : ٢٩١ - ٣١٢) وأما ابن بيض فهو حمزة بن بيض الحنفي ، وهو أيضاً شاعر أموي كوفي سائر القول في المجلد ، توفي سنة ١٢٠ (انظر معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٠ والأغاني ١٦ : ١٤٣ والفوات ١ : ٣٩٥) .

٧ شبيب بن شيبه من خطباء تميم ، يتردد ذكره في البيان والتبيين أما ابن لسان الحمرة فاسمه عبيد الله بن حصين أو ورقاء بن الأشقر (الفهرست : ٩٩) وهو أعرابي نسابه أدرك الدولة الأموية .

لشأسٍ أمليه من نذاك ذنباً^١ ، حتى يرجع بتطريب ، وينشد في الخفيف
الأول لحبيب^٢ :

وما يلحظُ العافي جذاك مؤملاً سوى لحظةٍ حتى يعود مؤملاً
وأهديك وداداً مزج باشتياق ، وأقرئك سلاماً ينسي سلام حبيبٍ
على الحسن بن وهب والعراق^٣

وله فصل من رقعة خاطب بها أبا بكر بن قزمان^٤ : [١٣٩] المجد
— أعزك الله — سباق^٥ ، وللفضائل استحقاق ، وأنا أرد قولهم فيها بالحدود ،
وأقول :

• لأمر ما يسود من يسود •

وأعتقد أنه ما رفعت رايةً لمجدٍ إلا كنت عرابة^٦ ، ولا أخذ حمد
بشمن بها ربيعٍ إلا كنت ابن الاطنابة^٦ .

١ إشارة إلى قول علقمة بن عبدة يشفع في أخيه شأس وكان أسيراً عند الفساسة (ديوانه : ٤٨) :

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نذاك ذنوب

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩

٣ قد مرت الإشارة إلى ذلك ص : ٧٥٦ .

٤ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم : ٧٧٤ .

٥ إشارة إلى قول الشماخ (ديوانه : ٣٣٦) :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

٦ يشير إلى قول ابن الاطنابة (الكامل ٤ : ٦٨) :

أبت لي عفتي وأبي بلاني وأخذي الحمد بالشمن الربيع

وله من أخرى على لسان من استعفى من ابنه إلى السلطان : معلوم - أيّد الله الأمير الأجل - أنّ العقوق تُكَلُّ مَنْ لَمْ يُشْكَلْ ، وأنّ العاق إن عاش نَقَصَ ، وإن مات نقص ، وأنّ الناس بأزمانهم . أشبهُ منهم بآبائهم ، ولا يشفع في ابن أب ، وإنّ المرء لا يَهْدِي من أَحَبَّ ، ولو كان في يد الإنسان من ابنه شيءٌ أو إليه ، لكان أوّلَى الأُمّة نوحٌ صلى الله عليه ، ولما أَضَلَّ ابنُهُ المرشدَ والمصالح ، حتّى ^١ قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود : ٤٦) ولوليك ابنٌ سَلَكَ هذه السبيل ، واتبع هذا الدليل ^٢ ، ولما أَرَبْتَهُ طُرُقَ التَّصِيرِ والتَّسْديدِ ، وقلت له : يا بني مَنْ وَعِظَ بغيره فهو السَّعيد ^٣ ، ولم يُغْنِ الوعدُ ولا الوعيد ، تَبَرَأْتُ مِنْهُ إِلَيْكَ ، وقلت له : لا تَجْنِ يا بنيَّ عَلَيَّ ولا أَجْنِي عَلَيْكَ ، وإِنَّهُ لَلْفَلْدَةُ مِنْ كَبْدِي ، وآخرُ ولدي ، ولكن لم أَجِدْ فِيهِ صَنِيعاً ، و ﴿ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ (الرعد : ٣١) وفي الخبر أنّ الإمامَ العادلَ إذا دَعَا أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ، ووليكٌ يَرْغَبُ فِي دَعْوَةٍ تَنْفَعُهُ ، أو زَجْرَةٍ تَرُدُّعُهُ .

وله من أخرى : والفقيه الأجل الحافظ - زاده الله من التوفيق - بيني وبينه العهدُ المصون ، وليالٍ قطعناها « عند أصلِ القنّاة من جَسِيرُونَ » هو يسألُ ثراها ، ولا ينساها ، ويستنقذني من أنيابٍ * قد قَتَلَتْنِي بَعْضُهَا ، وعساهُ

١ حتّى : سقطت من ط د .

٢ واتبع هذا الدليل : سقط من ط د .

٣ من المثل : السعيد من وعظ بغيره ، فصل المقال : ٣٢٧ والميّهاني ١ : ٢٣٢

٤ ط : يسأل ؛ س : يفيل .

٥ ط : أينأت ؛ س : أبيات .

يذبحُ لي بقرةً من علمه فيضربُ نفسي ببعضها^١ ، ويردُّها^٢ وقد بلغت التراقي ، ويحييها بياسر^٣ من ذلك العلم الرقيقِ العراقي ، فجرَّد لي من سيفه القاطع ، واغرف لي من بحره الواسع .

وله من أخرى على لسان مَنْ فرَّ من موضع اعتقال : الأمير — أيده الله — حرُّك إلى ظلمي فسكن ، وجاءه عنِّي فاسقُ بنبأ فأخذ بأدب الله تعالى وتيسن ، وأنا رِعْتُ فارتعتُ ، وقرأتُ قوله تعالى ﴿ ففررتُ منكم لما خفتكم ﴾ (الشعراء : ٢١) فاتبعت ، وبحقِّ نَفَرْتُ فنَفَرْتُ ، وأوعدني أبو قابوس ففررت :

• ولا قرارَ على زارٍ من الأسد •

وقد قيل : لا تقرب البحرَ إذ ماج ، ولا السلطانَ إذا هاج ، وقديماً اتبعت السلطانَ فوعيت^٤ ، ورأيتُ من الديكة في السفايف ما رأيت ، ولم يكن فراري نفاقاً ولا إباقاً ، إنما أردتُ إظهارَ براعتي ، وتطهيرَ ساحتي ، فأنزلتُ قِدْرِي بجعلها^٥ ، وأطفأتُ ناري في موضع إشعالها ، وطلبتُ طالبتي ، وقرعتُ بابَ ظالمتي ، ودعوتُها إلى الخصام ، وأبرزتُها إلى الحكماء ، ورفعتها إلى القاضي

١ اشارة إلى ما جاء في سورة البقرة : ٧٣ (قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) .

٢ ويردها : سقطت من نس .

٣ س د : بياس .

٤ صدر البيت : تبث أن أبا قابوس أوعدني (ديوان النابغة : ٢٥) .

٥ ط : فرعيت .

٦ الجمال : ما تنزل به القدر من خرقة أو غيرها .

محمد بن حمدين^١ ، وإلى محمد بن شبرين^٢ ، ولو وجدتُ على القافية غيرهما لدعوتها إليه ولو كان محمد بن سيرين ، فأحقَّ الله حقِّي تحقيقاً ، وأزحقَّ باطلها ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (الإسراء: ٨١) وها أنا معها في بساط واحد ، وبين يدي ملك راشد ، أرفلُ في الأمان ، وقديماً استُعِيدَ من شرِّ النسوان ، ومن لم يُبَيِّتَنَّ قبلي على أسفٍ ، وهُنَّ عوادي يوسف^٣ ، وقد قال عليه السلام فيهن ما قال وأنذر وأعذر ؛ ولولا أن للنساء أبناء^٤ ، ويطولُ استقصاءُ الأحاديثِ والأنباء ، لذكرتُ ما أحدثن من بلوى ، وجلبتُ من شكوى ، وسقتُ من بين دنيا - وهي ظالمتي هذه - إلى عصرٍ أمنا حواً ، رضي الله عنها ، ولكن تركُ ذلك أولى ، وأنا أكفِّرُ فيه يميني وأصيرُ مع مولاي إلى فصيلتي التي تؤويني ، وأعرضُ عليه أمري في معرضه ، وأتحققُ أسودَه من أبيضه .

وله من أخرى^٥ : لا غرو - أعزَّك الله - وقد غطَّاني من إنعامِكَ الرَّغْدِ ما غطَّى ، وتوطأ بي من كتفك الممهَّد ما توطأ - أن أسألَ شَطَطاً ، وأذهبَ فُرطاً ، وأنكَلِمَ مُنْبَسطاً ، وأبينَ غرضي كلَّه ومنهبي ، وأتحكَّم

١ قد مر التعريف به .

٢ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين ، استقضى باشبيلية وحمدت سيرته ، وكانت وفاته سنة ٥٠٣ (الصلة : ٥٣٨) .

٣ من قول أبي تمام (ديوانه ١ : ٢٢٣) :

هن عوادي يوسف وصواحيه فمزماً فقصاً أدرك السؤل طالبه

٤ ط : أنباء .

٥ وردت عبارات قليلة منها في تمام المتون : ٣٢٧ .

على مكارمك تحكّم الصبي^١ ، وأبلغ بك إلى كل أمل [١٣٩ب] وأرب ،
وأملأ دلوي في جاهك إلى عقد الكرب ، فإنك سببت لي ذلك ، وأرعيتني
الروض الأنف من جاهك ومالك ، وحررتني ولا حرّ بوادي عوف^٢ ،
وأنعت عليّ نعمة الله على قريش وأطعمتني من جوع وآمنتني من خوف^٣ ،
إلا أنه يلزم من النجم أن يسرج ، ومن اعتمر أن يتم الحج ، ووعد
الكريم مطلوب^٤ ، وانتزاع العادة ذنب محسوب ، فجرّدني صارماً في ساعدك ،
وارم بي سهماً مسموماً في كبد حاسدك ، وهو الوسع المجهود ،
. والجود بالنفس أقصى غاية الجود^٥ .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

كتب إليهم الوزير أبو محمد بن عبدون بأبيات منها :

سُؤفي بني عبد العزيز وما أنا بناب إذا الضمت عداً ونواب
لعا لسرور لم يقيم منكم به مُحَيّ على طول المدى أو مخاطب
ولم تكتبوا حرفاً إليّ وأنتم ثلاثة كُتّاب وما أنا كاتب

١ انظر تفسير قولهم « أعطي حكم الصبي على أهله » في تمام المتن : ٣٢٥ - ٣٢٨ وثمار

القلوب : ٦٧٠ .

٢ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني ٢ : ١٢٤ والمسكري ٢ : ٢٧٥

والفاخر : ١٧٨ .

٣ انظر السورة : ١٠٦ (وهي سورة قريش) .

٤ صدر البيت : ويجود بالنفس إذ ضن البخل بها « وهو لمسلم بن الوليد في ديوانه : ١٦٤ وجمهرة

المسكري ١ : ٩٥ (تحقيق أبو الفضل) وانظر التمثيل والمحاضرة : ٣٠٧ .

٥ س : بأبيات قال فيها .

وكان أبو محمد قد خرج من وطنه يابرة مستوحشاً وقت حلول الفاقرة
بالرؤساء ، فأجابه أبو بكر منهم بأبيات ، منها :

تباعِدُ في طولِ المدى وتُتَّارِبُ	وتذنبُ في باب الجفا وتعتابُ
بمجدك ^١ أرشدنَا إليك ودلنَا	عليك من الدنيا وخدنا نكاتب
ومن خرقَ الآفاقَ يبغي بنفسه	مساحةَ وجهِ الأرضِ أين يُخاطَبُ
دُعَيْمَصْ رَمَلٍ حينَ يمشي وحارثُ	ضحى وعدي في الزَّمَاعِ وحاجب
تري لم تُصَبْ في آلِ بدرٍ فتتقي	تري ثائرٍ أو يلتقي بك طالب
وإن تَنَسَّيْبَ يوماً تُردُّكَ طفاوةٌ	لتطفو على الدنيا وتُأبَاكَ راسب
لك الخير ملَّتْ رحلتُك العيسُ ، حُطَّه	قليلاً ، وعرسٌ قد شكَّتْكَ السباب
على أنْ ^٢ للأَيَّامِ فينا وقائعا	نبا شاعرٌ فيها وأفحِمَ ^٣ كاتب
وأما امرؤ القيسِ السَّواري فإنه	رأى الدربَ حقاً فابكِه أنت صاحب
يغنيه غريدُ الدجى ^٤ فإذا ونى	يغنيه ساقٍ من دمِ الساقِ شارب

قوله : « امرؤ القيس السواري » يعني أبا بكر بن سوار الأشبوني ، وكان
أسيرَ في طريق قورية ، وبقي بها إلى أنْ منَّ الله باطلاقه ، من وثاقه ،
وأشار بذكر الدرب إلى قول امرئ القيس^٥ :

* بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونَه *

١ ط : لمجدك .

٢ س : وأنجح .

٣ ط د : الوحي .

٤ تأتي ترجمته ض : ٨١١ .

٥ عجز البيت : وأيقن أنا لاحقان بقيصرا .

وقال الوزير أبو بكر يخاطبُ جماعةً من إخوانه بحضرة قرطبة^١:

يا سيدي وأبي هدىً وجلالةً	ورسولَ ودِّي إنْ طلبتُ رسولا
عرجُ بقرطبةٍ إذا بُلِّغْتَها	بأبي الحسين ونادِه تمويلا
فلإذا سعدتَ بنظرةٍ من وجهه	فاهدِ السلامَ لكفِّه تقبِلا
واذكرْ له شوقي ووجدي ^٢ مُجَمِّلا	ولو استطعتُ شَرَحْتُه تفصيلا
بتحيةٍ تُهْدَى إليه كأنَّمَا	جَرَّتْ على زَهْرِ الرياضِ ذبولا
وأشيمُ منها المُصْحَفِيُّ على النوى	نَفْسًا يُنْسِي السوسنَ المبلولا [١٤٠أ]
وإلى أبي مروانٍ منها نفحة	تجني ^٣ له روضَ الربى مطلولا
وإذا لقيتَ الأخطي ^٤ فسَقِّه	من صفو ودِّي قَرَقَفًا وشمولا
وأبو عليٍّ بُلٍّ منه رُبْعُهُ	مِسْكَاً بماءِ غمامةٍ محلولا
واذكر لهم زمناً يهبُ نسيمُهُ	أَصْلاً كَتَنَفَتْ الرَاقِيَاتِ عِلِلا
بالحَيْرِ ^٥ لا عبتُ عليه غمامةٌ	إلا تضحك إذخراً وجليلا
يوماً وليلاً كان ذلك كله	سَحَرًا وهذا بكرةٌ وأصيلا
مولى ومولي نعمةٍ وموالي ^٦	وأخا إخاءٍ خالصاً وخلِلا

١ انظر القلائد والنفع ١ : ٦٣٤ ، ١٥٦ ، وفي القلائد أنه يخاطب أبا الحسين ابن سراج ، وذلك واضح في البيت الثاني من القصيدة ، ثم ذكر أسماء عدد من أصدقائه .

٢ القلائد : وشكري .

٣ القلائد : تهدي .

٤ القلائد : الأخطبي

٥ س : بالخير ؛ د : بالحي ؛ والحير : هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة (انظر التعريف به في القلائد والنفع) .

٦ القلائد : وكرامة .

لا أدركت تلك الأهلّة دهرها^١ نقصاً ولا تلك النجوم أفولا

وله يخاطب بعض إخوانه وهو عليل :

كباري وساداتي إليكم تحيةً تفتّحُ سوساناً وتنجي رياحيناً
ومعذرةً منّي إليكم بعلّةٍ برّرتني ولا لدناً من الخطّ مسنونا
كأنّي فيما اشتكي ابنُ محلمٍ سقاماً ولكن لستُ أشكو الثمانينا^٢

وقال :

إليك وإن كنت قطبَ الوفا أبا عامرٍ والأريبَ الأديبا
تكونُ بمحصٍ ثلاثين يوماً وأصبحُ منك القصيَّ الجنيبا
نسيتَ ودادي وحرّاً اعتقادي وجمعي بأفقي عليك القلوبا
وهبّك تناسيتَ حرّاً الوفاء ولم ترَ لي في ودادٍ نصيبا
فهلأ رعتَ جزيلَ الثواب وعدتَ العليلَ وزرتَ الغريبا^٣
وتدري الحديثَ وماذا عليه عائدُ ذي السقمِ حتى يؤوبا
ولكنها شيمةٌ للزمان أنْ لا صديقَ وأنْ لا حيبا

وله يصفُ بقرةً أخذها الريقُ^٤ الطاغية صاحب قلمرية^٥ :

١ ط د : دهرنا .

٢ إشارة إلى قول عوف بن محلم : « إن الثمانين وبلغتها . . . البيت » .

٣ س : القريبا .

٤ الريق أو الرنق هو الفونسو هنريكز (Alphonso Henrices) صاحب قلمرية (Coimbra) وكانت حينئذ عاصمة البرتغال .

٥ انظر الإحاطة ١ : ٥٣٠ وهي هناك شديدة التصحيف والتحريف .

وأفقدنيها الريق أمّا حَفِيّةٌ
تعتني أمّي على أنْ رَكِبْتُهَا
لها الفضلُ عندي أَرْضَعْنِي أَرْبَعاً
وله فيها :

وفجّعتني ذا الريق لا درّ درّه
تري فخذنيها يحملانِ خِزَانَةَ
وقال يستهدي المنصور بازياً^٢ :

يا أيتها الملك الذي آباؤه
حكّيتْ بالتَّعَمِّ الجسامِ^٤ سَمَاحَةً
وَأَمِنُ بِهِ ضَافِي الجَنَاحِ كَأَنَّمَا
أَغْدُو بِهِ عُجْباً أَصْرَفُ فِي يَدِي
وله في دنّ خمرٍ تَخَلَّلَتْ لَهُ :

أبا حسنٍ إني فجعتُ بصاحبٍ
غَدَتْ بِنْتُ بَسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بِدَنِّهَا
أنيسٍ يُنْسِي الهمَّ عند احتلاله
وَأَمْسَتْ كَجَسْمِ الشَّنْفَرِي بعد خاله

١ ضفت : حلبت باليد كلها لفخامة الضرع (ط د س : صفت) والرغد : القلح الضخم .

٢ س والإحاطة : حولين .

٣ النفح ٤ : ٣١٣ .

٤ د : الحسان .

أشار إلى قول الشنفرى^١ :

* إنَّ جسمي بعد خالي نحل *

وكنى بنتِ بسطام عن الخمر لأن بسطاماً كان يكنى أبا الصهباء .

وقال في مثله وعرض بأبي سلمة الخلاأل :

فإذا الوزيرُ وزيرُ آلِ محمدٍ شانيكمُ ، لا كان ، فيها طافي

وهذا كقول الآخر^٢ :

ختمتها بنتَ بسطامٍ لها أرجٌ ثم افتضضتُ ختاماً عن أبي سلمة^٣

وبعث إلى بعض إخوانه بخرشف وكتب معها :

بعثتُ بها عشراً بناتَ شياهم مكللةً هاماتها بمباضع
تراها بها الأعداءُ فوق جفونهم نهاراً ، وليلاً تحتهم في المضاجع
وإنْ مدَّ مولانا لها يدَ قابلٍ فلننيّ فيها باسطاً خدَّ ضارع

وكان ابن رشيق قد أنزل على أمواهم^٣ وقت حلول الحوالة ، فكتب
إليه أبو بكر ، وأخذتها عنه :

١ وقيل هو لابن أخت تأبط شرا يرثي خاله ، وصدر البيت : « فاسقنيها يا سواد بن عمرو »

انظر الحماسية رقم : ٢٧٣

٢ ورد البيت في الشريشي ٢ : ٢٩٢ (بولاق) .

٣ ط د : أحواهم ؛ س : أحواهم .

بني رشيقي أما لي عندكم سعة
أما يشقُّ عليكم شربُ صافيتي
أرعى الخزامى وأنتم في بلنسية^١
هلاً استحيتم وقلتم إنَّ ذا كَدَرٌ
فتُحضِرُوني ولو ملئني نعالكمُ
وتظفرون بما تهوون من أدبٍ
وأنشدني أيضاً له :

وأحورَ حياءَ بنارنجة
مخمَّشةً الوجهِ مرشومة
تضرمُ نصفُ اسمها في البدنِ
كما عصفرتُ كُرَّةً من سفنٍ^٢
وأنشدني له قوله :

قريبٌ على عزمي بعيدُ^٣ المطالب
وما الشعرُ من همِّي ولكنْ خواطري
أقلَّلُ منه مازحاً غيرَ طالبٍ
وسهلٌ على مجدي لحاقُ الكواكب
تغالبني فيه وهنٌ غوالي
وأكثرُ فيه فاخراً غيرَ كاذبٍ
وأنشدني أيضاً لنفسه من قصيدة ، أولها :

لعينك^٤ وعدٌ من فؤادي مكنوبٌ مضى عزمه^٥ إلاَّ سهادٌ وتعذيبٌ^٦

١ س : بلنسية .

٢ س : موشومة ؛ ط : موشامة ، والمرشومة : التي فيها برش ؛ السفن : جلد خشن غليظ .

٣ س : قريب .

٤ ط : بعينك .

٥ س : صهده .

٦ د : سناد ؛ ط : معاد .

ومنها :

ومن شقَّ هُدْبِ الليلِ عن شهلةِ الضحى يبرقُ على ثوبِ الدجى^١ منه تكتيب

ومنها^٢ :

كأنَّ أهَازِيجَ الذَّبابِ أسَاقِفُ لها من أزاهيرِ الرياضِ محاريبُ

وأنشدني لأخيه أبي الحسن وقد رمد ، يستهدي المتوكلَ كحلاً : [١٤١أ]

يا ملكاً آمَنُ ما يُخْشَى ونيراً أَوْضَحَ ما أَعْشَى
شاعركم كان زهيراً وقد أصبح ممّا ناله الأعشى
يقرأ والشمسُ على رأسِهِ تنيرُ ﴿ والليلِ إذا يَغْشى ﴾

ولأخيه أبي محمد :

يا سائلي عن علوّةٍ وجمالها أغنتُ محاسنها عن التبيينِ
هيَ درهمُ البخلاءِ يُلْقَى^٣ دونها قُفْلٌ وفوقَ القفلِ طابعُ طين
هي روضةُ الآمالِ إلّا أنّها لم تخلُ من أفعى^٤ ومن تنين

وله يرثي الفضل بن المتوكل ، ويشير إلى أنه قتل ولم يدفن ، من جملة

قصيدة :

١ ط : الرجا .

٢ مر هذا البيت ص : ٧٠١ من هذا الجزء .

٣ ط د : تلقى .

٤ ط د : يفع

وواعجا للأرض حين ملكتها وميتاً ولم يستترك من عرضها شبرٌ
فليتك من قلبي وعيني^١ صيانةٌ تؤوبُ إلى قبرٍ إذا لم يكن قبر
فيرعاك مني مشفقٌ ذو حفيظةٍ عليك إذا لم يرعك الذئب والنسر

وباتوا^٢ ثلاثهم ببعض المواضع ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ،
ويتعاطون أدباً كالراح مزوجة بماء الوقائع ، والمدام لهم نقل ، والزمان
لولا هم غُفِّل إلى أن غازلت السنّة أجفانهم ، وأجمت قليلاً أذهانهم ؛
فانتبه أبو محمد منهم والصبح قد ومض ، والعصفور قد انفض ؛ فقال :

يا شقيقي وافى الصباح بوجهٍ ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبغ واغتنم مسرة يوم لست تلدي بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أبو بكر فقال :

يا أخي قم ترّ النسيم عليلاً باكر الروض والمدام شمولاً
لا تنم واغتنم مسرة يوم إن تحت التراب نوماً طويلاً

ثم هبّ أبو الحسن من مرقدته ، بأذكي ذهن وأوقده ، فقال :

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبي ولنصطبغ خمرة من خير ما ذخروا
وبادرا غفلة الأيام واغتنما فالיום خمرٌ ويبدو في غد خيرٌ

١ س : بعضها . ٢ س : عيني وقلبي .

٣ من هنا حتى آخر الترجمة تنفرد به س ؛ وانظر القلائد : ١٥١ والمغرب ١ : ٣٦٧ والإحاطة
١ : ٥٣٠ .

٤ رغم أنه متصل بقول امرئ القيس « اليوم خمرٌ وغداً أمر » فإنه من صياغة بشار بن برد
إذ يقول :

اليوم خمر ويبدو في غد خير والدهر ما بين إنعام وإيأس

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان^١

وسياقه جملة من نظمه ونثره^٢

وأبو بكر أيضاً من كتاب الوقت والأوان ، ومن أهل البلاغة والبيان^٣ ، والمتوكل أول من اتخذ كاتباً ، واقتدح زنده فأورى شهاباً ثاقباً ، وله محدث^٤ كريم ، ولسلفه تقدّم معلوم ، ورسائله جلائل ، إلا أنه لم يحضرني منها عند نقلي هذه النسخة إلا فصول قلائل ، لا تنفي بقدره ، وفيما كتبت منها أنموذج يُعَرَّبُ عمّا أُجريتُ من ذكره .

فصول له من رقعة عتاب ، خاطب بها بعض الوزراء الكتاب ، قال فيها :
ما أكثر الأشياء الجامعة لنا : أدبٌ كروض الحزن ، وودّ كصوب المزن ، وأوليّةٌ كرم تاريخها واتصلت أسانيدُها ، لا يُنكرُ فضلها ولا تُدَمُّ عهودها ، وأسلافٌ سلّفت بينهم صحبة حميدة ، وأذمة وكيدة ، مثلها نهج إخاء ، وأورث صفاء ، ونظم أهواء وآراء^٤ . ومازلت على تراخي المزار ، وتنازع الأقطار ، أودك كلّ الوداد ، وأعتقدك أصحّ

١ ترجمته في القلائد : ١٨٧ والخريدة ٣ : ٤٦٥ والمغرب ١ : ٩٩ والصلة : ٥٤٠ وهذا هو محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان (عم ابن قزمان الزجال) ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ هـ ودفن بمقبرة أم سلمة ، وقد وهم المقرئ حين نقل ترجمة الوزير وترجمة الزجال ظناً منه أنهما شخص واحد ، في نفع الطيب ٤ : ٢٤ .

٢ س : نثره ونظمه .

٣ والبيان : سقطت من ط د .

٤ وآراء : سقطت من ط د .

الاعتقاد ، وأحظك بعين الإعظام ، وأقترح لقاءك على الأيام ، معرفةً
بسبقك ، وتوفيةً لحقتك ، وتوقاً إلى مطالعة تلك الطباع الرقيقة ، ومباشرةً
تلك الآداب الأنيقة ، إلى أن وقع ما وقع ، وأتيح من التداني ما لم يتوقع ،
وهي الأقدارُ ، وليس عليها الخيار .

وقد كنتُ أعلمتُ بسؤالك - بفضلِكَ - عني ، ونزاعك نحوي ، وغرضك
إلى لقائي ، واعتذارك بخفاء مكان نزولي ، وغموض موضع حلولي ، ولقيتُ
فلاناً فعرض عليّ من قصدك ما فُت^١ إليه حدّ المسابق ، لو^٢ أفرجت لي
عنه العوائق ، فأريته من اختلال الحال الباعث على الانقباض ، وتجنّب
الاسترسال المخوف من الإعراض ، ووقوع الإخلال ما رآه ، فأحسبته
وكفاه ، وتلقّاه عذراً واضحاً يلقيكهُ فتلقاه ، ثم ما زال يفتل في الذرّوة
والغارب ، حتى أجبته التزاماً لما لم يَلْزَمْنِي إلاّ بحكم جلالتك ، وشرطِ
المتعيّن من استمالتك ، فوافيننا منزلك ذات يوم بُعيد العصر ، وعلى
بابه غلامٌ ، سأله عنك فقال : هو ينام ، فطوبنا آثارنا ، وأعلمني بعدُ
باجتماعكما من الغد ، وأنه عرّفك بذلك المقصد ، فسألك أن لم تعلم ،
وعزّ عليك الالتقاء أن لم يتم ، ودعاني إلى المعاودة [١٤١ ب] فلم يسعني
ولم يسع لي ، ومضت على ذلك أياماً إلى أن دخلت على فلان ومعه فلان ،
وأنت حاضرهما ، فحين لمحتك عرفتُك ، بما كان ثبت عندي من صفتك ، وتقرّر
لديّ من سِمَتِكَ ، وعند أخدي لمعدي رأيُك قد وحيّت إلى من كان

١ ط د س : كنت .

٢ ط د : ولو .

٣ س : وأعلمني بعيد اجتماعكما من الغد أنه .

يليك وَوَحَى إِلَيْكَ ، فَاثْنَيْتَ وَقَدْ زَوَيْتَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَشَمَرْتَ^١ أَنْفَكَ ،
وَمَعَّرْتَ وَجْهَكَ ، وَضَمَمْتَ إِلَيْكَ مِنْ ثِيَابِكَ ، وَقَارِبْتَ بَيْنَ أَجْزَائِكَ ،
فَقُلْتُ : أَرَاهُ أَزْدَرَى طَلْعَتِي ، وَتَقْدَرُ هِيَاثِي ، وَخَشِيَّ أَنْ أَعْدِيَهُ بِسُوءِ
حَالَتِي ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا عَدُوِّي » ، وَقَالَ : « فَمَنْ أَعْدَى
الْأَوَّلُ » ، وَإِنْ اعْتَرَضَ عَلَيْنَا بِحَدِيثِهِ الْآخِرُ : « لَا يُورَدَنَّ مُجْرِبٌ عَلَى
مُصِحٍّ » ، وَدَفَعْنَا مِنْ صَحِيحِ التَّأْوِيلِ ، وَأَوْضَحِ الْأَقَاوِيلِ ، بِمَا لَا مَدْفَعَ
فِيهِ ، مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ وَأَذْكُرُ لَهُ . وَأَمَّا الْأَزْدَرَاءُ وَالْإِنْخَاءُ ، وَالتَّقْدَرُ
وَالْتَعْدَرُ ، مَعَ عِلْمِكَ بِالْحَالِ وَأَوَّلَهَا ، وَتَمَكُّنَهَا وَتَأْتِلَهَا ، وَبِحَالِ الْأَيَّامِ وَتَقَلُّبِهَا ،
وَتَعَاوُرِ أَقْطَارِهَا وَتَنَابُؤِهَا ، وَمَعَ ذِكْرِكَ قَوْلَهُمْ : « لَيْسَتِ الْعِزَّةُ فِي حُسْنِ
الْبِزَّةِ » وَقَوْلِ مَنْ قَالَ : « لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ تَكْلَمُكَ إِلَّا مَا يَكْلَمُكَ مِنْ فِيهَا » ،
وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ^٢ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَزَرٍّ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدَّيْتَ بَرْدًا
إِنْ الْجَمَالَ مَآثِرٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ حَمْدًا

وَقَوْلِ غَيْرِهِ :

وَفَضْلُ النَّاسِ فِي الْأَنْفُسِ لَيْسَ الْفَضْلُ فِي الْمَالِ

فَشِيءٌ خَرَقَتْ بِهِ عَادَةً أَمْثَالِكَ ، وَخَالَفَتْ فِيهِ سِيرَةَ نَظَرَاتِكَ وَأَشْكَالِكَ ،
وَكَفَى بِالْمِثْلِ الْمَضْرُوبِ بِفَرَحَةِ الْأَدِيبِ بِالْأَدِيبِ ، وَقَوْلُهُمْ : « الْأَدَبُ بَيْنَ
أَهْلِهِ نَسَبٌ » ، وَقَوْلِ الطَّائِي الْأَكْبَرِ^٣ :

١ شمر : قلص ؛ ولعل الصواب : وأشمت أنفك ، وذلك كناية عن الكبر .

٢ هو عمرو بن معد يكرب ، انظر الحماسية : ٣٤ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٧ .

إن تفرق نسباً يؤلفُ بيننا أدبُ أقمناه مقامَ الوالدِ

وقول الأصغر^١ :

ان كنتَ من فارسٍ في بيتِ سؤدها وكنتُ في بحرٍ في البيتِ والحسبِ^٢
فلم يَصْرِنا تنائي المنصين وقد رُحنا نسيين في علمٍ وفي أدبِ

وإن كنتُ أكثرُ الاعتزاءِ إلى النسبِ الكريمِ ، وأعتدُّ من أهلهِ في
الصميمِ ، وأزاحمهم بمنكبٍ واهنٍ ضعيفٍ ، وأمتُّ إليهم بسببِ سَحِيلٍ
سخيفٍ ، ثم أرجعُ عندَ الامتحانِ ، وإلتي منكم كِلالُ السَّقْبِ من ولدِ الأتانِ^٣ ،
فقد قال عليه السلام : « من كثرَ سوادُ قومٍ فهو منهم » ، وعسى أن يبلوَ
لي ما يستنكر ويستكثرُ لمثلي ، فأكونَ عباسَ بنِ الأحنفِ ويكونَ كبشَّارُ ،
إذ يقولُ^٤ : « ما زال غلامٌ من بني حنيفةٍ يُدْخِلُ نفسه فينا ويخرجها حتى
قال :

١ ديوان البحري : ٢٥٤ .

٢ الديوان : ان كان من فارس . . . طي . . . في الحسب .

٣ خلط هنا بين بيتين أحدهما لحسان (ديوانه : ٣٩٤ والحيوان ٤ : ٣٦٠) وهو :

لممرك إن إلك من قریش كإل السقب من رأل التمام

والثاني هو قول الشاعر :

وأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

وهذا البيت الثاني يروى لعبد الرحمن بن الحكم (الحيوان ١ : ١٤٦ ، ٧ : ٧٣
والخزافة ٢ : ٥١٨) كما ينسب لابن مفرغ (الشعر والشعراء : ٢٧٩ ووفيات الأعيان
٦ : ٣٥٠)

٤ انظر الأغاني ٥ : ١٩٣ .

نزف البكاء دموعَ عينك فاستمرَّ عيناً لغيرك دَمْعُهَا مِدْرَارُ
من ذا يُعيركَ عينهُ تبكي بها أَرَأَيْتَ عيناً للبكاء تُعار

فتصلَ حينئذِ رَحِمٌ لا تَخْفَى ، وتحصلَ قرابةٌ لا تُجْفَى ؛ وإن
كنتَ نكرتَ ما نكرتهُ ، ونظرتَ ما نظرتَه ، من ابتداءك بالتسأل والتكليم ،
وترفعي إياك ما لا أدعيه فضلاً عن أن أقتضيه من الترفع والتقديم ، بخمولي
ونباهتك ، وذليّ وعزّتكَ ، وبُعدي عن بلدي وعددي ، وكوني في طينتك
ومدينتك ، وبين قبيلتك وفصيلتك ، وجيرتك وعشيرتك ، وحاشيتك
وغاشيتك ، وصنائعك وتوابعك ، فقد قال ابن عباس ، رضي الله عنه : « إن
لكلِّ داخلٍ دهشةً فابدأه بالتحية » ، وإذا أطلق الحكم بهذا للبعد والقريب ،
فما ظنُّكَ بالغريب مثلي^١ المنكوب ؟ !

ونتركُ ما استمرَّ إلى هلمَّ جرّاً ، وأطوّلُ به دهرأ ، فربما تلاقينا ،
وكأننا ما تراءينا ، لا كلامَ بينت شفة ، ولا إيماءَ بطرف أنملة ، واللومُ
في هذا كله يسقطُ عني ، كما يضيقُ العذرُ عنك ، بقضيةِ سنّةِ الإسلام
في السلام ، في أني ألُفَكَ راكباً وأنا ماشٍ ، وأنتَ بحمدِ الله طائر ، وأنا
— ولا كفران بالله — واقع [١٤٢ أ] وعلى الطائر أن يغشى أخاه . وإن طمع
بك ، وحطَّ من قدرِي عندك ، لإدبارِ الأمرِ عني وإقباله عليك ، ففيها ما
فيها ، وما أرضاها لكَ طريقةً ، فالكریم يُجَلُّ الكرام ، وإن قلتَ : إني
أدعو إلى مباعدي ، وأبعثُ على مقاطعتي ، باستبهاهم خلُفني ، وإظلام أفقي ،
وثقل حواسي ، وقلة استئناسي ، فهذا من لم تغره رقة الحضر اللطيف^٢ ، وقد

١ ط د : مثل .

٢ ط : تقدّه رقة اللطيف .

قال عليه السلام : « من بدا جفا » . على أنني أتكبر على المتكبرين ، ولا ألين لمن لا يبتغي لين^١ ، ولولا أن يدال القربُ بالبعد ، دون أن يقع عتبٌ ويشرع وداد ، ويكشف يوماً على هذا التهاجر الغريب . والتنافر العجيب ، ولا يعرف من الظالم منّا من المظلوم ، ولا من المحكوم عليه من المحكوم له . لأضربتُ عنها صفحاً ، وطويتُ دونها كشعاً . ولسدتُ عليها أذني ، وسأيرتها ساحباً رَسَني ، ولقد لقيتُ بعدُ فلاناً فذكرَ بصفاتك ، وأثنى باتساع آدابك وكثرة أدواتك ، وسألني عن الخلعة ، وأشار إلى هذه السمة بيننا والوصلة . فقلت : لا خلعة ولا خلل ، ولا وصلة ولا اتصال . فكأنه أنكر ذلك ، وهذا هو الذي أثار من هذا الكتاب ، ما لم يكن في الحساب ، ودونكه هراء غشّاً ، وهباء منبثاً . وهاك إليه^٢ ما يوازيه^٣ عن الموازنة والمقاربة لؤماً ودقة .
وركاكة لا رقة :

أبا أيوبَ والأيامُ لا تبقى على حالٍ
وأصبحتُ مقلّاً رهناً لِدلالٍ وإقلالٍ
لئن رحتَ رخيَّ البالِ ذا جاهٍ وذا مالٍ
ومركوبٍ وغاشيةٍ وأكمامٍ وأذيالٍ
فإنكَ حدٌّ أشكالي وأشباهي وأمثالي
بحكمِ الأدبِ العاليِ الحنيفِ المونقِ الحالي
ولكني أنا التالي وأنتَ السابقُ العالي

١ من قول ذي الأصبع العدواني (شرح ابن الأنباري : ٣٢٥ ، المفضلية : ٣١) :

لا يخرج الكره مني غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

٢ وهاك إليه : سقطت من ط .

٣ ط : يوازنه ؛ د : يوارثه .

فكم خيَّمتَ من قلبي بدارٍ منك محلال
وقد كان التلاقي من أمانٍ وآمالي
فلما أنْ تلاقينا على ما قد تصدَّى لي
فلم تبدأ بتسليمٍ ولم تنشط لتسالي
كما يلزمُ أمثالك تأنيساً لأمثالي
تفصّلنا على الحين وكلِّ ذاهلٍ سالي
ولولا طيبُ نفسٍ قلتُ كلُّ شائءٍ قالي
وقد كنّا كما أنتم ولا بأسَ على حال
وقد يُعقَّبُ وادي القوم خصباً بعد إحمال

وكأنّي بك قد قلتَ عند تصفح هذه الرقعة : هذان حمارا العبادي كُسَيْرٌ
وَعَوَيْرٌ ، وكلُّ غير خير^١ ، ثمّ ثنيت بقولهم : « مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ »^٢ ،
وثلثت بقول من يسمع :

سبكناه ونحسبه^٣ بلحينا فأبدى الكبيرُ عن خبث الحديد^٤

فمهلاً : فمن أنباك أني أتشبع بما لا أملك ، فأقول : مَنْ عبدُ الحميد
وابن العميد ، ومن الوليد وابن الوليد ، لاها الله ! ! إني لأربعُ على ظلمي
وأعلمُ قصرَ باعي ، ولا أجهل سقوطَ بضاعتي ، وهل غيرُ ألفاظٍ لفقتها

١ انظر المثل في جمهرة العسكري ٢ : ١٥١ (تحقيق أبو الفضل) والفاخر : ١٧٨ والسان
(دور) ، ومثل المبادي عن حبارين له أيهما أردأ فقال : هذا ثم هذا .

٢ المثل في فصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ والعسكري ٢ : ٢٦٣ (تحقيق أبو الفضل) .
٣ التمثيل والمحاضرة : ٢٨٨ (دون نسبة) .

بمبلغ علمي ، عبرتُ بها عن ذات نفسي ؛ وأما إنْ سُمِّيتني في هذا الباب
مدّأكْ ، ورمّتْ مني ما لا يتعاطاه سواك ، فمن للسُّها بتمام القَمَر ، ومن
للدّادي بأنوار العُشْرَا وأوضاح الغُرَر ؟ ! فأرشدنَا ، أكرمك الله ،
وسدّدنَا ، يرحمك الله .

واقفح علينا من كلامك نفحةً إنْ كانت الأخلاقُ مما توهبُ

وبعد فاني :

أناقشكم ووراءَ النقاش أنفُ العلوّق ورثمانه^٢
وأهجركم هَجَرَ مُستعَبٍ وكم وامقٍ طالَ هجرانهُ

وكُلِّفَ مخاطبةَ عروسٍ فكتبَ رقعةً قال فيها^٣ : الكلفةُ بيننا - أعزّك
الله - جدُّ ساقطةٌ ، والحالُ الجامعةُ لنا في أقصى حدٍّ المؤانسةُ والمباطنةُ ،
فلا نُكسرَ أنْ تَبَثَّ السرُّ المحجَّبُ ، ولا غرّوهُ أنْ نتكاشفَ المغيَّبُ ، واتصل
بي دخولُكَ بعقيلةٍ أترابها ، وببيضةٍ خدرها وربّةٍ محرابها ، تشاطرُكَ نَسْلُكَ ،

١ الدّادي : ليالي أواخر الشهر ، والعشر : ثلاث من ليالي الشهر بعد التسع ، وفي ط د س : ومن
الوادي

٢ أراه أخذه من قول الشاعر (السان : رنم ، والخزانة ٤ : ٤٥٥) :

أم كيف ينفع ما تعطي العلوّق به رثمان أنف إذا ما ضنّ بالبن
والعلوّق التي لا تترأم ولدها ولا تدر عليه ، والرثمان : عطفها ومحبتها ، وهذا البيت
مثل يضرب لكل من يعدّ بلسانه كل جميل ولا يفعله لأن قلبه متطوّل على ضده .

٣ وردت الرسالة في العطاء الجزيل : ١١٢ .

٤ ط د : السحر .

٥ من والعطاء : ولا عجب .

كما شاطرتك أصلك ، التي [١٤٢ ب] لم تكن تصلح إلا لها ولم تكن تصلح إلا لك ، فخذمتك بالنية ، وحضرتك على بعد المشقة وتقاذف الطية ، وسألت الله أن يبارك لك ويبارك عليك ، ويجمع بينكما في خير وعافية ، على أسعد الجدد وأيمن الطير إلى آخر القافية ؛ ثم ترقبت كتابك مؤدعاً من وصف حالك ، ما ينبغي فحواه عن اجتماع شملك ونعمة بالك ، فرايني التواؤه ، وقدرح في نشاطي توقفه وإبطاؤه ، وتسليطت علي الظنون ، وخفت ما عسى أن لا يكون ، وساعني أن أستمطر من الأمل جهاماً ، وأستنصر لدى ذلك العمل كهاماً ، ويحمد صاحبك مُعرداً^٢ عن المناجزة ، [لائذاً بالمحاجة] منقطعاً في موضع الحجج^٣ ، مُبدعاً به^٤ عند مُستقبل^٥ مفرق الطريق ولقَم المنهج :

تريدُ جواً ويريدُ برّاً كأنما أسعطَ شيئاً مرّاً

ثم قلت : لعلّه قد حظي بما جُنِيَ له ، فافتح الحصن الذي نازله قسراً ، وتخلّله كيف شاء مجالاً ومكرّاً^٨ ، وأفضى به انصداعُ ما صدعه إلى

١ ط د : ولا .

٢ ط : ويستنصر .

٣ العطاء : مفرداً .

٤ زيادة من العطاء الجزيل .

٥ ط د : الحج .

٦ مبدع به : مخذول منقطع .

٧ العطاء : عندما استقبل .

٨ ط : وأكدا ؛ د : وكدا ، وأثبت ما في س والعطاء .

التنام ، وانشعابُ ما شَعَبَهُ إلى انتظامٍ والتحامٍ ، وَلَهِيَ^١ بتوابع هذه الحال التي هي أخت^٢ الامرة ، وجامعةُ أفانينِ المسرة ، عن صديقٍ يصله بكتابٍ إليه يعلمه ، وإن يكن ذلك فهناك ، وظَفِرَتْ يداك ، وإن يكن ما عداه ، ويكفي الله ، فمعَ اليومِ غدٌ ، وفي اللَّمَمِ خلالَ ذلك متعلِّلٌ^٣ ، ثم لا يشغل عن الكتابِ جدَلٌ ، ولا يحولُ دونه خَجَلٌ .

جوابها من إنشائه أيضاً^٤ : الكلامُ مأثورٌ ، والإفراطُ في الانبساطِ حِجْرٌ محجورٌ ، وقديماً جَرَّ على أهليه ، وأثار عليهم التقاطعَ من مجاثمه وأبرزه من مطاويه ، فسييل ما وردني الآن كتابك المقتحِمُ هذا الباب المتحامى ، إلاَّ أنَّ ما عولتَ عليه ، وأسندتَ إليه ، من تمكُّنِ الألفة ، وارتفاعِ الكُلْفَةِ ، سوَّغَ بعضَ المغزى . وقد وقفتُ على مَقْطَعِهِ ، وعجبتُ من التفرغِ لمودَعِهِ ، فلئن كنتَ مندراً فليخفَ وَقْعُكَ^٥ ، أو حَذِرْراً على الحقيقة فليُفْرِخْ رَوْعُكَ ، فالحدُّ بحمدِ الله ماضٍ ، وكلا الفريقين راضٍ ، على عُنْفِ التقاضي ، ثم لا بأسَ ولا إبلاسَ لو عَرَّتْ نبوة ، وعَرَّضَتْ^٦ دونَ المرامِ كبوة ، فربما خان الثقاتُ ، في بعضِ الأوقات :

١ س : والتهى .

٢ أخت : سقطت من س .

٣ ط د : متقلد .

٤ وردت في العطاء الجزيل : ١١٣ .

٥ العطاء : فان .

٦ ط : فلخف رقمك .

٧ العطاء : وعدت .

وسيف بني عبيد وقد كان صارماً نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد^١

وأرجع^٢ فأقول بحكم الحال ، وعلى شرط الاستئمان والاسترسال :
لله أخوك ، الذي لا فرق عندك بين ما يعرفه ويعرك ، فلقد افتر عن
بازل ، وجرد عن قاصل^٣ ، ورمى بلا أفوق ناصل ، ولو لقيت أعداءك
بمثل صاحبه مضاء وإقداماً ، وتسرعاً واستقداماً :

طَعَنَتْهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ لَقَتَكَ لَامِينَ عَلَى نَابِلٍ^٤

قال ابن بسام : وينظر من معنى هذا الخطاب والجواب أبيات خاطب بها
بعض أهل عصرنا أحد إخوانه وقد ابنتى بزوجة ، قال فيها ، وضمن
بيت ابن حجاج :

أبا بكر اسمعها وراجع مؤنساً ولو بقسيم أو بمصرع قافيه
فإننا دخلنا بالفتاة ولم يكن هنالك واش غير مسك وغالب
وكنّا رجونا وصل الأسبوع كله لننعم فيه فابتلينا بداهيه
بجيش تهادى فامتنعت لحرمتي فدمعة أيري فوق خصييه جاريه
« إذا لم يكن للأير بخت تعذرت عليه وجوه النيك من كل ناحيه »

١ البيت للفردق يقوله معتزلاً عن نبوضيته حين أمره سليمان بن عبد الملك بقتل أحد الأسرى
(انظر شرح النقاظ : ٣٨٣ - ٣٨٤) وورقاء هو ابن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب
خالد بن جعفر ، وخالد مكب على أبيه زهير ، فلم يصنع سيف ورقاء شيئاً ، وانظر ثمار
القلوب : ٢٢٠ - ٢٢٢ .

٢ س : وأنا أرجع .

٣ ط : فاضل .

٤ البيت لامري القيس (ديوانه : ١٢٠) وروايته : نطنهم .

قال فأجابه الآخر بهذه الأبيات : [١٤٣ أ]

لك الخير لا تعجل ^١ فإنك مُقَمَّرٌ	وفي الليل ما تسريه إن كنت ساريه
طعنت الفتاة البكر طعنةً نائري ^٢	بمثل ذراع البكر شدً بأخيه
حسبت النجيع القانيء اللون حبيضةً	وما كان إلا العود في الحين ثانيه
غدت على شكل تدانت طبقه ^٣	فباعدت من أقطاره المتدانيه
ولو كنت من أهل المساحة لم تدع ^٤	مكسرة أضلاعه المتساويه
ولكن له قطرٌ يقوم مقامه	هو الشكل إلا أنه منه زاويه
وإن لم يكن إلا الذي كان فاتتد ^٥	فإنك باقي عندها وهي باقيه

ومن شعر أبي بكر بن قزمان مما أنشدنيه لنفسه ، قوله^٦ :

ركبوا السيول من الخيول وراكبوا	فوق العوالي السمر زرق نطاف
واستودعوا الخلخل الجداول واصطفوا	بيض الرؤوس من الحجاب الطافي
وتجملوا الغدران من ماذيهم	مرتجةً إلا على الأكتاف

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قلت للعين حين أذرت على الخد دموعاً لا تستفيق^٣ انهما لا
جزعاً من صلود أجور كم حير بالاً وكم جنى بلبالا
لا ترومي مثال ما لن تنالي والمحيه كما رأيت الهللا

١ س : شخوصه .

٢ منها بيتان في القلائد والحريدة ٣ : ٦٦ ؛ والمغرب والنفع .

٣ س : ما تستين .

٤ ط : ان تنالا .

فأجابتْ لقد أحلتَ مثلاً^١ هو أنأى من الهلالِ منلاً
إن بدرَ السماءِ يطلع للأبصارِ مُنسىً ومُصْبِحاً وزوالاً
وإذا ما استسراً أبَ وقد ذابَ اكتئاباً من أن يُغِبَّ وصلاً
وهوَ البدر قد أجدَّ ملالاً واجتناباً كما أجدَّ كمالاً
يتوارى من العيون نهاراً ومع الليل لا يزور خيلاً
وأنشدني له أيضاً :

لا تطمئنَّ إلى أحدٍ وأحذر وشمّر واستعدَّ
فالكلَّ كلبٌ مؤسَدٌ إلا إذا وجدوا أسدَّ

في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مَقَنَا الأشبوني^١

من شعراءِ غربنا المشاهير ، وله شعرٌ يُعْرِبُ عن أدبٍ غزير ، تصرفَ
فيه تصرفَ المطبوعين المجيدين ، في عنفوان شبابه وابتداء حاله ، ثم تراجع
طَبَعُهُ عند اكتهاله .

أخبرني الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الفهري^٢ المقتول بالآشبونة

١ له ترجمة في الجذوة : ٢٦٠ (بنية الملتصم رقم : ١٠٤٤) والمغرب ١ : ٤١٣ والرايات :

٦٢ (٣٣ غ) وأشار في النفع ١ : ٢١٤ إلى مدحه إدريس بن يحيى الحمودي صاحب

مالقة ، وأورد قصيدته التونينية في مدح ادريس ١ : ٤٣٣ وذكر في ٣ : ٢٦٤ اجتماعه

مع ابن الشقاق عند ابن دري بيجان (وانظر أيضاً مسالك الأبصار ١١ : ٤٣٨ وبدائع البدائ :

٣٦٥ - ٣٦٦) وابن الشقاق هذا هو المنفلت ، وقد مرت ترجمته في القسم الأول ص : ٧٥٤ .

٢ قد مرت الإشارة إلى قتله في هذا القسم ص : ٣٧٨ والقسم الثالث ص : ٧٥٤ .

— رفع الله منزلته ، وقتل قَتَلَتَهُ — قال : كان أبو زيد بن مقانا قد انصرف شيخاً إلى وطنه عندنا ، بعد أن جال أقطارَ الأندلس على رؤساء الجزيرة ، قال : فمررت به يوماً بقرية التي تدعى بالقبذاق ^١ من ساحل شِنْترة ^٢ ، ويده مزبرة ^٣ ، فلما رأيته ملت إليه ومال إليّ ، وأخذ ييدي [١٤٣ ب] وجلسنا ننظر في حرّاثٍ يحرثُ بين يديه ، فاستنشدته فأنشدني ارتجالاً لوقته :

أيا عامرَ القبذاقِ لا تخلُ من زرعٍ	ومن بصلٍ نزرٍ وشيءٍ من القرعِ
وإن كنتَ ذا عزمٍ فلا بدَّ من رحيٍّ	سحايةٍ لا تستمدُّ من النبعِ
فما أرضُ قبذاقٍ وإن جادَ عامها	بموفيةٍ عشرين من حزمِ الزرعِ
وإن أنجبتُ شيئاً وزادتُ تواترتُ	إليها خنازيرُ المفاوزِ في جمعِ
بها قلةٌ من كلِّ خيرٍ ونفعةٍ	كقلةٍ ما تدري لديّ من السمعِ
تركتُ الملوكَ الخالعينَ بُرودَهمُ	عليّ وسيري في المواكبِ والنقعِ
وأصبحتُ في قبذاقٍ أحصدُ شوكتها	بمزبرةٍ رعشاءٍ نايبةٍ القطعِ
فإن قيل تهجوها وأنت تحبها	فقلْ إنَّ حبَّ الخُلِّ من شرفِ الطبعِ
وحبُّ أبي بكرٍ المظفرِ قاذي	وإحسانه حتى انصرفتُ إلى ربي

وهذا من الشعر النازل البارد ، عند ما له من القصائد القلائد . ووصف

١ في د : الفيذاق ، وفي ط : القيداق ، الفنداق ، وفي س : القيزان ؛ الميران ، القيدان .

وقد أثبتتها محقق المغرب (١ : ٤١٣) « القبذاق » .

٢ شترة (Cintra) من مدن البرتغال (الروض الماطر رقم : ١٠٢) .

٣ المزبرة : المنجل ، أو المنجل الصغير (ملحق دوزي) .

٤ ط : قلت .

نفسه بقلّة السمع ، لأنه كان كما زعموا كذلك . وهو القاتل من جملة
أبيات :

سمعتُ الكَنَنَكُ^١ يصرُخُ في الربيع على ما بي من الصَّممِ الطبيعي

جملة من شعره في أوصاف شتى

من ذلك من قصيدة في منذر بن يحيى صاحب سرقسطة :

لمن طَلَلُ ^١ دارسٌ باللوى	كحاشية البردِ أو كالردّا
رمادٌ ونؤيٌّ ككُحُلِ العروسِ	ورسمٌ كجسمٍ براهُ الهوى
غداً موسماً لوفود البلى	وراح مراحاً لسرْبِ المها
عجبتُ لطيفِ خيالٍ سرى	من السُدُرِ أنَّى إليَّ اهتدى
وكيف تجاوزَ جَوَزَ ^٢ الحجارِ	وَجَوَزَ ^٢ الخميسِ وسُدَرَ ^٣ المنى
ولم يثْنِه حَرٌّ نارِ الضلوعِ	وبحرُ الدموعِ وريحُ النوى
فذكرَ أيامنا بالعقيقِ	وليلتنا بهضابِ الحمى
وقولي وصيفي بالمنصفينِ	وقد نقشَ ^٣ الصبحُ ثوبَ الدجى
أسرَبُ العذارى بسقطِ اللوى	مشى الخيزلى أم نجومُ السما
برزنَ لنا عاطراتِ الجيوبِ	ينازِعنَ في الحُسْنِ شمسَ الضحى

١ لعله يريد الكنكلة وهي آلة موسيقية (ملحق دوزي) ، أو الجنك (وجيمه وكافه ججيتان)
ويطلق على الدف الذي يضرب به ، ثم عرب بالهيم والكاف المربيتين ، وفي س : الكد .

٢ س : حوز البحار وحوز .

٣ ط : نفش ؛ س : نفس .

خماصَ البطون مراضَ الجفون
لدانَ القلود حسانَ الخلود
عذابَ الثغور لطافَ الخصور
مشينَ الهوينا ووادي الخزامى
فما زلنَ يرفلنَ حتى إذا
أقمنَ الشعورَ مقامَ الرُدا
صغارَ النهود طوالَ الطلى
خفافَ الصدور ثقالَ الخطى
يودُ من البشرِ أنْ لو مشى
عقدنَ لواءَ الهوى باللوى

وفيها يقول :

وقد أغتدي في سبيل العلا
ييم بذي همه نازح
كانَ فؤادي بوادي الغضا
كانَ عقائلَ برقي^٢ الدجى
ويهدأ طوراً كغمزِ العيونِ
إذا قلقلَ الرعدُ من فوقه^٣
كانَ السحابَ في سَيْرِها
نجيبُ نجيبَ إذا استصْرِختْ
فتى يقرعُ النبعَ بالنبعِ لا
لو الفلكُ انخرَ من فوقه
حَمولٌ لأعباءِ هذا الزمانِ
بذي مَيْعَةٍ من نِتاحِ الصبا [١٤٤]
براه السرى مثلَ بري الظبا^١
وقلبَ الدليلِ جناحُ القطا
خلالَ الحبيِّ بريقُ الظبا
فيلتاعُ من لوعتي ما هذا
تقلقلَ قلبي له والحشا
بنودُ المظفرِ يومَ الوغى
وفارسُها البطلُ المنتقى
جبانَ الجنانِ ولا مزدهى
عليه بأقطاره ما شكا
ولا يرهبُ الموتَ عندَ اللقا

١ سقط البيت من ط د .

٢ د : بدر .

٣ س : في برقه .

إذا سار يحيى إلى غارة فويل* لأعدائه أينما
يحيشون : جيش يهدئ الرئي وجيش يظلمه في هوا
مطاعمها من شغاف القلوب ومشرّبها من نجيع الدما
إليك ابن منذر المنتقمى قرعت يد الخطب قرع العصا
فقال مناديك لي مرحباً وقالت أياديك لي حبذا
دعوت فأسمعت بالمرهفات صم الأعداي وصم الصفا
وشمت سيوفك في جلق فشامت خراسان منها الحيا

قال ابن بسام : جلق واد بشرق الأندلس ، فكذبة أبي زيد في هذا
البيت أشنع من كذبة مهلهل في قوله ٢ :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تفرع بالذكور

وخرج أبو زيد يوماً من بلنسية إلى طرطوشة ليلقى صاحبها مقاتلاً^٣ الفتي ،
فلما ورد عليها ، منع الجواز ، فكتب إلى مقاتل :

إن كان واديك نبلاً لا يُجاز به فما لنا قد حُرِمنا النبل والنبل
إن كان ذنبي خروجي من بلنسية فما كفرت ولا بدلتُ تبديلاً
« هي المقادير تجري في أعنتها » ليقضي الله أمراً كان مفعولاً

١ ط : واينما .

٢ الأغاني ٥ : ٣٥ .

٣ ط د : مقاتل ، ومقاتل خلف لبيباً الفتي في رياضة طرطوشة وتسمى بسيف الملة ، وكان عنده
من المال والكتاب ما لم يكن عند غيره ؛ ولما توفي ولي طرطوشة الفتي نبيل ، وفي سنة ٤٥٢
خرج عنها وأسلمها للمقتدر بن هود (البيان المغرب ٣ : ٢٢٤ . ٢٥٠) .

وله القصيدة المشهورة في ابن حمود يتداول القوالون أكثر أبياتها ، لعذوبة ألفاظها وسلاستها وهي التي أولها ^١ :

أَلْبَرَقِ لَانِحٍ مِنْ أَنْدَرِينَ	ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ ^٢ الْمَعِينِ
لَعَبْتُ أَسْيَافَهُ عَارِيَةً	كَمْخَارِيقَ بِأَيْدِي اللَّاعِبِينَ
وَلَصُوتِ الرِّعْدِ زَجْرٌ وَحِينِ	وَلِقَلْبِي زَفَرَاتٌ وَأَنْيَسِ
وَأُنَادِي ^٣ فِي الدُّجَى عَاذِلِي	وَبِكَ لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ
عَيَّرْتَنِي بِسِقَامٍ وَضَنَى	إِنَّ هَدِين لَزَيْنُ الْعَاشِقِينَ

ومنها : [١٤٤ ب]

قَدْ بَدَأَ لِي وَضَحُ الصَّبْحِ الْمُبِينِ	فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ تَكْبِيرِ الْأَذِينِ
سَقْنِيهَا مَرَّةً صَافِيَةً	عُتِّمَتْ ^٤ فِي دَنْهَا بَضْعَ سَنِينَ
نَثَرَ الْمَرْجُ عَلَى مَفْرَقِهَا	دُرَرًا عَامَتْ فَعَادَتْ كَالْبُرِينِ
مَعَ فَتْيَانٍ كَرَامٍ نَجُوبِ	يَتَهَادَوْنَ رِيَّاحِينَ الْمَجُونِ
وَعَلَيْهِمْ زَاجِرٌ مِنْ حِلْمِهِمْ	وَلَدَيْهِمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنِ
شَرَبُوا الرَّاحَ عَلَى خَدِّ قَي ^٥	نَوَّرَ الْوَرْدُ بِهِ الْيَاسْمِينَ

١ انظر أبياتاً منها في النفع ١ : ٤٣٣ والمغرب والمسالك والرايات ومنها بيتان في الوافي

للرندي : ١١٠ .

٢ المغرب : بالدمع .

٣ النفع : وأناجي .

٤ النفع والمغرب : مشمولة لبث .

٥ سقط هذا البيت من س .

٦ المغرب والنفع والرايات : رشا .

رَجَلَتْ دَابَّتُهُ^١ عَامِدَةً
 لَوَتْ الصُّدْعَ عَلَى حَاجِبِهِ
 فَرَى غَصْنًا عَلَى دِعْصٍ نَقًا
 وَيُسْقَوْنَ إِذَا مَا شَرَبُوا
 وَمَصَابِيحُ الدَّجَى قَدْ أَطْفَأَتْ
 وَكَأَنَّ الطَّلَّ مَسْكٌ فِي الثَّرَى
 وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسِهِ
 وَالثَّرِيَّا قَدْ عَكَتْ فِي أَفْقِهَا^٢
 وَانْبَرَى جُنْحُ الدَّجَى عَنْ أَفْقِهِ^٣
 وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ
 وَجْهَهُ لِإِدْرِيسَ بْنِ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
 خَطًّا بِالسَّكِّ عَلَى أَبْوَابِهِ
 وَيَنَادِي الْجُودُ فِي آفَاقِهِ
 مَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
 وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَابِتُهُ^٤
 وَإِذَا أَشْكَلَ خَطْبُ مُعْضِلٍ^٥
 وَإِذَا زَاهَنَ فِي السَّبْقِ أَتَى

سَبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الْجَبِينِ
 ضَمَّةَ اللَّامِ عَلَى عَطْفَةِ نُونٍ
 وَتَرَى لَيْلًا^٢ عَلَى صُبْحِ مَبِينٍ
 بِأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
 فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونٍ
 وَكَأَنَّ النَّوَرَ^٣ دُرٌّ فِي الْغُصُونِ
 كَدَمُوعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجَفُونِ
 كَقَضِيبِ زَاهِرٍ مِنْ يَاسْمِينٍ
 كَغَرَابٍ طَارَ عَنْ بَيْضِ كَنِينٍ
 فَانْتَشَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاظِرِينَ
 بَنَ حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
 يَتَمَوَّأُ قَصْرَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
 خَاشِعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِيْ جَبْرَتَيْنِ
 صَدَعَ الشَّكَّ بِمَصْبَاحِ الْيَقِينِ
 وَيُؤْمِنَاهُ^٥ أَوَاءُ السَّابِقِينَ

١ المغرب : داباته ، الرايات : وجلت آياته (وهو خطأ) .

٢ الرايات : قانثي . . . وبدا ليل .

٣ النفع : الطل .

٤ الرايات : هزت من أفقها .

٥ الرايات : صبحه .

يا بني أحمد يا خير الوري لأبيكم كان رفد^١ المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبي في الدجى فوقهم^٢ الروح الأمين
خلقوا من ماء عدل وتقى^٣ وجميع الناس من ماء وطن
انظرونا نقبس^٤ من نوركم لأنه من نور رب العالمين

قوله : « والندى يقطر من نرجسه » . . . البيت ، أخذه من قول ابن
الرومي ، ونقص منه وقصّر عنه حيث يقول^٥ :

كأنّ تلك الدموع قَطُرُ ندى يقطرُ من نرجسٍ على ورد

وقوله : « وانبرى جنح الدجى » . . . البيت ، مأخوذ من قول يزيد
ابن الطّرية^٦ حين خلق أخوه لمتته فقال^٧ : [١٤٥ أ]

وغودِرَ رأسي كالصُّخيرةِ أشرفتَ عليها عقابٌ ثم طارت عِقَابُهَا

وقوله : « وإذا ما رفعت رأيته » . . . البيت ، حسد ابن هانيء في
هذيانه ، وتقيّله^٨ حيث يقول في خذلانه^٩ :

١ النفع : وفد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٧٦٧ والمختار : ٢٤٥ وزهر الآداب : ٥٣٠ .

٣ هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن عامر بن صمصة يعرف بابن الطّرية ، كان شاعراً مطبوعاً
من شعراء العصر الأموي ، وقد جمع شعره أبو الفرج الأصفهاني والطوسي ، وقتل مع الوليد
بن يزيد سنة ١٢٦ (ابن خلكان ٦ : ٣٦٧ والشعر والشعراء ٣٤٠ والأغاني ٨ : ١٥٧
والسمط : ١٠٣) .

٤ الأغاني ٨ : ١٨١ .

٥ ديوان ابن هانيء : ١١٩ .

أَمْدِيرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَطَالَمَا زَا حَمَتَ تَحْتَ رَكَابِهِ جَبْرِيلاً

وقوله في صفة الثريا : « كقضيبي زاهري من ياسمين » من أحسن ما سمعته في تشبيه الثريا مجرداً ، وإن كان قد تقدّم في تقسيم التشبيه وأحسن ما شاء فيه حيث يقول :

فِي الْغَرْبِ كَأَسُّ وَفِي مَطَالِعِهَا قُرْطٌ وَفِي أَوْسَطِ السَّمَاءِ قَدَمٌ
وَقَدْ قَالَ النَّاسُ فِي الثَّرِيَا فَأَكْثَرُوا ، وَأَوَّلُ مَنْ سَمِعَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَلِكُ
الضَّلِيلُ ، حَيْثُ يَقُولُ ^١ :

إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوَشَاحِ الْمَفْصَلُ
وَقَدْ قِيلَ : إِنْ الثَّرِيَا لَا تَتَعَرَّضُ ، وَإِنَّمَا تَتَعَرَّضُ الْجُوزَاءُ ، وَلَمْ تَتَّزِنْ
لَهُ ، أَوْ وَهَيْمَ ، وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ ^٢ :

قَطَعْتُ اعْتِسَافاً وَالثَّرِيَا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابْنُ مَاءٍ مَحْلَقٌ
وَقَالَ أَيْضاً ^٣ :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقِ الثَّرِيَا فِي مُلَاءَتِهِ الْفَجْرُ

١ ديوانه : ١٤ ومعاني العسكري ١ : ٣٣٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ٤ والأزمنة والأمكنة

٢ : ٢٣٤ .

٢ ديوانه ١ : ٤٩٠ والأنواء : ٤٠ والأزمنة والأمكنة ٢ : ٢٣٤ واللسان (عسف - حلق)
وتشبيهات ابن أبي عون : ٥ .

٣ ديوان ذي الرمة ١ : ٥٦١ وزهر الآداب : ٩٧٨ والأنواء : ٣٠ .

وقال التهامي^١ :

وللثريا ركودٌ فوق أرحلينا كأنها قطعةٌ من فروةِ النمرِ

وقال محمد بن هاني^٢ :

وولتْ نجومٌ للثريا كأنها خواتمٌ تبدو في بنانٍ يدٍ تخفى

وكرر هذا التشبيه في موضع آخر فقال^٣ :

وحتى أرى الجوزاء تنثرُ عقدها وتسقطُ من كفِّ الثريا الخواتمُ

وقال آخر :

إلى أن تولتْ والثريا كأنها على حلّةٍ زرقاء جيبٌ مدنّرُ

وقال ابن المعتز^٤ :

وكانَ البدرُ لما لاح من تحتِ الثريا
ملكٌ أقبلَ في تا جٍ يفدى ويحيّا

وقال المعري^٥ :

١ ديوان التهامي : ٤٢ .

٢ ديوان ابن هاني : ٢٣٩ .

٣ ديوان ابن هاني : ٢٨٨ .

٤ ديوان ابن المعتز : ٣ : ١٢٣ والأوراق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٥ شروح السقط : ٢١٤ - ٢١٥ .

وقد بسطت إلى الأرض^١ الثريا يداً غلقت بأنمائها الرهان^٢
كان يمينها^٣ سرتك شيئاً ومقطوعاً على السرّ السرق البنان

ومما قيل في ذكر الثريا ، وإن لم يكن فيه صفة تشبيه ، قول الآخر^٤ :

خليلي إني للثريا لحاسدٌ وإني على ريب الزمان لواجدٌ
أبجمع منها شملها وهي سبعة وأفقد من أحبته وهو واحد

وقال المعري^٥ :

والثريا رهينة بافتراق^٦ الشمل حتى تُعدّ في الأفراد

ولأبي زيد بن مقانا ، مما يتعلق بذكر الثريا من جملة قصيدة في مجاهد
العامري ، قال فيها^٧ :

ولما سقّتنا من أبريقها^٧ لثنا يدّينا وخلخالها
وبتنا وباتت على ساقها تصفّق للشرب جريالها
كان نجوم الدجى روضة تجرّ بها السحب أذيالها
كان الثريا بها راية يقود الموقّ أبطالها

١ شروح السقط : الغرب .

٢ شروح السقط : يداً لها .

٣ هو لابن طباطبا في اليتيمة ١ : ٤٢٩ وانظر سرور النفس : ١٣٩ وشروح السقط : ١٠٠١

٤ شروح السقط : ١٠٠١ .

٥ شروح السقط : باجتماع .

٦ المسالك ١١ : ٤٤٠ .

٧ س و المسالك : يابريقها .

في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني^١

قال ابن بسّام : وكان يعرف عندنا بالطيطل ، ممّن نظم الدرّ المفصّل ، لا سيما في الزهد ، فإن أهل أوانه ، كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه .

أنشدني الوزير الفقيه أبو عبد الله بن إبراهيم [١٤٥ ب] قال : أنشدني أبو الحسن الطيطل لنفسه يصف نملة^٢ :

و ذاتِ كشحٍ أهيفٍ شَخَتِ	كأنّما بولغَ في النحتِ
زنجيةٌ تحملُ أقواتها	في مثلِ حدّدي طَرْفِ الجفّت ^٣
كأنّما آخرها قطرةٌ	صغيرةٌ من قاطرِ الزفتِ
أو نقطةٌ جامدةٌ خلفها	قد سَقَطَتْ من قلمِ المقي
تسري اعتسافاً ولقد تهتدي	في ظلّمةِ الليلِ إلى الخُرّت ^٤
تشدُّ في الأرضِ على أرجلِ	كشعرةِ المخدّجِ في النبتِ
تشهدُ أنّ الله خلّاقُها	رازقُها في ذلك السّمتِ

١ أشبوني شقباني الأصل ، قرأ العلم بقرطبة وأخذ عن طائفة من علمائها وأكثر من حفظ الآداب والأشعار حتّى يقال إنه حفظ شعر عشرين امرأة ، وكان مشاركاً في الحديث والفقه ، ثم مال إلى النسك والتقشف ونظم أشعاراً في الزهد ، واتخذ لنفسه رابطة في رقعة من جنة على بحيرة شقبان عرفت برابطة الطيطل ولزم بها العبادة إلى أن توفي (انظر الذيل والتكملة ٥ : ١٩٥ والجلوة : ٢٩٤ وفيها « الطيطن » والبنية رقم : ١٢١٢ والمساك ١١ : ٤٤٠) .

٢ الجلوة والبنية والذيل والتكملة ٥ : ١٩٦ والمساك .

٣ الجفّت : قشرة رقيقة تكون بين اللب والقشر في البلوط (تحفة الأحياب : ١٣ وأمثال الزجاجي رقم : ٢١٣٠) .

٤ الخرت : ثقب الابرة .

سبحان مَنْ يَعْلَمُ تَسْيِيحَهَا
فَنَسَبَتِي مِنْهَا لِقَرْطِ الضُّنَى
كَلَّا وَلَوْ حَاوَلْتُ مِنْ رَقَّةٍ
أَرْقَ مِنْ هَذَا وَأَضْنَى ضُنًى
لَكِنَّ نَفْسِي وَاعْتَلَا هَمِّي

وهذا من قول المتنبي^٢ :

وعزمة^٣ بعثتها همّة^١ زُحَلْ

وأشدني أيضاً له في الزهد :

يا غافلاً شأْنُهُ الرِّقَادُ
والموتُ يرعاك كلَّ حينٍ
فهيَّ زَاداً وزد مزاداً
إِذ سَقَرُ الموتِ فِيهِ شَحْطُ
ما حالُ سَقَرٍ بغيرِ زادٍ
ضَمَرُ جِوَادٍ لِيَوْمٍ سَبَقِ
أينَ فلانٌ وكمَ فلانٍ
لا تَبِغْ دُنْيَا فلانٍ عَنْهَا
فابْنِ لها بالتقي بروجاً

كأنما غيرك المرادُ
فكيف لم يَجْفُكَ المهَادُ
فقد طوى عَمْرَكَ النِّفَادُ
والقربُ منه هو البَعَادُ
والأَرْضُ قَفْرٌ ولا مَزَادُ
لِثَلَّةٍ يُرْفَعُ الجِوَادُ
قد غَيَّبُوا فِي الثَّرَى فَبَادُوا
أَلْمُؤْمِنُ الْمُتَّقِي يَنَادُ
تَأْمَنُ إِذَا رُوعَ العِبَادُ

١ الكت : الإحصاء ؛ ط د س : كفت .

٢ ديوان المتنبي : ٢٦٥ .

٣ الديوان : بمكان .

واعتبر الأرضَ كيف مُدَّتْ فهي لهذا الوري مهاد
ثم السماء التي أَظَلَّتْ قد رُفِعَتْ ما لها عماد
كما بناها يبني سواها كما بدانا كذا نُعاد

في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن الين^١

أحد الشعراء المجيدين - كان - بحضرة بطليوس ، مستظرف الألفاظ والمعاني ، وكان يميل إلى طريقة محمد بن هاني ، على أن أكثر أهل وقتنا وجمهور شعراء عصرنا ، إليها يذهبون ، وعلى قلبه وجدتهم يضربون ، ومن أحسن شعر أبي عبد الله قصائده التي على حروف المعجم ، في أبي الأصمغ بن المنخر أيام استوزره المنصور يحيى بن المظفر ، [١٤٦ أ] ووصله عليها بمائة مقال .

فصل له من نثر جعله مقدم^٢ تصنيفه ، وصدر تأليفه

قال فيه : وما اختصاصته بالثناء تشيعاً للاخاء ، ولكن لما قلتُ فيه :
تشيعتُ فيه للحقائق والعلا وما أنا فيه للهي متشيعُ
ولقولي فيه^٣ :

١ له ترجمة في المغرب ١ : ٣٧٠ ورايات المبرزين : ٦٠ (٣١ غ) وذكر في النفع ٣ : ٤٥٣

وانظر المسالك ١١ : ٤٤٠

٢ نثر ... مقدم : سقط من ط د .

٣ المسالك ١١ : ٤٤١ .

لم أرضَ إلا فيه نظمَ بدائعٍ حسدتهُ في منظومها الأمراءُ
 مالت إليه بها حقائقُ سُوددٍ لا كالذي مالتُ به الأهواءُ
 أهلُ المدائحِ سالكُ في منهجٍ سلكتُ به من قبله الآباءُ
 ولما قال أبو الطيب^١ :

أحبُّكَ يا شمسَ الزمانِ وبدرهُ وإن لأمني فيك السُّها والفراقدُ
 وذلك لأن الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأن العيشَ عندك باردُ
 فإيه أبا الأصبعِ ، وفدتُ عليك ، وصرْتُ إليك ، وإن كنتُ قد أهديتُ
 التمرَ إلى هَجَرَ ، وحاسنتُ بقباحي القمرِ ، فقد تُمطرُ الدأماءُ^٢ ، وللشاكِرِ
 على الله ثناء .

ومن تلك القصائدِ قصيدةٌ مهموزةٌ أولها^٣ :

هل في الغمامِ الغادةِ الحسناءُ أسرَتْ عليها الكَلَّةُ الخضرَاءُ
 يقول فيها :

أسرى بها الغَيْرانُ في أفقِ الدجى فتضوَّعتْ عن عَرفها الأنواءُ
 هل كان يطعمُ بالسُّرى في خفيةٍ ما للبدورِ إذا سرَّين خفاءُ
 كيف الخفاءُ^٤ وللشروقِ مجامرٌ في جانبِكِ وللنسيمِ كباءُ

١ ط د : قوله .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٤ .

٣ الدأماء : البحر ؛ ط د : الدماء .

٤ منها أبيات في المسالك .

٥ المسالك : النجاء .

يا ربّة الخدر التي أضللتها
لم كان والدك الطويلُ نجادهُ
أشبهته في فتكه يوم الوغى
وكما حكيت البأسَ فاحكيه الندى
أخفى السرى وأذاعه إشراقهُ
وكأنّه عيسى يكتّمُ جودة
نشرت محاسنه قصائد جمّة
أقصائدي جوبي البلاد بذكره
أمّي النجوم فخبّري عن مجده

وله فيه من أخرى أولها :

أني كليل الأظعان غزلان رملة
ولمّا تولّت بالجمال جمالهم
بؤادي الكرى لاقيتها وهي عاطل
إذا نسّمت ريح الصبا في جنابها
وإن وردت ماء الفرات فلأنها

وهذا كقول أبي الطيب^١ :

أومّا وجدتم في الشراب^٢ ملوحة

يوم النوى وعليها الأحشاء
ليثاً وأنت الظبية الغفراء
والسمهرية عيشك النجلاء
فيسرى لديك كما لديه حباء
فالأرض منه منيرة زهراء
فيشيعه منّا عليه ثناء
ملئت بها الخضراء والغبراء
وعليك من نور الفخار رداء
فله هنالك في العلا نظراء

أم احتملت فيها جاذر وجرة
تولى جميل الصبر يوم تولّت
فأرسلت دُرّ العين حين تجلّت [١٤٦ب]
ستعرف في أنفاسها حرّ لوعي
ستُنكِرُ في سلسالها طعم عبرتي

مما أرقق في الفرات دموعي

١ ديوان المتنبي : ٣٤ .

٢ الديوان : الصراة .

وقال مهيار الديلمي^١ :

بكيتُ على الوادي فحرمتُ ماءَهُ وكيف يحلُّ الماءُ أكثرُهُ دَمُ

وقال ابن البين من أخرى^٢ :

غَصَبُوا الصَّبَاحَ فَقَسَمُوهُ خُدُودَا واسترهبوا^٣ قُضْبَ الأَرَكِ قُدُودَا
ورأوا حَصَى الياقوتِ دونَ محلِّهم فاستبدلوا منه النجومَ عقودَا
واستودعوا حَدَقَ المِهَا أَجْفَانَهُمْ فسبوا بهنَّ ضراغماً وأسودَا
لم يكفِ أنْ خلفوا^٤ الأسنَّةَ والظبَا حتَّى استنابوا^٥ أَعْيُنَا وخدودَا
وتضافروا بصفائرٍ أبدوا لنا ضوءَ النهارِ بليلها معقودَا

ومنها :

صاغوا الثغورَ من الأَقَاحِ^٦ بينها ماءُ الحَيَاةِ لو اغتدى مورودَا

ومن المدح :

أبني السيوفِ المشرِفَةِ نجدةً وبني^٧ السحابِ المستهَلَّةِ جودَا

١ تجيء ترجمة مهيار في القسم الرابع من الذخيرة ، وانظر ديوانه ٣ : ٣٤٤ .

٢ وردت الأبيات في المغرب والنفع والمسالك .

٣ المغرب والمسالك : واستوهبوا ، النفع : واستنهبوا .

٤ المغرب : ان سلبوا ؛ النفع : لم يكفهم حمل ، المسالك : أن جلبوا .

٥ المغرب والمسالك : استعانوا ؛ النفع : استعاروا .

٦ س : الأَقَاحي .

٧ ط د : أثنى . . . وثنى .

الدهرُ عندكمُ طريفٌ مُحدثٌ وفخاركم ما زالَ فيه تليدا
عطرتمُ نَفْسَ الزمانِ فأصبحت آثاركمُ في الجيدِ^١ منه عقودا

في ذكر ذي الوزارتين أبي محمد بن هود^٢

كانت قد أراحتهُ عن حضرة أسرته سرقسطة ، أسبابٌ غابَ عني
شرحها ، فتجولَ على رؤساء أفقنا ، واتخذ آخر أمره حضرة بطليوس
وطناً ، فرحبَ به المتوكلُ فأواه ، وأجزل قراه ، وولاه مدينة الأشبونة ،
ثم صرفه عنها ، وصدرَ محمودَ السيرة منها ، وكان ممن تندرُ له الأبياتُ ،
وتستظرف له بعضُ المقطوعات ، كقوله وقد سئل عما اكتسبه في ولايته ،
فقال^٣ :

وسائلٍ ليَ لَمَّا	صدرتُ عماً وليتُ
ما نلتَ ؟ قلت : ثناءً	يبقى معي ما بقيت
وإن أمتُ كان بعدي	مخلداً لا يموت
عفتُ الفضولَ لعلمي	أن ليس يُعْدمُ قوت
وصنتُ قدرِي منها	تجملًا فغنيت

١ المسالك : للعطف .

٢ الأمير أبو محمد بن هود وإسمه عبدالله (وقال ابن الأبار : لم أقف على اسمه ، الحلقة : ١٦٥)
نفاه ابن عمه المقتدر عن الثغر (سرقسطة) فقصده طليطلة حضرة ابن ذي النون ثم مل الإقامة
هناك ، فجعل يضطرب ما بين ملوك الطوائف إلى أن استقر عند المتوكل ابن الأفطس (المغرب
٢ : ٤٣٩) ثم ولاه المتوكل الأشبونة (المغرب ١ : ٤١١) ثم صرف عنها محمود السيرة
(وانظر المسالك ١١ : ٤٤١ ، والحلة ٢ : ١٦٥ - ١٦٦) .

٣ الحلقة : ١٦٦ .

وهو القاتل وقد خرج عن سرقسطة ^١ :

ضللتكم جميعاً يالَ هودٍ عن الهدى وضيعتُمُ الرأيَ الموفقَ أجمعاً
وشتُمُ يمينَ الملكِ بيَ فقطعتُمُ بأيديكمُ منها وبالغدِرِ إصبعاً
وما أنا إلاَّ الشمسُ غيرُ ^٢ غياهِبٍ دَجَتْ فأبَتْ لي أن أنيرَ وأسطعاً
وإن طلعتُ تلكَ البدورُ أهْلَةً فلم يبقَ إلاَّ أن أغيبَ وأطعاً
فلا تقطعوا الأسبابَ بيني وبينكم فأنفكمُ منكمُ وإن كانَ أجدعاً ^٣

واحترق له بيت أيام مقامه بطليطلة ، فقال ^٤ : [١٤٧ أ]

تركتُ محليَ جنةً فوجدتها ^٥ على حُكْمِ أيدي الحادثاتِ جهنماً
لتصطنعُ ^٦ الأيامُ ما شئتُ آخرأ فما صنعتُ بي أولاً كان أعظماً

وأشدت له مما نقش على رثاسِ سيفٍ للمتوكل ، وأخبر عنه ^٧ :

لا تخشَ ضيماً ولا تُمنسَ ^٨ أخا فرق إذا رثاسيَ في يُمْنِي يدبكَ بقي
أصبحتُ أمضى من الحينِ المتاحِ فصلٌ على الكماةِ وبني عند الوغى فثقي
لولا فتورٌ بالحاظِ الظباءِ إذن لقلتُ إني أمضى من ظُبَا الحديق

١ انظر المغرب والمساك والحلة .

٢ المغرب : عند .

٣ هو من المثل : أنفك منك وإن كان أجدع .

٤ الحلة ٢ : ١٦٦ .

٥ الحلة : فوجدته .

٦ الحلة : لتصنع بي .

٧ هي في الحلة ومعه بيتان في المساك .

٨ الحلة : تصبح .

ويتطَرَّفُ هذا المعنى قولَ ابنِ شرف^١ :

لم يبقَ للظلمِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغيدِ من حورِ

ولابنِ هود في المتوكل أيام سلطانه بيابرة^٢ :

يا خائفَ الدهرِ يممٌ أرضَ يابرةٍ تأمنٌ وتكفى الذي تخشى من الحذرِ
وواصفَ البحرِ في شتى عجائبه حدثٌ بلا حرجٍ عنه وعن عمرِ
وكم سمعنا قديماً عن مكارمه حتى رأينا فأزرى الخبرُ بالخبرِ

في ذكر الشيخ الأديب أبي عمر فتح بن برلوصة البطليوسي^٣

من نبهاء العصر المقلّين في الشعر ، إلا أن أبياته نواذر سوائر ، وهو
القائل في ابن برد^٤ :

إن ابنَ بردٍ لفتىٌ ماجدٌ ونفسُهُ بالجوْدِ مفتونةٌ
مددَتْ كفتي نحو بلْوَطةٍ فقال : دَعْنَهَا وَخُذِ التَّيْنَةَ

وأنشدت له :

وشادنٍ طلبَتْهُ مقلتي بدمي فأطلعتُ ليَ في خديته منه أثرُ

١ قد مر في ما تقدم ص : ١٥٨

٢ منها بيتان في الحلقة ٢ : ١٦٦ أكثرهما مطموس .

٣ انظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ .

٤ أوردهما في المسالك .

وقام بين يديه الخالُ يعذرني وقد تعمَّم بالاظلام^١ فوق قمر
كأنما حلَّ جيشُ الحسنِ صفَّحتَه وكرَّ لليلِ فيه فارسُ فأسر

وأخبرني غيرُ واحدٍ من أدباء عصرنا ، قال : دخل لمةٌ من الأدباء
دارَ الأديب أبي مروان بن الصيقل اليابري ، فرأوا في بيته سيفاً معلّقاً ،
فقالوا له : أيُّ شيءٍ تصنعُ بهذا السيف ؟ فقال : أعددتُه للمخانيثِ العتاةِ
نظرائِكُمْ ، فاهتبل بعضهم غرَّتَه حتى أخذ السيفَ ، ثم قاموا به عليه
وقالوا : والله لنقتلَنَّك أو نكتبَ لنا كتاباً بخطِّ يدك ، يتضمَّنُ أنا هتكنا
حريمك ، وعَجَمْنَا ميمك ؛ ولما رأى الجِدَّ . ولم يجدْ من بُدَّ : كتب
لهم بذلك خطّاً اليد ، فخاطب أبو عمر هذا بهذه الأبيات بعض^٢ إخوانه :

زُرْنَا أبا مروانَ شيخَ المجون ^١	ونحن لاندري سوى الظَّرفِ دين ^٢
فقام يدعونا إلى نَفْسِهِ	بدمع ^٣ جارٍ وصوتِ حنين
قلنا له قد يرفع الدهر من	آهِ وندريك رفيق ^٤ اللدين
وممكن أن تتناسى ^٥ لنا	ذلك أو تُلفي من الجاحدين
اكتبْ لإخوانك رفقاً بهم	صكاً بما عندك يستظهرون [١٤٧ب]
فإذ قضانا صكَّنا وانحنى	قمنا على منبره منشدين
سبحانَ مَنْ سخرَ هذا لنا	منه وما كُنَّا له مُقرَّنين

١ ط : بالإطلال .

٢ س : أحد .

٣ ط : بدمع .

٤ ط د : فقلنا .

٥ د : رفيق .

٦ ط : تناسى .

فقال أبو مروان بن الصيقل في ذلك :

يا رَبِّ مفعولين قالوا أعطنا خطاً يد في أننا فاعلون
قلتُ لهم خطي مباحٌ لكم أكتبُ فيه كلَّ ما ترغبون
فَمَنْ رأى الخطَّ الذي همُّ به قبلَ اشتهاهِ الأمرِ مستظهرون
يشهدُ بأن الخطَّ واللفظَ لي وأنَّهم في قولهم يكذبون

وانتهت الأبيات إلى الفقيه أبي عبد الله^١ بن القلاّس فكتب إلى ابن الصيقل
بأبيات منها :

قل لأبي مروانَ شيخَ المجون شاعر ذا العصرِ العزيزِ القرين
قال ابن فتحٍ إنه كان قد ولم يقلْ أكثرَ للمخبرين
وقد حكى أنْ له شاهدي عدلٍ على ذاك من الصالحين
فإن يكن حقاً فلا تكتب إبليس جانٍ مثلَ ذا كلِّ حين
فالعزم أن تقصده ضارِعاً إليه سِراً فعساه يلين
واسأله أن يسترَ ما جاءه فان أبي فاجحدْ وزِدْه يمين

فأجابه ابن الصيقل بأبيات منها :

أهكذا يفعلُه الصالحون تقبل أيماناً من الفاسقين ؟ !
لا تعتقدُ من شاعرٍ لفظَةً ولو غدا من أزهدِ الزاهدين
يريد أن يُخفيَ صباحاً وهل يخفى سنا الصبحِ على الناظرين
إن كان غرَّتْكَ يمينٌ له واحدةٌ خُذْني بألفي يمين

١ س : أبي عمر .

في ذكر الأديب أبي عمر يوسف بن كوثر الشنتريني^١

أنشدت له من كلمة أولها :

ألا لا يُفْنَدُ عاشقاً مَنْ له ذِهْنُ فوالله لولا العشق ما عُرِفَ الحسنُ

ومنها في أحد تلامذ عصره^٢ :

مررت به يوماً يغازل مثلهُ وهذا على ذا بالملاحه يَمْتَنُ
فقلتُ اجمعا بالوصلِ رأيكما فما لمثلكما كان التغزلُ والمجنُ
عسى الصبُّ يقضي اللهُ بينكما له بخيرٍ فقالا لي اشتهى العسلَ السمنُ
فجاءهما دُبٌّ فأحرزَ ذا وذا وما لامرئٍ من ريبِ أيَّامِهِ أَمْنُ

وأنشدت له في كلمة أولها :

حِلٌّ لسيوفِ الحبِّ دمي ما مثلي منه بمحترمٍ^٣
وفؤادي فيه يساعفها^٤ ويربها اللذة بالآلم [١٤٨ أ]
فمتى لحظتُ بشراً^٥ حسناً تلتذُّ بصورته تهم^٦

١ ذكره في النفع ٣ : ٤٥٨ وأورد له ثلاثة أبيات ، وفي المسالك ١١ : ٤٤٢ وأورد له بيتاً واحداً .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع .

٣ ط د : محترم .

٤ د س : يساعدها .

٥ د : شيئاً .

٦ ط د : يلتذ . . . بهم .

يا أملح معشوق نعتاً واسماً فلنعتك أنت سمي
شعشع بوصالك كأس دلا لك تطف بذلك من ضرمي

في ذكر الأديب أبي الوليد المعروف بالنحلي^١

كان باقة^٢ دهره ، ونادرة عصره ، ولم يصدّ دراهم ملوك عصرنا
إلاّ بجرّ النادرة والتوقيع ، وقد اندرجت له عدّة مقطوعات في تضاعيف
هذا المجموع ، وكان يضحك من حَضَر ، ولا يكاد يتبسّم هو إذا ندّر ،
وهو القائل يصف طلوع الشمس ومقابلة القمر لها :

أما ترى الشمس وهي طالعة تمنع عنها إدامة النظر
حمراء صفراء في تلونها كأنها تشتكي من السهر

١ يتفق نفح الطيب (٣ : ٢٣٣) وبدائع البدائع (١١٤) ونحفة العروس (١١٣) في إيراد قصة المعتمد مع إحدى حظاياه وما كان من شعر النحلي فيها ، ويورد النفح والبدائع قصة في وصف فرس للمتوكل كان في كفله ست نقط (النفح ٣ : ٣٣١ والبدائع : ٢٦٩ وهي عن الذخيرة ٢ : ٤٦٥) . وكذلك يوردان قصة شربه عند ابن طوفان (النفح ٣ : ٣٣١ والبدائع : ٤٠) وينفرد النفح بإيراد نادرة ناجحة له (٣ : ٢٣٤) وشعره في مغنية (٣ : ٤٤٥) وتدل قصة (٤ : ٩) على أنه كان لدى ابن صمادح ثم سار عنه إلى اشبيلية فملح المعتمد وغمز من ابن صمادح بقوله :

أباد ابن عباد البربرا وأفنى ابن معن دجاج القرى
ثم نسي ما قاله فلما حل بالمرية ، أحضره ابن صمادح لمناذمته ، وأحضر للعشاء موائد ليس فيها إلا لحم الدجاج ، فلما احتج النحلي على ذلك أفهمه ابن صمادح أنه أراد تكذيبه في ما قال ، فطار سكره وجعل يعتذر ، فعفا عنه ابن صمادح ، ولكنه فر عن المرية وندم بعد ذلك .

٢ س : نابغة .

مثل عروسٍ غداةَ ليلتها تُنْسِكُ مرآتها من القمر
أو صورة المجد وهي ماثلةٌ تنظرُ قُدَّامها إلى عمر

ومن أحسن ما سمعت في وصف^١ الشمس قول متوكل بن أبي الحسن^٢:

كأنما الشمسُ مرآةٌ مجردةٌ وقد غدا المغربُ الأقصى لها سَفَطًا

ومن نوادر^٣ الآفاق ، الحلوةِ المساقِ ، الغريبةِ الاتفاقِ ، خبرُ النحليِّ
مع المعتمد بن عباد ، وذلك انه مشى بين يديه يوماً بعضُ نسائه ، في غلالةٍ
لا تكادُ تفرق بينها وبين جسمها ، ولها ذوائبٌ تخفي إياةَ الشمس في مدلهما ،
فسكب عليها إناءَ ماورد فامترج الكلُّ ليناً واسترسالاً ، وتشابه طيباً وجمالاً ،
فأدركت المعتمد أريحيةُ الطرب ، ومالت بعطفه راحُ الأدب ، فقال :

وهويتُ سالبةَ النفوسِ عريرةً تختال بينَ أسنّةٍ وبواترِ

ثم تعذّر عليه المقال ، أو شغلته تلك الحال ، فقال لبعض الخدم القائمين
على رأسه : سر إلى النحليِّ وخذْهُ باجازه هذا البيت ، ولا تفارقْهُ حتى
يفرغَ منه ، فأضاف النحليُّ إليه ، لأوّلِ وقوعِ الرقعةِ بين يديه ، هذه
الأبيات^٤ :

١ س : صفة .

٢ س : الحسين .

٣ وردت هذه النادرة في النسخ وبدائع البدائع وتحفة العروس والمسلك السهل : ٤٦٣ .

٤ هي في النسخ وبدائع البدائع وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٦ وفي ط د : « هذين البيتين » في موضع
« هذه الأبيات » ولهذا لم يرد منها سوى الأول والثالث ، إلا أن سائرهما مثبت بهامش ط بغير
خط الأصل .

راقت محاسنها ورقاً أديمها فتكادُ تبصرُ باطناً من ظاهر
وتمايلت كالغصن في دعص النقا تلتفُّ في ورق الشباب الناضر
يندى بماء الورد مُسَبَّلُ شعرها كالطلَّ يسقطُ من جناح الطائر
تزهي برونقها وعزَّ جمالها زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره وعنا له صرَّف الزمان الجائر
وإذا لمحت جبينه ويمينه أبصرت بدرأً فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له : أحسنت . أو معنا كنت ؟
فأجابه النحلي بكلام معناه : يا قاتل المحل . أو ما تلوت ﴿ وأوحى ربك إلى
النحل ﴾ (النحل : ٦٧)

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني^٢

[١٤٨ ب] وأبو بكر في وقتنا واحد عصره . وله عدة قصائد في
ملوك قطره . قالها تحبباً لا تكسباً ، وعمر مجالسهم بها وفاء لا استجداء .
فلما خلَعَ ملوكُ الأندلس حالت به الحال . وتقسمةُ الإدبار والإقبال .
ثم أسره العدو بعقب محنة ، وبين أطباق فتنة . وقيد بقورية من عمل
الطاغية ابن فرذلند . ثم خرج من وثاقه . خروج البدر من مُحاقه
وتردَّ في بلاد أفقنا يحمله قرب على بعد . ويكله سعيُّه إلى سعد . حتى

١ زاد في ط بغير خط الأصل : فراد المعتمد هذا الجواب عجباً ، واحتز له استغراباً وتعجباً ، وقرب
النحلي وأدناه ، ووهب له من المال ما أرضاه به وأغناه .

٢ له ترجمة في المغرب ١ : ٤١١ ومسالك الأبصار ١١ : ٤٤٣ والمحمدون من الشعراء : ٣٥٩
والوافي ٣ : ١٤٣ .

ضاقَتْ عنه الخطوبُ ، وملَّه السُّرى والتأويبُ ، واتفق له أن أسمع الله صوته من وراء البحر المحيط الفقيه الأجل قاضي القضاة بالمغرب ، وسلالة الأُطيب فالأُطيب ، أبا الحسن علي بن القاسم بن عشرة ، فأجابه وأباه^١ ، وجذب بِضْبَعِهِ واستدناه ، فأعاد هلالَهُ بدرأ ، وصيَّرَ خَلَّهُ خمراً ، ولبنى القاسم^٢ في الجود خيمٌ كريم ، ولهم تقدُّمٌ مشهورٌ معلوم ؛ بلغني أن جدَّهم الأكبر أحمدُ بن المدبر ، حاملُ تلك الفضائل ، وصاحبُ الأعمالِ الجلائل ، إذ كان أحدَ نجومِ تلك الآفاق ، ببلاد الشام والعراق ، واشتهار معرفة قدره ، يمنعُ عن ذكره ، لكني ألمع هنا بلمعة من أمره .

قرأت في الكتاب الكبير لليعقوبي في الدولة العباسية قال : كان لأحمد ابن المدبر منزلةٌ عند المتوكل جعفر ، وكان قد قلَّد ديوانَ الضياع لابراهيم ابن العباس الصولي^٣ ، قال وهب بن سليمان بن وهب : وكنت أكتبُ له ، وكان رجلاً بليغاً ، ولم يكنْ له في علم الخراج تقدُّمٌ ، وكان بينه وبين أحمد ابن المدبر تباعد ، وكان أحمد نسيجَ وَحْدِهِ ، فدخل على المتوكل وقال له : قلَّدت ديوانَ الضياع لإبراهيم بن العباس فضاع ، فقال له المتوكل جعفر : غداً يحضرُ ، وتكلَّم في أمره بما يظهر ؛ فبلغ ذلك ابراهيم فاغتم لمعرفته أنه لا يفي بابن المدبر ، وحضرا من الغد ، فقال له المتوكل^٣ : تكلم يا أحمد

١ واتفق . . . وأباه : زيادة عن س و المسالك .

٢ بنو القاسم هم بنو عشرة من أعيان سلا ، وقد كانوا مقصد الشعراء في عصرهم ، أو كما يقول ابن الأثير « رباب السباح وأرباب الأمداح » (اعتاب الكتاب: ٢٢٤) وللدكتور محمد بشريفة بحث عن أسرة بني عشرة (مجلة البحث العلمي ، السنة الرابعة ، العدد العاشر ص: ٦٥- ١٠٢ ؛ ١٩٦٧) .

٣ ط د : المتكلم .

فذكر أشياء صدقَ فيها ، و ابراهيم ساكت ، فقال له المتوكل : يا ابراهيم
ألكَ جوابٌ على كلامه ؛ قال : جوابي يا أمير المؤمنين في بيتي شعر إن أذن
لي قلتكما ، قال : قل ، فأنشد^١ :

ردَّ قولي وصدقَ الأقوالا وأطاعَ الوشاةَ والعذالا
أتراه يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

فقال المتوكل : زاه زاه !! أحسنتَ والله ، إيتوني بمن يلحنُ هذا ،
وأحضِرُوا الندمان ، ودعونا من أخبار الديوان ، وخلع على ابراهيم .

وخلا المتوكل يومَهُ بلهوهٍ ، وبقي ابراهيم مغموماً في منزله ، فقيل
له : هذا يومٌ سرورٍ بما جُدَّ عليك من النعمة ، وأخصِصْتَ به من الكفاية
بدل النعمة ، فقال : الحقُّ بمثلي أولى وأشبه ، وما أدفعُ أحمد بن المدبر ،
ولا كذبَ في شيء مما ذكره ، ولا أنا ممَّنَ يعشره في الخراج ، كما لا
يعشرني في البلاغة ، وإنما ظهرت عليه في يومي هذا بالهزل ، فما لي لا
أبكي فضلاً عن أن أغتم ، من زمان يُدْفَعُ فيه الحقُّ بالباطل ؟ ! وسيكونُ
لهذا وشبهه نَبأٌ بعدُ .

وقال يوماً يحيى بن أكرم القاضي لابن المدبر بحضرة المتوكل جعفر :
أنت كاتبٌ تتفقهُ وتذكرُ أنك لا تُلزِمُ الناسَ الأموال إلا بحجج فقهية :
مَنْ كَتَبَ للنبي عليه السلام ؟ قال أحمد : ليس على الكاتب عِلْمٌ ذلك ،
ولا تعلُّمُهُ أيضاً على الفقيه ، إذ لا يحلُّ حلالاً ولا يحرمُ حراماً ، وقد روي أن

١ ديوان ابراهيم الصولي (الطرائف الأدبية) : ١٤٩ والأغاني ١٠ : ٥٩ وفيه طرف من حكاية
الصولي مع ابن المدبر .

عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وحنظلة ومعاوية وغيرهم كتبوا له صلى الله عليه وسلم ، ولكن من الذي عمل على عهده عمّلك فأمر بقتله ؟ !
يعرض له بما كان يُنسب لابن أكنم من اللواط - فحجل ، واستفرغ
ضحكاً المتوكل ، فكان ذلك سبب العداوة بينهما ؛ وأخباره كثيرة مأثورة .

جملة من شعر أبي بكر بن سوار في أوصاف شتى

[١٣٩ أ] له من قصيدة أولها ١ :

إيّاك من ظبية في ذلك الكنسِ فلإنها أختُ ذاك الضيغمِ الهرسِ
كم نمّ بي جرسُ قُرطِيها وساعدني ما في الخلاخل من صمتٍ ومن خرس
ما ظبية الكنس العفراء همتُ بها وإنما تيمّني ظبيةُ الأنس ٣

ومنها ٤ :

ما يُعرفُ العرفُ في المساوك من سببِ إلا من الشنّبِ المعطارِ واللّعسِ
ياربّة الخلدِ حيثُ النجر من أسدٍ ٥ والموجُ من زردٍ والسيفُ من فرس
رسومُ دارك في يبرين دارسةً وفي الحشا لك ريعٌ غيرُ مندرس
قس ما تشاءُ تجدُ بي مثله عوضاً وبالزمان الذي ولّى فلا نقس

١ منها أبيات في المحمدون والمساك .

٢ ط د : لي .

٣ سقط هذا البيت من ط د ، وهو ثابت في س والمحمدون من الشعراء .

٤ منها : سقطت من س .

٥ ط د : البحر (دون اعجام) من أمد ، وأثبت ما في س والمحمدون .

أَلَسْتَ تَذْكُرُ يَوْمًا حِينَ زُرْتَهُمْ والدهرُ يخرجُ من عيدٍ^١ إلى عرس
نزلت في موضعٍ حَفَّ الغديرُ به كما يحفُّ اخضرارُ الليل بالغلس
تريك دائرةَ الدينار صفحتهُ^٢ فإن تهادى قليلاً صار كالترس^٣
تري بها الحوت حول الماء جثته [...] ما يرمي من النفس^٤
كأنَّ جودَ عليٍّ جاد لجنَّتهُ^٥ فليس يخشى عليه آفةُ الدرس
مطهرٌ لم يدنَّس عرضه بخَلٍّ^٦ وجوهرُ الشمسِ معصومٌ من الدَّنَس

وكان أسر على ما ذكرته ، وبقي معتقلاً بمدينة قورية ، إلى أن خرج من وثاقه ، وقال في ذلك قصيدةً يصفُ كيفيةَ القبضِ عليه ، قال فيها^٦ :

وليلٍ كهَمَّ العاشقين قميصُهُ ركبْتُ دياجيهِ ومركبها وعَرُّ
سريتُ وأصحابي يُميلُهُمُ الكرى فهمُ منه في سُكْرِ وما بهمُ سُكْر
رميتُ بجسمي قلبه فنفذتهُ^٦ كما نفذ الإصباحُ إذ فُتِقَ الفجر

١ المسالك : حزن .

٢ زيادة من المسالك .

٣ سقط البيت من ط د ، كما سقط البيتان التاليان له من س .

٤ هو علي بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى ، أبو الحسن ابن عشرة ، كان فقيهاً حافظاً سري أهل بلده ، وجيهاً فيهم نبيه القدر ، رئيساً جواداً ، دخل الأندلس غازياً وامتدحه بها طائفة من أدبائها وشرق حينئذ وحج ثم عاد إلى بلاده ؛ وتوفي بسلا سنة ٥٠٢ وممن امتدحه من جلة الشعراء ابن حمديس وأبو الوليد اسماعيل بن ولاد وله في مدحه ومدح ابنه أبي العباس مجموع سماه «نزهة الأدب» (الذيل والتكملة - قسم الغرباء ، الورقة : ١٠ من مصورة الخزانة العامة بالرباط) ومن مداحه أيضاً الأعمى التطليلي وابن بقي وغيرهما (انظر مقالة الدكتور بنشريفة عن بني عشرة) .

٥ ط : تخفى .

٦ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ولما بدا وجهُ الصباح تطلَّعت
فقلت لهم : خيل النصارى فشمروا
وكانت حميماً النوم قد صرعتهم
وأفردتُ سهماً واحداً في كنانة
وكنت عهدت الحرب مكرراً وخذعةً
فطاعنَتْهُمْ حتى تحطمت القنا
أُصرَّجُ أثوابي دماً رثيابهم
وأحدقَ بي والموت يكشر نابه
فأعطيتها وهي الدنية صاغراً
فطاروا وصاروا بي إلى مستقرهم
فقال العذارى حرقوه مقارضاً

ومنها :

خيولٌ من الوادي محجلةٌ غر
إليها وكرُّوا ها هنا يحسنُ الكرَّ
فقلُّوا وولَّوا مدبرين وما قرُّوا
من الحرب لا يخشى على مثله الكسر
ولكن مع المقلدور ما لامرئ مكر
وضاربَتْهُمْ حتى تكسرت البُتر
كأنَّ الذي بيني وبينهم عطر
ومنظرُهُ جهنمٌ وناظره شرُّ
وقد كان لي في الموت لو يدتي عذر
يصاحبني ذلٌّ ويصحبهم فخر
فمن قتله الفتيان عطَّلت البكر

فجاءوا بأنواع الكبول ونظَّموا
وساقوا كلاباً كالبحولة أجسماً
فقالوا آعطنا ألفاً فقلت مضاعفاً
فسبحانَ ربي ما أجلَّ جلاله
فضاقتُ عليَّ الأرضُ حتى كأنها
فناديتُ في حولٍ من الدهر كامل
وإنَّ وراءَ البحرِ أروَعَ ما جداً
ألا خبراني ابني أبي هل أنا كما

سلاسلَ في جيدي كما يُنظَّمُ الدر
لها عينٌ خُضرٌ ملاحظها شرُّ
[]
تخلَّصني منها له الحمدُ والشكر [١٤٩ب]
بما رَحُبَتْ ما كان في طولها فتر
ألا رجلٌ حرٌّ ألا رجلٌ حرٌّ
بغرفته الغراء يُستنزَلُ القطر
وشيكاً عن القاضي أبي حسنٍ ذكر

١ زيادة من س ؛ والشطر الثاني بياض . وهذا البيت يرد في القصيدة التالية .

سلا عَنْ سَلا هَلْ مِنْ عَلِيٍّ حَقِيقَةٌ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلِيٌّ وَقَرْبُهُ
بَعْدَ عَلِيٍّ تُعْمَرُ الْأَرْضُ كُلُّهَا
حَنِينِي إِلَيْهِ مَوْثِقًا وَمَسْرَحًا
فَأَنِّي فِي أَحْشَاءِ قُورِيَّةٍ سَرٍّ
وَالْأَفْئِدَةُ قَانٌ الْأَرْضَ عَامِرَهَا قَفَرٍ
وَتَتَّسِعُ الدُّنْيَا وَلَوْ أَنَّهَا قَبْرٍ
كَأَنَّ حَنْزَلَةً لِلْبَرِّ الَّذِي يَفْرُقُ الْبَحْرَ

وله من قصيدة في قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدان :

من معشرٍ حُمِدُوا فَأَحْمَدُ سَعِيهِمْ
مَضَتْ الْقُرُونُ وَمَرَّتِ الدُّنْيَا وَمَنْ
لَهُ دَرْكٌ أَبْهَى الْقَاضِي فَمَا
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْعَدُوَّ يَعْصَتِي
يَوْمَ الْعَذَابِ وَلِلْكَالِبِ تَصَوُّرٌ
وَتَوَهَّمُونِي بِالْفُغْيِ وَأَضْرَّ بِي
قَالُوا : أَعْطَيْنَا أَلْفًا فَقُلْتُ مَضَاعِفًا
فَبَقِيْتُ عَامًا فِي الْإِسَارِ مَصْفَدًا
لَا يَنْسَتْ وَلَمْ تَكُنْ لِي حَبْلَةً
وَتَرَكْتُهُ بِيَدِ الْعَدُوِّ مَوْثِقًا
وَرَدَّتْ رَسَائِلُهُ عَلَيَّ فَتَارَةً
وَلَنَا أَخْيَاتٌ وَأُمٌّ أَثْكَلَتِ
قُلُوبَهُمْ كَالْقَلْبِ فِي خَفْقَانِهِ
فَأَتَيْتُ نَحْوَكُمْ وَالرَّجَاءُ يَقُودُنِي
فَلَذَاكَ مَا سُمُّوا بَنِي حَمْدَانَ
فِيهَا وَمَا جَاءَتْ لَهُمْ بِقَرِينٍ
حَبْلُ الرَّجَاءِ لَدَيْكَ غَيْرُ مَتِينٍ
وَالْعَلَجُ يَلْطَمُ صَفْحَتِي وَجِيئِي
حَوْلِي وَنَشَابُ الرَّدَى تَرْمِينِي
حَالُ الَّذِي أَخَذُوهُ إِذْ أَخَذُونِي
لَا رَأْيْتُ الْمَوْتَ مَلَأَ جَفُونِي
بَسَلَسِلٍ ضَرْبًا مِنَ التَّنِينِ
أَرْسَلْتَ فِي ابْنِ أَبِي فَكَانَ ضَمِينِي
فِي ذُلٍّ أَغْلَالٍ وَضَبِقِ سَجُونِ
يَشْكُو إِلَيَّ وَتَارَةً يَشْكُونِي
وَأَخَافُ قَبْلَ الْجَمْعِ وَشَكَّ مَنْوُنِ
وَعِيُونُهُمْ فِي جَرِّهَا كَعِيُونِ
وَجَمِيلُ ذِكْرِكَ خَلْفَهُ يَحْدُونِي

١ شر البيت ص : ٢٢٢ .

٢ س : مثقفاً .

وله من أخرى في القاضي أبي الحسن بن القاسم :

ساروا وَحَبْلُ وصالهم مَبْتُوتُ
بانوا وروحي عندهم وَحُشَّاشِي
أسفي على وادي الأراكِ وإنما
أنحي على الأقراطِ ناطقةً ولا
لا تأخذوا في اللوم لستُ بسامعٍ
هذا فؤادي إنْ وجدتمْ غَيْرَهَا
فسلوا نجومَ الليل كيف أبيتُ
وتظنُّ أنْهمْ مَضَوْا وبقيت
يتأسَفُ المحزونُ وهو يموت
أنحي على الخللِ وهو صموت
إنَّ الملامةَ في الهوى تعنيت
في طَبِّهِ فالنَّارُ والكبريت

ومنها في المدح : [١٥٠]

لو أنْ رِفَقَكَ في القلوبِ مُرْكَبٌ
ولقد حملتَ من الوقارِ سَكِينَةً
لم يلتقمْ في البحرِ يونسَ حوت
لم يحملها قبلك التابوت

وله فيه من أخرى أولها :

من لظى قلبي اقتدَحُ لا من زنادِ
اصرفوا نومي ليدني طيفكمْ
أنتمُ الأجبابُ في حُكْمِ الهوى
جسدي أنحل من سرِّكمْ
تكنُّ الشَّحْناءُ في أحشائهمْ
يحمدُ النجمُ الثريا النفي
ما مرادي أن أرى منفرداً
لا سقى الروضَ غمامٌ ساكب
ودموعي استسقى لا صوبَ الفؤادي
وهنيئاً ما غصبتُمْ من فؤادي
فارقوا لا تفعلوا فعلَ الأعادي
في تناجيكم به يومَ البعاد
ككمونِ الجمرِ في جَوْفِ الرماد
ولقد يبكي سُهَيْلٌ لانفرادي
ربَّ محمولٍ على غير المراد
ليس يَسْقِي مَعَهُ شوكَ القتاد

١ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ومن المدح :

إِنَّ من بعدِ بني القاسمِ لا
نَسَبَ مُطَرِّدٍ من شرفِ
وقبيلٍ كُلُّهُ من عزَّةِ
وبنو عَشْرٍ ذوو العاياءِ لم
وعفافٍ واعتكافٍ وتقى
أحد يملأُ عيناً من جواد
ككعوبِ الرمحِ ذاتِ الإطراد
كظبا الهنديِّ في يومِ الجلاد
يُخْلَقُوا إلَّا لكفٍّ وزياد
ووفاءٍ وعطاءٍ وأيادي

وله فيه من أخرى^١ :

بَدَتِ الغزاةُ والغزاةُ وجهها
خالستُها وتبسمتُ فظَنَنْتُها
فتشابهتُ منها الثلاثةُ أضرب
لو كان مرثياً جُمانُ حديثها
ومضتُ تجرُ وراءَها شعراً كما
يمحو مواقعُ إثرها فكأنَّه
والمسكُ فوقِ الترابِ من أردانها
ما لي وما لك يا غيورُ^٢ تسومني
هلاً^٣ التقينا حيثُ تنتثرُ^٣ الطُّبَا
والجوُّ أدكنُ بالغبارِ قميصه
وكانَ يومَ الحشرِ يومُ^٤ جموعنا
وتكلَّمتُ فسمعتُ ظيماً ييغمُ
عن مثلٍ ما في نحرها تبسم
عقدُ وثغرٍ طيبٌ وتكلَّم
لرأيتَ منه أجلُّ شيءٍ يُنظَّم
أعطاك جانبهُ الغرابُ الأسحم
يخفيه عن عينِ الرقيبِ ويكتم
خطُّ كما رُقِمَ الرداءُ المعلم
خططَ الردى وأنا المعنى المغرم
والهامُ تسقطُ والقنا تتحطم
والجيشُ أرعنُ والخميسُ عرمرم
وكانَ غلبي الحربِ فيه جهنم

١ منها أبيات في الوافي والمسالك .

٢ ط د : عيون ، والتصويب عن المسالك .

٣ ط : ينتثر .

٤ الوافي : فيه .

وكأنَّ كلَّ كميَّ حربٍ ماردٌ
ومدرِّبينَ على الطعانِ لقيتُهُمُ
لبسوا جلودَ الرِّقمِ واعتقلوا القنا
حتى علواهم بكلِّ مهندٍ
ذو خُطْبَةٍ في الهامِ يُسمعُ صوتها
ولقد سلَّمتُ من الصَّوارمِ والقنا
أعلى يا ابنَ القاسمِ بنِ محمدٍ
رُدَّ النحيَّةَ مثلَ ودِّي غَضَّةً
ولقد كتبتُ وأدمعي منهلةً
أمنَ السَّويَّةِ أن أكونَ كما أنا
والله يرضى عنك من حَكَمٍ فقد
إنَّ بنتُ عنك ولم تُردِّهُ فإنَّه
ولقد ندمتُ على فراقٍ سلا كما

تهوي إليه من الأسنةِ أنجم
وكأنهم في الشمسِ ليلٌ مظلم [١٥١أب]
فرايتُ كيف يَجُرُّ أرقمَ أرقم
يبكي فتحسبهُ لهم يترحمُ
في كلِّ قطريِّ وهو لا يتكلم
لو كنتُ من فتكاتِ رميكِ أسلمُ
بيني وبينك عُرْوَةٌ لا تفصم
لأنِّي عليك مع النسيمِ مسلم
والقلبُ فيه جدوةٌ تتصرَّم
فيفوز غيري بالنعيمِ وأحرَم
وافيتَ حُكْمَ الله فيما تحكم
بعضي لبعضك في فراقك يَخْصُمُ
ضعفُ الندامةِ حين أهبطَ آدم

وهذا كقول الآخر :

كآدم حين عصى ربهُ عَوْضُ بالدنيا من الآخرةِ

قوله : « يجر أرقم أرقم » ، كقول ابن اللبانة ، وقد تقدَّم ؛

١ وردت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت أيضاً في س .

٣ قرأها الأستاذ بنشريفة : « طعم » ، وهي قراءة جيدة .

٤ انظر ما تقدم ص : ٧٨ .

• فقلتُ الصلُّ أتبع ضيغما •

وقوله : « والمسكُ فوق التراب » . . . البيت ، كقول ابن شهيد :
وولتُ وللمسك من ذيلها على الأرض خطَ كظهر الشجاع^١

وله فيه من قصيدة أولها :

حننتُ وحثتُ ^٢ أينُفمي وجمالي	إلى ضوءِ ذاك البارقِ المتعالي
ويحكي فؤادي خفقه المتوالي	تألقَ يزجي عارضاً مثلَ أدمعي
لطارت إليه في صبا وشمال	فلولا شمالي في زمامِ شملته
به لا إلى سدرٍ هناك وضال	إلى مسقطِ الغرس الذي كان غرسها
لدى موردٍ عذبِ المياه زلال	ولم تُنسها الأرطى رياضاً ترودها
وإن كان في حاشاه ناعم بال	وحُبِّبَ للإنسانِ أولُ موطنٍ
فعانقَ جسماً مثلَ طيفِ خيال	همُ بعثوا طيفَ الخيال الذي سرى
مغلقةً أعطافه بغوالي	وأقبل من تلقائهم فكأنه

ومنها :

فيا دارهم بالحزنِ حُزني مُجدد ^٣	عليك ، وقلبي ليس عنك بسالي
أرى أعيناً صُوراً إليّ كثيرة	ومن دون أن ألقاك سورُ عوالي
وأبيضُ هنديٌّ كأنَّ بحده	مُطارَ ذبابٍ أو مدبَّ نمال

١ لم يرد من البيت في ط إلا قوله : « كظهر الشجاع » .

٢ د : وحثت ؛ س : وحثت .

٣ ط د س : مجرد .

٤ سقط البيت من س .

جری فوقه ماءُ الفرندِ وتحتہ
وقد أظهرت فيه المنايا نفوسہا
وجال على متنيه كلَّ مَجَّالٍ
كما خَوَّصَتْ لُجَّ السرابِ سَعَالِي

ومن المدح^١ :

ولم يَحْكُمْهُمْ صوبُ الحِيَالِ كَنِ اغْتَدَى
وجاءوا على جيد الزمانِ فَلَائِدًا
أقاموا لواءَ المِكرَمَاتِ وخِيَمُوا
إذا احتجبوا لم يَسْتِرِ الحِجْبُ نورَهم
أو انتسبوا في المجدِ كان انتسابُهم
وان ورثَ العلياءَ عنهم عليَّها
سكيتُها من أَعْفَرٍ^٢ ويللم
إليك رمتنا العيسُ حتى كأنَّها
من المجدِ والعلياءِ تحتَ ظلال
وإن طلعوا كانوا بدورَ جَمالٍ
لأعظمِ عَمٍّ أو لأكرمِ خالٍ
فلا بدعَ في حالٍ وراثتُهُ عالٍ
وبعضُ رجالٍ في سكونِ جبالٍ
من الوهنِ أقواسُ رَمَتِ بنبالٍ

وهذا لفظ أبي العرب الصقلي^٣ ، وهو معنى قد نبَّهْتُ عليه في تضاعيف
هذا التأليف :

وحطَّ بنا عن ناجياتِ كأنَّها قسيٌّ رَمَتِ منَّا البلادَ بأسْهُمِ

وكذلك قوله : « جری فوقه ماء الفرند » لفظ ابن المعتز^٤ :

جری فوق متنيه الفرندُ كأنَّما تنفَّسَ فيه القَيْنُ وهو صَقِيلُ

١ س : ومن مدح هذه القصيدة .

٢ أَعْفَر : جبل في بلاد الشام (معجم ما استعجم ١ : ١٧١)

٣ ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة . الورقة : ١٠٩ ويرد البيت هناك .

٤ زهر الآداب : ٧٧٦ .

وفي أشعار أبي بكر تليفق كثير ، على تدفقٍ نحيزته ، وقوة غريزته ،
كقوله في قصيدة : منها :

<p>وفتية من أعاريب كأنهم لا يلبسون جلودَ الرقم سابعة ولا تبيتُ على قُربٍ مَحَلَّتْهُمْ يا كم مضيتُ وغولُ الهول يتبعني مُلابساً ما تراه العين مُلْتَبِساً وأطرقُ الفتياتِ البيضَ لابساً والقرطُ كالقلب من خوفٍ ومن حذر لم آتِها قطُّ إلا نمَّ بي وبها ولا انتهيتُ إلى أطناب قُبَّتْها بأبيضِ بدمِ الأجسادِ مغتسلِ والطبعُ أكرمُ في تركيبِ خلقتِه إن كنتَ يادهرُ لم تُحسِّنِ معاشرتي أجربُ الناسَ في ضيقٍ وفي سعة وما على العود أن يُهدي نوافِحَه ويُطلبَ الجودُ من قومٍ وجودِ بني محاسنُ ثقت منها أوائلهم</p>	<p>أسدٌ على أعوجياتٍ سراحيبٍ حتى تُخَاطَ بأحداقِ العاسيبِ إلا يبيت حماهم غيرَ مقروب وكم سريتُ وسيلُ الليلِ يرمي بي ليلاً مع الليل أو ذنباً مع الذيب بيضُ الحلايب في سودِ الحلايب كأنه هوَ في خوفٍ ٢ وتعذيب واشٍ من الحَلْيِ أو واشٍ من الطيب إلا على ظهرِ مطعونٍ ومضروب وأسمِرِ بدمِ الأكبادِ مخضوب من أن أكون محباً غيرَ محبوب فيما مضى فلقد أحسنتَ تأديبي والناسُ صنفان في حدِّ التجاريب إلا على لَهَبٍ بالجرِ مشوب عَشْرٍ يبيحك عفواً دون مطاوب كما تَشَقَّفُ أنبوبُ بأنبوب</p>
--	--

وقال من أخرى ، وذكر حمامة :

١ ط د : وحول .

٢ س : خفق .

ولا أفصحت معنى بلحنٍ كلامٍ
فزدن به في لوعتي وغرامي [١٥١ب]
على السكّب إلا والضلوع حوام
ولكنها مما بكن دوامي

بكت لم تسيل دمعاً ولا هي أعربت
ولم أر أشجى من بكاء بعثته
نوائح ما غاضت دموع جفونها
وما ذلك المحمر فيهن خلقه

ومنها :

وجاد عليه كل أسحم هامي
كما طلعت ليلاً بدور تمام
وما أشبه النعنى بطوق حمام
فلا خلق أرعى منهم لذمام

سقى منزلاً بالغرب منسكب الحيا
بحيث بنو عشر تنير وجوههم
فما أكثر المثني عليهم سجية
رعى الله فيكم دمة المجد والعلا

وله فيه من أخرى ٢ :

فقد نزلوا في غبطة وأمان
ومزن العطايا دائم المظلال
ونائله ينهل كل أوان
كما اهتز مصقول الفرند يمان
وما لعل في الأنام بثاني
درّوه وقالوا : ذي صفات فلان

إذا نزل العافون في عقر داره
بحيث حياض الجود زرق مياها
وللغيث أوقات يفاجئ صوبه
أغر طليق الوجه يهتز للندى
فما لعل في البرية مشبه
فلو أنني في الوصف لم أذكر اسمه

١ ط : ولا كنف .

٢ من أخرى : زيادة من س .

٣ س : الموت .

وله فيه من أخرى عند صدره من حضرة أمير المسلمين :

مضيت بوجه السعد وهو طليق	وأبت بثوب النجج وهو يروق
لقيت أمير المسلمين مقرباً	كما يتلاقى شائق ومشوق
رآك وللإسلام نصحك كله	وعهدك في ذات الإله وثيق
تلقاك بالبشر الذي أنت أهله	فقالوا : أب حان عليه شفيق

ومنها :

ولما طغى قوم وفرت لحومهم	فجاج فريق واستقام فريق
وضلت حلوم ^١ بالجهالة مثلما	أضل سواع معشراً ويعوق
وجاعوك بالمكر الكريه وإنما	بصاحبه ^٢ المكر الكريه يحيق
أراهم مكان الفضل منك فروءعوا	كما انتشقت ريح الغصنفر نوق
وفروا ولولا حسن رأيك فيهم	لما حملتهم بعد ذلك سوق
فلا عديموا منك الذي عهدوا فما	بغيرك غفران الذنوب يليق
توسعت فضلاً في ولي ^٣ وحاسد	ولم يك في باع المكارم ضيق
كرتمم فروعاً في المعالي حميدة	وطابت أصول منكم وعروق

وله فيه من أخرى ، وكتب إليه^٢ بها من تلمسان وأولها^٤ :

لعل إياب الظاعنين قريب فترجع أيام الحمى وتؤوب

١ ط : نجوم .

٢ ط : لصاحبه .

٣ إليه : زيادة من س .

٤ وردت أبيات منها في الواقي للصفيدي وبيتان في المغرب .

مقاني تلاقينا وعهدُ اجتماعنا
وأَيَّامُنَا بِيضُ اللَّيَالِي وَدَهْرُنَا
بِهَا كَانَ يَدْعُونِي الْهُوَى فَأَجِيبُهُ
وَأُرْمِي الْمَهَا عَنْ نَظَرِي فَتَصِيبُهَا
وَفِي الْخَدْرِ مَكْحُولُ الْجَفُونَ صِفَاتُهُ
إِذَا مَا أَدَارَا الْكَأْسَ مِنْ مِثْلِ رِيقِهِ
فَأُجْفَانُهُ سَكْرَى وَنَحْنُ وَقْدُهُ
وَيَهْتَزُّ نَوَّارُ الْمَلَاخَةِ حَوْلَهُ
عَلَى مِثْلِ أَيَّامِ الزَّمَانِ الَّذِي مَضَى

ومنها :

أَمْثَلَ عَلِيٌّ تَطْلُبُ الْعَيْنُ أَنْ تَرَى
فَتَى يَهْبُ الدُّنْيَا وَيَرْتَاحُ لِلْنَدَى
وَتَأْتِي عَطَايَاهُ اطِّرَادَ خَصَالِهِ
وَأِنْ كُنْتُ قَدْ أَضْرَبْتُ عَنْ مَدْحِ غَيْرِهِ
أَحَبُّ سَلَاً مِنْ أَجْلِ كَوْنِكَ فِي^٣ سَلَا
لَصَيَّرَتْهَا مَصْرًا فَتَنِيْلُكَ نِيلَهَا

ومثلُ عَلِيٍّ فِي الْمُلُوكِ غَرِيبُ
كَمَا اهْتَزَّ غَصْنُ الْبَانِ وَهُوَ رَطِيبُ
كَمَا اطَّردَتْ لِلْسَمْعِيِّ كَعُوبُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ^٢
فَكُلُّ سَلَاوِيٍّ إِلَيَّ حَبِيبُ
وَكِفَّاكَ بَطْحَاها وَأَنْتَ خَصِيبُ

١ ط د : أراد .

٢ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٣ المغرب : من .

وقد كرر هذا المعنى فيه أبو بكر ، في مواضع من شعره ، منها قوله
من قصيدة^١ :

يقولُ رجالٌ غيرَ ما يفعلونهُ وإنَّ عليّاً قاتلٌ وفِعُولُ
فلا تطلبوا في ساحةِ الأرضِ مثلهُ فمثلُ عليٍّ في الملوكِ قليلُ
ولولاك ما كانت سلا دارَ هجرتي ولا كان لي عمَّنْ أحبُّ رحيلُ
فألفيتها مصرّاً وأنتَ خَصِيْبُها وكفَّاكَ بطحاهَا ونَيْلُكَ نيلُ

ولما توفي سنة اثنتين وخمسمائة قال فيه يرثيه :

العيشُ بعدك يا عليُّ نكالُ لا شيءَ منه سوى العناءِ يُنالُ
يا عثرةَ عثر الزمانِ بأهله ليتَ الزمانَ من الزمانِ يقالُ
يا عصمةَ الفقراءِ بل يا مالهمُ هيهات ما للناسِ بعدك مالُ
أبكيك بالدمِّ لا بدمعي إنَّه يبكي سواي به وذاك محالُ
دنيا ظفرت وما متاعك كُلُّه إلّا سَرابٌ يضمحلُّ وآلُ
قد كنتُ مشغولاً به متوقِعاً ولذي الوفاءِ بغيره أشغالُ
فالآنَ ها أنا لا أبالي عن أسيَّ وقعَ التوقُّعُ فاستراحَ البالُ
قد كنتُ آمالي التي أنا طالبُ جهدي ومتَّ فماتت الآمالُ
لا الظلُّ ظلُّ بعدَ فقدك يا أبا حَسَنٍ ولا الماءُ الزلالُ زلالُ

ومنها :

كنتُ^١ الصَّفوحَ عن المسيء ولم يكنْ إلا الجميلُ لديك والإجمالُ
حُطُّوا عن الأكوارِ قد مات الذي يتحمَّلُ الأعباءَ وهي ثقالُ

١ زاد في س : « تقدمت » .

٢ ط د : كيف .

مذْ وَدَّعَ الْقَوَالَ وَالْفَعَالَ مَا فِي الْأَرْضِ قَوَالَ وَلَا فَعَالَ^١ [١٥٢ب]
 وَتَهْدَمُ الْجِبَلُ الْمَنِيفُ فَرَزَلَتْ رُتَبُ الْعَلَا وَمِنَ الرِّجَالِ رِجَالُ
 فَلَا جَعْلُنْ حَاجَتِي لِقَبْرِكَ إِنَّهُ لِلْخَيْرِ فِيهِ وَلِلثَّقَى أَوْصَالُ
 كَلَّا عِيَالِكَ لَكِنْ [...] فَجَمِيعُنَا لَكَ يَا عَلِيَّ عِيَالُ^٢
 أَيْنَ الْعَزَاءُ فَقَدْ أَدِيلَ بِأَحْمَدِ دَوْلُ الْأَفَاضِلِ بِالْبَنِينَ تَدَالُ

ومنها :

ظَلَوْتُنِي النِّعْمَى فَصَرْتُ حَمَامَةً تَشْدُو وَغُصْنُكَ نَاضِرٌ مِيَالُ
 وَإِذَا الْأَيْدِي لَمْ تَكُنْ مُشْكُورَةً لِلْمُنْعَمِينَ فَلَيْهَا أَغْلَالُ

ومن مدائحه في الفقيه القاضي أبي العباس ابنه^٣ ، له من قصيدة أولها^٤ :

بَعَثَتْ إِلَيْكَ مِنَ الْبَرَاقِ خِيَالَهَا فَأَرَاكَ شَكْلَكَ حَامِلًا أَشْكَالَهَا
 هَلْ يَنْكُرُ الْغَيْثِرَانُ مِنِّي وَقَفَّةً وَقَفْتُ أَمَانِي النُّفُوسَ حِيَالَهَا
 فِي لَيْلَةٍ عَبَثَ الْمَحَاقُ بِبِدْرَهَا غَضِبًا فَقَصَرَ عُمْرَهُ وَأَطَالَهَا
 سُودَاءُ أَشْرَقَ نَجْمُهَا فَلَوْ أَنِّي أَجْرِي عَلَى فَلَكَ لَكُنْتُ هَلَالَهَا
 وَلَقَدْ فَتَكْتُ بِقُرْطِهَا وَبِمِرْطِهَا حَتَّى هَتَكْتُ حُجُوجَهَا وَحِجَالَهَا

١ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ زيادة من س .

٣ أبو العباس أحمد بن علي بن القاسم ، ولي قضاء سلا بعد أبيه ، ويصفه الفتح بأنه « فخر بني القاسم » وفي مدح التطيل له يلقبه « قاضي قضاة الغرب » ، وعنده نزل ابن تومرت ، وكانت وفاته بعد سنة ١٥٥٠ هـ (انظر بحث بنشريعة : ٧١ - ٧٤ ، ٨٧)

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في الوافي ومثلها في المسالك .

ومن المدح :

ما الخطّةُ العلياءُ زانته ، بلى^١
ويشقُّ ماءُ العتقِ صفحةَ خدّه
وبأحمدِ بنِ عليّ بنِ القاسمِ بنِ
هو لفظةٌ من منطقِ الدنيا بها
من كلِّ مكتهلِ الوقارِ وأزهرِ
يمشون فوق الأرضِ تحت حلومهم
لولا همُ لتحركتُ جنباتها

هو زانها حتى أتمَّ كمالها
شقَّ النرندِ من السيوفِ صقالها
محمد دَرَّتِ المكارمُ حالها
فخرَ الزمانِ على بنه فقالها
لبسوا الشبيبةَ فاكتسوا سربالها
فتخالهم أوتادها وجبالها
من رجفةٍ ولزلت زلزالها

وله من أخرى^٢ :

أمعاهدَ المدح^٣ الذي غادرتهُ
وإدٍ إذا ضرب الهجيرُ رواقهُ
إن كانت الأرواحُ من ماءٍ فمن
فأتتُ تقبّاني فقلت لها أمسكي
فمضتُ وقد أحجلتُها فتبسّمتُ
حتى إذا ما الروضُ نبّه الندى

مغدّى لبارقة المها ورواحا
أهدى إلى مُهَجِّ القلوب رواحا
ذاك المجاج تكوّنت أرواحا
عني فإنّي لا أقاربُ راحا
فرايتُ في أرضِ العقيقِ أقاحا
فتحتُ عيوناً كالعيونِ ملاحا

ومن المدح :

-
- ١ ط د : بل .
٢ منها أربعة أبيات في المسالك .
٣ كذا ولعل صوابها : المرح .
٤ سقط هذا البيت والذي يليه من س : وجاء في موضعها « ومنها » .

طالبتها أدباً فسأل توقداً وطلبتة كرمًا فذاب سماحا

وله فيه من قصيدة كتب بها إليه من تلمسان ، أولها :

على طول ما أبكي تعاتبني عتبا فإلئت شعري هل يكون لها عتي
سرى جانب من جانب الغرب خافق خفوق فؤاد الصب قد فارق الحبا
فما قنعت في الحرب ببيض صوارم بأيدي كماء يكثر بها الضربا

ومنها :

تكلّفتني نظمَ النجوم قلائداً لعمرى لقد كلّفتني مرتقى صعبا [١٥٣أ]
وهبك ملكت الشمس والبدر في يدي وسقت إلى جنبيهما الأنجم الشهبا
إذا لم أعلّقها على جيد أحمد فلا جيد في الدنيا يكون لها حسبا
صبا بالغواني من صبا وهو لم يزل بينت المعالي هائما كلّفا صبا
فتى يهب البيض الكواعب كالدمى وبيض الظبا والسمر والضمر القبا
لقد وهب الله الجمال لأحمد وشرف منه الخلق والخلق العذبا
موفق آراء القضاء كأنما بصيرته في الغيب تحرق الحجبا
إذا اكتسب الناس الدنانير عدة فأحمد لا يرضى بغير العلا كسبا
كذاك منّصت في السالفات جدوده كما مرّ كعب الرمح مطردا كعبا

وله فيه :

يا راقدا الليل التمام جفونه إنّي بجبّك ساهر ما أرقد
إني لأرحم خصّره من رقة وأرق للغصن الذي يتأود
وغدا يطعمني الوصال تمنياً إني سأهلك قبل أن يدنو غد
ولبست أثواب الملاحه مثلما لبس السماحة والرجاحة أحمد

لو كان خُلدَ فاضلٌ لفضيلةٍ فيه لكان على الزمانِ يُخلدُ
 المجدُ والشرفُ المؤثَّلُ والندى والحدودُ والعليا له والسودد
 وبلاغةٌ لم أدرِ حين سمعتها أفصاحةٌ أم لؤلؤ متبدد
 لا ناطقٌ عَجَلُ الكلام بها ولا متوقّفٌ فيها ولا متردّد
 من معشرٍ طابوا مناصبَ في العلا وإذا يطيبُ الأصلُ طاب المولد

جملة من مراثيه

له من قصيدة في تأبين أمير المسلمين ، أبي يعقوب يوسف بن ناشفين
 رحمه الله ، قال فيها ، وأنشدها على قبره :

ملكَ الملوكِ وما تركتَ لعاملٍ عملاً من التقوى يشاركُ فيه
 يا يوسفُ ما أنت إلا يوسفُ والكلُّ يعقوبُ بما يطويه
 اسمعُ أميرَ المسلمين وناصرَ الدين الذي بنفوسنا نفديه
 جُوزيتَ خيراً عن رعيّتك التي لم ترضَ فيها غيرَ ما يرضيه
 أمّا مساعيك الكرامُ فإنّها خرّجتَ عن التحديد والتشبيه
 في كلّ عامٍ غزوةٌ مبرورةٌ تُردّي عديدَ الروم أو تُفنيه
 تصلُ الجهادَ إلى الجهاد موفّقاً حتّمَ القضاء بكلّ ما تقضيه
 ونجّى ما دبّرتَهُ كنجية متواضعاً لله مُظهرَ دينه
 ولقد ملكتَ بحقِّكَ الدنيا وكم في كلّ ما تخفيه أو تبديه [١٥٣ب]
 ملكَ الملوكِ الأمرَ بالتصويه

لو رامت الأيامُ أن تُحصي الذي
إنا لمفجوعون منك بواحد
وإذا سمعت حمامةً في أيكَةٍ
ومضى قد استرعى رعيتهُ ابنهُ
وإذا هزبرُ الغابِ ضرى شبلهُ
وإذا عليٌّ كان وارثَ ملكه

وله من مرثية :

وناعٍ نعى والقلْبُ كالقلْبُ خافق
بكتُ رحمةً لي عينُ كلِّ غمامةٍ
فيا مزن لا [تؤذن]³ بتسكابٍ أدمعي
فلولا التهابُ النار ما بين أضلعي
دعوني أشكو الدهرَ للدهرِ معتباً؛
فما فوقَ هذا الرزءِ رزءٌ وإنّما
مضى بآبنِ عشرٍ كابنِ عشرٍ وأربع
مضى بفتىٍ تُزري أسرةً وجهه

وله فيه :

فعلتُ سيوفك لم تكن تحصيه
جُمعتُ خصالُ الخلق أجمع فيه
نبكي الهديلَ فإنما² ترثيه
فأقام فيهم حقّ مسترعيه
في الغاب كان الشبلُ مثلَ أبيه
فالسهمُ ملقى في يدي باريه

مرّوع ومما رابني لم أصدّق
وساعدني نوحُ الحمام المطوق
فلي مدمع من بلعة الحزن يستقي
لأصبحتُ في بحرٍ من الدمع مغرقٍ
على أنني أشكو إلى غير مُشفقٍ
رمى كبدَ العليا بسهمٍ مفرّوق
فهلاًّ هلالٌ مثلُ نونٍ مُعَرِّقٍ
بضوءِ الصباح المشرق المتألق

١ ط د : التي .

٢ س : فأنها .

٣ زيادة من س .

٤ ط : معنياً .

ما كنت أعلمُ علّةَ الزّهر^١ الندي
 خطبُ نبيٍّ وجّهَ الصّباحِ كأنّه
 ورزيّةٌ نزلتُ بآلِ محمّدٍ
 حتّى ثوى في القبرِ جسمُ محمّدٍ
 بالحزنِ من قِطْعِ الظلامِ الأربدِ
 خصّصتُ وعمّتْ آلَ دينِ محمّدٍ

وله فيه ^٢ :

الصبرُ أجملُ عند كلِّ مُلِمّةٍ
 قمرانِ غيّبَ بالكسوفِ سناها
 من قاضيين موفّقين كأنّما
 لم يَعدُوا نهجَ السبيلِ وإنّما
 بنقيّةٍ من صحّةٍ ، وسجّيّةٍ
 ورويّةٍ من حكمةٍ ، وقضيّةٍ
 لكن على فقديهما لم يَجلِ
 لا تُخسِفُ الأقمارُ إن لم^٣ تكمل
 هذا شُرَيْحٌ في القضاءِ وذا علي
 [.....] ^٤
 من روضةٍ ، وسكينةٍ من يذبل
 من فطنةٍ ، وبديهةٍ من منصل

١ ط د : الدهر .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ س : ما لم .

٤ زيادة من س : والشطر الثاني فيها بياض .

الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنريني^١

ناثر وشاعر مُفْلِح ، وشهاب متألق ، نَشَرَ فسحر ، ونظم فنمنم ، وأولع بالقصار فأرسلها أمثالا^٢ ، ورشق بها نبالا^٣ ، لا سيما قوارعُ كَدَرِها على مَرَدَّةِ عصره ، وسم بها أنوف أحسابهم ، وتركها^٤ مثلاً في أعقابهم ، وأوصاف أبدع فيها ، واخترع كثيراً من معانيها ، ومُلَحَّ في شكوى زمانه ، دلَّ بها على علوِّ شأنه ، حتى لو أنَّ أبا منصور الثعالبي رآه ، أو سمع شيئاً مما نحاها ، لأضربَ عن ذكر كثير ممن به أغرب ، كابن سُكْرَةَ وابن لنكك ، ومن سلك ذلك المسلك .

وكان أبو محمد على جودة شعره . وشفوفه^٥ على [١٥٤] أهل قطره ، ضيقَ المجال ، زُحَلِيَّ الانتقال ، لم يسعه مكان : ولا اشتمل عليه سلطان ،

١ عبد الله بن محمد بن صارة (أو سارة) البكري الشنريني الأصل، نزل اشبيلية وسكنها وتميش فيها بالوراقة، وتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً للتعليم بالعربية، وسكن المرية وغرناطة وامتدح الولاة والرؤساء ، وكان حسن الخط جيد النقل قائماً على جمهرة من اللغة والنحو ، وكانت وفاته سنة ٥١٧ هـ (انظر التكملة : ٨١٦ والسلفي : ١٥ والقلائد : ٢٦٠ والخريدة : ٢ : ٣١٥ وبنية الملتبس رقم : ٨٩٦ والمغرب ١ : ٤١٩ والرايات : ٣٥ (غ) والمطرب : ٧٨ ، ١٣٨ والإحاطة : ٢٤٠ (النسخة الكتانية) والمسالك ١١ : ٣٨٣ وبنية الوعاة : ٢ : ٥٧ (نقلا عن الوافي للصفدي) والشذرات ٤ : ٥٥ وزاد المسافر : ٦٦ ووفيات الأعيان : ٣ : ٩٣ وانظر ٦ : ٢٥٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وبدائع البدائه : ٣٧٦ وشرح المقامات للشريشي ، وقد مر ذكره في مواطن من القسم الأول ، انظر مثلاً : ١ : ٧٩ ، ١٤٧ ، ٣٧٩ .

٢ المسالك : وغلدها .

وكانت قصاراه تتبع المحقّرات ، وبعدَ لأيٍ ما ارتقى إلى كتابة بعضِ الولاة ، فلما كان من خلع الملوكِ ما كان ، أوى إلى إشبيلية أوحشَ حالاً من الليل ، وأكثرَ انفراداً من سهيل ، وتبلغ بالوراقة وله منها جانب ، وبها بَصَرَ ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول ^١ :

أما الوراقة فهي أَيْكةُ حرقيةٍ أوراقها ^٢ وثمارها الحرمانُ
شَبَّهْتُ صاحبَها بصاحبِ إبرةٍ تكسو العُراةَ وجسمها عريانُ

ولقد رأيتُ له عدَّةَ مقطوعاتٍ في الهجاء ، تُرَبِّي على حصَى الدهناء ، وهو فيه صائبُ السهم ، نافذُ الحكم ، طويتُ عليه كشعاً ، وأضربتُ عن ذكره صفحاً ، وربّما أُلعتُ منه بالأقلّ ، ل ترى فتَسْتَدِلّ ، ولو استجزتُ أن أثبتَ في هذا الكتابِ ، بعضَ ما له في هذا الباب ، لتحققتُ أنه بالجملة بائقةٌ محاجة ، وصاعقةٌ مهاجاة ، وقد كتبتُ من ذلك في كتابي المترجم بـ « ذخيرة الذخيرة » جملةً موفورة ، له ولطوائف كثيرة . وفيما أوردت مع ذلك هنا من شعره ، لما أجريت من ذكره ، حجة فصل ، وشاهد عدل .

١ البيتان في القلائد والمسالك وبنية الوعاة وابن خلكان والإحاطة والشذرات والثاني في

طراز المجالس : ١٤١ .

٢ س : أغصانها .

جملة من شعره في النسيب وما يناسبه

قال في غلامٍ أزرق^١ :

ومَهْفَفٍ أَبْصَرْتُ فِي أَطْوَاقِهِ قَمَرًا بَاقًا لِلْمَحَاسِنِ يُشْرِقُ
تَقْضِي عَلَى الْمُهْجَاتِ مِنْهُ صَعْدَةً مَتَأَلَّقُ فِيهَا سَنَانُ أَزْرَقِ

وهذا كقول السلامي ، من أناشيد الثعالبي ، حيث يقول^٢ :

أَعَانِقُ مِنْ قَدَّهِ صَعْدَةً تَرَى اللَّحْظَ مِنْهَا مَكَانَ السَّنَانِ

وأبو محمد يتسلَّقُ على أشعار اليتيمة : تسلَّقَ الْقَاضِي الْغُشُومَ ، عَلَى مَالِ
الْيَتِيمِ . وفي ذلك يقول عبد الجليل :

قَدَّهُ مَهْمَا تَشْتَى صَعْدَةً وَالسَّنَانُ الذَّلْتُ فِيهَا طَرَفُهُ

ولابن رباح في غلامٍ أزرق :

عَيْنِي رَأْتُ أَغْرَبَ شَيْءٍ يُرَى مِنْزَهًا عَنْ كُلِّ تَشْبِيهِ
غَصْنٍ مِنَ الْبَلُورِ أَعْطَافُهُ تَرِيكَ لِينًا فِي تَشْبِيهِ
يَسْفَرُ لِلْيَاقُوتِ فِي حِمْرَةٍ وَإِنْ رَنَا عَنْ زُرْقَةٍ فِيهِ

١ انظر القلائد والحريدة وابن خلكان والمسالك والشذرات .

٢ اليتيمة ٢ : ٤٠٣ .

وقال أبو محمد أيضاً^١ :

أعندك أن البدر كان ضجيجي جعلت ابنة العنقود بيني وبينه
فقضيت أوطاري بغير شفيع فكانت لنا أمّا وكان رضيحي

وقال^٢ :

ومعذّر رقت حواشي حسني لم يكس عارضه السواد وإنما
فقلوبنا وجدأ عليه رقاق نشرت عليه صباغها الأحداق

وقال^٣ :

قاسيت حبك منذ حول كامل فحرمت منك بلوغ ما أملتته
وطيور آمالي عليك تحوم أشقى البرية عاشق محروم

وقال^٤ :

يا من تعرّض دونه شحط النوى فاستشرفت لحديثه أسماعي
إني لمن يحظى بقربك حاسد ونواظري يحسدن فيك رقاعي
لم تطوك الأيام عني إنما نقلتك من عيني إلى أضلاعي

١ انظر المطرب والمساك والنفع ٣ : ٤٥٨ .

٢ البيتان في القلائد والمطرب والمساك والرايات وابن خلكان وشذرات الذهب والقسم الأول من

الذخيرة : ١٤٧ .

٣ انظر المساك .

٤ الأبيات في القلائد والنفع ٤ : ٣٠١ .

وهذا المعنى كثير ومنه قول المعتمد^١ :

أغابته عني وحاضرة^٢ معي كأنك من عيني نُقِلْتَ إلى كبدي^٣

وقال العباس بن الأحنف^٤ :

تالله ما شطتْ نوى ظاعنٍ صار من العينِ إلى القلبِ

وقوله : « إني لمن يحظى بقربك حاسد » ، كقول محمد بن أبي أمية^٥ :

قد رآها الرسولُ حينَ رآها ليت عيني مكانَ عينِ الرسولِ

وقال^٦ :

ومهفهِفٍ يخالُ في أبراده مَرَحَ القُضيبِ اللدنِ تحتَ البارجِ
عاينتُ في مرآةٍ وهمي خدَّه فحكيتُ فِعْلَ جفونِهِ بجوانحي
لا غَرَوَ إن جرحَ التوهمُ خدَّه فاستَحِرُّ يَفْعَلُ في البعيدِ النازحِ

وبيته الثاني من هذه كقول القائل ، إلا أن أبا محمد زاد فيه ، وهو :

فقتلتنِي وجرحتُ خدَّكَ ظالماً ما كان أغناني وما أغناكَ

١ ديوان المعتمد : ٦

٢ الديوان : لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي .

٣ لم يرد في ديوان العباس .

٤ كان محمد بن أبي أمية (أو ابن أمية) كاتباً شاعراً ظريفاً من ندماء إبراهيم بن المهدي وهو

ممن كان يصاحب مسلم بن الوليد وأبا العتاهية (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩ - ١٥٠) والبيت

الوارد هنا في الأغاني ١٢ : ١٤١ .

٥ الأغاني : وإذا جاءها الرسول .

٦ الأبيات في القلائد والخريدة والمسالك .

وقال ١ :

أيُّ امرئٍ يُعَصِّمُ من فتنَةٍ بشادن إبليسُ من جُنْدِهِ
جِيئُهُ المشرقُ من وَصلِهِ وَفَرَعُهُ الخالكُ من صَدَةِ
مَلَكَتُهُ رَقِيٍّ ولا رَقَةٍ يحظى بها قلبي من عنده
وسطوةُ الهنديِّ في لحظة وعطفةُ^٢ الخطيِّ في قدِّهِ

وقال ٣ :

ماءُ الجمالِ بخْدَةٌ مَترَقِرٌ والشمسُ منه تعومُ في ضَحَضاحِ
ما خُدُّهُ جَرَحَتُهُ عَيْني إِنَّمَا صَبَّغَتْ غَلالَتُهُ دماءُ جراحِ
رِشاً له خدُّ البريء ولحظُهُ أبدأ شريكُ الموتِ في الأرواحِ
ذو طَرَّةٍ سَبَّجِيَّةٍ ذو غُرَّةٍ عاجيةٍ كالليلِ كالإصباحِ
لله راءُ زبرجدٍ في عَسْجَدٍ في جوهرٍ في كوثرٍ في راحِ
أتراه يعلمُ أنَّ قلبي عنده رَهْنُ الهوى يهفو بغيرِ جناحِ
ما زَحَّتُهُ ولم آدر ما حَدُّ الهوى حتى قدَحْتُ زنادَهُ بمزاحِ
لولا العيونُ لكان من دون الهوى وقلوبنا قُفْلٌ بلا مفتاحِ
قامتْ عليَّ شواهدٌ من حُبِّهِ فأرى الكنايةَ فيه كالإفصاحِ

١ في هامش ط هنا تعليقات بخط غير خط الأصل ، وأكثرها شعر منقول عن القلائد .

٢ س : وسطوة .

٣ منها في المسالك أربعة أبيات .

ومن شعره في الأوصاف

قال في النارج^١ :

أجمر على الأغصان زادت^٢ غضارة
وقضب تثنّت أم قلود^٣ نواعم
أرى شجر النارج أبدى لنا جنى
جوامد^٤ لو ذابت لكانت مدامة
كرات^٥ عقيق في غصون زبرجد
نقبلها طوراً وطوراً نشمها
به أم خلود^٦ أبرزتها الهواج
أعالج^٧ من وجدي بها ما أعالج
كقطر دموع^٨ ضرّجتها اللواعج
تصوغ^٩ البرى فيها الأكف^{١٠} المواج
بكف^{١١} نسيم^{١٢} الريح منها صوالج
فهن خلود^{١٣} بيننا ونوافج

وقال :

رخم^{١٤} من النارج خمسيه^{١٥} وقل^{١٦}
عجبا^{١٧} لدوحته ترف^{١٨} غضارة^{١٩}
كالغيد لا تشقى بنار^{٢٠} خلودها
نار على الإطلاق^{٢١} ليس تكذب^{٢٢}
والجمر^{٢٣} في أغصانها يتلهب^{٢٤}
وقلوبنا في حره^{٢٥} تنقلب^{٢٦}

وهذا كقول بعض أهل عصرنا^{٢٧} :

١. انظر القلائد والحريدة والمغرب والرايات ، ومنها أربعة أبيات في المسالك واثنان في النفع ٣ :

٤١٤

٢ القلائد : أبدى .

٣ هو عمر بن الشهيد كما في الذخيرة ١ : ٦٩١ .

وتحت البراقع مقلوبها تدبُّ على ورد خد ندي
تسلمُ من وطئتُ خدَّهْ وتلدغُ قلبَ الشجي الأبعد

وقال أبو حمزة ١ :

أهدِ الثناءَ إلى زمانٍ مشرقٍ أهدى إليك شقائق النعمانِ
قامتْ فرادى فوق سُوْقٍ زبرجدٍ صيغتْ عليه جمائمُ العقيانِ
يهفو بها مرَّ النسيم كأنَّها حمُرُ البنودِ نُشِرْنَ في الميدانِ

وقال ٢ :

وحديقةٍ في نرجسٍ وبهارٍ رَفَعَتْ لواءَ الحُسْنِ للنظارِ
فكأنَّما هذا ضحىٌّ متهلِّلٌ وكأنَّما هذا أصيلُ نهارِ
أخوانِ أمَّهما معاً شمسُ الضحى وأبوهما قمرُ السماءِ السَّاري
شربا سُلَافَ القطرِ حتى عربدا وتراجما بكواكبِ الأزهارِ
واستودعا خبريهما نَفْسَ الصَّبَا فأذاع ما كتما من الأسرارِ
فبكى الندى لهما ضُحِيًّا ، والندى مذ كان للأزهارِ أكرمُ جارِ

ومنها :

نمَّتْ زجاجتُها بها فحسبتُها ماءً يحيطُ بجلوةٍ من نارِ
رام المديرُ بأن يسكنَ قوَرَهَا فتعاذفتْ جَنَبَاتُهَا بشرارِ

١ ورد في المسالك بيتان منها .

٢ منها أربعة أبيات في المسالك .

حتى إذا ما ابنُ الغمامةِ شجَّها ثار الحبابُ مطالباً بالثار
في درعٍ نضناض كأنَّ أديمهُ يرنو بأحداقٍ بلا أشفار

ألمَ في هذا بقول المعري وقصر عنه ^١ :

كأثوابِ الأرقامِ مزَّقَتْها فخاطتها بأعينها الجرادُ

وكذلك قوله : « أخوانٍ أمهما معاً شمس الضحى » ، من قول ابن
الرومي ^٢ :

هذي النجومُ هيَ التي ربَّتْهما بجيا السحابِ كما يربِّي الوالدُ
وقال ^٣ :

وبستانٍ وردٍ في مطارفِ سندسٍ يرفُّ على غيدِ السَّوالفِ مُبِدٍ
نظرتُ إليه في الكمامِ فخلَّتهُ ذوائبُ تبرٍ عُمَّتْ بزبرجدٍ

وله يستدعي إلى مجالِدِ الأنسِ :

أيا تاجاً بهامِ المعلَّواتِ وياوُسْطَى نظامِ المكرماتِ [١٥٥ب]
ومن طلَّعتْ مآثرُهُ نجوماً بأفلاكِ السعادةِ نيراتِ
أرى ديماً تحثُّ إلى مدام يشيعها النديمُ بِخُذْ هاتِ

١ شروح السقط : ٣٠٥ ، يصف الدرع ويشبهها بجلد الحية ، وقد شبه المسامير فيها بعيون الجراد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٦٤٤ والمختار : ٢٣٧ وأمالى القالي ١ : ٢٧٠ .

٣ البيتان في المسالك .

٤ ط : فخذ .

وعندي من بنات الكرم بكر
يطوف بكأسها ساقٍ نبيلٌ
يكرُّ إليك الحاظاً مراضاً
مليحُ الوصف مقبولُ الصفات
يخفّرها ملاحظةُ السقاة
كأنَّ بها بقايا من سنوات

وقال :

أيا من جارت العلياءُ فيه
يحيد النُّبْلُ منا عِقدُ أنسٍ
فما تدري له العلياءُ كُنْها
أقام بغير واسطةٍ فكُنْها

وقال يصف سحابة :

أعاذك الله من ليلٍ بُلِيتُ به
وأفاني السحر الأعلى بساريةٍ
هللتُ منها وقد هبت صواعقها
لله من عارضٍ ضاق الفضاءُ به
تلاؤلاً الجوُّ من نيرانٍ بارقه
وقلتُ إذ قصفت للرعدِ قاصفةً
كأنه بغتةُ المقدورِ إذ طرقا
كادت تُعيدُ صعيداً منزلي زلقا
كراكبِ البحرِ لما شارف الغرقا
طولاً وعرضاً فخلت البرّ قد غرقا
حتى حسبنا أديم الأرض محترقا
تضعع الفلكُ الأعلى أو انطبعا

ومن ملح شعره في ذكر الزمان وبنيه ، وتعذر آماله فيه ^١ :

أرى الدينار للدنيا نسيباً
هما سيان إن صحقت حرقاً
يحيّد عن الكرام ^٢ كما تحيّد
وجدت الراء تنقص أو تزيد
رأيتُ هواهما استولى علينا
فنحن بحكمه أبداً عبيد

١ ورد في النفع ٣ : ٥٦٧ خمسة أبيات منها .

٢ ط : المكارم .

يؤمِّلُ أن يصيدهما فؤادي فيرجعُ عنهما وهو المصيد
فكم أصغي إلى زورِ الأمانِي ويَغْرِيني بها الحرصُ الشديد
والمُحُ من سنا الدينار برقاً غمامتهُ على غيري تجود
يفوزُ به الخليُّ فيحتويه ويُحَرِّمُ وصلهُ الصبُّ العميد
يجدُ فاسعَ لا تحفلُ بجِدِّ أبتُ لك صحبةً فيها الحدود
فما حُسِّنُ التناولِ فات سمعي ولكن فاتهُ الجدُّ السعيد
إلى كم ينفرُ الدينارُ مني ويطلبُ كفَّ مَنْ عنه يجيد
ألم أنشدْهُ في وادي هيامي به لو كان يعطفهُ النشيد
« حبيبي أنت تعلمُ ما أريدُ » ولكن لا ترقُ ولا تجود
وكم غنيتُ حين تنكبتني مني شيطانها أبداً مرید
« يريد المرءُ أن يُعطَى مناه » ويأبى اللهُ إلا ما يريدُ

وقال وقد طلقت امرأته : [١٥٦ أ]

أما الزمانُ فرقَ لي من طَلَّةٍ^١ كانت تطلُّ دمي بسيفِ نفاقها
الذئبةُ الطلساءُ عند نفاقها والحيةُ الرقشاءُ عند عناقها

وقال في هرث له كان يسمى رشيماً :

تبَّيتُ الهزبرَ فبات شبلي وأقصيتُ الغلامَةَ والغلاما
أوسدُ ساعدي خدِّي رشيقي وأوسعهُ اعتناقاً والتزاما
وأطوي طولَ ليلي ذِكرَ ليلي ولا أقرا على سلمى سلاما

١ الطلَّة : الزوجة .

وقال في أحد الكتاب :

وأغرَّ ينتحلُ الكتابةَ خطَّةً متوقِّدٍ كالحيَّةِ النضناضِ
عشق السَّوادَ فأصبحتُ أسنانهُ تشري السَّوادَ ببيع كلِّ بياضِ
فإذا شحا فاه رأيتَ خنافساً يأوين من فيه إلى مرحاضِ

وقال :

وأبخرَ قصَّ حديثاً له فقال الحضورُ فسا ذا الحدثِ
فقلت لهم بادروا بالقيامِ فإن الفُساءَ نذيرُ الحدثِ

وهذا كقول عبد المحسن الصوري^١ :

حديثه كالحديثِ يرفثُ كلَّ الرفثِ

ومن غريب ما قيل في البخر قول الحصري :

أبخرُ لا يحبكُ فيه البخورُ حسَدَ الغائبين فيه الحضورُ
قلت لِمَا فسا بفيه علينا ما له آستُ فكذبتنا الأبور

وقال آخر :

أهدى مغيثُ هيرَهُ لقمةً أرسلها من فمه الأبخري
فبادر القطُّ إلى دفنها يحسبها من بعضِ ما قد خري

وقال أبو محمد أيضاً :

١ اليتيمة ١ : ٣١٨ .

أما الثنايا فإني لست مثنياً عن الثناء عليها آخرَ الأبدِ
يبدو لطرفك منها حين تبصرها سنٌ كمثلِ مِسْنٍ الصَّيْقَلِ الفردِ
كأن جنَّ سليمان بنوا فمه بنيانَ تَدْمُرَ بالصفاح والعمدِ
يهدي إلى السَّمْعِ من ألفاظه نغماً كأنها نَفَثَاتُ السحر في العقدِ
له فمٌ كحجرٍ في شكلِ صورته « ترمي غواربهُ العبرين بالزبد »^١

واستجزت إثباتاً^٢ هذا إذ لم يصرِّحْ بأحد ، وقد قلت في غير موضع
من كتابي هذا إني نزهته عن الهجاء ، ولم أجعله ميداناً للسفهاء .

وقال من قصيدة :

أرى السيادة مذ صافحت هاجسها في كلِّ وادٍ من التقوى تهيم بكا
فما تُلَاقِيكَ إِلَّا وهي قائلةٌ قولَ التي شفها الصديقُ هيت لكا
إنِّي خطوت إليك الناسَ كلهم ولم أزر سوقَ منهم ولا ملكاً [١٥٦ب]
أشكو إليك ولا عارٌ بذِي وَصَبِ ألقى التداوي من أوصابه فشكا
الخرَجُ^٣ أخرج رأسي من شبيبته فكلما افترَّ ثغرُ الشيب فيه بكى
وفي الشهور إذا وافين لي شهرٌ يظلُّ عني فيه السرُّ منهتكا
وما الهلالُ بمبيضٌ لدى مُقَلِّي كأنه من قنيرِ الشَّيْب قد سبكا
أو من دراهم مذ باتت منجمةً عليَّ كدتُ أسبُّ النجم والفلكا

١ علق ناسخ ط هنا بقوله : انظر هذا الخنا البشيع ، فسبحان من قدر علي بكتبه ، فإننا لله وإنا

إليه راجعون .

٢ ط د : أبيات .

٣ ط : الحرج .

وقال أيضاً في مثله ^١ :

لولا الخراجُ خرجتُ عنه ولم تكنُ
قالوا الخراجُ فقلتُ ضُمُّوا خاءهُ
نُوبُ الزمانِ خواطراً بخواطري
فهو الخراجُ على سوادِ الناظر

وقال من قصيدة ^٢ :

سافرُ فإنَّ الفتى من باتٍ مفتحاً
ولا يذودُ تلكَ عن وجهٍ تصعبهُ
تنمَّرَ الدهرُ لي حتى مرقتُ له ^٣
لا بدَّ أن يقعَ المطلوبُ في شركي
قاضي الجماعة في دار الإمارة لي
فلستُ أنشدُ والقاضي بقرطبةِ
« جار الزمانُ علينا في تصرفه
ولا أقولُ وعندي من تهمته
« عندي من الدهر ما لو أنَّ أيسره
أصغرتُ من زمني ما كنتُ أكبرهُ »

قُفِّلَ النجاحُ بمفتاحٍ من السِّفَرِ
قد ينبعُ الكوثرُ السَّلْسَالُ من حجرٍ
من قسوريِّ الدَّجَى في فروة النمر
ولو بني وَكْرَهُ ^٤ في دارة القمر
قاضي على الدهر إن لم يقض لي وطري
يُسَرُّ بالعدل والأحكام والسير
وأي دهرٍ على الأحرار لم يجز
ما يطردُ الهمَّ عن نفسي وعن فكري
يُلْقَى على الفاتك الدَّوَارُ لم يدر
لما نظرتُ إلى آياته الكبير

وفيها :

وهاك بكرةً تريك الحسنَ في قحةٍ
إذا تجلَّتْ وَحُسُنُ البكر في الحفر

١ لم يرد البيتان في س .

٢ منها أربعة أبيات في كل من القلائد والخريدة .

٣ الخريدة والقلائد : الدهر حتى ما فرقت له .

٤ الخريدة والقلائد : داره .

لها بذكركَ أنفاسٌ مُعَطَّرَةٌ كما تنفست الأزهارُ في السحر
طالعٌ بغرتك الميمون طائرُها نواظراً بك في أمنٍ من الطيِّير
ولا تدعني في كفِّ الزمان سدىً كالقوس عطلها الرامي من الوتر
وقد تلينُ الليالي بعد قسوتها ويسمحُ الورْدُ بعد الشوك بالزهر
لم ألقَ في الورْد إلا ما أنسيتُ به وأنت لي وزرٌّ من وحشة الصَّدَر

قواه : « واو بنى وكره في دارة القمر » من قول المعري^١ :

ولو أنني في هالة البدر قاعدٌ لما هاب يومي رفعتي وجلالي

وأظنَّ أبا ذؤيب افتتحه بقوله^٢ :

ولو أنني استودعته الشمسَ لارتقتُ إليه^٣ المنايا عيْسُها أو رسولُها

وقال : [أ١٥٧]

جزى الله إخواني جميلاً^٤ فإنني وجدتهمُ لي عُدَّةً في الشدائدِ
همُ وصلوا كفي فكانوا سواعداً ولا خيرَ في أيدٍ بغيرِ سواعدِ
أقلدُهمُ حرَّ الثناء فإنهم بجيدِ المعالي واسطاتُ القلائدِ
أبا بكرٍ الأولى بحمدي وبالمنى نثرتُ على الأحرارِ دُرَّ المحامدِ
أهزُّ حساماً من لسانِكَ إن سَطَّتْ مضاربُهُ ذلَّتْ رقابُ الشدائدِ

١ شروح السقط : ١٢١٠ .

٢ ديوان المهذلين ١ : ١٧٤ .

٣ ط د : استودعها . . . إليها .

٤ س : جميعاً .

عسى أمني يحظى بإدراكِ سُؤْلِهِ فثَمَرَ بالإنجاز أَيْبُكَ المواعِد

وله :

لم أكسهم مِدْحِي إِلَّا لَأَكْسُوهُمْ من سَرُوهم سُنَّةَ الأحْجَالِ والغَرَرِ
ولم أزدْهُمْ بِهَا فَضْلًا وَهَلْ أَحَدٌ فِي وَسْعِهِ رَفَعُ قَدْرِ الشَّمْسِ والقَمَرِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَدُهُ يَمْضِي بِهَا قَدَمًا بَاعٌ طَوِيلٌ وَبَاعُ السِّيفِ ذُو قَصَرِ
بَحْرٌ وَصَارُمُهُ الدَّامِي بِرَاحَتِهِ نَهْرٌ عَلَى ضَفْتَيْهِ يَانِعُ الثَّمَرِ

ومعنى هذا البيت كثير ، ومنه قول المعري^١ :

روضُ المنايا على أنَّ الدماءَ به وإن تَخَالَفَنَ أبدالُ من الزَّهَرِ^٢

وقوله : « ولم أزدْهم بها فضلًا » ، من السرق الواضح ، والاهتمام
القاضح ، وهو قول أبي الطيب^٣ :

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعَهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَنْضَعُ

وقال أبو محمد من قصيدة :

شاورْتُ في سِرِّي إِلَيْهِ عَزِيمَةً قُرِنْتُ بِسَعْيٍ لَا يَنْجِبُ نَجِيجِ
لَمْ أَحْدِرْ حِينَ عَلَوْتُ مَتْنًا بِرَاقِهِ أَعْلَى الْبَرَاقِ نَزْوَتْ أُمٌّ فِي اللُّوْحِ

١ شرح السقط : ١٥٨ .

٢ وصف السيف بأنه روض المنايا ، والدماء المختلفة فيه أنواع من الزهر .

٣ ديوان المتنبي : ٣٠٦ .

٤ ط د : تروت .

٥ سقط البيت من س .

ومنها :

يَحْتَابُ أَرْدِيَةَ الْعَجَاجِ وَتَحْتَهُ
شَيْحَانُ لَمْ يَعْرِفْ دَرِيْسُ قَمِيصِهِ
وَأَنَا الَّذِي أَخْضَيْتُ جَهْدَ خِصَاصَتِي
حَتَّى بَدَأَ مَاءُ النَّدَى مَتَرَفَرَقًا
وَأَجَلْتُ مِنْهُ نَوَاطِرِي فِي غُرَّةِ
قَاضِي الْقَضَاةِ الْمُجْتَبَى مِنْ مَعَشَرِ
مَمَّنْ تَرَفُّ لَهُ عَلَيْكَ جَوَانِحُ
كَمْ قُلْتُ إِذْ قَالُوا زَمَانٌ قَابِضٌ
إِنْ طَافَ مِنْ حَدَثَانِهِ الطُّوفَانُ بِي

أَشْلَاءُ ذِمْرٍ أَوْ صَفِيحُ ضَرِيحٍ
عَرَفَ الْكِبَاءِ سَوَى دَخَانِ الشَّيْحِ
مِنْ بَعْدِ مَا ارْتَشَقَتْ بُلَالَةَ رُوحِي
فِي صَفْحَتِي طَلَّقَ الْبَيْدِ صَفُوحِ
تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ
كُسَيِّ الْمَدِيحِ بِهِمْ حُلِيَّ مَدِيحِ
فِيهَا صَحِيحُ مَوْدَّةٍ وَجَنُوحِ
مِنْهُ الْكَرِيمُ عَلَى عَيْنَانِ جَمُوحِ
فَمَكَارِمُ الْقَاضِي سَفِينَةُ نُوحِ

وله فيه من أخرى^١ :

اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ وَافَيْتُ قَرْطَبَةَ
وَقَدْ تَهَلَّلَ بِي وَجْهُ النِّجَاحِ بِهَا
تَزْهَوُ الْعَلَا بِمَسَاعِيهِ إِذَا ذُكِرَتْ
لَمْ يُرْضِهِ عَرَضُ الدُّنْيَا فَجَادَ بِهِ

دَارَ الْعُلُومِ وَكُرْسِي السَّلَاطِينِ^٢ [١٥٧ب]
طَلَّقَ الْأَسْرَةَ مِنْ وَجْهِ ابْنِ حَمْدِ بْنِ
زَهْوِ الْأَنْوَفِ بِأَنْفَاسِ الرِّيحِ
وَضَنَّ بِالْأَكْرَمَيْنِ : الْعَرَضِ وَالْدِينِ

١ فيه من أخرى : سقطت من ط د .

٢ ورد هذا البيت في النفع ٣ : ٢٦ .

انتهى السفر الثاني من الذخيرة والحمد لله حق حمده وصلّى الله على سيدنا ومولانا
محمد المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وكان الفراغ منه عام خمسة بعد ألف في زوال

يوم الأربعاء الرابع والعشرون [كذا]

من ذي القعدة ، عرفنا الله خير ،

ووقانا ضيره ، بمنه ويمنه

تذليل و استدراقات

تذييل

حين كان هذا القسم يكاد يشارف النهاية في المطبعة ، وصلتني صورتان عن نسختين منه ^١ وإليك وصفاً موجزاً لكل منهما :

(١) نسخة الخزنة الملكية بالرباط (رقم : ٧٧٥٣) ورمزها (ك) ، وهي تشتمل القسم الثاني كله ، وتضم ٢١٥ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٣ سطراً ، ومعدل الكلمات ١٣ كلمة في السطر الواحد ؛ مكتوبة بخط مغربي حديث ، وفي بعض سطورها تحشيات بخط أحدث ، وفي أوراقها اضطراب ، وفيها خرم ضاعت بسببه بضع صفحات .

ويمكن أن تعدّ هذه النسخة دون تردد من فئة (ط) ولهذا نجدتها تطابق (ط د) بوجه عام وربما انفردت بزيادات قليلة (وخاصة في إحدى قصائد ابن عمار وفي بعض أبيات للمحمّد) ، وهي لا تشذ عن (ط د) في القراءات حيث تكون هاتان متطابقتين . وتنفرد بعد ذلك بقراءات بعضها مرجح على ما عدها . وهذا أثبتته في الاستدراكات التالية : وبعضها مرجوح ولذلك أرجأته إلى جزء أخصصه للتعليقات العامة على جميع أقسام الذخيرة (وهو فيما أقدر سيكون جزءاً تاسعاً ، إذا وفقني الله إلى انجازه) ، وهذا القسم المرجوح هو الذي تنفرد به (ك) عن أخيها (ط د) ، فأما ما تتفق فيه معهما فلا أرى داعياً لاثباته .

(٢) نسخة المكتبة البودايانية باكسفورد (I: 749) ورمزها (ل) ، وهي أصل

^١ تطف الصديق الدكتور عدنان البغيث ، الأستاذ بالجامعة الأردنية . فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة الخزنة الملكية رقم 7753 كما تطف الابن العزيز الأستاذ رمزي بعلبكي فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة المكتبة البودايانية باكسفورد . قال الصديقين ، جزيل الشكر وأوفاه .

النسخة (س - الباريسية) ولذلك تقع في فئة النسختين (م س)، إلا أنها أكل من (م) لأن هذه الأخيرة تقف عند جانب من ترجمة ابن عبدون، وأصح كثيراً من (س) التي تشاركها في الأخطاء الأصلية وتضيف كثيراً من الأخطاء الجديدة. ولما كانت كذلك فإنها تتمتع بما في النسختين من زيادات أشرت إليها في الحواشي؛ وربما كان خطها المغربي الدقيق الجميل يشير إلى أنها من أقدم ما لدينا من نسخ الذخيرة. إلا أنها لا تحمل تاريخاً للنسخ. وتقع في ٢٣٠ ورقة وفي الصفحة الواحدة من صفحاتها ٢٥ سطراً، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة. وتحفل بعنوانات للفصول والفقرات مكتوبة بخط كبير.

وقد اعتمدت بعض قراءاتها الضرورية لقارئ هذا القسم وأدرجتها في الاستدراكات التالية معتمداً بالمقارنة الشاملة للجزء الخاص بالتعليقات العامة.

مما تقدم يتضح أن هاتين النسختين لوقوعهما في فئتي المخطوطات التي اعتمدتها منذ البداية لم يتشكك هذا القسم من الذخيرة مما يشكوه من نقص متصل بترجمة البكري وترجمة ابن حجاج (التي لا وجود لها في المخطوطات المتوفرة لدي) - كما وضحت في مقدمة هذا القسم - ولكنهما قد متا بعض الفائدة في ترجيح بعض القراءات على البعض الآخر.

استدراكات^١

٧٤ حاشية رقم ١ : البيتان المشار إليهما لا يردان في هذا القسم ، فالقول بوزودهما وهم .

٢٧٤ : ٨ - ٩ أن غماءهم لا تنفرج ، وظلماءهم لا تنجلي ولا تتبلج (كما قدرت في الحاشية رقم ٤)

١ ميزت ما اعتمدت فيه على النسخة (ل) باثبات هذا الحرف إلى جانب القراءة المرجحة ، ومعنى ذلك أن كل ما لم يرفق به رمز فانه مستمد من (ك) : والرقم الأول يشير إلى الصفحة والثاني إلى السطر .

ومجلى دياجير الظلم والظلم	٢٨٦ : ١١
وتعطلت أجيادُ الأنوار	٢٩٠ : ٣
من محتتم الكتاب	٣٠١ : ١٥
فكيف تزلُّ (لعلها : تتزل) لي عن صهوة الابتداء	٣٢٩ : ٤
أن يشدَّ على علق مضنَّة منه يده	٣٣٩ : ٩
زاد في (ك) بعد السطر : ١٣ :	٣٤٨ :
كلام لو ان البقل أدلى بمثله رمى البقل واخضرَّ العضاه المصيف	
وابذل لها (احذف كلمة : بها)	٣٥٠ : ١٢
وأعرب عن نخيزته وانتسب .	٣٥٤ : ٩
وبعد انتبازه من منازل شلب	٣٧١ : ١٠ - ١١
أما معاني أول هذه القصيدة (كما في النسخة : د)	٣٧٧ : ٢
زاد في (ك) بعد السطر : ٦ ، وقد رأيت البيت الأول منهما	٤٠٩ :
على قافية أخرى :	
أسأت إليّ فاستوحشت مني ولو أحسنت أنسك الجميلُ	
من حَفَّ أظآر العلا في معشر	٤٥٧ : ٥
يا تربة استبقي سناه ويا بلى	٤٨٤ : ١٧
والفاظ التأبين مبنية على كثرة التفجع .	٤٨٩ : ٨
الشماثل الواعدة الصادقة .	٦٨٢ : ٢٠ - ٢١
إذا شهدوا القتال (ل = كما في الديوان)	٧٣٢ : ١٩
إذا التقت الرياح (ل = كما في الديوان)	٧٣٣ : ٣
أحال بالدين والدنيا على الخبر (ل)	٧٤٥ : ٣

- ٧٤٦ : زاد في (ل) بعد السطر : ١٩ البيت التالي :
- أجللتها فاستبانت نصف دائرة لو كلفت شأوها الأفلاك لم تسر
- ٧٤٨ : ٤ غير نفس حرة زاحمت به (ل) .
- ٧٤٩ : ٥ أهلّوا بمنهل من الغيث (ل) .
- ٧٥٥ : ١٤ ويعيد بعض الريش إلى جناحي .
- ٧٥٨ : ٩ أمّلكَ أبا الحسين (كما قلرت في الحاشية رقم : ٣)
- ٨٧٣ : ٨ فسيل ما وردني به الآن .
- ٧٩٤ : ٣ اقرأ : « وإن كان [ابن المعتز] قد تقدم في تقسيم التشبيه . . . »
- والبيت التالي في غرائب التشبيهات : ٣٦ لابن المعتز ، وينسب أيضاً للصنوبري : انظر ديوانه : ٤٨٧ .

فهارس الكتاب

١ - فهرس الأعلام

أ	ابن أبي (أبو جعفر) ٧٤٢ ، ٧٤٣
آدم ١٥٦ ، ٥٨٤ ، ٨٢٠	أحمد (في شعر) ٤٠٩
الآمدي ٦٤٤	أحمد (دون تعيين) ٧٤٤
ابن الأبار أبو جعفر ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣ (١٣٥ - ١٥٨)	أحمد ابن أبي أحمد المتوكل ٢٥
— ٢٠٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧	أحمد بن الحسين المتنبي أبو الطيب ، انظر : المتنبي
أبان بن عبيد ٣٩٧	أحمد بن صالح ٣٩٠
إبراهيم (الخليل) ٢١١	أحمد بن عبد الله بن هريرة ، انظر : الأعمى التطيلي
إبراهيم الشاشي ٧٩	أحمد بن علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة
إبراهيم بن العباس الصولي ، انظر : الصولي	أحمد بن محمد البلمي الاشيلي (٢١٣ - ٢١٤)
ابن أبي ربيعة ، انظر : عمر بن أبي ربيعة	أحمد بن المدبر ٨١٢ ، ٨١٣
ابن أبي زرعة ١٤٨	الأحيمر ٦٤٦
ابن أبي عامر ، انظر : المنصور	ابن الأخضر (علي بن عبد الرحمن) ٣١٠
ابن أبي عتيق ٢٢٥	الأخطل التغلبي ١٤٧ ، ٥٤٤ ، ٦٣٠
ابن أبي قرعة اليفرنى ٣٩	
أبي (والد أبي جعفر) ٧٤٤	

١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩

إسماعيل بن عباد (ابن المعتضد)

٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ،

١٨٤

إسماعيل بن محمد الملقب بجيب

(١٢٤ - ١٣٥) ، ٢٠٠ ، ٢٠٢

الأشتر النخعي ٨٩٦

أشجع السلمي ٤٨٤

أشعب ٤١٥

الأصنغ ٦٣٨

أبو الأصنغ ٧٣٠

أبو الأصنغ ابن سعيد (٢٠٩ -

٢١٠)

الأصمعي ١١٧ ، ٢٢٤ ، ٥٨١ ،

٥٨٢

ابن الاطنابة ٧٦١

الأعشى ٢٠١ ، ٦٩١ ، ٧٧٢ ،

الأعشيان ٧٢٧

الأعدى التطيلي (أبو جعفر أحمد بن

عبدالله بن هريرة) ٥٤٤ ،

٧٢٤ ، (٧٢٨ - ٧٥٣)

الأعلم (يوسف بن عيسى أبو

الحجاج) ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤

الأخطلي ٧٦٧

الأخشان ٧٢٧

ادريس بن يحيى الحمودي ٦٥٨ ،

٧٩١ ، ٧٩٢

ادريس بن اليماني ١٠٦ ،

١٣٦ ، ٦٩٢

اذفونش بن فردلند ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٦٥٠ ، ٨١١

أربد (أخو لييد) ٣٤٩

ابن أرقم ، أبو الأصنغ ٤٦

ابن الاستجي ، أبو الحسن

(٢٠٠ - ٢٠٦) ، ٦٣٧

إسحاق الموصلبي ٢٢٤ ، ٣٤٩ ،

٣٨٥ ، ٧٠٧

إسحاق بن كيغلغ ٣٣٤

إسحاق بن معل ٤٨٧

الأسعد بن بليطة ٤٤

إسماعيل البرمكي ٥٥٣

إسماعيل بن عباد (جد المعتضد)

٢٣٤

إسماعيل بن عباد (أخو المعتضد)

الباجي (جعفر بن يوسف) ١٨٦	ابن الأفتطس ٥٤٤
الباجي (سليمان بن خلف أبو الوليد)	ابن الأفتطس (المتوكل) ، انظر :
(٩٤ - ١٠٥)	المتوكل ابن الأفتطس
الباجي (عبد الله بن جعفر) ١٨٦	ابن الأفتطس (المظفر) ، انظر :
الباجي (يوسف الجلد) ١٨٦	المظفر بن الأفتطس
ابن الباجي (يوسف بن جعفر ،	ابن الأفتطس (والد المظفر) ٢١
أبو عمر) (١٨٦ - ٢٠٠)	امروء القيس ١٤٥ ، ١٤٦ ،
٢٦٦ ، ٣٤٢	١٥٣ ، ٢٥٠ ، ٣٥٧ ، ٤٤٦ ،
باديس بن حبوس ٣٣ ، ٤٩ ،	٤٤٩ - ٤٥٥ ، ٥٥٠ ، ٦٩٠ ،
٥٠ ، ٢٣٧	٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧٢١ ،
باقل ١١٧ ، ١٨٢	٧٤٧ ، ٧٦٦ ، ٧٩٤
بجير بن الحارث ٦٢٨	أم الربيع (جارية المعتمد) ٤٣ ، ٤٤
البحري ١٢ ، ٩١ ، ٢٢٢ ،	أم مالك ١٠٢
٣٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٩ ،	أمير المسلمين وناصر الدين ، انظر :
٤٩٢ ، ٤٩٩ ، ٥١٢ ، ٧٧٧	علي بن يوسف بن تاشفين ؛
بديع الزمان الهمداني ٥٣٨ ، ٦٩٦	يوسف بن تاشفين .
ابن برد الأصغر ، أبو حفص	الأمين العباسي ١٥٢ ، ٧٢٣
١٢٧ ، ٢٣١ ، ٨٠٥	أبو أنس (الضحاك بن قيس) ٧٢٢
البرغواطي ، انظر : سقوت بن محمد	أويس القرني ٦٧٢
ابن برلوصة البطليوسي ، أبو عمر	ابن أيمن ، أبو عبد الله (٦٥٢ - ٦٦٨)
(٨٠٥ - ٨٠٧)	أبو أيوب ٧٧٩
ابن بسام الشنبريني ١١ ، ١٣ ،	ب
	ابن بابك ١٦٨ ، ٧٤٧

أبو بكر الخولاني المنجم ٢٤٤، ٥٦	١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٨ ،
أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبانة	٤١ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٩ ،
أبو بكر الصديق ٩٤ ، ٤٤١	٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٢ ،
أبو بكر ابن الاشيلي الحكيم ٣٨٥	١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ،
أبو بكر بن سعيد البطليوسي (ابن	١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤ ،
القبطورنه) ٧٤ ، ٦٠٨ ،	٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ،
٧٠١ ، (٧٥٣ - ٧٧٣)	٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ،
البكري ، انظر :	٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٩ ،
أبو الحسن غلام البكري	٤٩٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٠ ، ٥٧٩ ،
أبو زيد البكري	٥٨١ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧ ،
أبو عبيد البكري	٦٤٢ ، ٦٥٠ ، ٦٧٩ ، ٦٨٩ ،
ابن بلبل ، انظر : أبو الصقر ابن بلبل	٧٠٤ ، ٧٨٤ ، ٧٩٠ ، ٧٩٧ ،
بلج بن بشر القشيري ١٤	بسطام بن قيس ٧٢٩ ، ٧٦٩ ،
ابن بياح السبتي أبو الحسن ٧٣٠	٧٧٠
٧٣٢ ، ٧٣٣	بشار بن برد ٤٢ ، ٢٢٥ ،
ابن بيض ٧٦٠	٢٩٦ ، ٦٨٥ ، ٧٧٧ ،
ابن البين البطليوسي ٢٢٢ ،	بشر بن أبي خازم ٧١٣
(٧٩٩ - ٨٠٣)	ابن بقي ، أبو بكر (يحيى بن محمد)
ت	(٦١٥ - ٦٣٦)
٥٥٠	أبو بكر ٧٨٤
تابع	أبو بكر (في شعر) ٦١٨
الترمذي ٨٢	أبو بكر (صديق ابن بقي) ٦١٦
أبو تمام ٦١ ، ٧٨ ، ٩١ ،	

١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ، ابن الجلد أبو الحسين (الحسن)
 ١٧١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، (٥٥٦ - ٥٦٢)
 ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٠ ، ٤٤٢ ، ابن الجلد ، أبو القاسم (٢٨٥ -
 ٤٤٣ ، ٤٦٩ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، (٣٢٢) ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ،
 ٤٩٣ ، ٥١٣ ، ٥٥٢ ، ٦٠٥ ، ٣٥٣ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٧ ،
 ٦١٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٩ ، ٦٤٣ ، ٦٧٩ ، ٧١٥

جذيمة الأبرش ٦٣ ، ٧٢٥ ، ابن الجراح الوزير ١٣٩ ،
 ٦٤٥ ، ٦٨٦ ، ٦٩١ ، ٦٩٣ ، ٧١٤ ، ٧٥٥ ، ٧٦١ ، ٧٧٦ ،
 التنوخي القاضي ٦٣٣

التهامي أبو الحسن ٢٤٨ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٧٩٥

ث

ثابت بن أبي ثابت ١٥٤ ، الثعالبي ، أبو منصور ١٥٢ ،
 ٦٣٣ ، ٧١٣ ، ٧٣٤ ، ٨٣٦ ، ثعلب ٧٢٧

ج

جابر بن المعتضد ٥٠ ، الجاحظ : أبو عثمان ٦١ ،
 ١١٧ ، ٢٨٥ ، ٧٠٣ ، أبو جعفر المحدث ٤٩٤ ،
 أبو جلدة اليشكري ٧٦٠ ، جمل ٦١٣

ابن جمهور ٢٥٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	حبيب الوزير (محمد بن أحمد بن عامر) ١٩ ، ٢٤
الجميع (منقذ بن الطماح) ٧٠٠	حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام
جميل بن معمر ٤٥١ ، ٧٠٥	ابن حبيب ، انظر : إسماعيل بن محمد
جنوب أخت عمرو ٥١٣	
ابن جهور ١٨ ، ٣٣ ، ٣٧	ابن حجاج البغدادي ٧٨٤
ابن جهور ، أبو الوليد ١٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧	ابن حجاج ، أبو بكر ٤٦٨
الجونان (عمرو ومعاوية) ٧٢٦	حجر بن عمرو الكندي ٧٢١
ح	ابن حزم ، أبو بكر ٦١١
حاتم الطائي ١٠٧ ، ٣٦٦ ، ٣٩٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٨ ، ٦٨٧	ابن حزم ، أبو الحكم (٥٨٨) - ٥٩٨ ، ٦١٠ ، ٦١١
أبو حاتم الحجاري ٤٤٣ ، ٦٣٤	ابن حزم ، أبو محمد ٩٦ ، ٦٧٩
أبو حاتم السجستاني ١٣٨ ، ١٣٩	ابن حزم ، أبو المغيرة ٣٢١ ، ٦٧٩
حاجب بن زرارة ٧٦٦	ابن حزم ، أبو الوليد ٢٢٢ ، ٥٨٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨
الحارث بن بسختر ٤٠٥ ، ٤٠٦	- ٦١٥)
الحارث بن ظالم ٧٦٦	حسام الدولة بن رزين ، انظر :
الحارث بن هشام ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١	ابن رزين

١٥٨) ابن حصن ، أبو الحسن	حسان بن ثابت ٣٢ ، ٢٥٠ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٦٧٣
٦٩١ ، ٢٠٥ (١٨٦ -	حسان بن المصيصي ٢٤٨ ،
الحصين ٦٩٢	٢٧٣ ، (٤٣٣ - ٤٥١) ٥٩١
الحصين بن الحمام المري ٣٣٣	ابن حسداي ، أبو الفضل ٤٠١
ابن الحضرمي ، أبو الوليد ٣٩١	الحسن بن حسان ، انظر : السناط
٦٤٦ ، ٦٥٢	حسن بن علي بن أبي طالب ٧٢٢
ابن الحضرمي ، محمد بن عيسى	الحسن بن عمر الهوزني ، انظر :
٣٧٩ ، ٧٤١	الهوزني ، أبو القاسم
الحكم المستنصر ٦٤١	الحسن بن هانيء ، انظر : أبو نواس
حكم الوادي ٦٣١	الحسن بن وهب ٧٥٦ ، ٧٦١
الحليس ٦٨٧	أبو حسن ٥٩٠
حمدويه الأحول ٤٦٩	أبو الحسن بن سعيد البطليوسي
ابن حمديس الصقلي ٧٦ ،	٧٤ ، ٥٨٨ ، ٧٥٣ ، ٧٦٩ ،
٦٢٤	٧٧٢ ، ٧٧٣
ابن حمد بن القاضي ، أبو عبد الله	الحسين بن علي بن أبي طالب ٧٢٢
٢٢٢ ، ٢٦٠ ، ٥٦٩ ، ٧٤٧ ،	أبو الحسن (غلام) البكري
٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٧٦٤ ، ٨١٧	(٥٦٣ - ٥٧٣)
حمزة بن عبد المطلب ٧٢٢	الحصري المكفوف ٦٦ ، ٦٧ ،
ابن الحناط الرعيني ١٩٥	١٤١ ، ٥٥٧ ، ٦١٨ ، ٦٦٢ ،
حنظلة الكاتب (حنظلة بن الربيع)	٨٤٥
٨١٤	حصن بن حذيفة ٤٨٩
أبو حنيفة الدينوري ٢٠١	
حواء ٧٦٤	

ابن حيان، أبو مروان المؤرخ ١٤ ،
 الخنساء (تماضر) ٧٠ ، ١٢٣ ،
 ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ،
 ٣٣ ، ٤٠ ، ٢٣٣ ، ٦٣٧ ،
 ٦٤١ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨ ،
 أبو حية النميري ٤٧٦
 ابن خيرة الصباغ (٢١٠) -
 (٢١٢)

د

دارا ٧٢١
 ابن داود الظاهري ١٣٩
 ابن الدب ، أبو مروان ٣٢٤
 ابن الدباغ ، أبو المطرف ٣٩٢
 ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤
 ابن دراج القسطلي ٤٦٩ ،
 ٦٩٢
 دريد بن الصمة ٢٧٢ ، ٤٩٠
 دعبل الخزاعي ٥٤٤
 دعي ٦١٧
 دعيص الرمل ٧٦٦
 أبو دلامة ٥٤ ، ٥٥

ذ

أبو الذبان ، انظر : عبد الملك بن

خ

خارجة السهمي ٧٢٢
 ابن خاقان (وزير المتوكل) ٣٨٦
 خالد ٦٩٠
 خالد بن جعفر ٧٨٤
 خالد بن الوليد ٨٧
 خالد بن يزيد ١٤٧
 خبيب (بن عدي الأنصاري)
 ٧٢٢
 ابن خزرون ٣٩ ، ٢٨
 الخصيب (والي خراج مصر)
 ٨٢٦ ، ٨٢٧
 ابن خلدون ، أبو محمد
 ٧١٩ ، ٧٢٠
 خلف الأحمر ٦٣٣
 الخليل بن أحمد ٧٢٧

ريبعة بن مكرم ٤٦٠	مروان
ابن رزين، حسام الدولة ٢٢١،	أبو ذر الغفاري ٦٤٢
٢٢٩ ، ٤٠٠	ذو الاصبع العدواني ١٢
٧٢٢ رستم	ذو حاجب ٧٢٢
الرشيد (هارون) ٣٤٩	ذو الخمار ٦٤٢
الرشيد بن المعتمد ، أبو الحسين	ذو الرمة ١٣٣ ، ١٦٩ ،
٣٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٢٦ ،	٦٩١ ، ٧٠٢ ، ٧٩٤
٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٩٩ ،	ذو القروح ، انظر : امرؤ القيس
٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢١ ،	ذو الكلاع الأصغر ٨٢
٧٠٨ ، ٧٠٩	ذؤاب بن أسماء ٢٧٢
ابن رشيق الأندلسي ٧٧٠	أبو ذؤيب الهذلي ٤٢٢ ، ٨٤٨
ابن رشيق القيرواني ١٦٤ ،	ابن ذي النون ، انظر : المأمون
٤٣٨	ابن ذي النون
الرضي ، انظر : الشريف الرضي	ر
الرمادي (يوسف بن هارون)	الراضي بن المعتمد ، أبو خالد
١٤١ ، ١٥٦ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧	٦٩ - ٧١ ، ٢٨٥ ، ٤٢٢
٤٦٨ ، ٧٠٣	- ٤٢٤ ، ٤٢٨
رملة بنت الزبير ١٤٧	الرباب ٦٦
روح بن حاتم المهاجي ٥٥ ،	ابن رباح، أبو تمام ٤٧٠ ، ٧٠٥
٥٦	٨٣٦
روح بن زنباع ٦٩٤	الربيع بن زياد ٧٢٥
ابن الرومي ٩١ ، ١٣١ ،	

١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ، زهير الصقلبي ١٧
 ٢٥١ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، زهير بن أبي سلمى ٧٧٢
 ٦٠٥ ، ٦٣٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ، زهير بن مسعود ٦٨٧
 ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٩٣ ، ٨٤٢ ، زياد بن أبي سفيان ٣٨٣ ،
 ٣٩٩ ، ٥٦٣

ز

الزباء ٦٣
 الزبرقان بن بدر ٥٤٤
 الزبيدي ، أبو بكر ١٩
 الزبير بن العوام ٧٢٢
 الزريزير ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 زفر بن الحارث ٦٩٤ ، ٧٢٢
 ابن الزنجاري ٦٨
 زيد بن ثابت ٨١٤
 أبو زيد البكري ٣٦ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤
 ابن زيدون ، أبو بكر ٤٢٩ ، ٧١٠
 ابن زيدون ، أبو الوليد ٥١ ،
 ٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ،
 ٢٣٩ ، ٣٧٨ ، ٤٦٣

س

ابن زهر (محمد بن مروان)
 (٢١٩)
 ابن زهر ، أبو العلاء (٢١٨)
 — (٢٣١) ، ٥٩٣ — ٥٩٥ ،
 ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦٩٦ ، ٧٤٥ ،
 ٧٤٧
 ابن زهر ، أبو مروان (٢١٩)
 سابور العامري ٦٤١
 سالم بن عبد الله ٣٥٧
 أبو سالم العراقي ٤٢٢
 سحبان وائل ١١٧ ، ١٨٢ ،
 ٣٥٧ ، ٦٧٣
 سحر (جارية المعتمد) ٤٥
 سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٥٥

سراج الدولة، انظر: عباد بن المعتمد	سقوت بن محمد البرغواطي (المنصور
سراج الدولة	المعان) ٣٧ ، ٤٠ ،
ابن سراج ، أبو الحسين ٣٤٧ ،	٦٥٧ - ٦٦١
٣٤٨ ، ٥٧٣ ، ٦٢٨ ، ٧٥٤ ،	ابن سكرة ٨٣٤
٧٥٨ ، ٧٦٧	السلامي ، أبو الحسن ٥٠٥ ،
ابن سراج ، أبو مروان ٤٧٤	٧٠٢ ، ٨٣٦
ابن سريج (المغني) ٧٦٠	سلمى ٧٤٣ ، ٨٤٤
ابن سريج ، أبو العباس ١٣٩	أبو سلمة الخلال ٧٧٠
سعد (حاجب ابن خاقان) ٣٨٦ ،	سليمي ٧٤ ، ٢٢٤ ، ٥٥٢
٣٨٧	سليمان بن الحكم ، انظر : المستعين
سعد بن أبي وقاص ٧٢٢	سليمان بن داود ٤٦٣ ، ٥٠٧
أبو سعد المخزومي ٤٤٣ ، ٤٢	٨٤٦
سعد الدولة بن ليون ، أبو الأصبغ	السمناني القاضي ٩٩
٢٦٣	السمهري العكلي ٧٢
سعدى ٦١٣	السناط (الحسن بن حسان) ٧١٨
سعيد بن حميد ١٣٨ ، ٧٢٩	سهل بن هارون ٧٢٩
سعيد بن هارون (صاحب اكشونة)	ابن سوار الأشبوني ، أبو بكر
٣٦	٢٢٢ ، ٧٦٦ ، (٨١١ - ٨٣٣)
أبو سعيد الثغري ٥١٢	ابن سوار الشتريني ، أبو عامر
السفاح ٣٤٢ ، ٧٢٢	٤٧٩
ابن السقاء (ابراهيم بن محمد)	ابن سيرين ٧٦٤
٢٣٧	سيف الدولة الحمداني ٢٢٦ ،

شيان الخارجي ٥٤

أبو الشيص ٨١٧

ص

الصاحب بن عباد ٢٢٢ ، ٤٦٢

ابن صاحب الأسفيريا ، انظر :

ابن فتوح

ابن صارة الشنتريني ٦٩٦ ،

(٨٣٤ - ٨٥٠)

صاعد بن الحسين ٢٧ ، ٢١٦

صاعد بن مخلد ٢٢٢

صالح (النبي) ٤١٢

صالح بن صالح الشنتمري (٥٧٣)

(٥٨٧ -

صخر (أخو الخنساء) ١٢٣ ،

٧٢٠ ، ٤٤٩

صريع الغواني ١٣٦ ، ٤٨٦ ،

٧٠٣ ، ٦٩٤

صفية بنت عبد المطلب ٤٤٠

أبو الصقر ابن بلبل ٣٩٩

ابن صمادح ، أبو يحيى ٢٦٢ ،

٤٧٥ ، ٢٦٤

٢٤٦ ، ٤٩٠ ، ٥٤١

سيف بن ذي يزن ٦٩٤ ،

٦٩٥

ش

شأس بن عبدة ٧٦١

ابن شبرين ٧٦٤

شبيب بن شيبه ٧٦٠

ابن شرف ، أبو عبد الله ٤٣٦ ،

٦٤١ - ٦٤٣ ، ٦٤٦

ابن شرف ، أبو الفضل ١٥٨ ،

٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٨٠٥

شريح القاضي ٨٣٣

الشريف الرضي ١٤٠ ، ٣٧٩ ،

٦٢٢ ، ٧١٤

ابن شماخ (عبد الملك) ٤٩٤

شمر بن ذي الجوشن ٧٢٢

شمس المعالي (قابوس) ٥٣٨

شميسة (والده ابن عمار) ٤١٤

الشنفرى الأزدي ٧٦٩ ، ٧٧٠

ابن شهيد ، أبو عامر ٧٢ ،

٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٥٨٧ ، ٨٢١

أبو محمد بن سعيد	الصمة القشيري ١٣٧
طلحة بن عبيد الله ٦٥١	الصولي ، ابراهيم بن العباس
الطليق المرواني ٣٨٩	٨١٢ ، ٨١٣
الطماح الأسدي ٤٤٦ ، ٤٤٧	الصولي ، أبو بكر ٤٢ ، ١٣٨ ، ٣٨٩
أبو الطيب ، انظر : المتنبي	ابن الصيقل اليابري ٨٠٦ ، ٨٠٧
الطيطل (علي بن إسماعيل القرشي)	
(٧٩٧ - ٧٩٩)	
ابن طيفور ٢٠	
ظ	ض
الظافر بن المعتمد ١٢٣ ، ٢٧٦	ضياء الدولة بن سقوت ٦٦١
ع	ط
عامر بن الطفيل ٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٧٩	طاهر بن الحسين العلوي ٣٨٠
أبو عامر ٧٦٨	ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن ٨٢ ، ٤١٠ ، ٤١٢
أبو عامر (صديق ابن الجحد)	أبو طاهر ٥٥٢
٣١٩ - ٣٢١	الطائي الأصغر ، انظر : البحري
عائشة (أم المؤمنين) ١٧١ ، ٧٥٨	الطائي الأكبر ، انظر : أبو تمام
عباد بن القاضي أبي القاسم محمد ، انظر : المعتضد	طرفة بن العبد ٧٠٩
عباد بن المعتمد ، سراج الدولة	ابن طريف ، أبو الوليد ٤١٧
	طلحة الفياض ٧٢٢
	طلحة بن سعيد البطليوسي ، انظر :

ابن عبد الصمد السرقسطي ٤٩٣	أبو عمرو ٧٠ ، ٢٦٦ ،
ابن عبد العزيز ، أبو الأصمغ	٢٦٨ ، ٢٧٠ - ٢٧٢
(٢٠٩ - ٢٠٦) ، ٢٠٥ ، ٢٠٤	ابن عبادة القزاز ٢٤٤
ابن عبد العزيز ، أبو بكر (ابن	العباس بن الاحنف ٩٨٢ ،
المرخي) ٤١٠ ، (٥٣٣ -	١٣٧ ، ٢٢٥ ، ٥١٤ ، ٧٧٧ ،
٥٥٦)	٧٣٨
ابن عبد العزيز ، أبو مروان ٥٣٥ ،	العباس بن المتوكل بن الأفتس
٥٣٦	٦٥١ ، ٧٢٣
ابن عبد الغفور ، أبو القاسم	ابن عباس ٧٧٨
(٣٢٣ - ٣٢٥)	أبو العباس ٦١٠
عبد الغفور بن أبي القاسم ، أبو	ابن عبد البر ، أبو محمد ٩٦
محمد (٣٢٥ - ٣٦٨) ،	ابن عبد البر الشنتريني ٤٦٦
٧٠١	عبد الجليل بن وهبون المرسى ،
عبد الله (ممدوح ابن الأستجي)	انظر : ابن وهبون
٢٠٠ ، ٢٠١	عبد الحميد الكاتب ٥٣٨ ،
عبد الله بن الزبير ٧٢٢	٧٨٠
عبد الله بن الصمة ٢٧٢	عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)
عبد الله بن طاهر ٥٥٢ ، ٧٥٧	٨٢ ، ٣٩٧
عبد الله بن مسلمة ٦٤١	عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ،
عبد المجيد بن عبدون ، انظر :	انظر : ابن مقانا الأشبوني
ابن عبدون	عبد الرحيم الوزير ٣٦
عبد المحسن الصوري ٣٨٤ ،	ابن عبد الصمد ، أبو بحر ٥٧

عبيد الله بن زياد ٧٢٢	٨٤٥
عتاب ٦٤٦	عبد الملك ٧٤٤
العتابي (كلثوم بن عمرو) ٢٨٥	عبد الملك بن محمد بن زهر ، انظر :
٥٨١	ابن زهر ، أبو مروان
عتاد اللولة بن سهيل ٤١٧	عبد الملك بن مروان ٦٣ ،
أبو العتاهية ٦٠ ، ٧٩٧	٧٢٢
عتيبة ٦٤٦	عبد الوهاب المالكي ٩٦
عثمان بن ادريس ٤٦٩	عبدة بن الطبيب ٤٤٨
عثمان بن عفان ٤٨٩ ، ٥٦٠ ،	ابن عبلوس ٤٦٧
٧٢٢ ، ٨١٤	ابن عبدون ، عبد العزيز ٧١٩
عدي ، انظر : مهلهل	ابن عبدون ، عبد المجيد ٣٠ ،
عدي بن الرقاع ٥١٢ ، ٥١٣ ،	٣١ ، ٦١ ، ٢٢٨ ، ٤٤٢ ،
عدي بن زيد ٥٩ ، ٩٤ ،	٥٣٣ ، ٥٤١ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠ ،
٢٢٥ ، ٧٢١	— ٥٩٢ (٦٦٨ — ٧٢٧) ،
عرابة الأوسي ٧٦١	٧٦٥ ، ٧٦٦
عرار بن عمرو بن شأس ٤٥٠ ،	عبلة ٦٩٤
٧٥٧	عبيد بن الأبرص ٤٠٦
أبو العرب الصقلي ٨٢٢	أبو عبيد البكري (٢٣٢ —
عروة بن حزام ٤٤٨	(٢٣٨
العز بن سقوت ٦٥٦ ، ٦٦١ ،	أبو عبيدة (معمر بن المثنى)
٦٦٣ ، ٦٦٤	٥١٢
ابن عشرة (أحمد بن علي) أبو	عبيد الله ٤٩٦

المباس ٨٢٨ - ٨٣٠	علي بن حمود ٣٨ ، ٦٥٧
ابن عشرة (علي بن القاسم) أبو	٦٥٩
الحسن ٨١٢ ، ٨١٥	علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة
- ٨١٨ ، ٨٢٠ ، ٨٢٢ ،	علي بن مجاهد العامري ٢٩ ،
٨٢٤ ، ٨٢٦ - ٨٢٨	٥٢١
أبو عطاء السندي ٢٢٤	علي بن محمد الايادي ٥٠٧
ابن العطار الياضي ٤٦٤	علي بن منصور الحاجب ٢٢٢
عطاف بن نعيم ١٤	علي بن يوسف بن تاشفين (أمير
أبو العطاف ٦٥٧	المسلمين) ٧٤٢ ، ٨٢٥
ابن عكاشة ٧٠ ، ١٢٣ ، ٢٦٦ ،	٨٣٢
٢٦٩ ، ٢٧٣	أبو علي ٧٦٧
العلاء بن صاعد ٢٢٢	عمار بن ياسر (أبو اليقظان)
علوة ٧٧٢	٧٢٢
علي بن أبي طالب ٣٨٠ ، ٤٤٠ ،	ابن عمار ، أبو بكر ٤٦ ، ٤٧ ،
٥٦٠ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ، ٨٣٣	١٥٠ ، ٢٧٣ (٣٦٨ - ٤٣٣) ،
علي بن اسماعيل القرشي ، انظر :	٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٧٥ ،
الطيطل	٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٥٦ ، ٦٣٢ ،
علي بن الحسين ٣٥٧	٦٩٣
علي بن حصن الاشبيلي ، انظر : ابن	عمر بن أبي ربيعة ١٤٧ ، ١٥٣ ،
حصن	٧٢٠
علي بن حمدان ، انظر : سيف	عمر بن الحسن الهوزني ، انظر :
الدولة الحمداني	الهوزني ، أبو حفص

عياض بن ناشب ٧٤٩	عمر بن الخطاب ٩٠ ، ١٧١ ،
عيسى بن الأعلم ٤٢٨	٢٥٧ ، ٧٢٢ ، ٧٥٨
عيسى بن الحسن ، أبو الأصيف	عمر بن عبد الله بن الأفطس . انظر :
٣٧٧	المتوكل ابن الأفطس
عيسى بن مريم (المسيح) ٧٨ ،	عمر بن هبيرة ٢٢٤
٨٠١ ، ٤٩٥ ، ٤٣٦ ، ٢٢٠	أبو عمر الفرضي الوزير ٤٢٣
غ	عمران بن حطان ٦٩٤
ابن غانم ، أبو طالب الوزير	عمرو ٥٩٢ ، ٥٩١
٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٦٦	عمرو الأشدق ٧٢٢
أبو (ابن) غسان المتطبب ٤٨١	عمرو ذو الكلب ٥١٣
الفريض ٣١٣ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	عمرو بن العاص ٧٢٢
ابن غصن الحجاري ، أبو مروان	عمرو بن قمينة ٤٤٧
١٩٤ ، ١٩٣	عمرو بن كلثوم ٦٩٠
ابن غطمش ، أبو عمرو ٤٧	عمرو بن مذحج ، انظر : ابن حزم
غيلان بن عقبة ، انظر : ذو الرمة	أبو الحكم
ف	عمرو بن هند ٦٢٦ ، ٥٩٨
فائق الخادم ٦٤١	عمرو بن ود ٣٨٠
الفتح بن المعتمد ، أبو نصر ٦٩	ابن عمرو ٦٤٦
— ٧١ ، ٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،	ابن العميد ٧٨٠ ، ٥٣٨
٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦	عنان ١٥١
أبو الفتح البستي ٢١٥	عترة ٣٨٠ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢
	عوف بن محلم ٦٩ ، ٢٢٤ ، ٧٦٨

القاسم بن حمود ١٥، ١٨، ٣٦، ٣٧	ابن فتوح ، عبد الرحمن ٤٦٥
أبو القاسم الميثقي ١٤٥، ١٤٩	٤٦٨
القائم الفاطمي ٥٠٧	فخر الدولة (حفيد المعتمد) ٧٩
ابن القبطورنه، انظر : أبوبكر بن سعيد	فخر الدولة : انظر المعتضد
أبو الحسن بن سعيد	فرتنى ٦٦
أبو محمد بن سعيد	الفرار السلمي (حيان بن الحكيم)
القتال الكلابي ٣٥٨	٤٧٦
ابن قتيبة ٥٤	أبو فراس الحمداني ٢٤٦ ،
قدار (عاقر الناقة) ٤١١، ٤١٢	٦٩٣
القروي الإسلامي ٥٦٢	ابن فرج الجبائي ، أبو عمر ١٤٢
ابن قزمان ، أبو بكر ٧٦١ ،	الفرزدق ٩٠ ، ١٥٣ ، ١٨٠
(٧٧٤ - ٧٨٦)	الفضل بن سهل ٧٢٩
القس المكي ١٣٧	الفضل بن علي بن حزم ١٣ ،
قس بن ساعدة ٣٤٩	١٤
قصير ٦٣	الفضل بن المتوكل بن الأفتس
ابن القصيرة ، أبو بكر (٢٣٩)	٧٢٣
- (٢٨٥) ، ٢٩٣	الفضل بن يحيى البرمكي ٧٢٣
القطامي ٤٠٧	فعال (غلام) ٣٩١
ابن القوطية ، أبو بكر ٢٠٣ ،	ق
(٢١٥ - ٢١٨)	القارظان ٣٦٠
ابن القلاس ، أبو عبد الله ٨٠٧	قارون ٣٤٥
قيس ليلى ، انظر : المجنون	

ل	قيس بن الخطيم ٥٣ . ٦٨٦
ابن لبون ٣٩٤	قيس بن ذريح ٤٤٨
الذينة (قينة) ٧٣٥ - ٧٣٩	قيس بن زهير العبسي ٧١١
ابن لسان الحمرة ٧٦٠	قيس بن عاصم ٣٤٨ ، ٤٤٨ ، ٥٤٤
لقمان ١١٧ ، ٥٠٢	قيصر ٢٠٩ ، ٤٤٧ ، ٧٢٧
ابن اللبانة (أبو بكر اللداني) ٦١	ك
- ٦٦ ، ٧٧ ، ٧٩ - ٨١ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٤٦٦ ، ٥٦٣ ، ٨٢٠	كافور ١٦٧ ، ٣٨٦
ابن لنكك ٨٣٤	كثير عزة ٢٢٣
لوط ٣٣٥	كسرى ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٣٤٥ ، ٥٥٠ ، ٧٠٣ ، ٧٢٧
ليلى ٨٤٤	كسرى ابرويز ٦٩٥
ليلى العامرية ٤٣	كشاجم ٣٨٧
م	كعب بن مامة ٣٩٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٨
المازني ، أبو عثمان ٧٢٧	ابن الكلبي ٤٥٥
مالك بن الريب ٦٤٢	كليب وائل ٣٦٠ ، ٥٤٤ ، ٧٢١ ، ٧٢٥
مالك بن نويرة ٧٨ ، ٦٤٦	الكميت بن زيد ٦٤٥
مأمون بني عباد ، انظر : الفتح ابن المعتمد	الكندي ، انظر : امرؤ القيس
المأمون العباسي ٤٤٩ ، ٥٤٤ ، ٧٢٩	ابن كوثر الشنتريني ، أبو عمر (٨٠٨ - ٨٠٩)

المأمون بن ذي النون ، ١٩٣	المتوكل العباسي ٧٢٣ ، ٨١٢
٢٦٨ - ٢٧٢ ، ٦٥٠	٨١٤ -
المبرد ، أبو العباس ، ١٣٨	المتوكل بن أبي الحسن ٨١٠
٦٤٦ ، ٧٢٧	المتوكل ابن الأفتس ٦١ ،
المتلمس بن بطلال البطليوسي ٧٠٥	١٥٨ ، ٣٩١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٥ ،
متمم بن نويرة ٧٨ ، ١٠٢ ،	٤٦٦ ، ٥٩١ ، (٦٤٦-٦٥٢) ،
٥٦٧	٦٦٤ ، ٦٦٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ،
المتنبي ، أبو الطيب (أحمد بن	٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ،
الحسين) ٤٢ ، ٦٠ ،	٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧١١ ،
٦٤ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ،	٧٢٣ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٨٠٣ ،
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،	٨٠٥ ، ٨١٠ -
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٢٢ ،	مجاهد العامري ٢٩ ، ٣١ ،
٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٢ ،	٩٦ ، ٧٩٦
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ،	المجنون ٤٣ ، ١٥٠ ، ٤٢٢ ،
٤٠٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ،	٤٤٨ ، ٥١٤ ، ٥٩٩ ، ٦٧٢ ،
٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،	ابن محقور ٤١٧
٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ،	محمد (ص) ٨٨ ، ٨٩ ،
٥٠٣ ، ٥١٥ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ ،	١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٧١ ،
٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٤١ ،	٢٨٦ - ٢٨٩ ، ٣٧٦ ، ٤٤٠ ،
٦٤٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٩ ، ٧١٤ ،	٤٤١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥٦٩ ،
٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٩٨ ،	٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٤٧ ، ٧٥٧ ،
٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٤٩ ،	٧٥٨ ، ٧٦٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ،

محمد بن عبد العزيز بن المعلم ، انظر :	٧٧٩ ، ٧٩٣ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ،
ابن المعلم	٨٣٣
محمد بن عبد الله البرزيلي ٢٠ ،	محمد ٦٠١
٢٢ ، ٢٨	محمد بن ابراهيم الفهري أبو عبد
محمد بن عبد الله بن الجحد ، انظر :	الله ٣٧٨ ، ٧٨٦ ، ٧٩٧
ابن الجحد ، أبو القاسم	محمد بن أبي أمية ٨٣٨
محمد بن عبد الله بن مسلمة ، انظر :	محمد بن ادريس الحمودي ٣٣
المظفر بن الأفتس	محمد بن اسحاق بن الملح ، انظر :
محمد بن عبد الملك بن قرمان ،	ابن الملح
انظر : ابن قرمان	محمد بن ديسم الاشبيلي (٢١٢
محمد بن علي بن حمدين ، انظر :	- ٢١٣)
ابن حمدين	محمد بن سليمان الكلاعي ، انظر :
محمد بن القاسم ٣٣	ابن القصيرة
محمد بن مروان بن زهر ، انظر :	محمد بن سليمان بن خلف الباجي
ابن زهر	١٠١
محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء	محمد بن عباد ، انظر : المعتمد بن
محمد بن هشام بن عبد الجبار ٣٨	عباد
محمد بن يحيى بن حزم ، انظر :	محمد بن عباد أبو القاسم القاضي
ابن حزم ، أبو الوليد	(١٤ - ٢٣) ، ٢٥ ، ٣١ ،
محمد بن يوسف ، أبو عبد الله	٢١٩
٢٥٨	محمد بن عبد الجبار الأموي ، انظر :
أبو محمد بن سعيد البطليوسي	المهدي

٧٢٢ مصعب بن الزبير	٧٧٣، ٧٧٢، ٧٥٣ (ابن القبطورنه)
المصطفى ، انظر : محمد (ص)	٧٢٢ المختار الثقفي
مطر الشيباني ٦٩٤	ابن مرتين ، عبيد الله ٧٥٢ ، ٧٥٠
ابن المطرز ٤١١ . ٤٠٢	ابن مرتين ، محمد ٢٦٩ - ٢٧١
ابن مطري ٥٤٤	ابن مرزقان ، أبو القاسم ٤٧٦ ،
المظفر بن الأفطس ٢٠ ، ٢١ ،	ابن المرخي : انظر : ابن عبد العزيز
٣٣ - ٣٦ ، ٩٦ ، ٢٣٣ ،	٤٧٧ (٥٢٠ - ٥٢٢)
(٦٤٠ - ٦٤٦) ٦٥٠	مروان بن محمد ٧٢٢ ، ٩١ ، ٥٤
المعافي بن هزيم ٧١٣	ابن مزين (عيسى بن محمد) ٣٦
معاوية بن أبي سفيان ٣٩٦ ،	المستنصر ، انظر : الحكم المستنصر
٣٩٧ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ،	مسلم بن الوليد ، انظر : صريح الغواني
معبد (المقني) ٣١٣ ، ٣٤٩ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	أبو مسلم الخراساني ٥٤
المعتز العباسي ٧٢٣	المستعين العباسي ٧٢٣
المعتز بن أبي عامر ١٨٧ ، ١٨٨	المستعين ، سليمان بن الحكم
ابن المعتز ٣٠ ، ١٥٥ ، ٢٢٣	١٦ ، ١٧ ، ٣٨
٢٢٥ - ٢٣١ ، ٣٧٩ ،	المستعين بن هود ٥٤٥
٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ،	ابن مسلمة ، انظر : المظفر ابن الأفطس
٧٩٥ ، ٨٢٢	ابن مسلمة ، أبو عامر (١٠٥)
المعتصم العباسي ٣٥٧ ، ٤٤٤	- (١١٢) ١٢٤ . ٢٠٦ ،
المعتصم بن صامح ٤٠٢ ، ٤٠٣	٢٠٧ ، ٣٩٧
المعتضد عباد ، أبو عمرو ١٩ ،	المسيح ، انظر : عيسى بن مريم
(٢٣ - ٤١) ٤٧ ، ٤٩ ،	المصحفي ١٠٩ ، ٧٦٧

، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥
 ، ٤٧٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٠ ، ٤٤٦
 ، ٤٩٤ ، ٤٩١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٤
 ، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ — ٤٩٦
 ٥٢٠ ، ٥١٧ — ٥١٥ ، ٥٠٩
 ، ٥٦٨ ، ٥٦٦ ، ٥٣٥ ، ٥٢٢ —
 ، ٦٦٩ ، ٦٦٤ ، ٦٦٢ ، ٦٥١
 ، ٨١٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٦ ، ٦٩٩
 ٨٣٨ ، ٨١١

المعري ، أبو العلاء ٩١ ، ١٦٩ ،
 ، ٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٢٤٨ ، ١٩٩
 ، ٤٥٧ ، ٤٠١ ، ٣٨٧ ، ٣٨١
 ، ٤٨٦ — ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٥٨
 ، ٦٢٧ ، ٦٢٠ ، ٥٥٠ ، ٤٩٣
 ، ٧٠٧ ، ٦٤١ ، ٦٣٢ ، ٦٣١
 ، ٨٤٢ ، ٧٩٦ ، ٧٩٥ ، ٧٢٧
 ٨٤٩ ، ٨٤٨

معز الدولة (ثمال المرداسي)
 ١٠٣ ، ١٠٢

المعز بن يوسف بن تاشفين ٦٦٤
 ، ابن المعام ، أبو الوليد ٨٣
 ١٥٥ ، (١٢٤ — ١١٢)

، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٥٠
 ، ١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٠
 ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨
 ١٥٨ ، ١٥٦ ، ١٣٥ ، ١٣٠
 ١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٦٠ —
 ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨١ ، ١٧٩
 ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣ — ٢٠١
 ، ٣٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢
 ، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٦
 ، ٦٣٧ ، ٥٣٥ ، ٤٦٠ ، ٤٥٦
 ٦٥٨ ، ٦٥٠

المعتمد بن عباد ، المؤيد ٢٨
 ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، (٨١ — ٤١)
 ، ٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٨٦
 ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٢٧
 ، ٢٥٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٠
 ، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٥
 ، ٣٦٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٢٨٥
 ، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧١
 ، ٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٣٩٦
 ، ٤٢٤ — ٤٢٠ ، ٤١٧ — ٤١٣
 ، ٤٣٣ — ٤٣٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧

أبو المغوار الغنوي ٧٢٧	المنصور بن أبي عامر ٤٠ ،
مغيث ٨٤٥	٣٧٦
مقاتل (النلام) ٥٤٤ ، ٥٤٥	المنصور (يحيى بن الأفتس)
مقاتل (أنقى) ٧٨٠	٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٧٩٩
ابن مقانا الأشبوني ، أبو زيد	المنصور (؟) بن المتوكل ٧١٠
(٧٨٦ - ٧٩٦)	المهدي (محمد بن عبد الجبار)
ابن مقبل ٤٨٩ ، ٧١٤ ، ٧١٥	٢٧
المقتدر بن هود ، انظر : هود المقتد بالله	المهلب بن أبي صفرة ٥٦
ابن الملح ، أبو بكر ٤٣٣ ،	مهلهل التغلي ٥٦٧ ، ٧٢١ ،
٤٣٤ ، (٤٥٢ - ٤٧٣) ، ٦١٣	٧٢٦ ، ٧٦٦ ، ٧٩٠
الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس	مهيार الديلمي ٧٤٧ ، ٨٠٢
ابن المناصف ، أبو القاسم ٣٠٥	المؤتمن (يوسف بن أحمد بن هود)
ابن المنخر ، أبو الاصبغ ٢٢٢ ،	انظر : ابن هود المؤتمن
٧٩٩ ، ٨٠٠	موسى (النبي) ٤٥٨ ، ٤٩٥
منذر ٦٩٢	٦٧٦
منذر بن يحيى التجيبي ٧٨٧	المؤيد ، انظر : المعتمد بن عباد
- ٧٩٠	ابن ميتويه الحاجب ٦٤١
المنصور ٧٦٩	مية ٥٠٢
المنصور العباسي ٥٥	مية (صاحبة ذي الرمة) ٦٩١
منصور الفقيه ٦١٣	
المنصور المعان ، انظر : سقوت بن	ن
محمد	الناطقة الجعدي ٣٥٧

٢١١ ، ٥٤٥ ، ٧٦٢ ، ٨٥٠	الناطقة الذبياني ١٤٧ ، ٢٢٣ ،
ابن نوح الدمري ٢٨ ، ٣٨ ،	٤٢٩ ، ٤٨٩ ، ٧٠٦
٣٩	الناجم ١٤٨ ، ٤٠٩
ابنا نويرة (مالك ومتمم) ٧٢٥	الناشيء ٧٠٤
هـ	ناصر ٧٥٦
هارون (أخو موسى) ٤٩٥	ابن نباتة السعدي ٣٧٩ ، ٤٦٦
ابن هارون الشنتمري ، أبو الحسن	النحلي ، أبو الوليد ٤٦٥ (٨٠٩ -
(٦٣٧ - ٦٣٩)	نسيم (غلام التتوخي) ٦٣٣
ابن هانيء ٤٢ ، ١٢٢ ، ٣٧٨ ،	نصر بن ميار ٩١
٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، ٦٢١ ،	ابن نصر الاشبيلي ، أبو بكر
٦٨٥ ، ٧٠٠ ، ٧١٨ ، ٧٩٣ ،	(٢١٢)
٧٩٥ ، ٧٩٩ ،	أبو نصر ٢٦٨
أبو هاشم بن المعتمد ٧٣	نصيب بن رباح ٦١ ، ٢٢٥
هشام الرضي (بن عبد الرحمن)	النعمان بن بشير ٥٤٤
٨٢	النمري (رفيق كعب بن مامة)
هشام بن الحكم (المؤيد) ١٦ ،	٦١٧
١٨ ، ٣٧ ، ٧٥٧	أبو نواس (الحسن هانيء) ٦٠ ،
هلال بن الأديب ٥٣٦ - ٥٣٩	٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
هند ٧٤٠	٤٣٦ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ،
هند (أم معاوية) ٣٩٦	٧١٦
ابن هند، انظر: معاوية بن أبي سفيان	نوح (النبي) ١٥٦ ، ١٥٧ ،

٨٦٣ ، ٥٦٣ (٥١٩ - ٤٧٣) ، ٤٧٢	ابن هود، أبو محمد (٨٠٣-٨٠٥)
٦٩٥ ، ٦٩٤ وهرز	ابن هود ، المقندر بالله ١٨٧ ،
٢٤٥	١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩ ، ٢٠٠
ي	ابن هود ، المؤمن ٣٧١ ، ٣٨٨
٢٤٥	٤١٠ ، ٤١٥
٤٨٧ يحيى	الهوزني، أبو حفص (عمر بن الحسن)
يحيى بن إسماعيل بن ذي النون ١٨٧	(٨١ - ٩٤) ١١٨
٨١٤ ، ٨١٣ يحيى بن أكثم	الهوزني، أبو القاسم (الحسن بن عمر)
٣٩٠ يحيى بن البحري	٢٩١ ، ٣١٤
٧٢٣ يحيى بن خالد البرمكي	و
١٩ ، يحيى بن علي الحمودي	
٢٨ ، ٦٥٧ ، ٦٦٤	واضح العامري ٢٧ ، ٣٨
يحيى بن محمد بن بقي ، انظر :	والبة بن الحباب ١٥٤
ابن بقي	أبو وائل الحمداني ٢٥٥
يحيى بن المظفر بن الأفتس ، انظر :	ورقاء بن زهير ٧٨٤
المنصور ابن الأفتس	ابن وكيع ٤٦
٥١٤ ، ٤٦٩ يحيى بن هذيل	ابن الوكيل ٢٦٤
٣٣ ، ابن يحيى (صاحب لبلة)	الوليد بن يزيد ٧٢٢
٣٤ ، ٣٦ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤	وهب بن سليمان بن وهب ٨١٢
١٩ ابن يريم	ابن وهب بن المرسى ، عبد الجليل
٧٢٢ يزدجرد	١٤٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
٧٩٣ ، ٧٤٣ يزد بن الطرية	٢٥٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،

٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،

٢٤٥ ، ٢٥٤ — ٢٥٦ ، ٢٦٣ ،

٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦ ،

٥٤٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ ،

٦٦٠ — ٦٦٣ ، ٨٣١

يوسف بن محمد بن الجلد ، انظر :

ابن الجلد أبو الحسين (الحسن)

يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :

الرمادي

يونس (النبي) ٨١٨

يزيد بن مزيد الشيباني ٤٨٦ ،

٦٩٤

يزيد بن المعتمد أبو خالد ، انظر :

الراضي بن المعتمد

يعقوب (النبي) ٤٩٦ ، ٨٣١

ابن يعيش ١٦

يوسف (النبي) ٧٨ ، ٢٤٥ ،

٧٦٤ ، ٨٣١ ، ٨٤٦

يوسف بن تاشفين (أمير المسلمين

وناصر الدين) ٥٧ ،

٢ - فهرس الاماكن

أخوات	٥٧ ، ٧٣ ، ٧٥ ،	آلس	٢٥٦
	٧٦ ، ٢٢٧	أبان	١٨٢ ، ٦١١
المرية	٢٤٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،	أجأ	٤٣٦
	٤١٩ ، ٤٧٥	أركش	٣٩
أنلدين	٧٩١	الأسبونة	٢٢ ، ٣٧٨ ، ٥٤٤
الأندلس	١١ - ١٤ ، ١٦ ،		٧٨٦ ، ٨٠٣
	١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،	أشبيلية	١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ،
	٤٠ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ،		٢١ - ٣٣ ، ٣٥ ،
	١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٢ ،		٣٨ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٦ ،
	٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ،		٨٢ ، ٨٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٢ ،
	٢٨٠ ، ٤٣٨ ، ٥١٥ ، ٥٣٥ ، ٥٥٨ ،		٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٣٢٥ ، ٣٧١ ،
	٦٣٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ،		٣٩٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ - ٤٣٠ ،
	٦٥٨ ، ٦٦٩ ، ٧٨٧ ، ٨١١ ،		٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٣٥ ،
أنقرة الروم	٤٤٩		٦١٥ ، ٧١٠ ، ٨٣٥ (وانظر
أونية	٢٣٣	أيضاً : حمص)	
باب النخيل	٤٣٠	إضم	٥٧٣
بابل	٦١٧	أعمر	٨٢٢
باجة الأندلس	١٩ ، ٢٠ ، ١٨٧ ،		

بالص ٢٤٦	توضح ١٧٠
بحر الروم : انظر البحر المحيط	ثبير ٢٠٠
الرومي	التريا (قصر) ٧٦ ، ٧٥
بحر الزقاق ٦٥٨ ، ٦٥٠	شهران ١٧٥
البحر المحيط الرومي ١١ ،	شهاد ٩٩
٢٢ ، ١٨٧ ، ٤٦٣ ، ٦٣٩ ،	جاسم ٥٩٢
٨١٢	جامع قرطبة ٥٨ ، ٢٧١
بربشتر ٨٢	الجزيرة ، انظر : الأندلس
بربعيص ٢٥٠	الجزيرة الخضراء ٣٦ ، ٤٠
بسطة ٢٧٩	الجزيرة العراقية ٤٨٦ ، ٥٥٨
بطليوس ٢٢ ، ٣٥ ، ٩٦ ،	جفر الهباءة ٧٢٥
٢٤٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٦٣٩	جاقي (واد أندلسي) ٧٩٠
٦٤١ ، ٦٥٠ - ٦٥٣ ، ٧١٠	جو ٨٧
٧١١ ، ٧٩٩ ، ٨٠٣	جيرون ٧٦٢
بغداد ٨٠ ، ٩٨ ، ١٣٥	الحجاز ٢٢٥ ، ٢٨٨ ، ٧٨٨
١٩٢ ٣٥٧ ، ٣٩٨ ، ٧٠٦ ،	حجر ٧٩٠
٧١٢	الحرمان ٢٨٩
بلنسية ٣٩٣ ، ٤١١ ، ٧٩٠	الحساء ٣٣٥
بياسة ٤١٦	حلب ٩٥ ، ٥٤١ ، ٧٢٤ ،
تدمر ٤٦٩ ، ٨٤٦	٧٢٩
تدمير ٤١١ ، ٤٧٤	الحمى ٦٩٠
تلمسان ٢٥ ، ٨٣٠	حمص (اشيلية) ١١ ، ١٣

الري ٦٩	٧٥ ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ،
الزاب ٢١٧	١٨٦ ، ٣٢٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ،
الزاهر (قصر) ٧٥	٣٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٩٣ ، ٧٠٦ ،
الزاهي (قصر) ٧٥ ، ٧٦ ،	٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٦ ، ٧٤٠ ،
٥٠٨	٧٤٥ ، ٧٦٨
زرود ٦٩٠	حمص (الشام) ١٤ ، ٧٢٩
زمزم ٦٨٥	حير الزجالي ٧٦٧
سبتة ٣٧ ، ٤٠ ، ١٢١ ، ٦٥٦	الخيف ١٠٢ ، ١٧٥
— ٦٦٣	دار تنوير ٦٦٣
السد ٣٧٢	دارين ٣٥٠ ، ٣٦٣
سرتة ٢٤٩ ، ٦٥٥	دانية ٢٩ ، ٩٦
سرقسطة ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٧٨٨	دجلة ٥٠٥ ، ٦٨٤
٨٠٣ ، ٨٠٤	الدخول ١٥٨
سعد السعود (قصر) ٧٥ ، ٧٦	الدكادك ٧٢٥
مقط اللوى ٧٨٨	الدمنة ٦٦٠
سلا ٨٢٠ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧	الذئاب ٧٢٦
سلمى ٤٣٦	ذو طلوح ٢٢٤
السند ٥٠٢	ربض الرصافة ٣٩٧
شاطبة ٤١٧	الربض الشرقي ٢٧٣
الشام ١٤ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ٢٢٠	رضوى ١٩٧ ، ٥٧٣
٣٠٧ ، ٨١٢	رنده ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٩
شامة ٦٣٣	رومة ٢٦٠

شذونة	٥٣٥ ، ٢١	طفيل	٦٣٣
شرق الأندلس	٢١٩ ، ٣٧	طلبطة	١٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
	٢٢٠ ، ٣٧١ ، ٧٩٠		٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٦١٥ ، ٦٤٣
شعب جبلة	٧٢٦		٨٠٤
شقورة	٤٠١ ، ٤١٥ ، ٤١٧	طنجة	٦٦ ، ٦٧ ، ٦٦١ ، ٦٦٢
	٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨	عالج	٦٨٥
شلب	٣٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ،	عدن	١٩٢
	٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٣	العراق	٧٢ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
شلطيش	٢٣٣ ، ٢٣٤		٩٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٢٠
شنبوس	٤١٣ ، ٤١٤		٣٠٧ ، ٥٣٩ ، ٧٢١ ، ٧٥٦
شنرة	٧٨٧		٧٦١ ، ٨١٢
شتتمرية الغرب	٦٣٧	عرفة	٢٨٨
الصراة	٦٨٤	العريش	١٤
الصفا	٢٨٨	عسعم	٧٠١
صقلية	٨٢	عسيب	٤٤٨ ، ٤٤٩
صنبر	١٩٧	عقرقس	٢٥٦
صنحاء	١١١ ، ٢٩٠	العقيق	١٧٠ ، ٧٨٨
صول	٢٩٤	عكاظ	٣٤٩
الصين	٧٢٢	العلياء	٥٠٢
ضارج	٤٥٥ ، ٦٨٥	عمان	٧٢٥
طرطوشة	٧٩٠	غافق	١٩٧
طشانة	١٤	الغرب	١٤ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

٧٦٨	قلمرية	٦٨٥، ٦٥٠، ٦٤١، ٤١٤، ٢٣٩
٣٣٥	القوادم	٨٣٠، ٨٢٤، ٧٨٦، ٦٨٦
٦٥٥، ٢٤٩، ٢٤٣	قورية	٢٧٧، ٢٣٧، ٢٢٧
٨١٧، ٨١٥، ٨١١، ٧٦٦		٢٢ غليسية
٩٥	القيروان	٣٩٠ الغوير
٦٩٤	الكعبة	٧٧٧، ٧٠٥ فارس
٧١٢	لب	٧٢٣ فح
٢٣٤، ٢٣٣، ٣٥ - ٣٣	لبلة	٨٠١، ٣٩٨ الفرات
٢٨٦		٣٣٤ القاصرة
٧٢٥	الوى	٧٨٧ القيناق
٢٦٥، ٢٦٣	لورقة	٢٧، ٢٤، ٢١ - ١٥ قرطبة
٢٦٤، ٢٦٢، ٢٢٠	لييط	٦٩، ٥٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤
١٠٢	المأزمان	٧٠، ٨٢، ١٢٣، ١٦٦،
٥٠، ٤٩، ٤٧، ٣٣	مالقة	٢٦٦، ٢٦٠، ٢٣٤، ٢٣٣
٥١٧، ٤٣٠	المبارك (قصر)	٢٦٩ - ٢٧١، ٢٧٢،
٥٢٠		٣٩٧، ٣٨٣، ٣٥٧، ٣٠٥
٣٦	المجاز	٤٣٥، ٤٢٨، ٤٢٣، ٤١٦
٤٧٥	المحصب	٥٤١، ٥٣٩ - ٥٣٤، ٤٤٦
٨٧، ٢٧	مدينة سالم	٧٦٧، ٦٣٩، ٥٦٨، ٥٤٥
١٩٧	المنور	٨٥٠، ٨٤٧
٤٠	مراكش	٥٣٥، ٢٠ قرمونة
٢٧٣، ٨٣، ٨٢	مرسية	٢٥٧ قلعة بني حماد

ميورقة	٥٥٨ ، ٩٦	٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٤٧٥ ، ٥٥٦	المروة	٢٨٨
نجد	٣٠٧		المزدلفة	٢٨٨
النيل	٨٢٧ ، ٨٢٦		المشرق	٩٧ ، ١٣٦ ، ٢١٩
مجر	٦٣٠		المشقر	٤٨٩
الهند	١٣٥ ، ٢٤٢ ، ٣٠٧ ،		مصر	١٤ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١٩٢
	٤٩١ ، ٦٢٠			٢٤٠ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧
وادي آتة	٧١٢		المطالي	٦٩٠
وادي الأخرم	٤٦٠		المغرب	٦٧ ، ٨٢ ، ٦٧٣ ،
وادي قرطبة	٣٤ ، ١٦٦			٨١٢ ، ٨١٠
وادي منى	٢٥٧		مكة	٨٢ ، ٩٢
واسط	٣٩٠		منى	١٠٢ ، ٢٨٨
وجرة	٨٠١		منبتة الزيتون : انظر اشبيلية	
ولبة	٢٣٤		منبج	٣٠٤
يابرة (يابورة)	٢٠ ، ٦٤٧ ،		منبج	١٧٠
	٦٥١ ، ٦٦٩ ، ٦٩٠ ، ٧٦٦		المنية الصمادحية	٤٠٢
يبرين	٣٥٠ ، ٣٦٣		المهدية	٢٨٣
يثرب	٢٨٩		مورور	٣٩
يزنبل	٧٥٠		الموصل	٣٨٥٠
يللمم	٥١ ، ٥٦٧ ، ٦٨٥ ،		ميرتلة	٢٠
	٨٢٢		ميسر	٢٥٠
بُسن	٣٣٥			

٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤١،٧٣	اليمن ١٩٢ ، ٦١٩ ، ٦٩٤
٧١٩ ، ٥١٠ ، ٢٥٦، ٢٥٥	٦٩٥
٤١٥ ، ٤١٤ ، ١٤ يومين	يوم الأحزاب ٣٨٠ ، ٤٤٠
	يوم الجمعة (يوم العروبة : الزلافة)

٣ - فهرس الأمم والطوائف والقبائل

بنو أسد ٥٦ ، ٤٤٧ ، ٧٢١	بكر ٦١٢
أصحاب الأيكة ٧٢٧	البكريون (بنو البكري) ٢٣٣ ،
الأعراب (الأعراب) ٢١٧ ،	٥٦٣ ، ٥٦٩
٤٨٠ ، ٤٩١ ، ٦٧٥ ، ٧٠٩ ، ٨٢٣	تجيب ١٢ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ،
الافرنج : انظر الفرنجة	٦٤٢ ، ٧٨٩
الأكاسر ٤١٣	الترك ٧٢٢
بنو أمية (بالشرق) ٤٢ ، ٥٤ ،	تغلب ٥٧٠ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ ،
٣٩٧ ، ١٨٦	ثمود ٩٣
إياد ٢١٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٥ ،	بنو جالوت ٨٧
٧٤٧ ، ٦١٨	بنو الجلد ٥٥٦
بنو الباجي ١٨٧ ، ١٩٧	بنو جرم ٧٤٣
بجتر ٧٧٧	جرهم ٧٢١
بنو بلر ٧٢١ ، ٧٦٦	جشم ٤٦٠
البراجم ٦٢٦	بنو جهور ٢٦٨ ، ٣٨٨
البرابرة ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ،	الحبشة ٦٩٥
٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٥	الحرية (بنو حرب) ٣٩٧
بنو برزيل (البرازلة) ٢١ ،	الحضرميون ٧٤١
٤٠ ، ٣٨	بنو حمدين ٢٢٢ ، ٨١٧

٤٦٣ ، ٦١٩ ، ٦٢١ ، ٦٥٣	الحمودية ٣٣
٨٣١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٠	حمير ٢٤٥ ، ٤٥٧
بنو الزبيلدي ١٥	بنو حنيقة ٧٧٧
زناتة ٢٢١ ، ٦٦٠	الخزرج ٧٢٢
الزنج ٢١٤	الخوارج (الشراة) ٥٥ ، ٦٩٦
بنو زهر ٥٩٤ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٧٤٦	حولان ١١١
بنو ساسان ٤٦٣ ، ٧٢١	بنو اللب ٣٢٤
سبأ ٧٢١	بنو دمر ١٧٩
بنو سراج ٦٢٨	الدولة الأموية (بالشرق) ٧٢
سعد العشيرة ٧٤٤	الدولة البرغواطية ٦٦١
بنو سعيد (أبناء القبطورنه) ٧١١	الدولة الحمدوية ٦٥٧ ، ٦٥٨
٧١٢ ، ٧١١	الدولة الديلمية ١٢
السودان المغاربة ٥٠	الدولة العاصرية ١٢ ، ٥٣٥ ، ٦٣٩
الشراة : انظر الخوارج	الدولة العبادية ٢١٩ ، ٥٦٣
شيبان ٦٨٦	٦٤٠
الصفير : انظر الروم	الدولة العباسية ٨١٢
الصقالب ٤٣٠	ذبيان ٦٢١ ، ٧٢٥
الطالبيون ١٣٨	ربيعة ٦٩٤
بنو طاهر ٢٧٣	بنو رشيق ٧٧١
طسم ٧٢١	الروم ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٤٤٧ ، ٣٥٨ ، ٣٨٨ ، ٤٤٧
طي ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٤٣٦	
عاد ٩٠ ، ٢١١ ، ٧٢١ ، ٧٢٧	

٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ،	بنو عامر (الاندلسيون) ٣٨
٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ،	٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٣٩
٦٧٥ ،	بنو عامر (قبيلة) ١٥٠
٨١٢ بنو عشرة (بنو القاسم)	بنو عباد (آل عباد) ٣ ،
٨١٩ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤	٥٨ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٣٩٦
بنو عقيل ٥١٣	٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٢ ، ٦٤٠
عك ١٦٧	العباسيون (بنو العباس) ٢٥
بنو عمار ٤١٢	٤٢ ، ٨٠ ، ٧٢٣
غسان ١٦٨	بنو عبد العزيز (بنو المرخي)
غفار ٦٤٢	٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢١
الفرس ٧٢٢	٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٧٦٥
آل فرعون ٣٤ ، ٩٥	عبد القيس ٦٨٦
الفرنجية ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٤٩١	بنو عبس ٧١١ ، ٦١٢ ، ٢٢٣
فهر ٦٦٨ ، ٦٧١ ، ٧١٥ ،	٧٢٥ ، ٧٨٤
٦١٩ ، ٧٢٠	العجم (الأعاجم) ٢٥١ ، ٦٨
بنو القاسم : انظر بنو عشرة	٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣٧٤ ، ٥٣٨
قحطان ١١١ ، ٤٣٩ ، ٤٦٣	٥٧٢ ، ٦٢٦ ، ٦٦٠
٦٤٢ ، ٦٩٤	عدنان ٤٦٣
قريش ٢١ ، ٤٩٠ ، ٧٦٥	بنو عدوان ١٢ ، ٧٢٦
بنو قريظ ٢٤٧	العرب ١٩ ، ٦٨ ، ١٨٥ ،
ابنا قبيلة ٧٢٦	٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٥
بنو كعب ٤٩٩	٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤

٢٤٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٧

٢٦٣-٢٥٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩

٦٥٠ ، ٥٤٦ ، ٢٨٣ ، ٢٧٥

٧٩٣ ، ٧٩٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤

آل المصطفى : انظر آل محمد

مضر ٦٩٤ ، ٧٢١ ، ٧٢٤

٧٤٧

بنو المظفر (الأفتس) : ٧٢٣

معد ٢٢٥ ، ٣٥٢ ، ٦٤٢ ،

٧١٤ ،

مكتناسة ٦٤١

الملثمون (المرابطون) ٤٠ ،

٢٦١ ، ٦٦١ ، ٦٦٣

ملوك الطوائف ١٦ ، ٦٦ ،

٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٦٥٠

٦٥٣ ، ٦٦١ ، ٦٦٩

مهرة ٣٨١

المولدون ١٩

نزار ٦٤٢

النصارى ٢٢ ، ٧٣ ، ٢٤٨

٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣٧٤

٤٠٥ ، ٤٧٥ ، ٥٤٦ ، ٦٨٢ ، ٨١٦

بنو كلاب ٢٤٦

كندة ٥١

لحم ١٢ ، ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٣٧٦

٣٨١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٨٤

٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ، ٥٣٣

٦٣٩ ، ٦٩٩ ، ٧١٠ ، ٧٢١

لمتونة ٦٦٠

بنو ماء السماء ٥٩ ، ٧٥

المانوية ٢٤٧

المجوس ٦٩٦

المحدثون ٤٨٠

آل محمد ٧٢٣ ، ٧٧٠

آل محمد (مرثي) ٨٣٣

مخزوم ٧١٠

منحج ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣

المرابطون : انظر الملثمون

بنو مرتين ٧٥٢

بنو المرخي : انظر بنو عبد العزيز

بنو مروان (المروانية) ١٦

١٧ ، ٣٣

بنو (آل) مسلمة ٣٩٧ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥

المسلمون ٩٢ ، ١١٨ ، ١١٩

بنو (آل) هاشم	٥٤٤ ، ٣٧٦	بنو يزداد	٤٩٩
بنو (آل) هود	٨٠٤ ، ٤١٠	يعرب	٤٧٥ ، ٥٠٢ ، ٦٨٩
هوزن	٨٢		٥٩١ ، ٧١٥
وائل	٣٦٠ ، ٥٤٤ ، ٥٦٩ ،	بنو يفرن	١٧٩
٦٢٨		يمن	٧٢١
ابنا وائل	٧٢٥	اليهود	٩٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤٣
بنو يريم	١٥		٥٦٢
بنو يرنيان	١٧٩	يونان	٣٣٥ ، ٤٦٣ ، ٧٢١

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد بن عباد لابن بسام ٨١ ، ٤٧٧
 الاكليل المشتغل على شعر عبد الجليل لابن بسام ٤٧٧
 البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري ١٢٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٤
 التذكرة لابن الأفطس ٦٤٠
 الحدائق لابن فرج ١٤٢
 حديقة الارتياح لابن مسلمة ١٠٦ ، ٢٠٦ ، ٣٩٦
 خلق الانسان لثابت ١٥٤
 ذخيرة الذخيرة لابن بسام ٨٣٥
 الزهرة لابن داود ١٤٢
 سلك الجواهر من نوادر ترسيل ابن طاهر لابن بسام ٤٧٧
 شعر المعتضد جده ابن أخيه إسماعيل ٢٩
 العمدة لابن رشيق ٧٢٧
 كتاب الترمذي في الحديث ٨٢
 الكتاب الكبير لليعقوبي ٨١٢
 كتاب المظفر (المظفري) : انظر : التذكرة لابن الأفطس
 نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار لابن بسام ٤٧٧
 نظم السلوك في وعظ الملوك لابن اللبانة ٦٢
 الهادي إلى معرفة النسب العبادي لأبي رافع بن حزم ١٤
 اليتيمة للثعالبي ٨٣٦

٥ - فهرس القوافي

قافية الهمزة

٥٣	قيس بن الخطيم	الطويل	بقاءها
٦٨٦	قيس بن الخطيم	الطويل	أضاءها
٥٨٤٠	صالح الشتمري	الكامل	البرحاء
١٢٠	ابن المعلم	البيسط	هيجاء
١٢٣	ابن المعلم	البيسط	الداءُ
٣٥٨	—	البيسط	دعجاء
٢٢٧	المعتمد	الوافر	البقاء
٢٢٨	ابن زهر	الوافر	الشقاء
٢٥١	حسان بن ثابت	الوافر	لحاء
١٦٨	ابن الرومي	الكامل	الرقباء
٢٢٢	ابن البين	الكامل	الأسماء
٨٠٠	ابن البين	الكامل	الخضراء
٤٣٧	ابن هانيء	الكامل	شركاء
٤٧٨	ابن وهبون	الكامل	البيضاء
٦٢٠	المتنبي	الكامل	نجلاء

العزاء	الخفيف	أبو القاسم ابن عبد الغفور	٣٢٤
وبهاؤه	الخفيف	أبو محمد البطليوسي	٧٧٣
بماء	الطويل	صالح الشتمري	٥٨٤
وحياء	الطويل	أبو الحكم ابن حزم	٥٩٤
الرقباء	الطويل	أبو الوليد ابن حزم	٦٠٣
السناء	مخلع البسيط	ابن برد أو ابن الرومي	٢٣١
الفناء	الوافر	أبو حفص الهوزني	٩٣
الامراء	الكامل	عدي بن الرقاع	١١٦
الغماء	الكامل	أبو تمام	٧١٤
بصفاء	الكامل	ابن عبدون	٧١٦
وبدائه	الكامل	حسام الدولة ابن رزين	٢٢١
وفائه	الكامل	ابن زهر	٢٢١
ومضائه	الكامل	المتنبي	٢٢٧
أحشائه	الكامل	ابن نباتة	٤٦٦، ٣٧٩
جوزائه	الكامل	ابن فتوح	٤٦٦
شراء	مجزوء الكامل	ابن عمار	٤٢٠
سمائه	مجزوء الكامل	ابن المعتز	٢٣١
صفاء	المجث	أبو عامر ابن مسلمة	١٠٦
وصفاء	المجث	ادريس بن اليماني	١٠٧
الدعاء	المتقارب	ابن الملح	٤٥٢
الضياء	المتقارب	أبو الحسن البكري	٥٦٩

قافية الباء

٧١٥	ابن المعتز	الرجز	طلب
٥٣٨	ابن بسام	المقارب	الحسب
٥٤٠	ابن عبد العزيز	المقارب	العرب
٦٢٠	المعري	المقارب	كتب
٥٦٨	أبو الحسن البكري	المقارب	القضيب
٦٨٧	ثعلبة الشيباني	المقارب	صبيب
٤٧٠	ابن الملح	الطويل	ندويا
٤٩٢	أبو تمام	الطويل	خائبا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	غائبا
١٤٧	خالد بن يزيد	الطويل	قلبا
٣٣٢	المتني	الطويل	كذبا
٥٥٠	المتني	الطويل	ركبا
٥٥٤	—	الطويل	لبى
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الجلدبا
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	عتبي
١٧٤	ابن حصن	الطويل	اصطحابها
١٦٨	ابن بابك	البسيط	لانتصبا
٢٧٠	مرة بن محكان	البسيط	الطنبا
١٦٥	ابن حصن	الوافر	النقابا
١٢٢	ابن هانيء	الكامل	شبابا
٢٢٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	أبا

٢٢٣	ابن زهر	الكامل	كبا
٢٢٢	المتنبي	الكامل	الحاجبا
٥٨٣	صالح الشتمري	الكامل	مذهبا
٦٨٦	ابن هانيء	الكامل	الغيهبا
٧١٨، ٤٢	ابن هانيء	الكامل	طحلبا
٣٢٦	أبو محمد عبد الغفور	مجزوء الكامل	الكتابا
٦٧	المعتمد	مجزوء الكامل	صوابا
٢١٧	ابن القوطية	السريع	الزبابا
٤٩٤	أبو جعفر المحدث	الخفيف	الذنبابا
١٥٠	ابن الأبار	الخفيف	الكثيبا
٢٣٦	—	الخفيف	طبيببا
٣٥٠	—	الخفيف	قليبا
٢١٤	البلمي	الخفيف	وغرابة
٦١	نصيب	الطويل	الحقائب
٥٨٠	—	الطويل	لراغب
٦٢٠	—	الطويل	حواجب
٧٦٥	ابن عبدون	الطويل	ونواب
٧٦٦	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعاب
٣١	المعتضد	الطويل	ثواب
٤٩٤	ابن وهبون	الطويل	شباب
٦٩٣	أبو فراس	الطويل	شهاب
٧٣٩	الأعمى التطيلي	الطويل	غضاب

٥١٦	ابن وهبون	الطويل	وثوبُ
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	تنوب
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	ينوبُ
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وتؤوب
٣٨١	ابن عمار	الطويل	رحيب
٤٤٩	امرؤ القيس أو صخر	الطويل	عسيب
٤٤٩	امرؤ القيس	الطويل	نسيب
٧٠١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	محاريب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعذيب
٢٤٨	أبو تمام	الطويل	الغرب
٦١٩	أبو تمام	الطويل	الهضب
٦١٤	—	الطويل	قلب
٦٩٣	ابن عمار	الطويل	العضب
١٦٧	المتنبي	الطويل	وأكتب
٢٤٧	المتنبي	الطويل	تكذب
٤٩٠	ابن مقبل	الطويل	تغرب
٧١٨	ابن عبدون	الطويل	وأصوب
٥٥٢	أبو تمام	الطويل	مطالبه
٧٩٣	يزيد بن الطثريه	الطويل	عقابها
٧٢	السمهري العكلي	الطويل	ذنوبها
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	لهيبها
٩١	البحري	البيسط	ينسكب
٤٧٢	ابن الملح	البيسط	ينسكب

٢١٤	البلمي	البسيط	ذوائبه
١٤٦	—	الوافر	والخطاب
٤٤٢	ابن عبدون	الوافر	الرباب
٥٨٠	—	البسيط	الذباب
٧٠٨	ابن عبدون	البسيط	ذباب
٧٠٩	المتني	البسيط	العقاب
٧٨١	—	الكامل	توهبُ
٨٤٠	ابن صارة	الكامل	تكذبُ
٤٨٧	إسحاق بن معلى	الكامل	يرتاب
٩١	ابن الرومي	المجث	مسيبُ
٢٧٢	دريد بن الصمة	الطويل	قاربِ
٢٨٠	ابن أبي فنن	الطويل	التاؤب
٣٨٠	المتني	الطويل	المواهب
٤٠٣	المعتصم بن صمادح	الطويل	صاحب
٤٠٤	ابن عمار	الطويل	التجاربِ
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	الغياهب
٧٤٨	الأعشى التطيلي	الطويل	راتب
٧٥٧	—	الطويل	الحواجب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الكواكب
٤٩٧	ابن وهبون	الطويل	شهابِ
٤٥٣	ابن الملح	الطويل	تأنيب
٣١٨	المتني	الطويل	طبيب

٥٨٤	صالح الشتمري	الطويل	مجيبي
٥٨٦	صالح الشتمري	الطويل	حسيب
٣٣٤	امرؤ القيس	الطويل	تولب
٧١٥	امرؤ القيس	الطويل	بخطب
٤٧٥	ابن وهبون	الطويل	يعرب
٤٣	المجنون	الطويل	مغرب
١٠١	أبو الوليد الباجي	الطويل	القلب
٤٠٧	ابن عمار	الطويل	الركب
٤٠٨	المعتمد	الطويل	الغتب
٧١٧	ابن عبدون	الطويل	الحب
٦٨	المعتمد	البيسط	النوب
٢٣٧	أبو تمام	البيسط	التعب
٣٨١	أبو تمام	البيسط	السلب
٤٤٤	أبو تمام	البيسط	مرقّب
٦٠٥	أبو تمام	البيسط	صخب
٦٨٦	أبو تمام	البيسط	شحب
٢٥٦	ابن جمهور	البيسط	للعرب
٤٨٠	المتنبي	البيسط	الشجب
٥٥٨، ٤٨٦	المتنبي	البيسط	الكذب
٤٩٠	المتنبي	البيسط	سبب
٧٠٦	ابن عبدون	البيسط	أرب
٧٣٥	الأعمى التطيلي	البيسط	بمقرب

٧٧٧	البحري	البسيط	والحسب
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	أعراب
٤٩٥	ابن عبدون	البسيط	التجاريب
٦٩٨	ابن عبدون	البسيط	تذهيب
٦٩٩	المتني	البسيط	محبوب
٧٠٠	الجميح	البسيط	مقروب
٨٢٣	ابن سوار الأشبوني	البسيط	سراحيب
٣٨٤	عبد المحسن الصوري	البسيط	مضاريبه
٧١٤	بشر بن أبي خازم	الوافر	السحاب
٧١٦	أبو نواس	الوافر	ذنوبي
٦٧	المعتمد	الكامل	مذهب
١٦١	ابن حصن	الكامل	تشرب
١٦٩	المعري	الكامل	يخطب
٣٨٧	المعري	الكامل	المركب
٤٩٢	البحري	الكامل	بالمضرب
٥٠٧	علي بن محمد الأيادي	الكامل	يركب
٦٣٥	ابن بقي	الكامل	يشرب
٥٥	أبو دلامة	الكامل	وضراب
٣٨٠	علي بن أبي طالب	الكامل	أثوابي
٢١٠	أبو الأصمغ ابن سعيد	الكامل	بمشيبي
٢١٥	ابن القوطية	الكامل	شريبه
٨٣٨	العباس بن الأحنف	المريع	القلب

٤٨١	المتنبي	الكامل	كسبه
٢٢٥	العباس بن الأحنف	المنسرح	أرب
٦٩١، ١٥٩	ابن حصن	الخفيف	الغراب
٧١٢	ابن عبلون	المتقارب	بلب

قافية للتاء

٢١٠	ابن خيرة الصباغ	مجزوء الكامل	المصامت
١٦٦	ابن حصن	المتقارب	وتعنيته
١٤٨	الناجم	مخلع البسيط	عنكبوت
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أبيت
٨٠٣	أبو محمد ابن هود	المجث	وليت
٧٤	أبو الحسن البطليوسي	المتقارب	فارقتها
٨٠١	ابن البين	الطويل	وجرة
٤٨٢	المعري	البسيط	السموات
٨٤٢	ابن صارة	الوافر	المكرمات
١٣٩	ابن سريج	الكامل	سناته
١٤٣	ابن الأبار	الكامل	لخطاته
٣٥٨	المتنبي	الكامل	سراويلاتها
٧٩٧	الطيطل	السريع	النحت
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الخفيف	هيئاته

قافية للثاء

الحدث	المتقارب	ابن صارة	٨٤٥
انبعث	المنسرح	ابن الملح	٤٥٣
نافث	الطويل	ابو الأصبح ابن سعيد	٢٠٩
الحوادث	الطويل	ابراهيم الصولي	٤٠٥
الحوادث	الطويل	ابن عمار	٤٠٦
الرفث	مجزوء الرجز	عبد المحسن الصوري	٨٤٥

قافية الجيم

الحوادث	الطويل	ابن صارة	٨٤٠
منهج	الطويل	ابن حصن	١٧٠
تمرج	الطويل	البلمي	٢١٣
الزجاج	الوافر	ابن بقي	٦٢٨
وبالمسروج	الوافر	أبو الحسين ابن الجحد	٥٦٢
البروج	مجزوء الكامل	المعتمد	٤٥
الأعلاج	الخفيف	ابن الرومي	٤٨٨، ٣٧٩
أرتنجي	مجزوء الخفيف	ابن عبدون أو أبو الحسن البطليوسي	٥٨٩

قافية الحاء

قرح	مجزوء الرجز	ابن القوطية	٢١٨
ألحى	الطويل	—	٣٦٦

١١٤	النابعة الذبياني	الكامل	نجاحا
٤٤٦	حسان بن المصيصي	الكامل	جناحا
٨٢٩	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ورواحا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	طامحا
٢٣٠	المرادي	الخفيف	وشحا
٤٨٩	أشجع السلمي	الطويل	الصحاصح
٥٤٩	أبو بكر ابن عبد العزيز	الطويل	صائح
٤٢٠	ابن عمار	الطويل	وأوضح
٧١٤	ابن مقبل	الطويل	تلمح
٦٩	عوف بن محلم	الطويل	ينوح
٤٨٩	النابعة الذبياني	الطويل	جنوح
٤٨٢	المعري	الطويل	روحها
٢٤٥	ابن عبادة القزاز	الوافر	الجراح
٤٤٥	حسان بن المصيصي	الكامل المرفل	سطح
٦٢٥	ابن بقي	المنسرح	نفاح
٤٤٤	حسان بن المصيصي	المتقارب	الرماح
٥١٤	المجنون	الطويل	الأباطح
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	البسيط	مقترحي
٣٨٦	البحري	الكامل	الذابح
٣٨٧	البحري	الكامل	الذابح
٨٣٨	ابن صارة	الكامل	البارح
١٠٩	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل	جناحي

٦٩٢	ادريس بن اليماني	الكامل	الراح
٨٣٩	ابن صارة	الكامل	ضحضاح
٨٤٩	ابن صارة	الكامل	نجيح
٣٠	المعتمد	مجزوء الكامل	الأفاح
٤٠٢	ابن عمار	مجزوء الكامل	السماح
٤٠٢	المعتصم بن صمادح	مجزوء الكامل	الصباح
٢١١	ابن خيرة الصباغ	المجتث	الصبوح
٦٩٧	ابن عبدون	المتقارب	فصاح
٣٨٥	ابن عمار	المتقارب	للبارح

قافية الدال

٤٤٢	ابن عبدون	الكامل المرفل	وشهد
٥٩١	ابن عبدون	الكامل المرفل	ومجد
٢١٣	البلمي	مجزوء الكامل	البرود
٧٨٦	ابن قزمان	مجزوء الكامل	واستعد
٤٨٠	—	المنسرح	الفائد
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	أنجدا
٤٥٤	ابن الملح	الكامل	الورآدا
٦١٣	ابن الملح	الكامل	الصدأ
١٩٨	أبو عمر الباجي	الكامل	الآسادا
٧٠٤	الناشيء	الكامل	وغيدا
٨٠٢	ابن البين	الكامل	قلودا

٧٧٦	عمرو بن معد يكرب	مجزوء الكامل	بردا
٣٢	المعنضد	الهرج	عقدہ
٦٩٠	—	مجزوء الرجز	واحدا
٦٨٦	ابن عبدون	المتقارب	تحدى
٤٥	المعتمد	الطويل	واجد
٤٥	المعتمد	الطويل	بارد
١٤٠	المتنبى	الطويل	راقد
٨٠٠	المتنبى	الطويل	والفراقد
٧٩٦	ابن طباطبا	الطويل	لواجد
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	أرمد
٢٢٢	ابن الرومي	الطويل	ويصعد
٥٠٦	ابن هانيء	الطويل	أسود
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	أرقد
٥٠٣	المتنبى	الطويل	العقد
٥٧٨	المتنبى	الطويل	بد
٦٢٤	ابن حمديس	الطويل	أشدو
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	رعد
٧٢	ابن شهيد	الطويل	وكبود
٩٢	أبو حفص الهوزني	الطويل	شهود
٢٢٥	أبو عطاء السندي	الطويل	بعيد
٥٩٤	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وتعيد
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	بعيد

١١٥	المتنبي	الطويل	استجدّه
١٢١	أبو تمام	البسيط	كبد
٦٢١	أبو تمام	البسيط	تلد
٤٨٢	المعري	البسيط	الجسد
٤٨٣	المعري	البسيط	وردوا
٥١٤	العباس بن الأحنف	البسيط	رقنوا
٤٨٣	المعري	البسيط	ميعاد
٦١٧	ابن بقي	البسيط	أنجاد
٥٠٣	ابن وهبون	البسيط	الأناشيد
٧٩٨	الطيطل	مخلع البسيط	المراد
١٩٩	المعري	الوافر	يستعاد
٨٤٢	المعري	الوافر	الجراد
٥٠٥	السلامي	الوافر	نقاد
٣٨٨	ابن عمار	الوافر	فريد
٤٨٦	صريع الغواني	الوافر	يزيد
٧٦١	—	الوافر	يسود
٨٤٣	ابن صارة	الوافر	تمحيد
٦٠٩	—	الوافر	تجود
١٣١	ابن الرومي	الكامل	الفاسد
٨٤٢	ابن الرومي	الكامل	الوالد
٣٩٤	ابن عمار	الكامل	نهود
٧٠٦	ابن عبّون	الكامل	عبيد
٥٦	المعتمد	الكامل المرفل	تعد

٥٩٦	—	السريع	الأبعد
٥٥٣	—	المنسرح	أحد
١٥٠	—	الخفيف	النهود
٦٠	أبو العتاهية	المتقارب	جاحد
٨٧	أبو حفص الهوزني	الطويل	ماجد
١١٧	أبو تمام	الطويل	عطارد
٤٤٢	أبو تمام	الطويل	بزاهد
٧٨٤	الفرزدق	الطويل	خالد
٨٤٨	ابن صارة	الطويل	الشدايد
١٥٤	ابن أبي ربيعة	الطويل	توسد
٢٢٤	—	الطويل	يصر د
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الطويل	محمد
٢٣٨	ابو عبيد البكري	الطويل	الجر د
٣١٩	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	ند
٤٥٠	ابن الملح	الطويل	الغد
٨٣٨	المعتمد	الطويل	كبدى
٨٤٢	ابن صارة	الطويل	سيت
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	لمعاد
٥٦	أبو دلامة	البسيط	أسد
١٣٥	أدريس بن اليماني أو ابن الأبار	البسيط	كبدى
٤٧١	ابن الملح	البسيط	جسدي
٤٩٨	ابن وهبون	البسيط	الغيد

٤٩٩	ابن وهبون	البسيط	فاقتصد
٥٠٠	ابن وهبون	البسيط	الفند
٤٩٩	البحري	البسيط	تزد
٥١٤	يحيى بن هذيل	البسيط	واكبدي
٦٢١	ابن بقي	البسيط	منجرد
٦٢٣	الوأواء الدمشقي	البسيط	بالبرد
٦٢٥	ابن بقي	البسيط	لغد
٧٣٧	الأعدى التطيلي	البسيط	تزد
٧٦٣	النابعة الذبياني	البسيط	الأسد
٨٤٦	ابن صارة	البسيط	الأبد
٥٧	المعتمد	البسيط	عباد
٨٠	ابن اللبانة	البسيط	عباد
٦٢١	ابن هانيء	البسيط	بمولود
٧٠٨	إسحاق الموصلي	البسيط	مسلود
٧٦٥	صريع الغواني	البسيط	الجود
١٢١	المتنبي	الوافر	فؤاد
١٤٣	ابن فرج الجباني	الوافر	الرقاد
٥٥٤	—	الوافر	عيد
٣١	—	الكامل	الأكباد
٥٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	عواد
٣٩٤	ابن لبون	الكامل	الوراد

٣٩٥	ابن عمار	الكامل	صعادي
٤٦٩	القسطلي	الكامل	المباد
٢٥١	الحارث بن هشام	الكامل	مزبد
٧٠٦	الناطقة الذبياني	الكامل	هاليد
٧٧٧	أبو تمام	الكامل	الوالد
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الرمل	الغواذي
٦٨٥	بشار	الرجز	لمرتد
٣١٤	أبو فراس	السريع	خالد
٨٣٩	ابن صارة	السريع	جند
٧٩٣	ابن الرومي	المنسرح	ورد
٤٣٢	ابن عمار	المنسرح	نقده
٤٨٥	المعري	الخفيف	والاجداد
٧٩٦	المعري	الخفيف	الأفراد
٤٢٦	ابن عمار	الخفيف	الرشيد
٧٥	المعتمد	المتقارب	القيود
٨٤١	عمر بن الشهيد	المتقارب	ندي
٣٩٢	ابن عمار	المتقارب	ردة

قافية الذال

٢١٥	ابن القوطية	الرمل	وبذ
٢١٠	أبو الأصمغ ابن سعيد	الكامل	رذاذا
٢٣	القاضي ابن عباد	الطويل	يغتذي

غذي	الطويل	ابن حبيب الحميري	١٣٣
فخذي	الكامل المرفل	الحصري الكفيف	١٤٢

قافية الراء

كدر	الطويل	امرؤ القيس	٧٠٤
أثر	البيسط	ابن برلوصة	٨٠٥
المجوهر	مخلع البيسط	أبو الأصمغ ابن عبد العزيز	٢٠٨
معدّر	مخلع البيسط	ابن الأبار	٢٠٩
المجبر	مجزوء الكامل	أبو محمد عبد الغفور	٣٦٢
البهار	الرمل	ابن مرزقان	٥٢١
تغور	الرمل	ابن خيرة الصباغ	٢١١
القمر	السريع	ابن حصن	١٦٦
نزار	السريع	أبو عبد الله ابن شرف	٦٤٢
الفرار	السريع	أبو عبد الله ابن شرف	٦٤٢
نضر	المنسرح	القاضي ابن عباد	٢٣
غير	المنسرح	ابن اللبانة	١٤٥
النظر	المنسرح	ابن حبيب الحميري	١٣٣
اذكر	المنسرح	أبو الحسن الشتمري	٦٣٨
تناثر	الخفيف	ابن فرج أو المصحفي	٣٩٠
البشر	مجزوء الخفيف	—	٢٠١
الأوار	المقارب	المعتمد	٧٣
قصر	المقارب	ابن نباتة السعدي	٩٢

١٥٤	أبو نواس	الطويل	صفرا
٢٢٨	ابن عبدون	الطويل	جهرا
٢٢٩	ابن زهر	الطويل	أورى
٢٥٠	امرؤ القيس	الطويل	وميسرا
٧٣	المعتمد	البسيط	ماسورا
١٩٩	أبو عمر الباجي	الوافر	نارا
١٤٨	—	الكامل	ظهورا
٣٢٢	أبو المغيرة ابن حزم	الكامل	مسكرا
٣٨٢	ابن عمار	الكامل	السرى
٦٣٢	ابن عمار	الكامل	أخضرا
٥٦١	أبو الحسين ابن الجحد	الكامل	أبصرا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الرجز	النبرا
٧٨٢	—	الرجز	برآ
١٠٤	أبو الوليد الباجي	السريع	جائرا
٣٣٤	أبو تمام	السريع	القاصره
٨٢٠	—	السريع	الآخره
٨٢٠		السريع	برآ
٦٤	المعتمد	الخفيف	وشكرا
٤١٥	ابن عمار	المتقارب	مشيرا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	المتقارب	ميثرة
٦٤٥	الكميت	المتقارب	وأفكارها
٣٠	ابن المعتز	الطويل	جواهر

١٦٩	ذو الرمة	الطويل	أعبرُ
١٩٧	أبو عمر الباجي	الطويل	أكبرُ
٤٥٩	ابن شهيد	الطويل	فيشمرُ
٧٩٥	—	الطويل	مدنرُ
٦٨	المعتمد	الطويل	الدهرُ
١٣٣	ذو الرمة	الطويل	الخميرُ
١٥٤	أبو نواس	الطويل	فخر
٢٣٧	أبو عبيد البكري	الطويل	القطر
٣٢٠	أبو عامر ابن مسلمة	الطويل	الجبرُ
٣٢٠	أبو القاسم ابن الجد	الطويل	نشرُ
٣٢٢	أبو تمام	الطويل	البدر
٣٤٠	أبو محمد عبد الغفور	الطويل	والصبرُ
٤٠١	ابن عمار	الطويل	الدهر
٤٤٣	—	الطويل	صفر
٤٩٣	المعري	الطويل	الدهر
٤٩٤	ابن شماخ	الطويل	عمرُ
٥٩٠	ابن عبدون	الطويل	الزهر
٥٩٠	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	البدر
٦٠٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	سترُ
٧١٧	أبو الشيص	الطويل	حمرُ
٧٢٠	ابن عبدون	الطويل	بكر
٧٧٣	أبو محمد البطليوسي	الطويل	شبر

٧٩٤	ذو الرمة	الطويل	الفجر
٨١٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وعر
٧٥	المعتمد	الطويل	وسرير
٧٦	ابن حمديس	الطويل	ويجور
١٦٩	ابن وهبون	الطويل	يدور
٣٣٣	—	الطويل	لكثير
٤٦٢	الصاحب بن عباد	الطويل	ضمير
١٥٣	الفرزدق	الطويل	كاسره
٤٨	المعتمد	البيسط	والخدر
١٥٠	ابن اللبابة	البيسط	ينكسر
٢٥٥	ابن وهبون	البيسط	السمر
٣٠٥	ابن وهبون	البيسط	الفكر
٢٥٦	أبو الحسين ابن الجحد	البيسط	خبر
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	وطر
٥٩٦	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	والغير
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	الشرر
٦٣٠	الأخطل	البيسط	مجر
٧٧٣	أبو الحسن البطليوسي	البيسط	ذخروا
٥٨	—	البيسط	محدور
٣١	المعتضد	البيسط	ناظره
١٤٩	المتنبي	البيسط	مآزره
٤١٠	المتنبي	البيسط	دوائره

٧٣٥	الأعمى التطيلي	البيسط	مصدره
١٦٥	ابن حصن	مخلع البسيط	والبهار
١١٠	ابن الأبار	مخلع البسيط	البدور
١١٠	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	النفور
٩١	أبو تمام	مخلع البسيط	مطير
٤٩٩	المتنبي	الوافر	السوار
٧١٧	ابن عبدون	الوافر	ثمار
٤٤٨	ابن الدهقانة أو غيره	الوافر	كثير
٢١٤	البلمي	الكامل	ونمطر
٢٩٦	—	الكامل	يكدر
٩٢	العباس بن الأحنف	الكامل	الأقدار
٧٧٨	العباس بن الأحنف	الكامل	مدرار
٤٤	المعتمد	الكامل	أمور
٢٢٥	بشار	الكامل	أمير
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	كثير
٣٩٢	ابن عمار	الكامل	اضراره
٤٤٩	حسان بن المصيصي	الكامل	بهاره
٧٠٩	طرفة	مجزوء الكامل	النسور
١٥٤	—	الرجز	عتوره
٨٤٥	الحصري الكفيف	الخفيف	الحضور
٤٤٠	حسان بن ثابت	الخفيف	يطير
١٧١	ابن حصن	الطويل	تصير

٦٨٧	زهير بن مسعود	الطويل	محبّر
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وظاهر
٨٤٧	ابن صارة	الطويل	بنحو اطري
٤٣	المعتمد	الطويل	همجر
٦٩	المعتمد	الطويل	عمري
١٤٧	الأخطل	الطويل	يمجري
١٦٦	ابن حصن	الطويل	والنهر
٢٧٣	حسان بن المصيصي	الطويل	بحري
٤٨٧	—	الطويل	الدهر
٦١٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	أدري
٦١٢	أبو بكر ابن حزم	الطويل	القدر
٦١٨	الحصري الكفيف	الطويل	القدر
٧٠٥	أبو تمام ابن رباح	الطويل	الحر
٤٦٣	ابن الملح	الطويل	مطار
٢٠٧	أبو الأصمغ ابن عبد العزيز	الطويل	منير
٢٠٨	ابن الأبار	الطويل	منير
٤٥	المعتمد	البسيط	الغدير
٧٦	المعتمد	البسيط	الشجر
١٢٦	ابن حبيب الحميري	البسيط	والحبر
١٣٧	العباس ابن الأحنف	البسيط	والبصر
١٥٥	ابن المعتز	البسيط	الخبر
٧٠٠	ابن المعتز	البسيط	الأثر

٨٠٥، ١٥٨	أبو الفضل ابن شرف	البسيط	حور
٣٢٢	أبو تمام	البسيط	بالقمر
٣٧٤	المعري	البسيط	أشر
٤٥٧	المعري	البسيط	الصغر
٨٤٩، ٤٥٨	المعري	البسيط	الزهر
٤٩٤	المعري	البسيط	العكر
٤٠٠	ابن عمار	البسيط	نظري
٤٨٨	التهامي	البسيط	بصري
٧٩٥	التهامي	البسيط	التمر
٧٢٧	الأعمى التطيلي	البسيط	ذكر
٧٤٥	الأعمى التطيلي	البسيط	بالصدر
٦٩٣	ابن عبدون	البسيط	والحور
٨٠٥	أبو محمد ابن هود	البسيط	الحذر
٨٤٧	ابن صارة	البسيط	السفر
٨٤٩	ابن صارة	البسيط	والغرر
٣٠	ابن عبدون	البسيط	آذار
١٥٠	ابن عمار	البسيط	بأطيار
٣٨٤	ابن عمار	البسيط	الساري
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	بلاّ
٣٥٨	القتال الكلابي	البسيط	بالعار
١٦٩	—	البسيط	نور
٦٤٦	جرير	الوافر	الحمار

٧٢٧	المعري	الوافر	حوار
٦٢	المعتمد	الوافر	الشكور
٦٣	ابن اللبانة	الوافر	ضميري
٧١١	ابن عبدون	الوافر	الدهور
٧٩٠	مهلهل	الوافر	بالذكور
٣١	أبو تمام ابن رباح	الكامل	بشرار
٢٤٨	التهامي	الكامل	عذار
٤٨٦	التهامي	الكامل	الأسفار
٤١١	ابن عمار	الكامل	النار
٤١٣	المعتمد	الكامل	الاعصار
٥٩٦	—	الكامل	جدار
٧٢٧	المعري	الكامل	الأسوار
٨٤١	ابن صارة	الكامل	للنظار
٨١٠	المعتمد	الكامل	وبواتر
٨١١	النحلي	الكامل	ظاهري
٤٥٦	ابن الملح	الكامل	فاصدي
٥٩٢	أبو الحكيم ابن حزم	الكامل	فتذكري
٦٢٩	ابن بقي	الكامل	المقفر
٧٢٧	المعري	الكامل	الصرصر
٦٣٨	أبو الحسن الشنتمري	الكامل	غديرها
٤٠١	ابن عمار	الكامل المرفل	الزهر
٥١٢	الخنساء	الكامل المرفل	الحضري

٦١٧	ابن بقي	الكامل المرفل	النجر
٢٩٦	بشار	الكامل المرفل	قدره
٩٤	عدي بن زيد	الرمل	اعتصاري
٢٣	القاضي ابن عباد	السبع	المخبر
٨٤٥	—	السريع	الأبخر
٨٠٩	النحلي	المنسرح	النظر
٢١٥	ابن القوطية	الخفيف	واققدار
٢٣٠	ابن زهر	الخفيف	نهار
٤١٠	ابن عمار	الخفيف	بالتندير
١٦١	ابن حصن	المجث	أواري
١٤٥	أبو القاسم المنيشي	المقارب	أمريها

قافية للزاي

٢١٨	ابن القوطية	البسيط	الحرز
١٥٥	ابن الرومي	الكامل	المتحرز
١٥٦	ابن الأبار	الكامل	منعوز

قافية السين

٢١٢	البلمي	مخلع البسيط	ألعس
١٣٣	ابن حبيب الحميري	المنسرح	الأنفس
١٠٩	المصحفي	الطويل	الشمسا
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	تلبسا

٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	وقوَّما
٧٠٣	أبو نواس	الطويل	الفوارسُ
٧٠٥	المثلثم البطلبيوسي	الطويل	فريسها
١٦٢	ابن حصن	السريع	والآسُ
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	والآسِ
٤٧	المعتمد	البسيط	حرَّاسِ
٢١٦	ابن القوطية	البسيط	مقنبس
٨١٤	ابن سوار الأشبوني	البسيط	المهرس
٢٧	صاعد البغدادي	الوافر	الرعوس
١٢٩، ٧٠	الخنساء	الوافر	نفسى
٣٩١	ابن عمار	الكامل	مجلسِ
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	أناسِ
٣٩٦	الأشتر	الكامل	عبوسِ
٣٩٧	ابن الأبار	الكامل	ونفوسِ
١٥٥	والبة بن الحجاب	السريع	راسي
١٦١	ابن حصن	السريع	الأنفوس
٤٦	ابن وكيع	مجزوء الخفيف	دنجسي

قافية الشين

٥٨٤	صالح الشتيمري	الوافر	ويمشَى
٧٧٢	أبو الحسن البطلبيوسي	السريع	أعشى
٦٨٧	حام	الطويل	تخمشُ

قافية الصاد

٤٠٧	عدي بن زيد	السريع	الحريص
١٢٤	ابن المعلم	الكامل المرفل	خرصي
١٢٤	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل المرفل	الفرص

قافية الضاد

٢٠٢	ابن الأستجي	المجث	أرضه
٢٠٣	ابن القوطية	المجث	أرضه
٢٠٣	ابن حبيب الحميري	المجث	وارضه
٢٠٤	ابن الأبار	المجث	وافتنضه
٢٠٤	أبو الاصبغ ابن عبد العزيز	المجث	غضه
٢٠٥	ابن حصن	المجث	غمضه
٢٠٥	المعتضد	المجث	لتمضه
٢٣١	ابن زهر	البسيط	غرض
٢٩	المعتضد	المنسرح	تبيض
٦٩٣	أبو نخيلة	الطويل	بعض
٨٤٥	ابن صارة	الكامل	النضناض
١٢	ذو الاصبغ العدواني	الهرج	الأرض
٣٨٠	—	الخفيف	رياض

قافية الطاء

٨١٠	متوكل بن أبي الحسن	البسيط	سَقَطَا
٣٩٠	البحثري	الطويل	ولاقَطُهُ
٢٥٠	ابن العسال	البسيط	الغلَطِ

قافية العين

٥٤	(خارجي)	الرجز	الطَمَعُ
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	الطلوعُ
١٥٣	امرؤ القيس	الطويل	أثَلَا
٧٠٢	ابن الرومي	الطويل	مشرَعَا
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	أجمعا
٥٤١	أبوبكر ابن عبد العزيز	البسيط	موضَعُهُ
١٤٦	ابن الرومي	الكامل	دموعا
٦٨	المعتمد	الرملي	الطَمَعَا
١٩٥	أبو الأسود الدؤلي	الرملي	منتزَعه
٩٨	أبو الوليد الياسي	المتقارب	كسَاعه
٨٣	أبو حفص الهوزني	الطويل	يتوقَعُ
١٧١	أبو تمام	الطويل	فيوجع
٣١٨	أبو القاسم ابن الجحد	الطويل	وأمتَعُ
٧٩٩	ابن البين	الطويل	متشيع
٥٩٩	المجنون	الطويل	المضاجع

٧٠٢	السلامي	الطويل	جوامعُ
٧٠٣	صريع الغواني	الطويل	الجوامعُ
٥٦٧	أبو الحسن البكري	الطويل	سمعُ
٤٤	المعتمد	الطويل	تواقعهُ
٣٢٣	المعتمد	الطويل	متاعها
٢٤٩	ابن اللبانة	البسيط	فتنخدع
٦٢١	المتنبي	البسيط	زرعوا
٨٤٩	المتنبي	البسيط	يضعُ
٦٢٩	—	البسيط	البقعُ
٧١٣	أبو نصر المعافى	مخلع البسيط	الضباعُ
٤٢٢	أبو ذؤيب	الكامل	تنفع
٤٦٦	ابن عبدة البر الشنتريني	الكامل	تسطع
٤٨٧	المتنبي	الكامل	الأدمع
٥٣	المعتمد	مجزوء الكامل	الصديعُ
٤٤	المعتمد	السريع	لماعُ
٣٧٧	عيسى بن الحسن	الطويل	وتفججي
٥٥٠	المعري	الطويل	أربعـ
٧٠٣	الرمادي	الطويل	المشعشعـ
٧٧٠	أبو بكر البطلبيوسي	الطويل	بمباضع
٨٣٧	ابن صارة	الطويل	شفيع
٣٨٨	ابن عمار	الطويل	دعـ
١٦٩	المعري	الطويل	جذعـ

٤٤٢	—	البسيط	الورع
٥١٣	ابن فرج الجباني	الوافر	بالمطاع
١٤٢	أبو تمام	الوافر	الرقاع
٧١٢	ابن عبدون	الوافر	الزمام
٧٨٨	ابن مقانا	الوافر	الطبيعي
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	أسماعي
٦٢٣	الشريف الرضي	الكامل	المطبوع
٨٠١	المتنبي	الكامل	دموعي
٧٢١	ابن شهيد	المقارب	الشجاع

قافية الفاء

١٤٣	ابن الأبار	مجزوء الكامل	للارنشاف
١٧٤	ابن حصن	الطويل	تناقفا
٧٩٥	ابن هاني	الطويل	تخفى
٢٠٧	أبو الأصبح ابن عبد العزيز	مجزوء الكامل	عطفه
٦٠٠	أبو الوليد ابن حزم	المقارب	الطاقها
٣٧٧	الرمادي	الطويل	وتتف
٩٣	أبو نواس	البسيط	تعترف
٤٧٣	ابن الملح	البسيط	منزوف
٤٠٩	الناجم	الوافر	ظريف
١٤٧	ابن أبي ربيعة	مجزوء الرجز	مهفهف
٨٣٦	ابن وهبون	الرملي	طرفه

٦٣٧	أبو الحسن الشنتمري	السرّيع	والخيفُ
١٦٤	ابن حصن	المتقارب	ينصفُ
٤٦٨	أبو بكر ابن حجاج	المتقارب	عرفهُ
١٤٩	أبو القاسم المنيشي	الطويل	الحشفِ
٦٣٤	ابن بقي	البسيط	الأسفِ
٤٨٣	المعري	الوافر	شعفي
٥١٢	البحثري	الكامل	يشرفِ
٧٧٠	أبو بكر البطليوسي	الكامل	طافي
٧٨٥	ابن قرمان	الكامل	نطافِ
٦٣٩	أبو الحسن الشنتمري	المنسرح	طرفهُ
١٣٨	سعيد بن حميد	الخفيف	الأردافِ

قافية القاف

٥٨	—	الرمّل	بسقُ
٥٨	المعتمد	الرمّل	حقُ
١٥٦	ابن الأبار	الرمّل	فاغتبِقُ
٨٤٣	ابن صارة	البسيط	طرّقا
١٤٨	المتنبّي	الوافر	نطاقا
٢١٢	ابن نصر الأشبيلي	الكامل	وأعتقا
١٤٨	ابن أبي زرعة	الكامل المرفّل	نطقا
٣٨٩	الطليق المرواني	الرمّل	شفقا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الخفيف	وعقيقا

١٧٧	ابن حصن	الطويل	أرقق
٢٣٦	الأعشى	الطويل	وتطلق
٦٩١	الأعشى	الطويل	معلق
٤٩٧	الصابي	الطويل	أحذق
٤٩٤	ذو الرمة	الطويل	مخلق
٤٢٢	المجنون	الطويل	عاشق
٣١	المعتضد	الطويل	رقيق
١٥٠	المجنون	الطويل	لصديق
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	يروق
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	شرق
٦٢٢	—	البيسط	الخلق
٢١٦	صاعد البغدادي	البيسط	سراق
٣٨٥	ابن عمار	البيسط	ولإسحاق
١٢٢	ابن المعلم	الوافر	البراق
٢٣٠	ابن زهر	الكامل	مونق
٨٣٦	ابن صارة	الكامل	يشرق
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	رقاق
٧١٨، ٤٢	المتنبي	الطويل	الشقائق
١٤٠	المتنبي	الطويل	مفرق
١٤٧	النابعة الديباني	الطويل	منطق
٤٠٣	ابن عمار	الطويل	المنق
٦٢٤	ابن بقي	الطويل	أطوق

٨٣٢	ابن سوار الأشبوني	الطويل	اصدق
٥٨٨	أبو الحسن البطلاني	الطويل	الطوق
٧٠٥	جميل بثينة	الطويل	بطريق
١٣٥	—	البسيط	الحدق
١٥٨	المتوكل بن الأفتس	البسيط	الحدق
٤٧٢	ابن الملح	البسيط	والحدق
٤٦٥	ابن العطار الباسي	البسيط	العتق
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	البسيط	بقي
٦١٦	ابن بقي	البسيط	حلقة
٦١٦	أبو بكر	البسيط	درقه
٦١٦	ابن بقي	البسيط	ورقه
١٤٤	ابن وهبون	الوافر	اتفاق
٥٨٣	صالح الشتمري	الوافر	البروق
٣٧٩	ابن نباتة السعدي	الوافر	الشفيق
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الكامل	الفائق
٤٧٠	أبو تمام ابن رباح	الكامل	تلحق
٥٠٥	ابن وهبون	الكامل	الأزرق
٦٣٦	ابن بقي	الكامل	لناشق
٥٨٩	ابن عبدون	الكامل	تحريق
٨٤٤	ابن صارة	الكامل	نفاقها
١٦١	ابن حصن	السريع	لاخلاقها
٢٥١	ابن الرومي	المنسرح	والحدق

٤٦٧	ابن عبلوس	المنسرح	بلق
٤٨١	المتنبى	الخفيف	المذاق
٢١٧	ابن القوطية	مجزوء الخفيف	ورونق

قافية الكاف

٥٦٢	أبو الحسين ابن الجحد	مخلع البسيط	لساحتك
١٦٧	ابن حصن	الطويل	الشركا
٨٤٦	ابن صارة	البسيط	بكا
٣٨٤	ابن عمار	الكامل	لقياكا
٧٠٠	ابن هاني	الطويل	الفوارك
١٦٤	ابن حصن	الوافر	الديوك
٥٨٢	صالح الشنتمري	الكامل	هواك
٨٣٨	—	الكامل	أغناك

قافية لللام

١٥٩	ابن حصن	المجث	يتدلل
٦٢٥	—	المتقارب	الحمل
٧١٥	ابن عبلون	المتقارب	العذل
١١٥	أبو تمام	الطويل	يتحوّلا
٦٩٣	أبو تمام	الطويل	مجهلا
٧٦١	أبو تمام	الطويل	مؤمّلا
١٣٨	—	الطويل	وعجلا

١٨٠	ابن حصن	الطويل	وصائلا
٢١٣	ابن ديسم الاشبيلي	الطويل	عذلا
٧٩٠	ابن مقانا	البسيط	والتيلا
١٣٧	القس المكي	الوافر	قالا
٢٢٣	كثير	الوافر	المطالا
٣٧٨	المعري	الوافر	الظلالا
٧٠٧	المعري	الوافر	الرتالا
٤٧٢	ابن وهبون	الوافر	ملالا
٥٠٨	ابن وهبون	الوافر	والخلالا
٧٣٢	الأعمى التطيلي	الوافر	خبالا
٩٢	أبو تمام	الكامل	كاملا
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	قبولا
٧٦٧	أبو بكر البطليوسي	الكامل	رسولا
١٢١	ابن المعلم	الكامل	عليلا
٣٨٧	كشاجم	الكامل	قايللا
٤٦٦	ابن اللبانة	الكامل	التأميلا
٥٦٢	أبو الحسين ابن الجدة	الكامل	طويلا
٧٩٤	ابن هاني	الكامل	جبريلا
٨٢٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أشكالها
٣٣٢	المتنبي	المنسرح	قتلة
١١٣	المتنبي	الخفيف	بخلا
٢٢٦	المتنبي	الخفيف	محلتي

٨١٣	ابراهيم الصولي	الخفيف	والعذا
٧٨٥	ابن قزمان	الخفيف	انهمالا
٧٧٣	أبو بكر البطليوسي	الخفيف	شمولا
١٥٢	المفجع البصري	الخفيف	طويلا
٤١٤	ابن عمار	المتقارب	جمالا
٥١٣	جنوب	المتقارب	عضلا
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	قليلا
٧٩٦	ابن مقانا	المتقارب	وخلخالها
١٤٨	أبو تمام	الطويل	الخلاخل
٦٣٤	ابن بقي	الطويل	دلائل
٧٨١	ابن المعتز	الطويل	وأرجل
١٠٢	ابو الوليد الباجي	الطويل	غافل
٧١	المعتمد	الطويل	كَبَلْ
٨٨	زهير بن أبي سلمى	الطويل	قبل
٨٨	أبو حفص الهوزني	الطويل	فصل
١٣٦	صريع الغواني	الطويل	والبذل
٥٥٣	صريع الغواني	الطويل	النصل
١٤٧	الحكم الحضري	الطويل	عبل
٥٦٤	أبو الحسن البكري	الطويل	النصل
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	القتل
٦٣٤	—	الطويل	الشغل
٦٢٧	المعري	الطويل	أصلا

٧٧	المعتمد	الطويل	حجول
٦٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	فأقول
٨٢٦	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وفعل
٨٢٢	ابن المعتز	الطويل	صقيل
١٢٣	ابن المعلم	الطويل	دخيل
١٤٦	ابن الطثرية أو غيره	الطويل	فتيل
١٣٧	الصمة أو ابن الطثرية	الطويل	أنامله
١٧٠	أبو تمام	الطويل	خلاخله
٨٤٨	أبو ذؤيب	الطويل	رسولها
٨٩	أبو حفص الهوزني	المديد	أزل
٧٧٠	الشنفرى أو غيره	المديد	نخل
٤٠٧	القطامي	البسيط	الزلزل
٤٠٧	—	البسيط	عجلوا
٤٩١	ابن وهبون	البسيط	زحل
٢٩٤	حنديج المري	البسيط	صول
٦٢٥	جران العود	البسيط	مشغول
٩١	المعري	الوافر	الهلل
٢٢٥	عدي بن زيد	الوافر	أقول
٤٥١	جميل بثينة	الوافر	وبيل
١٤٨	النحلي	الكامل	يحمل
٨٢٧	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ينال
٦٣٣	ابن بقي	الكامل	سيزول

٣٣٨	—	الكامل	دليل
٤٦٩	يحيى بن هذيل	الكامل	اليل
٦٠٥	ابن الرومي أو أبو نواس	الكامل	طويل
١٦٥	ابن حصن	السريع	إكليل
٢٢٦	المتنبي	المقارب	منصل
٤٤١	حسان بن ثابت	المقارب	الأكمل
٥٧٠	أبو الحسن البكري	المقارب	يعقل
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	تسهل
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	فأجملي
٥٥٠	امرؤ القيس	الطويل	ومنز
٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	مرحل
٧٩٤	امرؤ القيس	الطويل	المفصل
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	والتطوّل
٦٣٥	ابن بقي	الطويل	بطائل
٣٦٠	أبو ذؤيب	الطويل	لوائل
١٣٤	أبو الوليد الحميري	الطويل	الشمّل
٢٩٥	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	يبلي
٣٧٨	ابن زيدون	الطويل	النصل
٦٤٨	المتوكل ابن الأفطس	الطويل	فضلي
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	إذلال
٤٦٧	الرمادي	الطويل	قتال
٦٣١	المعري	الطويل	طوال

٨٤٨	المعري	الطويل	وجلاي
٨٢١	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وجمالي
٥٨٧	صالح الشتمري	الطويل	خليلي
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	احتلاله
٤١	أبو سعد المخزومي	البيسط	وجل
١٣٥	أبو سعد المخزومي	البيسط	مكتحل
٧٩٨، ٣٢٢	المتنبي	البيسط	زحل
٦٤	المتنبي	البيسط	البلل
١٣٥	المتنبي	البيسط	والعمل
٤٤٢	المتنبي	البيسط	الحلل
٧١٦	المتنبي	البيسط	المقل
٦٩٥	ابن عبدون	البيسط	مثل
٧٩	ابراهيم الشاشي	البيسط	مرتحل
٤٣٦	أبو عبد الله ابن شرف	البيسط	والمقل
٤٣٧	حسان بن المصيصي	البيسط	الأسل
٥٩١	حسان بن المصيصي	البيسط	القبّل
٤٣٩	ابن رشيّق	البيسط	والرسل
٤٦١	ابن الملح	البيسط	الطلل
٥١٥	ابن وهبون	البيسط	الجلل
٦٢٠	ابن بقي	البيسط	المطل
٦٢٠	ابن بقي	البيسط	والإبل
٦٢٤	ابن بقي	البيسط	الجمل

٦٢٩	ابن بقي	البسيط	ومن فعل
٦٩٥	ابن الرومي	البسيط	الملل
٢٤٦	أبو فراس الحمداني	الوافر	العوالي
٤٨٦	المتنبي	الوافر	الأوالي
٤٩٠	المتنبي	الوافر	بالجمال
٦١٨	المتنبي	الوافر	الغزال
٥٢١	ابن مرزقان	الوافر	المعالي
٥٢١	المعتمد	الوافر	للهمال
٥٣٤	ابن عبدون	الوافر	بسال
٧٠٤	ابن المعتز	الوافر	الرجال
٤٤	الأسعد بن بليظة	الكامل	الآصال
١٥٠	صالح الشنتمري	الكامل	والخلخال
٥٨٣	صالح الشنتمري	الكامل	لإعمال
٢٠٦	أبو الأصيبغ ابن عبد العزيز	الكامل	وال
٢١٤	البلمي	الكامل	أعمالي
٤٦٨	الرمادي	الكامل	مجال
٦٣٤	أبو حاتم الحجاري	الكامل	الأشغال
٧٢٩	الرمادي	الكامل	عويلي
٤٣١	ابن وهبون	الكامل	القاتل
٤٦٩	البحثري	الكامل	الأحول
٦٢٥	ابن بقي	الكامل	يعذل
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الكامل	الأول
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الكامل	يحمل

٤٦٨	ابن فتوح	الكامل	مجاله
٦٤٤	المتنبى	الكامل	وزياله
٤٤٣	أبو حاتم الحنجاري	الكامل	زوالها
٦٧٦	—	الهنزج	المال
٧٧٩	ابن قزمان	الهنزج	حال
٥٩	—	الرملى	الزلال
٤٦٥	النحلى	الرملى	مهله
٤١٩	ابن عمار	السرى	المال
٧٨٤	امرؤ القيس	السرى	نابل
٤٥٣	ابن الملح	الخفیف	أبالي
٤٦٢	—	الخفیف	الصقال
٨٣٨	ابن أبى أمية	الخفیف	الرسول
١٣٤	أبو الوليد الحميرى	المتقارب	مقتلى
١٦٠	ابن حصن	المتقارب	نوى لى
٢٥٥	المتنبى	المتقارب	وائل
٦٩٢	ابن دراج القسطلی	المتقارب	بتعطيله

قافية الميم

٤٦٦	ابن شهيد	مجزوء الكامل	القوائم
٦٣٣	—	الرملى	نسيم
٤٢	بشار	المتقارب	بدم
٨٦	أبو حفص الموزنى	المتقارب	تنصرم

٩٨	أبو الوليد الباجي	المتقارب	القدم
٣٨٣	ابن هاني	المتقارب	القلم
٥٥	أبو دلالة	الطويل	نحطما
٧٧	ابن اللبانة	الطويل	مُنخَتَمَا
١٣٩	ابن داود	الطويل	محرّما
٢٤٨	حسان بن المصيصي	الطويل	لنكرما
٤٣٥	حسان بن المصيصي	الطويل	متمما
٢٥٦	أبو تمام	الطويل	مسلمما
٤٤٨	عبد بن الطبيب	الطويل	تهدّما
٤٩٧	المتنبي	الطويل	والفهما
٦٢٣	ابن بقي	الطويل	كالدمي
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	جهنّما
٨٢١	ابن اللبانة	الطويل	ضيغما
١٥٦	الرمادي	الطويل	ملامها
٧٩	ابن اللبانة	البيسط	عظما
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	والقلما
٧٧٠	—	البيسط	سَلَمَة
١٦٤	ابن رثيق	مخلع البيسط	حساما
٨٤٤	ابن صارة	الوافر	والغلاما
٤٣	المعتمد	الكامل	فتكلّما
٦٠٩	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	عَسَى
٦٩٦	ابن صارة	الكامل	التحكّما

٣٦٠	—	الرمل	سجما
٧٣	المعتمد	السريع	ترحما
٣٣٢	عبد الغفور أبو محمد	المنسرح	هَدْمَةٌ
١٠٨	أبو جعفر ابن الأبار	المجث	الكريمة
٢٣٠	أبو العلاء ابن زهر	المتقارب	عمى
٩١	الفرزدق	الطويل	فيفعم
٣٥٣	—	الطويل	يكرم
٥٦٦	أبو الحسن البكري	الطويل	المتبسم
٢٣٧	المتنبي	الطويل	نائم
٣٥٧	—	الطويل	المباسم
٣٧٨	—	الطويل	الحمائم
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	التمايم
٧٩٥	ابن هانيء	الطويل	الخواتم
٦٣٢	المعري	الطويل	الكرم
٨٠٢	مهيأ	الطويل	دم
٦٥	المعتمد	الطويل	حرام
٦٥	ابن اللبانة	الطويل	حمام
٥٥٢	—	الطويل	وتسيم
٢٢٦	المتنبي	الطويل	لظالمه
٤٦٣	المتنبي	الطويل	كاتبه
٦٢٢	كثير غزوة	الطويل	خيمها
٤٦	المعتمد	السيط	حلسم

٢٢٦	المتنبي	البسيط	والخلم
٧١٠	ابن عبلون	البسيط	مفهوم
١٨٤	ابن حصن	البسيط	وتسليم
٧٠٢	ذو الرمة	البسيط	ترنيم
٩١	نصر بن سيار	الوافر	الكلام
٢٢٤	جرير	الوافر	البشام
٢٤٥	ابن وهبون	الوافر	والنمام
٤٣٠، ١٦٠	أبو العتاهية	الوافر	الخصوم
٥١	—	الكامل	ينثم
٥١	المعتمد	الكامل	أكرم
٥٢	ابن زيدون	الكامل	الأسهم
١٠١	أبو الوليد الباجي	الكامل	يسلم
٤٤٢	المتنبي	الكامل	يظلم
٦٢٩	أبو تمام	الكامل	وتعلم
٦٨٤	ابن عبلون	الكامل	تجهم
٧٣٨	الأعمى التطيلي	الكامل	يتضرم
٨١٩	ابن سوار الأشبوني	الكامل	يبنم
٦١٤	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	وتقوم
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	تحوم
٧٩٤	ابن المعتز أو الصنوبري	المنسرح	قلم
٥٢	المعتمد	الطويل	ومعصم
٤٠٩	المتنبي	الطويل	توهم

٦٩١	ابن عبدون	الطويل	تعالم-
٨٢٢	أبو العرب الصقلي	الطويل	بأسهم-
٥٨٥	صالح الشنمري	الطويل	قائم-
١٥٣	جرير	الطويل	والمكارم-
٣٧٢	ابن عمار	الطويل	الغنائم-
٤٧٠	أبو تمام ابن رباح	الطويل	قوائم-
٦٢٦	ابن بقي	الطويل	قوائم-
٦٩٢	-	الطويل	المواسم
٤٥٥	امرؤ القيس	الطويل	طامي
٨٢٤	ابن صوار الأشبوني	الطويل	كلام-
٤٦٠	ابن الملح	الطويل	نجوم-
٧٠٤	أبو نواس	الطويل	بنجوم-
٣٩٣	ابن عمار	الطويل	وسيم-
٤٠٢	ابن عمار	الطويل	بقسيم-
٦٩١، ٦١	أبو تمام	البيسط	الكلم-
٤٩٣	أبو تمام	البيسط	الأمم-
٦٤٤	أبو تمام	البيسط	ينم-
١٠٤	أبو الوليد الباجي	البيسط	والكلم-
٥٧٢	أبو الحسن البكري	البيسط	الكلم-
١٤٠	الشريف الرضي	البيسط	قدم-
٣٧٩	الشريف الرضي	البيسط	واللمم-
٢٠١	ابن الاستحي	البيسط	اللمم-

٤٩٣	المتنبى	البسيط	المهرم-
٤٥٦	ابن الملح	البسيط	متهم-
٥٩٧	أبو الحكم ابن حزم	البسيط	الخدم
٥٩٧	ابن بسام	البسيط	والحكم-
٤٩٣	أبو الفضل ابن شرف	البسيط	منهزم-
٣٩٤	ابن عمار	الوافر	الثام-
٤٨١	المتنبى	الوافر	الرجام-
٧١٤	المتنبى	الوافر	القدام
٤٤٨	المجنون	الوافر	يوم-
٦٣٣	خاف الأحمر	الوفر	ميم-
٢٢٦	المتنبى	الكامل	الصارم-
٣٨٠	عنزة	الكامل	المغنم-
٧٠٢	عنزة	الكامل	الترنم
٣٨١	المعري	الكامل	تكرم-
٤٥٩	ابن الملح	الكامل	الأرقم-
٩٠	الحارث بن وعة	الكامل المرفل	ينمي
١٣٨	أبو حاتم السجستاني	مجزوء الكامل	الكلام-
١٠٥	أبو الوليد الباجي	الخفيف	الكرام-
٦٤٥	أبو تمام	الخفيف	واكتام-
٤٩٦	ابن الرومي	الخفيف	حيزوم-
٦٣٣	ابن الرومي	الخفيف	لميم-
٦٣٠	ابن بقي	الخفيف	النسيم-

٦٩٦	ابن عبدون	الخفيف	النجوم
٨٠٨	ابن كوثر	المتدارك	بمخترم

قافية للنون

٧٩١	ابن مقانا	الوافر	المعين
٢٢٤	عوف بن محلم	السريع	ترجمان
٨٠٦	ابن بولوصة	السريع	دين
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	فاعلون
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	الفاسقين
٨٠٧	ابن القلاس	السريع	القرين
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	المتقارب	البدن
٧٦٨	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رياحينا
٢٩١	—	الطويل	كامنة
٧٠	المعتمد	البسيط	أحزانا
٤٦٣	ابن زيدون	البسيط	يفشيننا
٦٥٢	المتوكل ابن الأفطس	مخلع البسيط	علينا
٣٧٤، ١١٥	القطامي	الوافر	ترانا
٢١٦	ابن القوطية	الوافر	العيونا
٨٠٥	ابن برلوصة	السريع	مفتونه
١٥٢	أبو نواس	الخفيف	زمانا
١٦٤	ابن أبي ربيعة	الخفيف	وغنى
٥٥٥	أبو بكر ابن عبد العزيز	الخفيف	ركنا

١٥١	أبو نواس	المجث	فعلنا
٥٥٥	—	المقارب	مواطننا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	تبيان
٤٨٧	أبو الحسين ابن الجحد	الطويل	بهتان
٥٥٩	أبو الحسين ابن الجحد	الطويل	أجفان
٦٣٦	ابن بقي	الطويل	عقبان
١٨٣	ابن حصن	الطويل	تمكن
٨٠٨	ابن كوثر	الطويل	الحسن
٧١٩	المتنبي	البسيط	والاذن
٤٦٢	ابن الملح	البسيط	ميزان
٧٩٦	المعري	الوافر	الرهان
٧١٩	ابن عبدون	الوافر	المنون
٨٣٥	ابن صارة	الكامل	الحرمان
٣٧٨	ابن هانيء	الكامل	ظنون
٢٥٤	أبو تمام	الكامل	كمين
٤٨٩	أبو تمام	الكامل	محزون
٣٩٢	ابن عمار	المجث	العيون
٧٨١	—	المقارب	ورثمانه
١٦٩	—	الطويل	عدن
٤٨٨	المعري	الطويل	الحشن
١٣٧	—	الطويل	مخططان
١٤١	الرمادي	الطويل	أذاني

٤٨٧	الأعمى التطيلي	الطويل	وعناني
٧٢٤	الأعمى التطيلي	الطويل	الحدثان
٥١٣	—	الطويل	ويقتران
٥٨٧	ابن شهيد	الطويل	تلتطمان
٦٠٤	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	وجناني
٨٢٤	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وأمان
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رفدين
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	سيلانه
٦١٩	ابن بقي	البسيط	تُسن
٦١٩	—	البسيط	درن
١١٥	—	البسيط	يجيران
٣٧٩	ابن المعتر	البسيط	وسنان
٤٦٩	أبو تمام	البسيط	عثمان
٧١٤	الشريف الرضي	البسيط	دوني
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	البساتين
٦٢٢	ذو الاصبغ العلواني	البسيط	حين
٨٥٠	ابن صارة	البسيط	السلطين
١١٢	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	والجمان
١١٢	أبو جعفر ابن الأبار	مخلع البسيط	وبالبيان
٢٢٣	الناطقة الذبياني	الوافر	فان
٥٣٤	أبو بكر ابن عبد العزيز	الوافر	الرهان
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الوافر	الأماني

٦١١	أبو الحكم ابن حزم	الوافر	فلان
٤٠٩	—	الوافر	عني
٧٤	المعتمد	الكامل	والأبدان
٢٢٦	المتنبي	الكامل	كالأجفان
٢٨٢	المتنبي	الكامل	جبان
٧١٧	المتنبي	الكامل	كالعقيان
٦٠١	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	بفلان
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	الاخوان
٦٢٣	ابن بقي	الكامل	عينان
٨٤١	ابن صارة	الكامل	النعمان
٨١٧، ٢٢٢	ابن سوار الأشبوني	الكامل	حمد بن
٤٢٤	ابن عمار	الكامل	يكفيني
٧٧٢	أبو محمد البطليوسي	الكامل	التبيين
٦٨٠	—	الكامل المرفل	العين
٦٠٢	أبو الوليد ابن حزم	الكامل المرفل	الحزن
٦٠٨	أبو بكر البطليوسي	مجزوء الكامل	الحسين
١٦٢	ابن حصن	مجزوء الرمل	سنّي
٣٠	المعتضد	مجزوء الرجز	حسن
١١١	أبو جعفر ابن الأبار	السريع	ولاعلان
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	وخولان
١٤١	الرمادي	السريع	ومنان
٤٩٣	ابن عبد الصمد السرقسطي	الخفيف	الجبان

العيان	الخفيف	أبو الأصبع ابن عبد العزيز	١٠٧
الازمان	المجث	منصور الفقيه	٦١٣
مهبين	المجث	أبو نواس	٦٠
السنان	المقارب	السلامي	٨٣٦

قافية الهاء

كنها	الوافر	ابن صارة	٨٤٣
ولها	مجزوء الوافر	ابن القوطية	٢١٥
نسجها	الكامل	عدي بن الرقاع	٥١٣
يحتويها	مجزوء الرمل	أبو عامر ابن مسلمة	١٠٨
نحسها	المنسرح	أبو الوليد الباجي	١٠٤
ويرعاه	الطويل	أبو الحكم ابن حزم	٥٩١
علاه	الكامل	البحري	٢٢٢
أهداه	الكامل	صالح الشتمري	٥٨٣
أفواه	المنسرح	المتني	٦١
ابكيه	الطويل	أبو الوليد ابن حزم	٦١٤
أبيه	الكامل	ابن عمار	٤٢٣
يسقيه	الكامل	أبو الوليد ابن حزم	٦٠٣
فيه	الكامل	ابن سوار الأشبوني	٨٣١
تشبيه	السريع	أبو تمام ابن رياح	٨٣٦
عليه	المجث	ابن الحضرمي	٣٩١

قافية الواو

٤٧٩	أبو عامر ابن سوار	الرمل	بَسَوَا
-----	-------------------	-------	---------

قافية الياء

٦١	ابن عبلون	الطويل	حاديّا
٦٨٣	ابن عبلون	الطويل	تاليا
٦٨٧	ابن عبدون	الطويل	ضافيا
١٢٢	المتني	الطويل	باكيا
٣٨٦	المتني	الطويل	السواقيا
١٥٥	سحيم	الطويل	تهاديا
٤٤٨	قيس بن ذريح	الطويل	صواديا
٧٥٠	الأعمى التطيلي	الطويل	تلاقيا
٧٨٤	—	الطويل	قافية
٧٨٥	—	الطويل	سارية
٨٧	أبو حفص الهوزني	الوافر	سويّا
٧٩٥	ابن المعتز	مجزوء الرمل	الثريا
٣٨٩	ابن عمار	المتقارب	الثنايا
٥٨٣	صالح الشتمري	البسيط	محمي
٤٧	المعتمد	مخلع البسيط	العشي
٢٠٠	ابن الاستجي	السريع	وفضي
٤٧	ابن عمار	مخلع البسيط	والندي

٤٨١	أبو غسان المتطبب	الخفيف	والألمعي
١٤٧	أبو تمام	الوافر	بطي
٧١٨	السناط	الوافر	صيرفي
٣٠٠	أبو تمام	الكامل	وري

مصادر التحقيق^١

- ابن شهيد لشارل بلاّ . منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٦٥ .
- ابن عمار لصالح خالص . بغداد ، ١٩٤٧ .
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (الجزء الأول) .
تحقيق محمد عبد الله عنان . دار المعارف بمصر ؛ (ج ١ - ٢) . مصر ،
١٣١٩ ؛ مخطوطة المكتبة الكتانية بالرباط ، رقم : ٢٧٠٤ .
- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي . تحقيق رضوان الداية .
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- أدباء مالقة لابن عسكر . صورة عن نسخة خطية خاصة بمكتبة الأستاذ
محمد المنوني .
- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١ - ٢) . حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٢
- أساس البلاغة للزمخشري . دار صادر ، بيروت .

١ قد أثبتنا في هذا الفهرست ما اعتمدناه من مصادر في تحقيق القسمين الأول والثاني ؛ وهي المصادر التي لم يرد ذكرها في تحقيق القسم الثالث من الذخيرة .

الأشباه والنظائر للخالدين (١ - ٢) . تحقيق السيد محمد يوسف . مصر .
١٩٥٨ - ١٩٦٥ .

الاشتقاق لابن دريد . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٩٥٨ .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ج ٦) . مصر ، ١٣٢٣ .

إعجاز القرآن للباقلاني . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف ، القاهرة
١٩٥٤ .

الإعلام بمن حلّ مراكش وأغمت من الأعلام للعباس بن ابراهيم
(١ - ٥) . فاس ، ١٩٣٦ .

أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب (القسم الثالث) تحقيق الأستاذين
العبادي والكتاني . الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ؛ وأعمال الإعلام تحقيق ليفي
بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ، القاهرة .

الاكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى
والانساب لابن ماكولا (١ - ٥) ، بعناية عبد الرحمن اليماني . حيدر أباد
الدكن ، ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .

الامتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي (١ - ٣) . تحقيق أحمد أمين
وأحمد الزين . القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .

أمالى الزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٣٨٢ .

أنساب الأشراف للبلاذري (ج ٥) . تحقيق جويتاين . القلمس ، ١٩٣٦ .

الأوراق الصولي . تحقيق هيورث دن . مصر ، ١٩٣٦ .

كتاب البديع لابن المعتز . تحقيق كراتشكوفسكي . لندن ، ١٩٣٨ .

البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . القاهرة ، ١٩٦٠ .

البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١ - ٤) . تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٩ .

بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور . مصر ، ١٩٠٨ .

بهجة المجالس لابن عبد ربه النمري (١ - ٢) . تحقيق محمد مرسي الخولي . مصر ، ١٩٦٢ .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ج ١ - ١٤) . طبعة مصورة عن الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي ، بيروت

تاريخ الحكماء للقفطي . تحقيق جوليوس ليبرت . ليبسك ، ١٩٠٣ .

تاريخ الطبري (ج ٢) . نسخة مصورة عن الطبعة الأوروبية . مكتبة خياط ، بيروت .

تبيين كذب المفتري لابن عساكر أبي القاسم . ط . القلبي ، القاهرة .

تحفة العروس للتجاني . القاهرة ١٣٠١ .

تذكرة الحفاظ للذهبي (١ - ٤) . الطبعة الثالثة ، حيدر أباد الدكن ،
١٩٥٥ .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١ - ٤) . تحقيق أحمد
بكير محمود دار مكتبة الحياة ببيروت ، دار مكتبة الفكر بطرابلس - ليبيا .
كتاب النشيهات لابن أبي عون . تحقيق عبد المعيد خان . كمبرج ،
١٩٥٠ .

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي (١ - ٢) . ط . مصر ؛
والتكملة (ط . مدريد - يذكر موضعاً بالرقم) .

التلخيص للعسكري (١ - ٢) . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٩
تمام المتن في شرح الرسالة الجدية لابن زيدون للصلاح الصفدي تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم القاهرة ، ١٩٦٩ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر للشيخ عبد القادر بدران (١ - ٧) . دمشق ،
١٣٢٩ - ١٣٤٩ .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ج ٢) . حيدر أباد الدكن ،
١٣٢٥ .

ثلاث رسائل في الحسبة . تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، ١٩٥٥ .
الجغرافية والجغرافيون في الأندلس لحسين مؤنس . مدريد ، ١٩٦٧ .
جمع الجواهر للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، ١٩٥٣ .

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الظاهري . تحقيق عبد السلام هارون .
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .

جمهرة نسب قریش للزبير بن بكار (الجزء الأول) . تحقيق محمود شاكر .
القاهرة ، ١٣٨١ .

جوامع السيرة لابن حزم الظاهري . تحقيق ناصر الدين الأسد وإحسان
عباس . دار المعارف بمصر .

الجواهر المضیة فی طبقات الحنفیة لابن أبي الوفا القرشي (١ - ٢) .
حيدر آباد الدکن ، ١٣٣٢ .

حسن المحاضرة في تاريخ مصر ، والقاهرة للسيوطي (ج ١) . تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، ١٩٦٧ .

حلبة الكميت لشمس الدين النواجي : القاهرة ، ١٢٧٦ .

حلبة الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني (ج ٢) . القاهرة ، ١٩٣٨ .

الحماسة لابن الشجري . حيدر آباد الدکن ، ١٣٤٥ .

خاص الخاص للثعالی . القاهرة ، ١٩٠٨ .

الدرة الفاخرة في الأمثال لحمزة الأصفهاني (١ - ٢) . تحقيق عبد المجيد
قطامش . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ .

دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخري (ج ١ - ٢) .

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٨ - ١٩٧١ .

- الديارات للشابشي . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ، ١٩٥١ .
- ديوان ابن حمديس . تحقيق إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ديوان ابن رشيقي . جمع عبد الرحمن ياغي . دار الثقافة ، بيروت .
- ديوان ابن زيدون . تحقيق علي عبدالعظيم . مصر ، ١٩٥٧ .
- ديوان ابن مقبل . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٢ .
- ديوان ابن وكيع التنيسي . تحقيق حسين نصار . القاهرة .
- ديوان أبي حية النميري . مجلة المورد (بغداد) العدد الأول من المجلد الرابع (١٩٧٥) ص : ١٣١ - ١٥٢ .
- ديوان أبي الحسن التهامي . الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٤ .
- ديوان أبي سعد المخزومي . جمع رزوق فرج رزوق . بغداد ، ١٩٧١ .
- ديوان أبي الشيصر . جمع عبد الله الجبوري . بغداد ، ١٩٦٧ .
- ديوان أبي نواس . طبعة اسكندر آصاف ، مصر ، ١٨٩٨ ؛ وديوان أبي نواس (١ - ٢) تحقيق فاجنر .
- ديوان الأعمى التطيلي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ديوان بكر بن النطاح . جمع حاتم الضامن . بغداد ، ١٩٧٥ .

ديوان الخليلع الحسين بن الضحاك . جمع عبد الستار فراج . بيروت . ١٩٦٠ .

ديوان دعبيل بن علي الخزاعي . جمع محمد يوسف نجم . بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان ديك الجن الحمصي . تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري . بيروت . ١٩٦٤ .

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس . تحقيق عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٥٠ .

ديوان الشريف الرضي (١ - ٢) . بيروت . ١٩٦١ .

ديوان الشماخ . تحقيق صلاح الدين الهادي . دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ .

ديوان صريع الغواني . انظر : ديوان مسلم بن الوليد .

ديوان الصنوبري . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٠ .

ديوان طرفة بن العبد . باريس . ١٩٠١ .

ديوان عدي بن زيد العبادي . جمع محمد جابر المعيند . بغداد ، ١٩٦٥ .

ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردم بك . دمشق . ١٩٤٩ .

ديوان القتال الكلابي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت ، ١٩٦١ .

ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) . تحقيق سامي الدهان
دار المعارف بمصر . ١٩٥٧ .

ديوان المعتمد بن عباد . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد .
القاهرة ، ١٩٥١ .

ديوان مهيار الديلمي (ج ٣) . دار الكتب المصرية . ١٩٣٠ .

ديوان النابغة الجعدي . طبعة المكنب الإسلامي . دمشق - بيروت ،
١٩٦٤ .

ديوان النامي . جمع صبيح رديف . بغداد ١٩٧٠ .

ديوان الوأواء الدمشقي . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، ١٩٥٠ .

ديوان الوليد بن يزيد . جمع غابرييلي . بيروت ، ١٩٦٧ .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (ج ٤ قسم ١) ، مصر ١٩٤٥
(ج ٢ قسم ١) . تحقيق لطفي عبد البديع مصر ، ١٩٧٥ ؛ (ج ١ قسم ١ - ٢)
و (ج ٣ قسم ١ - ٢) . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي . (ج ١ قسم ١ - ٢) ، تحقيق
محمد بنشريف ، بيروت ؛ (ج ٤ و ٥ و ٦) ، تحقيق إحسان عباس بيروت .
١٩٦٤ - ١٩٧٣ ؛ (ج ٨) مصورة عن مخطوطة العباس بن ابراهيم (قسم
الغرائب) .

رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي . تحقيق غرمية غومس . مدريد ،
(ورمزه غ) ؛ ورايات المبرزين (ط . مصر) .

ربيع الأبرار للزمخشري ، مخطوطة جامعة برنستون ، مجموعة يهودا
رقم : ٤٢٧٢

الردّ على ابن النغيلة ورسائل أخرى لابن حزم . تحقيق إحسان عباس .
القاهرة ١٩٦٠ .

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للغرناطي (١ - ٢) . مطبعة
السعادة القاهرة . ١٣٤٤ .

روض القرطاس لابن أبي زرع . قاس . ١٣٠٣ .

الروض المعطار في خبر الاقطار لأبي عبد الله الجديري . تحقيق إحسان
عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الريحان والريعان لابن خيرة المواعيني (ج ١) . مخطوطة الفاتح
رقم : ٣٩٠٩ .

كتاب الزهرة لابن داود الأصفهاني (ج ١) . تحقيق لويس نيكل
وابراهيم طوقان . بيروت ، ١٩٣٢ .

سرقات المتنبي المنسوب لابن بسّام ، تحقيق ابن عاشور ، ط تونس
١٩٧٠ .

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي . نسخة عن مخطوطة أحمد
الثالث رقم : ٢٥٥٧ .

كتاب السنن الكبير للنسائي .

سيرة رسول الله لابن هشام (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا و ابراهيم
الإبياري وشلي . الطبعة الثانية . القاهرة . ١٩٥٥ .

سيف الدولة لكانار . الجزائر ، ١٩٣٤ .

شرح المفضليات لابن الأنباري . تحقيق كارلوس يعقوب لايل . بيروت
١٩٢٠ .

شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) . القاهرة ، ١٣٠٠ . وشرح
المقامات (١ - ٤) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

شرح نقائض جرير والفرزدق (١ - ٢) . تحقيق بيض . لندن ، ١٩٠٥
- ١٩٠٨ .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢) . تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم . القاهرة ١٩٥٩ .

شعر الخوارج . جمع إحسان عباس . الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، ١٩٧٤ .

شعر اليزيديين . جمع محسن غياض . النجف ، ١٩٧٣ .

صحيح مسلم (١ - ٢) . القاهرة ، ١٢٩٠ .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بملريد (ج ٧) : وثائق تاريخية جديدة
عن عصر المرابطين لـ محمود مكي ص : ١٠٩ - ١٩٨ .

طراز المجالس للخفاجي . القاهرة ، ١٢٨٤ .

طبقات ابن سعد (ج ٣) . دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج ٢) . القاهرة ، ١٣٢٤ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي . تحقيق محمود محمد شاكر .
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، والطبعة الثانية (١ - ٢) ، القاهرة ،
١٩٧٤ .
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي . تحقيق إحسان عباس . بيروت
١٩٧٠ .
- كتاب الطبيع لمؤلف مجهول . تحقيق ل . ميراندا . مدريد ، ١٩٦٥ .
- الطرائف الأدبية . تحرير عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- العبر في خبر من غير للذهبي (١ - ٥) . تحقيق صلاح الدين المنجد
وفؤاد السيد . الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
- العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل لمحمد بن أحمد البلوي . نسخة
الخزانة الملكية بالرباط ، رقم : ٦١٤٨ .
- عقود الجمان للزركشي . مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- عنوان الأريب للنيفر (١ - ٢) . تونس ، ١٣٥١ .
- عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي . تحقيق عبد القادر
محداد . الجزائر ، ١٩٤٩ .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس (١ - ٢)
القاهرة ، ١٣٥٢ .

الغيث المسجّم في شرح لامية العجم للصّلاح الصّفدي (١ - ٢) . المطبعة
الازهرية المصرية . القاهرة . ١٣٠٥ .

فجر الأندلس لحسين مؤنس . القاهرة . ١٩٥٩ .

الفهرست لابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران . ١٩٧١ .

قراضة الذهب لابن رشيق القيرواني . تحقيق الشاذلي بويحيى . تونس .
١٩٧٢ .

كليلة ودمنة . تصحيح عبد الوهاب عزام . مطبعة المعارف . القاهرة .
١٩٤١ .

كتابات الأدباء للجرجاني . مصر . ١٩٠٨ .

اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ - ٣) . القاهرة . ١٣٥٦
- ١٣٦٩ .

اللزوميات لأبي العلاء المعري (١ - ٢) . طبعة هندية . القاهرة . ١٩١٥ :
ونسخة ليدن رقم : ٩٠٦ .

مجلة البحث العلمي المغربية (العدد ١٠) . مقالة « عائلة بني عشرة »
لمحمد بنشريف (١٩٦٧) ص : ٦٥ - ١٠٢ .

المحمّدون من الشعراء وأشعارهم للقفطي . تحقيق حسن معمرى . الرياض
١٩٧٠ .

المختار في كشف الأسرار للجوبري . دمشق . ١٣٠٢ .

المختار من شعر بشار للتجيني بعناية محمد بدر الدين العلوي . القاهرة ،
١٩٣٤ .

مختارات ابن الصيرفي . تحقيق هلال ناجي . مجلة المورد العراقية ، المجلد
الرابع (١٩٧٥) ص : ١٠٥ - ١٣٨ .

المختصر لابن سيده (١ - ١٦) . صورة عن الطبعة الأولى . المكتب
التجاري ، بيروت .

مخطوطة الرباط ، انظر : مفاخر البربر .

المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي . نشر ليفي بروفنسال .
القاهرة . ١٩٤٨ .

المستقصى في الأمثال للزحشري (١ - ٢) حيدر أباد الدكن ،

المسلك السهل للأفرائي مخطوطة الخزانة العامة بالرباط .

مشاهير علماء الأمصار لابن حبان تحقيق م . فلا يشهر . القاهرة ،
١٩٥٩ .

معالم الإيمان للدباغ (ج ٣) . تونس ، ١٣٢٠ .

المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٣) . حيدر أباد الدكن ، ١٩٤٩

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (١ - ٤) . تحقيق محمد محيي
الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٤٧ .

معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة ، ١٩٤٥ - ١٩٤٩ .

المغرب ، لابن سعيد الأندلسي (قسم مصر ، ج ١) . تحقيق زكي محمد
حسن وشوقي ضيف وميدة كاشف . مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

مفاخر البربر . تحقيق ليفي بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ ؛ وخطوة الخزانة
العامة بالرباط ، رقم : ١٢٧٥ .

المفضليات ، انظر : شرح المفضليات .

المقاصد النحوية للعيبي ، على هامش خزانة الأدب ، بولاق .

المقتضب من تحفة القادم لابن الأبار القضاعي . تحقيق ابراهيم الاياري .
القاهرة ، ١٩٥٧ .

المقتطف في أزاهر الطرف لابن سعيد . نسخة مكتبة سوهاج .

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٥ - ١٠) . حيدرآباد
الدكن ، ١٣٥٧ .

الموازنة بين الطائيين للآمدي (١ - ٢) . تحقيق السيد أحمد صقر . دار
المعارف بمصر ، القاهرة . ١٩٦١ - ١٩٦٥ .

الميسر والقдах لابن قتيبة . بعناية محب الدين الخطيب . القاهرة ، ١٣٤٢ .

نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي . تحقيق صلاح الدين المنجد .
بيروت . ١٩٥٨ .

نزهة المشتاق للادريسي (قسم الأندلس والمغرب) . تحقيق دوزي ودي
خوية . امستردام ١٩٦٩ .

نسب قريش للمصعب الزبيري . تحقيق ليثي بروثنسال . دار المعارف
بمصر . القاهرة ، ١٩٥٣ .

نقائض جرير والفرزدق ، انظر : شرح نقائض جرير والفرزدق .
نهاية الخلافة الأموية للصوفي الطبعة الأولى ، حلب ، ١٩٦٣ .

نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني من اختصار الحافظ أبي المعاسن
اليغموري . تحقيق رودلف زلهام . بيروت ، ١٩٦٤ .

الوافي في نظم القوافي . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، رقم :
١٧٣٠ .

الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
١٩٥١ .

Caskel, w, *Gamharat An-nasab de Ibn Al-Kalbi* (Bl. 1-2) Leiden, 1966.

Dozy, Reinhart. *Spanish Islam*. London, 1913

Encyclopaedia of Islam (New Edition).

Hesperis Thamuda: Ibn Darraj, by Blachère (1933) pp. 99 — 121.

Lévi-Provençal, E. *Histoire de L'Espagne Musulmanne* (I-III), Paris —
Leiden, 1951 — 1963.

فهرس المحتويات

- ٥٦٣ في ذكر الأديب أبي الحسن غلام البكري
٥٦٤ جملة من شعره
٥٧٤ في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشنتمري
٥٧٥ جملة من نثره
٥٨٢ وهذه أيضاً قطعة من شعره
فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج وأبي الوليد
٥٨٨ ابن عمه : ابني حزم
٥٩٠ جملة من شعر أبي الحكم
٥٩٨ أبو الوليد ابن حزم
٥٩٩ جملة من شعره
٦٠٧ من شعره في العتاب
٦١٥ في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي
٦١٦ جملة من شعره
٦٣٧ في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشنتمري

- فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء
 ٦٣٥ ممن نشأ في المدة المورخة بحضرة بطليوس
- ٦٤٠ المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفتس
- ٦٤٦ جملة من نثر المتوكل [عمر ابن الأفتس] وشعره
- ٦٤٩ [الخلاف بين المتوكل وأخيه]
- ٦٥٢ في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن
- ٦٥٣ فصل من ترسيله
- ٦٥٧ لإيجاز الخبر عن فتح مدينة سبتة
- ٦٦٤ [عود إلى ترسيل ابن أيمن]
- ٦٦٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون
- ٦٧٠ [مراسلات بينه وبين أبي القاسم ابن الجلد]
- ٦٨٠ فصول من ترسيل أبي محمد
- ٦٨٤ ما أخرجه من شعره الرائع
- ٧٠١ [رسالة لأبي محمد عبد الغفور]
- ٧٠١ [التشبيهات العظم]
- ٧٠٦ رجع إلى شعر ابن عبدون
- ٧١١ بعض مقطوعاته الاخوانيات
- ٧١٩ شعره في الرثاء والتأبين
- ٧٢٨ في ذكر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التطيلي

- ٧٢٩ [بعض من ترسيله]
 ٧٣٥ من شعره في النسيب
 ٧٣٩ من شعره في المديح
 ٧٥٠ من شعره في التأين
- ٧٥٣ الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي
 ٧٥٤ [جانب من ترسيله]
 ٧٥٨ [رسالة له في الزر زور]
 ٧٦٥ قطعة من شعره
 ٧٧٢ شعر له ولأخويه أبي الحسن وأبي محمد
- ٧٧٤ في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان
 ٧٧٤ [فصول من رسائله]
 ٧٨٥ [من شعره]
- ٧٨٦ في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني
 ٧٨٨ جملة من شعره
 ٧٩٤ [أشعار في الثريا]
- ٧٩٧ في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الشقباني (الطيطل)
 ٧٩٩ في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن البين
 ٧٩٩ فصل من مقدمة كتاب له
 ٨٠٠ [من قصائده في كتابه]

٨٠٣	في ذكر ذي الوزارتين أبي محمد بن هود
٨٠٥	في ذكر الشيخ أبي عمر فتح بن برلوصة البطليوسي
٨٠٨	في ذكر الأديب يوسف بن كوثر الشنريفي
٨٠٩	في ذكر الأديب أبي الوليد التحلي
٨١١	في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني
٨١٤	جملة من شعره
٨٣١	جملة من مراثيه
٨٣٤	الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنريفي
٨٣٦	جملة من شعره في النسيب
٨٤٠	من شعره في الأوصاف
٨٥٥	تذييل
٨٥٦	استدراكات
٨٥٩	فهارس الكتاب
٨٦١	فهرس الاعلام
٨٨٨	فهرس الأماكن
٨٩٥	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٩٠٠	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٩٠١	فهرس القوافي
٩٤٥	مصادر التحقيق
٩٧١	فهرس المحتويات